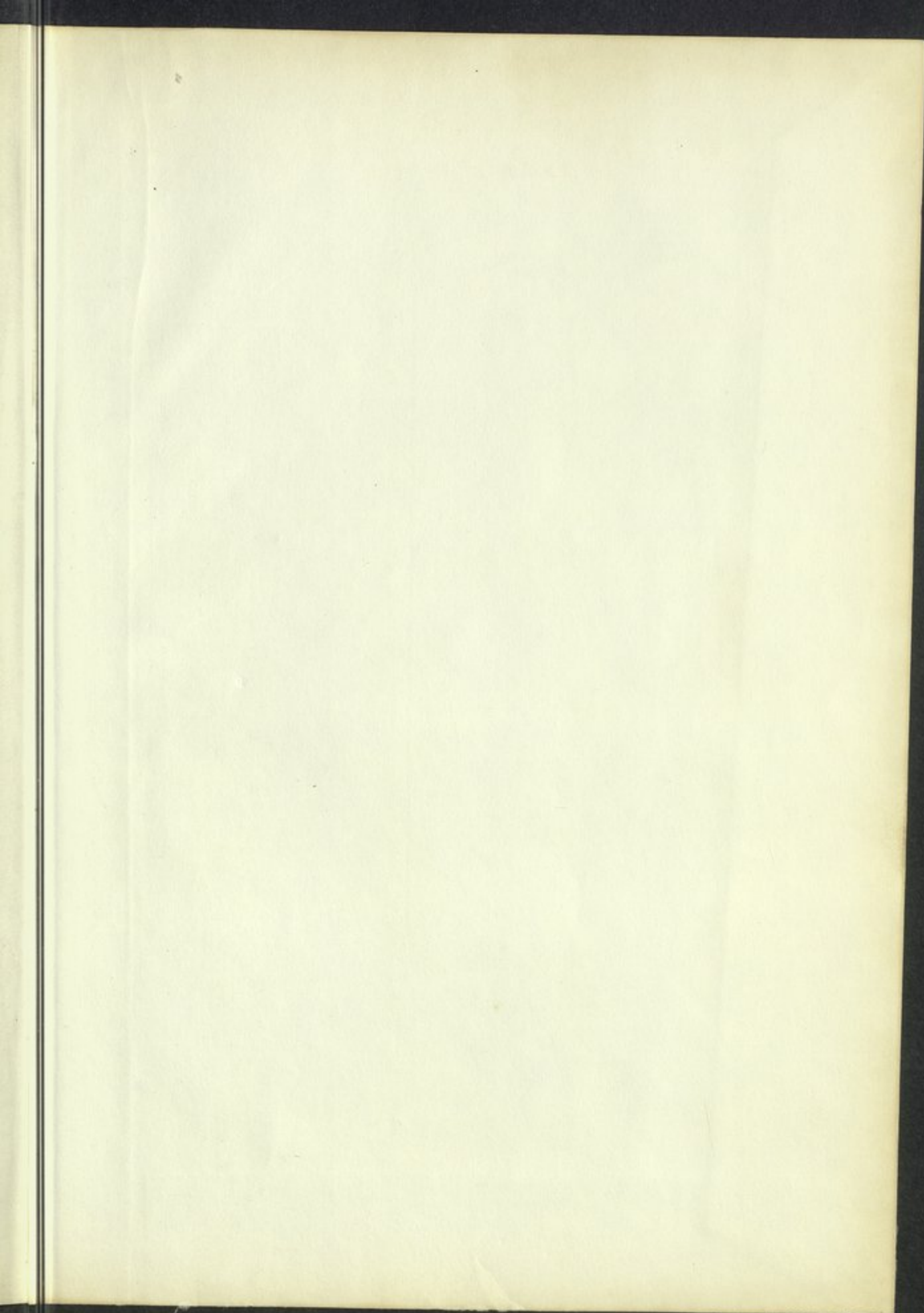
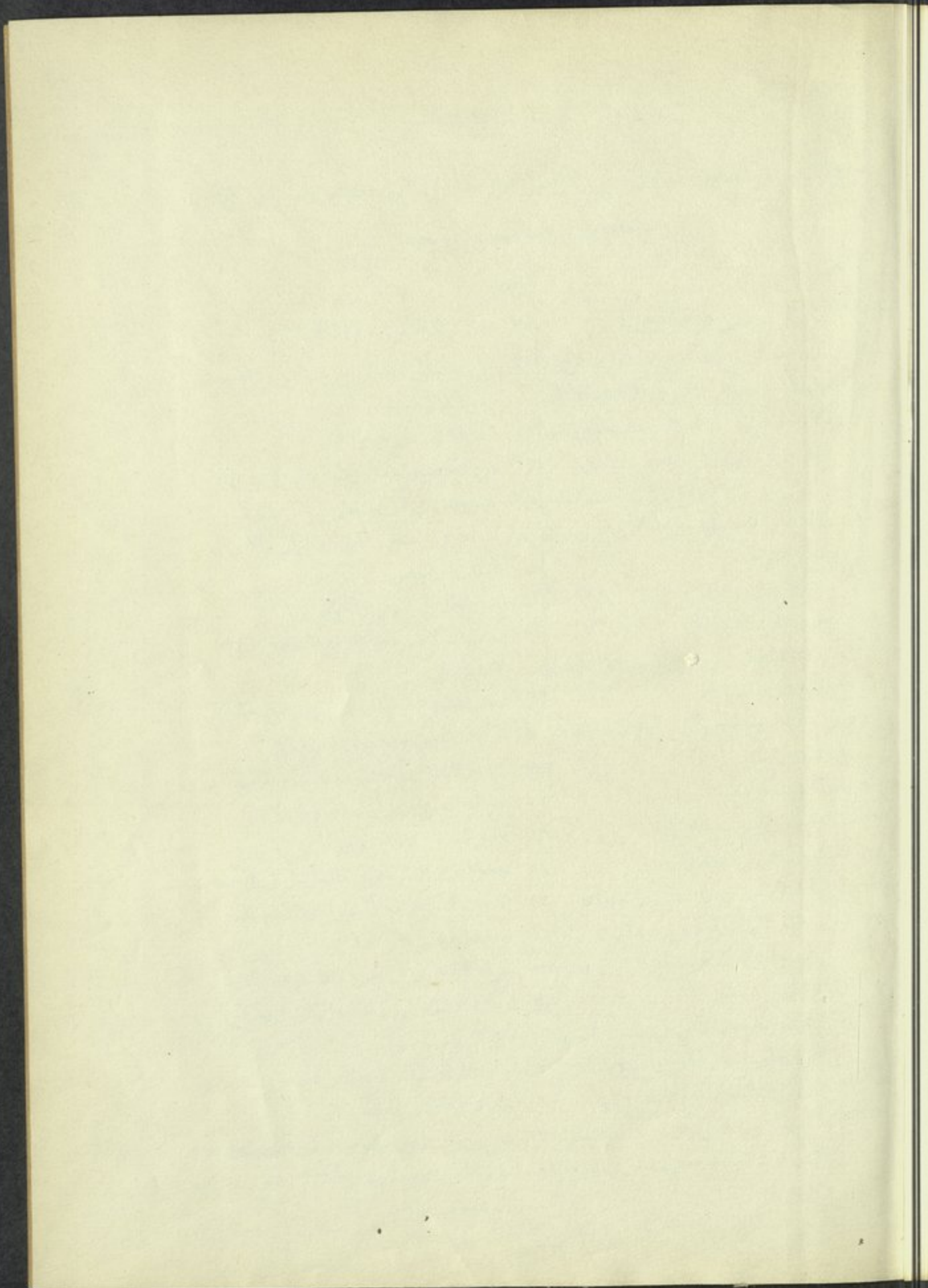


AUB Libraries

A.U.B. LIBRARY

FRANKLIN





2
0
V
A
.
1
3
2
0
29
2Y
2A
23
22
21
20
19
18
17
16
15
14
13
12
11
10
9
8
7
6
5
4
3
2
1
0

فهرس المسائل المهمة في الجزء الخامس من تفسير ابن كثير والنبوي

صفحة	صفحة
٣٨	٣٨
٣٩	٣٩
٤٢	٤٢
٤٣	٤٣
٤٤	٤٤
٤٥	٤٥
٤٦	٤٦
٤٨	٤٨
٤٩	٤٩
٥٠	٥٠
٥١	٥١
٥٢	٥٢
٥٣	٥٣
٥٤	٥٤
٥٥	٥٥
٥٦	٥٦
٥٧	٥٧
٥٨	٥٨
٥٩	٥٩
٦٠	٦٠
٦١	٦١
٦٤	٦٤
	٦٥
	٦٦
	٦٧
	٦٨
	٦٩
	٧٠
	٧١
	٧٢
	٧٣
	٧٤
	٧٥
	٧٦
	٧٧
	٧٨
	٧٩
	٨٠
	٨١
	٨٢
	٨٣
	٨٤
	٨٥
	٨٦
	٨٧
	٨٨
	٨٩
	٩٠
	٩١
	٩٢
	٩٣
	٩٤
	٩٥
	٩٦
	٩٧
	٩٨
	٩٩
	١٠٠
	١٠١
	١٠٢
	١٠٣
	١٠٤
	١٠٥
	١٠٦
	١٠٧
	١٠٨
	١٠٩
	١١٠
	١١١
	١١٢
	١١٣
	١١٤
	١١٥
	١١٦
	١١٧
	١١٨
	١١٩
	١٢٠
	١٢١
	١٢٢
	١٢٣
	١٢٤
	١٢٥
	١٢٦
	١٢٧
	١٢٨
	١٢٩
	١٣٠
	١٣١
	١٣٢
	١٣٣
	١٣٤
	١٣٥
	١٣٦
	١٣٧
	١٣٨
	١٣٩
	١٤٠
	١٤١
	١٤٢
	١٤٣
	١٤٤
	١٤٥
	١٤٦
	١٤٧
	١٤٨
	١٤٩
	١٥٠
	١٥١
	١٥٢
	١٥٣
	١٥٤
	١٥٥
	١٥٦
	١٥٧
	١٥٨
	١٥٩
	١٦٠
	١٦١
	١٦٢
	١٦٣
	١٦٤
	١٦٥
	١٦٦
	١٦٧
	١٦٨
	١٦٩
	١٧٠
	١٧١
	١٧٢
	١٧٣
	١٧٤
	١٧٥
	١٧٦
	١٧٧
	١٧٨
	١٧٩
	١٨٠
	١٨١
	١٨٢
	١٨٣
	١٨٤
	١٨٥
	١٨٦
	١٨٧
	١٨٨
	١٨٩
	١٩٠
	١٩١
	١٩٢
	١٩٣
	١٩٤
	١٩٥
	١٩٦
	١٩٧
	١٩٨
	١٩٩
	٢٠٠
	٢٠١
	٢٠٢
	٢٠٣
	٢٠٤
	٢٠٥
	٢٠٦
	٢٠٧
	٢٠٨
	٢٠٩
	٢١٠
	٢١١
	٢١٢
	٢١٣
	٢١٤
	٢١٥
	٢١٦
	٢١٧
	٢١٨
	٢١٩
	٢٢٠
	٢٢١
	٢٢٢
	٢٢٣
	٢٢٤
	٢٢٥
	٢٢٦
	٢٢٧
	٢٢٨
	٢٢٩
	٢٣٠
	٢٣١
	٢٣٢
	٢٣٣
	٢٣٤
	٢٣٥
	٢٣٦
	٢٣٧
	٢٣٨
	٢٣٩
	٢٤٠
	٢٤١
	٢٤٢
	٢٤٣
	٢٤٤
	٢٤٥
	٢٤٦
	٢٤٧
	٢٤٨
	٢٤٩
	٢٥٠
	٢٥١
	٢٥٢
	٢٥٣
	٢٥٤
	٢٥٥
	٢٥٦
	٢٥٧
	٢٥٨
	٢٥٩
	٢٦٠
	٢٦١
	٢٦٢
	٢٦٣
	٢٦٤
	٢٦٥
	٢٦٦
	٢٦٧
	٢٦٨
	٢٦٩
	٢٧٠
	٢٧١
	٢٧٢
	٢٧٣
	٢٧٤
	٢٧٥
	٢٧٦
	٢٧٧
	٢٧٨
	٢٧٩
	٢٨٠
	٢٨١
	٢٨٢
	٢٨٣
	٢٨٤
	٢٨٥
	٢٨٦
	٢٨٧
	٢٨٨
	٢٨٩
	٢٩٠
	٢٩١
	٢٩٢
	٢٩٣
	٢٩٤
	٢٩٥
	٢٩٦
	٢٩٧
	٢٩٨
	٢٩٩
	٣٠٠
	٣٠١
	٣٠٢
	٣٠٣
	٣٠٤
	٣٠٥
	٣٠٦
	٣٠٧
	٣٠٨
	٣٠٩
	٣١٠
	٣١١
	٣١٢
	٣١٣
	٣١٤
	٣١٥
	٣١٦
	٣١٧
	٣١٨
	٣١٩
	٣٢٠
	٣٢١
	٣٢٢
	٣٢٣
	٣٢٤
	٣٢٥
	٣٢٦
	٣٢٧
	٣٢٨
	٣٢٩
	٣٣٠
	٣٣١
	٣٣٢
	٣٣٣
	٣٣٤
	٣٣٥
	٣٣٦
	٣٣٧
	٣٣٨
	٣٣٩
	٣٤٠
	٣٤١
	٣٤٢
	٣٤٣
	٣٤٤
	٣٤٥
	٣٤٦
	٣٤٧
	٣٤٨
	٣٤٩
	٣٥٠
	٣٥١
	٣٥٢
	٣٥٣
	٣٥٤
	٣٥٥
	٣٥٦
	٣٥٧
	٣٥٨
	٣٥٩
	٣٦٠
	٣٦١
	٣٦٢
	٣٦٣
	٣٦٤
	٣٦٥
	٣٦٦
	٣٦٧
	٣٦٨
	٣٦٩
	٣٧٠
	٣٧١
	٣٧٢
	٣٧٣
	٣٧٤
	٣٧٥
	٣٧٦
	٣٧٧
	٣٧٨
	٣٧٩
	٣٨٠
	٣٨١
	٣٨٢
	٣٨٣
	٣٨٤
	٣٨٥
	٣٨٦
	٣٨٧
	٣٨٨
	٣٨٩
	٣٩٠
	٣٩١
	٣٩٢
	٣٩٣
	٣٩٤
	٣٩٥
	٣٩٦
	٣٩٧
	٣٩٨
	٣٩٩
	٤٠٠
	٤٠١
	٤٠٢
	٤٠٣
	٤٠٤
	٤٠٥
	٤٠٦
	٤٠٧
	٤٠٨
	٤٠٩
	٤١٠
	٤١١
	٤١٢
	٤١٣
	٤١٤
	٤١٥
	٤١٦
	٤١٧
	٤١٨
	٤١٩
	٤٢٠
	٤٢١
	٤٢٢
	٤٢٣
	٤٢٤
	٤٢٥
	٤٢٦
	٤٢٧
	٤٢٨
	٤٢٩
	٤٣٠
	٤٣١
	٤٣٢
	٤٣٣
	٤٣٤
	٤٣٥
	٤٣٦
	٤٣٧
	٤٣٨
	٤٣٩
	٤٤٠
	٤٤١
	٤٤٢
	٤٤٣
	٤٤٤
	٤٤٥
	٤٤٦
	٤٤٧
	٤٤٨
	٤٤٩
	٤٥٠
	٤٥١
	٤٥٢
	٤٥٣
	٤٥٤
	٤٥٥
	٤٥٦
	٤٥٧
	٤٥٨
	٤٥٩
	٤٦٠
	٤٦١
	٤٦٢
	٤٦٣
	٤٦٤
	٤٦٥
	٤٦٦
	٤٦٧
	٤٦٨
	٤٦٩
	٤٧٠
	٤٧١
	٤٧٢
	٤٧٣
	٤٧٤
	٤٧٥
	٤٧٦
	٤٧٧
	٤٧٨
	٤٧٩
	٤٨٠
	٤٨١
	٤٨٢
	٤٨٣
	٤٨٤
	٤٨٥
	٤٨٦
	٤٨٧
	٤٨٨
	٤٨٩
	٤٩٠
	٤٩١
	٤٩٢
	٤٩٣
	٤٩٤
	٤٩٥
	٤٩٦
	٤٩٧
	٤٩٨
	٤٩٩
	٥٠٠
	٥٠١
	٥٠٢
	٥٠٣
	٥٠٤
	٥٠٥
	٥٠٦
	٥٠٧
	٥٠٨
	٥٠٩
	٥١٠
	٥١١
	٥١٢
	٥١٣
	٥١٤
	٥١٥
	٥١٦
	٥١٧
	٥١٨
	٥١٩
	٥٢٠
	٥٢١
	٥٢٢
	٥٢٣
	٥٢٤
	٥٢٥
	٥٢٦
	٥٢٧
	٥٢٨
	٥٢٩
	٥٣٠
	٥٣١
	٥٣٢
	٥٣٣
	٥٣٤
	٥٣٥
	٥٣٦
	٥٣٧
	٥٣٨
	٥٣٩
	٥٤٠
	٥٤١
	٥٤٢
	٥٤٣
	٥٤٤
	٥٤٥
	٥٤٦
	٥٤٧
	٥٤٨
	٥٤٩
	٥٥٠
	٥٥١
	٥٥٢
	٥٥٣
	٥٥٤
	٥٥٥
	٥٥٦
	٥٥٧
	٥٥٨
	٥٥٩
	٥٦٠
	٥٦١
	٥٦٢
	٥٦٣
	٥٦٤
	٥٦٥
	٥٦٦
	٥٦٧
	٥٦٨
	٥٦٩
	٥٧٠
	٥٧١
	٥٧٢
	٥٧٣
	٥٧٤
	٥٧٥
	٥٧٦
	٥٧٧
	٥٧٨
	٥٧٩
	٥٨٠
	٥٨١
	٥٨٢
	٥٨٣
	٥٨٤
	٥٨٥
	٥٨٦
	٥٨٧
	٥٨٨
	٥٨٩
	٥٩٠
	٥٩١
	٥٩٢
	٥٩٣
	٥٩٤
	٥٩٥
	٥٩٦
	٥٩٧
	٥٩٨
	٥٩٩
	٦٠٠
	٦٠١
	٦٠٢
	٦٠٣
	٦٠٤
	٦٠٥
	٦٠٦
	٦٠٧
	٦٠٨
	٦٠٩
	٦١٠
	٦١١
	٦١٢
	٦١٣
	٦١٤
	٦١٥
	٦١٦
	٦١٧
	٦١٨
	٦١٩
	٦٢٠
	٦٢١
	٦٢٢
	٦٢٣
	٦٢٤
	٦٢٥
	٦٢٦
	٦٢٧

صفحة	صفحة
٦٥	كذب المشركين بان لهم جزاء الحسنى في الآخرة
٦٦	كالذنيا
٦٧	الانعام يخرج لبنها من بين فرث ودم
٦٨	المنة باتخاذ السكر والرزق الحسن من التخييل
٦٩	والاعناب
٧٠	خاصة العسل في تطهير الامعاء وازالة فسادها
٧١	الحلق والوفاء والرد الى أرذل العمر
٧٢	تفضيل بعض العباد على بعض في الرزق
٧٣	منة الله على البشر بالازواج والاصهار والخفدة
٧٤	عبادة ما لا يملك له ابد رزقا وضرب المثل له
٧٥	ضرب مثل آخر للمشرك بالله
٧٨	انما على الرسول البلاغ، انكار النعم بعدم معرفتها
٨٠	شهادة الانبياء على أمهم يوم القيامة بما أجابوهم به
٨١	الاسرائيليات في زيادة العذاب
٨٢	كون القرآن تبياناً لكل شيء
٨٤	الامر بالوفاء بهد الله
٨٦	ضرب المثل ونقض العهد والمكر فيه
٨٨	ضمان الحياة الطيبة وسعادة الآخرة للمؤمن
٨٩	الامر بالاستعاذة لمريد قراءة القرآن للتدب
٩١	رد قولهم في النبي صلى الله عليه وسلم انما يعلمه بشر
٩٤	قتل المرتد الذي شرح بالكفر صدره
٩٥	هجرة المستضعفين من مدة بعد ما فتنوا في دينهم
٩٦	عقاب أهل مكة بالجوع والخوف بسبب
٩٨	كفرهم بأنعم الله
٩٨	النهي عن افتراء الكذب بالتحليل والتحريم
١٠١	وهو حق الله تعالى
١٠٢	جعل السبت على اليهود العيد الاسبوعي الممي
١٠٢	آية الدعوة الجماعية والحكمة والموعظة
١٠٣	على اسرائه
١٠٤	تمثيل المشركين بالمسلمين ولا سيما حمزة
١٠٤	رض « بأحد
١٠٥	إيجاب كون العقاب بالمثل والتدب الى فضيلة العفو
١٠٦	معية الله العامة بالعلم والخاصة بالنصر والتأييد
١٠٦	(تفسير سورة الاسراء)
١٠٧	أحاديث الاسراء والمعراج
١٠٨	رواية شريك المضطربة لحديث المعراج
١٠٩	حديث أنس في المعراج
١١٠	فرض الصلاة ليلة المعراج
١١١	ما رآه «ص» من الآيات واعتبر ليلة الاسراء
١١٣	طرق حديث أنس في الاسراء والمعراج
١١٧	واختلاف سياقها ومسائلها
١٢٢	حديث أنس عن أبي ذر في المعراج
١٢٣	حديث بريدة وجابر في الاسراء فقط
١٢٣	ما شاهده النبي ليلة المعراج
١٢٥	حديث أبي شعبة في المعراج
١٢٦	شداد بن أوس في الاسراء
١٢٨	روايات ابن عباس لحديث المعراج
١٣٠	حديث عبد الله بن مسعود في المعراج
١٣٠	« عمر في الاسراء
١٣١	« أبي هريرة الطويل الغريب في المعراج
١٣٨	تصديق أبي بكر لخبر الاسراء وكيد أبي
١٣٩	جهل للنبي «ص»
١٤٠	حديث أم هانئ في الاسراء والمعراج
١٤١	تلخيص ما صح من احاديث الاسراء والمعراج
١٤١	على اضطرابها
١٤١	الخلاف في الاسراء والمعراج وترجيح انه
١٤٢	بالروح والجسد يقظة
١٤٢	تممة الآيات التي ذكرها النبي «ص» لقريش
	على اسرائه

صفحة	صفحة
١٤٣	المقارنة بين رسالتى محمد وموسى «ص»
١٤٤	ما قضاه الله في شأن بني اسرائيل
١٤٥	من ساط الله على اليهود من الملوك بافسادهم
١٤٧	انذار أشعيا لبني اسرائيل عند افسادهم
١٤٨	الحديث المرفوع في يختصر عند ابن جرير
١٥٠	موضوع
١٥٣	ما فعل مختصر بني اسرائيل
١٥٤	الاسرائيليات في مختصر
١٥٤	خرافة وهب بن منبه في مختصر
١٥٦	دعاء الانسان على نفسه وولده بالشر لكونه
١٥٧	عجولا
١٥٨	جعله تعالى الليل والنهار للعلم بالسنين والحساب
١٦٠	الزام كل انسان طائرته في عقفه
١٦١	من اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها
١٦٤	الا حاديت في مصير أطفال الكفار والخنون
١٦٧	والاصم وأهل الفترة
١٦٨	امتحان الله لغير المكلفين ومن لم تبلغهم الدعوة
١٧٠	في الموقف
١٧٣	سنة الله في اهلاك الامم بفسق مرفيها
١٧٤	جزاء طلاب الدنيا وحدها وطلاب الآخرة
١٧٥	قضاء الله وأمره بتوجيه في العبادة والاحسان
١٧٧	بالو الدين
١٧٨	ما يغفر من التفصير مع الوالدين بشرطه
١٧٩	حقوق الارحام والمساكين وأبناء السبيل
١٨٢	التهى عن التبذير في الانفاق وذم فاعله
١٨٣	أحاديث في فضل النفقة وذم البخل
١٨٣	التهى عن قتل الاولاد وعن الزنا
١٨٣	قتل النفس وسلطان ولي المقتول وسلطنة معاوية
١٨٣	التهى عن مشية المرح والخيلاء
١٨٣	الحكمة الفضائل المأمورها والذائل المنهي عنها
١٨٥	تسبيح السموات والارض وكل شيء بحمده تعالى
١٨٧	من خص التسبيح لله بالاحياء ومن قال بعم الجهاد
١٨٩	كلمة التوحيد وثقلها على المشركين
١٩١	الرد على منكري البعث بقدره الله عليه
١٩٢	المعيد للخلق يوم القيامة هو الذي فطرهم
١٩٣	أول مرة
١٩٦	أمر الناس بأن يقولوا أحسن الكلام
١٩٧	كون هلاك الامم أو عذابها مسطورا في الكتاب
١٩٩	سبب منع اعطاء الآيات المقترحة لمحمد (ص)
٢٠٠	رؤيا النبي التي كانت فتنة للناس
٢٠١	سجود الملائكة لآدم الا ابليس
٢٠٢	اغواء الشيطان للناس الا عباد الله المخلصين
٢٠٣	مشاركة الشيطان للناس في الاموال والاولاد
٢٠٥	وعد الشيطان بالغرور للناس
٢٠٧	تكريم الله لبني آدم وحملهم في البر والبحر
٢٠٩	دعوة كل انسان بآمانهم يوم القيامة
٢١٠	عصمة الله لنبيه مما حاول المشركون فتنه
٢١١	محاولة الكفار اخراج النبي من مكة
٢١٤	الامر باقامة الصلاة لا قائلها
٢١٥	صفة صلاة النبي (ص) في الليل وعددها
٢١٧	المقام المحمود لنبينا (ص)
٢٢٣	أحاديث الشفاعة والمقام المحمود
٢٢٤	الدعاء بمدخل الصدق ومخرج الصدق
٢٢٥	زهوق الباطل بمجيء الحق
٢٢٦	القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين وخسار للظالمين
٢٣٠	الروح وكونه من أمر الرب تعالى
٢٣١	عجز الانس والجن عن الاتيان بمثل القرآن
٢٣٦	أقراح المشركين الآيات الكونية على النبي (ص)
٢٣٦	شبهتهم على الرسول أنه بشر والمانع من
٢٣٦	جعله ملكا

صفحة	صفحة
٢٣٧	المهتدي من هده الله . وحال من يضل في ٢٨١
٢٣٨	الدنيا والآخرة ٢٨٣
٢٣٩	انكار الكفار للبعث واحتجاج الله عليهم ٢٨٨
٢٤٠	صفة البخل والامساك خلق للانسان ٢٨٩
٢٤٢	آيات التسم التي أعطاها الله لموسى عليه السلام ٢٨٩
٢٤٣	اغراق فرعون ومن معه واسكان بني اسرائيل ٢٩٢
٢٤٤	الارض ٢٩٣
٢٤٩	انزال القرآن ونزوله بالحق وارسال الرسول ٢٩٤
٢٥٠	بشير أو نذير ٢٩٥
٢٥١	سجود الذين أوتوا العلم لتلاوة القرآن الصلاة ٢٩٦
٢٥٢	بين الجهر والخافتة ٢٩٨
٢٥٣	تفسير سورة الكهف ﴿ ٢٩٩ ﴾
٢٥٤	حمد الله نفسه على انزال الكتاب على عبده ٣٠٠
٢٥٥	انزال القرآن لينذر به ويشر ٣٠١
٢٥٦	تسليم النبي «ص» على عدم ايمان قومه ٣٠٢
٢٥٧	قصة أصحاب الكهف وامرائيليات كعب ٣٠٣
٢٥٨	الاجبار فيها ٣٠٤
٢٥٩	الحق ما قصه الله في أصحاب الكهف وبطلان ٣٠٥
٢٦٠	ماسوا ٣١٢
٢٦١	بيان موقع باب الكهف من الجهات الاربع ٣١٤
٢٦٢	من رأى أصحاب الكهف يحسبهم ايقاظا ٣١٦
٢٦٣	أقوال العلماء في معنى الوصيد وفي الكهف ٣١٧
٢٦٤	بعث أصحاب الكهف وتساؤلهم عن مدة ابلهم ٣٢١
٢٦٥	اطلاع الناس على أصحاب الكهف بعد بعثهم ٣٢٢
٢٦٦	عدة أصحاب الكهف وما قيل فيها ٣٢٣
٢٦٧	تقديم المشيئة عند العزم على الفعل ٣٢٤
٢٦٨	مدة لبث أصحاب الكهف قبل الاطلاع عليهم ٣٢٥
٢٦٩	امره تعالى انبيه «ص» بتلاوة القرآن ٣٢٧
٢٧٠	ومجالسة من بدعو الله وحده ٣٢٩
٢٧١	وعبد الله للكفار على ترك الحق واتباع الهوى ٣٣٠
٢٧٢	جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات عدن ٢٨١
٢٧٣	ضرب المثل للعسكريين المستكبرين برجلين ٢٨٣
٢٧٤	لاحدما جنتان الخ ٢٨٨
٢٧٥	مثل الحياة الدنيا كما انزله الله من السماء ٢٨٩
٢٧٦	أقوال العلماء في الباقيات الصالحات ٢٩٢
٢٧٧	والاحاديث فيها ٢٩٣
٢٧٨	اهوال يوم القيامة وما فيها من الامور العظام ٢٩٤
٢٧٩	كتاب اعمال بني آدم لا يفاد رصغيرة ولا كبيرة ٢٩٥
٢٨٠	الا احصاها ٢٩٦
٢٨١	الاخبار الواردة في احوال يوم القيامة ٢٩٨
٢٨٢	امر الملائكة بالسجود لآدم وعصيان ابليس ٢٩٩
٢٨٣	أقوال العلماء في كون ابليس كان من الجن ٢٩٩
٢٨٤	انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير والتقدير ٣٠٠
٢٨٥	تصريف الامثال في القرآن الكريم ٣٠١
٢٨٦	اظلم الناس من ذكر آيات الله فاعرض عنها ٣٠٢
٢٨٧	من رحمة الله تعالى بالكفار عدم تعجيل عذابهم ٣٠٣
٢٨٨	قصة موسى مع فتاه يوشع بن نون ٣٠٤
٢٨٩	الاخبار والاثار في قصة موسى مع الخضر ٣٠٥
٢٩٠	ركوب موسى والخضر في السفينة ٣١٢
٢٩١	قتل الخضر للغلام وانكار موسى عليه ذلك ٣١٤
٢٩٢	اقامة الخضر للجدار ومخلوطة موسى معه ٣١٦
٢٩٣	تبين الخضر لموسى حكمة اعماله العجيبة ٣١٧
٢٩٤	أقوال العلماء في حياة الخضر وسبب تسميته بذلك ٣٢١
٢٩٥	قصة ذي القرنين وما ورد فيها ٣٢٢
٢٩٦	التمكين لذي القرنين في الارض وايتاؤه من كل شيء سبباً ٣٢٣
٢٩٧	غروب الشمس في عين حمئة ومعنى حمئة ٣٢٥
٢٩٨	بلوغ ذي القرنين مقام الشمس ٣٢٧
٢٩٩	الكلام على أصل يا جوج وما جوج ٣٢٩
٣٠٠	بناء ذي القرنين لسد يا جوج وما جوج ٣٣٠

صفحة	
٣٣٢	عجز يا جوج وما جوج عن نقب السد وعن
	الصعود فوقه
٣٣٤	الوقت الذي يخرج فيه يا جوج وما جوج من السد
٣٣٧	عرض جهنم على الكفار يوم القيامة
٣٣٩	جزاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات الفردوس
٣٤٠	كلمات الله تعالى لا تنفذ ولو جعل البحر لها مداداً
٣٤١	النبي «ص» بشر يوحى اليه
٣٤٢	الاحاديث الواردة في الشرك الحقي والرياء
	والعبادة لغير الله
٣٤٤	الشرك الحقي والرياء المحبط للأعمال
٣٤٥	﴿تفسير سورة مريم﴾
٣٤٦	دعاء زكريا لربه أن يرزقه ولداً صالحاً راضياً
٣٤٨	استبعاد زكريا على نفسه أن يولده
٣٤٩	آية الله لذكريا التي يعلم منها وجود الولد
٣٥٠	تعليم التوراة لإحيى وهو صبي
٣٥١	كون يحيى عليه السلام ذا خنان وبراً بوالديه
٣٥٢	آية الله الكبرى في خلق عيسى بن مريم عليه السلام
٣٥٣	إرسال الروح الى مريم ومثله لها بشر أسوياء
٣٥٥	حمل مريم بعيسى وبجيء الخاض لها عند جذع النخلة
٣٥٧	مجيء مريم للموت جزاء لحماها من غير بعل
٣٥٨	تطمين الله لقلب مريم وهدئته نفسها بما الم بها
٣٦٠	اعتذار مريم بالصوم عن كلام البشروع بمجاوبتهم
٣٦١	استنكار قوم مريم لحالها عند رؤيتهم ولدها
٣٦٣	اعتراف عيسى في المهد بأنه عبد الله ونبيه
٣٦٥	الحق في شأن عيسى بن مريم هو ما أخبر الله به
٣٦٦	دعوة عيسى في المهد الى عبادة الله وحده
٣٦٧	التمعجب من سمع الكفار وبصرهم يوم القيامة
٣٧٠	دعوة إبراهيم لآبيه أن يترك عبادة الاوثان
٣٧١	وعيد أبي إبراهيم له بسبب عبادة الاوثان
٣٧٢	اعزال إبراهيم لقومه ولما يعبدون من دون الله
٣٧٣	ثناء الله على موسى بأنه كان مخلصاً وكان رسولا نبيا
٣٧٦	ثناء الله على إدريس بأنه كان صديقاً نبيا
٣٧٧	أقوال العلماء في رفع إدريس مكاناً علياً
٣٧٨	الانبياء الذين أنعم الله عليهم من ذرية آدم
٣٧٩	الحلف الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات
٣٨٢	من تاب وآمن وعمل صالحاً دخل الجنة
٣٨٤	نزول الملائكة من السماء لا يكون إلا بأمر الله تعالى
٣٨٦	في يوم البعث يحشر الكفار مع المنافقين
٣٨٨	ورود جميع الخلق على النار يوم القيامة
٣٨٩	الاخبار والالواردة في ورود الناس على النار
٣٩٤	نجاة المتقين من النار ورك الظالمين فيها جثياً
٣٩٥	قول الكفار (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً)
٣٩٦	إمهال الضالين حتى يروا عذاب الآخرة
٣٩٧	وهم الكفار الكاذب أنهم سيؤتون مالا وولداً في الآخرة
٣٩٩	كفران الآلهة بعبادة الكفار لهم وتبرؤهم منهم
٤٠٠	حشر المتقين إلى الرحمن وفداً وسوق المجرمين إلى جهنم ورداً
٤٠٣	من ادعى أن للرحمن ولداً فقد جاء شيثاً إذا
٤٠٤	انفطار السموات وانشقاق الارض من دعوى الولد لله
٤٠٥	حب الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات
٤٠٨	﴿تفسير سورة طه﴾
٤٠٩	كون القرآن أنزل رحمة وتذكراً لمن يخشى
٤١٠	سلطان الله على السموات والارض وما بينهما وما تحت الثرى
٤١١	علم الله تعالى شامل (يعلم السر وأخفى)
٤١٢	كيفية ابتداء الوحي إلى موسى وتكليم الله له
٤١٤	مجيء الساعة حتم وإخفاء علمها عن الخلائق
٤١٦	آيات الله في عصي موسى عليه السلام

صفحة	صفحة
٤١٧	إلقاء العصي وكونها صارت حية
٤١٨	آية موسى في كون يده تصير بيضاء من غير سوء
٤١٩	أمر الله لموسى أن يذهب إلى فرعون
٤٢٢	إجابة دعاء موسى ونشأته بعد ولادته
٤٢٣	خبر ارضاع موسى ونشأته في بيت فرعون
٤٢٥	حديث القنوت المروي عن ابن عباس
٤٣١	لبث موسى في أهل مدين ثم أرسله إلى فرعون
٤٣٣	خوف موسى وهارون من طغيان فرعون
٤٣٥	وتطمين الله لهم
٤٣٧	سؤال فرعون لموسى وهارون عن ربهما
٤٣٨	ومخاوريه لهما
٤٣٩	تعداد نعم الله التي أنعم بها على فرعون وقومه
٤٣٩	ادعاء فرعون أن عمل موسى سحر وأنه
٤٣٩	سيأتيه بسحر مثله
٤٣٩	جمع فرعون للسحرة من مدائن مملكة
٤٣٩	ليتحدى موسى
٤٤٢	خوف موسى مما خيل إليه من سعي الجبال والعصي
٤٤٣	إيمان السحرة بموسى وتهديد فرعون لهم على ذلك
٤٤٥	اعتراف السحرة لفرعون أن الكافر المحرم
٤٤٥	جزاؤه جهنم
٤٤٧	خروج موسى مع بني إسرائيل وضربه
٤٤٧	البحر بمصاه
٤٤٩	إضلال السامري لقوم موسى ورجوعه
٤٤٩	غضبنا أسفا
٤٥١	عبادة قوم موسى للعجل الذي صنعه السامري
٤٥٢	نهى هارون لقوم موسى عن عبادة العجل
٤٥٣	مجيء موسى إلى قومه وغضبه لما رأى من فتنهم
٤٥٤	سؤال موسى للسامري عن الباعث له على
٤٥٥	إغواء قومه
٤٥٥	وعيد موسى عليه السلام للسامري بتحريق العجل
٤٥٦	صفة الصور الذي ينفخ فيه لاجل الخشر
٤٥٧	نسف الجبال يوم القيامة وجعل الأرض قاعا صفصفا
٤٥٨	كون الشفاعة لا تنفع إلا من أذن له الرحمن
٤٥٨	ورضى له قولا
٤٦٠	إزال القرآن باللغة العربية وتصريف الوعيد فيه
٤٦١	نهى النبي أن يعجل بالقرآن من قبل أن
٤٦١	يقضى إليه وحيه
٤٦٣	وسوسة إبليس لآدم وحمله على أن يأكل
٤٦٣	من شجرة الخلد
٤٦٤	حاجة موسى لآدم فيما وقع منه من عصيان الله
٤٦٥	من أعرض عن ذكر الله كانت معيشته ضنكا
٤٦٧	الاعتبار باهلاك الله للامم المكذبة للرسل
٤٦٨	تسبيح النبي «ص» قبل طلوع الشمس وقيل
٤٦٨	غروبها
٤٦٩	ترك النظر إلى ما تمتع به الكفار من زهرة
٤٦٩	الحياة الدنيا
٤٧١	طلب الكفار من النبي «ص» آية موافقة
٤٧١	لما يقترحونه
٤٧٣	(تفسير سورة الانبياء عليهم السلام)
٤٧٤	غفلة الناس وإعراضهم عن سماع الحق
٤٧٤	واقتراب حسابهم
٤٧٦	كون جميع المرسلين رجالا يوحى إليهم
٤٧٧	كون القرآن شريفا ومشرقا لمن اهتدى بهديه
٤٧٨	خلق الله السموات والأرض بالحق والعدل
٤٧٨	لا عبثا ولا لعبا
٤٧٩	عدم جواز اللعب واللهو على أفعال الله
٤٧٩	جل شأنه
٤٨٠	امتناع وجود آلهة في السموات والأرض
٤٨١	غير الله الأحد
٤٨١	اتخاذ الكفار آلهة من دون الله موقوف لهم
٤٨١	اتخذ الرحمن ولدا
٤٨٢	كون السموات والأرض كاترا متقابل فتقهما

صفحة	صفحة
٤٨٤	جمل الرواسي في الارض وجمل السماء ٥٢٦ دعاء زكريا ربه أن يهب له ولداً يكون سقفا محفوظا
٤٨٥	كون الخلد محالا على البشر الانبياء وغيرهم ٥٢٨ قدرة الله العجيبة في خلق عيسى من غير أب
٤٨٦	كون كل نفس ذائقة الموت ورجوعها إلى الله تعالى ٥٢٩ كون الدين واحداً وهو عبادة الله وحده
٤٨٧	استعجال الكفار بالعذاب وإتيان الساعة بفتة ٥٣٠ عادة الله في اهلاك الأمم أن لا يرجعها مرة أخرى
٤٨٨	استهزاء الكفار بالرسول وانتقام الله لهم
٤٨٩	غرور الكفار وضلالهم بسبب ما تمعوا به من النعم ٥٣١ الاحاديث الواردة في الدجال
٤٩٠	اعتراف الكفار بظلمهم حيناً تمسهم نفخة ٥٣٥ كون المشركين مع معبوداتهم في النار الذين سبق لهم من الله الحسنى مبعدون عن النار
٤٩١	إنزال الفرقان على موسى ضياء وذكرى للمؤمنين ٥٣٦ قصة ابن الزبيري ومناظرة المشركين للنبي «ص»
٤٩٢	هداية إبراهيم ورشده ومعرفة الحق في صغره ٥٣٧ طي السماء يوم القيامة كطي السجل للكتب
٤٩٣	تكسير إبراهيم للاصنام وسؤال قومه له عن ذلك ٥٣٨ أقوال العلماء في السجل وما المراد منه
٤٩٦	إقامة إبراهيم الحجة على قومه بيطلان ٥٤٠ عبادة الاصنام
٤٩٧	كيد الكفار لإبراهيم بالفائه في النار ٥٤١ الله تعالى
٤٩٨	جعل النار على إبراهيم برداً وسلاما ٥٤٢ كون النبي «ص» أرسل رحمة للعالمين
٥٠٠	حجرة إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى بلاد الشام ٥٤٤ نزول الوحي على النبي «ص» بأن الله اله واحد
٥٠١	هبة الله لإبراهيم اسحاق ويعقوب نافلة ٥٤٥ علم الله تعالى بالغيب جميعه وعلمه لما ظهر وما استتر
٥٠٢	استجابة الله لنوح حين دعا على قومه ٥٤٦ (تفسير سورة الحج)
٥٠٣	حكم داود وسليمان في الحرث الذي نقشت ٥٤٧ الدليل على أن الزلزلة قبل قيام الساعة فيه غم القوم
٥٠٧	تسخير الجبال والطير بالتسبيح مع داود ٥٤٨ الاحاديث الدالة على أن الزلزلة كائنة يوم القيامة
٥٠٨	تسخير الريح العاصفة لسليمان ٥٥١ ضلال من كذب بالبعث وأنكر قدرة الله على احياء الموتى
٥٠٩	كشف الله الضر عن أيوب بعد ابتلائه ٥٥٢ بدء خلق الانسان من تراب ثم من نقطة الخ
٥١٠	قصة ابتلاء أيوب عليه السلام وما قيل فيها ٥٥٤ قدرة الله في تحويل النطفة طفلاً ثم ربيته وتنشئته
٥٢٠	ثناء الله على الانبياء الصابرين وادخالهم في رحمته
٥٢٢	الخلاف في كون ذي الكفل نبياً أم لا ٥٥٥ الدليل على البعث في انبات الزرع من الارض الهامدة
٥٢٣	قصة ذي الثون عليه السلام ٥٥٦ جدال الكفار في الله بغير علم ولا هدى
٥٢٤	دعاء ذي الثون عليه السلام في بطن الحوت ٥٥٦ ولا كتاب منير
٥٢٥	استجابة الله دعاء يونس وتجيته من الغم

صفحة	صفحة
٥٥٩	كون بعض الناس يدعوا من دون الله مالا
٥٩٥	الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين
٥٦١	حكم الله العدل بين جميع الامم يوم القيامة
٥٩٦	تأسي النبي « ص » بالانبياء قبله في تكذيب
٥٦٢	سجود جميع من في السموات ومن في قومه له
٥٩٧	الارض لله تعالى
٥٦٣	فضل سورة الحج بسجودها
٥٩٨	عدم الخلف في وعد الله . مقدار اليوم عند
٥٦٤	جزاء كل من الخضمين اللذين اختصا في ربهم
٥٩٩	كون النبي « ص » نذرا للمؤمنين بالمغفرة
٥٦٥	أقوال العلماء في أن ربا مكة تملك وتورث وتوثر
٥٩٩	والكافرين بالجحيم
٥٧١	تحريم الاحاد والظلم في المسجد الحرام
٦٠٠	لقاء الشيطان في أمنية الرسول فتنه للذين
٥٧٢	بناء ابراهيم للبيت ودعوته الناس للحج
٥٧٤	المنافع التي يجنيها الناس من الحج الى بيت الله
٦٠١	الاحاديث المرسلة الواردة في قصة الغرانيق
٥٧٥	ذكر الله في الايام المعلومات وأقوال العلماء فيها
٦٠٤	استمرار الكفار على شكهم حتى تأتيهم
٥٧٧	الترخيص في الاكل من الاضحية . الساعة بقة
٦٠٥	وعد الله المهاجرين بحسن الحال وحسن المال
٥٧٨	قضاء الثقت في الحج
٦٠٧	طواف الافاضة آخر المناسك
٥٧٩	في تعظيم حرمت الله خير كثير وثواب جزيل
٥٨٠	حل الانعام والنهي عن قول الزور وما
٦٠٨	قدرة الله العجيبة في تصرف الخلق وابداعها
٥٨١	ورد فيه
٦٠٩	قدرة الله في امساك السماء واجياها الناس
٥٨٢	واماتهم وبعثهم
٥٨٣	تعزيز شعائر الله من تقوى القلوب
٦١٠	الاحاديث الواردة في الاضحية وانها من شعائر الله
٥٨٤	ذبح المناسك على اسم الله مشروع في كل ملة
٦١١	عبادة الكفار من دون الله مالم ينزل به سلطانا
٥٨٥	جعل البدن من شعائر الله وذكر اسم الله عليها
٦١٣	اصطفاه الله رسلا من الملائكة ومن الناس
٥٨٧	كيفية الذبح في الاضحية وما ورد في ذلك
٦١٤	القول بان الاضحية غير واجبة ودليله
٥٩١	ومقدار سنها
٥٩٢	الامر بقتال المشركين وأول آية نزلت في ذلك
٥٩٤	سنة الله في خلقه أن يدفع الشر عن بعض
٦١٦	الناس ببعض
٥٩٥	الامة بالمسلمين
٦١٧	تم الفهرس



الْبَيْعَةُ الْخَامِسُ

من تفسير الحافظ ابن كثير
وهو الامام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل
ابن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤

قال الحافظ الذهبي في المعجم المختص : الامام المفتي المحدث البارع ، فقيه متقن ، محدث متقن ، ومفسر ... وله تصانيف مفيدة . وذكر الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة أنه كان من محدثي الفقهاء وقال سارت تصانيفه في البلاد في حياته ، وانتفع بها بعد وفاته طبع عن نسخة الطبعة الاميرية وصحح مقابلة على نسخة مكتبة الحرم المكي الشريف المصححة على نسخة المؤلف . وعلى نسخة مكتبة الجامع الازهر

ويليه في أدنى الصحائف

معالم التنزيل

نصير الامام البقوي المتوفى سنة ٥١٦

قال الناج السبكي في طبقات الشافعية: الحسين بن مسعود الفراء الشيخ أبو محمد البغوي صاحب التهذيب الملقب «بمحي السنة» من مصنفاته شرح السنة والمصباح والتفسير المسمى معالم التنزيل... كان اماماً جليلاً ورعاً زاهداً فقيهاً محدثاً مفسراً جامعاً بين العلم والعمل، سلكا سبيل السلف

من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحبي السنة المحمدية

الإمام عبد العزيز السعدي

مَلِكُ الْيَحْيَى زَوْجُ بَدْرٍ وَمُلْحَمَاتُهَا

38736

الطبعة الاولى في مطبعة المنار بمصر في سنة ١٣٤٦ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(المجلد الخامس من تفسير الحافظ ابن كثير)

تفسير سورة الحجر وهي مكية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

الر، تلك آيات الكتاب وقرآن مبين (١) ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (٢)

ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْمُهُمُ الْاَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أوائل السور، وقوله تعالى (ربما يود الذين كفروا) الآية إخبار عنهم أنهم سيندمون على ما كانوا فيه من الكفر ويتمنون لو كانوا في الدنيا مع المسلمين، ونقل السدي في تفسيره بسنده المشهور عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة أن كفار قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة الحجر)

﴿مكية وهي تسعة وتسعون آية﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الر﴾ معناه أنا الله أرى ﴿تلك آيات الكتاب﴾ أي هذه آيات الكتاب ﴿وقرآن﴾ أي وآيات قرآن ﴿مبين﴾ أي بين الحلال من الحرام والحق من الباطل فإن قيل لم ذكر الكتاب ثم قال (وقرآن مبين) وكلاهما واحد؟ قلنا قد قيل كل واحد منهما يفيد فائدة أخرى فإن الكتاب ما يكتب والقرآن ما يجمع بعضه إلى بعض وقيل المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والقرآن هذا الكتاب ﴿ربما﴾ قرأ أبو

لما عرضوا على النار تمنوا أن لو كانوا مسلمين. وقيل إن المراد أن كل كافر يود عند احتضاره أن لو كان مؤمناً، وقيل هذا اخبار عن يوم القيامة كقوله تعالى (ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) وقال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن أبي الزهراء عن عبد الله في قوله [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] قال هذا في الجهنميين إذا رأوهم يخرجون من النار، وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا مسلم حدثنا القاسم حدثنا ابن أبي فروة العبدى أن ابن عباس وأنس بن مالك كانا يتأولان هذه الآية [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] يتأولانها يوم يحبس الله أهل الخطايا من المسلمين مع المشركين في النار قال فيقول لهم المشركون ما أغنى عنكم ما كنتم تعبدون في الدنيا قال فيغضب الله لهم بفضل رحمته فيخرجهم فذلك حين يقول [ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين] وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن حماد عن إبراهيم وعن خصيف عن مجاهد قال يقول أهل النار للموحدين ما أغنى عنكم إيمانكم فإذا قالوا ذلك قال الله أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان قال فعند ذلك قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وهكذا روي عن الضحاك وقتادة وأبي العالية وغيرهم، وقد ورد في ذلك أحاديث مرفوعة فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن العباس هو الآخر حدثنا محمد بن منصور الطوسي حدثنا صالح بن إسحاق الجهمي وابن علي بن يحيى بن موسى ^(١) حدثنا معروف بن واصل عن يعقوب بن نباه عن عبد الرحمن الأغر عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن ناساً من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم فيقول لهم أهل اللات والعزى ما أغنى عنكم قواكم لا إله إلا الله وأنتم منسأ في النار ؟ فيغضب الله لهم فيخرجهم فيلقهم في نهر الحياة فيبرؤون من حرقتهم كما يبرأ القمر من خسوفه ويدخلون الجنة ويسمون فيها الجهنميون، فقال رجل يا أنس أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فقال أنس سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » نعم أنا سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا، ثم قال الطبراني تفرد به الجهمي

١ في المكية

ابن معين

الحديث الثاني قال الطبراني أيضاً حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثنا أبو الشعثاء علي بن حسن الواسطي حدثنا خالد بن نافع الأشعري عن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل

جعفر ونافع وعاصم بتخفيف الباء والباقيون بتشديدها وهما لغتان ورب للتقليل وك للتكثير ورب تدخل على الاسم وربما على الفعل يقال رب رجل جاني وربما جاني رجل وأدخل ما ههنا للفعل بعدها « يود » يتمنى « الذين كفروا لو كانوا مسلمين » واختلفوا في الحالة التي يتمنى الكافر فيها الاسلام قال الضحاك حالة المعاينة وقيل يوم القيامة والمشهور أنه حين يخرج الله المؤمنين من النار، وروي عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال « إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل

القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم الاسلام وقد صرتم معنا في النار؟ قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فسمع الله ما قالوا فأمر بمن كان في النار من أهل القبلة فأخرجوا فلما رأى ذلك من بقي من الكفار (قالوا ياليتنا كننا مسلمين) فنخرج كما خرجوا قال ثم قرأ رسول الله ﷺ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) ورواه ابن أبي حاتم من حديث خالد بن نافع به وزاد فيه بسم الله الرحمن الرحيم عوض الاستعاذة

(الحديث الثالث) قال الطبراني أيضا حدثنا موسى بن هارون حدثنا اسحاق بن راهويه قال قلت لأبي أسامة أحدثكم أبو روق واسمه عطية بن الحارث حدثني صالح بن أبي طريف قال سألت أبا سعيد الخدري فقلت له هل سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين)؟ قال نعم سمعته يقول « يخرج الله ناسا من المؤمنين من النار بعد ما تأخذ ثقتهم منهم » وقال « لما أدخلهم الله النار مع المشركين قال لهم المشركون تزعمون أنكم أولياء الله في الدنيا فما بالسكم معنا في النار؟ فإذا سمع الله ذلك منهم أذن في الشفاعة لهم فتشفع لهم الملائكة والنبيون وبشفع المؤمنين حتى يخرجوا باذن الله فإذا رأى المشركون ذلك قالوا ياليتنا كننا مثلهم فتدركنا الشفاعة فنخرج معهم؟ قال فذلك قول الله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) فيسمون في الجنة الجهنميون من أجل سواد في وجوههم فيقولون يارب أذهب عنا هذا الاسم فيأمرهم فيغتسلون في نهر الجنة فيذهب ذلك الاسم عنهم فأقر به أبو أسامة وقال نعم

(الحديث الرابع) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا العباس بن الوليد البرمسي حدثنا مسكين أبو فاطمة حدثني البنان بن يزيد عن محمد بن حسين عن محمد بن علي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ « منهم من تأخذه النار إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حوزته ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه على قدر ذنوبهم وأعمالهم ومنهم من يمكث فيها شهرا ثم يخرج منها ومنهم من يمكث فيها سنة ثم يخرج منها وأطولهم فيها مكثا بقدر الدنيا منذ يوم خلقت إلى أن تقضى فإذا أراد الله أن يخرجهم منها قالت اليهود والنصارى ومن في النار من أهل الأديان والاثنيان لمن في النار من أهل التوحيد آمنتم بالله وكتبه ورسله فنحن وأنتم اليوم في النار سواء فيفضب الله لهم غضبا لم يفضبه لشيء

القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة أستم مسلمين؟ قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم اسلامكم وأنتم معنا في النار؟ قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفر الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها حينئذ يوم يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فان قيل كيف قال ربما وهي للتقليل وهذا التمني يكثر من الكفار؟ قلنا قد تذكر ربما للتكثير أو أراد ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم

فيما مضى فيخرجهم إلى عين في الجنة وهو قوله (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) وقوله (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) تهديد شديد لم ووعد أكد كقوله تعالى (قل تمتعوا فان مصيركم إلى النار) وقوله (كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون) ولهذا قال (ويلهم الامل) أي عن التوبة والالابة (فسوف يعلمون) أي عاقبة أمرهم

وما أهلكننا من قرية الا ولها كتاب معلوم (٤) ما تسبق من أمة أجلها وما

يستشخرون (٥)

ينخبّر تعالى أنه ما أهلك قرية إلا بعد قيام الحجة عليها وانتهاء أجلها ، وأنه لا يؤخر أمة حان هلاكهم عن مقامهم ولا يتقدمون عن مدتهم وهذا تنبيه لأهل مكة وإرشاد لهم إلى الافلاخ عامم عليه من الشرك والعناد والاحاد الذي يستحقون به الهلاك

وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكرك انك لجنون (٦) لوما تأتينا بالمشكاة ان كنت

من الصدّقين (٧) . انزل المشكاة إلا بالحق وما كانوا اذا منظرين (٨) إنا نحن نزلنا

الذكر وانا له لحافظون (٩)

ينخبّر تعالى عن كفرهم وعتوم وعنادهم في قولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي الذي تدعي ذلك (إنك لجنون) أي في دعائك إيانا إلى اتباعك وترك ما وجدنا عليه آباءنا (لوما) أي هلا (تأتينا بالمشكاة) أي يشهدون لك بصحة ما جئت به كما قال فرعون (لولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين) (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد

للدامة انما يخطر ذلك ببالهم أحيانا (ذرهم) يا محمد يعني الذين كفروا (يأكلوا) في الدنيا (ويتمتعوا) من لذاتها (ويلهم) يشغلهم (الامل) عن الاخذ بمحظهم من الايمان والطاعة (فسوف يعلمون) اذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا تهديد ووعد ، وقال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وقوله (فسوف يعلمون) تهديد آخر فتي بهنأ العيش بين تهديدين والآية نسختها آية القتال

قوله تعالى (وما أهلكننا من قرية) أي من أهل قرية (إلا ولها كتاب معلوم) أي أجل مضروب لا تتقدم عليه ولا يأتهم العذاب حتى يباغوه ولا يتأخر عنهم (ما تسبق من أمة أجلها) من صلة أي ما تسبق أمة أجلها (وما يستأخرون) أي الموت لا يتقدم ولا يتأخر وقيل العذاب وقيل الأجل المضروب (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) أي القرآن وأرادوا به محمدا ﷺ (انك لجنون) وذكرنا تنزيل الذكر على سبيل الاستهزاء (لوما) هلا (تأتينا بالمشكاة)

ستكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً * يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً) وكذا قال في هذه الآية (ما نزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذا منظرين) وقال مجاهد في قوله (ما نزل الملائكة إلا بالحق) بالرسالة والعذاب ثم قرر تعالى أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغيير والتبديل ومنهم من أعاد الضمير في قوله تعالى (له لحافظون) على النبي ﷺ كقوله (والله يعصمك من الناس) والمعنى الاول أولى وهو ظاهر السياق

ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين (١٠) وما يأتيهم من رسول الا كانوا

به يستهزئون (١١) كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (١٢) لا يؤمنون به وقد خلت

سنة الاولين (١٣)

يقول تعالى مسلياً رسوله ﷺ في تكذيب من كذبه من كفار قريش إنه أرسل من قبله من الامم الماضية وانه ما أتى أمة من رسول الا كذبوه واستهزؤا به ثم أخبر أنه سلك التكذيب في قلوب المجرمين الذين عاندوا واستكبروا عن اتباع الهدى قال أنس والحسن البصري (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) يعني الشرك وقوله (وقد خلت سنة الاولين) أي قد علم ما فعل تعالى بمن كذب

شاهدين لك بالصدق على ما تقول أن الله أرسلك (ان كنت من الصادقين) انك نبي (ما نزل الملائكة) قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر بنو نين الملائكة نصب وقرأ أبو بكر بالياء وضمها وفتح الزاي الملائكة رفع وقرأ الباقون بالياء وفتحها وفتح الزاي الملائكة رفع (الا بالحق) أي بالعذاب ولو نزلت يعني الملائكة لعجلوا بالعذاب (وما كانوا إذا منظرين) أي مؤخرين وقد كان الكفار يطلبون انزال الملائكة عياناً فاجابهم الله تعالى بهذا ومعناه أنهم لو نزلوا عياناً لزال عن الكفار الامهال وعذبوا في الحال (اننا نحن نزلنا الذكر) يعني القرآن (وانا له لحافظون) أي نحفظ القرآن من الشياطين أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه أو يبدلوا بغيره قال الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) والباطل هو ابليس لا يقدر أن يزيد فيه ما ليس منه ولا أن ينقص منه ما هو منه وقيل الهاء في له راجعة الى محمد ﷺ أي انا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء كما قال جل ذكره (والله يعصمك من الناس) قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك) أي رسلاً (في شيع الاولين) أي في امم القرون الماضية والشيعه هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم على رأي واحد (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزئون) كما فعلوا بك ذكره تسلياً للنبي ﷺ (كذلك نسلكه) أي كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء بالرسول في قلوب شيع الاولين (كذلك نسلكه) أي ندخله (في قلوب المجرمين) يعني مشركي مكة قومك وفيه رد على القدرية (لا يؤمنون به) يعني لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبالقرآن (وقد خلت)

رسله من الهلاك والدمار وكيف أنجى الله الانبياء وأتباعهم في الدنيا والآخرة

ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون (١٤) نقالوا انما سكرت أبصرنا

بل نحن قوم مسحورون (١٥)

يخبر تعالى عن كفرهم وعنادهم ومكابرتهم للحق أنه لو فتح لهم بابا من السماء فجعلوا يصعدون فيه لما صدقوا بذلك بل قالوا (انما سكرت أبصارنا) قال مجاهد وابن كثير والضحاك سدت أبصارنا وقال قتادة عن ابن عباس أخذت أبصارنا ، وقال العوفي عن ابن عباس شبه علينا وانما سحرنا ، وقال الكلبي عميت أبصارنا ، وقال ابن زيد سكرت أبصارنا السكران الذي لا يعقل

ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للنظرين (١٦) وحفظناها من كل شيطان رجيم (١٧)

الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين (١٨) والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا

فيها من كل شيء موزون (١٩) وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين (٢٠)

يذكر تعالى خلقه السماء في ارتفاعها وما زينها به من الكواكب الثوابت والسيارات ، لمن تأمل وكرر النظر فيما يرى من العجائب والآيات الباهرات ، ما يحار نظره فيه ولهذا قال مجاهد وقاتدة البروج ههنا هي الكواكب [قلت] وهذا كقوله تبارك وتعالى [تبارك الذي جعل في السماء بروجا] الآية . ومنهم من قال البروج هي منازل الشمس والقمر ، وقال عطية العوفي البروج ههنا هي قصور فيها الحرس وجعل الشهب حرسا لها من مردة الشياطين لئلا يسمعوها إلى الملا الأعلى فمن تمرد وتقدم منهم

مضت (سنة الاولين) أي وقائم الله تعالى بالاهلاك فيمن كذب الرسل من الامم الخالية يخوف أهل مكة (ولو فتحنا عليهم) يعني على الذين يقولون لوما تأتينا بالملائكة (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) أي فظلت الملائكة يعرجون فيه وهم يرونها عيانا ، هذا قول الاكثرين وقال الحسن معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيه أي يصعدون والاول أصح (نقالوا انما سكرت) سدت (أبصارنا) قاله ابن عباس ، وقال الحسن سحرت ، وقال قتادة أخذت ، وقال الكلبي عميت ، وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف أي حبست ومنعت النظر كما يسكر النهر لحبس الماء (بل نحن قوم مسحورون) أي عمل فينا السحر فسحرنا محمد.

قوله تعالى (ولقد جعلنا في السماء بروجا) والبروج هي النجوم الكبار مأخوذ من الظهور يقال تبرجت المرأة أي ظهرت وأراد بها المنازل التي تنزلها الشمس والقمر والكواكب السيارة وهي اثنا عشر برجاً الحمل والثور والجوزاء السرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو

لاستراق السمع جاءه شهاب مبين فأتلغه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر ويأتي بها إلى وليه كما جاء مصرحاً به في الصحيح كما قال البخاري في تفسير هذه الآية : حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان » قال علي وقال غيره صفوان ينغذم ذلك فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا والذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده ففرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه إلى الذي هو أسفل

والخوت ، وقال عطية هي قصور في السماء عليها الحرس ﴿ وزيناها ﴾ أي السماء بالشمس والقمر والنجوم ﴿ للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم ﴾ مرحوم وقيل ملعون . قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقون على الكهنة ما سمعوا فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السموات أجمع فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لابلis فقال لقد حدث في الأرض حادث قال فبعثهم فوجدوا رسول الله ﷺ يتلو القرآن فقالوا هذا والله لقد حدث ﴿ إلا من استرق السمع ﴾ لكن من استرق السمع ﴿ فأتبعه شهاب مبين ﴾ والشهاب الشعلة من النار وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء الدنيا ويسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطيء أبداً فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حيث يشاء الله ومنهم من تحبسه فيصير غولاً يضل الناس في البوادي ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف بن محمد بن إسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو قال : سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله ﷺ قال « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا والذي قال الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه فيسمع أحدهم الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقها وربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن أبي مريم ثنا الأيثم ثنا ابن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أنها سمعت النبي ﷺ يقول « إن الملائكة

منه حتى يلقوها إلى الارض وربا قال سفيان حتى تنتهي إلى الارض فتلقى على فم الساحر أو الكاهن فيكذب معها مائة كذبة فيصدق فيقولون ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء

ثم ذكر تعالى خلقه الارض ومدته إياها وتوسيعها وبسطها وما جعل فيها من الجبال الروامي والادوية والاراضي والرمال وما أنبت فيها من الزروع والثمار المناسبة ، وقال ابن عباس (من كل شيء موزون) أي معلوم وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك ومجاهد والحكم بن عيينة والحسن بن محمد وأبو صالح وقتادة ومنهم من يقول مقدر بقدر ، وقال ابن زيد من كل شيء يوزن ويقدر بقدر ^(١) وقال ابن زيد ما يزنه أهل الاسواق ،

(١) هذا وما قبله

أصح ولا معنى للوزن

الاتقدير الشيء

الجهول بمقدار معلوم

كما قال تعالى (وما ننزله

الا بقدر معلوم) وقد

وضعت في هذا العصر

موازين لجميع انواع

الاثقال والمقادير

العرضية كالحرارة

والرطوبة وصاروا

يعرفون وزن العناصر

التي يتركب منها كل

نبات من البسائط

والآية تشمل كل هذا

لانها من كلام الخلاق

العليم وهي من

معجزات القرآن

وقوله (وجعلنا لكم فيها معايش) يذكر تعالى انه صرفهم في الارض في صنوف الاسباب والمعايش وهي جمع معيشة وقوله (ومن لستم له برازقين) قال مجاهد هي الدواب والانعام ، وقال ابن جرير

تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الامر الذي قضى في السماء فتسرق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم . واعلم ان هذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي ﷺ

ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي ﷺ وإنما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساسا لنبوته ،

وقل يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الاخنس بن شريق ان أول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أدهى العرب فقالوا له

ألم تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم ؟ قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التي يهتدى بها

في البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهي والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذي فيها وان كانت نجوما غير ها وهي والله ثابتة على حالها فهذا الامر أرادته

الله تعالى بهذا الخلق قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرايت قوله تعالى (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) الآية قال غلط وشدد أمرها حين بعث محمد ﷺ وقال ابن

قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة فصار شدة الحراسة والاهتمام بالرجم بعد مبعثه وقيل ان النجم ينقض فيرمي الشياطين ثم يعود إلى مكانه والله أعلم

قوله تعالى ﴿ والارض مددناها ﴾ بسطناها على وجه الماء يقال انها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها

دحيت من تحت الكعبة ﴿ وألقينا فيها روامي ﴾ جبالا ثوابت وقد كانت الارض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال ﴿ وأنبتنا فيها ﴾ أي في الارض ﴿ من كل شيء موزون ﴾ بقدر معلوم وقيل يعني في الجبال

وهي جواهرها من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يوزن وزنا ، وقال ابن زيد هي الاشياء التي توزن وزنا ﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ﴾ جمع معيشة قيل أراد

بها المطاعم والمشارب والملابس ، وقيل ما يعيش به الآدمي في الدنيا ﴿ ومن لستم له برازقين ﴾ أي

١٠ خزائن كل شيء عند الله وتنزله كل شيء بقدر معلوم (تفسير ابن كثير والبغوي)

هم العبيد والإماء والدواب والالعام والقصد أنه يمتن عليهم بما يسر لهم من أسباب المكاسب ووجوه الأسباب وصنوف المعاش ، وبما سخر لهم من الدواب التي يركونها والالعام التي يأكلونها والعبيد والاماء التي يستخدمونها ورزقهم على خالقهم لا عليهم فلم هم المنفعة والرزق على الله تعالى

وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (٢١) وأرسلنا الريح لواقع فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخزنين (٢٢) وإنا لنحن نحي ونميت ونحن الوارثون (٢٣) ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين (٢٤) وإن ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم (٢٥)

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء وأن كل شيء سهل عليه يسير لديه ، وأن عنده خزائن الاشياء من جميع الصنوف (وما ننزله إلا بقدر معلوم) كما يشاء وكما يريد ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة . قال يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة عن عبد الله ما من عام أمطر من عام ولكن الله يقسمه بينهم حيث شاء عاما ههنا و عاما ههنا ثم قرأ (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) الآية رواه ابن جرير ، وقال أيضا حدثنا القاسم حدثنا هشيم أخبرنا اسماعيل بن سالم عن الحكم بن عيينة في قوله (وما ننزله إلا بقدر معلوم) قال ما عام بأكثر مطرا من عام ولا أقل ولسكنه يطر قوم ويحرم آخرون بما كن في البحر قال وبلغنا أنه ينزل مع المطر من الملائكة أكثر من عدد ولد إبليس وولد آدم يحصون كل قطرة حيث تقع وما تنبت ، وقال البزار حدثنا داود هو ابن بكير حدثنا حيان بن أغلب بن تميم حدثني أبي عن هشام عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خزائن الله الكلام فإذا أراد شيئا قال له كن فكان » ثم قال لا يرويه إلا أغلب وإيس باقوي وقد حدث عنه غير واحد من المتقدمين ولم يروه عنه إلا ابنه وقوله تعالى (وأرسلنا الرياح لواقع) أي تلتفح السحاب فتدر ماء وتفتح الشجر

جعلنا فيها معاش من لستم له برازقين من الدواب والالعام أي جعلناها لكم وكفيناكم رزقا و (من) في الآية بمعنى ما كقوله تعالى (فمنهم من يمشي على بطنه) وقيل من في موضعها لانه أراد الممالك مع الدواب ، وقيل من في محل الخفض عطا على الكافر والميم في لكم (وإن من شيء) أي وما من شيء (إلا عندنا خزائنه) أي مفاتيح خزائنه ، وقيل أراد به المطر (وما ننزله إلا بقدر معلوم) لسكل أرض حد مقدر ويقال لا تنزل من السماء قطرة إلا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله عز وجل ويشاء وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال في العرش مثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) (وأرسلنا الرياح لواقع) أي حوامل لانها تحمل الماء

فتفتح عن أوراقها وأكمامها وذكراها بصيغة الجمع ليكون منها الانتاج بخلاف الريح العقيم فانه أفردھا ووصفھا بالعقيم وهو عدم الانتاج لانه لا يكون إلا بين شيئين فصاعداً ، وقال الاعمش عن المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن عبد الله بن مسعود في قوله (وأرسلنا الرياح لواقع) قال ترسل الريح فتحمل الماء من السماء ثم تمر مر السحاب حتى تدر كما تدر اللقحة وكذا قال ابن عباس و ابراهيم النخعي وقتادة ، وقال الضحاك يبعثها الله على السحاب فتلقح فيمطي ماء ، وقال عبيد بن عمير الليثي يبعث الله المبشرة فتقم الارض قائم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب ثم يبعث الله اللواقع فتلقح الشجر ثم تلا (وأرسلنا الرياح لواقع) وقد روى ابن جرير من حديث عيسى بن ميمون عن أبي المهزم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « الريح الجنوب من الجنة وهي التي ذكر الله في كتابه وفيها منافع للناس » وهذا إسناد ضعيف ، وقال الامام أبو بكر عبد الله ابن الزبير الحميدي في مسنده حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني يزيد بن جعدة الليثي أنه سمع عبد الرحمن بن مخرق يحدث عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله خلق في الجنة ريحا بعد الريح سبع سنين وان من دونها بابا مغلقا وانما يأتيكم الريح من خلل الباب ولو فتح لأذرت

إلى السحاب وهو جمع لاقحة يقال ناقلة لاقحة إذا حملت الولد . قال ابن مسعود : يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كندر اللقحة ثم تمطر ، وقال أبو عبيدة أراد بالواقع الملاقيح واحدها ملقحة لانها تلقح الاشجار . قال عبيد بن عمير يبعث الله الريح المبشرة فتقم الارض قائم يبعث الله المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه إلى بعض فتجعله ركائما ثم يبعث اللواقع فتلقح الشجر . وقال أبو بكر بن عياش لا تقطر قطرة من السماء إلا بعد أن تعمل الرياح الأربع فيه فالصبا يهبجه والشمال تجمععه والجنوب نذروه والديور تفرقه . وفي الخبر « ان اللقح رياح الجنوب » وفي بعض الآثار : ماهبت ريح الجنوب الا وأنبت عينا غدقة . وأما الريح العقيم فانها تأتي بالعذاب ولا تلقح ، أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الاصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا من لا أنهم بحديثه ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال ماهبت ريح قط الا جثا النبي ﷺ على ركبتيه وقال « اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا ، اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا * اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وقال (وأرسلنا الرياح لواقع) وقال (يرسل الرياح مبشرات) قرأ حمزة وحده [وأرسلنا الرياح لواقع] على الوحدة والوجه ان الريح يراد به الجنس والكثرة ولهذا وصفت بالجمع في قوله [لواقع] وقرأ الباقون [الرياح] بالالف على الجمع ووجه ظاهر وذلك انها وصفت بقوله [لواقع] وهي جماعة فينبغي أن يكون الموصوف أيضا جماعة ليتوافقا

١٢ انزاله تعالى الماء سقياً وكونه الذي يحيي ويميت ويعلم كل شيء (تفسير ابن كثير والبغوي)

ما بين السماء والارض من شيء. وهي عند الله الاذيب^١ وهي فيكم الجنوب وقوله (فأسقيناكموه) أي أنزلناه لكم عذاباً يمكنكم أن تشربوا منه لو نشاء جعلناه أجاجاً كما نبه على ذلك في الآية الأخرى في سورة الواقعة وهو قوله تعالى (أفرأيتم الماء الذي تشربون) أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون؟ لو نشاء جعلناه أجاجاً فلولا تشكرون) وفي قوله (وهو الذي أنزل من السماء ماء لسكم منه شراب ومنه شجر فيه تسمية) وقوله (وما أنتم له بخازنين) قال سفيان الثوري بمانعين وبمحمل أن المراد وما أنتم له بمحافظين بل نحن ننزله ونحفظه عليكم ونجعله معيناً وينابيع في الارض ولو شاء تعالى لا غار له وذبح به ولكن من رحمته أنزله وجعله عذاباً وحفظه في العيون والآبار والأنهار وغير ذلك ليبقى لهم في طول السنة يشربون ويسقون أنعامهم وزروعهم وثمارهم وقوله (وانا لنحن نحيي ونميت) إخبار عن قدرته تعالى على بدء الخلق وإعادة وانه هو الذي أحيا الخلق من العدم ثم يميتهم ثم يعيدهم كلهم ليوم الجمع وأخبر أنه تعالى يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون ثم أخبر تعالى عن تمام علمه بهم أولهم وآخرهم فقال (واقعد علمنا المستقدمين منكم) الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما المستقدمون كل من هلك من لدن آدم عليه السلام والمستأخرون من هو حي ومن سيأتي الى يوم القيامة، وروي نحوه عن عكرمة ومجاهد والضحاك وقنادة ومحمد بن كعب والشعبي وغيرهم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رجل عن مروان بن الحكم أنه قال كان أناس يستأخرون في الصفوف من أجل النساء فأنزل الله (واقعد علمنا المستقدمين منكم) وقد ورد فيه حديث غريب جداً فقال ابن جرير حدثني محمد بن

قوله ﴿فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه﴾ أي جعلنا المطر لكم سقياً، يقال أسقى فلان فلان إذا جعل له سقياً وسقاه إذا أعطاه ما يشرب، وتقول العرب سقيت الرجل ماءً ولبنا إذا كان يسقيه فإذا جعلوا له ماءً لشرب أرضه ودوابه تقول العرب أسقيته ﴿وما أنتم له بخازنين﴾ يعني المطر في خزائنا لا في خزائنكم، وقال سفيان بمانعين ﴿وانا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾ بأن نميت جميع الخلائق فلا يبقى حي سوانا والوارث من صفات الله عز وجل قبل الباقي بلد فناء الخلق وقيل معناه أن مصير الخلق إليه.

قوله تعالى ﴿واقعد علمنا المستقدمين منكم واقعد علمنا المستأخرين﴾ قال ابن عباس أراد بالمستقدمين الاموات والمستأخرين الاحياء، قال الشعبي الاولين والآخرين، وقال عكرمة المستقدمون من خلق الله والمستأخرون من لم يخلق الله. قال مجاهد المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون أمة محمد ﷺ وقال الحسن المستقدمون في الطاعة والخيرات والمستأخرون المبطلون عنها وقيل المستقدمون في الصفوف في الصلاة والمستأخرون فيها وذلك أن النساء كن يخرجن إلى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر صفوف الرجال ليقرّب من النساء ومن النساء من

موسى الحرشي حدثنا نوح بن قيس حدثنا عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت تصلي خلف النبي صلى الله عليه وسلم امرأة حسناء قال ابن عباس لا والله ما رأيت مثلها قط وكان بعض المسلمين إذا صلوا استقدموا يعني لئلا يروها وبعض يستأخرون فإذا سجدوا نظروا إليها من تحت أيديهم فأنزل الله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وكذا رواه أحمد وابن أبي حاتم في تفسيره ورواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما وابن ماجه من طرق عن نوح بن قيس الحداني وقد وثقه أحمد وأبو داود وغيرهما وحكى عن ابن معين تضعيفه وأخرجه مسلم وأهل السنن وهذا الحديث فيه نكارة شديدة وقد رواه عبدالرزاق عن جعفر بن سليمان عن عمرو بن مالك وهو البكري أنه سمع أبا الجوزاء يقول في قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم) في الصفوف في الصلاة (والمستأخرين) فالظاهر أنه من كلام أبي الجوزاء فقط ليس فيه لابن عباس ذكر، وقد قال الترمذي هذا أشبه من رواية نوح بن قيس والله أعلم وهكذا روى ابن جرير عن محمد بن أبي معشر عن أبيه أنه سمع عون بن عبد الله يذكر محمد بن كعب في قوله (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) وأنها في صفوف الصلاة فقال محمد بن كعب ليس هكذا (ولقد علمنا المستقدمين منكم) الميت والمقتول (والمستأخرين) من يخلق بعد (وإن ربك هو يحشرهم أنه حكيم عليم) فقال عون بن عبد الله وفقك الله وجزاك خيرا

ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجآن خلقناه من قبل من نار السموم (٢٧)
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد بالصلصال ههنا التراب اليابس والظاهر أنه كقوله تعالى (خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجآن من مارج من نار) وعن مجاهد أيضاً (الصلصال)

كانت في قلبها رية فتقدم إلى أول صفوف النساء لتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فقال النبي ﷺ «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها» (١) وقال الاوزاعي أراد المصلين في أول الوقت والمؤخرين إلى آخره، وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخرين في صف القتال، وقال ابن عيينة أراد من يسلم ومن لا يسلم (وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم) على ما علم منهم وقيل بميت الكل ثم يحشرهم الاوابين والاخرين أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا أبو سعيد الصيرفي ثنا أبو العباس الاصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال النبي ﷺ «من مات على شيء بعثه الله عليه» (٢).

قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان) يعني آدم عليه السلام سمي إنساناً لظهوره وإدراكه البصر إياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه نفسي (من صلصال) وهو الطين اليابس الذي إذا تقرنه سمعت له صلصلة أي صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فإذا حرك

(١) رواه مسلم
وأصحاب السنن عن
أبي هريرة
(٢) رواه أحمد
والحاكم بسند صحيح

المتن وتفسير الآية بالآية أولى وقواه (من حمأ مسنون) أي الصلصال من حمأ وهو الطين .
والمنون الأملس كما قال الشاعر :

ثم خاصرناها الى القبة الخفض وراء نمشي في مرمر مسنون

أي أملس صقيل ولهذا روي عن ابن عباس أنه قال هو التراب الرطب ، وعن ابن عباس ومجاهد أيضاً والضحاك أن الحمأ المنون هو المتن وقيل المراد بالمنون ههنا المصبوب ، وقوله (والجان خلقناه من قبل) أي من قبل الانسان (من نار السموم) قال ابن عباس هي السموم التي تقتل ، وقال بعضهم السموم بالليل والنهار ومنهم من يقول السموم بالليل والحرور بالنهار ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال دخلت على عمر الأصم أعوده فقال ألا أحدثك حديثاً سمعته من عبد الله ابن مسعود يقول : هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي خلق منها الجان ثم قرأ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) وعن ابن عباس أن الجان خلق من لهب النار وفي رواية من أحسن النار ، وعن عمرو بن دينار من نار الشمس ، وقد ورد في الصحيح « خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من نار وخلق آدم مما وصف لكم »^(١) والمقصود من الآية التنبيه على شرف آدم عليه السلام وطيب عنصره وطهارة محته

« رواه أحمد »

ومسلم عن عائشة

تقعق ، وقال مجاهد هو الطين المتن واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم وأصل إذا أتت (من حمأ) والحمأ الطين المتن الاسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقناة هو المتن المتغير ، وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سننت الماء أي صببته قال ابن عباس هو التراب المبطل المتن جعل صلصالا كافخار وفي بعض الآثار أن الله عز وجل خمر طينة آدم وتركه حتى صار متغيراً أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام (والجان خلقناه من قبل) قال ابن عباس هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر ، وقال قتادة هو ابليس خلق قبل آدم ويقال الجان أبو الجن وإبليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون ويموتون وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون إذا مات ، إبليس وذكر وهب أن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة الأدميين ومن الجن من هم بمنزلة الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون (من نار السموم) والسموم ريح حارة تدخل مسام الانسان فقتله يقال السموم بالتهار والحرور بالليل وعن الكلبي عن أبي صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهي نار بين السماء وبين الحجاب فإذا أراد الله أن يحدث أمراً خرقت الحجاب فهوت إلى ما أمرت به فالهدة التي تسمعون في خرق ذلك الحجاب وقيل نار السموم لهب النار وقيل (من نار السموم) أي من نار جهنم ، وعن الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا في القرآن (من نار) فأما الملائكة فانهم خلقوا من النور

وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون (٢٨) فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين (٢٩) فسجد الملائكة كلهم أجمعون (٣٠) إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين (٣١) قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين (٣٢) قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون (٣٣)

يذكر تعالى تنويهه بذكر آدم في ملائكته قبل خلقه له وتشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له وبذكر تخلف إبليس عدوه عن السجود له من بين سائر الملائكة حسداً وكفراً وعناداً واستكباراً وافتخاراً بالباطل ولهذا قال (لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون) كقوله (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقوله (أرأيتك هذا الذي كرمت علي) الآية . وقد روى ابن جرير ههنا أثراً غريباً عجيباً من حديث شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال لما خلق الله الملائكة قال (إني خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) قالوا لا نفعل فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال لهم مثل ذلك فقالوا لا نفعل فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة أخرى فقال إني خالق بشراً من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له فأبوا فأرسل عليهم ناراً فأحرقتهم ثم خلق ملائكة فقال إني خالق بشراً من طين فاذا أنا خلقته فاسجدوا له قالوا سمعنا وأطعنا إلا إبليس كان من الكافرين الأولين وفي ثبوت هذا عنه بعد والظاهر أنه أسراييلي^(١) والله أعلم

«١» يكني في

تأييد القول بأنه خرافة أسراييلية نص القرآن بأن الملائكة لا يعصون الله ما

أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً ﴾ أي سأخلق بشراً ﴿ من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ﴾ وعدلت صورته وأتممت خلقه ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ فصار بشراً حياً والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان وأضافه إلى نفسه تشريفاً ﴿ فقعوا له ساجدين ﴾ سجود تحية لا سجود عبادة ﴿ فسجد الملائكة ﴾ الذين أمروا بالسجود ﴿ كلهم أجمعون ﴾ فإن قيل لم قال (كلهم أجمعون) وقد حصل المقصود بقوله (فسجد الملائكة) قلنا زعم الخليل وسيديوه أنه ذكر ذلك تأييداً وذكر المبرد أن قوله (فسجد الملائكة) كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الاشكال ثم كان يحتمل أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الاشكال بقوله (أجمعون) وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم ناراً فأحرقهم ثم قال لجماعة أخرى (اسجدوا لآدم فاسجدوا) إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال

قال فأخرج منها فانك رجيم (٣٤) وان عليك اللعنة الى يوم الدين (٣٥) قال رب

فأنظرني الى يوم يبعثون (٣٦) قال فانك من المنظرين (٣٧) الى يوم الوقت المعلوم (٣٨)

يذكر تعالى أنه أمر إبليس أمراً كونياً^(١) لا يخالف ولا يمانع بالخروج من المنزل التي كان فيها من الملائكة الأعلى وأنه رجيم أي مرجوم وأنه قد اتبعه لعنة لا تزال متصلة به لاحقة له متواترة عليه الى يوم القيامة . وعن سعيد بن جبير انه قال . لما لعن الله إبليس تغيرت صورته عن صورة الملائكة ورن رنة فكل رنة في الدنيا الى يوم القيامة منها . رواه ابن أبي حاتم ، وأنه لما تحقق الغضب الذي لامرء له سأل من "أم حسده لآدم وذريته النظرة الى يوم القيامة وهو يوم البعث وأنه أجيب الى ذلك استدراجاً له وامهالاً فلما تحقق النظرة قبحه الله

«١» الامر

الكوني عبارة عن تعلق

الارادة فالقدره

ويقابله الامر التكليفي

الذي هو من صفة

الكلام الالهي والمعنى

ان الله تعالى كون

الذات الادمية

والنشأة الشيطانية كما

ذكره في هذا

الاسلوب

قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الارض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) الا عبادك منهم

المخلصين (٤٠) قال هذا صراط علي مستقيم (٤١) ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا

من اتبعك من الغاوين (٤٢) وان جهنم لم وعدهم أجمعين (٤٣) لها سبعة أبواب

لكل باب منهم جزء مقسوم (٤٤)

يقول تعالى مخبراً عن إبليس وعمره وبنوه انه قال للرب (بما أغويتني) قال بعضهم أقسم باغواء الله له [قلت] ويحتمل انه بسبب ما أغويتني وأضللتني (لأزينن لهم) أي لذرية آدم عليه السلام (في الارض) أي أحب اليهم المعاصي وأرغبهم فيها وأزهم اليها وأزعجهم إزعاجاً (ولاغوينهم أجمعين) أي كما أغويتني وقدرت علي ذلك (إلا عبادك منهم المخلصين) كقوله (أرايتك هذا الذي كرمت

من حمأ مسنون) أراد اني أفضل منه لانه طيني وأنا ناري والنار تأكل الطين (قال فأخرج منها) أي من الجنة (فانك رجيم) طريد (وان عليك اللعنة الى يوم الدين) قيل ان أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعنه أهل الارض فهو ملعون في السماء والارض (قال رب فأنظرني الى يوم يبعثون) أراد الخبيث أن لا يموت (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) أي الوقت الذي يموت فيه الخلائق وهو النفخة الاولى ويقال ان مدة موت إبليس أربعون سنة وهي ما بين النفختين ويقال إنه لم تكن اجابة الله تعالى إياه في الامهال اكراماً له بل كانت زيادة في بلائه وشقائه (قال رب بما أغويتني) أضللتني وقيل خيبتني من رحمتك (لأزينن لهم في الارض) حب الدنيا ومعاصيك (ولاغوينهم) أي لاضلهم (أجمعين) إلا عبادك منهم المخلصين (المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد ومن فتح اللام أي؟)

علي لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا (قال) الله تعالى له متهدداً ومتوعداً (هذا صراط علي مستقيم) أي مرجعكم كلكم الي فأجازبكم بأعمالكم ان خيراً فخير وان شراً فشر كقوله تعالى [اذربك لبارصاد] وقيل طريق الحق مرجعها الى الله تعالى واليه تنتهي قاله مجاهد والحسن وقتادة كقوله [وعلى الله قصد السبيل] وقرأ قيس بن عباد ومحمد بن سيرين وقتادة (هذا صراط علي مستقيم) كقوله [وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم] أي رفيع والمشهور القراءة الاولى

وقوله (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي الذين قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم ولا وصول لك اليهم (الا من اتبعك من الغاوين) استثناء منقطع . وقد أورد ابن جرير ههنا من حديث عبد الله بن المبارك عن عبد الله بن موهب حدثنا يزيد بن قسيط قال : كانت الانبياء يكون لهم مساجد خارجة من قراهم فاذا أراد النبي أن يستنبي ربه عن شيء خرج الى مسجده فصلى ما كتب الله ثم سأل ما بدا له فبينما نبي في مسجده اذ جاء عدو الله - يعني ابليس - حتى جلس بينه وبين القبلة فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي شيء تنجو مني فقال النبي بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد على صاحبه فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال عدو الله أرأيت الذي تعوذ منه فهو هو فقال النبي أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال فرد ذلك ثلاث مرات فقال عدو الله أخبرني بأي شيء تنجو مني فقال النبي بل أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم مرتين فأخذ كل واحد منهما على صاحبه فقال النبي ان الله تعالى يقول (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين) قال عدو الله قد سمعت هذا قبل أن تولد قال النبي ويقول الله (واما يفرغتك من الشيطان نزع فاستعذ بالله انه سميع عليم) واني والله ما أحسست بك قط إلا استعذت بالله منك قال عدو الله صدقت بهذا تنجو مني فقال النبي أخبرني بأي شيء تغلب ابن آدم ؟ قال آخذه عند الغضب والهوى

من اخلصته بتوحيده فهديته واصطفيته (قال) الله تعالى (هذا صراط علي مستقيم) قال الحسن معناه صراط الي مستقيم قال مجاهد الحق يرجع إلى الله تعالى وعليه طريقه ولا يعوج عليه شيء ، وقال الاخفش يعني على الدلالة على الصراط المستقيم قال الكسائي هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخافه طريقك علي أي لا تغفلت مني كما قال عز وجل (اذربك لبارصاد) وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقرأ ابن سيرين وقتادة ويعقوب علي من العلو أي رفيع وعبر بعضهم عنه : رفيع أن ينال مستقيم أن يمال (ان عبادي ليس لك عليهم سلطان) أي قوة قال أهل المعاني يعني على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه (ليس لك عليهم سلطان) أن تلقى في ذنب يضيق عنه عفوي وهؤلاء ثنية (١) الله الذين هدام واجتباهم (الا من اتبعك من الغاوين)

(١) لعل أصلها ثنيا وهي بالضم ما يستثنى من اللام وفي الخازن خاصة

وقوله (ان جهنم لموعدم أجمعين) أي جهنم موعد جميع من اتبع إبليس كما قال عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) ثم أخبر أن لجهنم سبعة أبواب (لكل باب منهم جزء مقسوم) أي قد كتب لكل باب منها جزء من أتباع إبليس يدخلونه لا يحيد لهم عنه أجازنا الله منها ، وكل يدخل من باب بحسب عمله ويستقر في درك بقدر عمله ، قال إمام عيل بن علي وشعبة كلاهما عن أبي هارون الغنوي عن حطان بن عبد الله أنه قال سمعت علي بن أبي طالب وهو يخطب قال : ان أبواب جهنم هكذا - قال أبو هارون - أطباقا بعضها فوق بعض ، وقال اسرئيل عن أبي اسحاق عن هيرة بن أبي مرجم عن علي رضي الله عنه قال أبواب جهنم سبعة بعضها فوق بعض فيمتلي الأول ثم الثاني ثم الثالث حتى تمتلي كلها ، وقال عكرمة سبعة أبواب سبعة أطباق ، وقال ابن جريج سبعة أبواب أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية . وروى الضحاك عن ابن عباس نحوه وكذا روي عن الأعمش بنحوه أيضا ، وقال قتادة (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) هي والله منازل بأعمالهم رواه ابن جرير ، وقال جوير عن الضحاك (لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم) قال باب لليهود وباب للنصارى وباب للصابئين وباب للمجوس وباب الذين أشركوا وهم كفار العرب وباب للمنافقين وباب لاهل التوحيد فأهل التوحيد يرجى لهم ولا يرجى لأولئك أبداً وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عثمان بن عمر عن مالك بن مغول عن حميد عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي - أو قال على أمة محمد » ثم قال لا نعرفه الا من حديث مالك بن مغول . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عباس بن الوليد الحلال حدثنا زيد - يعني ابن يحيى - حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي نضرة عن سمرة بن جندب عن النبي ﷺ في قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) قال « ان من أهل النار من تأخذه النار الى كفيه وان منهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى تراقيبه منازل بأعمالهم فذلك قوله (لكل باب منهم جزء مقسوم) »

وان جهنم لموعدم أجمعين يعني موعد إبليس ومن تبعه (لها سبعة أبواب) أطباق قال علي كرم الله وجهه تدرون كيف أبواب النار؟ هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى أي سبعة أبواب بعضها فوق بعض وأن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض . قال ابن جريج النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) أي لكل دركة قوم يسكنونها ، وقال الضحاك في الدركة الاولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون ، وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة أهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى (ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار) وروي عن ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمي » أو قال على أمة محمد

ان المتقين في جنّات وعيون (٤٥) ادخلوها بسلام آمنين (٤٦) ونزعنا ما في صدورهم من غلٍ اخوانا على سررٍ متقابلين (٤٧) لا يمسه فيها نصب وما هم منها بمخرجين (٤٨) نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم (٤٩) وأن عذابي هو العذاب الاليم (٥٠)

لما ذكر تعالى حال أهل النار عطف على ذكر أهل الجنة وأنهم في جنات وعيون وقوله (ادخلوها بسلام آمنين) أي سالمين من الآفات مسلم عليكم (آمنين) أي من كل خوف وفزع ولا تخشوا من اخراج ولا انقطاع ولا فناء ، وقوله (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) روى القاسم عن أبي امامة قال : يدخل أهل الجنة الجنة على ما في صدورهم في الدنيا من الشحناء والضغائن حتى اذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدنيا من غل ثم قرأ (ونزعنا ما في صدورهم من غل) هكذا في هذه الرواية والقاسم بن عبد الرحمن في روايته عن أبي امامة ضعيف ، وقد روى سعيد في تفسيره حدثنا ابن فضالة عن لقمان عن أبي امامة قال : لا يدخل الجنة مؤمن حتى ينزع الله ما في صدره من غل حتى ينزع منه مثل السبع الضاري . وهذا موافق لما في الصحيح من رواية قتادة حدثنا أبو المتوكل الناجي أن أبا سعيد الخدري حدثهم أن رسول الله ﷺ قال « يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة »

وقال ابن جرير حدثنا الحسن حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا هشام عن محمد هو ابن سيرين قال استأذن الاشر على علي رضي الله عنه وعنده ابن لطلحة فخبسه ثم أذن له ، فلما دخل قال اني لأراك انما حبستني لهذا ؟ قال أجل ، قال اني لأراه لو كان عندك ابن لعمان لحبستني قال أجل اني لأرجو أن أكون أنا وعمان ممن قال الله تعالى (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) وقال ابن جرير أيضاً حدثنا الحسن بن محمد حدثنا أبو معاوية الضمير حدثنا أبو مالك الاشجعي حدثنا أبو حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجمل فرحب به وقال : اني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين . وحدثنا الحسن حدثنا أبو معاوية الضمير حدثنا أبو مالك الاشجعي عن أبي حبيبة مولى لطلحة قال : دخل عمران بن طلحة على علي رضي الله

قوله تعالى ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ أي في بساتين وأنهار ﴿ادخلوها﴾ أي يقال لهم ادخلوا الجنة ﴿بسلام﴾ أي بسلامة ﴿آمنين﴾ من الموت والخروج والآفات ﴿ونزعنا﴾ أخرجنا ﴿ما في صدورهم من غل﴾ هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد ﴿اخوانا﴾ نصب على الحال ﴿على سرر﴾ جمع سرير ﴿متقابلين﴾ يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه ، وفي بعض الاخبار أن المؤمن في

عنه بعد ما فرغ من أصحاب الجبل فرحب به وقال : اني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) قال ورجلان جالسان إلى ناحية البساط فقالا الله أعدل من ذلك تقتلهم بالامس وتكونون اخوانا ، فقال علي رضي الله عنه قوما أبعد أرض وأسحقها فمن هم اذا إن لم أكن أنا وطلحة ؟ وذكر أبو معاوية الحديث بطوله . وروى وكيع عن أنبان بن عبد الله البجلي عن نعيم بن أبي هند عن ربيع بن خراش عن علي نحوه وقال فيه فقام رجل من همدان فقال الله أعدل من ذلك يا أمير المؤمنين ، قال فصاح به علي صيحة فظننت أن القصر تدهده لها ثم قال اذا لم تكن نحن فمن هم ؟ وقال سعيد بن مسروق عن أبي طلحة وذكره وفيه فقال الحارث الاعور ذلك فقام اليه علي رضي الله عنه فضر به بشيء كان في يده في رأسه وقال فمن يا أعور اذا لم تكن نحن ؟ وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال : جاء ابن جرموز قاتل الزبير يستأذن على علي رضي الله عنه فحجبه طويلا ثم أذن له فقال له أما أهل البلاء فنجفؤهم فقال علي بفك التراب اني لأرجو أن أكون أنا وطلحة والزبير ممن قال الله (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين) وكذا روى الثوري عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي بنحوه ، وقال سفيان بن عيينة عن اسرايل عن أبي موسى سمع الحسن البصري يقول : قال علي فينا والله أهل بدر نزلت هذه الآية (ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين)

وقال كثير النوا دخلت على أبي جعفر محمد بن علي فقات وليي وليكم ، وسليي سلمكم ، وعدوي عدوكم ، وحربي حربكم ، أنا أسألك بالله أتبرأ من أبي بكر وعمر فقال (قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين) تولها يا كثير فما أدركك فهو في رقبتي هذه ثم تلا هذه الآية (اخوانا على سرر متقابلين) قال أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين ، وقال الثوري عن رجل عن أبي صالح في قوله (اخوانا على سرر متقابلين) قال هم عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين ، وقوله (متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض وفيه حديث مرفوع

قال ابن أبي حاتم حدثنا يحيى بن عبد الله ثنا حسان بن حسان ثنا ابراهيم بن بشر ثنا يحيى بن معين عن ابراهيم القومسي عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ف تلا هذه الآية (اخوانا على سرر متقابلين) في الله ينظر بعضهم إلى بعض ، وقوله (لا يمسهم فيها نصب) يعني المشقة والاذى كما جاء في الصحيحين « إن الله أمرني أن أبشر خديجة بييت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب » وقوله (وما هم منها بمخرجين) كما جاء في الحديث « يقال يا أهل الجنة إن

الجنة اذا ود أن يأتي أخاه المؤمن سار سربر كل واحد منهما إلى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم) لا يصيبهم (فيها نصب) أي تعب (وما هم منها بمخرجين) هذه أنص آية في القرآن على الخلود .

لكم أن تصبحوا فلا تمضوا أبداً ، وان لكم أن تعيشوا فلا تموتوا أبداً ، وان لكم أن تقيموا فلا تظعنوا أبداً » وقال الله تعالى (خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا)

وقوله (نبي عبادي) أي أنا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم (أي أخبر يا محمد عبادي) أي ذو رحمة وذو عذاب أليم وقد تقدم ذكر نظير هذه الآية السكرية وهي دالة على مقامي الرجاء والخوف ، وذكر في سبب نزولها مارواه موسى بن عبيدة عن مصعب بن ثابت قال : مر رسول الله على ناس من أصحابه يضحكون فقال « اذكروا الجنة واذكروا النار » فنزلت (نبي عبادي) أي أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الاليم (رواه ابن أبي حاتم وهو مرسل ، وقال ابن جرير حدثني المثني حدثنا اسحاق أخبرنا ابن المكي أخبرنا ابن المبارك أخبرنا مصعب بن ثابت حدثنا عاصم بن عبد الله عن ابن أبي رباح عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : طلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه فقال « ألا أراكم تضحكون » ثم أدبر حتى إذا كان عند الحجر جرجع الينا القهقري فقال « اني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله يقول لم تقنط عبادي (نبي عبادي) أي أنا الغفور الرحيم * وأن عذابي هو العذاب الاليم) وقال شعبة عن قتادة في قوله (نبي عبادي) أي أنا الغفور الرحيم (قال بلغنا أن رسول الله ﷺ قال « لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع من حرام ، ولو يعلم العبد قدر عذاب الله لبخع نفسه »

ونبئهم عن ضيف ابراهيم (٥١) اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال إنا منكم وجلون (٥٢) قالوا

لا توجل انا نبشرك بغلام عليم (٥٣) قال أبشره فني على أن مسني الكبر فبهم تبشرون (٥٤) قالوا

بشرناك بالحق فلا تكن من القسطين (٥٥) قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون (٥٦)

قوله تعالى (نبي عبادي) أي أنا الغفور الرحيم قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم روي أن النبي ﷺ خرج يوماً على نفر من أصحابه وهم يضحكون فقال « أتضحكون وبين أيديكم النار ؟ » فنزل جبريل بهذه الآية وقال « يقول لك يا محمد لم تقنط عبادي من رحمتي » (وأن عذابي هو العذاب الاليم) قال قتادة بلغنا أن نبي الله ﷺ قال « لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن سعد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال سمعت النبي ﷺ يقول « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار »

قوله تعالى (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) أي عن الضيافة والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين

يقول تعالى وخبرهم يا محمد عن قصة ضيف ابراهيم ، والضيف يطلق على الواحد والجمع كالزور والسفر ^(١) وكيف دخلوا عليه فقالوا سلاما (قال انا منكم وجلون) أي خائفون ، وقد ذكر سبب خوفه منهم لما رأى أيديهم لا تصل إلى ما قربه اليهم من الضيافة وهو العجل السمين الحنيذ (قالوا لا توجل) أي لا تخف (وبشروه بغلام عليم) أي اسحاق عليه السلام كما تقدم في سورة هود ثم (قال) متعجباً من كبره وكبر زوجته ومتحققاً للوعد (أبشروني على أن مسني الكبير فبم تبشرون) فأجابوه مؤكدين لما بشروه به تحقيقاً وبشارة بعد بشارة (قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين) وقرأ بعضهم القنطين فأجابهم بأنه ليس يقنط ولكن يرجو من الله الولد ، وإن كان قد كبر وأسنت امرأته فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك

(١) كلاها بوزن
الضيف جمع زائر
ومسافر

قال فما خطبكم أيها المرسلون (٥٧) قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٥٨) إلا آل

لوط انا لمنجوعهم أجمعين (٥٩) إلا امرأته قدرنا انها لمن الغبيرين (٦٠)

يقول تعالى إخباراً عن ابراهيم عليه السلام لما ذهب عنه الزرع وجاءته البشري انه شرع بسألهما عما جاءوا له فقالوا (انا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط وأخبروه أنهم سينجون آل لوط من بينهم إلا امرأته فلمها من المالكين ولهذا قالوا (إلا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين) أي الباقيين المهلكين والجمع والمذكر والمؤنث وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبدشروا ابراهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال) ابراهيم (انا منكم وجلون) خائفون لانهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) لا تخف (انا نبشرك) قرأ حمزة وحده نبشرك بفتح النون وإسكان الباء وضم الشين وتخفيفها وقرأ الباقون نبشرك بضم النون وفتح الباء وكسر الشين وتشديد ها (بغلام عليم) أي غلام في صغره عليم في كبره يعني إسحاق فتعجب ابراهيم عليه السلام من كبره وكبر امرأته (قال أبشروني) أي بالولد (على أن مسني الكبير) أي على حال الكبير قاله على طريق التعجب (فبم تبشرون) فبأي شيء تبشرون قرأ نافع بكسر النون وتخفيفها أي تبشرون ، وقرأ ابن كثير بكسرها وبتشديد النون أي تبشروني أدغمت نون الجمع في نون الاضافة ، وقرأ الآخرون بفتح النون وتخفيفها (قالوا بشرناك بالحق) أي بالصدق (فلا تكن من القانطين) ومن يقنط (قرأ أبو عمرو والكسائي ويعقوب بكسر النون والآخرون بفتحها وهما لغتان فقط يقنط وقنط يقنط أي من يئس) من رحمة ربه إلا الضالون) أي الخاسرون ، والقنوط من رحمة الله كبيرة كلاً من من مكره (قال) ابراهيم لهم (فما خطبكم) ما شأنكم (أيها المرسلون) قالوا انا أرسلنا إلى قوم مجرمين (مشركين) إلا آل لوط (أتباعه وأهل دينه) انا لمنجوعهم أجمعين (خفف الجيم حمزة والكسائي وشدده الباقون) إلا امرأته (أي امرأة لوط) قدرنا (قضينا) انها لمن الغابرين (الباقيين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن الاثبات نفي فاستثنى امرأة لوط من الناجين فكانت ملحقة بالهلكين

فلما جاء آل لوط المرسلون (٦١) قال انكم قوم منكرون (٦٢) قالوا بل جئناك

بما كانوا فيه يمترون (٦٣) وأتيناك بالحق وانا لصادقون (٦٤)

يخبر تعالى عن لوط لما جاءته الملائكة في صورة شباب حسان الوجوه فدخلوا عليه داره قال (انكم قوم منكرون * قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) يعنون بعذابهم وهلاكهم ودمارهم الذي كانوا يشكون في وقوعه بهم وحلوله بساحتهم (وأتيناك بالحق) كقوله تعالى (ما ننزل الملائكة إلا بالحق) وقوله (وانا لصادقون) تأكيد لخبرهم اياه بما أخبره به من نجاته واهلاك قومه

فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث

تؤمرون (٦٥) وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦)

يدكر تعالى عن الملائكة أنهم أمروه أن يسري بأهله بعد مضي جانب من الليل وأن يكون لوط عليه السلام يمشي وراءهم ليكون أحفظ لهم وهكذا كان رسول الله ﷺ يمشي في الغزو وإنما يكون ساقية يزجي الضعيف ويحمل المنقطع وقوله (ولا يلتفت منكم أحد) أي إذا سمعتم الصيحة بالقوم فلا تلتفتوا اليهم وذروهم فيما حل بهم من العذاب والنكال (وامضوا حيث تؤمرون) كأنه كان معهم من يهديهم السبيل (وقضينا اليه ذلك الامر) أي تقدمنا اليه في هذا (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي وقت الصباح كقوله في الآية الاخرى (ان موعدهم الصبح أبس الصبح بقريب)

وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحوني (٦٨)

قرأ أبو بكر قدرنا هنا وفي سورة النمل بتخفيف الدال والباقون بتشديد ها (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) لوط لهم (انكم قوم منكرون) أي أنا لا أعرفكم (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي يشكون في انه نازل بهم وهو العذاب لانه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه (وأتيناك بالحق) باليقين وقيل بالعذاب (وانا لصادقون ، فأسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم) أي خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) حتى لا يرتاعوا من العذاب اذا نزل بقومهم ، وقيل جعل الله ذلك علامة لمن ينجو من آل لوط (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعني الشام ، وقال مقاتل يعني زغر وقيل الاردن (وقضينا اليه ذلك الامر) أي وقضينا الى آل لوط ذلك الامر أي أحكنا الامر الذي أمرنا في قوم لوط وأخبرناه (أن دابر هؤلاء) يدل عليه قراءة عبد الله وقتلنا له ان دابر هؤلاء يعني أصلهم (مقطوع) مستأصل (مصبحين) اذا دخلوا في الصبح (وجاء أهل المدينة) يعني

واتقوا الله ولا تحزون (٦٩) قالوا أو لم تنهك عن العالمين ؟ (٧٠) قال هؤلاء بنائي إن كنتم فاعلين (٧١) لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢)

يخبر تعالى عن مجيء قوم لوط لما علموا بأضيافه وصباحة وجوههم وانهم جاؤا مستبشرين بهم فرحين (قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تحزون) وهذا إنما قاله لهم قبل أن يعلم أنهم رسل الله كما قال في سورة هود وأما هنا فتقدم ذكر أنهم رسل الله وعطف بذكر مجيء قومه ومجاؤهم لهم ولكن الواو لا تقتضي الترتيب ولا سيما إذا دل دليل على خلافه فقالوا له مجيبين (أو لم تنهك عن العالمين) أي أو مانهينك أن تضيف أحدا ؟ فأرشدكم إلى نسايتهم وما خلق لهم ربهم منهن من الفروج المباحة . وقد تقدم ايضاح القول في ذلك بما أغنى عن إعادته . هذا كله وهم غافلون عما يراد بهم وما قد أحاط بهم من البلاء وماذا يصيبهم من العذاب المنتظر

ولهذا قال تعالى لمحمد ﷺ (لعمرك انهم لفي سكرة يعمهون) أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشریف عظيم ومقام رفيع وجاء عريض . قال عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال : ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره ، قال الله تعالى (لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون) يقول وحياتك وعمرك وبقاتك في الدنيا (انهم لفي سكرتهم يعمهون) رواه ابن جرير وقال قتادة في (سكرتهم) أي في ضلالتهم (يعمهون) أي يلعبون ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (لعمرك) لعيشك (انهم لفي سكرتهم يعمهون) قال يترددون

فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) جعلنا عليهم سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من

سديم ﴿ يستبشرون ﴾ بأضياف لوط أي يبشر بعضهم بعضا طمعا في ركوب الفاحشة منهم ﴿ قال ﴾ لوط لقومه ﴿ ان هؤلاء ضيفي ﴾ وحق على الرجل اكرام ضيفه ﴿ فلا تفضحون ﴾ فيهم ﴿ واتقوا الله ولا تحزون ﴾ ولا تحجلون ﴿ قالوا أو لم تنهك عن العالمين ﴾ أي ألم تنهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل ألم تنهك أن تدخل الغرباء المدينة فانا نركب منهم الفاحشة ﴿ قال هؤلاء بنائي ﴾ أزواجهن إياكم إن أسلمتم فاتوا الحلال ودعوا الحرام ﴿ ان كنتم فاعلين ﴾ ما أمركم به وقيل أراد بالبنات نساء قومه لان النبي ﷺ كالوالد لأمته

قال الله تعالى ﴿ لعمرك ﴾ يا محمد أي وحياتك ﴿ انهم لفي سكرتهم ﴾ حيرتهم وضلالتهم ﴿ يعمهون ﴾ يترددون قال قتادة يلعبون ، روي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس أنه قال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد ﷺ وما أقسم الله تعالى بحياة أحد الا بحياته ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين ﴾ أي حين

سَجِيل (٧٤) إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥) وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مَقِيمٍ (٧٦) إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)

يقول تعالى (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ) وهي ماجأهم به من الصوت القاصف عند شروق الشمس ووعو طلوعها وذلك مع رفع بلادهم إلى عنان السماء ثم قلبها وجعل عاليها سافلها وإرسال حجارة السجيل عليهم وقد تقدم الكلام على السجيل في هود بما فيه كفاية ، وقوله (إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) أي إِنْ أثار هذه النقم الظاهرة على تلك البلاد لمن تأمل ذلك وتوسمه بعين بصره وبصيرته كما قال مجاهد في قوله (للمتوسمين) قال المتفرسين ، وعن ابن عباس والضحاك للناظرين ، وقال قتادة للمعتبرين ، وقال مالك عن بعض أهل المدينة (للمتوسمين) للمتأملين

وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا محمد بن كثير العبدى عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا قال : رسول الله ﷺ « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بَنُورَ اللَّهِ » ثم قرأ النبي ﷺ (إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) رواه الترمذي وابن جرير من حديث عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد وقال الترمذي لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وقال ابن جرير أيضا حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا الحسن بن محمد حدثنا الغرات بن السائب حدثنا ميمون بن مهران عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « اتقوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بَنُورَ اللَّهِ » وقال ابن جرير حدثني أبو شبيب الحنصلي حدثنا سليمان بن سلمة حدثنا المؤمل بن سعيد بن يوسف الرحبي حدثنا أبو المعلى أسد بن وداعة الطائي حدثنا وهب بن منبه عن طاوس بن كيسان عن ثوبان قال : قال رسول الله ﷺ « احذروا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بَنُورَ اللَّهِ وَتُوفِّقُ اللَّهُ »

وقال أيضا حدثنا عبد الأعلى بن واصل حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا عبد الواحد بن واصل حدثنا أبو بشر المزلق عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال النبي ﷺ « إِنْ لَكُمْ عِبَادٌ يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ » ورواه الحافظ أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا سعيد بن محمد الجرمي حدثنا أبو بشر يقال له ابن المزلق قال وكان ثقة عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « إِنْ لَكُمْ عِبَادٌ يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ » وقوله (وَإِنَّهَا لِبَسْبِيلٍ مَقِيمٍ) أي وَإِنْ قَرِيبَةً سَدُومَ الَّتِي أَصَابَهَا

أضأت الشمس فكان ابتداء العذاب حين أصبحوا وتماه حين أشرقوا (فَجَعَلْنَا عَلَاقَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ) قال ابن عباس للناظرين ، وقال مجاهد للمتفرسين ، وقال قتادة للمعتبرين ، وقال مقاتل للمتفكرين (وَإِنَّهَا) يعني قَرِيبَةً قَوْمِ لُوطَ (لِبَسْبِيلٍ تَفْسِيرًا ابْنُ كَثِيرٍ وَابْنُ بَقُيٍّ)

مأصباها من القلب الصوري والمعنوي والقذف بالحجارة حتى صارت بحيرة منتنة خبيثة بطريق مبيع مسالكه مستمرة إلى اليوم كقوله [وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون] وان يونس لمن المرسلين (وقال مجاهد والضحاك) (وانها لبسبيل مقيم) قال معلم ، وقال قتادة بطريق واضح ، وقال قتادة أيضا بصقع من الارض واحد ، وقال السدي بكتاب مبين ، يعني كقوله [وكل شيء أحصيناه في امام مبين] ولكن ليس المعنى على ما قال ههنا والله أعلم ، وقوله (إن في ذلك لآية للمؤمنين) أي ان الذي صنعنا بقوم لوط من الهلاك والدمار وانجائنا لوطا وأهله لدلالة واضحة جليلة للمؤمنين بالله ورسوله

وان كان أصحاب الايكة لظالمين (٧٨) فانتقمنا منهم وانهما لبإمام مبين (٧٩)

أصحاب الايكة هم قوم شعيب ، قال الضحاك وقاتدة وغيرهما الايكة الشجر الملتف وكان ظلمهم بشرهم بالله وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان فانتقم الله منهم بالصيحة والرجفة وعذاب يوم الظلة وقد كانوا قريبا من قوم لوط بعدهم في الزمان ومسامتين لهم في المكان ، ولهذا قال تعالى (وانهما لبإمام مبين) أي طريق مبين قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيره طريق ظاهر ، ولهذا لما أنذر شعيب قومه قال في نذارته ايام (وما قوم لوط منكم ببعيد)

ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين (٨٠) وآتينهم آيتنا فكانوا عنها معرضين (٨١)

وكانوا ينحتون من الجبال يوتى آمين (٨٢) فأخذتهم الصيحة مصبحين (٨٣) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون (٨٤)

أصحاب الحجر هم عمود الذين كذبوا صالحا نبيا عليه السلام ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين ، وذكر تعالى أنه أتاهم من الآيات ما يدلمهم على

مقيم أي بطريق واضح ، وقال مجاهد بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل (إن في ذلك لآية للمؤمنين * وإن كان) وقد كان (أصحاب الأيكة) الغيضة (لظالمين) لكافرين واللام للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم الدوم وهو المقل (فانتقمنا منهم) بالعذاب وذلك ان الله سلط عليهم الحر سبعة أيام ثم بعث سحابة فالتجؤا اليها يلتمسون الروح فبعث عليهم منها نارا فأحرقهم فذلك قوله تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة) (وانهما) يعني مدينتي قوم لوط وأصحاب الايكة (لبإمام مبين) بطريق واضح مستبين

قوله تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهي مدينة عمود قوم صالح وهي بين المدينة والشام (المرسلين) أراد صالحا وحده وانما ذكر بلفظ الجمع لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل كلهم

صدق ما جاءهم به صالح كالناقة التي أخرجها الله لهم بدعاء صالح من صخرة صماء وكانت تسرع في بلادهم لها شرب ولهم شرب يوم معلوم ، فلما عتوا وعقروها قال لهم [اعتصموا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب] وقال تعالى [وأما نود فبدينهم فاستجبوا للصبي على الهدى] وذكر تعالى أنهم (كانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) أي من غير خوف ولا احتياج إليها بل أشراً وبطراً وعبثاً كما هو المشاهد من صنيعهم في بيوتهم بوادي الحجر الذي مر به رسول الله ﷺ وهو ذاهب إلى تبوك فقتل رأسه وأسرع دابته وقال لأصحابه «لا تدخلوا بيوت القوم المعذنين إلا أن تكونوا باكين فان لم تبكوا فتبكوا خشية أن يصيبكم ما أصابهم» وقوله (فأخذتهم الصيحة مصبحين) أي وقت الصباح من اليوم الرابع (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي ما كانوا يستغلونه من زروعهم ونمازهم التي ضنوا بماتها عن الناقة حتى عقروها لثلاث تضيق عليهم في المياه ، فما دفعت عنهم تلك الاموال ولا نفعتهم [لما جاء أمر ربك]

وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية ، فاصفح

الصفحة الجميل (٨٥) لإزربك هو الخلق العظيم (٨٦)

يقول تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية) أي بالعدل [ليجزى الذين أسأوا بما عملوا] الآية ، وقال تعالى [وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] وقال تعالى [أنحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون] فتعالى الله الملك الحق ، لا إله إلا هو رب العرش الكريم [ثم أخبر نبيه بقيام الساعة وأنها

(وآتينهم آيتنا) يعني الناقة وولدها والبئر والآية في الناقة خروجها من الصخرة وكبرها وقرب ولادها وغزارة لبنها (فكانوا عنها معرضين ، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الخراب ووقوع الحبل عليهم (فأخذتهم الصيحة) يعني صيحة العذاب (مصبحين) أي داخلين في وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من الشرك والاعمال الخبيثة أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله ابن أبي نوبة أن أبا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود أن أبا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر عن الزهري أنا سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ أنه لما مر بالحجر قال «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم» قال وتقع بردائه وهو على الرحل ، وقال عبد الرزاق عن معمر ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي

قوله تعالى (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة لآتية) يعني القيامة

كاثنة لاحتالة ثم أمره بالصفح الجليل عن المشركين في أذاهم له وتكذيبهم ماجاهم به كقوله [فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون] وقال مجاهد وقتادة وغيرهما كان هذا قبل القتال وهو كما قال فان هذه مكية والقتال انما شرع بعد الهجرة ، وقوله (إن ربك هو الخلاق العليم) تقرير للمعاد وأنه تعالى قادر على اقامة الساعة فانه الخلاق الذي لا يعجزه خلق شيء العليم بما تمزق من الاجساد وتفرق في سائر أقطار الارض كقوله [أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم الى وهو الخلاق العليم *] انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * ف سبحانه الذي بيده ملكوت كل شيء . واليه ترجعون]

ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم (٨٧) لاتمدن عينيك إلى مامتعا به

أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخضع جناحك للمؤمنين (٨٨)

يقول تعالى لنبيه ﷺ كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظرن إلى الدنيا وزينتها ومامتعا به أهلها من الزهرة الفانية لغتنتهم فيه فلا تعبطهم بما هم فيه ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حزنا عليهم في تكذيبهم لك ومخافتهم دينك (واخضع جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) ، أي أن لم جانبك كقوله [لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم] وقد اختلف في السبع المثاني ما هي فقال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم هي السبع الطول يعنون البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف

(لآتية) بجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته (فاصفح الصفح الجليل) فاعرض عنهم واعف عفواً حسناً نسختها آية القتال (ان ربك هو الخلاق العليم) بخلقها

قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) قال عمر وعلى هي فاتحة الكتاب ، وهو قول قتادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبير أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المديني أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا آدم ثنا ابن أبي ذئب ثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أم القرآن هي السبع المثاني » (والقرآن العظيم) وعن ابن مسعود قال السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقرآن العظيم سائر القرآن ، واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقبل لأنها مقسومة بين الله وبين العبد نصفين نصفها ثناء ونصفها دعاء كما روينا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين » وقال الحسين بن الفضل سميت مثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة كل مرة معها سبعون ألف ملك ، وقال مجاهد سميت مثاني لان الله تعالى استشاهها وادخرها لهذه الامة فما أعطاها غيرهم ، وقال أبو زيد البلخي سميت مثاني لأنها تثنى أهل الشر عن الفسق من

٣٠ نهى النبي عن التطلمع الى ما في أيدي الكفار من متاع وعن الحزن عليهم (تفسير ابن كثير والبغوي)

وأنا أصلي فدعاني فلم آته حتى صليت فأنته فقال « ما منعك أن تأتيني ؟ » فقلت كنت أصلي فقال « ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم ؟) ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد فذهب النبي ﷺ ليخرج فذكرت فقال « (الحمد لله رب العالمين) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته » [الثاني] قال حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم » فهذا نص في أن الفاتحة السبع المثاني والقرآن العظيم ولكن لا ينافي وصف غيرها من السبع الطول بذلك لما فيها من هذه الصفة كما لا ينافي وصف القرآن بكاله بذلك أيضا كما قال تعالى [الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني] فهو مثاني من وجه ومثابه من وجه ، وهو القرآن العظيم أيضا كما أنه عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فأشار إلى مسجده والآية نزلت في مسجد قباء فلا تنافي فان ذكر الشيء لا ينفي ذكر ما عداه إذا اشتركا في تلك الصفة والله أعلم وقوله (لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم) أي استغن بما آتاك الله من القرآن العظيم عاظم فيه من المتاع والزهرة الفانية ، ومن ههنا ذهب ابن عيينة الى تفسير الحديث الصحيح « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » الى أنه يستغني به عما عداه وهو تفسير صحيح ولكن ليس هو المقصود من الحديث كما تقدم في أول التفسير . وقال ابن أبي حاتم ذكر عن وكيم بن الجراح حدثنا موسى بن عبيدة عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي رافع صاحب النبي ﷺ قال صاف النبي ﷺ ضيف ولم يكن عند النبي ﷺ شيء يصلحه فأرسل الى رجل من اليهود « يقول لك محمد رسول الله أسلفني

قوله تعالى « لا تمدن عينيك » يا محمد « إلى ما متعنا به أزواجا » أصنافا « منهم » أي من الكفار متمنيا لما نهى الله تعالى رسوله ﷺ عن الرغبة في الدنيا ومزاجة أهلها عليها « ولا تحزن عليهم » أي لا تنغم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن الثغري ثنا عيسى بن نصر أنا أبو عبد الله بن المبارك أنا جهم ابن أوس قال سمعت عبد الله بن أبي مريم ومر به عبد الله بن رستم في موكة فقال لابن أبي مريم أني لأشتهي مجاسمتك وحديثك فلما مضى قال ابن أبي مريم سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته إن له عند الله قاتلا لا يموت » فبلغ ذلك وهب بن منبه فأرسل اليه وهب ابا داود الاور قال يا ابا فلان ما قاتلا لا يموت ؟ قال ابن ابي مريم النار أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفر السرخسي أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه ثنا أبو الحسن بن ابي اسحاق ثنا ابراهيم بن عبد الله العبسي أنا وكيم عن الامش عن ابي صالح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من فوقكم فإنه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم » وقيل هذه الآية متصلة بما قبلها وذلك أنه

دقيقا إلى هلال رجب « قال لا إلا برهن فأثبت النبي ﷺ فأخبرته فقال « أما والله أني لأمين من في السماء وأمين من في الأرض ولئن أسلفتني أو باعني لأؤدين إليه » فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية (لا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا) إلى آخر الآية كأنه يعزبه عن الدنيا قال العوفي عن ابن عباس (لا تمدن عينيك) قال نهى الرجل أن يتمنى ما لصاحبه . وقال مجاهد (إلى مامتعنا به أزواجا منهم) هم الأغنياء .

وقل إني أنا النذير المبين (٨٩) كما أنزلنا على المقتسمين (٩٠) الذين جعلوا القرآن

عصيين (٩١) فوربك لنسألنهم أجمعين (٩٢) عما كانوا يعملون (٩٣)

يأمر تعالى نبيه ﷺ أن يقول للناس (إني أنا النذير المبين) البين النذارة نذير للناس من عذاب أليم أن يحل بهم على تكذيبه كما حل عن تقدمهم من الأمم المكذبة لرسولها وما أنزل الله عليهم من العذاب والانتقام . وقوله (المقتسمين) أي المتحالفين أي تحالفوا على مخالفة الانبياء وتكذيبهم وأدام كقوله تعالى اخباراً عن قوم صالح أنهم [تقاسموا بالله لنبيته وأهله] الآية أي تقتلهم ليلاً قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا [وأقسموا بالله جهد إيمانهم لا يبعث الله من موت] (أولم تكونوا أقسمتم من قبل) الآية (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ؟) فكأنهم كانوا لا يكذبون بشي من الدنيا إلا أقسموا عليه فسموا مقتسمين . قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المقتسمون أصحاب صالح الذين تقاسموا بالله لنبيته وأهله . وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال « إنما مثلي ومثلي ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال يا قوم إني رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان فالتجاء النجاء ، فأطاعه طائفة من قومه فأدجلوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا ، وكذبه طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم ، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق » وقوله (الذين جعلوا القرآن عصيين) أي جزءوا كتبهم المنزلة عليهم فآمنوا

لما من الله تعالى عليه بالقرآن نهاء عن الرغبة في الدنيا ، روي ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » أي من لم يستغن بالقرآن وتأول هذه الآية قوله تعالى « واخفض جناحك » لن جانبك « للمؤمنين » وارفق بهم والجناحان من ابن آدم جانباه « وقل إني أنا النذير المبين » كما أنزلنا على المقتسمين « قال الفراء مجازة اندركم عذابا كعذاب المقتسمين حكى عن ابن عباس أنه قال هم اليهود والنصارى « الذين جعلوا القرآن عصيين » جزءوه فجعلوه أعضاء فأمنوا ببعضه وكفرا ببعضه ، وقال مجاهد هم اليهود والنصارى قسموا كتبهم ففرقوه وبدلوه وقيل المقتسمون قوم أقسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال بعضهم شعر وقال بعضهم كذب وقال بعضهم (أساطير الاولين) وقيل الاقسام هو أنهم فرقوا القول في رسول الله ﷺ فقالوا ساحر كاهن شاعر وقال

بعض وكفروا ببعض ، قال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا هشيم أنبأنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (جعلوا القرآن عذابين) قال هم أهل الكتاب جزءه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس (جعلوا القرآن عذابين) قال هم أهل الكتاب جزءه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه ، حدثنا عبيد الله بن موسى عن الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال (كما أنزلنا على المفتسمين) قال آمنوا ببعض وكفروا ببعض اليهود والنصارى ، قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد والحسن والضحاك وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم نحو ذلك

وقال الحكم بن أبان عن ابن عباس (جعلوا القرآن عذابين) قال السحر ، وقال عكرمة العضة السحر بلسان قريش يقول للساحرة أنها السكاهنة ، وقال مجاهد عضوه أعضاء قالوا سحر وقالوا كهانة وقالوا أساطير الاولين ، وقال عطاء قال بعضهم ساحر وقالوا مجنون وقالوا كاهن فذلك العذابين وكذا روي عن الضحاك وغيره ، وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس أن الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا شرف فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يامعشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً فقالوا وأنت ياأبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً نقول به قال بل أنتم قولوا لا أسمع قالوا نقول كاهن قال ماهو بكاهن قالوا فنقول مجنون قال ماهو بمجنون قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر قالوا فماذا نقول قال والله ان لقوله خلالة فما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الا أعرف أنه باطل ، وان أقرب القول أن تقولوا هو ساحر فنفروا عنه بذلك وأنزل الله فيهم (الذين جعلوا القرآن عذابين) أصنافاً (فوردك لنسألتهم أجمعين عما كانوا يعملون) أولئك النفر

مقاتل كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم فاقسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على تقابها فيقولون لمن جاء من الحجاج لا تفتروا بهذا الرجل الخارج الذي يدعي النبوة منا وتقول طائفة منهم إنه مجنون وطائفة إنه كاهن وطائفة إنه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكماً فاذا سئل عنه قال صدق أولئك يعني المفتسمين وقوله (عذابين) قيل هو جمع عضو مأخوذ من قولهم عذبت الشيء تعذبة إذا فرقته ومعناه أنهم جعلوا القرآن أعضاء فقال بعضهم سحر وقال بعضهم كهانة وقال بعضهم (أساطير الاولين) وقيل هو جمع عضة يقال عضة وعذبن مثل برة وبرين وعزة وعزبن وأصلها عضة ذهبت هاؤها الاصلية كما تقصوا من الشفة وأصلها شفة بدليل أنك تقول في التصغير شفة والمراد بالعضة الكذب والبهتان وقيل المراد بالعضين العضه وهو السحر يريد أنهم سموا القرآن سحراً (فوردك لنسألتهم أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) في الدنيا قال محمد

الذين قالوا لرسول الله ، وقال عطية العوفي عن ابن عمر في قوله (لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون)
 قل عن لا إله إلا الله ، وقد روى الترمذي وأبو يعلى الموصلي وابن جرير وابن أبي حاتم من حديث
 شريك القاضي عن ليث بن أبي سليم عن بشير بن نهيك عن أنس عن النبي ﷺ (فوربك لنسألهم
 أجمعين) قال عن لا إله إلا الله ورواه ابن ادريس عن ليث عن بشير عن أنس موقوفا ، وقال ابن
 جرير حدثنا أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا شريك عن هلال عن عبد الله بن عكيم قال قال عبد الله هو
 ابن مسعود والذي لا إله غيره ما منكم من أحد الا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة
 البدر فيقول ابن آدم ماذا غرك مني في ؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت ؟ ابن آدم ماذا أجبتم المرسلين ؟
 وقال أبو جعفر عن الربيع عن أبي العالية في قوله (فوربك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون) قال
 يسأل العباد كلهم عن خاتمين يوم القيامة عما كانوا يعبدون وعماذا أجابوا المرسلين ، وقال ابن عينة
 عن عملك وعن مالك ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الخوارى حدثنا يونس
 الخذاء عن أبي حمزة الشيباني عن معاذ بن جبل قال لي : قال رسول الله ﷺ « يا معاذ ان المرء
 يستل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه ، وعن فتات الطينة بأصبعه ، فلا ألفينك يوم القيامة
 وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك » وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (فوربك لنسألهم
 أجمعين عما كانوا يعملون) قال (فيومئذ لا يستل عن ذنبه أنس ولا جان) قال لا يسألهم هل علمتم
 كذا لأنه أعلم بذلك منهم ولكن يقول لم علمتم كذا وكذا

فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين (٩٤) انا كفيناك المستهزين (٩٥) الذين

يعملون مع الله الها آخر فسوف يعلمون (٩٦) ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما

ابن اسماعيل قال عدة من أهل العلم عن قول لا إله إلا الله فان قيل كيف الجمع بين هذه الآية وبين
 قوله تعالى (فيومئذ لا يسأل عن ذنبه أنس ولا جان) ؟ قيل قال ابن عباس لا يسألهم هل علمتم لانه أعلم
 بهم منهم ولا يمكن يقول لم علمتم كذا وكذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام
 وسؤال توبيخ فقوله تعالى (فيومئذ لا يستل عن ذنبه أنس ولا جان) يعني استعلاما وقوله (لنسألهم
 أجمعين) يعني توبيخا وتقريعا ، وقال عكرمة عن ابن عباس في الآيتين إن يوم القيامة يوم طويل
 فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها نظير ذلك قوله تعالى (هذا يوم لا
 ينطقون) وقال في آية أخرى (ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم نخعصمون)

قوله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ قال ابن عباس أظهره ويروى عنه أمضه ، وقال الضحاك اعلم

يقولون (٩٧) فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين (٩٨) واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٩٩)

يقول تعالى أمر أرسوله ﷺ بإبلاغ مابعده به وإنفاذه والصدع به وهو مواجهة المشركين به كما قال ابن عباس في قوله (فاصدع بما تؤمر) أي امضه، وفي رواية (افعل ما تؤمر) وقال مجاهد هو الجهر بالقرآن في الصلاة، وقال أبو عبيدة عن عبد الله بن مسعود مازال النبي ﷺ مستخفيا حتى نزلت (فاصدع بما تؤمر) فخرج هو وأصحابه وقوله (وأعرض عن المشركين) أنا كفيئك المستهزين أي بلغ ما أنزل إليك من ربك ولا تلتفت إلى المشركين الذين يريدون أن يصدوك عن آيات الله وودوا لو تدهن فيدهنون، ولا تخفهم فإن الله كافيك إياهم وحافظك منهم كقوله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يحيى بن محمد بن السكن حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا عون بن كهمس عن يزيد بن درهم عن أنس قال سمعت أنسا يقول في هذه الآية (أنا كفيئك المستهزين الذين يجعلون مع الله إلهما آخر) قال مر رسول الله ﷺ فغمزه بعضهم فجاء جبريل أحسبه قال فغمزهم فوقهم في أجسادهم كهيئة الطعنة فماتوا، وقال محمد بن إسحاق كان عطاء المستهزين كما حدثني يزيد بن رومان عن عروة ابن الزبير خمسة نفر وكانوا ذوي أسنان وشرف في قومهم من بني أسد بن عبد العزى بن قصي الأسود ابن المطلب أبو زمعة كان رسول الله ﷺ فيما بلغني قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه

وقال الاخفش فرق أي فرق بالقرآن بين الحق والباطل، وقال سيويه اقض بما تؤمر وأصل الصدع الفصل والفرق أمر النبي ﷺ في هذه الآية بإظهار الدعوة، وروي عن عبد الله بن عبيدة قال كان مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) نسختها آية القتال (أنا كفيئك المستهزين) يقول الله تعالى لنبيه ﷺ فاصدع بما أمر الله ولا تخف أحدا غير الله عز وجل فإن الله كافيك من عاداك كما كافاك المستهزين وهم خمسة نفر من رؤساء قريش الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم والعاص بن وائل السهمي والأسود بن عبد المطلب بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن زمعة وكان رسول الله ﷺ قد دعا عليه فقال «اللهم أعم بصره وانكله بولده» والأسود ابن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة والحارث بن قيس بن الطلالة فأتى جبريل النبي ﷺ والمستهزون يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام النبي ﷺ إلى جنبه فربه الوليد بن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا؟ فقال «بئس عبد الله» فقال قد كفيته وأوما إلى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة يقال بريش نبالة وعليه برد يمان وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من نبلة بإزاره فتمعه الكبران بطأطي رأسه فمزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته ففرض منها فمات، ومرو به العاص بن وائل فقال

فقال « اللهم اعم بصره وأنكله ولده » ومن بني زهرة الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة ، ومن بني مخزوم الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سعد ، ومن خزاعة الحارث بن الطلائع بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو بن ملكان. فلما تهادوا في الشر وأكثروا برسول الله ﷺ الاستهزاء أنزل الله تعالى (فاصدم بما تؤمر واعرض عن المشركين * انا كفيناك المستهزين — الى قوله — فسوف يعلمون) قال ابن اسحاق فحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء أن جبريل أتى رسول الله ﷺ وهو يطوف بالبيت فقام وقام رسول الله ﷺ الى جنبه فمر به الاسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات منه ، ومر به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله وكان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر إزاره وذلك أنه مر برجل من خزاعة يرش نبلا له فتعلق سهم من نبلة بإزاره فخدش رجله ذلك الخدش وليس بشيء فانتفض به فقتله ومر به العاص بن وائل فأشار إلى أخمص قدمه فخرج على حمار له يريد الطائف فربض على شبرقة فدخلت في أخمص قدمه فقتلته ومر به الحارث بن الطلائع فأشار إلى رأسه فامتخط قبيحا فقتله قال محمد بن إسحاق حدثني محمد بن أبي محمد عن رجل عن ابن عباس قال كان رأسهم الوليد بن المغيرة وهو الذي جمعهم وهكذا روي عن سعيد بن جبيرة وعكرمة نحو سياق محمد بن إسحاق به عن يزيد عن عروة بطوله الا أن سعيدا يقول الحارث بن غيطلة وعكرمة يقول الحارث بن قيس قال الزهري وصدقا هو الحارث بن قيس وأمه غيطلة وكذا روي عن مجاهد ومقسم وقتادة وغير واحد أنهم كانوا خمسة

جبريل كيف تجدهذا يا محمد ؟ قال « بنس عبد الله » فأشار جبريل إلى أخمص رجله وقال قد كفيتك. فخرج على راحلته ومعه ابنان له يتزونه فنهزل شعبا من تلك الشعاب فوطي. على شبرقة فدخلت منها شوكة في أخمص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانفتحت رجله حتى صارت مثل عنق البعير فمات مكانه ومر به الاسود بن المطالب فقال جبريل كيف تجدهذا ؟ قال عبد سوء فأشار بيده إلى عينيه وقال قد كفيتك فعمي. قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فعمي فذهب ضوء بصره ووجعت عيناه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك ، وفي رواية الكلبي أنه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال غلامه لا أرى أحدا يصنع بك شيئا غير نفسك ، حتى مات وهو يقول قتلتني رب محمد. ومر به الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل كيف تجدهذا يا محمد ؟ قال « بنس عبد الله على أنه ابن خالي » فقال قد كفيتك وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فمات جينا ، وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فاصابه السموم فأسود حتى عاد حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب حتى مات وهو يقول قتلتني رب محمد. ومر به الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجدهذا يا محمد ؟ فقال عبد سوء فأومأ إلى رأسه وقال قد كفيتك فامتخط

وقال الشعبي كانوا سبعة والمشهور الاول وقوله (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون) تهديد شديد ووعيد أكيد لمن جعل مع الله معبوداً آخر وقوله (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) أي وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك ضيق صدر وانتباض فلا يهينك ذلك ولا يثنيك عن إبلاغك رسالة الله وتوكل عليه فإنه كافيك وناصرك عليهم فاشغل بذكر الله ومحبيده وتسبيحه وعبادته التي هي الصلاة ولهذا قال (فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين) كما جاء في الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن نعيم بن عمار أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «قال الله تعالى يا ابن آدم لا تعجز عن أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره» ورواه ابو داود والنسائي من حديث مكحول عن كثير بن مرة بنحوه ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر صلى وقوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال البخاري قال سالم الموت وسالم هذا هو سالم بن عبدالله بن عمر كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد عن سفيان حدثنا طارق بن عبد الرحمن عن سالم ابن عبدالله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قال الموت وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغيره والدليل على ذلك قوله تعالى إخباراً عن أهل النار أنهم قالوا (لم نك من المصلين) ولم نك نطعم المسكين * وكنا نخوض مع الخائضين * وكنا نكذب بيوم الدين * حتى أتانا اليقين) وفي الصحيح من حديث الزهري عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أم العلاء امرأة من الانصار أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون وقد مات قالت أم العلاء رحمة الله عليك

قيحاً فقتله ، وقال ابن عباس أنه اكل حوتا ملحا فأصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى انقذ بطنه فمات فذلك قوله تعالى (انا كفيناك المستهزئين) بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون) وقيل استهزأؤهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة النمل وسورة العنكبوت كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا في سورة البقرة ويقول هذا في سورة النحل ويقول هذا في سورة العنكبوت فانزل الله تعالى (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بامر ربك (وكن من الساجدين) من المصلين المتواضعين ، وقال الضحاك (فسبح بحمد ربك) قل سبحان الله وبحمده (وكن من الساجدين) يعني من المصلين ، وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت الموقن به ، وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم (وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيا) أخبرنا المطهر بن علي الفارسي أنا محمد بن ابراهيم الصالح أنا عبد الله محمد بن جعفر بن الشيخ الحافظ ثنا أمية بن محمد الصواف البصري ثنا محمد بن يحيى الأزدي ثنا محمد أبي الهيثم ابن خارجة قالنا ثنا اسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير

أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك أن الله أكرمك؟ »
 فقلت بأبي وأمي يا رسول الله فمن؟ فقال « أما هو فقد جاءه اليقين واني لأرجو له الخير » ويستدل بهذه
 الآية السكرية وهي قوله (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة
 على الانسان مادام عقله ثابتا فيصلي بحسب حاله كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين
 رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « صل قائما فان لم تستطع فقاعد فان لم تستطع فعلى جنب » ويستدل
 بهاء على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة فتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه
 التكليف عندهم وهذا كفر وضلال وجهل فان الانبياء عليهم السلام كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس
 بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته وما يستحق من التعظيم وكانوا مع هذا أعبد الناس وأكثر الناس عبادة

ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ، وإنما المراد باليقين ههنا الموت كما قدمناه

والله الحمد والمنة والحمد لله على الهداية وعليه الاستعانة والتوكل

وهو المسئول أن يتوقانا على أكل الاحوال

وأحسنها فانه جواد كريم

﴿ آخر تفسير سورة الحجر ﴾

﴿ والحمد لله رب العالمين ﴾

قال: قال رسول الله ﷺ ما أوحى الله إليّ أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إليّ أن
 سبيح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين * وروي عن عمر رضي الله

عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب

كبش قد تنطّق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « انظروا إلى

هذا الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه

باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه

حلة شراها أو شريبت له بمائتي درهم

فدعاه حب الله وحب

رسوله إلى ما ترونه»

والله أعلم

تفسير سورة النحل (١٦) وهي مكية

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أتى أمر الله فلا تستعجلوه ، سبحانه وتعالى عما يشركون (١)

يخبر تعالى عن اقتراب الساعة ودنوها معبراً بضيقة الماضي الدال على التحقيق والوقوع لا محالة كقوله [اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] وقال [اقربت الساعة وانشق القمر] وقوله (فلا تستعجلوه) يحتمل أن يعود الضمير على الله ، ويحتمل أن يعود على العذاب وكلاهما متلازم كما قال تعالى [وبستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون] يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين [وقد ذهب الضحاك في تفسير هذه الآية إلى قول عجيب في قوله (أتى أمر الله) أي فرائضه وحدوده وقد رده ابن جرير فقال : لانعلم أحداً استعجل بالفرائض وبالشرائع قبل وجودها بخلاف العذاب فانهم استعجلوه قبل كونه استبعاداً وتكذيباً قلت كما قال تعالى [يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق] ألا إن الذين يمارون في الساعة في ضلال بعيد [

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش عن محمد بن عبد الله مولى المغيرة ابن شعبة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن حنبل عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله

(سورة النحل)

﴿مكية مائتان وعشرون آية إلا قوله تعالى (وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) إلى آخر السورة﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله تعالى ﴿أتى﴾ أي جاء ودنا وقرب ﴿أمر الله﴾ قال ابن عرفة تقول العرب اتاك الأمر وهو متوقع بعد أي أتى أمر الله وعده ﴿فلا تستعجلوه﴾ وقوع أمر الله قال الكلبي وغيره المراد منه القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله تعالى (اقربت الساعة) قال الكفار بعضهم لبعض ان هذا يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كائن فلما لم ينزل شيء قالوا ما نرى شيئاً فنزل قوله (اقرب للناس حسابهم) فاشفقوا فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئاً مما تخوفنا به فانزل الله تعالى ﴿أتى أمر الله﴾ فوثب النبي ﷺ ورفع الناس رؤوسهم وخذلوا أنفاد

﴿ تطلع عليكم عند الساعة سحابة سوداء من المغرب مثل الترس ، فما تزال ترتفع في السماء ثم ينادي مناد فيها يا أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض : هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول نعم ومنهم من يشك ، ثم ينادي الثانية يا أيها الناس : فيقول الناس بعضهم لبعض : هل سمعتم ؟ فيقولون نعم ، ثم ينادي الثالثة يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ قال رسول الله ﷺ ﴿ فوالذي نفسي بيده ان الرجلين لينشرا ان الثوب فما يطويانه أبداً ، وإن الرجل ليمدح حوضه فما يسقى فيه شيئا أبداً ، وإن الرجل ليعلم ناقةه فما يشربه أبداً . قال ويشغل الناس ﴾ ثم إنه تعالى نزه نفسه عن شركهم به غيره وعبادتهم معه ماسواه من الاوثان والانداد تعالى وتقدس علواً كبيراً وهؤلاء هم المكذبون بالساعة فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون)

ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا

أنا فاتقون (٢)

يقول تعالى (ينزل الملائكة بالروح) أي الوحي كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) وقوله (على من يشاء من عباده) وهم الانبياء كما قال تعالى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) وقال (الله يصطفي من الملائكة رسلا مما يشاء) وقال (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شيء : لن الملك اليوم * لله الواحد القهار) وقوله (أن أنذروا) أي لينذروا (انه لا إله إلا أنا فاتقون) أي فاتقوا عقوبي لمن خالف أمري وعبد غيري .

أنت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا والاستعجال طلب الشيء قبل حينه ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ ﴿ بعثت أنا والساعة كهاتين - وأشار باصبعه - وإن كادت لتسبقني ﴾ قال ابن عباس كان بعث النبي ﷺ من أشراط الساعة ولما مر جبريل عليه السلام بأهل السموات مبعوثا إلى محمد ﷺ قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالامر ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك ان النضر بن الحارث قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء) فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا ﴿ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ معناه تعظم بالاوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون ﴿ ينزل الملائكة ﴾ قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاي والملائكة نصب وقرأ يعقوب بالتاء وفتحها وفتح الزاي والملائكة رفع ينزل الملائكة ﴿ بالروح ﴾ بالوحي سماه روحا لانه يحى به القلوب والحق . قال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة قال أبو عبيدة بالروح يعني مع الروح وهو جبرائيل ﴿ من أمره على من يشاء من عباده ان أنذروا ﴾ أعلموا ﴿ انه لا إله إلا أنا فاتقون ﴾ وقيل معناه مروهم بقول لا إله إلا الله منذرين مخوفين بالقرآن ان لم يقولوا وقوله (فاتقون)

٤٠ علي وعثمان وطلحة والزبير ممن نزع الله ما في صدورهم من غل (تفسيراً ابن كثير والبغوي)

خلق السموات والارض بالحق ، تعالى عما يشركون (٣) خلق الانسان من نطفة فاذا

هو خصم مبين (٤)

يخبر تعالى عن خلقه العالم العلوي وهو السموات ، والعالم السفلي وهو الارض بما حوت ، وأن ذلك مخلوق بالحق للعبث بل (ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) ثم نزه نفسه عن شرك من عبد معه غيره وهو المستقل بالخلق وحده لا شريك له ، فلماذا يستحق أن يعبد وحده لا شريك له ، ثم نبه على خلق جنس الانسان من نطفة ، أي مهينة ضعيفة ، فلما ارتقل ودرج اذا هو بخاصم ربه تعالى ويكذبه ويحارب رسله وهو انما خلق ليكون عبداً لا ضداً كقوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً * ويعبدون من دون الله مالا ينفعهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً) وقوله (أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم) وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد وابن ماجه عن بشر بن جحاش قال بصق رسول الله ﷺ في كفه ثم قال « يقول الله تعالى ابن آدم أتى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك فعدلتك مشيت بين برديك والأرض منك وتيد فجمعت ، ومنعت حتى اذا بلغت الحلقوم قلت أتصدق وأني أوان الصدقة »

والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون (٥) ولكم فيها جمال حين تريحون

وحين تسرحون (٦) وتحمل أثقالكم إلا بآلء لم تكونوا بلغيه إلا بشقّ الانفس إن ربكم

لرءوف رحيم (٧)

يمتن تعالى على عباده بما خلق لهم من الانعام وهي الابل والبقر والغنم كما فصلها في سورة الانعام إلى ثمانية أزواج وبما جعل لهم فيها من المصالح والمنافع من أصوافها وأوبارها وأشعارها يلبسون ويقرشون

أي خافون ﴿ خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون ﴾ أي ارتفع عما يشركون ﴿ خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم ﴾ جدل بالباطل ﴿ مبين ﴾ نزلت في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم ربيع فقال اتقول ان الله تعالى يحيي هذا بعد ما قد رم كما قال جل ذكره (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه) نزلت فيه ايضاً والصحيح ان الآية عامة وفيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوا من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم

قوله تعالى ﴿ والانعام خلقها ﴾ يعني الابل والبقر والغنم ﴿ لكم فيها دفء ﴾ يعني من أوبارها وأشعارها

ومن ألبانها يشربون ويأكلون من أولادها وما لهم فيها من الجلال وهو الزينة ولهذا قال (ولكم فيها جمال حين تريحون) وهو وقت رجوعها عشياً من المرعى فانها تكون أمدّه خواصر وأعظمه ضرّوعاً وأعلاه أسنمة (وحين تسرحون) أي غدوة حين تبعثونها الى المرعى (وتحمل أثقالكم) وهي الاحمال الثقيلة التي تعجزون عن نقلها وحملها (الى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) وذلك في الحج والعمرة والغزو والتجارة وما جرى مجرى ذلك تستعملونها في أنواع الاستعمال من ركوب وتحميل كقوله (وإن لكم في الانعام لعلبة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) وقال تعالى (الله الذي جعل لكم الانعام تركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون * ويرىكم آياته فأي آيات الله تنكرون) ولهذا قال ههنا بعد تعداد هذه النعم (إن ربكم لوف رحيم) أي ربكم الذي قبض لكم هذه الانعام وسخرها لكم كقوله (أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) وقال (وجعل لكم من الفلك والانعام ماطر كيون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون) قال ابن عباس لكم فيها دفء أي ثياب، والمنافع ما ينفعون به من الاطعمة والاشربة وقال عبد الرزاق أخبرنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس دفء ومنافع نسل كل دابة ، وقال مجاهد لكم فيها دفء أي لباس ينسج ومنافع مركب ولحم ولبن ، وقال قتادة دفء ومنافع يقول لكم فيها لباس ومنفعة وبلغة وكذا قال غير واحد من المفسرين بألفاظ متقاربة

والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون (٨)

هذا صنف آخر مما خلق تبارك وتعالى لعباده يمتن به عليهم وهو الخيل والبغال والحمير التي جعلها للركوب والزينة بها وذلك أكبر المقاصد منها، ولما فصلها من الانعام وأفردتها بالذكر استدلت وأصرفها ملابس وحلف تستدفئون بها (ومنافع) بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها (ومنها تأكلون) يعني لحومها (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) أي حين تردونها بالعشي من سراعها إلى مباركها التي تأوي اليها (وحين تسرحون) أي تخرجونها بالغداة من مراحلها إلى مسارحها وقدم الرواح لان المنافع تؤخذ منها بعد الرواح ومالكها يكون أعجب بها اذا راحت (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد) آخر غير بلدكم ، قال عكرمة البلد مكة (لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس) أي بالمشقة والجهد والشق النصف أيضاً ، أي لم تكونوا بالغيه إلا بتقصان قوة النفس وذهاب نصفها . وقرأ أبو جعفر بشق بفتح الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل (إن ربكم لوف رحيم) بخلقها حيث جعل لهم هذه المنافع (والخيل) يعني وخلق الخيل وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والنساء والسماء (والبغال والحمير لتركبوها وزينة) يعني وجعلها زينة لكم مع المنافع التي فيها واحتج بهذه

من استدلل من العلماء من ذهب الى تحريم لحوم الخيل بذلك على ما ذهب اليه فيها كالأمام أبي حنيفة رحمه الله ومن وافقه من الفقهاء بأنه تعالى قرنها بالبغال والخيير وهي حرام كما ثبتت به السنة النبوية وذهب اليه أكثر العلماء ، وقد روى الامام أبو جعفر ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن عليه أنبأنا هشام الدستوائي حدثنا يحيى بن أبي كثير عن مولى نافع بن علقمة عن ابن عباس انه كان يكره لحوم الخيل والبغال والخيير وكان يقول قال الله تعالى (والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون) فهذه للأكل (والخيل والبغال والخيير لتروكوها) فهذه للركوب ، وكذا روي من طريق سعيد بن جبير وغيره عن ابن عباس بمثله ، وقال مثل ذلك الحكم بن عيينة أيضا رضي الله عنه ، واستأنسوا بحديث رواه الامام أحمد في مسنده حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية بن الوليد حدثنا ثور بن يزيد عن صالح بن يحيى بن المقدم بن معد يكرب عن أبيه عن جده عن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال: نهى رسول الله ﷺ عن أكل لحوم الخيل والبغال والخيير . وأخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث صالح بن يحيى بن المقدم وفيه كلام ، ورواه أحمد أيضا من وجه آخر بأبسط من هذا وأدل منه فقال حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا محمد بن حرب حدثنا سليمان بن سليم عن صالح بن يحيى بن المقدم عن جده المقدم بن معد يكرب قال غزونا مع خالد بن الوليد الصائفة فقدم أصحابنا إلي اللحم فسالوني رمكة فدفعتها اليهم فقبلوها فقلت مكانكم حتى آتي خالدأ فساله فأنتبه فسالته فقال غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة خيبر فأمرع الناس في حظائر يهود فأمرني أن أنادي الصلاة جامعة ولا يدخل الجنة إلا مسلم ثم قال «أيها الناس انكم قد أسرتم في حظائر يهود ألا لا يحمل أموال المعاهدين إلا بحقها وحرام عليكم لحوم الجر الأهلية وخبيلها وبغالها وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير» والرمكة هي الحجر . وقوله قبلوها أي أوثقوها في الجبل لئلا ينجسوها ، والحظائر البساتين القريبة من العمران . وكان هذا الصنيع وقع بعد اعطائهم العهد ومعاملتهم على الشطر والله أعلم . فلو صح هذا الحديث لكان نصا في

الآية من حرم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية فقال هذه للركوب، واليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة، وذهب جماعة إلى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير ، وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق، ومن أباحها قال ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحريم بل المراد منه تعريف الله عباده نعمه وتبئيرهم على كمال قدرته وحكمته . واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن عمرو بن دينار عن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال : نهى النبي ﷺ يوم خيبر عن لحوم الجر ورخص في لحوم الخيل

أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عدي الحافظ ثنا الحسن بن الفرج ثنا عمرو بن خالد ثنا عبد الله بن عبد الكريم عن عطاء بن

تحريم لحوم الخيل ولكن لا يقاوم ما ثبت في الصحيحين عن جابر بن عبد الله قال نهى رسول الله ﷺ عن لحوم الحمر الأهلية وأذن في لحوم الخيل . ورواه الامام أحمد وأبو داود باسنادين كل منهما على شرط مسلم عن جابر قال : ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير فنهانا رسول الله ﷺ عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل ، وفي صحيح مسلم عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرساً فأكلناه ونحن بالمدينة . فهذه أدل وأقوى وأثبت وإلى ذلك صار جمهور العلماء . مالك والشافعي وأحمد وأصحابهم وأكثر السلف والخلف والله أعلم . وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال كانت الخيل وحشية فذلها الله لاسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، وذكر وهب بن منبه في اسرأئيلياته أن الله خلق الخيل من ريح الجنوب والله أعلم . فقد دل النص على جواز ركوب هذه الدواب ومنها البغال وقد أهديت الى رسول الله ﷺ بغلة فكان يركبها مع انه قد نهى عن انزاع الحمر على الخيل لئلا ينقطع النسل ، قال الامام أحمد حدثني محمد ابن عبيد حدثنا عمر من آل حذيفة عنه عن الشعبي عن دحية الكلبي قال قلت يا رسول الله ألا أهل لك حماراً على فرس فتنتج لك بغلاً قبركها ؟ قال « إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون »

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهدنكم أجمعين (٩)

لما ذكر تعالى من الحيوانات ما يسار عليه في السبل الحسية نهى على الطرق المعنوية الدينية وكثيراً ما يقع في القرآن العبور من الامور الحسية الى الامور المعنوية النافعة الدينية كقوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) وقال تعالى (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير) ولما ذكر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الانعام وغيرها التي يركبونها ويبلغون عليها حاجة في صدورهم ، وتحمل أثقالهم الى البلاد والاماكن البعيدة والاسفار الشاقة ، شرع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس اليه ، فبين أن الحق منها ما هي موصلة اليه فقال (وعلى الله قصد السبيل)

أبي رباح عن جابر أنهم كانوا يأكلون لحوم الخيل على عهد رسول الله ﷺ ونهى عن لحوم البغال والحمير ، وروي عن المقدم بن معديكرب عن خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ نهى عن أكل لحوم الخيل والبغال والحمير واسناده ضعيف ﴿ ويخلق ما لا تعلمون ﴾ قيل يعني ما أعد الله في الجنة لأهلها وفي النار لأهلها مما لم تره عين ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر ، وقال قتادة : يعني السوس في النباتات ، والدود في الفواكه

قوله تعالى ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ يعني بيان طريق الهدى من الضلالة ، وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين والقصد الصراط المستقيم ﴿ ومنها جائر ﴾ يعني ومن السبيل جائر عن الاستقامة معوج ، فالقصد من السبيل دين الاسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر ،

كقوله (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) وقال (قال هذا صراط علي مستقيم) قال مجاهد في قوله (وعلى الله قصد السبيل) قال طريق الحق على الله، وقال السدي (وعلى الله قصد السبيل) الاسلام وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (وعلى الله قصد السبيل) يقول وعلى الله البيان أي يبين الهدى والضلالة، وكذا روى علي بن أبي طلحة عنه وكذا قال قتادة والضحاك وقول مجاهد هنا أقوى من حيث السياق لأنه تعالى أخبر أن ثم طرقاً تسلك اليه فليس يصل اليه منها إلا طريق الحق وهي الطريق التي شرعها ورضيها وما عداها مسدودة والاعمال فيها مردودة ولهذا قال تعالى (ومنها جائز) أي خائر مائل زائغ عن الحق، قال ابن عباس وغيره هي الطرق المختلفة والآراء والأهواء المتفرقة كاليهودية والنصرانية والمجوسية، وقرأ ابن مسعود «ومنكم جائز» ثم أخبر تعالى أن ذلك كله كائن عن قدرته ومشيبته فقال (ولو شاء لهداكم أجمعين) كما قال تعالى (ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً) وقال (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأن ملأنا جهنم من الجنة والناس أجمعين)

هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجرة فيه تسمى (١٠) يُنبِتُ

لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (١١)

لما ذكر تعالى ما أنعم به عليهم من الأنعام والدواب شرع في ذكر نعمته عليهم في انزال المطر من السماء وهو العلو مما لهم فيه بلغة ومتاع لهم ولا نعمهم فقال (لكم منه شراب) أي جعله عذبا زلالا يسوغ لكم شربه ولم يجعله ملحا اجاجا (ومنه شجرة فيه تسمى) أي وأخرج لكم منه شجرة ترعون فيه أنعامكم. وقال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقاتدة وابن زيد في قوله فيه تسمى أي ترعون ومنه الأبل السائمة والسوم الرعي، وروى ابن ماجه أن رسول الله ﷺ نهي عن السوم قبل طلوع الشمس وقوله (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) أي يخرجها من الأرض بهذا الماء الواحد على اختلاف صنوفها وطعومها وألوانها وروائحها وأشكالها ولهذا قال (إن في ذلك

قال جابر بن عبد الله: قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض، وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله (قصد السبيل) السنة (ومنها جائز) الأهواء والبدع دليله قوله تعالى (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل) (ولو شاء لهداكم أجمعين) نظيره قوله تعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) قوله (هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) تشرّبونه (ومنه شجرة) أي من ذلك الماء شراب أشجاركم وحياة نباتكم (فيه) يعني في الشجرة (تسمى) ترعون مواشيتكم (ينبت

لآية لقوم يتفكرون) أي دلالة وحجة على أنه لا إله إلا الله كما قال تعالى (أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبئنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها إلا مع الله؟ بل هم قوم بعدلون) ثم قال تعالى

وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (١٢) وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (١٣)

بنه تعالى عباده على آياته العظام ومنه الجسام في تسخير الليل والنهار يتعاقبان والشمس والقمر يدوران والنجوم والثوابت والسيارات في ارجاء السموات نوراً وضياء ليهتدى بها في الظلمات، وكل منها يسير في فلكه الذي جعله الله تعالى فيه يسير بحركة مقدرة لا يزيد عليها ولا ينقص عنها، والجميع تحت قهره وسلطانه وتسخيره وتقديره وتسهيله كقوله (إن ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين) ولهذا قال (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) أي للدلالات على قدرته تعالى الباهرة وسلطانه العظيم لقوم يعقلون عن الله ويفهمون حججه وقوله (وما ذرأ لكم في الارض مختلفا ألوانه) لما بنه تعالى على معالم السماء به على ما خلق في الارض من الامور العجيبة والاشياء المختلفة من الحيوانات والمعادن والنباتات والجمادات على اختلاف ألوانها وأشكالها وما فيها من المنافع والخواص (إن في ذلك لآية لقوم يذكرون) أي آلاء الله ونعمه فيشكرونها

وهو الذي سخر البحر لنا كلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (١٤) وألقى في الارض رواسي أن تمد بكم وأنهرأ وسبلاً لعلكم تهتدون (١٥) وعلمت وبالنجم هم يهتدون (١٦)

لكم به) أي ينبت الله لكم به يعني بالماء الذي أنزل، وقرأ أبو بكر عن عاصم نبت بالنون (الزرع والزيوتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) وسخر لكم) ذل لكم (الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات) مذلات (بأمره) أي بأذنه، وقرأ حفص عن عاصم (والنجوم مسخرات) بالرغم على الابتداء (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) وما ذرأ) خلق (لكم) لأجلكم أي وسخر ما خلق لأجلكم (في الارض) من الدواب والاشجار والثمار وغيرها (مختلفا) نصب على الحال (ألوانه) إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (يعتبرون) وهو

أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون (١٧) وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم (١٨)

يخبر تعالى عن تسخير البحر المتلاطم الامواج ، ويمتن على عباده بتدليله لهم وتيسيرهم للركوب فيه وجعله السمك والحيتان فيه واحلاله لعباده لحما حيا وميتها في الحل والاحرام وما يخلق في من الآلي . والجواهر النفيسة وتسهيله للعباد استخراجهم من قراره حلية يلبسونها وتسخيره البحر لحمل السفن التي تمخره أي تشقه وقيل تمخر الرياح وكلاهما صحيح وقيل تمخره بجوئتها وهو صدرها المستقيم التي أرشد العباد إلى صنعها وهداهم إلى ذلك ارثا عن أبيهم نوح عليه السلام فانه أول من ركب السفن وله كان تعليم صنعها ثم أخذها الناس عنه قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل يسرون من قطر إلى قطر ومن بلد إلى بلد ومن إقليم إلى إقليم جلب ما هناك إلى ما هنا وما هنا إلى ما هناك . ولهذا قال تعالى (ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) أي نعمه واحسانه ، وقد قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده وجدت في كتابي عن محمد بن معاوية البغدادي حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال كسب الله البحر الغربي وكلم البحر الشرقي فقال للبحر الغربي اني حامل فيك عباداً من عبادي فكيف أنت صانع فيهم ؟ قال اغرقهم فقال بأسك في واحيك واحلمهم على يدي وحرمت الحلية والصيد . وكلم هذا البحر الشرقي فقال : اني حامل فيك عباداً من عبادي فما أنت صانع بهم ؟ فقال : احلمهم على يدي وأكون لهم كالوالدة لولدها فأثابه الحلية والصيد . ثم قال البزار لا نعلم رواه عن سهل غير عبد الرحمن بن عبد الله بن عمرو وهو منكر الحديث . وقد رواه سهل عن النعمان بن أبي عياش عن عبد الله بن عمرو موقوفاً ، ثم ذكر تعالى الارض وما ألقى فيها من الرواسي الشاخات والجبال الراسيات لتقر الارض ولا تميد أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنأ لهم عيش بسبب ذلك ولهذا قال (والجبال أرساها) وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة سمعت

الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً يعني السمك (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني اللؤلؤ والمرجان (وترى الفلك مواخر فيه) جوارى فيه ، قال قتادة مقبله ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين أحدهما قبل والاخرى تدبر يجريان بريح واحدة ، وقال الحسن مواخر أي مملوءة وقال الفراء والاخش مواخر شواق تشق الماء بجوؤها ، قال مجاهد تمخر السفن الرياح وأصل المخر الرفع والشق ، وفي الحديث « اذا أراد أحدكم البول فليستمخر الریح » أي لينظر من أين مجراها وهبوبها فليستدبرها حتى لا يرد عليه البول ، وقال أبو عبيدة صوائح ، والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها (ولتبتغوا من فضله) يعني التجارة (ولعلكم تشكرون) اذا رأيتم صنع الله فيما سخر لكم قوله تعالى (وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم) أي لتلا تميد بكم أي تتحرك وتميل والميد

الحسن يقول : لما خلقت الارض كانت تميد فقالوا ماهذه بمقرة على ظهرها أحداً فأصبحوا وقد خلقت الجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال ، وقال سعيد عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عباد ان الله لما خلق الارض جعلت تمور فقالت الملائكة : ماهذه بمقرة على ظهرها أحداً فأصبحت صبيحا وفيها رواسيها ، وقال ابن جرير حدثني المشي حدثني حجاج بن منهال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن حبيب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما خلق الله الارض فرضت وقالت أي رب تجعل علي بني آدم يعملون الخطايا ويجعلون علي الخبث قال فأرسي الله فيها من الجبال ماترون ومالاترون فكان اقرارها كاللحم يترجرج قوله (وأنهاراً وسبلاً) أي جعل فيها أنهاراً تجري من مكان الى مكان آخر رزقا للعباد ينبع في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر فيقطع البقاع والبراري والقفار ويخترق الجبال والآكام فيصل الى البلد الذي سخر لاهله وهي سائرة في الارض ينة وبسرة وجنوبا وشمالا وشرقا وغربا ما بين صفار وكبار وأودية تجري حينئذ تنقطع في وقت وما بين نبع وجمع وقوى السير وبطنه بحسب ما أراد وقدر وسخر ويسرفلا إله إلا هو ولا رب سواه ، وكذلك جعل فيها سبلا أي طرقا يسلك فيها من بلاد إلى بلاد حتى إنه تعالى ليقطع الجبل حتى يكون ما بينهما ممراً ومسلكاً كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلاً) الآية وقوله وعلامات أي دلائل من جبال كبار وآكام صفار ونحو ذلك يستدل بها المسافرين برأوبحراً اذا أضلوا الطرق

وقوله (وبالنجم هم يهتدون) أي في ظلام الليل قاله ابن عباس وعن مالك في قوله (وعلامات وبالنجم هم يهتدون) يقول النجوم وهي الجبال ثم نبه تعالى على عظمتها وأنه لا تنبغي العبادة الا له دون ما سواه من الالوهة التي لا تخلق شيئاً بل هم يخلقون ولهذا قال (أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلاتنكرون) ثم نبههم على كثرة نعمه عليهم واحسانه اليهم فقال (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) أي يتجاوز عنكم ولو طالبكم بشكر جميع نعمه لعجزتم عن القيام بذلك ولو أمركم به لضعفتم وتركتم ولو عذبكم لعذبكم وهو غير ظالم لكم ولكنه غفور رحيم يغفر الكثير ويجازي على اليسير ،

هو الاضطراب والتكفؤ ، ومنه قيل للدوار الذي يعترى راكب البحر ميد ، قال وهب لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة إن هذه غير مقرة أحداً على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت الجبال (وأنهاراً وسبلاً) أي وجعل فيها أنهاراً وطرقاً مختلفة (اهلکم نهتدون) إلى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني معالم الطرق ، قال بعضهم ههنا تم الكلام ، ثم ابتداء (وبالنجم هم يهتدون) قال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال ، والجبال تكون علامات النهار ، والنجوم علامات الليل ، وقال مجاهد أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به ، قال السدي أراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي يهتدون بها إلى الطرق والقبلة ، وقال قتادة إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة للسماء ومعالم للطرق ورجوماً للشياطين ، فن

وقال ابن جرير يقول ان الله لغفور لما كان منكم من تقصير في شكر بعض ذلك اذا تبتم وأنتم الى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم لا يعذبكم بعد الانابة والتوبة

والله يعلم ما تُسرون وما تُعلنون (١٩) والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا

وهم يُخلقون (٢٠) أموات خير أحياء وما يشعرون أيان يُبعثون (٢١)

يخبر تعالى أنه يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر وسيجزي كل عامل بعمله يوم القيامة ، ان خيراً فخير وان شراً فشر ، ثم أخبر أن الاصنام التي يدعونها من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون كما قال الخليل (أتعبدون ما تنحتون؟ والله خلقكم وما تعملون) وقوله (أموات غير أحياء) أي هي جمادات لا أرواح فيها فلا تسمع ولا تبصر ولا تعقل وما يشعرون أيان يبعثون أي لا يدرون متى تكون الساعة فكيف يرتجى عند هذه نفع أو ثواب أو جزاء انما يرجى ذلك من الذي يعلم كل شيء وهو خالق كل شيء

إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون (٢٢)

لا جرم أن الله يعلم ما يُسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين (٢٣)

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو الواحد الاحد الفرد الصمد وأخبر أن الكافرين تنكر قلوبهم ذلك كما أخبر عنهم متعجبين من ذلك (أجعل الآلهة إلها واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب) وقال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذام)

قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به (أفمن يخلق) يعني الله تعالى (من لا يخلق؟) يعني الاصنام (أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور لمتقصيركم في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي (والله يعلم ما تُسرون وما تعلنون * والذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام ، وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء (لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون أموات) أي الاصنام (غير أحياء وما يشعرون) يعني الاصنام (أيان) متى (يبعثون) والقرآن يدل على أن الاصنام تبث وتجعل فيها الحياة فتراهم من عابديها ، وقيل ما يدري الكفار عبدة الاصنام متى يبعثون

قوله تعالى (إلهكم إله واحد ، فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة) جاحدة (وهم مستكبرون) متعظمون (لا جرم) حقاً (أن الله يعلم ما يُسرون وما يعلنون * انه لا يحب المستكبرين) أخبرنا أبو سعيد بكر بن محمد بن محمد بن يحيى البسطامي أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سخوية أنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري ثنا علي بن الحسن بن أبي عيسى الهلالي ثنا يحيى بن حماد ثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضل العقيمي عن ابراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ

يستبشرون) وقوله (وهم مستكبرون) أي عن عبادة الله مع انكار قلوبهم لتوحيده كما قال (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) ولهذا قال ههنا (لا جرم) أي حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) أي وسيجزيهم على ذلك أتم الجزاء (إنه لا يحب المستكبرين)

وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم؟ قالوا أساطير الاولين (٢٤) ليحملوا أوزارهم كاملة يوم

القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون (٢٥)

يقول تعالى وإذا قيل لهؤلاء المكذبين (ماذا أنزل ربكم قالوا) معرضين عن الجواب (أساطير الاولين) أي لم ينزل شيئا إنما هذا الذي يتلى علينا أساطير الاولين أي مأخوذ من كتب المتقدمين كما قال تعالى (وقالوا أساطير الاولين اكتبها فهي تلى عليه بكرة وأصلا) أي يفترون على الرسول ويقولون اقوالا متضادة مختلفة كلها باطلة كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) وذلك أن كل من خرج عن الحق فهما قال اخطأ وكانوا يقولون ساحر وشاعر وكاهن ومجنون ثم استقر امرهم الى ما اختلفه لهم شيخهم الوحيد المسمى بالوليد بن المغيرة الخزومي لما فكر وقدر، فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم ادبر واستكبر، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر، أي ينقل ويحكي فتفرقوا عن قوله ورأيه قبهم الله قال الله تعالى (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أي إنما قدرنا عليهم أن يقولوا ذلك ليحملوا أوزارهم ومن أوزار الذين يتبعونهم ويوافقونهم أي بصير عليهم خطيئة ضلالتهم في أنفسهم وخطيئة اغوائهم لغيرهم واقتداء اولئك بهم كما جاء في الحديث «من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من اتبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام

قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان» فقال رجل يا رسول الله: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا، قال «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»

قوله تعالى «وإذا قيل لهم» يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركوا مكة الذين اقتسموا تقابها اذا سأل منهم الحاج «ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الاولين» أحاديثهم وأباطيلهم «ليحملوا» أي ليحملوا «أوزارهم» ذنوب أنفسهم «كاملة» وإنما ذكر الكمال لان البلياء التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لا تكفر عنهم شيئا «يوم القيامة» ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم «بغير حجة فيصدونهم عن الايمان» ألا ساء ما يزرون. أنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحنفي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله

من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » وقال تعالى (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسثلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) ولهذا روي عن ابن عباس في الآية (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) أنها كقوله (وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم) وقال مجاهد يحملون أثقالهم ذنوبهم وذنوب من أطاعهم ولا يخفف عن أطاعهم من العذاب شيئا

قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٦) ثم يوم القيمة يخزيهم ويقول أين شركاءي الذين كنتم تشقون فيهم ؟ قال الذين أوتوا العلم إن الخزي اليوم والسوء على الكافرين (٢٧)

قال العوفي عن ابن عباس في قوله (قد مكر الذين من قبلهم) قال هو النمرود الذي بنى الصرح قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد نحوه وقال عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن أسلم أول جبار كان في الأرض النمرود فبعث الله عليه بعوضة فدخلت في منخره فحكّت أربعائة سنة بضرب رأسه بالمطارق وأرحم الناس به من جهم يديه فضرب بهما رأسه وكان جباراً أربعائة سنة فعذب الله أربعائة سنة كذلك ثم أماته وهو الذي بنى الصرح إلى السماء الذي قال الله تعالى (فأتى الله بنيانهم من القواعد) وقال آخرون بل هو مختصر وذكروا من المكر الذي حكاه الله هنا كما قال في سورة إبراهيم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) وقال آخرون هذا من باب المثل لا بطل ما صنعه هؤلاء الذين كفروا بالله وأشركوا في عبادته غيره كما قال نوح عليه السلام (ومكروا مكراً كباراً) أي احتالوا في اضلال الناس بكل حيلة وأمالوهم إلى شركهم بكل وسيلة كما يقول لهم اتباعهم يوم القيامة (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا) الآية وقوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد) أي اجتمه من أصله وأبطل عملهم كقوله تعالى (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) وقوله (فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار) وقال الله هنا (فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وآتاهم العذاب

ﷻ قال « من دعا إلى هدى كان له من الاجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا »

قوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم) وهو نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل ليصعد السماء ، قال ابن عباس ووهب : كان طول الصرح في السماء خمسة آلاف ذراع ، وقال كعب ومقاتل كان طوله فرسخين فهبّت ريح وألقت رأسه في البحر وخر عليهم الباقي وهم تحته ، ولما سقط الصرح تبليت ألسن الناس من الفزع يومئذ فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل

من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم) أي يظهر فضائحهم وما كانت تجنه ضمائرهم فيجعله علانية كقوله تعالى (يوم تبلى السرائر) أي تظهر وتشتهر كما في الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته فيقال هذه غدره فلان بن فلان» وهكذا هؤلاء. يظهر للناس ما كانوا يسرونه من المكر ويخزيهم الله على رؤوس الخلائق ويقول لهم الرب تبارك وتعالى مقررًا لهم وموبخًا (أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم) تحاربون وتعادون في سبيلهم أين هم عن نصركم وخلاصكم هنا (هل ينصرونكم أو ينتصرون) فإله من قوة ولا ناصر) فإذا توجهت عليهم الحججة وقامت عليهم الدلالة، وحقت عليهم الكلمة وسكنوا عن الاعتذار حين لا فرار (قال الذين أوتوا العلم) وهم السادة في الدنيا والآخرة والخبرون عن الحق في الدنيا والآخرة فيقولون حينئذ (إن الحزبي اليوم والسوء على الكافرين) أي الفضيحة والعذاب محيط اليوم بمن كفر بالله وأشرك به مالا يضره ومالا ينفعه

الذين تتوفاهم للمسيكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون (٢٨) فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين (٢٩)

يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمين أنفسهم عند احتضارهم ومجيء الملائكة اليهم لقبض أرواحهم الخبيثة (فألقوا السلم) أي أظهروا السم والطاعة والالتقياد قائلين (ما كنا نعمل من سوء) كما يقولون يوم المعاد (والله ربنا ما كنا مشركين) يوم يبعثهم الله جميعًا فيحلفون له كما يحلفون لكم) قال الله مكذبًا لهم في قبليهم ذلك (بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون) فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) أي بئس المقيل والمقام والمكان من دار هوان لمن كان متكبرًا عن آيات الله واتباع رسوله وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم وينال أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم وخلدت في نار جهنم (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا

ذلك بالسريانية فذلك قوله تعالى ﴿فأتى الله بنيانهم من القواعد﴾ أي قصد تخريب بنيانهم من أصولها ﴿فخر عليهم السقف﴾ يعني أعلى البيوت ﴿من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ من مآثمهم ﴿ثم يوم القيامة يخزيهم﴾ بهينهم بالعذاب ﴿ويقول أين شركائي الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ تخالفون المؤمنين فيهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعون عنكم العذاب، وكسر نافع النون من تشاقون على الإضافة والآخرين بفتحها ﴿قال الذين أوتوا العلم﴾ وهم المؤمنون ﴿إن الحزبي﴾ الهوان ﴿اليوم والسوء﴾ أي العذاب ﴿على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة﴾ يقبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه، قرأ حمزة يتوفاهم بالياء وكذلك ما بعده ﴿ظالمي أنفسهم﴾ بالكسر ونصب على الحال أي في حال كفرهم ﴿فألقوا السلم﴾ أي استسلموا وانقادوا وقالوا ﴿ما كنا نعمل من سوء﴾ شرك فقال لهم الملائكة ﴿بلى إن الله

يخفف عنهم من عذابها) كما قال الله تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)

وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم؟ قالوا خيراً، للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين (٣٠) جنّت عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين (٣١) الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلم عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون (٣٢)

هذا خبر عن السعداء بخلاف ما أخبر به عن الأشقياء فإن أولئك قيل لهم (ماذا أنزل ربكم) قالوا معرضين عن الجواب لم ينزل شيئاً إنما هذا أساطير الأولين، وهؤلاء قالوا خيراً أي أنزل خيراً أي رحمة وبركة لمن اتبعه وآمن به، ثم أخبر عما وعد الله عباده فيما أنزله على رسله فقال (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) الآية كقوله تعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه فيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أي من أحسن عمله في الدنيا أحسن الله إليه عمله في الآخرة ثم أخبر بأن دار الآخرة خير أي من الحياة الدنيا والجزاء فيها أنم من الجزاء في الدنيا كقوله (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير) الآية. وقال تعالى (وما عند الله خير للابرار) وقال تعالى (والآخرة خير وأبقى) وقال لرسوله ﷺ (والآخرة خير لك من الأولى) ثم وصف الدار الآخرة فقال (ولنعم دار المتقين) وقوله (جنات عدن) بدل من دار المتقين أي لهم في الآخرة جنات عدن أي مقام يدخلونها (تجري من تحتها الأنهار) أي بين أشجارها وقصورها (لهم فيها ما يشاءون) كقوله تعالى عليهم بما كنتم تعملون قال عكرمة عنى بذلك من قل من الكفار بيدر (فادخلوا) أي يقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) عن الإيمان (وقيل للذين اتقوا) وذلك أن أحياء العرب كانوا يمشون أيام الموسم من بأنهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون ولو لم يلقه خبر ذلك فيقول السائل أنا شر وقد إن رجعت إلى قومي دون أن أدخل مكة فألقاه فدخل مكة فبصر أصحاب النبي ﷺ فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فذلك قوله (وقيل للذين اتقوا) (ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً) يعني أنزل خيراً ثم ابتداء فقال (الذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) كرامة من الله، قال ابن عباس هي تضعيف الأجر إلى العشر، وقال الضحاك هي النصر والفتح، وقال مجاهد هي الرزق الحسن (ولدار الآخرة) أي ودار الحال الآخرة (خير ولنعم دار المتقين) قال الحسن هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة، وقال أكثر المفسرين هي الجنة ثم فسرها فقال (جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها

(وفيها ما تشبهه الانفس وتلد الاعين وأنتم فيها خالدون) وفي الحديث «ان السحابة تمر بالملا من أهل الجنة وهم جلوس على شراهم فلا يشتهي أحد منهم شيئاً إلا أمطرته عليه حتى ان منهم لمن يقول أمطرينا كواعب أربابا فيكون ذلك» (كذلك يجزي الله المتقين) أي كذلك يجزي الله كل من آمن به واتقاه وأحسن عمله ، ثم أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار انهم طيبون أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء وان الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة كقوله تعالى (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم وقد قدمنا الاحاديث الواردة في قبض روح المؤمن وروح الكافر عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وبضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)

هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك ؟ كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣٣) فأصابهم سيئات ما عملوا وحق بهم ما كانوا به يستهزئون (٣٤)

يقول تعالى مهدداً للمشركين على تماديهم في الباطل واغترارهم بالدنيا هل ينتظر هؤلاء إلا الملائكة أن تأتيهم لقبض أرواحهم قاله قتادة (أو يأتي أمر ربك) أي يوم القيامة وما يعاينونه من الاهوال وقوله (كذلك فعل الذين من قبلهم) أي هكذا تمادى في شركهم أسلافهم ونظراؤهم وأشباهم من المشركين حتى ذاقوا بأس الله وحلوا فيما هم فيه من العذاب والنكال (وما ظلمهم الله) لانه تعالى أعذر اليهم وأقام حججه عليهم بارسال رسله وإنزال كتبه (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بمخالفة الرسل والتكذيب بما جاءوا به ، فهذا أصابهم عقوبة الله على ذلك (وحق بهم) أي أحاط بهم من العذاب الاليم (ما كانوا به يستهزئون) أي يسخرون من الرسل اذا توعدهم بعقاب الله فلهذا يقال لهم يوم القيامة هذه النار التي كنتم بها تكذبون

الانهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين ﴿ مؤمنين طاهرين من الشرك ﴾ قال مجاهد زاكية أفعالهم وأقوالهم ، وقيل معناه أن وفاهم تقع طيبة سهلة ﴿ يقولون ﴾ يعني الملائكة لهم ﴿ سلام عليكم ﴾ وقيل معناه يبايعونهم سلام الله ﴿ ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾ قوله ﴿ هل ينظرون إلى أن تأتيهم الملائكة ﴾ لقبض أرواحهم ﴿ أو يأتي أمر ربك ﴾ يعني يوم القيامة وقيل العذاب ﴿ كذلك فعل الذين من قبلهم ﴾ أي كفروا كما كفر الذين من قبلهم ﴿ وما ظلمهم الله ﴾ بتعذيبه إياهم ﴿ ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ فأصابهم سيئات ما عملوا ﴿ عقوبات كفرهم

وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ؟ (٣٥)
ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٣٦)
إن تحرص على هديهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من نصيرين (٣٧)

يخبر تعالى عن اغترار المشركين بما هم فيه من الاشرار واعتذارهم محتجين بالقدر بقولهم (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء) أي من البحائر والسوائب والوصائل وغير ذلك مما كانوا ابتدعوه واخترعوه من تلقاء أنفسهم ما لم ينزل به سلطانا ومضمون كلامهم أنه لو كان تعالى كارها لما فعلنا لأنكره علينا بالعقوبة ولما مكنتنا منه قال الله تعالى راداً عليهم شبهتهم (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) أي ليس الأمر كما تزعمون أنه لم ينكره عليكم بل قد أنكره عليكم أشد الانكار ونهاكم عنه أكد النهي وبعث في كل أمة أي في كل قرن وطائفة من الناس رسولا وكلهم يدعون إلى عبادة الله وينهون عن عبادة ما سواه (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الانس والجن في المشارق والمغارب ، وكلهم كما قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقوله تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال تعالى في هذه الآية الكريمة (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول (لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) فشيئته تعالى الشرعية عنهم متفية لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله ، وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدرأ فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار

وأعمالهم الخبيثة (وحق بهم) نزل بهم (ما كانوا به يستهزون) وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء (يعني البهيرة والسائبة والوصيلة والحام . فلو أن الله رضيها لنا لغير ذلك وهدانا إلى غيرها) كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين ؟ أي ليس إليهم الهداية إنما إليهم التبليغ
قوله تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) أي كما بعثنا فيكم (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)

وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة وحكمة قاطعة ، ثم انه تعالى قد أخبر انه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد انذار الرسل فلماذا قال (فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي اسألوا عما كان من أمر من خالف الرسل وكذب الحق كيف دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها فقال (ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير) ثم أخبر الله تعالى رسوله ﷺ أن حرصه على هدايتهم لا ينفعهم اذا كان الله قد أراد إضلالهم كقوله تعالى (ومن يرد الله فتنه فلا ينفعها له من الله شيئاً) وقال نوح لقومه (ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم) وقال في هذه الآية الكريمة (إن نحرص على هدامهم فإن الله لا يهدي من يضل) كما قال الله (من يضل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم) وقوله (فان الله) أي شأنه وأمره انه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فلماذا قال (لا يهدي من يضل) أي من أضله فمن ذا الذي يهديه من بعد الله ؟ أي لا أحد (وما لهم من ناصرين) أي ينقذونهم من عذابه ووثاقه (ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين)

وأقسموا بالله جهداً أيمنهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٨) ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين (٣٩) انما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين انهم حلفوا فأقسموا بالله جهداً أيمنهم أي اجتهدوا في الحلف وغلظوا الايمان على انه لا يبعث الله من يموت أي استبعدوا ذلك وكذبوا الرسل في إخبارهم لهم بذلك وحلفوا على تقيضه فقال تعالى مكذباً لهم وراداً عليهم (بلى) أي بلى سيكون ذلك وعداً عليه حقاً أي لا بد منه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي فلجهلهم بخالفون الرسل ويقعون في الكفر وهو كل معبود من دون الله (فمنهم من هدى الله) أي هداه الله إلى دينه (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والهلاك (إن نحرص على هدامهم) يا محمد (فان الله لا يهدي من يضل) قرأ أهل الكوفة يهدي بفتح الياء وكسر الدال أي لا يهدي الله من أضله ، وقيل معناه لا يهتدي من أضله الله ، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال (من يضل الله فلا هادي له) (وما لهم من ناصرين) أي مانعين من العذاب قوله تعالى (وأقسموا بالله جهداً أيمنهم لا يبعث الله من يموت) وهم منكرو البعث قال الله تعالى ردأ عليهم (بلى وعداً عليه حقاً ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون * ليبين لهم الذي يختلفون) أي

ثم ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد فقال (ليبين لهم) أي للناس (الذي يختلفون فيه) أي من كل شيء ويجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) أي في أيمانهم وأقسامهم لا يبعث الله من يموت ولهذا يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم دعا وتقول لهم الزبانية (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) أفصح هذا أم أنتم لا تبصرون * أصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم أنما تجزون ما كنتم تعملون) ثم أخبر تعالى عن قدرته على ما يشاء وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون والمعاد من ذلك إذا أراد كونه فأنما يأمر به مرة واحدة فيكون كما يشاء كقوله (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) وقال في هذه الآية الكريمة (أنما قولنا شيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) أي أن نأمر به مرة واحدة فإذا هو كائن كما قال الشاعر:

إذا ما أراد الله أمراً فأنما * يقول له كن قوله فيكون

أي أنه تعالى لا يحتاج إلى تأكيد فيما يأمر به فإنه تعالى لا يمانع ولا يخالف لأنه الواحد القهار العظيم الذي قهر سلطانه وجبروته وعزته كل شيء فلا إله إلا هو ولا رب سواه، وقال ابن أبي حاتم ذكر الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني عطاء أنه سمع أبا هريرة يقول قال الله تعالى شمتني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقال (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت) قال وقلت (بلى وعداً عليه حقاً ولكن أكرر الناس لا يعلمون) وأما شتمه إياي فقال (إن الله ثالث ثلاثة) وقلت (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد) هكذا ذكره موقوفاً وهو في الصحيحين مرفوعاً بلفظ آخر

والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا لنبوتهم في الدنيا حسنة ولا جبر الآخرة

ليظهر لهم الحق فيما يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين * أنما قولنا شيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون * يقول الله تعالى إذا أردنا أن نبعث الموتى فلا تعب علينا في أحيائهم ولا في شيء مما يحدث أنما نقول له كن فيكون

أخبرنا حسان بن سعد المنبهي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ «قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني عبدي ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي أن يقول إن بعيدنا كما بدأنا، وأما شتمه إياي أن يقول اتخذ الله ولداً وأنا الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد»

قوله تعالى (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) عذبوا وأودوا في الله نزلت في بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وجبير وأبي جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فعذبوهم، وقال

أكبر لو كانوا يعلمون (٤١) الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (٤٢)

يخبر تعالى عن جزائه للمهاجرين في سبيله ابتغاء مرضاته الذين فارقوا الدار والاهوان والخلان رجاء ثواب الله وجزائه ، ويحتمل أن يكون سبب نزولها في مهاجرة الحبشة الذين اشتد أذى قومهم لهم بمكة حتى خرجوا من بين أظهرهم إلى بلاد الحبشة ليتمكنوا من عبادة ربهم ، ومن أشرافهم عثمان بن عفان ومعه زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ وجعفر بن أبي طالب بن عم الرسول وأبو سلمة بن عبد الأسد في جماعة قريب من ثمانين مابين رجل وامرأة صديق وصديقة رضي الله عنهم وأرضاهم ، وقد فعل فوعدهم تعالى بالمجازاة الحسنة في الدنيا والآخرة فقال (لنبوتهم في الدنيا حسنة) قال ابن عباس والشعبي وقتادة المدينة وقيل الرزق الطيب قاله مجاهد . ولا منافاة بين القولين فانهم تركوا مساكنهم وأموالهم فعوضهم الله خيراً منها في الدنيا ، فان من ترك شيئاً لله عوضه الله بما هو خير له منه وكذلك وقع فانهم مكن الله لهم في البلاد وحكمهم على رقاب العباد وصاروا أمراء حكاماً ، وكل منهم لثقتين اماماء وأخبر أن ثوابه للمهاجرين في الدار الآخرة أعظم مما أعطاهم في الدنيا فقال (ولا أجر الآخرة أكبر) أي مما أعطيناهم في الدنيا (لو كانوا يعلمون) أي لو كان المتخلفون عن الهجرة معهم يعلمون ما ادخر الله لمن أطاعه واتبع رسوله ، ولهذا قال هشيم عن العوام عن حدثه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءً يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم قرأ هذه الآية (لنبوتهم في الدنيا حسنة ولا أجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) ثم وصفهم تعالى فقال (الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون) أي صبروا على الأذى من قومهم متوكلين على الله الذي أحسن لهم العاقبة في الدنيا والآخرة

وما أرسلنا من قبلك الا رجالاً نوحى اليهم فاستلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون (٤٣)

بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون (٤٤)

قبتادة هم أصحاب النبي ﷺ ظلمهم أهل مكة وأخرجوهم من ديارهم حتى لحق منهم طائفة بالحبشة ثم بوأ الله لهم المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم أنصاراً من المؤمنين (لنبوتهم في الدنيا حسنة) وهو أنه أنزلهم المدينة ، روي أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاءً يقول خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الآخرة أفضل ثم تلا هذه الآية ، وقيل معناه انحسنن اليهم في الدنيا ، وقيل الحسنة في الدنيا التوفيق والهداية (ولا أجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) وقوله (لو كانوا يعلمون) ينصرف إلى المشركين لان المؤمنين كانوا يعلمونه

قوله (الذين صبروا) في الله على ما نالههم (وعلى ربهم يتوكلون) وما أرسلنا من قبلك إلا

قال الضحاك عن ابن عباس لما بعث الله محمداً ﷺ رسولا أنكرت العرب ذلك أو من أنكر منهم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فأنزل الله (أكان لنا عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن انذر الناس) الآية وقال (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) يعني أهل الكتب الماضية أبشراً كانت الرسل اليهم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أنكرتم وان كانوا بشراً فلا تنكروا أن يكون محمد ﷺ رسولا . قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل انقري) ليسوا من أهل السماء كما قلتم ، وكذا روي عن مجاهد عن ابن عباس أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب وقاله مجاهد والاعمش ، وقول عبد الرحمن بن زيد الذكر القرآن واستشهد بقوله (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) صحيح لكن ليس هو المراد ههنا لان المخالف لا يرجع في اثباته بعد انكاره اليه ، وكذا قول أبي جعفر الباقر نحن أهل الذكر ومراده أن هذه الامة أهل الذكر صحيح ، فان هذه الامة أعلم من جميع الأمم السالفة ، وعلماء أهل بيت رسول الله عليهم السلام والرحمة من خير العلماء اذا كانوا على السنة المستقيمة كعلي وابن عباس وأبي الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعلي بن الحسين زين العابدين وعلي بن عبد الله بن عباس وأبي جعفر الباقر وهو محمد بن علي بن الحسين وجعفر ابنه وأمثالهم وأضرابهم وأشكالهم ممن هو متمسك بحبل الله المتين وصراطه المستقيم وعرف لكل ذي حق حقه ونزل كل ^(١) المنزل الذي أعطاه الله ورسوله واجتمعت عليه قلوب عباده المؤمنين والقرض أن هذه الآية الكريمة أخبرت بأن الرسل الماضين قبل محمد ﷺ كانوا بشراً كما هو بشر كما قال تعالى (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا؟ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا؟) وقال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) وقال تعالى (وما جعلناهم جسداً لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين) وقال (قل ما كنت بدعا من الرسل) وقال تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) ثم أرشد الله تعالى من شك في كون الرسل كانوا بشراً إلى سؤال أصحاب الكتب المتقدمة عن الانبياء الذين سلفوا هل كان أنبياءهم بشراً أم ملائكة، ثم ذكر تعالى أنه أرسلهم (بالبينات) أي بالحجج والدلائل (والزبر) وهي الكتب قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم والزبر جمع زبور تقول العرب زبرت الكتاب اذا كتبته . وقال تعالى (وكل شيء فعلوه في الزبر) وقال (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض برئها عبادي الصالحون) ثم قال تعالى (وانزلنا اليك الذكر) يعني

١ هكذا في جميع النسخ والوجه في الاعراب : ونزل كلا الخ

رجالاً نوحي اليهم ﴿ نزلت في مشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد ﷺ وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً فهلا بعث اليينا ملكا ﴾ فاستلوا أهل الذكر ﴿ يعني مؤمني أهل الكتاب ﴾ إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر ﴿ واختلفوا في الجالب للباء في قوله ﴾ بالبينات ﴿ قيل هي راجعة إلى قوله ﴾ (وما أرسلنا) وإلا بمعنى غير مجازه وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى اليهم ولم

القرآن (لتبين للناس ما نزل اليهم) أي من ربهم لعلك بمعنى ما أنزل الله عليك وحرصك عليه واتباعك له ولعلنا بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم فتفصل لهم ما أجهل وتبين لهم ما أشكل (ولعلمهم يتفكرون) أي ينظرون لأنفسهم فيهدون فيغوزون بالنجاة في الدارين

أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون؟ (٤٥) أو يأخذهم في تقلبهم فاهم بمعجزين (٤٦) أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرؤوف رحيم (٤٧)

يخبر تعالى عن حلمه وانظاره العصاة الذين يعملون السيئات ويدعون إليها ويمكرون بالناس في دعائهم إياهم وحلمهم عليها مع قدرته على أن يخسف بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أي من حيث لا يعلمون مجيئه اليهم كقوله تعالى (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فاذا هي تمور * أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير) وقوله (أو يأخذهم في تقلبهم) أي في تقلبهم في المعاش واشتغالهم بها في أسفار ونحوها من الاشغال الملئية قال قتادة والسدي تقلبهم أي أسفارهم ، وقال مجاهد والضحاك وقاتدة (في تقلبهم) في الليل والنهار كقوله (أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون) وقوله فاهم بمعجزين أي لا يعجزون الله على أي حال كانوا عليه وقوله (أو يأخذهم على تخوف) أي أو يأخذهم الله في حال خوفهم من أخذه لهم فانه يكون أبلغ وأشد فان حصول مايتوقع مع الخوف شديد ولهذا قال العوفي عن ابن عباس أو يأخذهم على تخوف يقول ان شئت أخذته على أثر موت صاحبه وتخوفه بذلك وكذا روي عن مجاهد والضحاك وقاتدة وغيرهم ثم قال تعالى (فإن ربكم لرؤوف رحيم) أي

نبعث ملائكة ، وقيل تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحي اليهم أرسلناهم بالبينات والزبر ﴿ وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ﴾ أراد بالذكر الوحي ، وكان النبي ﷺ مبينا للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة ﴿ ولعلمهم يتفكرون ﴾ أفأمن الذين مكروا ﴿ عملوا ﴾ السيئات ﴿ من قبل يعني نمرود بن كنعان وغيره من الكفار ﴾ أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون ﴿ أو يأخذهم ﴾ بالعذاب ﴿ في تقلبهم ﴾ تصرفهم في الاسفار ، وقال ابن عباس في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم ﴿ فاهم بمعجزين ﴾ سابقين لله ﴿ أو يأخذهم على تخوف ﴾ والتخوف النقص أي ينقص من أطرافهم ونواحيهم شيئا بعد شيء حتى يهلك جميعهم ، يقال تخوفه الدهر وتخونه اذا نقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذا لغة بني هذيل ، وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف أي أن يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم ﴿ فإن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ حين لم يعجل بالعقوبة

حيث لم يعاجلكم بالعقوبة كما ثبت في الصحيحين « لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم » وفيهما « ان الله لم يلج لي الظالم » حتى اذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه ألم شديد) وقال تعالى (وكان من قرية أملت لها وهي ظالمة ثم أخذنها وإلي المصير)

أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم دُخْرُونَ (٤٨) ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملتصكة وهم لا يستكبرون (٤٩) يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون (٥٠)

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ، ودانت له الاشياء والمخلوقات باسمها جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الانس والجن والملائكة فآخبر أن كل ماله ظل يتفياً ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة وعشياً فانه ساجد بظله لله تعالى . قال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل وكذا قال قتادة والضحاك وغيرهم ، وقوله (وهم دُخْرُونَ) أي صاغرون وقال قوله (أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء) قرأ حمزة والكسائي بالتاء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت والآخرون بالياء خبراً عن الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل (يتفياً) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالتاء والآخرون بالياء (ظلالة) أي تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تنقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجداً لله فميلانها ودورانها سجودها لله عز وجل ويقال للظل بالعشى فيه . لانه فاء أي رجع من المغرب إلى المشرق ، فالفي الرجوع والسجود الميل يقال سجدت النخلة اذا مالت ، وقوله عز وجل (عن اليمين والشمائل سجداً لله) قال قتادة والضحاك أما اليمين فأول النهار والشمائل آخر النهار تسجد للظلال لله ، وقال الكلبي الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك وكذلك اذا غابت فاذا طلعت كان من قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك ثم بعده كان خلفك فاذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفيؤ وتقلبه وهو سجوده ، وقال مجاهد اذا زالت الشمس سجد كل شيء لله ، وقيل المراد من الظلال سجود الاشخاص . فان قيل لم وحد اليمين وجمع الشمائل ؟ قيل من شأن العرب في اجتماع العلامتين الاكتفاء بواحدة كقوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم) وقوله (يخرجهم من الظلمات إلى النور) وقيل اليمين يرجع الى قوله ما خلق الله ولفظ ما واحد والشمائل جمع يرجع الى المعنى (وهم دُخْرُونَ) صاغرون (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض) إنما أخبر بما أغلبه مالا يعقل على من يعقل في العدد والحكم للاغاب كغليب المذكر على المؤنث (من دابة)

مجاهد أيضا سجود كل شيء فيؤه وذكر الجبال قال سجودها ، فيؤها وقال أبو غالب الشيباني أمواج البحر صلاته ونزلهم منزلة من يعقل اذ اسند السجود اليهم فقال (والله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة) كما قال (والله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال) وقوله (والملائكة وهم لا يستكبرون) أي تسجد لله أي غير مستكبرين عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) أي يسجدون خائفين وجلين من الرب جل جلاله (ويفعلون ما يؤمرون) أي مثابرين على طاعته تعالى وامثال أواصره ، وترك زواجره

وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فأبى فارهبون (٥١) وله ما في السموات والارض وله الدين واصبأ أفعير الله تتقون ؟ (٥٢) وما بكم من نعمة فين الله ثم اذا مسكم الضر فإليه تجئرون (٥٣) ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فرق منكم ربهم يشركون (٥٤) ليكفروا بما آتينهم فتمتعوا فسوف تعلمون (٥٥)

يخبر تعالى أنه لا إله إلا هو وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له فانه مالك كل شيء وخالقه وربه (وله الدين واصبأ) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وميمون بن مهران والسدي وقناة أراد من كل حيوان يدب ويقال السجود الطاعة والاشياء كلها مطيعة لله عز وجل من حيوان وجماد قال الله تعالى (قالنا أتينا طائعين) وقيل سجود الاشياء تذللها وتسخرها لما اريدت له وسخرت له ، وقيل سجود الجسادات ومالا يعقل ظهور أثر الصنع فيه على معنى انه يدعو الغافلين الى السجود لله عند التأمل والتدبر فيه قال الله عز وجل (سنبرهم آياتنا في الآفاق) (والملائكة) خص الملائكة بالذكر مع كونهم من جملة ما في السموات والارض تشريفا ورفعا لشأنهم وقيل لخروجهم من الموصوفين بالديب إذ لهم أجنحة يطيرون بها وقيل أراد والله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة وتسجد الملائكة (وهم لا يستكبرون ربهم من فوقهم) كقوله وهو القاهر فوق عباده (يفعلون ما يؤمرون) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليجي أنا محمد بن سمعان ثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم الشعراي ثنا محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبيد الله بن موسى العباسي ثنا اسرائيل عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مروق عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ «اني أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أظن السماء وحق لها أن تنط والقي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك يمجّد الله ولو تعلمون ما أعلم أنا لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما لتذتم بالنساء على الفرشات ولصدتم الى الصعدات نجارون» قال أبو ذر باليتي كنت شجرة تعضد رواء أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن أبي أحمد الزيري عن اسرائيل وقال الا وملك واضع جبهته ساجدا لله قوله تعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد فأبى فارهبون) وله ما في

وغير واحد أي دائماً وعن ابن عباس أيضاً أي واجباً، وقال مجاهد أي خالصاً له أي له العبادة وحده ممن في السموات والارض كقوله (أفغير دين الله يبغون * وله أسلم من السموات والارض طوعاً وكرهاً واليه يرجعون) هذا على قول ابن عباس وعكرمة فيكون من باب الخبر ، وأما على قول مجاهد فإنه يكون من باب الطلب أي اهربوا أن تشركوا بي شيئاً واخلصوا لي الطاعة كقوله تعالى (ألا الله الدين الخالص) ثم أخبر أنه مالك النفع والضر وإن ما بالعباد من رزق ونعمة وعافية ونصر فمن فضله عليهم ، واحسانه اليهم (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) أي لعلمكم أنه لا يقدر على ازالته إلا هو فأنكم عند الضرورات تلجئون اليه وتسألونه وتلجئون في الرغبة اليه مستغيثين به كقوله تعالى (واذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكنتم الانسان كفوراً) وقال ههنا (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون * ليكفروا بما آتيناهم) قبل اللام ههنا لام العاقبة وقيل لام التعليل بمعنى قيصنا لهم ذلك ليكفروا أي يسترخوا ويحمدوا نعم الله عليهم وانه المسدي اليهم النعم ، الكاشف عنهم النقم ثم توعدهم قائلاً (فتمتعوا) أي اعملوا ما شئتم وتمتعوا بما أنتم فيه قليلاً (فسوف تعلمون) أي عاقبة ذلك

ويعملون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقنهم تالله لتسئان عما كنتم تفترون (٥٦) ويعملون

لله البنت سبحانه ولهم ما يشتهون (٥٧) واذا بشر أحدكم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو

كظيم (٥٨) يتوارى من القوم من سوء ما بشره أيمسكه على هون أم يدسه في التراب

ألا ساء ما يحكمون (٥٩) للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء والله المثل الأعلى

وهو العزيز الحكيم (٦٠)

السموات والارض وله الدين ﴿ الطاعة والاخلاص ﴾ (واصبا) دائماً ثابتاً معناه ليس من أحد يدان له ويطاق الا انقطع ذلك عنه بزوال أهلاك غير الله عز وجل فان الطاعة تدوم له ولا تنقطع ﴿ أفغير الله تتقون ؟ ﴾ أي تخافون استغفام على طريق الإنكار ، قوله تعالى ﴿ وما بكم من نعمه فمن الله ﴾ أي وما يكن بكم من نعمه فمن الله ﴿ ثم اذا مسكم الضر ﴾ القحط والمرض ﴿ فاليه تجأرون ﴾ تصيحون وتصيحون بالدعاء والاستغاثة

﴿ ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا ﴾ ليحمدوا ﴿ بما آتيناهم ﴾ وهذه اللام تسمى لام العاقبة أي حاصل أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم أعطيناهم من النعماء وكشف الضراء والبلاء ﴿ فتمتعوا ﴾ أي عيشوا في الدنيا المدة التي ضربتها لكم ﴿ فسوف تعلمون ﴾ عاقبة أمركم هذا وعيد لهم ﴿ ويعملون لما لا يعلمون ﴾ أي يعملون لهوا أي الاصنام ﴿ نصيباً مما رزقناكم ﴾ من الاموال

يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الاصنام والاولئان والانداد بغير علم وجعلوا للاولئان نصيباً مما رزقهم الله فقالوا (هذا لله بزعيمهم وهذا لشركاننا فما كان لشركانهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركانهم ساء ما يحكمون) أى جعلوا لآلهتهم نصيباً مع الله وفضلوها على جانبه فاقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذى افتروه واتفكوه وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم فقال (تالله لتسئلن عما كنتم تفترون) ثم اخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً وجعلوها بنات الله فعبدوها معه فاخطوا خطأ كبيراً في كل مقام من هذه المقامات الثلاث فنسبوا اليه تعالى أن له ولداً ولا ولد له ثم أعطوه أخس القسمين من الاولاد وهو البنات وهم لا يرضونها لانفسهم كما قال (ألم الذكور وله الانثى ؟ تلك إذا قسمة ضبى) وقوله ههنا (ويجعلون لله البنات سبحانه) أى عن قولهم وافكم ألا إنهم من افكم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون أصطفي البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) وقوله (ولهم ما يشتهون) أى يختارون لانفسهم الذكور ويأفون لانفسهم من البنات التي نسبوها الى الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . فانه اذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً أى كئيباً من الهم (وهو كظيم) ساكت من شدة ما هو فيه من الحزن (يتوارى من القوم) أى يكره أن يراه الناس (من سوء ما بشر به

وهو ما جعلوا للاولئان من حروثهم وانعامهم فقالوا هذا لله بزعيمهم وهذا لشركاننا ثم رجع من الخبر الى الخطاب فقال (تالله لتسئلن) يوم القيامة (عما كنتم تفترون) في الدنيا (ويجعلون لله البنات) وهم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله تعالى (سبحانه ولهم ما يشتهون) أى ويجعلون لانفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكون ما في محل النصب ويجوز أن يكون على الابتداء فيكون ما في محل الرفع (واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسوداً) متغيراً من الغم والكراهية (وهو كظيم) وهو غملي حزيناً وغيظاً فهو يكظمه أى يمسكه ولا يظهره (يتوارى) أى يخفي (من القوم من سوء ما بشر به) من الحزن والعار ثم يتفكر (أيمسكه) ذكر الكناية رداً على ما (على هون) أى هوان (أم يدسه في التراب) أى يخفيه فيثده ، وذلك أن مضر وخزاعة ونميا كانوا يدفنون البنات أحياء خوفاً من الفقر عليهن وطمع غير الاكفاء . فبين وكان الرجل من العرب اذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها أبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له الابل والغنم في البادية ، واذا أراد أن يقتلها تركها حتى اذا صارت مداسية قال لأما زينيتها حتى أذهب بها إلى احماتها وقد حفر لها بئراً في الصحراء ، فاذا بلغ بها البئر قال لها انظري إلى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على رأسها التراب حتى يستوي البئر بالارض فلذلك قوله عز وجل (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) وكان صعصعة عم الفرزدق اذا أحس بشيء من ذلك وجه إلى والد البنت ابلاً يحبيها بذلك فقال الفرزدق يفتخر به وعمي الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم يواد

أيسكه على هون أم يدسه في التراب) أى ان ابقاها ابقاها مهانة لا يورثها ولا يعتني بها ويفضل أولاده الذكور عليها (أم يدسه في التراب) أى يثدها وهو أن يدفنها فيه حية كما كانوا يصنعون في الجاهلية ، أفن يكرهونه هذه الكراهة ويأفنون لانفسهم عنه يجعلونه لله (ألا ساء ما يحكمون) أى بئس ما قالوا وبئس ما قسموا وبئس ما نسبوه اليه كقوله تعالى (واذا بشر أحدهم) بما ضرب للرحمن مثلاً (ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) وقوله ههنا (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) أى النقص إنما ينسب اليهم (والله المثل الاعلى) أى الكمال المطلق من كل وجه وهو منسوب اليه (وهو العزيز الحكيم)

ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى

فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون (٦١) ويجعلون لله ما يكرهون ، وتصف السنتهم الكذب أن لهم الحسنى ، لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون (٦٢)

ينخير تعالى عن حلمه بخلقه مع ظلمهم وانه لو يؤاخذهم بما كسبوا ماترك على ظهر الارض من دابة أى لا هلك جميع دواب الارض تبعاً لاهلاك بني آدم ولكن الرب جل جلاله يحلم ويستر ، وينظر الى أجل مسمى أى لا يعاجلهم بالعقوبة اذ لو فعل ذلك بهم لما ابقى أحداً ، قال سفيان الثوري عن أبي اسحاق عن أبي الاحوص انه قال كاد الجعل أن يعذب بذنب بني آدم وقرأ الآية (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ماترك عليها من دابة) وكذا روى الاعمش عن أبي اسحاق عن أبي عبيدة قال :

﴿ ألا ساء ما يحكمون ﴾ بئس ما يقضون الله البنات ولا نفسهم البنين نظيره (ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى) وقيل بئس حكمهم وأد البنات

قوله ﴿ للذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ يعنى لهؤلاء الذين يصفون الله البنات ولا نفسهم البنين ﴿ مثل السوء ﴾ صفة السوء من الاحتياج إلى الولد وكرهية الاناث وقتلن خوف الفقر ﴿ والله المثل الاعلى ﴾ الصفة العليا وهي التوحيد وأنه لا إله إلا هو ، وقيل جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات ، وقال ابن عباس (مثل السوء) النار (المثل الاعلى) شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ وهو العزيز الحكيم ﴾ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ﴿ فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم وعصيائهم ﴾ ماترك عليها أى على الارض كناية عن غير مذكور ﴿ من دابة ﴾ قال قتادة في الآية قد فعل الله ذلك من زمن نوح فأهلك من على الارض إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام ، روي أن أبا هريرة سمع رجلاً يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه ، فقال بئس ما قلت إن الجباري تموت في وكورها بظلم الظالم ، وقال ابن مسعود إن الجعل لتعذب في جعرها بذنب ابن آدم ، وقيل إن معنى الآية لو يؤاخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الابناء فلم يبق في الارض أحد ﴿ ولكن يؤخرهم

قال عبد الله كاد الجعل أن يهلك في جعره بخطيئة بني آدم ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثنا
 اسماعيل بن حكيم الخزاعي حدثنا محمد بن جابر الحنفي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة قال سمع
 أبو هريرة رجلا وهو يقول : إن الظالم لا يضر إلا نفسه قال فالتفت اليه فقال بلى والله إن الجباري
 لتموت في وكرها بظلم الظالم . وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين أنبأنا الوليد بن عبد الملك حدثنا
 عبيد الله بن شرجيل حدثنا سليمان بن عطاء عن سلمة بن عبد الله عن عمه أبي مشجعة بن ربيع عن أبي
 الدرداء رضي الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ قال « إن الله لا يؤخر شيئا إذا جاء أجله وإنما
 زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله العبد في دعون له من بعده فيلحقه دعاؤه في قبره فذلك زيادة العمر » .
 وقوله (ويجعلون لله ما يكرهون) أى من البنات ومن الشركا الذين هم عبيدهم وهم يأفون أن
 يكون عند أحدهم شريك له في ما له وقوله (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) انكار عليهم في دعواهم مع
 ذلك أن لهم الحسنى في الدنيا وإن كان ثم معاد فيه أيضا لهم الحسنى واخبار عن قبل من قال منهم كقوله (ولئن أذقنا
 الانسان منارحة ثم نزعناها منه انه ليؤوس كفور *) ولئن أذقناه نعا بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات
 عني انه لفرح فخور) وكقوله (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة
 قائمة ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
 غليظ) وقوله (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) وقال اخباراً عن أحد الرجلين
 انه (دخل جنته وهو ظالم لنفسه فقال ما أظن أن تبديد هذه أبداً *) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت
 إلى ربي لأجدن خيراً منها من قبلي) فجمع هؤلاء بين عمل السوء ونفي الباطل بأن يجازوا على ذلك حسنا
 وهذا مستحيل ، كذا ذكر ابن إسحاق انه وجد حجر في أساس السكبة حين نقضوها ليجددوها مكتوب
 عليه حكم ومواعظ فن ذلك : تعملون السيئات وتجزون الحسنات ؟ أجل كما يجتنى من الشوك العنب . وقال
 مجاهد وقتادة (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) أي الغلمان ، وقال ابن جرير (أن لهم الحسنى)
 أي يوم القيامة كما قدمنا بيانه وهو الصواب والله الخد ، ولهذا قال تعالى رادا عليهم في عنيهم ذلك (لاجرم)
 أي حقا لا بدمنه (ان لهم النار) أي يوم القيامة (وانهم مغرطون) قال مجاهد وسعيد بن جبيرة وقتادة وغيرهم

إلى أجل) بمهلهم بجله إلى أجل (مسمى) إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم (فإذا جاء أجلهم
 لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون)

قوله عز وجل (ويجعلون لله ما يكرهون) لا أنفسهم يعني البنات (وتصف) أى تقول (ألسنتهم
 الكذب أن لهم الحسنى) يعني البنين محل أن نصب بدل عن الكذب ، قال يمان يعني بالحسنى الجنة
 في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقا بالوعد في البعث (لاجرم) حقا قال ابن عباس بلى
 (أن لهم النار) في الآخرة (وأنهم مغرطون) قرأ نافع بكسر الراء أى مسرفون ، وقرأ أبو جعفر

منسيون فيها مضيعون وهذا كقوله تعالى (فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا) وعن قتادة أيضا مفرطون أي معجلون إلى النار من الفرط وهو السابق إلى الورد ولا منافاة لأنهم يعجل بهم يوم القيامة إلى النار وينسون فيها أي يخلدون

تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزينا لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم (٦٣) وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٦٤) والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون (٦٥)

يذكر تعالى أنه أرسل إلى الأمم الخالية رسلا فكذبت الرسل فلك يا محمد في اخوانك من المرسلين أسوة فلا يهيدنك تكذيب قومك لك ، وأما المشركون الذين كذبوا الرسل فانما حملهم على ذلك زين الشيطان لهم ما فعلوه (فهو وليهم اليوم) أي هم تحت العقوبة والنكال والشيطان وليهم ولا يملك لهم خلاصا ولا صريح لهم ولهم عذاب أليم ، ثم قال تعالى لرسوله أنه إنما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه وهدى أي للقلوب ورحمة أي لمن تمسك به لقوم يؤمنون ، وكما جعل سبحانه القرآن حياة للقلوب الميئة بكفرها كذلك ينجي الأرض بعد موتها بما أنزله عليها من السماء من ماء (إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) أي يفهمون الكلام ومعناه

وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا

بقشيد الرأ وكسرها ، أي مضيعون أمر الله ، وقرأ الآخرون بفتح الرأ وتخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس ، وقال سعيد بن جبير مبعدون ، وقال مقاتل متروكون ، قال قتادة معجلون إلى النار ، قال الفراء مقدمون إلى النار ومنه قوله ﷺ « أنا فرطكم على الحوض » أي متقدمكم قوله ﴿ تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك ﴾ كما أرسلنا إلى هذه الأمة ﴿ فزينا لهم الشيطان أعمالهم ﴾ الخيئة ﴿ فهو وليهم ﴾ ناصرهم ﴿ اليوم ﴾ وقرينهم مآء ولياً لهم لطاعتهم إياه ﴿ ولهم عذاب أليم ﴾ في الآخرة ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه ﴾ من الدين والاحكام ﴿ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ أي ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بياناً وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله (لتبين) ﴿ والله أنزل من السماء ماء ﴾ يعني المطر ﴿ فأحيا به الأرض ﴾ بالنبات ﴿ بعد موتها ﴾ يبوستها ﴿ إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴾ سمع القلوب لاسمع الآذان قوله تعالى ﴿ وإن لكم في الانعام لعبرة ﴾ لعظة ﴿ نسقيكم ﴾ بفتح النون ههنا وفي المؤمنين قرأ

للسُّرَّيين (٦٦) ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً في ذلك
لآية لقوم يعقلون (٦٧)

يقول تعالى وان لكم أيها الناس في الانعام وهي الابل والبقر والغنم لعبرة أي لآية ودلالة على
حكمة خالقها وقدرته ورحمته ولطفه نسقيكم مما في بطونه ، أفردته ههنا عوداً على معنى النعم أو الضمير
عائد على الحيوان فان الانعام حيوانات أي نسقيكم مما في بطن هذا الحيوان ، وفي الآية الاخرى
مما في بطونها ويجوز هذا وهذا كما في قوله تعالى (كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره) وفي قوله تعالى
(واني مرسل اليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون * فلما جاء سليمان) أي المال ، وقوله (من بين فريث
ودم لبنا خالصاً) أي يتخلص الدم بياضه وطعمه وحلاوته من بين فريث ودم في بطن الحيوان فيسري
كل إلى موطنه اذا نضج الغذاء في معدته فيصرف منه دم إلى العروق وابن إلى الضرع وبول الى
المثانة وروث الى المخرج وكل منها لا يشوب الاخر ولا يمازجه بعد انفصاله عنه ولا يتغير به ، وقوله
(لبنا خالصاً سائغاً للشاربين) أي لا يفسد به أحد ، ولما ذكر الابلن وأنه تعالى جعله شراباً للناس سائغاً
ثني بذكر ما يتخذ النعام من الاشربة من ثمرات النخيل والاعناب وما كانوا يصنعون من النبيذ
المسكر قبل تحريمه ، ولهذا امتن به عليهم فقال (ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكراً) دل
على إباحته شرعاً قبل تحريمه ودل على التسوية بين المسكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو

نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والباقون بضمها وهما لفتان (مما في بطونه) قال الفراء رد الكناية
إلى النعم ، والنعم والانعام واحد ولفظ النعم مذكر ، قال أبو عبيدة والاختش النعم يذكر ويؤنث فمن
أنث قالعني الجمع ، ومن ذكر فلحكم اللفظ ، قال الكسائي رده إلى « ما » يعني في بطون ما ذكرنا ، وقال
المؤرخ الكناية مردودة إلى البعض والجزء كأنه قال نسقيكم مما في بطونه الابلن إذ ليس لسكها ابن والابلن
فيه مضمر (من بين فريث) وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منه لا يسمى فريثاً (ردم لبنا خالصاً)
من الدم والفريث ليس عليه لون دم ولا رائحة فريث (سائغاً للشاربين) هنيئاً يجري على السهولة في
الحلق ، وقيل انه لم يفسد أحد بالابلن قط ، قال ابن عباس اذا أكلت الدابة العلف واستقر في كرشها
وطحنته كان أسفل الفريث وأوسطه الابلن وأعلاه الدم والكبد مسلطة عليها تقسمها بتقدير الله تعالى
فيجري الدم في العروق والابلن في الضرع ويبقى الفريث كما هو (ومن ثمرات النخيل والاعناب) يعني
ولكم أيضاً عبرة فيما نسقيكم وبرزقكم (من ثمرات النخيل والاعناب) (تتخذون منه) والكناية
في منه عائدة إلى ما محذوف أي ما تتخذون منه (سكرأ ورزقاً حسناً) قال قوم (السكر) الخمر (والرزق
الحسن) الخل والزبيب والنمر والرب ، قالوا وهذا قبل تحريم الخمر وإلى هذا ذهب ابن مسعود وابن
عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد ، وقال الشعبي (السكر) ما شربت (والرزق الحسن) ما أكلت

٦٨ وحي الله للنحل ببناء بيوتها واستخراج قوتها ووصفه غسلها (تفسير ابن كثير والبغوي)

مذهب مالك والشافعي وأحمد وجهور العلماء ، وكذا حكم سائر الاشرية المتخذة من الخنطة والشعير والذرة والعسل كما جاءت السنة بتفصيل ذلك ، وليس هذا موضع بسط ذلك وقال ابن عباس في قوله (سكرًا ورزقًا حسنًا) السكر ما حرم من ثمريهما والرزق الحسن ما أحل من ثمريهما وفي رواية السكر حرامه والرزق الحسن حلاله يعني ما يبس منهم ما من تمر وزبيب وما عمل منهما من طلاء وهو الدبس وخل ونبذ حلال يشرب قبل أن يشتد كما وردت السنة بذلك (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون) ناسب ذكر العقل ههنا فإنه أشرف ما في الانسان ولهذا حرم الله على هذه الامة الاشرية المسكرة صيانة لعقولها قال الله تعالى (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب ونجرنا فيها من العيون لياكلوا من ثمرة وما عملته أيديهم أفلا يشكرون * سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وأوحى ربك الى النحل ان اتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون (٦٨)

ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذلًا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان في ذلك لآية لقوم يتفكرون (٦٩)

المراد بالوحي هنا الالهام والهداية والارشاد للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتًا تأوي اليها ، ومن الشجر ومما يعرشون ثم هي محكمة في غاية الاتقان في تسديسها وحرصها بحيث لا يكون في بيتها خلل ثم أذن لها تعالى إذنا قدرها تسخيرها أن تأكل من كل الثمرات ، وأن تسلك الطرق التي جعلها الله تعالى مذلة لها أي مسهلة عليها حيث شاءت من هذا الجو العظيم والبراري الشاسعة والادوية والجبال الشاهقة ثم تعود كل واحدة منها إلى بيتها لا تحيد عنه بمنه ولا بسره بل إلى بيتها ومالها فيه من فراخ وعسل فتبني الشمع من أجنتها وتقي العسل من فيها وتبيض الفراخ من دبرها ثم تصبح إلى مراعيها وقال قتادة وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم (فاسلكي سبل ربك ذلًا) أي مطبعة فجعله حلالًا من السالكة

وروى العوفي عن ابن عباس أن السكر هو الخل بلغة الحبشة ، وقال بعضهم (السكر) النبيذ المسكر وهو قيعم التمر والزبيب اذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيع شرب النبيذ ، ومن حرم يقول المراد من الآية الاخبار لا الاحلال ، وأولى الاقاويل أن قوله (تتخذون منه سكرًا) منسوخ ، روي عن ابن عباس قال (السكر) ما حرم من ثمرها (والرزق الحسن) ما أحل . وقال أبو عبيدة (السكر) الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم (إن في ذلك لآية لقوم يعقلون *) وأوحى ربك إلى النحل (أي ألهما وقذف في أنفسها ففهمته والنحل زناير العسل واحدها نحلة) (أن اتخذ من الجبال بيوتًا ومن الشجر ومما يعرشون) يبنون وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الاماكن فهي تأوي اليها ، قال ابن زيد هي الكروم قوله (ثم كلي من كل الثمرات) ليس معنى الكل العموم وهو كقوله تعالى (وأوتيت من كل

قال ابن زيد وهو كقول الله تعالى (وذللناها لهم ففنها ركوبهم ومنها يأكلون) قال : ألا ترى أنهم ينقلون النحل بيوتهم من بلد إلى بلد وهو بصحبهم . والقول الاول هو الاظهر وهو انه حال من الطريق أي فأسلكيها مذلة لك نص عليه مجاهد ، وقال ابن جرير كلا القولين صحيح ، وقد قال أبو يعلى الموصلي حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا مكين بن عبدالعزيز عن أبيه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « عمر الذباب أربعون يوما ، والذباب كله في النار إلا النحل » وقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) ما بين أبيض وأصفر وأحمر وغير ذلك من الألوان الحسنة على اختلاف مراعيها وما كلفها منها

وقوله (فيه شفاء للناس) أي في العسل شفاء للناس أي من أدواء تعرض لهم قال بعض من تكلم على الطب النبوي لوقال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء . ولكن قال فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فانه حار والشيء يداوى بضده ، وقال مجاهد وابن جرير في قوله (فيه شفاء للناس) يعني القرآن وهذا قول صحيح في نفسه ولكن ليس هو الظاهر ههنا من سياق الآية فان الآية إنما ذكر فيها العسل ولم يتابع مجاهد على قوله ههنا وإنما الذي قاله ذكره في قوله تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)

وقوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) والدليل على أن المراد بقوله تعالى (فيه شفاء للناس) هو العسل الحديث الذي رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من رواية قتادة عن أبي المتوكل علي بن داود الناجي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال ان أخي استطلق بطنه فقال « اسقه عسلا » فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله سقيته عسلا فزاده إلا استطلاقا قال « اذهب فاسقه عسلا » فذهب فسقاه عسلا ثم جاء فقال يا رسول الله مازاده إلا استطلاقا فقال رسول الله ﷺ « صدق الله وكذب بطن أخيك اذهب فاسقه عسلا » فذهب فسقاه عسلا فبرى . قال بعض العلماء بالطب كان هذا الرجل عنده فضلات فلما سقاه عسلا وهو حار تحللت فامرعت في الاندفاع فزاده اسهالا فاعتقد الاعرابي أن هذا يضره وهو مصلحة لأخيه ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ثم سقاه فكذلك فلما اندفعت الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت

شيء .) (فأسلكي سبل ربك) فادخلي طرق ربك (ذللا) قيل هي نعمت الطرق يقول هي مذلة للنحل سهلة المسالك ، قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان سلكته ، وقال آخرون الذلل نعمت النحل أي مطيعة متقادة بالتسخير يقال ان أربابها ينقلونها من مكان إلى مكان ولها يعسوب اذا وقف وقفت واذا سار سارت (يخرج من بطونها شراب) يعني العسل (مختلف ألوانه) أبيض وأحمر وأصفر (فيه شفاء للناس) أي في العسل ، وقال مجاهد أي في القرآن والاول أولى

١٠ ثبت عند اطباء هذا العصر ان استطلاق البطن سببه الغالب فساد في الامعاء وأن العسل مطهر ومزيل لهذا الفساد وامثاله وان السكر بنفسه يفسد في البطن بخلاف العسل ثبت معنى الحديث في شمول الشفاء لما ذكر بطريقة علمية قطعية

الاسقام والآلام ببركة إشارته عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام^(١) وفي الصحيحين من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يعجبه الحلواء والعسل هذا لفظ البخاري . وفي صحيح البخاري من حديث سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشفاء في ثلاثة ، في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار وإنه يمتي عن السكي » وقال البخاري حدثنا أبو نعيم حدثنا عبد الرحمن بن الفضيل عن عاصم بن عمر بن قتادة سمعت جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان كان في شي . من ادويتكم أو يكون في شي . من ادويتكم خير : ففي شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو لدعة بنار توافق الداء وما أحب أن اكتبوي » ورواه مسلم من حديث عاصم بن عمر بن قتادة عن جابر به . وقال الامام أحمد حدثنا علي بن اسحاق أنبأنا عبد الله ، أنبأنا سعيد بن أيوب ، حدثنا عبد الله بن الوليد عن أبي الخير عن عقبة بن عامر الجهني قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث ان كان في شي . شفاء : فشرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية نصيب ألما وأنا أكره السكي ولا أحبه » ورواه الطبراني عن هرون بن سلول المصري عن أبي عبد الرحمن المقرئ عن عبد الله بن الوليد به . ولفظه « ان كان في شي . شفاء : فشرطة محجم » وذكره وهذا اسناد صحيح ولم يخرجوه . وقال الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في سننه حدثنا علي بن سلمة هو الثعلبي ، حدثنا زيد بن حباب ، حدثنا سفيان عن أبي اسحاق ، عن أبي الاحوص ، عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « عليكم بالشفاء من العسل والقرآن » وهذا اسناد جيد تفرد باخراجه ابن ماجه مرفوعا وقد رواه ابن جرير عن سفيان هو الثوري به موقوفا وهو أشبه . وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : اذا أراد أحدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله في صحيفة وليفسلها بآء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا فليشربه كذلك فانه شفاء . أي من وجوه قال الله تعالى ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين وقال (وانزلنا من السماء ماء مباركا) وقال (فان طبن اكم عن شي . منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا) وقال في العسل (فيه شفاء للناس) وقال ابن ماجه أيضا : حدثنا محمود بن خداش حدثنا سعيد بن زكريا القرشي حدثنا الزبير بن سعيد الهاشمي عن عبد الحميد بن سالم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من لعق العسل ثلاث غدوات في كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء »

أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر ثنا عبد الغافر بن محمد ثنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن المثنى أنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : إن أخي استطلق بطنه ، فقال رسول الله ﷺ « اسقه عسلا » فسقاه ، ثم جاء فقال إني سقيته فلم يزد إلا استطلاقا ، فقال النبي ﷺ له ثلاث مرات ثم جاء الرابعة فقال « اسقه عسلا » فل قد سقيته فلم يزد إلا استطلاقا ، فقال

الزبير بن سعيد متروك ، وقال ابن ماجه أيضا حدثنا ابراهيم بن محمد بن يوسف بن سرح الفريابي حدثنا عمرو بن بكير السكسكي ، حدثنا ابراهيم بن أبي عبلة سمعت ابا ابي بن أم حرام وكان قد صلى القبليتين يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « عليكم بالسنة والسنة فان فيهما شفاء من كل داء إلا السام » قيل يا رسول الله وما السام ؟ قال « الموت » قال عمرو قال ابن أبي عبلة السنوات الشبت وقال آخرون بل هو العسل الذي في زقاق السمن وهو قول الشاعر

هم السمن بالسنوات لا ليس فيهم وهم يمنعون الجار أن يتفردا

كذا رواه ابن ماجه ، وقوله لا لبس فيهم أي لا خلط وقوله يمنعون الجار أن يقردا أي يضطهدو بظلم وقوله (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) أي إن في الهام لله هذه الدواب الضعيفة الحلقة الى السلوك في هذه المهامه والاجتناء من سائر الثمار ثم جمعها للشمع والعسل وهو من أطيب الاشياء لآية لقوم يتفكرون في عظمة خالقها ومقدرها ومسخرها وميسرها فيستدلون بذلك على أنه الفاعل القادر الحكيم الكريم الرحيم

والله خلقكم ثم يتوفىكم ومنكم من يرد الى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئا إن

الله عليم قدير (٧٠)

يخبر تعالى عن تصرفه في عبادته وأنه هو الذي أنشأهم من العدم ثم بعد ذلك يتوفاهم ومنهم من يتركه حتى يدركه الهرم وهو الضعف في الحلقة كما قال الله تعالى (الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة) الآية وقد روي عن علي رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وفي هذا السن يحصل له ضعف القوى والخرف وسوء الحفظ وقلة العلم ولهذا قال (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) أي بعد ما كان عالما أصبح لا يدري شيئا من الغنى والخرف ولهذا روى البخاري عند تفسير هذه الآية : حدثنا موسى

رسول الله ﷺ « صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا » فسقاه فبرا قال عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء ، والقرآن شفاء لما في الصدور ، وروي عنه أنه قال : عليكم بالشفاء بين القرآن والعسل (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) فيعتبرون

قوله تعالى (والله خلقكم ثم يتوفىكم) صبياننا أو شبانا أو كهولا (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أردته ، قال مقاتل يعني الهرم ، قال قتادة أرذل العمر تسعون سنة ، روي عن علي قال أرذل العمر خمس وسبعون سنة ، وقيل ثمانون سنة (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) لكيلا يعقل بعد عقله الاول شيئا (إن الله عليم قدير) أخبرنا عبد الواحد المليحي ثنا أحمد النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا موسى بن اسماعيل ثنا هارون بن موسى ثنا أبو عبد الله الاور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو « أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة الحيا والممات »

ابن اسماعيل ، حدثنا هرون بن موسى أبو عبد الله الأعور عن شعيب عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان يدعو « أعوذ بك من البخل والكسل والمهرم وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والمات » وقال زهير بن أبي سلمة في معلقته المشهورة

سمعت تكاليف الحياة ومن بعش ثمانين عاما لا أبالك بسام
رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطيء يعمر فيهرم

والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضّلوا برادي رزقهم على

ما ملكت أيديهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يمجّدون (٧١)

يبين تعالى للمشرّكين جهلهم وكفرهم فيما زعموه لله من الشركاء وهم يعترفون أنها عبيد له كانوا يقولون في تلييتهم في حجهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك . فقال تعالى منكراً عليهم أنتم لا ترضون أن تساوا عبيدكم فيما رزقناكم فكيف يرضى هو تعالى بمساواة عبيد له في الالهية والتعظيم كما قال في الآية الأخرى (ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيديكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) الآية قال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية يقول لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في أموالهم ونسائهم فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني فذلك قوله (أفبنعمة الله يمجّدون) وقال في الرواية الأخرى عنه فكيف ترضون لي مالا ترضون لأنفسكم ، وقال مجاهد في هذه الآية هذا مثل الآلهة الباطلة ، وقال قتادة هذا مثل ضربه الله فهل منكم من أحد يشاركه مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده فإن لم يرض لنفسك هذا قاله أحق أن ينزهه منك وقوله (أفبنعمة الله يمجّدون) أي إنهم جعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فمجّدوا نعمته وأشركوا معه غيره ، وعن الحسن البصري قال كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الرسالة إلى أبي موسى الأشعري : واقنع برزقك من الدنيا فإن الزحمة فضل بعض عباده على بعض في الرزق بلا يبتلي به كلاً فيبتلي من بسط له كيف شكره لله وأداؤه الحق الذي اقترض عليه فيما رزقه وخوله . رواه ابن أبي حاتم

قوله « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » بسط على واحد وضيق على الآخر وقلل وكثر « فما الذين فضّلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيديهم » من العبيد « فهم فيه سواء » أي حتى يستوا هم وعبيدهم في ذلك ، يقول الله تعالى لا يرضون أن يكونوا هم وماليتكم فيما رزقهم الله سواء وقد جعلوا عبيدي شركائي في ملكي وسلطاني يلزم به الحجة على المشرّكين ، قال قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل فهل منكم أحد يشركه مملوكه في زوجته وفراشه وماله فتعدلون بالله خلقه وعباده « أفبنعمة الله يمجّدون » بالاشراك به وقرأ أبو بكر بالتاء كقوله (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) والآخرين بالياء لقوله (فهم فيه سواء)

(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم

من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون (٧٢)

يذكر تعالى نعمة على عبده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم ، ولو جعل الأزواج من نوع آخر ما حصل الائتلاف والمودة والرحمة ، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا وإناثا وجعل الاناث أزواجا للذكور ، ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة وهم أولاد البنين قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك وابن زيد . قال شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بنين وحفدة هم الولد وولد الولد . وقال سنيذ حدثنا حجاج عن أبي بكر عن عكرمة عن ابن عباس قال بنوك حيث يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . قال جميل :

حفد الولائد حولن وأسملت * بأ كفهن أزيمة الاجمال

وقال مجاهد : بنين وحفدة ابنه وخادمه . وقال في رواية : الحفدة الانصار والاعوان والخدام ، وقال طاوس وغير واحد : الحفدة الخدم . وكذا قال قتادة وأبو مالك والحسن البصري . وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحكم بن أبان عن عكرمة أنه قال : الحفدة من خدمك من ولدك وولد ولدك ، قال الضحاك : إنما كانت العرب تخدمها بنوها . وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) يقول بنو امرأة الرجل ليسوامنه . ويقال الحفدة الرجل يعمل بين يدي الرجل . يقال فلان يحفد لنا أي يعمل لنا قال وزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل ، وهذا الأخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ومسروق وأبو الضحى وإبراهيم النخعي وسعيد بن جبير ومجاهد والقرظي ، ورواه عكرمة عن ابن عباس . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هم الاصهار . قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى الحفدة وهو الخدمة الذي منه قوله في القنوت : واليك نسعى ونحفد ، ولما كانت الخدمة قد تكون من الاولاد والخدم والاصهار فالتعريف بهذا كله ولهذا قال (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) [قلت] فمن جعل (وحفدة) متعلقا بأزواجكم فلا بد أن يكون المراد

قوله تعالى ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ﴾ يعني النساء خلق من آدم زوجته حواء وقيل (من أنفسكم) أي من جنسكم أزواجا ﴿ وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ﴾ قال ابن مسعود والنخعي الحفدة أختان الرجل على بناته ، وعن ابن مسعود أيضا أنهم الاصهار فيكون معنى الآية على هذا القول وجعل لكم من أزواجكم بنين وبنات تزوجنهم فيحصل بسببهم من الاختان والاصهار ، وقال عكرمة والحسن والضحاك هم الخدم ، قال مجاهد هم الاعوان من أعانك فقد حفدك ، وقال عطاء ، هم ولد ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه ، وقال قتادة مهنة تمتنونهم ويخدمونكم من أولادكم ، قال الكلبي ومقاتل البنين الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينونه على عمله ، وروى مجاهد وسعيد بن

الاولاد والاولاد والاولاد والاصهار لانهم أزواج البنات أو اولاد الزوجة . وكذا قال الشعبي والضحاك فانهم يكونون غالباً تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته ، وقد يكون هذا هو المراد من قوله عليه الصلاة والسلام في حديث نضرة بن أكنم « والولد عبد لك » رواه أبو داود . وأما من جعل الحفدة الخدم فعنده انه معطوف على قوله (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي جعل لكم الأزواج والاولاد خدما . وقوله (ورزقكم من الطيبات) أي من المطاعم والمشارب . ثم قال تعالى منكراً على من أشرك في عبادة المنعم غيره (أفبالباطل يؤمنون) وهم الانداد والاصنام (وبنعمة الله هم يكفرون) أي يسترون نعم الله عليهم وبضيئفونها إلى غيره . وفي الحديث الصحيح « ان الله يقول لعبد يوم القيامة ممثنا عليه ألم أزوجك ألم أكرمك ألم أسخر لك الخيل والابل وأدرك رأس وربع ؟ »

(ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون) (٧٣)

فلا تضربوا لله الامثال ، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون (٧٤)

يقول تعالى إخباراً عن المشركين الذين عبدوا معه غيره معاً ، هو المنعم المتفضل الخالق الرازق وحده لا شريك له ومع هذا يعبدون من دونه من الاصنام والانداد والاولاد مالا يملك لهم رزقاً من السموات والارض شيئاً أي لا يقدر على انزال مطر ولا إنبات زرع ولا شجر ولا يملكون ذلك لأنفسهم أي ليس لهم ذلك ولا يقدرون عليه لو أرادوه ولهذا قال تعالى (فلا تضربوا لله الامثال) أي لا نجعلوا له أنداداً وأشباهاً أمثالا (ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون) أي انه يعلم ويشهد انه لا إله الا هو وأنتم تجهلون بشرككم به غيره (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقته منا رزقاً حسناً فهو ينفق)

جبير عن ابن عباس أنهم ولد الولد ، وروى العوفي عنه أنهم بنو امرأة الرجل ليسوا منه ﴿ ورزقكم من الطيبات ﴾ من النعم الحلال ﴿ أفبالباطل ﴾ يعني الاصنام ﴿ يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون ؟ ﴾ يعني التوحيد والاسلام ، وقيل الباطل الشيطان أمرهم بتحريم البحيرة والسائبة (وبنعمة الله) أي بما أحل الله لهم (يكفرون) يجحدون تحليه

قوله ﴿ ويعبدون من دون الله مالا يملك لهم رزقاً من السموات ﴾ يعني المطر ﴿ والارض ﴾ يعني النبات ﴿ شيئاً ﴾ قال الاخفش هو بدل من الرزق معناه أنهم لا يملكون من أمر الرزق شيئاً قليلاً ولا كثيراً ، وقال الفراء نصب شيئاً بوقوع الرزق عليه أي لا يبرز شيئاً ﴿ ولا يستطيعون ﴾ ولا يقدرعون على شيء . يذكر عجز الاصنام عن إيصال نفع أو دفع ضرر ﴿ فلا تضربوا لله الامثال ﴾ يعني الاشياء فتشبهونه بخلقه ونجعلون له شريكاً فانه واحد لا مثل له ﴿ إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ خطأ ما تضربون من الامثال ، ثم ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال جل ذكره

﴿ ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ﴾ هذا مثل الكافر رزقه الله مالا فلم يقدر فيه

منه سرّاً وجهرّاً هل يستوون؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون (٧٥)

قال العوفي عن ابن عباس: هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير فالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سرّاً وجهرّاً هو المؤمن. وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: هو مثل مضروب الوثن والحق تعالى فهل يستوي هذا وهذا؟ ولما كان الفرق بينهما ظاهراً واضحاً يئناً لا يجهله إلا كل غبي قال الله تعالى (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون)

(و ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كسلٌّ على مولاه أينما

يوجهه لا يأت بخير، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم؟ (٧٦)

قال مجاهد وهذا أيضاً المراد به الوثن والحق تعالى، يعني أن الوثن أبكم لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا بشيء ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال وهو مع هذا كل أي عيال وكلفة على مولاه (أينما يوجهه) أي يبعثه لا يأت بخير ولا ينجح سماعه (هل يستوي) من هذه صفاته (ومن يأمر بالعدل) أي بالقسط فمقاله حق وفعاله مستقيمة (وهو على صراط مستقيم) وبهذا قال السدي و قتادة وعطاء الخراساني واختار هذا القول ابن جرير، وقال العوفي عن ابن عباس هو مثل للكافر والمؤمن أيضاً كما تقدم، وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن الصباح البزار حدثنا يحيى بن إسحاق السالحي حدثنا حماد حدثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إبراهيم عن عكرمة عن يعلى بن أمية عن ابن عباس في قوله (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء) قال نزلت في رجل من قريش وعنده يعني

خيراً (ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سرّاً وجهرّاً) هذا مثل المؤمن أعطاه الله ما لا نعمل فيه بطاعة الله وأنفقه في رضا الله سرّاً وجهرّاً فأثابه الله عليه الجنة (هل يستوون) ولم يقل هل يستويان لمكان من وهو اسم يصلح للواحد والاثنتين والجمع، وكذلك قوله (لا يستطيعون) بالجمع لأجل من. معناه هل يستوي هذا الفقير البخل والغني السخي؟ كذلك لا يستوي الكافر العاصي والمؤمن المطيع، وروى ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى (عبداً مملوكاً) أي أبو جهل بن هشام (ومن رزقناه منا رزقاً حسناً) أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم قال (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) يقول ليس الأمر كما يقولون ما لا يؤمنون عندهم من يد ولا معروف فتعبد عليه إنما الحمد الكامل لله عز وجل لانه المنعم والخالق والرازق ولكن أكثر الكفار لا يعلمون ثم ضرب مثلاً للاصنام فقال

(و ضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه) كل ثقل ووبال (على مولاه) ابن عمه وأهل ولايته (أينما يوجهه) يرسله (لا يأت بخير) لأنه لا يفهم ما يقال له ولا يفهم عنه هذا مثل الاصنام لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهو كل على مولاه عابده يحتاج إلى أن يحمله ويضعه ويخدمه (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) يعني الله فإنه قادر متكلم يأمر بالتوحيد (وهو على صراط مستقيم) قال السكبي يعني يدلكم على صراط مستقيم، وقيل هو رسول الله ﷺ يأمر

قوله (عبدًا مملوكًا) الآية وفي قوله (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم - إلى قوله - وهو على صراط مستقيم) قال هو عثمان بن عفان، قال والابكم الذي أبنا بوجهه لا يأت بخير قال هو مولى لعثمان ابن عفان كان عثمان ينفق عليه ويكافئه ويكفيه المؤونة وكان الآخر يكره الاسلام ويأباه وينهأه عن الصدقة والمعروف فنزلت فيهما

ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير (٧٧) والله أخرجكم من بطون أمهتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون (٧٨) ألم يروا إلى الطائر مستخرت في جوف السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيت لقوم يؤمنون (٧٩)

ينبغي تعالى عن كمال علمه وقدرته على الاشياء في علمه غيب السموات والارض واختصاصه بعلم الغيب فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه تعالى على ما يشاء وفي قدرته التامة التي لا تخالف ولا تمنع وأنه اذا أراد شيئاً فانما يقول له كن فيكون كما قال (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أي فيكون ما يريد كطرف العين وهكذا قال ههنا (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير) كما قال (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) ثم ذكر تعالى منته على عباده في إخراجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئاً ثم بعد هذا برزهم السمع الذي به يدركون الاصوات والابصار التي بها يحسون المراتب والافئدة وهي العقول التي مركزها القلب على الصحيح وقيل الدماغ والعقل به يميز بين الاشياء ضارها ونافعها وهذه القوى والحواس تحصل للانسان على التدريج قليلا قليلا كلما كبر زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشده . وانما جعل تعالى هذه في الانسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارية وعضو وقوة على طاعة مولاه كما جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ انه قال « يقول تعالى من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أفضل من أداء ما اقترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب

بالعدل وهو على صراط مستقيم ، وقيل كلا المثلين للمؤمن والكافر يرويه عطية عن ابن عباس قال عطاء : الأبك أبو بن خلف ، ومن يأمر بالعدل حمزة وعثمان بن عفان وعثمان بن مظعون، وقال مقاتل نزلت في هاشم بن عمرو بن الحارث بن ربيعة القرشي وكان قليل الخير بعادي رسول الله ﷺ . وقيل نزلت في عثمان بن عفان ومولاه كان عثمان ينفق عليه وكان مولاه يكره الاسلام قوله ﴿ ولله غيب السموات والارض وما أمر الساعة ﴾ في قرب كونها ﴿ إلا كلمح البصر ﴾ اذا قال له كن فيكون ﴿ أو هو أقرب ﴾ بل هو أقرب ﴿ إن الله على كل شيء قدير ﴾ نزلت في الكفار

إليّ بالتواقل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن دعاني لأجيبه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» فعنى الحديث ان العبد اذا أخلص الطاعة صارت أفعاله كلها لله عز وجل فلا يسمع إلا الله ولا يبصر إلا الله أي ما شرعه الله له ولا يبطش ولا يمشي إلا في طاعة الله عز وجل مستعيناً بالله في ذلك كله ، ولهذا جاء في بعض رواية الحديث في غير الصحيح بعد قوله ورجله التي يمشي بها « في يسمع وبني يبصر وبني يبطش وبني يمشي » ولهذا قال تعالى (وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون) كقوله تعالى في الآية الأخرى (قل هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون ، قل هو الذي ذرأكم في الارض واليه تحشرون) ثم نبه تعالى عباده الى النظر الى الطير المسخر بين السماء والارض كيف جعله بطير يجناحين بين السماء والارض في جو السماء ما يمكنه هناك الا الله بقدرته تعالى التي جعل فيها قوى تفعل ذلك ، وسخر الهواء يحملها ويسير الطير كذلك كما قال تعالى في سورة الملك (أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يسكنن الا الرحمن انه بكل شيء بصير) وقال ههنا (ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون)

والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ، ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثثاً ومتنماً الى حين (٨٠) والله

الذين يستعجلون القيامة استهزاء ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ﴾ قرأ الكسائي بطون وبيوت أمهاتكم بكسر الهمزة ، وقرأ حمزة بكسر الميم والهمزة ، والباقون بضم الهمزة وفتح الميم ﴿ لا تعلمون شيئاً ﴾ ثم الكلام ثم ابتداء فقال جل وعلا ﴿ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة ﴾ لان الله تعالى جعل هذه الاشياء لهم قبل الخروج من بطون الامهات ، وانما أعطاهم العلم بعد الخروج ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ نعمه من كون السمع والابصار والافئدة قبل الخروج اذ يسمع الطفل ويبصر ولا يعلم وهذه الجوارح من غير هذه الصفات كاللعدوم كما قال فيمن لا يسمع الحق ، ولا يبصر العبر ، ولا يعقل الثواب (صم بكم عي فهم لا يرجعون) لا يشكرون نعمه

﴿ ألم يروا ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة ويعقوب بالياء والباقون بالياء لقوله (ويعبدون) ﴿ الى الطير مسخرات ﴾ مذلات ﴿ في جو السماء ﴾ وهو الهوى بين السماء والارض روي عن كعب الاحبار أن الطير ترفع اثني عشر ميلاً ولا ترفع فوق هذا رفوف الجو السكك رفوف السكك السماء ﴿ ما يسكنن ﴾ في الهواء إلا الله ، إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * والله جعل لكم من بيوتكم ﴿ التي هي من الحجر والمدر ﴾ سكناً أي مسكناً تسكنونه ﴿ وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا ﴾ يعني الخيام

جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكنناً وجعل لكم سراييل تقيكم الحر
وسراييل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون (٨١) فان تولوا فانما عليك
البلغ المبين (٨٢) يمر فون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثروا الكافرون (٨٣)

يذكر تبارك وتعالى تمام نعمه على عبده بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم بأوون اليها
ويستترون بها وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع ، وجعل لهم أيضاً من جلود الانعام بيوتا أي من
الأدم يستخفون حملها في أسفارهم ليضربوها لهم في اقامتهم في السفر والحضر ، ولهذا قال (تستخفونها يوم
ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها) أي الغنم (وأربارها) أي الابل (وأشعارها) أي المعز ، والضمير
عائد على الانعام (أثاثاً) أي تتخذون منه أثاثاً وهو المال وقيل المتاع وقيل الثياب ، والصحيح أعم من
هذا كله فانه يتخذ من الاثاث البسط والثياب وغير ذلك ويتخذ مالا وتجارة ، وقال ابن عباس
الاثاث المتاع وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وعطية العوفي وعطاء الخراساني والضحاك
وقتادة ، وقوله (الى حين) أي الى أجل مسمى ووقت معلوم ، وقوله (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً)
قال قتادة يعني الشجر (وجعل لكم من الجبال أكنناً) أي حصونا ومعاقل كما جعل لكم سراييل تقيكم
الحر وهي الثياب من القطن والكتان والصوف (وسراييل تقيكم بأسكم) كالدرع من الحديد المصفح
والزرد وغير ذلك (كذلك يتم نعمته عليكم) أي هكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم وما
تحتاجون اليه ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته (لعلكم تسلمون) هكذا فسر الجمهور وقرووه

والقبا والابخية والفساطيط من الانطاع والأدم (تستخفونها) أي يخفف عليكم حملها (يوم
ظعنكم) رحلتكم في سفركم قرأ ابن عامر وأهل الكوفة ساكنة العين والآخرون بفتحها وهو أجزل
الفتين (ويوم اقامتكم) في بلدكم لا تنقل عليكم في الحالين (ومن أصوافها وأربارها وأشعارها) يعني
أصواف الضأن وأربار الابل وأشعار المعز والكنيات راجعة الى الانعام (أثاثاً) قال ابن عباس مالا
قال مجاهد متاعاً . قال القتيبي الاثاث المال جميعه من الابل والغنم والعيبد والمتاع ، وقال غيره هو متاع
البيت من الفرش والاكية (ومتاعاً) بلاغا ينتفعون بها (الى حين) يعني الى حين الموت وقيل
الى حين تبلى (والله جعل لكم مما خلق ظلالاً) تستظلون بها من شدة الحر وهي ظلال الابنية
والاشجار (وجعل لكم من الجبال أكنناً) يعني الاسراب والقيران واحداً كن (وجعل لكم
سراييل) قصا من الكتان والقز والقطن والصوف (تقيكم) تمنعكم (الحر) قال أهل المعاني أراد
الحر والبرد اكتفاً . بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسراييل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والبأس
الحر يعني تقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) تخلصون

بكسر اللام من (تسلمون) من الاسلام ، وقال قتادة في قوله (كذلك يتم نعمته عليكم) هذه السورة تسمى سورة النعم ، وقال عبد الله بن المبارك وعباد بن العوام عن حنظلة السدوسي عن شهر ابن حوشب عن ابن عباس انه كان يقرأها (تسلمون) بفتح اللام يعني من الجراح رواه أبو عبيد القاسم بن سلام عن عباد وأخرجه ابن جرير من الوجوه ورد هذه القراءة ، وقال عطاء الخراساني إنما نزل القرآن على قدر معرفة العرب ألا ترى الى قوله تعالى (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا) وما جعل من السهل أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال ألا ترى الى قوله (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين) وما جعل لهم من غير ذلك أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ألا ترى قوله (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) لعجبهم من ذلك وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ولكنهم كانوا لا يعرفونه ألا ترى الى قوله تعالى (سرايل تقيكم الحر) وما بقي من البرد أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر ، وقوله (فان تولوا) أي بعد هذا البيان وهذا الامتنان فلا عليك منهم فانما عليك البلاغ المبين وقد أدبته اليهم (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) أي يعرفون ان الله تعالى هو المسدي اليهم ذلك وهو المتفضل به عليهم ومع هذا ينكرون ذلك ويعبدون معه غيره ويسندون النصر والرزق الى غيره (وأكثرهم الكافرون) كما قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن مجاهد ان اعرابيا أتى النبي ﷺ عليه وسلم فسأله فقرأ عليه رسول الله ﷺ (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) فقال الاعرابي نعم ، قال (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) الآية قال الاعرابي نعم ثم قرأ عليه كل ذلك يقول الاعرابي نعم حتى بلغ (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) فولى الاعرابي فأنزل الله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) الآية

له الطاعة قال عطاء الخراساني إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال (وجعل لكم من الجبال أكنانا) وما جعل لهم من السهل أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال [ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها] لانهم كانوا أصحاب وبر وشعر وكما قال [وينزل من السماء من جبال فيها من برد] وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال [تقيكم الحر] وما بقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر (فان تولوا) فان اعرضوا فلا يلحقك في ذلك عتب ولا سمة تقصير (فانما عليك البلاغ المبين * يعرفون نعمة الله) قال السدي يعني محمداً ﷺ (ثم ينكرونها) يكذبون به وقال قوم هي الاسلام وقال مجاهد وقاتة يعني ما عدهم من النعم في هذه السورة يقولون أنها من الله ثم اذا قيل لهم صدقوا وامثلوا الامر الله فيها ينكرونها فيقولون ورثناها من آبائنا ، وقال الكلبي هو انه لما ذكر لهم هذه النعمة قالوا نعم هذه كلها من الله ولكنها بشفاعه آلهتنا ، وقال عوف بن عبد الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون

ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون (٨٤)
 وإذا رءا الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون (٨٥) وإذا رءا الذين أشركوا
 شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا اليهم القول إنكم
 لكاذبون (٨٦) وألقوا إلى الله يومئذ السلم وصل عنهم ما كانوا يفترون (٨٧) الذين
 كفروا وصعدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً فوق العذاب بما كانوا يفسدون (٨٨)

يخبر تعالى عن شأن المشركين يوم معادهم في الدار الآخرة وأنه يبعث من كل أمة شهيداً وهو
 نبيها يشهد عليها بما أجا به فيها بلغها عن الله تعالى ثم لا يؤذن للذين كفروا أي في الاعتذار لأنهم
 يعلمون بطلانه وكذبه كقوله (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتدون) فهذا قال (ولا هم
 يستعتبون) وإذا رأى الذين ظلموا أي الذين أشركوا العذاب (فلا يخفف عنهم) أي لا يفتقر عنهم
 ساعة واحدة (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخر عنهم بل يأخذهم سريعاً من الموقف بلا حساب فإنه
 إذا جى بهم تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك فيشرف عنق منها على الخلائق
 وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبته فتقول آني وكنت بكل جبار عبيد الذي جعل مع الله إلهاً
 آخر وبكذا وبكذا وتذكر اصنافاً من الناس كجاء في الحديث، ثم تنطوي عليهم وتلتقطهم من الموقف
 كما يلتقط الطائر الحب قال الله تعالى (إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً) وإذا ألقوا
 منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا، لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً
 وقال تعالى (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفاً) وقال تعالى (لو يعلم
 الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون، بل تأتيهم بغتة
 فتبهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون)

قوله عز وجل ﴿ويوم نبعث من كل أمة شهيداً﴾ يعني رسولا ﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾
 في الاعتذار وقيل في الكلام أصلاً ﴿ولا هم يستعتبون﴾ يسترضون يعني لا يكلفون أن يرضوا ربهم
 لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبون. وحقيقة المعنى في الاستعتاب أنه
 التعرض لطلب الرضا وهذا الباب منسد في الآخرة على الكفار ﴿وإذا رأى الذين ظلموا﴾ كفروا
 ﴿العذاب﴾ يعني جهنم ﴿فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون﴾ وإذا رأى الذين أشركوا ﴿يوم القيامة﴾
 ﴿شركاءهم﴾ أو ثنائهم ﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك﴾ أرباباً ونعبد
 ﴿فألقوا﴾ يعني الاثنان ﴿اليهم القول﴾ أي قالوا لهم ﴿إنكم لكاذبون﴾ في تسميتنا آلهة مادعونناكم

ثم أخبر تعالى عن تيري آلهتهم منهم أحوج ما يكونون اليها فقال (وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أي الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شر كلؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول انكم لسكاذبون) أي قالت لهم الآلهة كذبتم ما نحن أمرناكم بعبادتنا كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون ، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاً كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً) وقال الخليل عليه الصلاة والسلام (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض) الآية وقال تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم) الآية ، والآيات في هذا كثيرة وقوله (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) قال قتادة وعكرمة ذلوا واستسلموا يومئذ أي استسلموا لله جميعهم فلا أحد إلا سامع مطيع كقوله تعالى (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا) أي ما أسمعهم وما أبصرهم يومئذ وقال (ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا) الآية وقال (وعنت الوجوه للحي القيوم) أي خضعت وذلت واستكانت وأتابت واستسلمت ، وقوله (وألقوا إلى الله يومئذ السلم وصل عنهم ما كانوا يفترون) أي ذهب واضمحل ما كانوا يعبدونه اقتراء على الله فلا ناصر لهم ولا معين ولا مجير . ثم قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذاباً) الآية أي عذاباً على كفرهم وعذاباً على صدم الناس عن اتباع الحق كقوله تعالى (وهم يبهون عنه وينأون عنه) أي يبهون الناس عن اتباعه ويتعدون هم منه أيضاً (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) وهذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم كما قال تعالى (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) وقد قال الحافظ أبو يعلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله في قول الله (زدناهم عذاباً فوق العذاب) قال زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال . وحدثنا سريج بن يونس حدثنا إبراهيم بن سليمان حدثنا الأعمش عن الحسن بن ابن عباس في الآية أنه قال (زدناهم عذاباً فوق العذاب) قال هي خمسة أنهار تحت العرش يعذبون ببعضها في الليل وبعضها في النهار

إلى عبادتنا (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم ولم تنفع عنهم آلهتهم شيئاً (وصل) زال (عنهم ما كانوا يفترون) من أنها تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) منعوا الناس عن طريق الحق (زدناهم عذاباً فوق العذاب) قال عبد الله عقارب لها أنياب أمثال النخل الطوال وقال سعيد بن جبيرة حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تسع احداً من السمعة بمجد صاحبها حمتها أربعين خريفاً . وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة أنهار من صفر مذاب كالنار تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل إنهم يخرجون من حر النار إلى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير إلى النار مستغيثين بها وقيل

(ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم، وجئنا بك شهيداً على هؤلاء)

ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين (٨٩)

يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمداً ﷺ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء يعني أمتك أي اذكر ذلك اليوم وهو له وما منعك الله فيه من الشرف العظيم والمقام الرفيع وهذه الآية شبيهة بالآية التي انتهى إليها عبد الله بن مسعود حين قرأ على رسول الله ﷺ صدر سورة النساء فلما وصل إلى قوله (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فقال له رسول الله ﷺ «حسبك» فقال ابن مسعود رضي الله عنه فالتفت فاذا عيناه تذرفان وقوله (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء) قال ابن مسعود قد بين لنا في هذا القرآن علم كل شيء، وقال مجاهد كل حلال وكل حرام، وقول ابن مسعود أعم وأشمل فإن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ماضٍ وعلم ماضٍ وكل حلال وحرام وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم ومعاشهم ومعادهم (وهدي) أي للقلوب (ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال الأوزاعي: ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء أي بالسنة ووجه اقتران قوله (ونزلنا عليك الكتاب) مع (وجئنا بك شهيداً على هؤلاء) أن المراد والله أعلم أن الذي فرض عليك تبليغ الكتاب الذي أنزله عليك سائلك عن ذلك يوم القيامة (فلنسلن الذين أرسل اليهم ولنسلن المرسلين - فوريك لنسألكهم أجمعين عما كانوا يعملون - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا أنك أنت علام الغيوب) وقال تعالى (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي أن الذي أوجب عليك تبليغ القرآن لرادك إليه ومعبدك يوم القيامة وسألك عن أداء ما فرض عليك هذا أحد الأقوال وهو متجه حسن

إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتائي ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى

يعظكم لعلكم تذكرون (٩٠)

ينحبر تعالى أنه يأمر عباده بالعدل وهو القسط والموازنة ويندب إلى الإحسان كقوله تعالى (وإن

يضاعف لهم العذاب بما كانوا يفسدون) في الدنيا بالكفر وصد الناس عن الإيمان (ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم) يعني نبيها لأن الأنبياء كانت تبعث إلى الأمم منها (وجئنا بك) يا محمد (شهيداً على هؤلاء) الذين بعثت إليهم (ونزلنا عليك الكتاب تبياناً) بياناً (لكل شيء) يحتاج إليه من الأمر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام (وهدي) من الضلالة (ورحمة وبشرى) بشارة (للمسلمين) إن الله يأمر بالعدل (بالانصاف) (والإحسان) إلى الناس وعن

عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) وقوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله) وقال (والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له) الى غير ذلك من الآيات الدالة على شريعة العدل والتدب إلى الفضل . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : (إن الله يأمر بالعدل) قال شهادة أن لا إله إلا الله ، وقال سفيان بن عيينة العدل في هذا الموضع هو استواء السريرة والعلانية من كل عامل لله عملا والاحسان أن تكون سريرة أحسن من علانيته والفضاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقوله (وإيتاء ذي القربى) أي يأمر بصلة الأرحام كما قال (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) وقوله (وينهى عن الفحشاء والمنكر) قالوا أحش المحرمات والمنكرات مآظير منها من فاعلها ، ولهذا قال في الموضع الآخر قل إنما حرم ربي الفواحش مآظير منها وما بطن ، وأما البغي فهو العدوان على الناس ، وقد جاء في الحديث « مامن ذنب أجدر أن يجعل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم » وقوله (يعظكم) أي يأمركم بما يأمركم به من الخير وينهاكم عما ينهاكم عنه من الشر (لعلكم تذكرون) وقال الشعبي عن بشير بن نهيك سمعت ابن مسعود يقول : إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية رواه ابن جرير ، وقال سعيد عن قتادة قوله إن الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ليس من خلق حسن كل أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به وليس من خلق سيئ كانوا يتعابرونه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه وإنما نهى عن سفاسف الاخلاق ومذامها (قلت) ولهذا جاء في الحديث « إن الله يحب معالي الاخلاق ويكره سفاسفها » وقال الحافظ ابو نعيم في كتاب معرفة الصحابة حدثنا ابو بكر محمد بن الفتح الحنبلي حدثنا يحيى بن محمد مولى بني هاشم حدثنا الحسن بن داود المنكدر حدثنا عمر بن علي المقدمي عن علي بن عبد الملك ابن عمير عن أبيه قال : بلغ أكرم بن صبيح مخرج النبي ﷺ فأراد أن يأتيه فأبى قومه أن يدعوه وقالوا : أنت كبير نالم تكن لتخف اليه قال فليأت من يبلغه عني ويلفني عنه فانتدب دجلان فأتيا النبي ﷺ فقالا نحن رسل أكرم بن صبيح وهو يسألك من أنت وما أنت ؟ فقال النبي ﷺ « أما من أنا فأنا محمد بن عبد الله ، وأما ما أنا فانا عبد الله ورسوله » قال ثم تلا عليهم هذه الآية (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية قالوا ردد علينا هذا القول فردده عليهم حتى حفظوه فأتيا أكرم فقالا إني

ابن عباس العدل التوحيد والاحسان أداء الفرائض وعنه أيضا الاحسان الاخلاص في التوحيد وذلك معنى قول النبي ﷺ « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وقال مقاتل العدل التوحيد والاحسان العفو عن الناس (وإيتاء ذي القربى) صلة الرحم (وينهى عن الفحشاء) ما قبح من القول والفعل وقال ابن عباس الزنا (والمنكر) مالا يعرف في شريعة ولا سنة (والبغي) السكبر والظلم وقال ابن عيينة العدل استواء السر والعلانية والاحسان أن تكون سريرة أحسن من علانيته والفضاء

أن يرفع نسبه فسالنا عن نسبه فوجدناه زاكى النسب وسطا في مضر وقد روى الينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعنا أكرم قال : إني أراه يأمر بكارم الاخلاق وينهى عن ملائها فكونوا في هذا الامر رءوسا ولا تكونوا فيه أذنابا ، وقد ورد في نزولها حديث حسن رواه الامام احمد : حدثنا ابو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثني عبد الله بن عباس قال بينما رسول الله ﷺ بغناء بينه جالس اذ مر به عثمان بن مظعون فكشر إلى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « ألا تجلس ؟ » فقال بلى قال فجلس رسول الله ﷺ مستقبلا فيهما هو يحذنه اذ شخص رسول الله ﷺ يبصره إلى السماء فنظر ساعة إلى السماء فأخذ يضع بصره حتى وضعه على يمينه في الارض فتحرف رسول الله ﷺ عن جلوسه عثمان الى حيث وضع بصره فأخذ ينفض رأسه كأنه يستفقه ما يقال له وابن مظعون ينظر فلما قضى حاجته واستفقه ما يقال له شخص بصر رسول الله ﷺ الى السماء كما شخص أول مرة فاتبعه بصره حتى توارى الى السماء فأقبل الى عثمان بجالسته الاولى فقال : يا محمد فيما كنت أجالسك ما رأيتك تفعل كفعلك القداة فقال « وما رأيتني فعلت ؟ » قال رأيتك شخص بصرك الى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فتحرفت اليه وتركتني فأخذت تنفض رأسك كأنك تستفقه شيئا يقال لك . قال « وفطنت لذلك ؟ » فقال عثمان نعم قال رسول الله ﷺ « أتاني رسول الله ﷺ وأنا أنت جالس » قال رسول الله ﷺ قال « نعم » قال فما قال لك ؟ قال « ان الله يأمر بالعدل والاحسان » الآية قال عثمان فذلك حين استقر الايمان في قلبي وأحببت محمدا ﷺ اسناد جيد متصل حسن قد بين فيه السماع المتصل ورواه ابن أبي حاتم من حديث عبد الحميد بن بهرام مختصرا

﴿ حديث آخر عن عثمان بن أبي العاص الثقفي في ذلك ﴾ قال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا هذيم عن ليث عن شهر بن حوشب عن عثمان بن أبي العاص قال : كنت عند رسول الله ﷺ جالسا إذ شخص بصره فقال « أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية بهذا الموضع من هذه السورة (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) الآية وهذا إسناد لا بأس به ولعله عند شهر بن حوشب من الوجهين والله أعلم

(وأوفوا بعهد الله إذا عهدتهم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعل الله عليكم كفيلا ، إن الله يعلم ما تفعلون) (٩١) ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكثا

والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريره ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ لعلكم تعظون قال ابن مسعود أجمع آية في القرآن هذه الآية . وقال أيوب عن عكرمة أن النبي ﷺ قرأ على الوليد (إن الله يأمر بالعدل) الى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد فعاد عليه فقال ان له والله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وما هو بقول البشر قوله تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عهدتهم ﴾ والعهد ههنا هو اليمين قال الشعبي العهد يمين وكفارته

تتخذون أيمانكم دَخَلًا بينكم أن تكون أمة هي أربى من أمة ، إنما يبلوكم الله به ، وليبين
لكم يوم القيمة ما كنتم فيه تختلفون (٩٢)

هذا مما يأمر الله تعالى به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان المؤكدة ولهذا قال
(ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) ولا تعارض بين هذا وبين قوله (ولا يجعلوا الله عرضة لأيمانكم)
الآية وبين قوله تعالى (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم) أي لا تتركوها بلا كفارة
وبين قوله عليه السلام فيما ثبت عنه في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام قال « اني والله إن شاء الله
لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا أتيت الذي هو خير وتحللها - وفي رواية - وكفرت
عن يميني » لا تعارض بين هذا كله ولا بين الآية المذكورة هنا وهي قوله (ولا تنقضوا الأيمان بعد
توكيدها) لأن هذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق لا الأيمان التي هي واردة على حث
أو منع ولهذا قال مجاهد في قوله (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) يعني الحلف أي حلف الجاهلية
ويؤيده ما رواه الامام أحمد حدثنا عبد الله بن محمد - هو ابن أبي شيبة - حدثنا ابن نمير وأبو أسامة عن
زكريا - هو ابن أبي زائدة - عن سعد بن ابراهيم عن أبيه عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ
« لا حلف في الاسلام وأما حلف كان في الجاهلية فإنه لا يزيد الاسلام إلا شدة » وكذا رواه مسلم عن ابن
أبي شيبة به . ومعناه ان الاسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان اهل الجاهلية يفعلونه فان في التمسك
بالاسلام كفاية عما كانوا فيه . وأما ما ورد في الصحيحين عن غاصم الاحول عن أنس رضي الله عنه أنه
قال : حالف رسول الله ﷺ بين المهاجرين والانصار في دورنا . فمعناه أنه آخى بينهم فكانوا يتوارثون
به حتى نسخ الله ذلك والله أعلم . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عمار الاسدي حدثنا عبد الله بن موسى
أخبرنا أبو بلي عن بريدة في قوله (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) قال نزلت فيبيعة النبي ﷺ كان من
أسلم بايع النبي ﷺ على الاسلام فقال (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) هذه البيعة التي بايعهم على
الاسلام (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) لا يحملنكم قلة محمد وكثرة المشركين أن تنقضوا
البيعة التي بايعهم على الاسلام . وقال الامام أحمد حدثنا ابراهيم بن حنبل حدثنا صخر بن جويرية عن نافع قال

كفارة اليمين (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) تشديدها فتحشوا فيها (وقد جعلكم الله عليكم
كفيلة) شهيداً بالوفاء (إن الله يعلم ما تفعلون) واخلفوا فيمن نزلت هذه الآية وان كان حكمها
عاماً قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله ﷺ أمرهم الله بالوفاء بها ، وقال مجاهد وقتادة نزلت
في حلف أهل الجاهلية . ثم ضرب الله مثلاً لنقض العهد فقال (ولا تكونوا كالتي تقضت غزله من
بعد قوة) أي من بعد غزله واحكامه قال الكلبى ومقاتل هي امرأة خرقاء حقا من قريش يقال لها
ربطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد مناة بن نعيم وتلقب بجعر وكانت بها وسوسة وكانت

لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال : أما بعد فانا قد بايعنا هذا الرجل على بيعه الله ورسوله وأني سمعت رسول الله ﷺ يقول « ان الفادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدره فلان ، وان من أعظم الغدر - إلا أن يكون الاثر الك بالله - أن يبايع رجل رجلا على بيعه الله ورسوله ثم ينكث بيعته ، فلا يخلعن أحد منكم يدا ولا يسرفن أحد منكم في هذا الامر فيكون فصل بيني وبينه » المرفوع منه في الصحيحين وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حجاج عن عبد الرحمن بن عابس عن أبيه عن حذيفة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرط لا خيه شرطا لا يريد أن يفي له به فهو كالمذلي جاره الى غير منعة » وقوله (إن الله يعلم ما تفعلون) تهديد ووعيد لمن نقض الايمان بعد توكيدها

وقوله (ولا تكونوا كآلي نقضت غزها من بعد قوة أنكثا) قال عبد الله بن كثير : هذه امرأة خرقاء كانت بمكة كلما غزات شيئا نقضته بعد انبرامه ، وقال مجاهد وقناة وابن زيد هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده وهذا القول أرجح وأظهر وسواء كن بمكة امرأة تنقض غزها أم لا . وقوله (أنكثا) يحتمل أن يكون اسم مصدر (نقضت غزها أنكثا) أي أنقاضا ، ويحتمل أن يكون بدلا عن خبر كان أي لا تكونوا أنكثا جمع نكث من ناكث ولهذا قال بعده (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) أي خديعة ومكرا (ان تكون أمة هي أربى من أمة) أي تحلفون للناس اذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا اليكم فاذا أمكنكم الفدر بهم غدرتم فنهى الله عن ذلك لينبه بالاذنى على الأعلی اذا كان قد نهى عن الفدر والحالة هذه فلأن ينهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى . وقد قدمنا والله الحمد في سورة الانفال قصة معاوية لما كان بينه وبين ملك الروم أمد فصار معاوية اليهم في آخر الأجل حتى اذا انقضى وهو قريب من بلادهم أغار عليهم وهم غارون لا يشعرون فقال له عمرو بن عبسة الله أكبر يا معاوية وفاء لا غدر سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كان بينه وبين قوم أجل فلا يحان عقدة حتى ينقضي أمدها » فرجع معاوية رضي الله عنه بالجيش ، قال ابن عباس (أن تكون أمة هي أربى من أمة) أي

انخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الاصبع وفسكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمّر جواربها بذلك فكان يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار أمرنهن بنقض جميع ماغزلن فهذا كان رأبها . ومعناه أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك أنتم اذا نقضتم العهد لا كفتم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيتم به (أنكثا) يعني أنقاضا واحدها نكث وهو ما نقض بعد الفتل غزلا كان أو حبلا (تتخذون ايمانكم دخلا بينكم) أي دخلا وخيانة وخديعة . والدخل ما يدخل في شيء . للفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الوفاء ويطن النقض (أن تكون) أي لأن تكون (أمة هي أربى) أي أكثر وأعلى (من أمة) قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا قوما أكثر منهم وأعز نقضوا حلف

أكثر، وقال مجاهد كانوا بحالفون الحلفاء، فيجدون أكثر منهم وأعر فينقضون حلف هؤلاء. وبحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعر قهوا عن ذلك، وقال الضحاك وقتادة وابن زيد نحوه. وقوله (إنما يلوكم الله به) قال سعيد بن جبير (إنما يلوكم الله به) يعني بالكثرة رواه ابن أبي حاتم، وقال ابن جرير أي بأمره إياكم بالوفاء بالعهد (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) فيجازي كل عامل بعمله من خير وشر

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون (٩٣) ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزول قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم (٩٤) ولا تشتروا بعهده الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون (٩٥) ما عندكم ينفد وما عند الله باق، ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون (٩٦)

يقول الله تعالى ولو شاء الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة كقوله تعالى (ولو شاء ربك لآ من من في الأرض كلهم جميعاً) أي لوفق بينكم ولما جعل اختلافاً ولا تباعض ولا شعثاً. (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وهكذا قال ههنا (ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء) ثم يسألكم يوم القيامة عن جميع أعمالكم فيجازيكم عليها على الغنيل والفقير والعظيم، ثم حذر تعالى عباده عن اتخاذ الأيمان دخلاً أي خديعة ومكرًا لئلا تزل قدم بعد ثبوتها مثل لمن كان على الاستقامة فخاد عنها وزل عن طريق الهدى بسبب الإيمان الحائثة المشتملة على الصدق سبيل الله لأن الكافر إذا رأى أن المؤمن قد عاهده ثم غدر به لم يبق له وثوق بالدين فأنصد بسببه عن الدخول في الإسلام ولهذا قال (وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله ولكم

هؤلاء وحالفوا الأكثر، فعناه طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة فهاهم الله عن ذلك ﴿إنما يلوكم الله به﴾ يخبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد ﴿وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾ في الدنيا ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على ملة واحدة وهي الإسلام ﴿ولكن يضل من يشاء﴾ بخذلان إياهم عدلاً منه ﴿ويهدي من يشاء﴾ بتوفيقه إياهم فضلاً منه ﴿ولتسألن عما كنتم تعملون﴾ يوم القيامة ﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً﴾ خديعة وفساداً ﴿بينكم﴾ فتفرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويأمنون ثم تنقضونها ﴿فتزول قدم بعد ثبوتها﴾ فهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل مبتلى بعد عافية أو ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه ﴿وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل

عذاب عظيم) ثم قال (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) أي لا تعتاضوا عن الإيمان بالله عرض الحياة الدنيا وزينتها فانها قليلة ولو حيزت لابن آدم الدنيا بخداييرها لكان ما عند الله هو خير له أي جزاء الله وثوابه خير لمن رجاه وآمن به وطلبه وحفظ عهده رجاء موعوده ولهذا قال (إن كنتم تعلمون ما عندكم ينقد) أي يفرغ وينقضي فانه الى أجل محدود محصور مقدر متناه (وما عند الله باق) أي وثوابه لكم في الجنة باق لا انقطاع ولا نفاد له فانه دائم لا يحول ولا يزول (ولنعزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قسم من الرب تعالى متلقى باللام انه يجازي الصابرين بأحسن أعمالهم أي ويتجاوز عن سيئها

من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حيو طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (٩٧)

هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر أو أنثى من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وان هذا العمل المأمور به مشروع من عند الله بأن يحياه حياة طيبة في الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله في الدار الآخرة، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أي جهة كانت، وقد روي عن ابن عباس وجماعة انهم فسروها بالرزق الحلال الطيب، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه فسرها بالقناعة وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس انها هي السعادة. وقال الحسن ومجاهد وقتادة لا يطيب لأحد حياة إلا في الجنة، وقال الضحاك هي الرزق الحلال والعبادة في الدنيا وقال الضحاك أيضا هي العمل بالطاعة والانشراح بهاء والصحيح ان الحياة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء في الحديث

الله ﴿ قيل معناه سهلتم طريق نقض العهد على الناس بنقضكم العهد ﴾ ولكم عذاب عظيم * ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ﴿ يعني لا تنقضوا عهودكم تطالبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن أوفوا بها ﴾ (إن ما عند الله هو) من الثواب لكم على الوفاء بالعهد ﴿ خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾ فضل ما بين العرضين ثم بين ذلك فقال ﴿ ما عندكم ينقد ﴾ أي الدنيا وما فيها يفتى ﴿ وما عند الله باق ﴾ ولنعزين ﴿ قرأ أبو جعفر وابن كثير وعاصم بالنون والباقون بالياء ﴾ الذين صبروا ﴿ على الوفاء في السراء والضراء أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري حدثنا أحمد بن علي الكشمي ثنا علي بن حجر ثنا اسماعيل بن جعفر ثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنيته فآثروا ما يبقى على ما يفنى »

قوله تعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حيو طيبة ﴾ قال سعيد بن جبير وعطاء، هي الرزق الحلال. قال الحسن هي القناعة وقال مقاتل بن حيان يعني العيش في الطاعة قال أبو بكر

الذي رواه الامام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا شعيب بن أبي أيوب حدثني شرحبيل بن شريك عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » ورواه مسلم من حديث عبد الله بن يزيد المقرئ به . وروى الترمذي والنسائي من حديث أبي هاني عن أبي علي الجنبي عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « قد أفلح من هدي للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » وقال الترمذي هذا حديث صحيح ، وقال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن يحيى عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ « ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة ، وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا أفضى الى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا » انفرد بإخراجه مسلم

فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم (٩٨) انه ليس له سلطان على الذين

آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (٩٩) انما سلطنته على الذين يتولون والذين هم به مشركون (١٠٠) هذا أمر من الله تعالى لعباده على لسان نبيه ﷺ اذا أرادوا قراءة القرآن أن يستعذوا بالله من الشيطان الرجيم وهذا أمر ندب ليس بواجب حكى الاجماع على ذلك أبو جعفر بن جرير وغيره من الأئمة ، وقد قدمنا الاحاديث الواردة في الاستعاذة مبسوطه في أول التفسير والله الخد والمنة . والمعنى في الاستعاذة عند ابتداء القراءة لئلا يلبس على القارئ قراءته ويخلط عليه ويمنعه من التدبر والتفكير . ولهذا ذهب الجمهور الى أن الاستعاذة انما تكون قبل التلاوة ، وحكي عن حمزة وأبي حاتم السجستاني انها تكون بعد التلاوة واحتجا بهذه الآية ، ونقل النووي في شرح المذهب مثل ذلك عن أبي هريرة أيضاً ومحمد بن سيرين وابراهيم النخعي ، والصحيح الاول لما تقدم من الاحاديث الدالة الوراق هي حلاوة الطاعة قال مجاهد وقتادة هي الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لانطيب الحياة لأحد إلا في الجنة ﴿ ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾

قوله سبحانه وتعالى ﴿ فاذا قرأت القرآن ﴾ أي اذا أردت قراءة القرآن ﴿ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ كقوله تعالى (اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا) والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة وقال أبو هريرة بعدها ولفظه أن يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي حدثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عاصما عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه أنه رأى النبي ﷺ يقول « يا علي قال فكبر فقال « الله أكبر كبيراً » ثلاث مرات « والحمد لله كثيراً » ثلاث مرات « وسبحان الله بكرة وأصيلاً » ثلاث مرات اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولمزه ونفخه ونفثه قال عمر ونفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة والموتة الجنون . والاستعاذة بالله هي الاعتصام به

« تفسير ابن كثير والبغوي »

(١٢٢)

« الجزء الخامس »

على تقدمها على التلاوة والله أعلم . وقوله (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) قال الثوري ليس له عليهم سلطان أنت يوقعهم في ذنب لا يتوبون منه ، وقال آخرون معناه لا حجة له عليهم ، وقال آخرون كقوله (إلا عبادك منهم المخلصين ، إنما سلطانه على الذين يتولونه) قال مجاهد يطيعونه ، وقال آخرون اتخذوه ولياً من دون الله (وهم به مشركون) أي أشركوا في عبادة الله ويحتمل أن تكون الباء سببية أي صاروا بسبب طاعتهم للشيطان مشركين بالله تعالى ، وقال آخرون معناه انه شركهم في الاموال والأولاد

وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون (١٠١)

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢)

يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم وانه لا يتصور منهم الايمان وقد كتب عليهم الشقارة وذلك انهم اذا رأوا تغيير الاحكام ناسخها بمنسوخها قالوا لرسول الله ﷺ (إنما أنت مفتر) أي كذاب وإنما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وقال مجاهد (بدلنا آية مكان آية) أي رفعناها وأثبتنا غيرها ، وقال قتادة هو كقوله تعالى (مانسوخ من آية أو ننسها) الآية . فقال تعالى محمياً لهم (قل نزل به روح القدس) أي جبريل (من ربك بالحق) أي بالصدق والعدل ليثبت الذين آمنوا (فيصدقوا بما نزل أولاً وثانياً) ونجيت له قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) أي وجعله هادياً وبشارة للمسلمين الذين آمنوا بالله ورسوله

ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا

لسان عربي مبين (١٠٣)

(انه ليس له سلطان) حجة وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) قال سفيان ليس له سلطان على أن يحلمهم على ذنب لا يغفر (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يطيعونه ويدخلون في ولايته (والذين هم به مشركون) أي بالله مشركون وقيل الكناية راجعة الى الشيطان . ومجازه الذين هم من أجله مشركون بالله (وإذا بدلنا آية مكان آية) يعني وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكماً آخر والله أعلم بما ينزل (أعلم بما هو أصح لخلقهم فيما يغير ويبدل من أحكامه) قالوا إنما أنت يا محمد (مفتر) مختلف وذئب أن المشركين قالوا إن محمداً يسخر بأصحابه بأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً ما هو إلا مفتر يتقول من تلقا نفسه قال الله (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة القرآن وبيان الناسخ والمنسوخ (قل نزل) يعني القرآن (روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) بالصدق ليثبت الذين آمنوا (أي ليثبت قلوب المؤمنين بيزدادوا إيماناً ويقيناً) وهدى وبشرى للمسلمين * ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر آدمي وما هو من عند الله واختلفوا في هذا البشر قال ابن

يقول تعالى مخبراً عن المشركين ما كانوا يقولونه من الكذب والافتراء والبهت ان محمداً إنما يعلمه هذا الذي يتلوه علينا من القرآن بشر وبشرون إلى رجل أعجمي كان بين أظهرهم غلام لبعض بطون قريش وكان يبيع عند الصفاور بما كان رسول الله ﷺ يجلس إليه ويكلمه بعض الشيء وذلك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف النبي ليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه فلماذا قال الله تعالى راداً عليهم في افتراءهم ذلك (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) أي القرآن أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه الثامنة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني اسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل . قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة : كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى سبعة غلام نصراني يقال له جبر عبد لبعض بني الحضرمي فأنزل الله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وكذا قال عبد الله بن كثير ، وعن عكرمة وقتادة كان اسمه بعيش

وقال ابن جرير حدثني أحمد بن محمد الطوسي حدثنا أبو عامر حدثنا ابراهيم بن طهمان عن مسلم بن عبد الله الملائي عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة وكان اسمه بلعام وكان أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج من عنده فقالوا إنما يعلمه بلعام فأنزل الله هذه الآية (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر ، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين) وقال الضحاك بن مزاحم هو سلمان الفارسي وهذا القول ضعيف لأن هذه الآية مكية وسلمان إنما أسلم بالمدينة ، وقال عبيد الله بن مسلم كان لنا غلامان روميان يقرآن كتابا لهما

عباس كان رسول الله ﷺ يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله ﷺ يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام . وقال عكرمة كان النبي ﷺ يقرئ غلاما لبني النضير يقال له بعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه بشر يعني بعيش . وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى وكان قد أسلم وحسن اسلامه وكان أعجمي اللسان . وقال ابن اسحاق كان رسول الله ﷺ فيما بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة الى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبد الله بن مسلم الحضرمي كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لاحدهما يسار يكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والانجيل فربما مر بهما النبي ﷺ وهما يقرآن التوراة فيقف ويستمع . قال الضحاك كان النبي ﷺ اذا آذاه الكفار يقعد إليهما ويستريح بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما فنزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذبا لهم (لسان الذي يلحدون إليه) أي يميلون وبشرون إليه (أعجمي) الأعجمي الذي لا يفصح وان كان

بلسانها فكان النبي ﷺ يمر بها فيقوم فيسمع منها فقال المشركون يتعلم منها فأ نزل الله هذه الآية وقال الزهري عن سعيد بن المسيب : الذي قال ذلك من المشركين رجل كان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ فارتد بعد ذلك عن الاسلام واقترى هذه المقالة فبعه الله

ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولم عذاب أليم (١٠٤) إنما يفترى الكذب

الذين لا يؤمنون بآيات الله، وأولئك هم الكاذبون (١٠٥)

يخبر تعالى انه لا يهدي من أعرض عن ذكره وتغافل عما أنزله على رسوله ﷺ ولم يكن له قصد إلى الايمان باجاء من عند الله فهذا الجنس من الناس لا يهديهم الله إلى الايمان بآياته وما أرسل به رسوله في الدنيا ولم عذاب أليم موجه في الآخرة ، ثم أخبر تعالى أن رسوله ﷺ ليس بمفتر ولا كذاب لانه إنما يفترى الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ شرار الخلق (الذين لا يؤمنون بآيات الله) من الكفرة والملحدين المعروفين بالكذب عند الناس، والرسول محمد ﷺ كان أصدق الناس وأبرهم وأكملهم علما وعلا وإيمانا وإيقانا معروفا بالصدق في قومه لا يشك في ذلك أحد منهم بحيث لا يدعى بينهم إلا بالامين محمد ، ولهذا لما سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان عن تلك المسائل التي سأها من صفه رسول الله ﷺ كان فيما قال له : هل كنتم تهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ قال لا ، فقال هرقل : فما كان ليدع الكذب على الناس ويذهب فيكذب على الله عز وجل

ينزل بالبادية والعجمي منسوب إلى العجم وان كان فصيحاً والاعرابي البدوي والعربي منسوب إلى العرب وان لم يكن فصيحاً ﴿ وهذا لسان عربي مبين ﴾ فصيح وأراد باللسان القرآن والعرب تقول اللفه لسان وروي أن الرجل الذي كانوا يشيرون اليه أسلم وحسن اسلامه ﴿ ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ﴾ لا يرشدهم الله ﴿ ولم عذاب أليم ﴾ ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون فقال ﴿ إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ لا محمد ﷺ فان قيل قد قال إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله (وأولئك هم الكاذبون) قيل إنما يفترى الكذب إخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادت لك الكذب، أخبرنا ابو سعيد الشريحي أنا ابو اسحاق الثعلبي أنا ابو حفص عمر بن احمد الجوهري أنا جدي ابو بكر محمد بن عمر بن حفص ثنا ابو بكر محمد ابن الفرج الازرق ثنا سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ثنا يعلى بن الاشدق عن عبد الله بن جراد قال قلت لرسول الله المؤمن بزني؟ قال « قد يكون ذلك » قال قلت المؤمن يسرق؟ قال « قد يكون ذلك » قلت المؤمن يكذب؟ قال « لا » قال الله (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله)

من كفر بالله من بعد إيمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدره فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (١٠٦) ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي الكافرين (١٠٧) أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم

وأبصرهم ، وأولئك هم الغفلون (١٠٨) لا جرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون (١٠٩)

أخبر تعالى عن كفر به بعد الإيمان والتبصر وشرح صدره بالكفر واطمأن به أنه قد غضب عليه لعلمهم بالإيمان ثم عدوهم عنه وإن لهم عذاباً عظيماً في الدار الآخرة لأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فأقدموا على ما أقدموا عليه من الردة لأجل الدنيا ولم يهد الله قلوبهم ويثبتهم على الدين الحق فطبع على قلوبهم فهم لا يعقلون بها شيئاً ينفعهم وختم على سمعهم وأبصارهم فلا ينتفعون بها ولا أغنت عنهم شيئاً فهم غافلون عما يراد بهم (لا جرم) أي لا بد ولا عجب أن من هذه صفته (أنهم في الآخرة هم الخاسرون) أي الذين خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة

وأما قوله (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً لما ناله من ضرب وأذى وقلبه يأبى ما يقول وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله . وقد روى العوفي عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر حين عذبه المشركون حتى يكفر به محمد ﷺ فوافقهم على ذلك مكرهاً وجاء معتذراً إلى النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية . وهكذا قال الشعبي

(من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه ياسراً وأمه سمية وصبيها وبلاوا وخباباً وسالماً فعذبوهم . فأما سمية فأنها ربطت بين بعيرين ووحى قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلوا في الإسلام . وأما عمار فإنه أعطاه ما أرادوا بلسانه مكرهاً قال قتادة أخذ بنو المغيرة عماراً وغطوه في بئر ميمونة وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فآخبر رسول الله ﷺ بأن عماراً كفر فقال « كلا إن عماراً ملي . إيماناً من قرنه إلى قدمه ، واختلط الإيمان بلحمه ودمه » فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال رسول الله ﷺ « ما وراءك ؟ » قال شر يارسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال « كيف وجدت قلبك ؟ » قال مطمئن بالإيمان فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه وقال « ان عادوا لك فعد لهم بما قلت » فنزلت هذه الآية قال مجاهد نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ أن هاجروا فأنزلناهم منا حتى نهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة فادركتهم قريش في الطريق ففتنهم فكفروا كلهم . وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده علي الكفر فكفر مكرهاً (قلبه مطمئن بالإيمان) ثم أسلم مولى عامر بن الحضرمي وحسن إسلامه

وقنادة وأبو مالك . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزري عن أبي عبيدة محمد بن عمار بن يامر قال : أخذ المشركون عمار بن يامر فعدبوه حتى قاربهم في بعض ما أرادوا فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ « كيف تجد قلبك ؟ » قال مطمئناً بالآيمان قال النبي ﷺ « إن عادوا فعد » ورواه البيهقي بأبسط من ذلك وفيه أنه سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ما تركت حتى سببتك وذكر آلهتهم بخير قال « كيف تجد قلبك ؟ » قال مطمئناً بالآيمان فقال « إن عادوا فعد » وفي ذلك أنزل الله (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالآيمان) ولهذا اتفق العلماء على أن المكروه على الكفر يجوز له أن يوالي إبقاء لمهجته ويجوز له أن يأبى كما كان بلال رضي الله عنه يأبى عليهم ذلك وهم يفعلون به الإفاعة حتى أنهم يضعوا الصخرة العظيمة على صدره في شدة الحر ويأمرونه بالشرك بالله فيأبى عليهم وهو يقول : أحد . ويقول : والله لو أعلم كلمة هي أغبط لكم منها لقلتها رضي الله عنه وأرضاه . وكذلك حبيب بن زيد الأنصاري لما قال له مسيلة الكذاب : أنشد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول نعم ، فيقول : أنشد أني رسول الله ؟ فيقول لا أسمع فلم يزل يقطعه إرباً إرباً وهو ثابت

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن عكرمة أن علياً رضي الله عنه حرق ناساً ارتدوا عن الإسلام فبلغ ذلك ابن عباس فقال لم أكن لأحرقهم بالنار إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا تعذبوا بعذاب الله » وكنت قاتلهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من بدل دينه فاقتلوه » فبلغ ذلك علياً فقال ويح أم ابن عباس . رواه البخاري

وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن أيوب عن حميد بن هلال العدوي عن أبي بردة قال : قدم علي أبي موسى معاذ بن جبل باليمن فاذا رجل عنده قال ما هذا ؟ قال رجل كان يهودياً فأسلم ثم نهود ونحن نريده على الإسلام منذ قال أحسبه شهرين فقال والله لا أقعد حتى تضربوا عنقه فضربت عنقه فقال قضى الله ورسوله أن من رجم عن دينه فاقتلوه أو قال « من بدل دينه فاقتلوه » وهذه القصة في الصحيحين بلفظ آخر . والافضل والاولى أن يثبت المسلم على دينه ولو أفضى إلى قتله كما ذكر الحافظ بن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أمرته الروم فجاءوا به إلى عند ملكهم فقال له تنصر وأنا أشركك في ملكي وأزوجك بنتي ، فقال له لو أعطيتني جميع ممالك وجميع ما تملك العرب على أن أرجم عن دين محمد ﷺ طرفه عين ما فعلت

وهاجر جبر مع سيده « ولكن من شرح بالكفر صدره » أي فتح صدره بالكفر بالقبول فاختره « فليعلم غضب من الله ولهم عذاب عظيم » وأجمع العلماء على أن من أكره على كلمة الكفر يجوز له أن يقول بلسان وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفراً وإن أبى أن يقول حتى يقتل كان أفضل واختلف أهل العلم في طلاق المكروه فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع « ذلك بأنهم استحبوا » آثروا

فقال اذا أقلك ، فقال أنت وذلك ، قال فأمر به فصلب وأمر الرماة فرموه قريبا من يديه ورجليه وهو يعرض على دين النصرانية فأبى ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر وفي رواية ببقرة من نحاس فاحميت وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر فاذا هو عظام يلوح وعرض عليه فأبى فأمر به أن يلتقى فيها فرفم في البكرة ليلقى فيها فبكى وطعم فيه ودعاه فقال اني انما بكيت لان نفسي انما هي نفس واحدة تلتقى في هذه القدر الساعة في الله فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله . وفي بعض الروايات انه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياما ثم أرسل اليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ثم استدعاه فقال ما منعك أن تأكل ؟ فقال اما انه قد حل لي ولكن لم أكن لاشمكت بي ، فقال الملك فقبل رأسي وأنا أطلقك فقال وتطلق معي جميع أسارى المسلمين قال نعم فقبل رأسه فأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حق على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدا فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما

ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٠) يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون (١١١)

هؤلاء صنف آخر كانوا مستضعفين بمكة مهانين في قومهم فوافقهم على الفتنة ثم انهم أمكنهم الخلاص بالهجرة فتركوا بلادهم وأهليهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله وغفرانه وانتظموا في سلك المؤمنين وجاهدوا معهم الكافرين وصبروا فأخبر تعالى انه من بعدها اي تلك الفعلة وهي الاجابة

﴿ الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ لا يرشدكم ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ عما يراد بهم ﴿ لاجرم ﴾ أي حقا ﴿ أنهم في الآخرة هم الخاسرون ﴾ أي المقبون ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتوا ﴾ عذبوا ومنعوا من الاسلام فقتلهم المشركون ﴿ ثم جاهدوا وصبروا ﴾ على الايمان والهجرة والجهاد ﴿ إن ربك من بعدها ﴾ من بعد تلك الفتنة والفعلة ﴿ لغفور رحيم ﴾ نزلت في عياش بن أبي ربيعة أخى أبي جهل من الرضاة وفي أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله ابن أبي أسيد الثقفي فقتلهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ليسلوا من شرهم ثم إنهم هاجروا بعد ذلك وجاهدوا . وقال الحسن وعكرمة نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي مسرح وكان يكتب للنبي ﷺ فاستنزه الشيطان فلحق بالكفار فأمر النبي ﷺ يوم فتح مكة بقتله فاستجاره عيمان وكان أخاه لأمه من الرضاة فأجاره رسول الله ﷺ ثم إنه أسلم وحسن اسلامه فأنزل الله هذه الآية وقرأ

٩٦ عقاب أهل مكة بالجوع والخوف بسبب كفرهم بأنعم الله (تفسير ابن كثير والبعوي)

إلى الفتنة لغفور لهم رحيم بهم يوم معادهم (يوم تأتي كل نفس تجادل) أي تهاج (عن نفسها) ليس أحد يهاج عنها لا أب ولا ابن ولا أخ ولا زوجة (وتوفي كل نفس ما عملت) أي من خير وشر (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من ثواب الخير ولا يزداد على ثواب الشر ولا يظلمون فقيرا

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون (١١٢) ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون (١١٣)

هذا مثل أريد به أهل مكة فإنها كانت آمنة مطمئنة مستقرة يتخطف الناس من حولها ومن دخلها كان آمناً لا يخاف كما قال تعالى (وقالوا إن تبع الهدى معك تتخطف من أرضنا أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبي إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا) وهكذا قال ههنا (يأتيها رزقها رغداً) أي هنيئاً سهلاً (من كل مكان فكفرت بأنعم الله) أي جحدت آلاء الله عليها وأعظمها بعنة محمد ﷺ اليهم كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) ولهذا بدلهم الله بحاليم الأولين خلاهما فقال (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) أي البسها وأذاقها الجوع بعد أن كان يجبي اليهم ثمرات كل شيء ويأتيها رزقها رغداً من كل مكان وذلك

ابن عامر ففتنوا بفتح الفاء والتاء ورده إلى من أسلم من المشركين ففتنوا المسلمين ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل﴾ تخاصم وتحتج ﴿عن نفسها﴾ بما أسلفت من خير وشر مشتغلاً بها لا يتفرغ إلى غيرها ﴿وتوفي كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون﴾ روي أن عمر بن الخطاب قال لكعب الأحبار خوفنا قال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت يوم القيامة بمثل عمل سبعين نبياً لآنت عليك ساعات وأنت لا تنهك إلا نفسك وإن لجنت زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل منتخب إلا وقع جائئاً على ركبته حتى إبراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك إلا نفسي وإن تصديق ذلك الذي أنزله الله عليكم ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم يكن لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ، ولا عين أبصر بها ، فنجني وعذبه ويقول الجسد يارب خلقتني كالخشب لم تبطش يدي ، ولم تمشي رجلي ، ولم تبصر عيني فجاء هذا كشعاع النور فبه نطق لساني ، وأبصرت عيني ، وبطشت يدي ، ومشت رجلي قال فيضرب الله لها مثلاً فقال إنما مثلكم مثل أعمى ومقعده دخلاً حائطاً فيه ثمار قال أعمى لا يبصر الثمر والمقعده يرى ولا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصاب من الثمر فعليه العذاب قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة﴾ يعني مكة كانت آمنة لا يهاج أهلها ولا يهاج

أمرهم استعصوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو إلا خلافة فدعا عليهم بسبع كسبع يوسف فأصابهم سنة أذهبت كل شيء. لم يأكلوا العلهز وهو وبر البعير يخلط بدمه اذا نحروه وقوله (والخوف) وذلك أنهم بدلوا بأنهم خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حين هاجروا الى المدينة من سطوته وسراياه وجيوشه وجعل كل ما لهم في دمار وسفال حتى فتحها الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بسبب صنيعهم وبغيهم وتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله فيهم منهم وامتن به عليهم في قوله (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) الآية. وقوله تعالى (فاتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا فادنوا الى الله اليكم ذكر آرسولا) الآية، وقوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة - إلى قوله - ولا تكفروا) وكما انه انعكس على الكافرين حالهم فخافوا بعد الأمن وجاعوا بعد الرغد فبدل الله المؤمنين من بعد خوفهم أمنا ورزقهم بعد العيلة وجعلهم أمراء الناس وحكامهم وسادتهم وقادتهم وأئمتهم. وهذا الذي قلناه من أن هذا المثل ضرب لأهل مكة قاله العوفي عن ابن عباس واليه ذهب مجاهد وقتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وحكاها مالك عن الزهري وحهم الله، وقال ابن جرير حدثني ابن عبد الرحيم البرقي حدثنا ابن أبي مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عبد الرحمن بن شريح ان عبد الكريم بن الحارث الحضرمي حدثه انه سمع مشرح بن هاعان يقول سمعت سليم بن نمير يقول صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي ﷺ وعثمان رضي الله عنه محصور بالمدينة فكانت تسأل عنه ما فعل؟ حتى رأت راكبين فأرسلت اليهما تسألها فقالا قتل. فقالت حفصة والذي نفسي بيده انها القرية - تعني المدينة - التي قال الله تعالى (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله) قال ابن شريح وأخبرني عبيد الله بن المغيرة عن حدثه انه كان يقول انها المدينة

عليها ﴿مطمئنة﴾ قارة بأهلها لا يحتاجون الى الانتقال للاتباع كما يحتاج اليه سائر العرب ﴿يأتيها رزقها رغداً من كل مكان﴾ يحمل اليها من البر والبحر نظيره (يجي اليه غرات كل شيء) ﴿فكفرت بأنعم الله﴾ جم النعمة وقيل جمع نعماء مثل بأساء وأبؤس ﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾ ابتلاه الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله ﷺ حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم حتى كان أحدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع. ثم إن رؤساء مكة كانوا رسول الله ﷺ وقالوا ما هذا؟ هبك عاديته الرجال فما بال النساء والصبيان؟ فأذن رسول الله ﷺ للناس بحمل الطعام اليهم وهم بعد مشركون. وذكر اللباس لان ما أصابهم من الهزال والشحوب وتغير ظاهريهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس لهم ﴿والخوف﴾ يعني بعوث النبي ﷺ وسراياه التي كانت تطيف بهم ﴿بما كانوا يصنعون﴾ ولقد جاءهم رسول

فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمتَ الله إن كنتم إياه تعبدون (١١٤)
إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به، فمن اضطر غير باغ ولا عاد
فإن الله غفور رحيم (١١٥) ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلالٌ وهذا حرامٌ
لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (١١٦) متع قليلٌ
ولهم عذاب أليم (١١٧)

يقول تعالى أمراً عباده المؤمنين بأكل رزقه الحلال الطيب وبشكره على ذلك فإنه المنعم المتفضل به
ابتداء الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، ثم ذكر تعالى ما حرمه عليهم مما فيه مضرة لهم في
دينهم ودنيائهم من الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أي ذبح على غير اسم الله ومع
هذا فمن اضطر إليه أي احتاج من غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم. وقد تقدم الكلام
على مثل هذه الآية في سورة البقرة بما فيه كفاية عن إعادته والله الخد، ثم نهى تعالى عن سلوك سبيل
المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وصفوه واصطلحوا عليه من الأسماء بأرائهم من البهيرة
والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك مما كان شرعاً لهم ابتدعوه في جاهليتهم فقال (ولا تقولوا لما تصف
ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب) ويدخل في هذا كل من ابتدع
بدعة ليس له فيها مستند شرعي أو حلل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أباح الله بمجرد رأيه وتشبيهه
وما في قوله (لما تصف) مصدرية أي ولا تقولوا الكذب لوصف ألسنتكم ثم توعد على ذلك فقال
(إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون) أي في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الدنيا فمتاع
قليلاً وأما في الآخرة فلهم عذاب أليم كما قال (نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال
(إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع في الدنيا ثم إنا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب
الشديد بما كانوا يكفرون)

منهم ﴿ محمد ﷺ ﴾ فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون * فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً
واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون * إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله
به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله غفور رحيم ﴿
قوله تعالى ﴿ ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب ﴾ أي لا تقولوا لوصف ألسنتكم أو لاجل
وصفكم الكذب أي إنكم تحلون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره ﴿ هذا حلال وهذا حرام ﴾ يعني
البهيرة والسائبة ﴿ لتفتروا على الله الكذب ﴾ فتقولون إن الله أمرنا بهذا ﴿ إن الذين يفترون على

وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولسكن كانوا أنفسهم

يظلمون (١١٨) ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٩)

لما ذكر تعالى أنه إنما حرم علينا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به وإنما أَرخص فيه عند الضرورة وفي ذلك توسعة لهذه الأمة التي يريد الله بها اليسر ولا يريد بها العسر ذكر سبحانه وتعالى ما كان حرمه على اليهود في شريعتهم قبل أن ينسخها وما كانوا فيه من الآصار والتضييق والاعلال والخرج فقال (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) أي في سورة الانعام في قوله (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما - إلى قوله - لصادقون) ولهذا قال ههنا (وما ظلمناهم) أي فيما ضيقنا عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي فاستحقوا ذلك كقوله (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدم عن سبيل الله كثيرا) ثم أخبر تعالى تكريما وامتنانا في حق العصاة المؤمنين أن من تاب منهم إليه تاب عليه فقال (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل (ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) أي أقبلوا عما كانوا فيه من المعاصي وأقبلوا على فعل الطاعات (إن ربك من بعدها) أي تلك الفعلة والزلة (لغفور رحيم)

إن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين (١٢٠) شاكراً لأنعمه اجتنبه

وهدنه إلى صراطٍ مستقيم (١٢١) وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين (١٢٢)

ثم أوحينا إليك أن اتبع مسلك إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين (١٢٣)

الله الكذب لا يفلحون لا ينجون من عذاب الله متاع قليل يعني الذي هم فيه متاع قليل أو لهم متاع قليل في الدنيا ولم عذاب أليم في الآخرة وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني في سورة الانعام وهو قوله تعالى (وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر) الآية (وما ظلمناهم) بتعريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) فحرمنا عليهم بغيرهم (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) يعني بالاصلاح الاستقامة على التوبة (إن ربك من بعدها) أي من بعد الجهالة (لغفور رحيم)

قوله تعالى (إن إبراهيم كان أمة) قال ابن مسعود: الأمة معلم الخير أي كان معلم الخير يأنم به

يمدح تعالى عبده ورسوله وخليفه ابراهيم إمام الخلفاء ووالد الانبياء وبعثه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية فقال (إن ابراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً) فأما الأمة فهو الامام الذي يقتدى به والقانت هو الخاشع المطيع والحنيف المنحرف قصداً عن الشرك الى التوحيد ولهذا قال (ولم يك من المشركين) قال سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين انه سأل عبد الله ابن مسعود عن الأمة القانت فقال الامة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله ، وعن مالك قال قال ابن عمر الامة الذي يعلم الناس دينهم ، وقال الاعمش عن يحيى بن الجزار عن أبي العبيدين انه جاء الى عبد الله فقال من نسأل اذا لم نسألك ؟ فكان ابن مسعود رق له فقال أخبرني عن الامة فقال الذي يعلم الناس الخير ، وقال الشعبي حدثني فروة بن نوفل الاشجعي قال : قال ابن مسعود إن معاذاً كان أمة قانتاً لله حنيفاً ، فقلت في نفسي غلط أبو عبد الرحمن وقال إنما قال الله (إن ابراهيم كان أمة) فقال تدري ما الأمة وما القانت ؟ قلت الله أعلم . فقال الامة الذي يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكذلك كان معاذ ، وقد روي من غير وجه عن ابن مسعود أخرجه ابن جرير ، وقال مجاهد أمة أي أمة وحده والقانت المطيع وقال مجاهد أيضاً كان ابراهيم أمة أي مؤمناً وحده . والناس كلهم إذ ذاك كفار ، وقال قتادة كان إمام هدى والقانت المطيع لله ، وقوله (شاكراً لأنعمه) أي قائماً بشكر نعم الله عليه كقوله تعالى (و ابراهيم الذي وفى) أي قام بجميع ما أمره الله تعالى به ، وقوله (اجتباء) أي اختاره واصطفاه كقوله (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين) ثم قال (وهده الى صراط مستقيم) وهو عبادة الله وحده لا شريك له على شرع مرضي ، وقوله (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي جمعنا له خير الدنيا من جميع ما يحتاج المؤمن اليه في إكمال حياته الطيبة (وانه في الآخرة لمن الصالحين) وقال مجاهد في قوله (وآتيناه في الدنيا حسنة) أي لسان صدق ، وقوله (ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً) أي ومن كاله وعظمته وصحة توحيده وطريقه أنا أوحينا إليك ، يا خاتم الرسل وسيد

أهل الدنيا وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما اجتمع في أمة ، قال مجاهد : كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار ، قال قتادة : ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه ﴿ قانتاً لله ﴾ مطيعاً له . وقيل قائماً بأمر الله تعالى ﴿ حنيفاً ﴾ مستقيماً على دين الاسلام وقيل مخلصاً ﴿ ولم يك من المشركين ﴾ شاكراً لأنعمه اجتباء ﴿ اختاره ﴾ وهده الى صراط مستقيم ﴿ أي الى دين الحق ﴾ وآتيناه في الدنيا حسنة ﴿ يعني الرسالة والخلة ، وقيل لسان الصدق والثناء الحسن . وقال مقاتل بن حيان : يعني الصلاة عليه في قول هذه الامة : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم . وقيل أولاداً أبراراً على الكبر ، وقيل القبول العام في جميع الامم ﴿ وانه في الآخرة لمن الصالحين ﴾ مع آبائه الصالحين في الجنة ، وفي الآية تقديم وتأخير مجازه وآتيناه في الدنيا والآخرة حسنة وانه لمن الصالحين ﴿ ثم أوحينا

الانبياء (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) كقوله في الانعام (قل إنني هداني ربي الى صراط مستقيم * ديناً قديماً قديماً ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) ثم قال تعالى منكر آ على اليهود
إنا جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٢٤)

لا شك ان الله تعالى شرع في كل ملة يوماً من الاسبوع يجتمع الناس فيه للعبادة فشرع تعالى لهذه الامة يوم الجمعة لانه اليوم السادس الذي أكل الله فيه الخليفة واجتمعت فيه وتمت النعمة على عباده ويقال ان الله تعالى شرع ذلك لبني إسرائيل على لسان موسى فعدلوا عنه واختاروا السبت لانه اليوم الذي لم يخلق فيه الرب شيئاً من المخلوقات الذي كل خلقها يوم الجمعة فالزمهم تعالى به في شريعة التوراة ووصاهم أن يتمسكوا به وأن يحافظوا عليه مع أمره إياهم بمتابعة محمد ﷺ إذا بعثه وأخذ موافقهم وعهودهم على ذلك ولهذا قال تعالى (إنا جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) قال مجاهد اتبعوه وتركوا الجمعة ثم انهم لم يزالوا متمسكين به حتى بعث الله عيسى بن مريم فيقال انه حولهم الى يوم الاحد ويقال انه لم يترك شريعة التوراة الا مانسخ من بعض أحكامها وأنه لم يزل محافظاً على السبت حتى رفع وان النصراني بعده في زمن قسطنطين هم الذين تحولوا إلى يوم الاحد مخالفة لليهود وتحولوا إلى الصلاة شرقاً عن الصخرة والله أعلم

وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه

اليك يا محمد (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً) حاجامسماً (وما كان من المشركين) وقال أهل الاصول كان ﷺ مأموراً بشريعة ابراهيم إلا مانسخ في شريعته وما لم ينسخ صار شرعاً
 قوله تعالى (إنا جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أي خالفوا فيه، قيل معناه إنا جعل السبت لعنة على الذين اختلفوا فيه، وقيل معناه: ما فرض الله تعظيم السبت وتحريمه إلا على الذين اختلفوا فيه يعني اليهود فقال قوم هو أعظم الايام لان الله تعالى فرغ من خلق الاشياء يوم الجمعة ثم سبت يوم السبت، وقال قوم بل أعظم الايام يوم الاحد لان الله تعالى ابتداءً فيه خلق الاشياء فاخترها وتعظيم غير ما فرض الله عليهم وقد اقرض عليهم تعظيم يوم الجمعة، قال الكلبي: أمرهم موسى بالجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوماً فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعتكم وستة أيام لصناعتكم فأبوا وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه، ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فانخذوا الاحد، فأعطى الله الجمعة هذه الامة قبلوها وبورك لهم فيها، أخبرنا أبو علي حسان ابن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا

ان رسول الله ﷺ قال « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد » لفظ البخاري . وعن أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة والمقضي بينهم قبل الخلائق » رواه مسلم

ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو

أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٥)

يقول تعالى أمرأ رسوله محمداً ﷺ أن يدعو الخلق إلى الله بالحكمة . قال ابن جرير وهو ما أنزله عليه من الكتاب والسنة والموعظة الحسنة أي بما فيه من الزواجر والوقائع بالناس ذكرهم بها ليحذروا بأس الله تعالى ، وقوله (وجادلهم بالتي هي أحسن) أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب كقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم) الآية فأمره تعالى بلين الجانب كما أمر به موسى وهارون عليهما السلام حين بعثهما إلى فرعون في قوله (فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) وقوله (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الآية أي قدم علم الشقي منهم والسعيد وكتب ذلك عنده وفرغ منه فادعهم إلى الله ولا تذهب نفسك على من ضل منهم حسرات فإنه ليس عليك هدايتهم إنما أنت نذير عليهم البلاغ وعلينا الحساب (إنك لا تهدي من أحببت — ليس عليك هدايتهم ولكن الله يهدي من يشاء)

أحمد بن يوسف السلمي أنبأنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة عن محمد ﷺ قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم يعني يوم الجمعة . فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد » قال الله تعالى (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) قال قتادة الذين اختلفوا فيه هم اليهود استحلوا بعضهم وحرمة بعضهم ﴿ وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ ادع الى سبيل ربك بالحكمة ﴿ بالقرآن ﴾ والموعظة الحسنة ﴿ يعني مواضع القرآن وقيل الموعظة الحسنة هي الدعاء الى الله بالترغيب والترهيب وقيل هو القول بالبين الرقيق من غير تغليب ولا تعنيف ﴾ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴿ وخاصمهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن أي أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق . نسخنا آية القتال ﴿ ان ربك هو أعلم بمن

وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصبرين (١٢٦) واصبر
وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون (١٢٧) ان الله مع الذين
اتقوا والذين هم محسنون (١٢٨)

يأمر تعالى بالعدل في القصاص والمماثلة في استيفاء الحق كما قال عبدالرزاق عن الثوري عن خالد
عن ابن سيرين أنه قال في قوله تعالى (فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) ان أخذ منك رجل شيئاً فخذوا مثله
وكذا قال مجاهد وابراهيم والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال ابن زيد كانوا قد
أمروا بالصفح عن المشركين فأسلم رجال ذو منعة فقالوا يا رسول الله لو أذن الله لنا لا نتصرنا من هؤلاء
الكلاب فنزلت هذه الآية ثم نسخ ذلك بالجهاد

وقال محمد بن إسحاق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت سورة النحل كلها بمكة
وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد حين قتل حمزة رضي الله عنه ومثل به
فقال رسول الله ﷺ « لئن أظهرني الله عليهم لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم » فلما سمع المسلمون ذلك
قالوا والله لئن ظهرنا عليهم لنمثلن بهم مثله لم يمثلها أحد من العرب بأحد قط فأنزل الله (وإن عاقبتهم
فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) الى آخر السورة وهذا مرسل وفيه رجل مبهم لم يسم ، وقد روي هذا من وجه
آخر متصل فقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا صالح المري
عن سليمان التيمي عن أبي عثمان عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ وقف على حمزة بن
عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد فنظر الى منظر لم ينظر الى منظر أوجع لقلب منه أو قال لقلبه
فنظر اليه وقد مثل به فقال « رحمة الله عليك ان كنت ما علمت إلا وصولاً للرحم فعولاً للخيرات والله

ضل عن سبيله وهو أعلم بالهتدين * » وان عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به » هذه الآيات نزلت بالمدينة
في شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتلاهم يوم أحد من تبقيع البطون والمثلة
السينة حتى لم يبق أحد من قتلى المسلمين الا مثل به غير حنظلة بن الراهب فان أباه أبا عامر الراهب
كان مع أبي سفيان فتركو حنظلة لذلك فقال المسلمون حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لتزيدن
على صنيعهم ولنمثلن بهم مثله لم يفعلها أحد من العرب بأحد فوقف رسول الله ﷺ على عمه حمزة
ابن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه وأذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة
من كبده فوضعتها ثم استرطتها لتأكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال
« أما انها لو أكلتها لم تدخل النار أبداً ان حمزة أكرم على الله تعالى من أن يدخل شيئاً من جسده
النار » فلما نظر رسول الله ﷺ الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان أوجع لقلبه

لولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أتركك حتى يحشرك الله من بطون السباع - أو كلمة نحوها -
 أما والله على ذلك لا مثيل بسبعين كمثلتك » فنزل جبريل عليه السلام على محمد ﷺ بهذه السورة
 وقرأ (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الى آخر الآية ، فكفر رسول الله ﷺ يعني عن يمينه
 وأمسك عن ذلك ، وهذا إسناد فيه ضعف لان صالحا هو ابن بشير المري ضعيف عند الأئمة ، وقال
 البخاري هو منكر الحديث ، وقال الشعبي وابن جريج نزلت في قول المسلمين يوم أحد فيمن مثل بهم
 لئلا يهزمهم فأنزل الله فيهم ذلك ، وقال عبد الله بن الامام أحمد في مسند أبيه حدثنا هدية بن عبد الوهاب
 المروزي حدثنا الفضل بن موسى حدثنا عيسى بن عبيد عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن
 كعب قال لما كان يوم أحد قتل من الانصار ستون رجلا ومن المهاجرين ستة فقال أصحاب رسول الله
 ﷺ لئن كان لنا يوم مثل هذا من المشركين لئلا يهزمهم فلما كان يوم الفتح قال رجل لا تعرف قبري
 بعد اليوم ، فنادى مناد : إن رسول الله ﷺ قد آمن الاسود والابيض إلا فلانا وفلانا ناسا سماهم فأنزل
 الله تبارك وتعالى (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) الى آخر السورة ، فقال رسول الله ﷺ
 « نصبر ولا نعاقب » وهذه الآية السكرية لها أمثال في القرآن فانها مشتملة على مشروعية العدل والندب
 الى الفضل كما في قوله (وجزاء سيئة سيئة مثلها) ثم قال (فمن عفا وأصلح فأجره على الله) الآية .
 وقال (والجروح قصاص) ثم قال (فمن تصدق به فهو كفارة له) وقال في هذه الآية (وإن عاقبتهم
 فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) ثم قال (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)

وقوله (واصبر وما صبرك إلا بالله) تأكيد للامر بالصبر وإخبار بأن ذلك لا ينال إلا بمشيئة
 الله وإعانتة ، وحوله وقوته ، ثم قال تعالى (ولا تحزن عليهم) أي على من خالفك فان الله قدر ذلك
 (ولا تك في ضيق) أي غم (مما يمكرون) أي مما يجهدون أنفسهم في عداوتك وإبصال الشر اليك فان

منه فقال النبي ﷺ « رحمة الله عليك أبا السائب فانك ما علمت الا فعلا للخيرات . وصولا للرحم
 ولولا حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحشر من أفواج شتى أما والله لئن اظفرني الله
 بهم لا مثيل بسبعين منهم مكانك » فأنزل الله تعالى (وإن عاقبتهم فعاقبوا) الآية

﴿ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ أي ولئن عفوتم لهو خير للعافين فقال النبي ﷺ « بلى أنصبر »
 وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه ، قال ابن عباس والضحاك كان هذا قبل نزول براءة حين أمر النبي
 ﷺ بقتال من قاتله ومنع من الابتداء بالقتال فلما أعز الله الاسلام وأهله نزلت براءة وأمروا بالجهاد
 ونسخت هذه الآية ، قال النخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين : الآية محكمة نزلت فيمن ظلم
 بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظلمه أكثر مما نال الظالم منه ، أمر بالجزاء والعفو ومنع من الاعتداء ، ثم
 قال لنبيه ﷺ « واصبر وما صبرك إلا بالله » أي بمعونة الله وتوفيقه ﴿ ولا تحزن عليهم ﴾ في إعراضهم
 عنك ﴿ ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾ أي مما فعلوا من الافاعيل ، قرأ ابن كثير ههنا وفي النمل (ضيق)

الله كافيك وناصرك ومؤيدك ومظهرك ومظفرك بهم، وقوله (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي معهم بتأييده ونصره ومعاونته وهديه وسعيه وهذه معية خاصة كقوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا) وقوله لموسى وهرون (لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) وقول النبي ﷺ للصدّيق وهما في الغار «لا تخزن أن الله معنا، وأما المعية العامة فبالسمع والبصر والعلم كقوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) وكقوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) وكما قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً) الآية ومعنى الذين اتقوا أي تركوا المحرمات والذين هم محسنون أي فعلوا الطاعات ف هؤلاء الله يحفظهم ويكلّوهم وينصرهم ويؤيدهم وبظفرهم على أعدائهم ومخالفهم وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي ثنا محمد بن بشار ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا مسهر عن ابن عون عن محمد بن حاطب قال كان عثمان رضي الله عنه من الذين اتقوا والذين هم محسنون

آخر تفسير سورة النحل والله الحمد والمنّة
وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

بكسر الضاد وقرأ الآخرون بفتح الضاد، قال أهل الكوفة هما لغتان مثل رطل ورطل، وقال أبو عمرو الضيق بالفتح الغم وبالكسر الشدة، وقال أبو عبيدة: الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، وأما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح، وقال ابن قتيبة: الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو صفة كانه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرم
(إن الله مع الذين اتقوا) المناهي
(والذين هم محسنون)
بالعون والنصرة



تفسير سورة سبحة وسبحان وهي مكية

قال الامام الحافظ المتقن أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد سمعت بن مسعود رضي الله عنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: انهم من العتاق الاول وهن من تلادي . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد بن زيد عن مروان عن أبي لبابة سمعت عائشة تقول: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى تقول ما يريد أن يفطر ، ويفطر حتى تقول ما يريد أن يصوم وكان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزم

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا

حَوْلَهُ لِنُرِّيَهُ مِنْ آيَاتِنَا، إنه هو السميع البصير (١)

يمجد تعالى نفسه ، ويعظم شأنه ، لقد ربه على ما لا يقدر عليه أحد سواه ، فلا إله غيره ولا رب سواه ، (الذي أسرى عبده) يعني محمداً ﷺ (ليلاً) أي في جنح الليل (من المسجد الحرام) وهو مسجد مكة (إلى المسجد الأقصى) وهو بيت المقدس الذي بابلها معدن الانبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلهم ودارهم فدل على أنه هو الامام الاعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . وقوله تعالى (الذي باركنا حوله) أي في الزرع

(سورة الاسراء)

﴿ مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ سبحة الله تنزيهه الله تعالى من كل سوء ووصف بالبراءة من كل نقص على طريق المبالغة ، وتكون سبحة سبحان بمعنى التعجب (أسرى عبده) أي سيره وكذلك معنى به والعبد هو محمد ﷺ ﴿ (من المسجد الحرام) ﴾ قيل كان الامراء من مسجد مكة روى قتادة عن أنس بن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ قال « بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق » فذكر حديث المعراج . وقال قوم : عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ومعنى قوله (من المسجد الحرام) أي من الحرم ، قال مقاتل : كانت ليلة الامراء قبل الهجرة بسنة ويقال كان في رجب وقيل كان في رمضان ﴿ (إلى المسجد الأقصى) ﴾ يعني بيت المقدس ، وسمي أقصى لانه أبعد المساجد التي تزار وقيل لبعده من المسجد الحرام ﴿ (الذي باركنا حوله) ﴾ بالانهار والاشجار

والثمار (لنريه) أي محمداً (من آياتنا) أي العظام كما قال تعالى (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وسنذكر من ذلك ما وردت به السنة من الأحاديث عنه عليه السلام. وقوله تعالى (انه هو السميع البصير) أي السميع لاقوال عباده مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم، البصير بهم فيعطي كلا منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة

﴿ ذكر الأحاديث الواردة في الاسراء رواية أنس بن مالك رضي الله عنه ﴾

قال الامام أبو عبد الله البخاري : حدثني عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان - هو بن بلال عن شريك بن عبد الله قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يروهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه - وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى اتقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولغاد يده - يعني عروق حلقه - ثم أطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب باباً من ابوابها فناداه اهل السماء من هذا ؟ فقال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال معي محمد قالوا وقد بعث اليه ؟ قال نعم قالوا فرحبا به وأهلاً ، يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء بما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم ، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل هذا أبوك آدم فلم عليه فسلم عليه ورد عليه آدم فقال مرحبا وأهلاً بابني نعم الابن أنت ، فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين بطردان فقال « ماهذان النهران يا جبريل ؟ » قال هذان النيل والفرات عنصرهما ، ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك أذفر فقال « ماهذا يا جبريل ؟ » قال هذا الكوثر الذي خبا لك ربك ، ثم عرج به الى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الملائكة

والثمار، وقال مجاهد سماه مبارك لانه مقر الانبياء ومهبط الملائكة والوحي وفيه الصخرة ومنه بحشر الناس يوم القيامة ﴿ لنريه من آياتنا ﴾ من عجائب قدرتنا وقد رأى هناك الانبياء والآيات الكبرى ﴿ انه هو السميع البصير ﴾ ذكر السميع لينبه على انه الحبيب لدعائه وذكر البصير لينبه على انه الحافظ له في ظلمة الليل ، وروي عن عائشة رضي الله عنها انها كانت تقول : ما فقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم ولكن أسري بروحه ، والا كثرون على انه أسري بجسده في اليقظة وتواترت الاخبار الصحيحة على ذلك أخبرنا أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو حامد أحمد بن عبد الله النعماني أنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربري ثنا أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ثنا هدية بن خالد ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة ح قال البخاري وقال لي خليفة العصفري ثنا يزيد بن ذريم ثنا سعيد بن هشام قال ثنا قتادة

الاولى من هذا؟ قال جبريل قالوا ومن معك؟ قال محمد ﷺ قالوا وقد بعثت اليه؟ قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا، ثم عرج به الى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الاولى والثانية ثم عرج به الى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج الى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به الى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك كل ماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم ادريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله تعالى فقال موسى رب لم اظن أن ترفع علي أحداً ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله عز وجل حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله اليه فيما يوحى خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط به حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك؟ قال «عهد إلي خمسين صلاة كل يوم وليلة» قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبي ﷺ الى جبريل قال إنه يستشير في ذلك فأشار اليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به الى الجبار تعالى وتقدس فقال وهو في مكانه «يارب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا» فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني اسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فامتك أضعف أجساداً وقلوباً وابداناً وابصاراً وأسماعاً فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ الى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال «يارب ان امتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم وأبدانهم فخفف عنا» فقال الجبار تبارك وتعالى يا محمد قال «ليكن وسعديك» قال أنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك، فرجع الى موسى فقال كيف فعلت؟ فقال «خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها» قال موسى قد راودت بني اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك فليخفف عنك أيضاً قال رسول الله ﷺ «يا موسى قد والله استحييت من ربي عز وجل مما اختلف اليه» قال فاهبط باسم الله، قال واستيقظ وهو في المسجد الحرام، هكذا ساقه البخاري في كتاب التوحيد ورواه في قصة النبي ﷺ عن اسماعيل بن أبي أويس عن أخيه أبي بكر عبد الحميد عن سليمان بن بلال

ثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة أن نبي الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به ح قال البخاري ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث الناس أن رسول الله ﷺ قال ح وأخبرنا أبو سعيد اسماعيل بن عبد القاهر أنا أبو الحسين عبد الغافر ابن محمد الفارسي أنا أبو أحمد محمد بن عيسى الجلودي ثنا أبو إسحاق ابراهيم محمد بن سفيان ثنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا شيان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله

رواه مسلم عن هارون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان قال فزاد وتقص وقدم وأخر وهو كما قال
مسلم فان شريك بن عبدالله بن ابي نمر اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه كما سيأتي
بيانه إن شاء الله في الاحاديث الاخر ومنهم من يجعل هذا مناماً توطئة لما وقع بعد ذلك والله أعلم .
وقد قال الحافظ ابو بكر البيهقي في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم انه صلى الله عليه وسلم رأى
الله عز وجل يعني قوله ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى . قال وقول عائشة
وابن مسعود وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصبح وهذا الذي قاله البيهقي رحمه
رحمهم الله في هذه المسئلة هو الحق فان أبا ذر قال يا رسول الله هل رأيت ربك ؟ قال « نور أنى أراه »
وفي رواية « رأيت نوراً » أخرجه مسلم وقوله (ثم دنا فتدلى) انما هو جبريل عليه السلام كما ثبت
ذلك في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين ، وعن ابن مسعود وكذلك هو في صحيح مسلم عن أبي
هريرة ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة في تفسير هذه الآية بهذا

وقال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا ثابت البناني عن أنس بن مالك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى
طريقه فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط فيها الانبياء ثم دخلت فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فأتاني جبريل بآناه من خمر وآناه من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل : أصبت
الفطرة قال ثم عرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟
قال محمد قيل وقد أرسل اليه ؟ قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بنا
إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد
أرسل اليه ؟ قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحباني ودعوا لي بخير ثم عرج
بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل وقد أرسل
اليه ؟ قال قد أرسل اليه ففتح لنا فاذا أنا بيوسف عليه السلام وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعاني
بخير ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد
فقيل وقد أرسل اليه ؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بإدريس فرحب بي ودعاني بخير ثم يقول الله
تعالى (ورفعهنا مكاناً علياً) ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال
جبريل فقيل ومن معك ؟ قال محمد فقيل قد أرسل اليه ؟ قال بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بهارون فرحب بي
ودعاني بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل له من أنت ؟ قال جبريل قيل ومن

صلى الله عليه وسلم قال دخل حديث بعضهم في بعض قال أبو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فرج عني سقف
بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطشت من ذهب ممتلئ بحكمة
وايماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه » وقال مالك بن صعصعة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أمرى به

معك؟ قال محمد فليل وقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى عليه السلام فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فليل من أنت؟ قال جبريل فليل ومن معك؟ قال محمد فليل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا أنا بأبراهيم عليه السلام وإذا هو مستند إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه، ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى فاذا ورقها كاذان الفيلة وإذا تمرها كالقلل فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن يصفها من حسنها قال فأوحى الله إلي ما أوحى، وفرض علي في كل يوم ليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت إلى موسى قال ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة قال أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك وأني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فخط عني خمسا فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال ما فعلت فقلت قد حط عني خمسا فقال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت عشرًا ومن هم بسنة فلم يعملها لم تكتب فإن عملها كتبت سنة واحدة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال أرجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا تطيق ذلك فقال رسول الله ﷺ «لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت» رواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن حماد بن سلمة بهذا السياق وهو أصح من سياق شريك. قال البيهقي وفي هذا السياق دليل على أن المعراج كان ليلة أسري به عليه الصلاة والسلام من مكة إلى بيت المقدس وهذا الذي قاله هو الحق الذي لا شك فيه ولا مرية، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به مسرجا ملجما ليركه فاستصعب عليه فقال له جبريل ما يحملك على هذا فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه. قال فارفض عرقا ورأه الترمذي عن اسحاق بن منصور عن عبد الرزاق وقال غريب لا نعرفه إلا من حديثه

وقال أحمد أيضا حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثني راشد بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «لما عرج بي إلى ربي عز وجل مرت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدرهم يقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم

قال «بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر بين النائم واليقظان وذكر بين رجلين فأتيت بطشت من ذهب مملوءة حكمة وإيمانا فشق من النحر إلى مرق البطن واستخرج قلبي فغسل ثم ملي. وقيل حشي ثم أعيد» وقال سعيد وهشام «ثم غسل البطن بها. زمزم ثم ملي. إيمانا وحكمة ثم أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يقع حافره عند منتهى طرفه فركبته فانطلقت مع جبريل حتى أتيت

الناس ويقعون في أعراضهم » وأخرجه ابو داود من حديث صفوان بن عمرو به ومن وجه آخر ليس فيه أنس فآله أعلم

وقال أيضاً حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائماً يصلي في قبره » ورواه من حديث حماد بن سلمة عن سليمان بن طرخان التيمي وثابت البناني كلاهما عن أنس قال النسائي هذا أصح من رواية من قال سليمان عن ثابت عن أنس ، وقال الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا وهب بن بقية حدثنا خالد عن التيمي عن أنس قال أخبرني بعض أصحاب النبي ﷺ أن النبي ﷺ ليلة أسري به مر على موسى وهو يصلي في قبره . وقال ابو يعلى حدثنا ابراهيم بن محمد بن عرعة حدثنا معتمر عن أبيه قال سمعت أنسا ان النبي ﷺ ليلة أسري به مر بموسى وهو يصلي في قبره قال أنس ذكر انه حمل على البراق فأوثق الدابة او قال الفرس ، قال ابو بكر صفها لي فقال رسول الله ﷺ « هي كذه وذو » فقال أشهد انك رسول الله وكان ابو بكر رضي الله عنه قد رآها ، وقال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو البزار في مسنده حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن منصور حدثنا الحارث بن عبيد عن أبي عمران الجوني عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « بينا أنا نائم اذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كنفتي فقامت الى شجرة فيها كوكري الطير فقعده في أحدهما وقعدت في الآخر فسمت وارفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفي ولو شئت أن أمس السماء لمست فالتفت الى جبريل كأنه جلس لاط فعرفت فضل علمه بالله علي وفتح لي باب من أبواب السماء فرأيت النور الاعظم واذا دون الحجاب رفر الد والياقوت وأوحى الى ماشاء الله أن يوحى » ثم قال ولا نعلم روى هذا الحديث الا أنس ولا نعلم رواه عن أبي عمران الجوني الا الحارث بن عبيد وكان رجلاً مشهوراً من أهل البصرة . ورواه الحافظ البيهقي في الدلائل عن أبي بكر القاضي عن أبي جعفر محمد بن علي بن دحيب عن محمد بن الحسين بن أبي الحسين عن سعيد بن منصور فذكره بسنده مثله ثم قال وقال غيره في هذا الحديث في آخره ولط دوني أو قال دون الحجاب رفر الد والياقوت ثم قال هكذا رواه الحارث ابن عبيد ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن عطارد ان النبي ﷺ كان في ملائمة أصحابه فجاءه جبريل فنكث في ظهره فذهب به الى الشجرة وفيها مثل وكري الطير فقعده في أحدهما وقعد جبريل في الآخر فنشأت بنا حتى بلغت الافق فلو بسطت يدي الى السماء لالتها فدلني بسبب وهبط النور فوق جبريل مغشياً عليه كأنه جلس فعرفت فضل خشيته على خشيتي فأوحى إلي

بيت المقدس - قال - فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء - قال - ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل اخترت الفطرة فانطلق بي جبريل حتى آتى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن

نبيا ملكا أو نبيا عبدا وإلى الجنة ما أنت فأوما إلى جبريل وهو مضطجع أن تواضع قال قلت لا بل نبيا عبدا قلت وهذا إن صح يقتضي أنها واقعة غير ليلة الاسراء فإنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء فهي كائنة غير ما نحن فيه والله أعلم ، وقال البزار أيضا حدثنا عمرو بن عيسى حدثنا أبو بجر حدثنا شعبة عن قتادة عن أنس أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه عز وجل . وهذا غريب

وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا يونس حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن الزهري عن أبيه عن عبد الرحمن بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص عن أنس بن مالك قال : لما جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق فكانها حركت ذنبها فقال لها جبريل مه يا براق فوالله ما ركبت مثله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بهجوز على جانب الطريق فقال « ماهذه يا جبريل ؟ » قال مر يا محمد ، قال فسار ماشاء الله أن يسير فاذا شيء يدعو متحيا عن الطريق فقال لهم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد فسار ماشاء الله أن يسير ، قال فلقية خاق من خلق الله فقالوا السلام عليك يا أول السلام عليك يا آخر السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل أردد السلام يا محمد فرد السلام ، ثم لقية الثانية فقال له مثل مقاتله الأولى ثم الثالثة كذلك حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الخمر والماء واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم اللبن فقال له جبريل أصبت الفطرة ولو شربت الماء لفرقت وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويت ولغوت أمتك ثم بهت له آدم فمن دونه من الانبياء عليهم السلام فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ، ثم قال له جبريل : أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا كما بقي من عمر تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلخوا عليك قبايرهم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وهكذا رواه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن وهب وفي بعض ألفاظه نكارة وغرابة (طريق أخرى) عن أنس بن مالك وفيها غرابة ونكارة جدا وهي في سنن النسائي المجتبى ولم أرها في الكبير قال : حدثنا عمرو بن هشام حدثنا مخلد عن أبي الحسين عن سعيد بن عبد العزيز حدثنا يزيد بن أبي مالك حدثنا أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت فقال أنزل فصل فصليت ، فقال أتدري أين صليت ؟ صليت بطيبة واليها المهاجرة ، ثم قال أنزل فصل فصليت فقال أتدري أين صليت صليت بطور سينا حيث كلم الله موسى ، ثم قال أنزل فصل فصليت ، فقال أتدري أين صليت صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام ، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الانبياء عليهم السلام فقدمني جبريل عليه السلام حتى أممهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فاذا فيها آدم عليه السلام ، ثم صعد بي إلى

معك ؟ قال محمد . قيل وقد أرسل إليه قال نعم . قيل مرحبا به فنعلم المجيء جاء ففتح الباب ، فلما خلصت فاذا فيها آدم فقال لي هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح » وفي حديث أبي ذر « علونا السماء الدنيا فاذا رجل قاعد عن يمينه أسودة

السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام ، ثم صعد بي إلى الثالثة فاذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاذا فيها هارون عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فاذا فيها ادريس عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء السادسة فاذا فيها موسى عليه السلام ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاذا فيها ابراهيم عليه السلام ، ثم صعد بي فوق سبع سموات وأتيت سدرة المنتهى ففشيئتني ضيابة فخررت ساجداً فقيل لي اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت بذلك حتى أمر بموسى عليه السلام فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة ، قال فانك لا تستطيع أن تقوم بها لا أنت ولا أمتك فارجم إلى ربك فأسأله التخفيف فرجعت إلى ربي فخفف عني عشرين ، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشرين ثم ردت إلى خمس صلوات ، قال فارجم إلى ربك فأسأله التخفيف فانه فرض على بني اسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عز وجل فأسأله التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات والارض فرضت عليك وعلى أمتك خمس صلوات فخمسين فقم بها أنت وأمتك ، قال فعرفت أنها من الله عز وجل صرى فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال ارجع فعرفت أنها من الله عز وجل صرى - يقول أي حتم - فلم أرجع»

﴿ طريق أخرى ﴾ وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن عمار حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما كان ليلة أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل حمله جبريل عليها ينتهي خلفها حيث ينتهي طرفها ، فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذي يقال له باب محمد أتى إلى الحجر الذي ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فثقبه ثم ربطها ثم صعد فلما استويا في صرحة المسجد قال جبريل يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ فقال « نعم » فقال فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن وهن جلوس عن يسار الصخرة ، قال فأتيتن فسلمت عليهن فرددن علي السلام فقلت « من أنتن » فقلن نحن خبرات حسان نساء قوم أبرار تقوا فلم يدرنوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلم يموتوا ، قال ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيراً حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة قال فقمنا صفوا فننظر من يؤمننا فأخذ بيدي جبريل عليه السلام فقدمني فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل يا محمد أتدري من صلى خلفك ؟ قال قلت « لا » قال صلى خلفك كل نبي بعثه الله عز وجل ، قال ثم أخذ بيدي جبريل فصعد بي إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا من أنت ؟ قال أنا جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم ، قال ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وبمن معك ، قال فلما استوى على ظهرها

وعن يساره أسودة اذا نظر قبل يمينه ضحك ، واذا نظر قبل شماله بكى ، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل من هذا ؟ قال هذا أبوك آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وشماله نسمة بنيه فأهل اليمن منهم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله أهل النار فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا

إذا فيها آدم فقال لي جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك آدم ؟ قال قلت بلى فأثبته فسلمت عليه فرد علي وقال مرحبا بابني الصالح والنبي الصالح ، قال ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح فقلوا من أنت ؟ قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وعن معك فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى عليهما السلام ، قال ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح ، قالوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا له وقالوا مرحبا بك وعن معك فإذا فيها يوسف عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فاستفتح فقلوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه قال نعم ، قال ففتحوا وقالوا مرحبا بك وعن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام ، قال فخرج بي إلى السماء الخامسة فاستفتح فقلوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ، قال ففتحوا وقالوا مرحبا بك وعن معك وإذا فيها هارون عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء السادسة فاستفتح فقلوا من أنت ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا وقالوا مرحبا بك وعن معك وإذا فيها موسى عليه السلام ، ثم عرج بي إلى السماء السابعة فاستفتح فقلوا من أنت قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا وقد بعث إليه ؟ قال نعم ففتحوا وقالوا مرحبا بك وعن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام فقال جبريل يا محمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم ؟ قلت بلى فأثبته فسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحبا بابني الصالح والنبي الصالح ، ثم انطلق بي على ظهر السماء السابعة حتى انتهى بي إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزرجد وعليه طير خضر أنعم طير رأيت ، فقلت يا جبريل ان هذا الطير لنا عم قال يا محمد آكله أنعم منه ، ثم قال يا محمد أتدري أي نهر هذا ؟ قال قلت لا ، قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجري على رضراض من الياقوت والزمرد ماؤه أشد بياضا من اللبن ، قال فأخذت من آنيته آنية من الذهب فأغترفت من ذلك الماء فشربت فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بي حتى انتهيت إلى الشجرة ففشيئتني سحابة فيها من كل لون فرفضني جبريل وخررت ساجداً لله عز وجل ، فقال الله لي : يا محمد اني يوم خلقت السموات والارض افترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك . قال ثم انجلت عني السحابة فأخذ بيدي جبريل فانصرفت سريعا فأثبتت على إبراهيم فلم يقل لي شيئا ، فأثبتت على موسى فقال ما صنعت يا محمد ؟ فقلت فرض ربي علي وعلى أمتي خمسين صلاة قال فلن نستطيعها أنت ولا أمتك فارجم إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فرجعت سريعا حتى انتهيت

نظر عن شماله بكى ، ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل . قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه ؟ قال نعم . قيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت إذا يحيى ابن زكريا وعيسى عليهما السلام وهما ابنا خالة قال هذا يحيى وعيسى سلم عليهما فسلمت

إلى الشجرة ففشيته السحابة ورفضني جبريل وخررت ساجداً وقلت رب انك فرضت علي وعلى أمتي خمسين صلاة وإن أستطيعها أنا ولا أمي تخفف عنا قال قد وضعت عنكم عشر آيات ثم أنجيتني السحابة وأخذ بيدي جبريل قال فأنصرفت مريباً حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل لي شيئاً ثم أتيت على موسى فقال لي ما صنعت يا محمد؟ فقلت وضع عني ربي عشر آيات فاربعون صلاة إن تستطيعها أنت ولا أمك فارجع إلى ربك فأسأله أن يخفف عنكم. فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ثم أمره موسى أن يرجع فيسأله التخفيف فقلت أني قد استحييت منه تعالى. قال نعم أنمحر فقال رسول الله ﷺ لجبريل مالي لم آت أهل سما، إلا رحبوا بي وضحكوا لي غير رجل واحد فسلمت عليه فرد علي السلام ورحب بي ولم يضحك لي قال يا محمد ذلك ملاك خازن جهنم لم يضحك منذ خلق ولو ضحك لي أحد لضحك اليك

قال ثم ركب منصرفاً فبينما هو في بعض يش تحمل طعاما الطريق مر بعير أقر فيها جمل عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذى بالعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر، ثم انه مضى فأصبح فأخبر عما كان فلما سمع المشركون قوله أتوا أبابكر فقالوا يا أبابكر هل لك في صاحبك؟ يخبر أنه آتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته فقال أبو بكر رضي الله عنه إن كان قاله فقد صدق وأنا لنصدق فيه ما هو أبعد من هذا لنصدقك على خبر السماء فقال المشركون رسول الله ﷺ ما علامة ما تقول قال مررت بعير أقر يش وهي في مكان كذا وكذا فنفرت الابل منا واستدارت وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر فلما قدمت العير سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم رسول الله ﷺ ومن ذلك سمي أبو بكر الصديق وسألوهم وقالوا هل كان فيمن حضر معك موسى وعيسى؟ قال نعم قالوا أفصمهم لنا قال نعم أما موسى فرجل آدم كأنه من رجال ازديمان، وأما عيسى فرجل ربيعة سبط نعلوه حمرة كأنما يتحادر من شعره الجمان هذا سياق فيه غرائب عجيبة

﴿رواية أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة﴾ قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا همام قال سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسري به قال «بينما أنا في الحطيم - وربما قال قتادة في الحجر - مضطجعا إذا أتاني آت فجعل يقول لصاحبه الاوسط بين الثلاثة قال فأتاني فقد - سمعت قتادة يقول فشق - ما بين هذه إلى هذه، وقال قتادة فقلت للجارود وهو إلى جنبي ما يعني قال من ثغرة نحره إلى شعرته وقد سمعته يقول من قصته إلى شعرته قال فاستخرج قلبي قال فأثيت بطست من ذهب مملوء إيماناً وحكمة ففصل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أثيت بدابة دون البقل وفوق الحمار أبيض. قال فقال الجارود هو البراق يا أباحزة؟ قال نعم

فردا علي السلام ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح ثم سعد بي إلى السماء الثالثة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه قال نعم، قيل مرحباً به ففتحهم المحبي جاء ففتح، فلما خلصت فاذا يوسف وإذا هو قد أعطى شطر الحسن قال هذا يوسف فلم

يقع خطوه عند أقصى طرفه قال فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى أتاني إلى السماء الدنيا فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا فيها آدم عليه السلام قال هذا أبوك آدم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا فقال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا عيسى ويحيى وهما ابنا الخالة قال هذان يحيى وعيسى فسلم عليهما قال فسلمت فردا السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا إدريس عليه السلام قال هذا إدريس قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فاذا هارون عليه السلام قال هذا هارون فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فاذا أنا بمومي عليه السلام قال هذا مومي عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح قال فلما تجاوزته بكى قيل له ما يبكيك قال أبكي لأن غلاما بعث بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي قال ثم صعد حتى أتى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد بعث إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به ولنعم المجيء جاء قال ففتح لنا فلما خلصت فاذا إبراهيم عليه السلام فقال هذا إبراهيم فسلم عليه قال فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر وإذا ورقها مثل آذان الفيلة فقال لا هذه سدرة المنتهى قال وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال أما الباطنان فههران في الجنة وأما الظاهران

عليه فسلمت عليه فرد علي ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم فقيل مرحبا به فنعم المجيء جاء ففتح لنا فلما خلصت فاذا إدريس عليه السلام فسلمت

فأنبل والفرات قال ثم رفع الي البيت المعمور ^{صلى الله عليه وسلم} قال قتادة وحدثنا الحسن عن أبي هريرة عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفاً ثم لا يعودون فيه ثم رجع إلى حديث أنس قال « ثم أتيت باناء من خمر وأنا من ابن وإناء من عسل - قال - فأخذت اللبن قال هذه الفطرة أنت عليها وامتك - قال - ثم فرضت علي الصلاة خمسين صلاة كل يوم - قال - فقلت حتى أتيت موسى فقال ما فرض ربك علي أمتك ؟ قال فقلت خمسين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عني عشراً قال فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بأربعين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع أربعين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عني عشراً آخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت فقلت بثلاثين صلاة قال إن أمتك لا تستطيع ثلاثين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عني عشراً آخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بعشرين صلاة كل يوم قال إن أمتك لا تستطيع لعشرين صلاة كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فوضع عني عشراً آخر فرجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ قلت بعشر صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لعشر صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال فرجعت فأمرت بخمس صلوات فرجعت إلى موسى فقال بما أمرت فقلت أمرت بخمس صلوات كل يوم فقال إن أمتك لا تستطيع لخمس صلوات كل يوم وإني قد خبرت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال قلت قد سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم فنفذت فنادى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي » وأخرجاه في الصحيحين من حديث قتادة بنحوه

(رواية أنس عن أبي ذر) قال البخاري حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ^{صلى الله عليه وسلم} قال « فرج سقف بيتي وأنا بمكة ففرج جبريل ففرج صدري ثم غسل بما زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء قال جبريل لحازن السماء افتح قال من هذا قال جبريل

عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح ، قيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك ؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل إليه قال نعم ، قيل مرحباً به فنعلم المحيي جاء ، فلما خلصت فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالاخ

قال هل معك أحد قال نعم معي محمد ﷺ فقال أرسل اليه؟ قال نعم فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل البين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى ثم رجع بي إلى السماء الثانية فقال لحازنها افتح فقال له خازنها مثل ما قال له الأول ففتح قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة فلما صعد جبريل والنبي ﷺ بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت من هذا؟ قال إدريس ثم مر بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت من هذا؟ قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فقلت من هذا قال هذا إبراهيم. قال الزهري فآخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله ﷺ « ففرض الله على امتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى عليه السلام فقال ما فرض الله على امتك قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن امتك لا تطيق فرجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال ارجع إلى ربك قلت قد استحييت من ربي ، ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدة المنتهى فغشيها الوان لا أدري ما هي ثم ادخلت الجنة فإذا فيها جبال الأولاد وإذا ترابها المسك وهذا لفظ البخاري في كتاب الصلاة ورواه في ذكر بني إسرائيل وفي الحج وفي أحاديث الأنبياء من طرق أخرى عن يونس به ، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان عن حرملة عن يونس به نحوه وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسأله قال وما كنت تسأله قال كنت أسأله هل رأى ربه فقال إني قد سأله فقال « قد رأيته نوراً أنى أراه » هكذا قد وقع في رواية الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك قال « نور أنى أراه » ، وعن محمد بن بشار عن معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن عبد الله بن شقيق قال قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله ﷺ لسأله

الصالح والنبي الصالح ، ثم صعد بي حتى أتى السماء السادسة فاستفتح ، قبل من هذا؟ قال جبريل ، قبل ومن معك؟ قال محمد ، قبل وقد أرسل إليه قال نعم ، قبل مرحبا به فنعى الحجي. جاء ففتح ، فلما خلعت فإذا موسى قال هذا موسى فسلم عليه فسلمت عليه فرد ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن

فقال عن أي شيء كنت تسأله؟ قال كنت أسأله هل رأيت ربك قال أبو ذر قد سألت فقال رأيت نوراً
 ﴿رواية أنس عن أبي بن كعب الانصاري رضي الله عنه﴾ قال عبد الله بن الامام احمد حدثنا محمد
 ابن اسحاق بن محمد بن المثني حدثنا أنس بن عياض حدثنا يونس بن يزيد قال قال ابن شهاب قال
 أنس بن مالك كان أبي بن كعب يحدث ان رسول الله ﷺ قال « فرج سقف بيتي وأنا بمكة فزول
 جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً فأفروغها في
 صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء فلما جاء السماء الدنيا اذا رجل عن يمينه أسودة
 وعن يساره أسودة فاذا نظر قبل يمينه تبسم واذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحباً بالنبي الصالح
 والابن الصالح قال قلت لجبريل من هذا؟ قال هذا آدم وهذه الاسودة التي عن يمينه وعن شماله نسمة
 بنه فأهل يمينه هم أهل الجنة والاسودة التي عن شماله هم أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا
 نظر قبل يساره بكى ، قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال لحازنها افتح فقال له خازنها
 مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح له ، قال أنس فذكر أنه وجد في السموات آدم وادريس وموسى
 وابراهيم وعيسى ولم يثبت لي كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم عليه السلام في السماء الدنيا ،
 وابراهيم في السماء السادسة ، قال أنس فلما مر جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ بادريس قال مرحباً
 بالنبي الصالح والاخ الصالح ، قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا ادريس ، قال ثم مررت بموسى
 فقال مرحباً بالنبي الصالح والاخ الصالح فقلت من هذا قال هذا موسى ، ثم مررت بعيسى فقال مرحباً
 بالنبي الصالح والاخ الصالح ، قلت من هذا قال هذا عيسى بن مريم ، قال ثم مررت بابراهيم فقال
 مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا قال هذا ابراهيم »

قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الانصاري كانا يقولان قال رسول الله
 ﷺ « ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع صريف الاقلام » قال ابن حزم وأنس بن مالك قال
 رسول الله ﷺ « فرض الله على أمتي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى أمر على موسى فقال
 موسى ماذا فرض ربك على أمتك قلت فرض عليهم خمسين صلاة ، فقال لي موسى راجع ربك فان
 أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فوضع شطرها فرجعت الى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك
 فان أمتك لا تطيق ذلك فراجعت فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي ، قال فرجعت إلى
 موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي ، قال ثم انطلق بي حتى أتى سدرة المنتهى قال
 فغشيها ألوان ما أدري ماهي قال ثم دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا نراهم المسك » هكذا

الصالح ، قال فلما جاوزته بكى ، قيل ما يبكيك؟ قال أبكي لأن غلاماً بعث بعدي يدخل الجنة من
 أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ، قيل من هذا؟ قال
 جبريل ، قيل ومن معك؟ قال محمد ، قيل وقد أرسل اليه قال نعم ، قيل مرحباً به فنعلم الحجي ، جاء ،

رواه عبد الله بن أحمد في مسند أبيه وليس هو في شيء من الكتب الستة ، وقد تقدم في الصحيحين من طريق يونس عن الزهري عن أنس عن أبي ذر مثل هذا السياق سواء فأنه أعلم
 ﴿ رواية بريدة بن الحصيب الأسلمي ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عبد الرحمن بن المتوكل ويعقوب بن إبراهيم واللفظ له قالا : حدثنا أبو نميلة حدثنا الزبير بن جنادة عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « لما كان ليلة أمري بي - قال - فأتني جبريل الصخرة التي بيت المقدس قال فوضع أصبعه فيها فخرقها فشد بها البراق » ثم قال البزار لا نعلم رواه عن الزبير بن جنادة إلا أبو نميلة ولا نعلم هذا الحديث إلا عن بريدة وقد رواه الترمذي في التفسير من جامعه عن يعقوب بن إبراهيم الدورقي به وقال غريب

﴿ رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح عن ابن شهاب قال : قال أبو سلمة سمعت جابر بن عبد الله يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لما كذبتني قريش حين أمري بي إلى بيت المقدس قت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » أخرجاه في الصحيحين من طرق عن حديث الزهري به ، وقال البيهقي حدثنا أحمد بن الحسين القاضي حدثنا أبو العباس الأصم ثنا العباس بن محمد الدوري حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال سمعت سعيد بن المسيب يقول : أن رسول الله ﷺ حين انتهى إلى بيت المقدس لقي فيه إبراهيم وموسى وعيسى وإنه أتني بقدرين قدح من لبن وقدح من خمر فنظر إليهما ثم أخذ قدح اللبن فقال جبريل هديت لفطرة لو أخذت الخمر لغوت أمتك ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة فأخبر أنه أمري به فافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا معه . قال ابن شهاب قال أبو سلمة بن عبد الرحمن فتعجز أو كلمة نحوها ناس من قريش إلى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة ، فقال أبو بكر أو قال ذلك ؟ قالوا نعم ، قال فأنا أشهد لئن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا فنصدقه في أن يأتي الشام في ليلة واحدة ثم يرجع إلى مكة قبل أن يصبح ؟ قال نعم أنا أصدقه بأبعد من ذلك أصدقه بنحبر السماء . قال أبو سلمة فيها سمي أبو بكر الصديق

قال أبو سلمة فسمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لما كذبتني قريش حين أمري بي إلى بيت المقدس قت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه »

فلما خلعت فإذا إبراهيم قال هذا أبوك إبراهيم فسلم عليه فسلمت عليه فرد السلام ثم قال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح فرفع لي البيت المعمور ، فسألت جبريل فقال هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم ، وقال ثابت عن أنس فإذا أنا بإبراهيم

رواية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال الامام احمد ثنا أبو النضر ثنا شيبان عن عاصم عن زر بن حبیش قال أتيت على حذيفة بن اليمان رضي الله عنه وهو يحدث عن ليلة أسري بمحمد ﷺ وهو يقول : فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس قال قلت بل دخله رسول الله ﷺ ليلئذ وصلى فيه قال ما اسمك يا أصلم ؟ فأنا أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك قال قلت أنا زر بن حبیش قال فما علمت بأن رسول الله ﷺ صلى فيه ليلئذ قال قلت القرآن يخبرني بذلك قال من تكلم بالقرآن فلج اقرأ قال فقلت (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى) قال يا أصلم هل تجد صلى فيه ؟ قلت لا قال والله ما صلى فيه رسول الله ﷺ ليلئذ ولو صلى فيه لكتب عليكم صلاة فيه كما كتب عليكم صلاة في البيت العتيق والله ما زالا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء فرأيا الجنة والنار ووعد الآخرة أجمع ثم عادا عودهما على بدنهما قال ثم ضحك حتى رأيت نواجذه . قال وتحدثوني أنه ربطه لا يفر منه وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة قلت أباعد الله أي دابة البراق ؟ قال دابة أبيض طويل هكذا خطوه مد البصر . ورواه أبو داود الطيالسي عن حماد بن سلمة عن عاصم به ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من حديث عاصم وهو ابن أبي النجود به وقال الترمذي حسن وهذا الذي قاله حذيفة رضي الله عنه نفى ما أثبتته غيره عن رسول الله ﷺ من ربط الدابة بالحلقة ومن الصلاة ببيت المقدس مما سبق وما سبق مقدم على قوله والله أعلم بالصواب

رواية أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الحذري قال الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا أبو بكر يحيى بن أبي طالب حدثنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا أبو محمد راشد الحناني عن أبي هارون العبدي ^(١) عن أبي سعيد الحذري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال له أصحابه يا رسول الله أخبرنا عن ليلة أسري بك فيها قال قال الله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) الآية قال فآخبرهم قال «فبينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آت فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئا فإذا أنا بكهينة خيال فاتبعت بصري حتى خرجت من المسجد الحرام فإذا أنا بدابة أدنى شهابا بدوا بك هذه بغالك هذه غير أنه مضطرب الاذنين يقال له البراق وكانت الانبياء تركبه قبلي يقع حافره عند مد بصره فركبته فبينما أنا أسير عليه اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرنني أسألك يا محمد انظرنني أسألك يا محمد انظرنني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير عليه اذ دعاني داع عن يساري يا محمد انظرنني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه ، فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقتها الله فقالت يا محمد انظرنني أسألك فلم ألفت اليها ولم أقم عليها حتى مسند ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثم ذهب بي إلى سدره المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر وإذا أوراقها مثل آذان الفيلة قال فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، في أصلها أربعة أنهار نهران

(١) هو ضعيف

وقيل كذاب

أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالخلافة التي كانت الانبياء توثقها بها ثم أناني جبريل عليه السلام باناءين أحدهما خمر والآخر لبن فشربت اللبن وأيدت الخمر فقال جبريل أصبت الفطرة أما انك لو أخذت الخمر غوت أمتك فقلت الله أكبر الله أكبر فقال جبريل ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال فقلت فينا أنا أسير اذ دعاني داع عن يميني يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه قال ذلك داعي اليهود أما انك لو أجبته أو وقفت عليه لتهودت أمتك . قلت فينا أنا أسير اذ دعاني داع عن يساري قال يا محمد انظرني أسألك فلم ألتفت ولم أقم عليه قال ذلك داعي النصارى أما انك لو أجبته لتنصرت أمتك . قال فينا أنا أسير اذ أنا بامرأة حاضرة عن ذراعها عليها من كل زينة خلقها الله تقول يا محمد انظرني أسألك فلم أجبها ولم أقم عليها قال تلك الدنيا أما انك لو أجبتها أو أقمت عليها لاخترت أمتك الدنيا على الآخرة . قال ثم خلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين ثم أتيت بالمعراج الذي كانت تخرج عليه أرواح الانبياء فلم براخلاتق أحسن من المعراج أما رأيت الميث حين يشق بصره طامحا الى السماء فانما يشق بصره طامحا الى السماء عجبه بالمعراج قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقول له اسماعيل وهو صاحب السماء الدنيا وبين يديه سبعون الف ملك مع كل ملك جنوده مائة الف ملك قال قال الله عز وجل (وما يعلم جنود ربك إلا هو) قال فاستفتح جبريل باب السماء قيل من هذا ؟ قال جبريل قيل ومن معك ؟ قال محمد قيل أو قد بعث اليه ؟ قال نعم فاذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله عز وجل على صورته فاذا هو تعرض عليه أرواح ذريته من المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ثم فضيت هنية فاذا أنا بأخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد واذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنثى عندها أناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك يأتون الحرام ويترون الحلال . قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام مشافهم كشافر الابل قال فتفتح أفواههم فيلقمهم من ذلك الجر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضحجون إلى الله عز وجل فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء من أمتك (الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بنساء تعلقن بشديهن فسمعتهم يضحجن إلى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء ؟ قال هؤلاء الزناة^(١) من أمتك . قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر فيقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجيء السابلة فتطوهم قال فسمعتهم يضحجون إلى الله قال قلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم

(١) الزناة جهزان

فهو للمذكر ، وفي

الخصائص : اللاني

يزنين ويقتلن

أولادهن

باطنان ونهران ظاهرا فقلت ماهذان يا جبريل ؟ فقال أما الباطنان قهبران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات . وأوحى إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فأسأله التخفيف فان أمتك

الذي يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنية فاذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء؟ قال هؤلاء الهازون من أمتك الهازون قال ثم صعدنا إلى السماء الثانية فاذا أنا برجل أحسن ما خلق الله عز وجل قد فضل الناس في الحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت يا جبريل من هذا؟ قال هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه فرد علي، ثم صعدنا إلى السماء الثالثة واستفتح فاذا أنا بيعحي وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلمنا علي ثم صعدنا إلى السماء الرابعة فاذا أنا بآدريس قد رفعه الله مكانا عليا فسلمت عليه وسلم علي، قال ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فاذا أنا بهارون ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد لحيته تصيب سرته من طولها قلت يا جبريل من هذا؟ قال هذا المحبب في قومه هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي، ثم صعدت إلى السماء السادسة فاذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قيضان لفتد شعره دون القميص فاذا هو يقول يزعم الناس اني أكرم على الله من هذا بل هذا أكرم على الله مني قلت يا جبريل من هذا؟ قال هذا أخوك موسى بن عمران عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي، ثم صعدت إلى السماء السابعة فاذا أنا بأبينا ابراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال قلت يا جبريل من هذا؟ قال هذا أبوك ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلم علي وإذا أنا بأمتي شطرين شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس وشطر عليهم ثياب رمد قال فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحجب الآخرون الذين عليهم الثياب الرمد وهم على خير فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معي. قال والبيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون اليه إلى يوم القيامة قال ثم رفعت إلى سدة المنتهى فاذا كل ورقة منها تكاد تغطي هذه الامة، واذا فيها عين تجري يقال لها سلسيل فينشق منها نهران (أحدهما) السكوتر (والآخر) يقال له نهر الرحمة فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ثم اني رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية فقلت لمن أنت يا جارية قالت لزيد بن حارثة واذا بأنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، واذا رمانها كاللؤلؤ عظاما واذا أنا بطيرها كأنه يخيمكم هذه فقال عندها عليه السلام ان الله تعالى قد أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. قال ثم عرضت علي النار فاذا فيها غضب الله وزجره ونقمته ولو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني ثم اني رفعت إلى سدة

لا تطيق ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقلت يارب خفف على امتي فخط عني خمسا فرجعت إلى موسى فقلت خط عني خمسا قال إن أمتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فأسأله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى حتى قال الله تعالى يا محمد إنهن خمس صلوات

المنتهى فتعشاني فكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى . قال وينزل على كل ورقة منها ملك من الملائكة قال وفرضت علي خمسون صلاة ، وقال لك بكل حسنة عشر فاذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة فاذا عملتها كتبت لك عشرأ ، وإذا هممت بالسئنة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء . فان عملتها كتبت عليك سئنة واحدة ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرك ربك ؟ فقلت بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمك فان أمك لا تطيق ذلك ، ومتى لا تطيقه تكفر . فرجعت إلى ربي فقلت يا رب خفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني عشرأ وجعلها أربعين فإزالت أختلاف بين موسى وربي كما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه فقال لي بم أمرت فقلت بأمرت بعشر صلوات قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمك فرجعت إلى ربي فقلت أي رب خفف عن أمتي فانها أضعف الأمم فوضع عني خمسأ وجعلها خمسأ فناداني ملك عندها هممت : فربضتي وخففت عن عبادي وأعطيتهم بكل حسنة عشر أمثالها ثم رجعت إلى موسى فقال بم أمرت ؟ فقلت بخميس صلوات قال ارجع إلى ربك فانه لا يؤوده شيء . فاسأله التخفيف لأمك فقلت رجعت إلى ربي حتى استحييت » ثم أصبح بمكة يخبرهم بالأعاجيب اني أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى السماء ورأيت كذا وكذا فقال أبو جهل يعني ابن هشام الا تعجبون مما قال محمد ؟ يزعم انه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومقفلته شهراً فهذه مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال فأخبرتهم بعير لقربش لما كنت في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا وانها نفرت فلما رجعت وجدتها عند العقبة وأخبرهم بكل رجل وبعيه كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا فقال أبو جهل يخبرنا بأشياء فقال رجل منهم أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وهيته وكيف قربه من الجبل فان يكن محمد صادقاً سأخبركم وان يك كاذباً سأخبركم فجا . ذلك المشرك فقال يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني كيف بناؤه وكيف هيته وكيف قربه من الجبل قال فرغم لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته قال بناؤه كذا وكذا وهيته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر صدقت فرجع إليهم فقال صدق محمد فيما قال أو نحواً من هذا الكلام

وكذا رواه الامام أبو جعفر بن جرير بطوله عن محمد بن عبد الاعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن أبي هارون العبدى ، وعن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق عن معمر عن أبي هارون العبدى به ، ورواه أيضاً من حديث ابن اسحاق حدثني روح بن القاسم عن أبي هارون به نحو سياقه المتقدم ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أحمد بن عبدة عن أبي عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد عن أبي

كل يوم وليلة لكل صلاة عشر هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي ، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرأ ومن هم بسئنة فلم يعملها لم تكتب شيئاً فان عملها كتبت سئنة واحدة . قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمك

هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري فذكره بسياق طويل حسن أنيق أجود مما ساقه غيره على غرابته وما فيه من النكارة ، ثم ذكره البيهقي أيضاً من رواية روح بن قيس الحدائي وهشيم ومعر عن أبي هارون العبدى واسمه عمارة بن جوين وهو مضعف عند الأئمة ، وأما سقنا حديثه ههنا لما فيه من الشواهد لغيره ، ولما رواه البيهقي أخبرنا أبو عثمان علي بن عبد الرحمن أنبأنا أبو نعيم أحمد بن محمد بن إبراهيم البزار حدثنا أبو حامد بن بلال حدثنا أبو الازهر ثنا يزيد بن أبي حكيم قال : رأيت في النوم رسول الله ﷺ قلت يا رسول الله رجل من أمتك يقال له سفيان الثوري لا بأس به ، فقال رسول الله ﷺ « لا بأس به » حدثنا عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدري عنك يا رسول الله ليلة أسري بك قلت رأيت في السماء فحدثته بالحديث فقال لي « نعم » فقلت له يا رسول الله إن ناساً من أمتك يحدثون عنك في السرى بمعجائب ؟ فقال لي « ذلك حديث القصاص »

﴿رواية شداد بن أوس﴾ قال الامام أبو اسماعيل محمد بن اسماعيل الترمذي حدثنا اسحاق بن ابراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي حدثنا عمرو بن الحارث عن عبد الله بن سالم الاشعري عن محمد ابن الوليد بن عامر الزبيدي حدثنا أبو الوليد بن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثنا شداد بن أوس قال : قلنا يا رسول الله كيف أسري بك ؟ قال « صليت بأصحابي صلاة العتمة بمكة معاً فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض أو قال بيضاء فوق الحمار ودون البغل فقال اركب فاستصعب علي فدارها باذنها ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها حتى بلغنا أرضاً ذات فخل فأنزلني فقال صل فصليت ثم ركبت فقال أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بين رب صليت بطيبة فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها ثم بلغنا أرضاً قال انزل ثم قال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت بمدين عند شجرة موسى ، ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور فقال انزل فنزلت فقال صل فصليت ثم ركبنا فقال أتدري أين صليت ؟ قلت الله أعلم ، قال صليت ببית لحم حيث ولد عيسى المسيح بن مريم ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها البماني فأتى قبلة المسجد فربط فيه دابته ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر فصليت من المسجد حيث شاء الله وأخذني من العطش أشد ما أخذني فأتيت باناء بن في أحدهما ابن وفي الآخر غسل أرسل إلي بهما جميعاً فعدلت بينهما ثم هداني الله عز وجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرفت به جيني وبين يدي شيخ متكئ على مشواة له فقال أخذ صاحبك الفطرة انه ليهدى ، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة فاذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي ^(١) قلت يا رسول الله

(١) وفي الازهرية

الزراي ومثلها في
الخصائص

قلت سألت ربي حتى استحييت ولكن أرضى وأسلم. قال فلما جاوزت نادى مناد أمضيت فربضتي وخففت عن عبادي ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جنازة اللؤلؤ واذا ترابها المسك قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا دجاجة الانصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ « ثم عرج بي حتى ظهرت

كيف وجدتتها؟ قال وجدتتها مثل الحجة السخنة ثم انصرف بي فررنا بعير قريش بمكان كذا وكذا قد أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان فسلمت عليهم فقال بعضهم هذا صوت محمد ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة فأتاني أبو بكر رضي الله عنه فقال يا رسول الله أين كنت الليلة فقد التمسك في منامك ، فقال علمت أني أتيت بيت المقدس الليلة ، فقال يا رسول الله انه مسيرة شهر فصغه لي ، قال ففتح لي صراط كأنني أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنباه به ، فقال أبو بكر أشهد أنك لرسول الله ، وقال المشركون انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة ، قال فقال ان من آية ما أقول لكم اني مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه لهم فلان وإن مسيرهم يفلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ . هكذا رواه البيهقي من طريقين عن أبي اسماعيل الترمذي به ثم قال بعد تمامه هذا اسناد صحيح ، وروي ذلك مفرداً من أحاديث غيره ونحن نذكر ان شاء الله ما حضرنا ثم ساق أحاديث كثيرة في الاسراء كالشاهد لهذا الحديث ، وقد روي هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الامام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم في تفسيره عن أبيه عن اسحاق بن ابراهيم بن العلاء الزبيدي به ، ولا شك أن هذا الحديث أغنى الحديث المروي عن شداد بن أوس مشتمل على أشياء منها ما هو صحيح كما ذكره البيهقي ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم ، وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك والله أعلم

(رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهما) قال الامام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن قابوس عن أبيه قال حدثنا ابن عباس قال : ليلة أسري برسول الله ﷺ دخل الجنة فسمع في جانبها وخشاً^(١) فقال يا جبريل ما هذا؟ قال هذا بلال المؤذن فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس قد أفلح بلال رأيت له كذا وكذا قال فلقه موسى عليه السلام فرحب به وقال مرحباً بالنبي الامي قال وهو رجل آدم طويل سبط شعره مع أذنيه أو فوقها فقال من هذا يا جبريل ؟ قال هذا موسى ، قال فضى فلقه شيخ جليل متعجب فرحب به وسلم عليه وكلمهم يسلم عليه ، قال من هذا يا جبريل قال هذا أبوك ابراهيم ، قال ونظر في النار فاذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ، ورأى رجلاً أحمر أزرق جداً قال من هذا يا جبريل ؟ قال هذا عاقر الناقة ، قال فلما أتى رسول الله ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي فاذا النبيون أجمعون يصلون معه ، فلما انصرف جيء به فحدثني أحدهما عن النبيين والآخري عن الشمال في أحدهما ابن وفي الآخر غسل فأخذاً به فشرب

(١) في النسخ كلها:

وهو تصحيف
والوجس بالحيم
والسين المهملة الصوت
الحقي

لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم وأنس قال النبي ﷺ «ففرض الله على امتي خمسين صلاة» وروي معمر عن قتادة عن أنس أن النبي ﷺ أتى بالبراق ليلة أسري به ملجأ

منه فقال الذي كان معه القدح أصبت الفطرة « اسناد صحيح ولم يخرجوه

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ثابت أبو زيد حدثنا هلال حدثني عكرمة عن ابن عباس قال : أسري برسول الله ﷺ الى بيت المقدس ثم جاء من ليلته فخدمهم بمسيره وبعلامه بيت المقدس وبعيرهم فقال ناس نحن لا نصدق محمداً بما يقول فارتدوا كفاراً فضرب الله رقابهم مع أبي جهل ، وقال أبو جهل يخوفنا محمد بشجرة الزقوم هاتوا نمرأً وزبدأً فترقوا ، ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام وعيسى وموسى وإبراهيم ، وسئل النبي ﷺ عن الدجال فقال « رأيتاه فيلانيا أقر هجار ، إحدى عينيه قائمة كأنها كوكب دري كأن شعر رأسه أغصان شجرة ، ورأيت عيسى عليه السلام أبيض جعد الرأس حديد البصر ، ومبطن الخلق ، ورأيت موسى عليه السلام أسحم آدم كثير الشعر شديد الخلق ، ونظرت الى إبراهيم عليه السلام فلم أنظر الى أرب منه إلا نظرت اليه مني حتى كأنه صاحبكم ، قال جبريل سلم على أيك فسلمت عليه « ورواه النسائي من حديث أبي يزيد ثابت بن زيد عن هلال وهو ابن حبان به وهو اسناد صحيح

﴿ طريق أخرى ﴾ قال البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا أبو بكر الشافعي أنبأنا اسحاق ابن الحسن حدثنا الحسين بن محمد حدثنا شيخان عن قتادة عن أبي العالية قال حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ليلة أسري بي موسى بن عمران رجلاً طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى بن مريم عليه السلام مربوع الخلق الى الحرة والبياض سبط الرأس « وأري مالكا خازن جهنم والدجال في آيات أراهن الله إياه قال (فلا تكن في مربة من لقائه) فكان قتادة يفسرها أن نبي الله ﷺ قد لقي موسى عليه السلام (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) قال جعل الله موسى هدى لبني اسرائيل . رواه مسلم في الصحيح عن عبد بن حميد عن يونس بن محمد عن شيخان واخرجاه من حديث شعبة عن قتادة مختصراً

﴿ طريق أخرى ﴾ وقال البيهقي أخبرنا علي بن أحمد بن عبد الله أنا أحمد بن عبيد السمار ثنا ديس المعدل ثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لما أسري بي مرت بي رائحة طيبة فقلت ما هذه الرائحة ؟ قال ماشطة بنت فرعون وأولادها سقط المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت ربي وربك ورب أبيك قالت أولئك رب غير أبي ؟ قالت نعم ربي وربك ورب أبيك الله . قال فدعاها فقال ألك رب غيري ؟ قالت نعم ربي وربك الله عز وجل . قال فأمر ببقرة من نحاس فاحميت ثم أمر

مسرجاً فاستصعب عليه فقال له جبريل أبعث محمد تفعل هذا ؟ فأركبك أحد أكرم على الله منه ، فارفض عرقاً . وقال ابن بريدة عن أبيه قال : قال النبي ﷺ « لما انتهينا الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه فخرق بها الحجر وشد به البراق « أنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا

بها أن تلقى فيها قات إن لي اليك حاجة قال ماهي ؟ قالت تجمع عظامي وعظام ولدي في موضع قال ذلك لك لما لك علينا من الحق قال فأمر بهم فالتقوا واحداً واحداً حتى بلغ رضيعاً فيهم فقال بأمة قصي ولا تقاعسي فانت على الحق. قال وتكلم أربعة في المهد وهم صفار هذا وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام. اسناد لا بأس به ولم يخرجوه

(طريق أخرى) قال الامام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر وروح بن المعين قالا حدثنا عوف عن زرارة ابن أوفى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لما كان ليلة أسري بي فاصبعت بمكة فظنعت وعرفت أن الناس مكذبني فعدت معزلاً حزينا فرببه عدو الله أبو جهل فجاء حتى جلس اليه فقال له كالمستهزيء هل كان من شيء ؟ فقال له رسول الله ﷺ «نعم» قال وما هو ؟ قال «أني أسري بي الليلة» قال إلى أين ؟ قال «إلى بيت المقدس» قال ثم أصبحت بين ظهرانيها ؟ قال «نعم» قال فلم ير أن يكذب بخافة أن يجحد الحديث إن دعا قومه اليه ، فقال أرأيت إن دعوت قومك أن يحدثهم بما حدثتني فقال رسول الله ﷺ «نعم» فقال يا معشر بني كعب بن لؤي قال فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني فقال رسول الله ﷺ «أني أسري بي الليلة» فقالوا إلى أين ؟ قال «إلى بيت المقدس» قالوا ثم أصبحت بين ظهرانيها قال «نعم» قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً للكذب ، قالوا ونستطيع أن ننتع لنا المسجد وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد ، فقال رسول الله ﷺ «فما زلت أنعت حتى التبت على بعض النعت قال فنجي بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع دون دار عقيل أو عمال فنعته وأنا أنظر اليه قال وكان مع هذا نعت لم أحفظه قال فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب فيه. وأخرجه النسائي من حديث عوف بن أبي جميلة وهو الاعرابي به ، ورواه البيهقي من حديث النضر بن شميل وهوذة عن عوف وهو ابن أبي جميلة الاعرابي أحد الائمة الثقات

(رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) قال الحافظ أبو بكر البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب حدثنا السري بن خزيمة حدثنا يوسف بن بهلول حدثنا عبد الله بن غير عن مالك بن مغول عن الزبير بن عدي عن طلحة بن مصرف عن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود قال: لما أسري برسول الله ﷺ فانتهي إلى سدره المنتهى وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يصعد به حتى يقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها حتى يقبض (إذ يقبض السدره ما يغشى) قال غشيها فراش من ذهب وأعطى رسول الله ﷺ الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً

محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل حدثني محمود أنا عبد الرزاق أنا نا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «ليلة أسري بي لقيت موسى قال فنعته فاذا هو رجل - حسبته قال - مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة قال ولقيت عيسى فنعته النبي ﷺ فقال ربعة

المفحات يعني الكبار . ورواه مسلم في صحيحه عن محمد بن عبد الله بن نعيم وزهير بن حرب كلاهما عن عبد الله بن نعيم ، ثم قال البيهقي وهذا الذي ذكره عبد الله بن مسعود طرف من حديث المعراج ، وقد رواه أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ ثم عن أبي ذر عن النبي ﷺ ثم رواه مرة مرسلًا من دون ذكرهما ثم إن البيهقي ساق الأحاديث الثلاثة كما تقدم

قلت وقد روي عن ابن مسعود بأبسط من هذا وفيه غرابة وذلك فيما رواه الحسن بن عرفة في جزئه المشهور : حدثنا مروان بن معاوية عن قتادة بن عبد الله التيمي حدثنا أبو ظبيان الجني قال : كنا جلوساً عند أبي عبيدة بن عبد الله يعني ابن مسعود ومحمد بن سعد بن أبي وقاص وهما جالسان فقال محمد بن سعد لأبي عبيدة حدثنا عن أيك ليلة أسري به محمد ﷺ فقال أبو عبيدة لا بل حدثنا أنت عن أيك فقال محمد لو سألتني قبل أن أسألك لفعلت ، قال فأنشأ أبو عبيدة بحديث يعني عن أبيه كما سئل قال : قال رسول الله ﷺ « أنا نبي جبريل عليه السلام يداية فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق بهوي بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه كذلك مع يديه وإذا هبط استوت يدايه مع رجليه حتى مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شنوءة فيرفع صوته يقول أكرمته وفضلته قال فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال من هذا معك يا جبريل ؟ قال هذا أحمد ، قال مرحبا بالنبي الأمي العربي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته ، قال ثم اندفعنا فقلت من هذا يا جبريل ؟ قال هذا موسى بن عمران قال قلت ومن يعاتب قال يعاتب ربه فيك ، قلت ويرفع صوته على ربه قال إن الله قد عرف له حديثه . قال ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرح تحتها شيخ وعياله قال فقال لي جبريل اعمد إلى أيك إبراهيم فدفعنا إليه فسلمنا عليه فرد السلام فقال إبراهيم من هذا معك يا جبريل ؟ قال هذا ابنك أحمد قال فقال مرحبا بالنبي الأمي الذي بلغ رسالة ربه ونصح لأمته يا بني إنك لاق ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها فإن استطعت أن تكون حاجتك أو جلبها في أمتك فافعل . قال ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى فزلت فربطت الدابة في الحلقة التي في باب المسجد التي كانت الانبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع وساجد قال ثم أتيت بكاسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربت فضرب جبريل عليه السلام منكبي وقال أصبت الفطرة ورب محمد قال ثم أقيمت الصلاة فامتهم ثم انصرفنا فأقبلنا « اسناد غريب ولم يخرجوه » فيه من الفرائب سؤال الانبياء عنه عليه السلام ابتداء ثم سؤاله عنهم بعد انصرافه والمشهور في الصحاح كما تقدم أن جبريل كان يعلمهم هم أولاً ليسلم عليهم سلام معرفة ، وفيه أنه اجتمع بالانبياء عليهم السلام قبل دخوله المسجد أحمر كأنما خرج من ديماس يعني الحام ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت باناء بن أحدهما ابن والآخر فيه خمر قليل لي خذا أيهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقبل لي هديت الفطرة أو أصبت الفطرة أما انك لو أخذت الخمر لغوت أمتك . أنا عبد الواحد المليحي حدثنا أحمد بن عبد الله النعيمي

الاقصى ، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم في السموات ثم نزل الى بيت المقدس ثانياً وهم معه وصلى بهم فيه ثم انه ركب البراق وكر راجعاً الى مكة والله أعلم

(طريق أخرى) قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن جنادة عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال : لقيت ليلة امري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا امر الساعة قال فردوا امرهم الى ابراهيم عليه السلام فقال لا علم لي بها فردوا امرهم الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا امرهم الى عيسى فقال اما وجبت لها فلا يعلم بها أحد إلا الله عز وجل وفيما عهد الي ربي أن الدجال خارج قال ومعى قضيبان فاذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص قال فهلكه الله اذ رأيته حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم إن تحتي كافر آفتهال فاقتهال قال فبهاكم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطؤون بلادهم فلا يأتون على شيء إلا اهلكوه ولا يبرون على ما إلا شربوه قال ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم فادعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوي الارض من تن رجهم أي تنتن قال فينزل الله المطر فيجترق أجسادهم حتى يقذفهم في البحر فنيا عهد الى ربي أن ذلك اذا كان كذلك ان الساعة كالحامل المتيم لا يدري أهلها متى تفجؤم بولادها ليلاً أو نهاراً . وأخرجه ابن ماجه عن بNDAR عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب رواية عبد الرحمن بن قرط أخي عبيد الله بن قرط التميمي قال سعيد بن منصور حدثنا مسكين بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثني عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله ﷺ ليلة امري به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى من بين زمزم والمقام جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات العلى فلما رجع قال سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى من ذي المهابة مشفقات من ذي العلو بما علا سبحان العلى الاعلى سبحانه وتعالى . ونذكر هذا الحديث عند قوله تعالى من هذه السورة (تسبح له السموات السبع) الآية

(رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه) قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن أبي سنان عن عبيد بن آدم وأبي مرجم وأبي شعيب أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية فذكر فتح بيت المقدس قال : قال أبو سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم قال سمعت عمر بن الخطاب يقول لكعب ابن تری أن اصلي فقال ان أخذت غني صليت خلف الصخرة فكانت القدس

ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا الحبيدي ثنا سفيان ثنا عمرو عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ ليلة امري به الى بيت المقدس . قال والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم أنا عبد الواحد أنا احمد بن عبد الله النعمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني

كلها بين يديك فقال عمر (رض) ضاهيت اليهودية ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ فتقدم الى القبلة فصلى ثم جاء فبسط رداءه وكنس الكناسة في رداءه وكنس الناس فلم يعظم الصخرة تعظيما يصلي وراءها وهي بين يديه كما أشار كعب الاحبار وهو من قوم يعظمونها حتى جعلوها قبلتهم ولكن من الله عليه بالاسلام فهدي الى الحق ولهذا لما أشار بذلك قال له أمير المؤمنين عمر ضاهيت اليهودية ولا أهانتها اهانة النصراني الذين كانوا قد جعلوها مزبلة من أجل انها قبلة اليهود ولكن أماط عنها الاذى وكنس عنها الكناسة بردائه. وهذا شبيه بما جاء في صحيح مسلم عن أبي مرثد الغنوي قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا اليها »

(رواية أبي هريرة وهي مطولة جد أو فيا غرابة) قال الامام أبو جعفر ابن جرير في تفسير سورة سبعمان ثنا علي بن سهل ثنا جعفر عن الربيع بن أنس عن أبي العالية الرياحي عن أبي هريرة أو غيره شك أبو جعفر في قول الله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا) الآية قال جاء جبريل الى النبي ﷺ ومعه ميكائيل فقال جبرائيل لميكائيل اثنني بطست من ماء زمزم كما اظهر قلبه واشرح له صدره قال فشق عن بطنه ففصله ثلاث مرات واختلف اليه ميكائيل بثلاث طساس من ماء زمزم فشرح صدره فزرع ما كان فيه من غل وملاء علماء وحلما وإيمانا وبقينا واسلاما وختم بين كتفيه بخاتم النبوة ثم أتاه بغرس فحمله عليه كل خطوة منه منتهى بصره أو أقصى بصره قال فسار وشار معه جبريل عليهما السلام قال فأتني على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصدوا عاد كما كان فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذا ؟ » قال هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعائة ضعف (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) ثم أتني على قوم ترسخ رءوسهم بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال هؤلاء الذين تتناقل رءوسهم عن الصلاة المكتوبة ثم أتني على قوم على أقبالهم رقاع وعلى أديبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الابل والنعم ، وبأكون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها « قال فما هؤلاء يا جبريل ؟ » قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله تعالى شيئا وما الله بظلام لاعبيد ثم أتني على قوم بين أيديهم لحم نصيب في قدر ولحم آخر في قدر خبيث فجعلوا يأكلون من اللحم التي الخبيث ويدعون النصيب الطيب فقال « ما هؤلاء يا جبريل ؟ » فقال هذا الرجل من امتك تكون عنده المرأة الحلال الطيبة فيأتي امرأة خبيثة فيبيت عندها حتى يصبح ، والمرأة تقوم من عند زوجها حللا طيبا فتأتي رجلا خبيثا فيبيت معه

سليمان عن شريك بن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة: انه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرههم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه

حتى تصبح قال ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شيء الاخرته قال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا مثل اقوام من امتك يقعدون على الطريق فيقطعونها ثم تلاح ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون الآية قال ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يزيد عليها فقال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الرجل من امتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها وهو يريد أن يحمل عليها ثم أتى على قوم تقرض أسننتهم وشفاهم بقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع فقال ما هذا يا جبريل ؟ فقال هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها ثم أتى على واد فوجد ريحا طيبة باردة وريح مسك وشمع صوتا فقال يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وما هذا المسك وما هذا الصوت ؟ قال هذا صوت الجنة تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت غريفي واستبرقي وحريري وسندي وعبقري ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأكوابي وصحافي وبارقي وأكؤمي وعسلي ومائي ولبني وخمري فائتني بما وعدتني فقال لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن آمن بي وبرسلي وعمل صالحا ولم يشرك بي شيئا ولم يتخذ من دوني أندادا ومن خشني فهو آمن ومن سألني أعطيت ومن أقرضني جزيت ومن توكل علي كفيته ، اني انا الله لا إله الا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت قد رضيت قال ثم أتى على واد فسمع صوتا منكرا ووجد رجلا خبيثا فقال ما هذه الريح يا جبريل وما هذا الصوت ؟ فقال هذا صوت جهنم تقول يا رب ائتني بما وعدتني فقد كثرت سلاسل وأغلال وسعيري وجمي وضريبي وغساق وعذابي وقد بعد قعري واشتد حري فائتني بما وعدتني ، قال لك كل مشرك ومشركة ، وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب ، قالت قد رضيت . قال ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه الى الصخرة ثم دخل فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال محمد ﷺ قالوا او قد ارسل اليه قال نعم قالوا حياء الله من اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء . قال ثم لقي ارواح الانبياء فأتوا على ربهم فقال ابراهيم عليه السلام الحمد لله الذي اتخذني خليلا وأعطاني ملكا عظيما وجعلني امة قانتا يؤتم بي وأقذني من النار وجعلها علي بردا وسلاما ثم ان موسى عليه السلام أتى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليما وجعل هلاك

ووضعه عند بئر زمزم فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده . وساق حديث المعراج بقصته فقال : وإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان قال هذا النيل والفرات عنصرهما واحد ثم مضى به الى السماء الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب يده فاذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل ؟ قال هذا الكوثر الذي خبالك ربك . وساق

آل فرعون ونجاة بني اسرائيل على يدي وجعل من أمتي قوما يهدون بالحق وبه يعدلون. ثم ان داود عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي جعل لي ملكاً عظيماً وعلمني الزبور وآلان لي الحديد وسخر لي الجبال يسبحن والطير واعطاني الحكمة وفصل الخطاب. ثم ان سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذي سخر لي الرياح وسخر لي الشياطين يعملون لي ما شئت من محارب وعماليل وجفان كالجواب وقدور راسيات، وعلمني منطق الطير وآتاني من كل شيء فضلاً وسخر لي جنود الشياطين والانس والطير وفضلني على كثير من عباده المؤمنين، وآتاني ملكاً عظيماً لا ينبغي لاحد من بعدي وجعل ملكي ملكاً طيباً ليس فيه حساب. ثم ان عيسى عليه السلام أثنى على ربه عز وجل فقال: الحمد لله الذي جعلني كلمته وجعل مني كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون، وعلمني الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل وجعلني أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله وجعلني أبرئ الاكاه والابرس وأحيي الموتى باذن الله ورفعني وطهرني وأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل. قال ثم ان محمداً ﷺ أثنى على ربه عز وجل فقال: «كلكم أثنى على ربه واني من على ربي: الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين كافة للناس بشيراً ونذيراً وانزل علي الفرقان فيه بيات لكل شيء. وجعل أمتي خير أمة أخرجت للناس وجعل أمتي أمة وسطاً وجعل أمتي هم الاولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحاً وخاتماً» فقال ابراهيم عليه السلام بهذا فضلكم محمد ﷺ (قال ابو جعفر الرازي خاتم النبوة فاتح بالشفاعة يوم القيامة) ثم أتى بآية ثلاثة مقطعة أفواها فأتى باناً، منها فيه ماء قليل له اشرب فشرب منه يسيراً، ثم رفع اليه انا، آخر فيه لبن قليل له اشرب فشرب منه حتى روي، ثم دفع اليه انا، آخر فيه خمر قليل له اشرب فقال لا أريده قد رويت، فقال له جبريل أما انها ستحرم على أمتك ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل، قال ثم صعد به إلى السماء فاستفتح قليل من هذا يا جبريل فقال محمد، فقالوا أوقد أرسل اليه؟ قال نعم، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجبي. جاء ففتح لها، فدخل فاذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء. كما ينقص من خلق الناس عن يمينه باب يخرج منه ريح طيبة وعن شماله باب يخرج منه ريح خبيثة فاذا نظر إلى الباب الذي عن يمينه ضحك واستبشر واذا نظر إلى الباب الذي عن شماله بكى وحزن، فقلت يا جبريل من هذا الشيخ التام الخلق الذي لم ينقص من خلقه شيء وما هذان البابان؟ فقال هذا أبوك آدم وهذا الباب الذي

الحديث، وقال ثم عرج بي إلى السماء السابعة وقال قال موسى رب لم أظن ان ترفع علي أحداً ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله حتي جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فمد لي حتى كان منه قاب قوسين او أدنى فاوحى اليه فيما أوحى خمسين صلاة كل يوم وليلة وقال فلم يزل يردده موسى الى ربه حتي صارت الى خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخس فقال يا محمد والله لقد راودت بني

عن يمينه باب الجنة فإذا نظر إلى من يدخل الجنة من ذريته ضحك واستبشر ، والباب الذي عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخلها من ذريته بكى وحزن ، ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح فقيل من هذا معك ؟ فقال محمد رسول الله ، قالوا أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فإذا هو بشاين فقال يا جبريل من هذان الشابان ؟ قال هذا عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة عليهما السلام ، قال فصعد به إلى السماء الثالثة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك قال محمد ، قالوا أوقد أرسل إليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فإذا هو برجل قد فضل على الناس في الحسن كما فضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، قال من هذا يا جبريل الذي قد فضل على الناس في الحسن ؟ قال هذا أخوك يوسف عليه السلام ، قال ثم صعد به إلى السماء الرابعة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فإذا هو برجل قال من هذا يا جبريل ؟ قال هذا إدريس عليه السلام رفعه الله مكانا عليا ، ثم صعد به إلى السماء الخامسة فاستفتح فقالوا من هذا ؟ قال جبريل ، قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فإذا هو برجل جالس وحوله قوم يقص عليهم قل من هذا يا جبريل ومن هؤلاء ، حوله قال هذا هارون المحبوب وهؤلاء بنو اسرائيل ، ثم صعد به إلى السماء السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قالوا ومن معك ؟ قال محمد ، قالوا أوقد أرسل إليه ؟ قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فإذا هو برجل جالس فجاءه فبكي الرجل فقال يا جبريل من هذا ؟ قال موسى ، قال فما باله يبكي ؟ قال يزعم بنو اسرائيل أني أكرم بني آدم على الله عز وجل وهذا رجل من بني آدم قد خلفني في دنيا وأنا في أخرى فلو أنه بنفسه لم أبال ولكن مع كل نبي أمته ، قال ثم صعد به إلى السماء السابعة فاستفتح فقيل من هذا ؟ قال جبريل ، قيل ومن معك قال محمد ، قالوا أوقد أرسل إليه قال نعم ، قالوا حياه الله من أخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، قال فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسي وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم في ألوانهم شي ، فقام هؤلاء الذين في ألوانهم شي فدخلوا نهرا

إسرائيل قومي على أدنى من ذلك فضعفوا عنه وتركوه فامتك أضعف قلوبا وأجسادا وأبدانا وأبصارا وأمعانا فارجم فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يا رب ان أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأمعانهم وأبدانهم خفف عنهم فقال الجبار يا محمد قال « لبيك وسعديك » قال أنه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في أم الكتاب

فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء، ثم دخلوا نهر آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلصت ألوانهم فصارت مثل ألوان أصعابهم فجادوا فجلسوا إلى أصحابهم فقال يا جبريل من هذا الاشمط ثم من هؤلاء البيض الوجوه ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء وما هذه الانهار التي دخلوا فيها فجاءوا وقد صفت ألوانهم؟ قال هذا بوك ابراهيم أول من شبط على وجه الارض، وأما هؤلاء البيض الوجوه فقوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم، وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خاطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتأبوا فتأب الله عليهم، وأما الانهار فأولها رحمة الله والثاني نعمة الله والثالث سقام ربهم شرابا طهورا، قال ثم انتهى إلى السدرة فقيل له هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سنتك. فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والورقة منها تغطي الامة كلها قال ففشيها نور الخلاق عز وجل وغشيتها الملائكة أمثال القربان حتى وقع على الشجرة من حب الرب تبارك وتعالى، قالوا فكلمه الله عند ذلك فقال له سل، فقال انك اتخذت ابراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما كلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد، وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا وسخرت له الجن والانس والشياطين وسخرت له الرياح، وأعطيت له ملكا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والانجيل وجعلته يبري، الا كهو الابرص ويحيي الموتى باذنك وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان عليهما سبيل، فقال له الرب عز وجل وقد اتخذتك خليلا - وهو مكتوب في التوراة حبيب الرحمن - وأرسلتك إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك، ورفعت لك ذكرك، فلا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس، وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الاوين وهم الآخرين وجعلت أمتك لا تنجز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدني ورسولي، وجعلت من أمتك أقواما قلوبهم أناجيلهم وجعلت أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعا من المثاني لم يعطها نبي قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبيا قبلك، وأعطيتك الكوثر وأعطيتك ثمانية أسهم الاسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلت لك فاتحا خاتما، فقال النبي ﷺ «فضاني ربي بست: أعطاني فوائغ الكلام وخواتيمه وجوامع الحديث، وأرسلني إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا، وقذف في قلوب أعدائي الرعب من

فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في ام الكتاب وهي خمس عليك فقال موسى ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا فقال رسول الله ﷺ «قد والله استحييت من ربي مما اختلف اليه» قال فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام، وروى مسلم هذا الحديث مختصرا عن هارون بن سعيد الايلي عن ابن وهب عن سليمان بن بلال. قال شيخنا الامام رضي الله عنه قد قال بعض أهل

مسيرة شهر ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض كلها طهوراً ومسجداً ، قال وفرض عليه خمسين صلاة ، فلما رجع إلى موسى قال يا محمد ، قال بخمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم فقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع النبي ﷺ إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف فوضع عنه عشر آثم رجع إلى موسى فقال له بكم أمرت قال بأربعين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع النبي ﷺ إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشر آثم رجع إلى موسى فقال بكم أمرت قال بأربعين ، فقال له موسى ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه عشر آثم رجع إلى موسى عليه السلام فقال بكم أمرت قال بأربعين قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع إلى ربه عز وجل فسأله التخفيف فوضع عنه عشر آثم رجع إلى موسى فقال بكم أمرت قال بأربعين ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال فرجع إلى ربه فسأله التخفيف فوضع عنه خمسا فرجع إلى موسى عليه السلام فقال بكم أمرت قال بأربعين ، قال ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك أضعف الأمم ولقد لقيت من بني إسرائيل شدة ، قال قد رجعت إلى ربي حتى استحييت فما أنا براجع إليه ، قيل أما أنك كما صبرت نفسك على خمس صلوات فأنهن يجزين عنك خمسين صلاة فإن كل حسنة بعشر أمثالها ، قال فرضي محمد ﷺ كل الرضا ، قال وكان موسى عليه السلام من أشد هم عليه حين مر به وخبرهم له حين رجع إليه . ثم رواه ابن جرير عن محمد بن عبيد الله عن أبي النضر هاشم بن القاسم عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية أو غيره شك أبو جعفر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره بمعناه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي عن أبي سعيد المالبيني عن ابن عدي عن محمد بن الحسن السكوني بالبصري بالرملة حدثنا علي بن سهل فذكر مثل ما رواه ابن جرير عنه ، وذكر البيهقي أن الحاكم أبا عبد الله رواه عن اسماعيل بن محمد بن الفضل بن محمد الشعرائي عن جده عن إبراهيم بن حمزة الزبيري عن حاتم بن اسماعيل حدثني عيسى بن ماهان يعني أبا جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره وقال ابن أبي حاتم ذكر أبو زرعة حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا يونس بن بكير حدثنا

الحديث ما وجدنا لمحمد بن اسماعيل ولمسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا إلا هذا وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبد الله وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه وانفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة قبل المعجزة بسنة وفيه أيضا أن الجبار دنا فتدلى وذكرت عائشة أن الذي دنا فتدلى جبريل عليه السلام قال شيخنا الامام رضي الله عنه وهذا الاعتراض عندي

عيسى بن عبد الله التميمي عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس البكري عن أبي العالية أو غيره شك عيسى عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال في قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام) فذكر الحديث بطوله كنعوه مما سقناه (قلت) وأبو جعفر الرازي قال فيه الحافظ أبو زرعة الرازي بهم في الحديث كثيراً وقد ضعفه غيره أيضاً وثقه بعضهم، والظاهر أنه سيء الحفظ ففينا تفرد به نظر. وهذا الحديث في بعض ألفاظه غريبة ونكارة شديدة وفيه شيء من حديث المنام من رواية سمرة بن جندب في المنام الطويل عند البخاري وبشبه أن يكون مجموعاً من أحاديث شتى أو منام أو قصة أخرى غير الاسراء والله أعلم

وقد روى البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «حين أسري بي لقيت موسى عليه السلام - فنعته فإذا رجل حسبه قال - مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة»، قال ولقيت عيسى - فنعته النبي ﷺ قال - ربعة أحر كأنما خرج من ديماس - يعني حمام، قال - ولقيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت باناً من في أحدهما ابن وفي الآخر خمر قيل لي خذ أيهما شئت فأخذت اللبن فشربت فقبل لي هديت الفطرة أو أصبت الفطرة أما إنك لو أخذت الخمر غوت أمك» وأخرجاه من وجه آخر عن الزهري به نحوه

وفي صحيح مسلم عن محمد بن رافع عن حجين بن المثنى عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن عبد الله ابن الفضل الهاشمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسالوني عن أشياء من بيت المقدس لم اثبتها فكربت كرباً ما كربت مثله قط فرفعه الله إلي انظر إليه ماسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الانبياء وإذا موسى قائم يصلي وإذا هو رجل جمع كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس شبيهاً به عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أقرب الناس شبيهاً به صاحبكم يعني نفسه فحانت الصلاة فأتممتهم فلما فرغت قال قائل يا محمد هذا مالك خازن جهنم فالتفت إليه فبدأني بالسلام» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حماد بن حماد عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي الصلت عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «رأيت ليلة أسري بي لما انتهيت إلى السماء السابعة فنظرت فوق فإذا رعد وبرق وصواعق. قال وأتيت على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله عز وجل قبل الوحي بدليل آخر الحديث قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيقاً لرؤياه من قبل كأنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة ثم كان تحقيقه سنة ثمان ونزل قوله عز وجل (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) وروى أنه لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به وكان بذى طوى

من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء أكلة الربا، فلما نزلت الى السماء الدنيا انظرت أسفل مني فاذا أنا برهيج ودخان وأصوات فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هذه الشياطين يحومون علي أعين بني آدم لا يتفكرون في ملكوت السموات والارض ولولا ذلك لأرأوا العجائب ورواه الامام أحمد عن حسن وعفان كلاهما عن حماد بن سلمة به ورواه ابن ماجه من حديث حماد به

(رواية جماعة من الصحابة ممن تقدم وغيرهم) قال الحافظ البيهقي حدثنا ابو عبيد الله بن الحاکم حدثنا عبد الله بن يزيد بن يعقوب الدقاق الهمداني حدثنا ابراهيم بن الحسين الهمداني حدثنا ابو محمد هو اسماعيل بن موسى الفزاري حدثنا عمر بن سعد النضري من بني نضرة بن معين حدثني عبد العزيز وليث بن أبي سليم وسليمان الاعمش وعطاء بن السائب بعضهم يزيد في الحديث على بعض عن علي ابن أبي طالب وعبد الله بن عباس وعن محمد بن اسحاق بن بسار عن حماد بن عيسى عن سليمان بن عمار الشعبي عن عبد الله بن مسعود وجويبر عن الضحاك بن مزاحم قالوا كان رسول الله ﷺ في بيت أم هانئ راقداً وقد صلى العشاء الآخرة قال أبو عبد الله الحاكم قال لنا هذا الشيخ وذكر الحديث فكتبت المتن من نسخة مسموعة منه فذكر حديثاً طويلاً يذكر فيه عدد الدرج والملائكة وغير ذلك مما لا ينكر شيء منها في قدرة الله إن صحت الرواية. قال البيهقي فيما ذكرنا قبل في حديث أبي هارون العبدى في اثبات الامراء والمعراج كفاية وبالله التوفيق (قلت) وقد أرسل هذا الحديث غير واحد من التابعين وأئمة المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين

(رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها) قال البيهقي أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرني مكرم ابن أحمد القاضي حدثني ابراهيم بن أحمد البلدي حدثني محمد بن كثير الصنعاني حدثنا معمر بن راشد عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت لما أسري برسول الله ﷺ الى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه وسعوا بذلك الى أبي بكر فقالوا هل لك في صاحبك؟ يزعم أنه أسري به الليلة الى بيت المقدس فقال أو قال ذلك؟ قالوا نعم قال ابن كان قال ذلك لقد صدق قالوا فتصدقه أنه ذهب الليلة الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح؟ قال نعم إني لأصدق به فيما هو أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء في غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق

قال يا جبريل « ان قومي لا يصدقوني » قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ « لما كانت ليلة أسري بي أصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت ان الناس يكذبوني » فروي انه عليه الصلاة والسلام قدم معتزلاً حزينا فمر به ابو جهل فجاس اليه فقال له كالتنهي هل استفتدت من شيء؟ قال « نعم » اني أسري بي الليلة قال إلى أين؟ قال « الى بيت المقدس » قال ثم أصبحت بين ظهراني قال نعم فلم يرا ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة أن يجهده الحديث قال اتحدث قومك بما حدثني به؟ قال نعم : قال ابو جهل يا معشر بني كعب

(رواية أم هاني بنت أبي طالب) قال محمد بن اسحاق حدثني بن محمد السائب الكلبي عن أبي صالح باذان عن أم هاني بنت أبي طالب في مسرى رسول الله ﷺ أنها كانت تقول : ما أسري برسول الله ﷺ إلا وهو في بيتي نائم عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا برسول الله ﷺ فلما صلى الصبح رصينا معه قال يا أم هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترين السكلي متروك بكرة ساقط لكن رواه أبو يعلى في مسنده عن محمد بن اسماعيل الانصاري عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن أبي صالح عن أم هاني بأبسط من هذا السياق فليكتب ههنا

وروى الحافظ أبو القاسم الطبراني من حديث عبد الأعلى بن أبي المساور عن عكرمة عن أم هاني قالت بات رسول الله ﷺ ليلة أسري به في بيتي ففقدته من الليل فامتنع مني النوم مخافة أن يكون عرض له بعض قریش فقال رسول الله ﷺ « إن جبريل عليه السلام أتاني فأخذ يدي فأخرجني فإذا على الباب دابة دون البغل وفوق الحمار فحملني عليها ثم انطلق حتى انتهى بي الى بيت المقدس فأراني ابراهيم عليه السلام يشبه خلقه خلقي ويشبه خلقه وأراني موسى آدم طويلا سبط الشعر شبهته رجال أزد شنوءة، وأراني عيسى بن مريم أربعة أبيض يضرب الى الحرة شبهته بعروة بن مسعود الثقفي، وأراني الدجال ممسوح العين اليمنى شبهته بقطن بن عبد العزى - قال - وأنا أريد أن أخرج الى قریش فأخبرهم بما رأيت فأخذت بثوبه فقلت إني أذكرك الله إنك تأتي قومك يكذبونك وينكرون مقاتلك فأخاف أن يسطوا بك قالت فضرب ثوبه من يدي ثم خرج اليهم فأنامهم وهم جلوس فأخبرهم ما أخبرني فقام جبر بن مطعم فقال يا محمد ان لو كنت لك شأن كما كنت ماتت كملت بما تكلمت به وانت بين ظهرائنا فقال رجل من القوم يا محمد هل مررت بابل لنا في مكان كذا وكذا ؟ قال « نعم والله قد وجدتهم قد أضلوا بغير آلهم فهم في طلبه » قال هل مررت بابل لبني فلان ؟ قال « نعم وجدتهم في مكان كذا وكذا وقد انكسرت لهم ناقة حمراء وعندهم قصعة من ماء فشربت ما فيها » قالوا فأخبرنا عدتها وما فيها من الرعاة قال « قد كنت عن عدتها مشغولا » فقام فاني بالابل فقدها وعلم

ابن أوحي ههنا قال فانفضت اليه المجالس فجاءوا حتى جلسوا اليهما قال فحدث قوامك بما حدثني قال « نعم انه أسري بي الليلة » قالوا الى اين ؟ قال الى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت بين ظهرائنا قال نعم قال فن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا للكذب، وارتدنا من آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين الى أبي بكر فقال هل لك في صاحبك ؟ يزعم انه أسري به الليلة الى بيت المقدس قال أوقد قال ذلك ؟ قال نعم قال لئن كان قال ذلك لقد صدق قالوا وأصدقه انه ذهب الى بيت المقدس في ليلة وجاء قبل أن يصبح قال نعم اني لأصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في

ما فيها من الرعاة ثم أتى قريشاً فقال لهم « سألتموني عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة فلان وفلان وسألتموني عن ابل بني فلان فهي كذا وكذا وفيها من الرعاة ابن أبي قحافة وفلان وفلان وهي تصبحكم بالغداة على النسيئة » قال ففعدوا على النسيئة ينظرون أصدقهم ما قال فاستقبلوا الابل فسألوه هل ضل لكم بعير ؟ فقالوا نعم فسأل الآخر هل انكسرت لكم ناقة حمراء ؟ قالوا نعم قالوا فهل كانت عندكم قصعة قال أبو بكر أنا والله وضعتها فما شربها أحد ولا أهرأقوه في الأرض فصدقه أبو بكر وآمن به فسمي يومئذ الصديق

(فصل) وإذا حصل الوقوف على مجرع هذه الاحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها يحصل مضمون ما اتفقت عليه من مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه فإن الخطأ جائز على من عدا الانبياء عليهم السلام. ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فأثبت اسرأت متعددة فقد أبعد وأغرب، وهرب إلى غير هرب، ولم يتحصل على مطلب ، وقد صرح بعضهم من المتأخرين بأنه عليه السلام أسري به مرة من مكة إلى بيت المقدس فقط ومرة من مكة إلى السماء فقط ومرة إلى بيت المقدس ومنه إلى السماء وفرح بهذا المسلك وأنه قد ظفر بشي. بخلص به من الاشكالات وهذا بعيد جداً ولم ينقل هذا عن أحد من السلف ولو تعدد هذا التعدد لا خير النبي ﷺ به أمته ولنقله الناس على التعدد والتكرار ، قال موسى بن عقبة عن الزهري كان الاسراء قبل الهجرة بسنة ، وكذا قال عروة وقال السدي بستة عشر شهراً

والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا مناما من مكة إلى بيت المقدس راكباً البراق، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ثم أتى بالمعراج وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها فصعد فيه إلى السماء الدنيا ثم إلى بقية السموات السبع فلقاه من كل سماء مقربوها وسلم على الانبياء الذين في السموات بحسب منازلهم ودرجاتهم حتى مر بموسى الكليم في السادسة وابراهيم الخليل في السابعة ثم جاوز منزلتيهما صلى الله وسلم عليهما وعلى سائر الانبياء حتى انتهى إلى مستوى يسمع فيه صريف الاقلام أي أقلام انقدر بما هو كائن ورأى سدرة المنتهى وغشياً من أمر الله تعالى

غدوة أو روحة فلذلك سمي أبو بكر الصديق. قال وفي القوم من أتى المسجد الأقصى فقالوا هل تستطيع أن تنعت لنا المسجد الأقصى ؟ قال نعم : قال فذهبت أنعت وأنعت فمازلت أنعت حتى التيس علي بعض النعت قال فخيء بالمسجد وأنا أنظر إليه حتى وضم دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر إليه فقال القوم أما النعت فوالله لقد أصاب، ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن غيرنا فهي أم الينا فهل لقيت منها شيئاً ؟ قال نعم مررت على غير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحالم قدح من ماء فعطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسألوه هل وجدوا الماء في القدح حين رجعوا

عظمة عظيمة من فراش من ذهب وأوان متعددة وغشيتها الملائكة ورأى هنالك جبريل على صورته وله ستمائة جناح ورأى رفر فآخضِر قدس الافق ، ورأى البيت المعمور و ابراهيم الخليل باني الكعبة الارضية مسند ظهره اليه لأنه الكعبة السماوية يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يتعبدون فيه ثم لا يعودون اليه إلى يوم القيامة ، ورأى الجنة والنار ، وفرض الله عليه هنالك الصلوات خمسين ثم خففها إلى خمس رحمة منه ولطفاً بهباده وفي هذا اعتنا ، عظيم بشرف الصلاة وعظمتها ، ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط معه الانبياء فصلى بهم فيه لما حانت الصلاة ، ويحتمل أنهم الصبح من يومئذ ، ومن الناس من يزعم أنه أهمهم في السماء والذي تظاهرت به الروايات أنه بيت المقدس ولكن في بعضها أنه كان أول دخوله اليه ، والظاهر أنه بعد رجوعه اليه لأنه لما مر بهم في منازلهم جعل يسأل عنهم جبريل واحداً واحداً وهو يخبره بهم وهذا هو اللائق لأنه كان أولاً مطلوباً إلى الجناب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتمع به هو واخوانه من النبيين ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الامامة وذلك عن اشارة جبريل عليه السلام له في ذلك ، ثم خرج من بيت المقدس فركب البراق وعاد إلى مكة بفلس والله سبحانه وتعالى أعلم

وأما عرض الآنية عليه من اللبن والعسل أو اللبن والحجر ، أو اللبن والماء أو الجميع فقد ورد أنه في بيت المقدس وجاء أنه في السماء ، ويحتمل أن يكون ههنا وههنا لأنه كالضيافة للقادم والله أعلم .
ثم اختلف الناس هل كان الاسراء بيدنه عليه السلام وروحه أو بروحه فقط على قوانين قالا كثيرون من العلماء على أنه أسري بيده وروحه يقظة لا مناما ، ولا ينكرون أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك مناماً ثم رآه بعده يقظة لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، والدليل على هذا قوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) فالتمسيح إنما يكون عند الامور العظام فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء . ولم يكن مستعظماً ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ولما ارتدت جماعة ممن كان قد أسلم ، وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وقد قال (أسرى بعبده ليلاً) وقال تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم . رواه البخاري ، وقال تعالى

اليه قالوا هذه آية ، قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكبان قعوداً لهما بذئ طوى فنفر بهيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوها عن ذلك . قالوا هذه آية ، قالوا فأخبرنا عن عبرتنا نحن متى تنجي . قال مررت بها بالنعيم قالوا فاعدها وأحاطا وهيتها ومن فيها ؟ فقال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان يقدمها جل أورق عليه غارتان مخيطتان يطلم عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه آية أخرى ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئاً وبينه حتى أتوا كداً فجلسوا عليه فجعلوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم والله هذه الشمس قد طلعت ، وقال آخر

(ما زاغ البصر وما طغى) والبصر من آلات الذات لا الروح وأيضاً فإنه حمل على البراق وهو دابة بيضاء براءة لها المعان وإنما يكون هذا للبدن لا للروح لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه والله أعلم وقال آخرون بل أسري برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده . قال محمد بن اسحاق في السيرة حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أن معاوية بن أبي سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة كانت تقول ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه . قال ابن اسحاق فلم ينكر ذلك من قولها لقول الحسن أن هذه الآية نزلت (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) ^(١) ولقول الله في الخبر عن ابراهيم (اني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى) قال ثم مضى على ذلك فعرفت أن الوحي يأتي للأنبياء من الله أيقاظاً ونياماً فكان رسول الله ﷺ يقول «نام عيناى وقابى يقظان» والله أعلم أي ذلك كان قد جاءه وعابن من الله فيه ما عابن على أي حالاته كان نائماً أو يقظاناً كل ذلك حق وصدق انتهى كلام ابن اسحاق . وقد تعقبه أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالرد والانكار والتشنيع بأن هذا خلاف ظاهر سياق القرآن وذكر من الأدلة على رده بعض ما تقدم والله أعلم

(١) كذا في الأصول كلها وفيه سقط والمروى عن الحسن أن هذه الآية نزلت فيمن ارتد من المشركين عند ما أخبرهم (ص) بأسرائه والمراد أن لفظ الرؤيا إنما هو لما يرى في المنام

(قائدة حسنة جليلة) روى الحافظ أبو نعيم الاصبهاني في كتاب دلائل النبوة من طريق محمد ابن عمر الواقدي حدثني مالك بن أبي الرجال عن عمر بن عبد الله عن محمد بن كعب القرظي . قال بعث رسول الله ﷺ دحية بن خليفة الى قيصر فذكر وروده عليه وقدمه اليه وفي السياق دلالة عظيمة على وفور عقل هرقل ثم استدعى من بالشام من التجار فجى . بأبي سفيان صخر بن حرب وأصحابه فسألهم عن تلك المسائل المشهورة التي رواها البخاري ومسلم كما سيأتي بيانه وجعل أبو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغره عنده . قال في هذا السياق عن أبي سفيان والله ما منعني من أن أقول عليه قولا أسقطه من عينه إلا اني أكره أن أكذب عنده كذبة يأخذها علي ولا يصدقني في شيء . قال حتى ذكرت قوله ليلة أسري به قال فقلت ايها الملك ألا أخبرك خبراً تعرف انه قد كذب ؟ قال وما هو ، قال قلت انه يزعم لنا انه خرج من أرضنا أرض الحرم في ليلة فجاء مسجدكم هذا مسجد إيليا ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح . قال و - بطريق إيليا عند رأس قيصر - فقال بطريق

وهذه والله الابل قد طلعت يقدمها بهير أ ورق فيها فلان وفلان كما قال لهم فلم يؤمنوا وقالوا (ان هذا الا سحر مبين) أنا امما عيل بن عبد القادر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودى أنبأنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني زهير بن حرب ثنا حجير بن المثني أنبأنا عبد العزيز وهو ابن ابني سلمة عن عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها قال فكربت كرباً ما كربت مثله قط» قال فرفعه الله لي انظر اليه

ايليا قد علمت تلك الالة قال فنظر اليه قيصر وقال : وما عليك بهذا قال اني كنت لا انام ليلة حتى أغلق ابواب المسجد فلما كان تلك الالة أغلقت الابواب كلها غير باب واحد غلبنى فاستعنت عليه بهالي ومن يحضرني كاهن معالجه فغلبنى فلم نستطع أن نحركه كأنما نزول به جبلا فدعوت اليه النجاجة فنظروا اليه فقالوا ان هذا الباب سقط عليه النجاف والبنيان ما نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من اين أتى . قال فرجعت وتركته البابين مفتوحين . فلما أصبحت غدوت عليهما فاذا الحجر الذي من زاوية المسجد مثقوب واذا فيه أثر مربوط الدابة قال فقلت لاصحابي ما حبس هذا الباب الالة الاعلى شيء ، وقد صلي الالة في مسجدنا وذكر تمام الحديث

﴿قائدة﴾ قال الحافظ ابو الخطاب عمر بن دحية في كتابه (التنوير في مولد السراج المنير) وقد ذكر حديث الاسراء من طريق أنس وتسلم عليه فأجاد وأفاد ثم قال . وقد تواترت الروايات في حديث الاسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وابي ذر ومالك بن صعصعة وابي هريرة وابي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبي حبة وابي ليلى الانصاريين وعبد الله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبي ايوب وأبي امامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وام هاني وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره علي ما وقع في المسانيد ، وان لم تكن رواية بعضهم علي شرط الصحة فحديث الاسراء أجمع عليه المسلمون وأعرض عنه الزنادقة والملحدون (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)

وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل ألا تتخذوا من دوني وكيلا (٢)

ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا (٣)

لما ذكر تعالى انه أسرى بعبد محمد ﷺ عطف بذكر موسى عبده ورسوله وكليمه أيضاً فإنه تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد عليهما من الله الصلاة والسلام ويبين ذكر التوراة والقرآن ولهذا قال بعد ذكر الاسراء (وآتيناه موسى الكتاب) يعني التوراة وجعلناه أي الكتاب هدى أي هاديا لبني اسرائيل أن لا تتخذوا أي لا تتخذوا من دوني وكيلا أي وليا ولا نصيراً ولا معبوداً ما يسألوني عن شيء إلا أنبأهم به ، ولقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة ، واذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي ، واذا ابراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فجاءت الصلاة فأعتمهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام قوله عز وجل ﴿ وآتيناه موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل أن لا ﴾ بأن لا ﴿ تتخذوا من دوني وكيلا ﴾ ربا كفيلاً قرأ ابو عمرو لا يتخذوا بالياء لانه خبر عنهم ، والآخرون بالتاء يعني

دونني لأن الله تعالى أنزل على كل نبي أرسله أن يعبد وحده لا شريك له ثم قال (ذرية من حملنا مع نوح) تقديره باذرية من حملنا مع نوح فيه تهبيج وتنبية على المنبة أي بآسالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم (أنه كان عبداً شكورا) فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بآسالي إليكم محمداً ﷺ وقد ورد في الحديث وفي الآثار عن السلف أن نوحاً عليه السلام كان يحمد الله على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله فلهذا سمي عبداً شكورا. قال الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن أبي حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد بن مسعود الثقفي قال أما سميت نوح عبداً شكوراً لأنه كان إذا أكل أو شرب حمد الله

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أسامة حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي بردة عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «ان الله يرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمد الله عليها» وهكذا رواه مسلم والترمذي والنسائي من طريق أبي أسامة به، وقال مالك عن زيد بن أسلم كان يحمد الله على كل حال، وقد ذكر البخاري هنا حديث أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» بطوله، وفيه «فيأتون نوحاً فيقولون يا نوح إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبداً شكوراً فاشفع لنا إلى ربك» وذكر الحديث بكامله

وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتب لتفسيدين في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً (٤) فإذا جاء وعد أولهما بمثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً (٥) ثم ردنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً (٦) إن أحسنتم أحسنتم لأتفككم وإن أسأتم فلها فإذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتيهوا (٧) عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً (٨)

فلما لم لا تتخذوا (ذرية من حملنا) قال مجاهد هذا نداء يعني باذرية من حملنا (مع نوح) في السفينة فأنجيناهم من الطوفان (أنه كان عبداً شكورا) كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاماً أو شرب شراباً أو لبس ثوباً قال الحمد لله فسمي عبداً شكوراً أي كثير الشكر قوله عز وجل (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب) الآيات. روى سفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ «إن بني إسرائيل لما اعتدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملكاً فارم من مختصر وكان الله ملكه سبعائة سنة فسار إليهم

يخبر تعالى انه قضى إلى بني اسرائيل في الكتاب أي تقدم اليهم وأخبرهم في الكتاب الذي أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعسلون علواً كبيراً أي يتعجبون وبطغون ويفجرون على الناس كقوله تعالى (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) أي تقدمنا إليه وأخبرناه بذلك وأعلمناه به

حتى دخل بيت المقدس فحاصرها وفتحها حتى قتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام سبعين ألفاً ثم سبى أهلها وأولاد الانبياء وسلب حلي بيت المقدس ، واستخرج منها سبعين ألفاً ومائة ألف عجلة من حلي قلت يا رسول الله كان بيت المقدس عظيماً ؟ قال « أجل بناء سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد وكان عمده ذهباً أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين يأتونه بهذه الاشياء في طرفه عين فسار بها مختصر حتى نزل بابل فأقام بنو اسرائيل في يده مائة سنة يستعبدون المجوس وأبناء المجوس فيهم الانبياء ، ثم إن الله رحمهم فأوحى إلى ملك من ملوك فارس يقال له كورش وكان مؤمناً أن يسير اليهم ليستنقذ بقايا بني اسرائيل فسار كورش لبني اسرائيل وحلي بيت المقدس حتى رده اليه فأقام بنو اسرائيل مطيعين لله تعالى مائة سنة ، ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكاً يقال له انطيانوس فغزا بني اسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبى أهله وأحرق بيت المقدس ، وقال لهم يا بني اسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبي فعادوا فسلط الله عليهم ملكاً رومياً يقال له قاقس بن استيانوس فغزا في البر والبحر فسباهم وسبى حلي بيت المقدس وأحرق بيت المقدس . قال رسول الله ﷺ « هذا من صفة حلي بيت المقدس ، ويرده المهدي إلى بيت المقدس هو ألف وسبع مائة سفينة يرمي بها على بابها حتى تنقل إلى بيت المقدس وبها يجمع الله الاولين والآخرين »

قال محمد بن اسحاق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم بحسن اليهم ، وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى إذا ملك الملك عليهم بعث معه نبياً يسدده ويرشده لا ينزل عليهم الكتب إنما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها ، فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أصفيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ، وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام فقال أبشري أودى تعلم الآن يأتيك ركب الحمار ومن بعده صاحب البعير . فلك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زماناً طويلاً ، فلما انقضى ملكه عظمت فيهم الاحداث وشعيا ^(١) معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فجاء النبي شعيا وقال له يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ^(٢) ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بستمائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا فكبر ذلك على الملك فقال يا بني الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبسنجاريب وجنوده ؟ فقال لم يأتي وحي ،

(١) أشعيا بالهمزة في أوله ولكن يذكره في كتبنا بدونها
(٢) سنجاريب ملك اشور بالحاء المهملة وقد تكرر هنا وفي الخازن وغيره ذكره بالجيم فالظاهر انه من غلط علمائنا لامن النسخ والطبع

وقوله (فاذا جاء وعد اولاهما) أي أولى الافسادين (بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد) أي سلطنا عليكم جنداً من خلقنا أولي بأس شديد أي قوة وعدة وسلطنة شديدة فجاسوا خلال الديار أي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أي بينها ووسطها وانصرفوا ذاهبين وجائين لا يخافون أحداً وكان وعداً مفعولاً ، وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلطين عليهم من

فبيناهم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبي أن انت ملك بني اسرائيل ففره أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعيا ملك بني اسرائيل صديقة فقال له إن ربك قد أوحى إلي أن آمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت ، فلما قال شعيا لصديقة هذا أقبل على القبلة فصلي ودعا وبكى فقال وهو يبكي ويتضرع إلى الله بقلب مخلص اللهم رب الارباب وإله الآلهة يا قدوس يا مقدس يا رحمن يا رحيم يا رءوف يا من لا تأخذ سنة ولا نوم اذكرني بعملتي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني ، سري وعلايتي لك وأنت الرحمن فاستجاب له وكان عبداً صالحاً فأوحى الله إلى شعيا أن يخبر صديقة أن ربه قد استجاب له ورحمه وأخر له أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من عدوه سنجاريب فأتاه شعيا فأخبره بذلك ، فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجداً لله وقال : يا إلهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتفر من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير ، عالم الغيب والشهادة أنت الاول والاخر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين . وأنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي ، فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا أن قل للملك صديقة فيأمر عبداً من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله في قرحته فيشفي فيصبح وقد برأ . ففعل وشفي ، وقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا علماً بما هو صانع بعدونا هذا ، قال الله لشعيا قل له أفي قد كفيتك عدوك وأنجيتك منهم وإنهم سيصيبون موتى كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدم بخنصر ، فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل إن الله قد كفأك عدوك فأخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا ، فلما خرج الملك الخمس سنجاريب في اقتلى فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطالب في مفارة وخمسة نفر من كتابه أحدم بخنصر فجعلهم في الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بني اسرائيل فلما رآهم خر ساجداً لله من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ؟ فقال سنجاريب له قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ، ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادتي فلم أعلم مرشداً ولم يلقني في الشقوة الا قلة عقلي ، ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء . وإن ربنا لم يبيدك ومن معك الاكرامك على ربك ، ولكنه إنما أبغاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذاباً في الآخرة ولتخبروا من

ثم فغن ابن عباس وقتادة انه جالوت الجزري وجنوده سلط عليهم أولاً ثم أدبوا عليه بعد ذلك ، وقتل داود جالوت ولهذا قال (ثم رددنا لكم السكرة عليهم) الآية وعن سعيد بن جبير انه ملك الموصل سنجاريب وجنوده وعنه أيضاً وعن غيره انه مختصر ملك بابل ، وقد ذكر ابن أبي حاتم له قصة عجيبة في كيفية ترقيه من حال إلى حال الى أن ملك البلاد وانه كان فقيراً مقعداً ضعيفاً يستعطي الناس

وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلكم ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت . ثم إن ملك بني اسرائيل أمر أمير حرسه فحذف في رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس وإيليا وكان برزقهم كل يوم خبز من شعير لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب لملك بني اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك إلى سجن القتل فأوحى الله إلى شعيا عليه السلام أن قل لملك بني اسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرههم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعيا الملك ذلك ففعل الملك صدقة مأمراً باخراج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ، فلما قدموا جهم الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده ، فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنحاريب تخويفاً لهم ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف بمختصر ابن ابنه على ما كان عليه جده يعمل عمله فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صدقة فرج أمر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضاً ونبيهم شعيا معهم ولا يقبلون منه ، فلما فعلوا ذلك قال الله لشعيا قم في قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام النبي شعيا أنطق^(١) الله لسانه بالوحي فقال : يا ماما استعني وبأرض أنصتي فإن الله يريد أن يقص شأن بني اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه ، وخصهم بكرامته ، وفضلهم على عباده ، وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها ، فأوى شاردتها ، وجهم ضالتها ، وجبر كسرها ، وداوى مريضها ، وأسمن مهزولها ، وحفظ سمينها ، فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضها حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه آخر كبير ، فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين ، ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه ، وإن الحمار مما يذكر الارط^(٢) الذي شبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر المروج الذي سمن فيه فينتابه ، وان هؤلاء القوم لا يدرون من حيث جاءهم الخير وهم أولوا الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير ، واني ضارب لهم مثلاً فليسمعوه وقل لهم كيف ترون في الارض كانت خراباً زماناً موثلاً لا عمران فيها ، وكان لها رب حكيم قوي فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي ، وأن يقال ضيم وهو حكيم ، فأحاط عليها جداراً وشيد فيها قصوراً ، وأنبط نهراً ، وصف فيها غراساً من الزيتون والمان والنخيل والاعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه قوماً رأوا وهمة حفيظاً قوياً أميناً ، فلما أطلعت جاء طلوعها خروبا قالوا بئست الارض هذه فترى أن يهدم جدارها وقصرها

(١) وفي الخازن: أطلق

(٢) وفي الخازن:
الأري

وبسطهم ثم آل به الحال الى ما آل وانه سار إلى بلاد بيت المقدس فقتل بها خلقا كثيرا من بني اسرائيل ، وقد روى ابن جرير في هذا المسكان حديثا أسنده عن حذيفة مرفوعا مطولا وهو حديث موضوع لاحالة لا يستريب في ذلك من عنده أدنى معرفة بالحديث ، والعجب كل العجب كيف راج عليه مع جلالة قدره وامامته وقد صرح شيخنا الحافظ العلامة ابو الحجاج المزي رحمه الله بانه

ويدفن نهرها ، ويقبض قيمها ، ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا موانا لا عمران فيها قال الله قل لهم فان الجدار ديني ، وان القصر شريعتي ، وإن النهر كتابي ، وإن القيم نبي ، وان القراس هم ، وإن الخروب الذي أطلع القراس أعمالهم الخبيثة ، وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وإنه مثل ضربته لهم يتقربون إلي بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللعن ولا آكله ويدعون أن يتقربوا إلي بالتقوى والكف عن ذبح الانفس التي حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم متزملة بدمائها ، يشيدون لي البيوت مساجد ، ويظهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويذوقون لي المساجد ويزينونها ، ويخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها ، فأني حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها ، وأني حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها ، انما أمرت برفعها لا ذكر وأصبح فيها يقولون ضمنا فلم يرفع صيامنا ، وصلينا فلم تنور صلاتنا ، وتصدقنا فلم تترك صدقاتنا ، ودعونا لمثل حين الحمام وبكينا بمثل عواء الذئاب في كل ذلك لا يستجاب لنا ، قال الله فاسألهم ما الذي يمنعني أن أستجيب لهم ، ألسنتهم السامعين ، وأبصر الناظرين ، وأقرب المجيبين ، وأرحم الراحمين ؟ فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقون عليه بطعمة الحرام ؟ أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية إلى من يحاربني ويحداني وينتهك محارمي ، أم كيف تزكو عندي صدقاتهم ؟ وهم يتصدقون بأموال غيرهم ؟ انما أجر عليها أهلها المغصوبين ، أم كيف أستجيب دعاءهم وانما هو قول بألسنتهم بلا فعل والفعل من ذلك بعيد ؟ انما أستجيب للداعي الذين ، وانما أسمع قول المستضعف المسكين ، وان من علامة رضائي رضا المساكين ، يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي إنها أقابل منقولة وأحاديث متوارثة وتأليف مما يؤلف السحرة والكهنة ، وزعموا أنهم لو شاءوا أن يأتوا بحديث مثله فعلوا ، ولو شاءوا أن يطلعوا على علم الغيب بما يوحي اليهم الشياطين اطلعوا ، وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء أثبتته وحثمته على نفسي وجعلت دونه أجلا مؤجلا لا بد أنه واقع ، فان صدقوا فما ينتحلون من علم الغيب فليخبروا متى أنفسهم ، أو في أي زمان يكون ؟ وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاءون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها امضيت فاني أظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وان كانوا يقدرون على أن يؤلفوا ما يشاءون فليؤلفوا مثل الحكمة التي بها أدبر أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين ، وإني قد قضيت يوم خلقت السموات والارض أن أجعل النبوة في الاجراء وأن أجعل الملك في الرعاء ، والعز في الاذلاء ، والقوة في الضعفاء ، والغنى في الفقراء ، والعلم في الجهلة ، والحكمة في

موضوع مكذوب ، وكتب ذلك على حاشية الكتاب ، وقد وردت في هذا آثار كثيرة اسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها لان منها ماهو موضوع من وضع بعض زنادقتهم ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحاً ونحن في غنية عنها والله الحمد ، وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية

في الاميين ، فسلمهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الامر وأنصاره ان كانوا يعلمون ؟ وإني باعث لذلك نبيا أميا أميناً ليس أعشى من عريان ، ولا ضالا من ضالين ، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قوال للبخس ، أسدده بكل جميل ، وأهبله كل خلق كريم ، أجعل السكينة لباسه ، والبر شعاره ، والتقوى ضميره ، والحكمة معقوله ، والصدق والوفاء طبيعته ، والعفو والمعروف خلقه ، والعدل سيرته ، والحق شريعته ، والهدى امامه ، والاسلام ملته والحمد دينه ، وأحمد اسمه ، أهدي به بعد الضلالة ، وأعلم به بعد الجهالة ، وأرفع به بعد الخفالة ، وأشهر به بعد النكرة ، وأكثر به بعد القلة ، وأغني به بعد العيلة ، وأجمع به بعد الفرقة ، وأؤلف به بين قلوب مختلفة ، وأهواء متشتتة ، وأمم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأصرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، نوحيداً لي وإيماناً وإخلاصاً لي يصلون قياماً وقعوداً ، وركعاً وسجوداً ، ويقفون في سبيلي صفواً وزحواً ، ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضواني ، ألهمهم التكبير والتوحيد ، والتسبيح والتحميد ، والتهليل والمدح والتمجيد لي في مسيرهم ومجاسمهم ومضاجعهم ومنقلبهم ومثوالمهم ، يكبرون ويهللون ويقدمون على رؤوس الاشراف ، ويظهرون لي الوجوه والاطراف ، ويعقدون لي الثياب على الانصاف ، قربانهم دماؤهم ، وأناجيلهم في صدورهم ، رهبان بالليل ليوث بالهار ذلك فضلي أوتيته من أشاء وأنا ذو الفضل العظيم

فلما فرغ أشعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقية شجرة فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا المنشاري وسطها فقتلوه وها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها ، واستخلف الله على بني اسرائيل بعد ذلك رجلاً منهم يقال له ناشية بن أموص وبعث لهم أرميا بن حلقيا نبيا وكان من سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق أنه الخضر واسمه أرميا سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضراء فبعث الله أرميا الى ذلك الملك ليسدده ويرشده ، ثم عظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم ، فأوحى الله إلى أرميا أن ائت قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم باحداثهم ، فقال أرميا يارب إني ضعيف ان لم تقوني ، عاجز ان لم تبلغني ، مخذول ان لم تنصرتني . قال الله تعالى أولم تعلم أن الامور كلها تصدر عن مشيئتي ، وان القلوب والالسنه بيدي ألقبها كيف شئت ؟ إني معك ولن يصل اليك شيء . معي ، فقام أرميا فيهم ولم يدر ما يقول فآلمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى وإني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الخليم ولا سلطان عليهم جبار آفاسيا ألبسه

السكتب قبله ولم يحوجنا الله ولا رسوله اليهم ، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلبوا الله عليهم
عدوم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاء وفاقا ومبارك بظلام للعبيد فانهم
كانوا قد توردوا وقتلوا خلقا من الانبياء والعلماء ، وقد روى ابن جرير حدثني يونس بن عبد الاعلى

الهيبة ، وأنزع من صدره الرحمة ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله الى أرميا ، إني مهلك
بني اسرائيل بياض وياض من أهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة فسلط الله عليهم مختصر فخرج
في سمانه ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطي الشام وقتل بني اسرائيل حتى أفناهم وخرب
بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسا ترابا ثم يقذفوه في بيت المقدس ففعلوا ذلك
ذلك حتى ملؤوه ، ثم أمرهم أن يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير
من بني اسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت
له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من
بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقي
من بني اسرائيل ثلاث فرق : فثلثا أقر بالشام ، وثلثا سبي ، وثلثا قتله ، وذهب بنائشة بيت المقدس
وبالصبيان السبعين الالف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزل الله ببني اسرائيل
بظلمهم فذلك قوله تعالى (فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد) يعني مختصر
وأصحابه ، ثم إن مختصر أقام في سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا أعجبه إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الله
الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل وكانوا من ذراري الانبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا
بها نخبرك بتأويلها قال ما أذكرها ولكن لم نخبروني بها وتأويلها لا نزعن أكتافكم فخرجوا من عنده
فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الله بالذي رأى وسألهم عنه فجأؤوه وقالوا رأيت عمالا قدماه وساقاه
من فخار وركبناه ونخذه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال
صدقتم قالوا فيما أنت تنظر اليه وقد أعجبتك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهي التي أنستكها
قال صدقتم قال فما تأويلها قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن
ملكاً وبعضهم كان أشبه ملكا الفخار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن
من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله
والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك أجمع وبصير الامر
اليه ثم إن أهل بابل قالوا لمختصر رأيت هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين كنا سألناك أن
تعليناهم ففعلت فانا قد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن اليهم
فاخرجهم من بين أظهرنا أو اقلهم . قال شأنكم بهم فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل
ذلك . فلما قربوهم للقتل بكوا الى الله تعالى وقالوا يارب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعده الله أن يجيبهم

حدثنا ابن وهب أخبرني سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول :
 ظهر مختصر على الشام فخر بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دما يغلي على كبا فسألهم
 ماهذا الدم ؟ فقالوا أدركنا آباءنا على هذا وكلما ظهر عليه السكبا ظهر قال فقتل على ذلك الدم سبعين

فقتلوا إلا من استبقى مختصر منهم دانيال وحنانيا وعزازيا وميشائيل
 ثم لما أراد الله هلاك مختصر انبعث وتيقظ فقال لمن في يده من بني اسرائيل أرايتم هذا البيت الذي خربته
 والناس الذين قتلتم منهم وما هذا البيت ؟ قالوا هذا بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا
 وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلق كلهم يكرمهم ويعزهم
 فلما فعلوا ما فعلوا أهلهم الله وسلط عليهم غيرهم فاستكبر وظن أنه بجبروته فعل ذلك بيني اسرائيل
 قال فاخبروني كيف لي أن أطلع إلى السماء العليا فأقتل من فيها واتخذها ملكا لي فاني قد فرغت من
 الأرض ، قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلائق ، قال لتفعلن أو لا تقتلنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا
 إلى الله تعالى . فبعث الله تعالى عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بأمر دماغه فما كان يقر
 ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أم دماغه ، فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه
 ليري الله العباد قدرته وينجي الله من بقي من بني اسرائيل في يديه فردهم إلى الشام فبنوا فيه وكثروا
 حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ، ويزعمون أن الله تعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ، ثم إنهم
 لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى ، وكانت التوراة قد احترقت ، وكان عزير من
 السبايا الذين كانوا بابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليلا ونهاراً وقد خرج من الناس فهو كذلك إذ
 أقبل إليه رجل فقال يا عزير ما يبكيك ؟ قال أبكي على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي
 لا يصلح أمر ديننا وآخرتنا غيره ، قال أفنعب أن يرد إليك ؟ قال نعم ، قال ارجع فصم وتطهر وطهر
 ثيابك ثم موعذك هذا المكان غداً . فرجع عزير فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده
 فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله إليه فسقاه من ذلك الاناء فثلت التوراة
 في صدره فرجع إلى بني اسرائيل فوضع لهم التوراة فأحبوه حتى لم يحبوا حبه شيئاً قط ثم قبضه الله
 وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون
 وفريقا يقتلون ، حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا
 من بيت آل داود فمات زكريا وقيل قتل زكريا ، فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بعث
 الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر
 عليهم أمر رأساً من رؤوس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب الفيل فقال إني كنت حلفت بالهسي لئن
 ظفرت على أهل بيت المقدس لا تقتلهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري إلا أن لأجد أحداً آفته
 فأمره أن يقتلهم حتى بلغ ذلك منهم بيورزاذان ودخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون

ألفا من المسلمين وغيرهم فسكن وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب وهذا هو المشهور وأنه قتل أشراهم وعلماءهم حتى أنه لم يبق من يحفظ التوراة وأخذ معه منهم خلقا كثيرا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم وجرت أمور وكوائن بطول ذكرها ولو وجدنا ما هو صحيح أو ما يقاربه لجاز كتابته وروايته والله أعلم

فيها قربانهم فوجد دما يغلي فسألهم عنه فقال يا بني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره قالوا هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا فلذلك يغلي ، ولقد قربنا القربان منذ ثمانمائة سنة فتقبل منا إلا هذا ! فقال ما صدقتموني ؟ فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان على ذلك الدم سبعائة وسبعين رجلا من رؤوسهم فلم يهدأ فأمر بسبعائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة آلاف من شبهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فلما رأى بيورزاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم يا بني إسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على أمر ربكم فقد طال ما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار انثى ولا ذكر إلا قتلته فلما رأوا الجهد منه وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أنا أطعناه فيها لكان لنا خير كثير ورشد لنا وكان يخبرنا بأمرهم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دمه . فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه ؟ قالوا ياجي بن زكريا . قال الآن صدقتموني بمثل هذا انتقم ربكم منكم فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش وخلا في بني إسرائيل قال ياجي بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم فاهدا أيها الدم بأذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا . فهدأ الدم بأذن الله تعالى ، ورفع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل وايقنت أنه لا رب غيره . وقال لبني إسرائيل ان خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لست أستطيع أن أعصيه ، قالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والأبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطوحوا على ما قتل من مواشيهم فلم يظن خردوش إلا أن ما في الخندق من دماء بني إسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن ارفع عنهم القتل . ثم انصرف إلى بابل وقد أفي بني إسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببني إسرائيل وذلك قوله (لتفسدن في الأرض مرتين) فكانت الواقعة الأولى بمختصر وجنوده ، والأخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم يقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانية إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله عليهم ططبيوس بن اسطيانوس الرومي فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة ، وضربت عليهم الذلة فلا يبقى أحد منهم إلا وعليه الصغار والجزية وبقي

ثم قال تعالى (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها أي فعلها كما قال تعالى (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أسأ، فعلها) وقوله (فاذا جاء وعد الآخرة) أي الكرة الآخرة أي اذا أفسدتم الكرة الثانية وجاء أعداؤكم (ليسوا وأجوهكم) أي يهينوكم ويقهروكم (وليدخلوا المسجد) أي بيت المقدس بيت المقدس خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره ، وقال قتادة بعث الله عليهم جالوت في الاولى فسبي وقتل وخرب (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعني في زمان داود فاذا جاء وعد الآخرة بعث الله عليهم مختصر فسبي وخرب ثم قال (عسى ربكم أن يرحمكم) فعاد الله عليهم بالرحمة ، ثم عاد القوم بشر ما يحضرهم فبعث الله عليهم ماشاء من نعمته وعقوبته ثم بعث الله عليهم العرب كما قال (واذا نأذن ربك ليعنن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فهم في العذاب الى يوم القيامة

وذكر السدي أن رجلا من بني اسرائيل رأى في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بمختصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فأقبل بسأل عنه حتى نزل على أمه وهو محتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد فسكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم فقال اشتر بهذا طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خرا فأكلوا وشربوا وفعل في اليوم الثاني كذلك وفي اليوم الثالث كذلك ثم قال اني أحب أن تكتب لي أمانا ان أنت ملكت يوما من الدهر . فقال أتسخر مني ؟ فقال اني لا أسخر منك ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندي بدا فكتب له أمانا ، وقال أرأيت ان جئت والناس حولك قد حالوا بيني وبينك قال ترفع صحتك على قصبة فأعرفك فكتب له وأعطاه ثم ان ملك بني اسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني مجلسه وانه هوي ابنة امراته ، وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى بن زكريا وعدت حين جلس الملك على شرايه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبتها الحلي وأرسلتها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر فان أرادها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سأله فاذا أعطاها سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في طست ففعلت ذلك فلما أرادها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال فما تسأليني ؟ قالت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتى به في هذا الطست . فقال ويحك سليني غير هذا فقالت ما أريد إلا هذا فلما أبت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم ويقول : ويل لك لا تحل لك ، ويكرر ذلك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فرقى الدم يعني صعد الدم يغلي ويلقي عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي فبعث صحابين ملك بابل جيشا اليهم وأمر عليهم مختصر فسار بمختصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصنوا منه في مدائنهم فلما اشتد عليهم المقام أراد الرجوع فخرجت اليه عجوز من عجائز بني اسرائيل فقالت تريد أن ترجع قبل فتح المدينة ؟ قال نعم

(كما دخلوه أول مرة) أي في التي جاسوا فيها خلال الديار (وليتبروا) أي يدمروا ويخربوا (ماعلوا) أي مآظروا عليه (تتبيرا) عسى ربكم أن يرحمكم (أي فيصرفهم عنكم) (وإن عدتم عدنا) أي متى عدتم إلى الفساد (عدنا) إلى الإدالة عليكم في الدنيا مع ما نذرته لكم في الآخرة من العذاب والنكال ، ولهذا

قد طال مقامي وجاع أصحابي قالت أرأيت أن فتحت لك المدينة تعطيني ما سألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف ؟ قال نعم : قالت إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعاً ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا أنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تتساقط ففعلوا فتساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها ، فقالت كف يدك وانطلقت به إلى دم يحيى ابن زكريا وقالت اقتل على هذا الدم حتى يسكن قتل عليه سبعين الفا حتى سكن فلما سكن قالت كف الآن يدك فان الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضي بقتله فأثاه صاحب الصحيفة بصحيفته فكشف عنه وعن أهل بيته ، فخرّب بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا ، وذهب معه بوجوه بني إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من اولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت ، فلما قدم بابل وجد صخاين قد مات فتملك مكانه وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه فخدمهم المجوس ووشوا بهم اليه وقالوا له ان دانيال وأصحابه لا يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فسألهم فقالوا أجل ان لنا رباً نعبده ولنسألك من ذبيحتكم فأمر الملك بمخد خدمهم فألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضارياً كلهم فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوساً والسبع مقترش ذراعيه معهم لم يخدم منهم أحداً ووجدوا معهم رجلاً سابها فقال ما هذا السابع ؟ انما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمه فصار في صورة الوحش ومسحه الله سبع سنين ، وذكر وهب ان الله مسخ بختنصر نسرأ في الطيور ثم مسحه ثورا في الدواب ، ثم مسحه أسداً في الوحوش ، فكان مسحه سبع سنين وقلبه في ذلك قلب انسان ، ثم رد الله اليه ملكه فأمن فسئل وهب أكان مؤمناً ؟ فقال وجدت أهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمناً ومنهم من قال أحرق بيت الله وكتبه وقتل الانبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته ، وقال السدي : ثم ان بختنصر لما رجع إلى صورته بعد المسخ ورد الله اليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فخدمهم المجوس وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عاراً فجعل لهم طعاماً وشرباً فأكلوا وشربوا ، وقال لبواب انظر أول من يخرج ليبول فاضربه بالطبرزين فان قال أنا بختنصر فقل كذبت بختنصر أمرني بذلك فكان أول من قام لبول بختنصر فلما رآه البواب شد عليه فقال ويحك أنا بختنصر فقال كذبت بختنصر أمرني فاضربه فقتله هذا ما ذكره في المبتدأ الا أن رواية من روى ان بختنصر غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند أهل السير بل هم مجمعون على ان بختنصر انما غزا بني إسرائيل عند قتلهم شعيا في عهد أرميا ومن وقت أرميا.

قال (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي مستقراً ومحصراً وسجناً لا يحيد لهم عنه . قال ابن عباس حصيراً أي سجنًا ، وقال مجاهد يحصرون فيها وكذا قال غيره ، وقال الحسن فراشا ومهادا ، وقال

وتحريب بمختصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربع مائة واحدة وستون سنة ، وذلك انهم كانوا يعدون من لدن تحريب بمختصر بيت المقدس الى حين عمارته في عهد كيوس بن أخشورش بن أصهيد بابل من قبل بهم بن أسفنديارسبعين سنة ، ثم من بعد عمارته الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس ثمانين سنة ، ثم من بعد ملكته الى قتل يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثا وستين سنة والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن اسحاق .

قوله عز وجل (وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب) أي أعلمناهم وأخبرناهم فيما آتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون والقضاء على وجوه يكون أمراً كقوله (وقضى ربك) ويكون حكماً كقوله (ان ربك يقضي بينهم) ويكون خلقاً كقوله (فقضاهن سبع سموات) وقال ابن عباس وقتادة يعني وقضينا عليهم فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (لتفسدن) لام القسم مجازة والله لتفسدن (في الارض مرتين) بالمعاصي والمراد بالارض أرض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا) فاذا جاء وعد أولاهما (يعني أولى المرتين) قال قتادة : افسادهم في المرة الاولى ما خالفوا من أحكام التوراة وركبوا المحارم وقال محمد بن اسحاق افسادهم في المرة الاولى قتل شعيا بين الشجرة وارتكبهم المعاصي (بعشا عليكم عباداً لنا) قال قتادة يعني جالوت الحرزي وجنوده وهو الذي قتله داود وقال سفيد بن جبير يعني سنجاريب من أهل نينوى وقال ابن اسحاق بمختصر البابلي وأصحابه وهو الأظهر (أولي بأس) ذوي بطش (شديد) في الحرب (فجاسوا) أي فطافوا وداروا (خلال الديار) وسطها بطلبونكم ويقتلونكم والجوس طلب الشيء بالاستقصاء قال الفراء جاسوا قتلوكم بين بيوتكم (وكان وعداً مفعولاً) قضاء كائن لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة) يعني الرجعة والدولة (عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) عدداً أي من ينفر معكم وعاد البلد أحسن مما كان (إن أحسنتم أحسنتم لانفسكم) أي لها نوابها (وإن أسأتم فلها) أي فعليها كقوله تعالى (فسلام لك) أي عليك وقيل فلها الجزاء والعقاب (فاذا جاء وعد الآخرة) أي المرة الاخيرة من افسادكم وذلك قصدتم قتل عيسى عليه السلام حين رفع وقتلهم يحيى بن زكريا عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس حتى قتلوه وسبوه ونفوه عن ديارهم فذلك قوله تعالى (ليسوا وجوهكم) أي تحزن وجوهكم وسوء الوجه بادخال الغم والحزن قرأ الكسائي يعقوب ليسوء بالنون وفتح الهمزة على التعظيم كقوله وقضينا وبعثنا وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر بالياء وفتح الهمزة على التوحيد أي ليسوء الله وجوهكم وقيل ليسوء الوعد وجوهكم وقرأ الباقر بالياء وضم الهمزة على الجمع أي ليسوء العباد أولوا البأس الشديد وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعني بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه

قتادة قد عاد بنو اسرائيل فسلط الله عليهم هذا الحي محمد ﷺ وأصحابه يأخذون منهم الجزية عن يدوم صاغرون

ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً (٩) وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً (١٠)

يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه ان لهم أجراً كبيراً أي يوم القيامة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة أي ويبشر الذين لا يؤمنون بالآخرة ان لهم عذاباً أليماً أي يوم القيامة كما قال تعالى (فبشرهم بعذاب أليم)

ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولاً (١١)

ينجز تعالى عن عجلة الانسان ودعائه في بعض الاحيان على نفسه أو ولده أو ماله بالشر أي بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك فلو استجاب له ربه هلك بدعائه كما قال تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر) الآية وكذا فسر ابن عباس ومجاهد وقتادة ، وقد تقدم في الحديث «لاتدعوا على أنفسكم ولا على أموالكم ان توافقوا من الله ساعة اجابة يستجيب فيها» وإنما يحمل ابن آدم على ذلك قلقه وعجلته ولهذا قال تعالى (وكان الانسان عجولاً) وقد ذكر سلمان الفارسي وابن عباس ههنا قصة

أول مرة وليتبروا ﴿ وليهلكوا ﴾ ماعلوا ﴿ أي ماغلبوا عليه من بلادكم ﴾ تغييراً ﴿ عسى ربكم ﴾ يابني اسرائيل ﴿ أن يرحمكم ﴾ بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم ﴿ وان عدتم عدنا ﴾ أي ان عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمداً ﷺ فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون ﴿ وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً ﴾ سجننا ومحبساً من الحصر وهو الحبس قال الحسن حصيراً أي فراشا وذهب إلى الحصر الذي يبسط ويفرش ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ﴾ أي إلى الطريقة التي هي أصوب وقيل إلى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله ﴿ ويبشر ﴾ يعني القرآن ﴿ المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم ﴾ بأن لهم ﴿ أجراً كبيراً ﴾ وهو الجنة ﴿ وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليماً ﴾ وهو النار

قوله تعالى ﴿ ويدع الانسان ﴾ حذف الواو لفظاً لاستئصال اللام الساكنة كقوله (سندع الزبانية) وحذف في الخط أيضاً وهي غير محذوفة في المعنى ومعناه ويدعو الانسان على ماله وولده ونفسه ﴿ بالشر ﴾ فيقول عند الغضب اللهم اهلكه وأهلكه ونحوها ﴿ دعاءه بالخير ﴾ أي كدعائه ربه بالخير أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه هلك ولكن الله لا يستجيب بفضله ﴿ وكان الانسان

آدم عليه السلام حين هم بالنهوض قائما قبل أن تصل الروح الى رجليه وذلك انه جاءته النفخة من قبل رأسه فلما وصلت الى دماغه عطس فقال الحمد لله فقال الله «يرحمك ربك يا آدم» فلما وصلت الى عينيه فتحهما فلما سرت إلى أعضائه وجسده جعل ينظر اليه وبهجه فهم بالنهوض قبل أن تصل الى رجليه فلم يستطع ، وقال يارب عجل قبل الليل

وجعلنا الليل والنهر آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا

من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا (١٢)

يتمن تعالى على خلقه بآياته العظام فمنها مخالفته بين الليل والنهار ليسكنوا في الليل وينتسروا في النهار للعائش والصنائع والأعمال والأسفار وليعلموا عدد الايام والجمع والشهور والاعوام ويعرفوا مضي الأجل المضروبة للديون والعبادات والمعاملات والاجارات وغير ذلك ولهذا قال (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي في معاشكم وأسفاركم ونحو ذلك (ولتعلموا عدد السنين والحساب) فانه لو كان الزمان كله نسقا واحداً وأسلوباً متساوياً لما عرف شيء من ذلك كما قال تعالى (قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمداً الى يوم القيامة من الاله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون * قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمداً الى يوم القيامة من الاله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون * ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه وتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون) وقال تعالى (تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجاً وقرآناً منيراً * وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر او أراد شكوراً) وقال تعالى (وله اختلاف الليل والنهار) وقال (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار) وقال تعالى (فائق الأضباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقال تعالى (وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون * والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ثم انه تعالى جعل الليل آية أي علامة يعرف بها وهي الظلام وظهور القمر فيه ، وللهناهار علامة وهي النور وطلوع الشمس النيرة فيه وفاوت بين نور القمر وضياء الشمس ليعرف هذا من هذا

عجولاً بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه قال جماعة من أهل التفسير وقال ابن عباس ضجراً لاصبر له على السراء والضراء

قوله عز وجل ﴿ وجعلنا الليل والنهار آيتين ﴾ أي علامتين داليتين على وجودنا ووحدايتهما وقد رتبنا ﴿ فمحونا آية الليل ﴾ قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سببين جزأ ونور القمر كذلك فحما من نور القمر تسعة وستين جزءاً فجعلها مع نور الشمس . حيي أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور ، وسأل ابن الكواء علياً عن السواد

كما قال تعالى (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق — الى قوله — لا يات لقوم يفقون) وقال تعالى (يسألونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج) الآية قال ابن جريج عن عبدالله بن كثير في قوله (فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) قال ظلمة الليل وسدف النهار ، وقال ابن جريج عن مجاهد الشمس آية النهار والقمر آية الليل (فمحونا آية الليل) قال السواد الذي في القمر وكذلك خلقه الله تعالى ، وقال ابن جريج قال ابن عباس كان القمر يضيء كانهضيء الشمس والقمر آية الليل والشمس آية النهار فمحونا آية الليل السواد الذي في القمر ، وقد روى ابو جعفر بن جرير من طرق متعددة جيدة ان ابن السكوا سأل أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب فقال يا أمير المؤمنين ماهذه اللطخة التي في القمر ؟ فقال ويحك أما تقرأ القرآن ؟ فمحونا آية الليل فهذه محوه . وقال قتادة في قوله (فمحونا آية الليل) كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه ، وجعلنا آية النهار مبصرة أي منيرة وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم وقال ابن أبي نجيح عن ابن عباس (وجعلنا الليل والنهار آيتين) . قال ليلا ونهارا كذلك خلقهما الله عز وجل .

وكل انسان ألزمنه طائره في عنقه ويُخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا (١٣)

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا (١٤)

يقول تعالى بعد ذكر الزمان وذ كر مايقع فيه من أعمال بني آدم وكل انسان ألزمنه طائره في عنقه وطائره هو ماطار عنه من عمله كما قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما من خير وشر ويلزمه به وبجاري عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وقال تعالى (عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال (وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) الآية وقال (انما تجزون ما كنتم تعملون) وقال (من يعمل سوءا يجز به) والمقصود أن عمل ابن آدم محفوظ عليه قليلا وكثيره ويكتب عليه ليلا ونهارا صباحا ومساء

الذي في القمر قال هو أثر المحو ﴿ وجعلنا آية النهار مبصرة ﴾ منيرة مضيئة يعني يبصر بها قال الكسائي تقول العرب أبصر النهار اذا أضاء بحيث يبصر بها ﴿ لتبتهوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ أي لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة ﴿ وكل شيء فصلناه تفصيلا ﴾ قوله عز وجل ﴿ وكل انسان ألزمنه طائره في عنقه ﴾ قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان ، وقال السكابي ومقاتل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به ، وقال الحسن يمينه وشؤمه وعن مجاهد : مامن مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد . وقال أهل المعاني

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر سمعت رسول الله ﷺ يقول « لطائر كل انسان في عنقه » قال ابن لهيعة يعني الطيرة ، وهذا القول من ابن لهيعة في تفسير هذا الحديث غريب جدا والله أعلم . وقوله (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) أي نجمع له عمله كله في كتاب يعطاه يوم القيامة اما يمينه ان كان سعيدا او بشماله ان كان شقيما منشورا أي مفتوحا يقرؤه هو وغيره فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره (ينبا الانسان يومئذ بما قدم وأخره * بل الانسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره) ولهذا قال تعالى (اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي انت تعلم انك لم تظلم ولم يكتب عليك الا ماعملت لأنك ذكرت جميع ما كان منك ولا ينسى أحد شيئا مما كان منه وكل أحد يقرأ كتابه من كاتب وأمي وقوله (ألزمناه طائره في عنقه) انما ذكر العنق لانه عضو من الاعضاء لا نظير له في الجسد ، ومن ألزم بشيء فيه فلا يحيد له عنه كما قال الشاعر
اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمام

قال قتادة عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال « لا عدوى ولا طيرة وكل انسان ألزمناه طائره في عنقه » كذا رواه ابن جرير ، وقدرناه الامام عبد بن حميد في مسنده متصلا فقال : حدثنا الحسن ابن موسى حدثنا ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « طير كل عبد في عنقه »

وقال الامام احمد حدثنا علي بن اسحاق ثنا عبد الله ثنا ابن لهيعة حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال « ليس من عمل يوم الا وهو بختم عليه ، فاذا مرض المؤمن قالت الملائكة ياربنا عبدك فلان قد حبسته فيقول الرب جل جلاله اختموا له علي مثل عمله حتى يبرأ أو يموت » اسناد جيد قوي ولم يخرجوه . وقال معمر عن قتادة (ألزمناه طائره في عنقه) قال عمله (ونخرج له يوم القيامة) قال نخرج ذلك العمل (كتابا يلقاه منشورا) قال معمر وتلا الحسن البصري (عن اليمين وعن الشمال قعيد) يا ابن آدم بسط لك صحيفة وكل بك ملكان

أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر اليه من سعادة أو شقاوة سمي طائرا على عادة العرب فيما كانت تتعامل وتتشام به من سوانح الطير وبوارحها . وقال أبو عبيدة والقتيبي أراد بالطائر حقله من الخير والشر من قولهم طار سهم فلان بكذا وكذا ، وخص العنق من بين سائر الاعضاء لانه موضع القلائد والاطواق وغيرها مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بتشبيه الاشياء اللازمة الى الاعناق (ونخرج له) يقول الله تعالى ونخرج له (يوم القيامة كتابا) وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب ويخرج له بفتح اليا ، وضم الراء معناه ويخرج له الطائر يوم القيامة كتابا وقرأ أبو جعفر ويخرج بالياء وضمها وفتح الراء (يلقاه) قرأ ابن عامر وأبو جعفر يلقاه بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف يعني يلقي الانسان ذلك الكتاب أي يؤناه وقرأ الباقر بفتح الياء خفيفة أي يراه (منشورا)

كريمان (أحدهما) عن يمينك (والآخر) عن شمالك ، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك ، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر حتى إذا مت طويت صحيفة كتبك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابا تلقاه منشورا اقرأ كتابك الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك هذا من أحسن كلام الحسن رحمه الله

من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ،

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (١٥)

يخبر تعالى أن من اهتدى واتبع الحق واقتفى أثر النبوة فانما يحصل عاقبة ذلك الحميدة لنفسه (ومن ضل) أي عن الحق وزاغ عن سبيل الرشاد فانما يجني على نفسه وانما يعود وبال ذلك عليه ثم قال (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا يحمل أحد ذنب أحد ولا يجني جان الا على نفسه كما قال تعالى (وإن تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء) ولا منافاة بين هذا وبين قوله (وليعملن أثقالهن وأثقالا مع أثقالهن) وقوله (ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) فان الدعاة عليهم أتم ضلالتهم في أنفسهم ، وأتم آخر بسبب ما أضلوا من أضلوا من غير أن ينقص من أوزار أولئك ولا يحمل عنهم شيئا. وهذا من عدل الله ورحمته بعباده ، وكذا قوله تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) اخبار عن عدله تعالى وأنه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه بارسال الرسول اليه كقوله تعالى (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاء نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء. إن أنتم الا في ضلال كبير) وكذا قوله (وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء قومكم هذا؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) وقال تعالى (وهم يصطرون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير؟ فذوقوا فلالظالمين من نصير) الى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الله تعالى لا يدخل أحدا النار الا بعد ارسال الرسول اليه ، ومن ثم طعن جماعة من العلماء في اللفظة التي جاءت معجمة في صحيح البخاري عند قوله تعالى (إن رحمة الله قريب من المحسنين)

حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن صالح بن كيسان عن الاعرج باسناده الى

وفي الآثار أن الله تعالى يأمر الملك بطي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلا في يوم القيامة ﴿اقرأ كتابك﴾ أي يقال له اقرأ كتابك، قوله تعالى ﴿كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ محاسبا قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب نفسك قال قتادة سيقرا يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا ﴿من اهتدى فانما يهتدي لنفسه﴾ لها ثوابه ﴿ومن ضل فانما يضل عليها﴾ لان عليها عقابه ﴿ولا تزر

أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « اختصمت الجنة والنار » فذكر الحديث الى أن قال « وأما الجنة فلا يظلم الله من خلقه أحداً وإنه ينشيء النار خلقاً فيلقون فيها فتقول هل من مزيد ثلاثاً » وذكر تمام الحديث فهذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل ، وأما النار فأنها دار عدل لا يدخلها أحد الا بعد الاعذار اليه وقيام الحجة عليه ، وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة وقالوا لعلة اقلب على الراوي بدليل ما أخرجه في الصحيحين واللفظ للبخاري من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ « تحاجت الجنة والنار » فذكر الحديث الى أن قال « فأما النار فلا تمتلي حتى يضع فيها قدمه فتقول قط قط فهناك تمتلي وينزوي بعضها الى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحداً ، وأما الجنة فان الله ينشيء لها خلقاً »

بقي ههنا مسألة قد اختلف الاثمة رحمهم الله تعالى فيها قديماً وحديثاً وهي الولدان الذين ماتوا وهم صغار وآبؤهم كفار ماذا حكمهم ، وكذا المجنون والاصم والشيخ الخرف ومن مات في الفترة ولم تبلغه دعوة ، وقد ورد في شأنهم أحاديث أنا أذكرها لك بعون الله وتوفيقه ثم نذكر فضلاً لاختصاصهم من كلام الاثمة والله المستعان ﴿ فالحديث الاول ﴾ عن الاسود بن سريع قال الامام أحمد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا معاذ بن هشام حدثنا أبي عن قتادة عن الاحنف بن قيس عن الاسود بن سريع أن رسول الله ﷺ قال « أربعة يجتجئون يوم القيامة : رجل أصم لا يسمع شيئاً ، ورجل أحمق ، ورجل هرم ، ورجل مات في فترة ، فأما الاصم فيقول رب قد جاء الاسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الاحق فيقول رب قد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبر ، وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيئاً ، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أناني لك رسول . فيأخذ مواليهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً » وبالسناد عن قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله غير أنه قال في آخره « فن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ، ومن لم يدخلها بسحب اليها » وكذا رواه اسحاق بن راهويه عن معاذ بن هشام ، ورواه البيهقي في كتاب الاعتقاد من حديث أحمد بن اسحاق عن علي بن عبد الله المدني به وقال هذا اسناد صحيح ، وكذا رواه حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أبي رافع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربعة كلهم يدلي على الله بحجة » فذكر نحوه ، ورواه ابن جرير من حديث معمر عن همام عن أبي هريرة فذكره مرفوعاً ، ثم قال أبو هريرة فاقروا ان شئتم (وما كنا معزيين حتى نبعث رسولاً) وكذا رواه معمر عن عبد الله بن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة موقوفاً

﴿ الحديث الثاني ﴾ عن أنس بن مالك ، قال أبو داود الطيالسي حدثنا الربيع عن يزيد بن أبيان

وزارة وزر أخرى أي لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام أي لا يؤخذ أحد بذنب أحد ﴿ وما (تفسير ابن كثير والبغوي) (٢١) (الجزء الخامس)

قال : قلنا لأنس يا أبا حمزة ما تقول في أطفال المشركين ؟ فقال : قال رسول الله ﷺ « لم يكن لهم سيئات فيعذبوا بها فيكونوا من أهل النار ، ولم يكن لهم حسنات فيجازوا بها فيكونوا من أهل الجنة » (الحديث الثالث) عن أنس أيضاً قال الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جابر عن ليث عن عبد الوارث عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « يؤتى بأربعة يوم القيامة : بالمولود والمعنوه ومن مات في الفترة والشيخ الفاني لهم كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار ابرز ويقول لهم اني كنت أبعث الى عبادي رسلا من أنفسهم واني رسول نفسي اليكم ادخلوا هذه قال فيقول من كتب عليه الشقاء يارب اني ندخلها ومنها كنا نفر ، قال ومن كتبت عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً ، قال فيقول الله تعالى أنتم لرسلي أشد تكديبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار » وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البزار عن يوسف بن موسى عن جرير بن عبد الحميد بإسناده مثله (الحديث الرابع) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده أيضاً حدثنا قاسم بن أبي شيبه حدثنا عبد الله يعني ابن داود عن عمر بن ذر عن يزيد بن أمية عن البراء قال : سئل رسول الله ﷺ عن أطفال المسلمين قال « هم مع آبائهم » وسئل عن أولاد المشركين فقال « هم مع آبائهم » فقيل يا رسول الله ما يعملون ؟ قال « الله أعلم بهم » ورواه عمر بن ذر عن يزيد ابن أمية عن رجل عن البراء عن عائشة فذكره

(الحديث الخامس) عن ثوبان قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا ربحان بن سعيد حدثنا عباد بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان أن النبي ﷺ عظم شأن المسئلة قال « اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوزارهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل إلينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت إلينا رسولا لكننا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيقولون نعم ، فيأمرهم أن يعمدوا إلى جهنم فيدخلوها فينطلقون حتى اذا دنوا منها وجدوا لها قيعظا وزفيراً فرجعوا إلى ربهم فيقولون ربنا أخرجنا أو أجرنا منها ، فيقول لهم ألم ترعوا اني إن أمرتكم بأمر تطيعوني ؟ فيأخذ على ذلك مواثيقهم فيقول اعمدوا اليها فادخلوها فينطلقون حتى اذا رأوها فرقوا منها فرجعوا وقالوا ربنا فرقنا منها ولا نستطيع أن ندخلها فيقول ادخلوها داخرين » فقال نبي الله ﷺ « لو دخلوها أول مرة كانت عليهم برداً وسلاماً » ثم قال البزار ومتن هذا الحديث غير معروف الا من هذا الوجه لم يروه عن أيوب الا عباد ولا عن عباد الا ربحان بن سعيد ، قلت وقد ذكره ابن حبان في ثقافته ، وقال يحيى بن معين والنسائي لا بأس به ولم يرضه أبو داود ، وقال أبو حاتم شيخ لا بأس به يكتب حديثه ولا يحتج به

كنا معذبين حتى نبعث رسولا (إقامة للحجة وقطعا للعدو فيه دليل على ان ماوجب وجب بالسمع لا بالعقل

(الحديث السادس) عن ابي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري : قال الامام محمد بن يحيى الذهلي حدثنا سعيد بن سليمان عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « الهالك في الفترة والمعتوه والمولود : يقول الهالك في الفترة لم يأتي كتاب ، ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا أعقل به خيراً ولا شراً ، ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيقال لهم ردوها ، قال فيردها من كان في علم الله سعيداً لو أدرك العمل ، ويمسك عنها من كان في علم الله شقياً لو أدرك العمل ، فيقول اياي عصيت فكيف لو أن رسلي أتتكم ؟ » وكذا رواه البزار عن محمد بن عمر بن هياج الكوفي عن عبيد الله بن موسى عن فضيل بن مرزوق به ثم قال لا يعرف من حديث ابي سعيد الا من طريقه عن عطية عنه ، وقال في آخره « فيقول الله اياي عصيت فكيف برسلي بالغيب »

(الحديث السابع) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال هشام بن عمار ومحمد بن المبارك الصوري حدثنا عمرو بن واقد عن يونس بن جليس عن ابي ادريس الخولاني عن معاذ بن جبل عن نبي الله ﷺ قال « يؤتي يوم القيامة بالمسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول المسوخ يارب لو آتيتني عقلاً ما كان من آيتته عقلاً باسعد مني » وذكر في الهالك في الفترة والصغير نحو ذلك فيقول الرب عز وجل اني امركم بأمر فتطيعوني فيقولون نعم فيقول اذهبوا فادخلوا النار قال ولو دخلوها ما ضرهم فخرج عليهم قواص فيظنون انها قد أهلكت ما خلق الله من شيء فيرجعون سراعاتهم يأمرهم الثانية فيرجعون كذلك فيقول الرب عز وجل قبل أن أخلقكم علمت ما أنتم عاملون وعلى علمي خلقتكم والى علمي تصيرون ، ضميرهم . فتأخذهم النار »

(الحديث الثامن) عن ابي هريرة رضي الله عنه وأرضاه . قد تقدم روايته مدرجة مع رواية الاسود بن سريع رضي الله عنه وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » وفي رواية قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيراً ؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين »

وقال الامام احمد حدثنا موسى بن داود حدثنا عبد الرحمن بن ثابت عن عطاء بن قررة عن عبد الله ابن ضمرة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما أعلم شك موسى قال « ذراري المسلمين في الجنة يكفلهم ابراهيم عليه السلام » وفي صحيح مسلم عن عياض بن حماد عن رسول الله ﷺ عن الله عز وجل أنه قال « اني خلقت عبادي حنفاء » وفي رواية لغيره « مسلمين »

(الحديث التاسع) عن سمرة رضي الله عنه رواه الحافظ أبو بكر البرقاني في كتابه المستخرج على البخاري من حديث عوف الاعرابي . عن ابي رجاء العطاردي عن سمرة (رض) عن النبي ﷺ قال « كل مولود يولد على الفطرة » فناده الناس يا رسول الله وأولاد المشركين ؟ قال « وأولاد المشركين » وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن احمد حدثنا عقبه بن مكرم الضبي عن عيسى بن شعيب عن عباد بن

منصور عن أبي رجاء عن سمرة قال سألنا رسول الله ﷺ عن أطفال المشركين فقال « هم خدام أهل الجنة »
(الحديث العاشر) عن عم خنساء . قال احمد حدثنا روح حدثنا عوف عن خنساء بنت معاوية من
بني صريم قالت حدثني عمي قال : قلت يا رسول الله من في الجنة ؟ قال « النبي في الجنة والشهيد في
الجنة والمولود في الجنة والوئيد في الجنة »

فن العلماء من ذهب الى الوقوف فيهم لهذا الحديث ، ومنهم من جزم لهم بالجنة لحديث
سمرة بن جندب في صحيح البخاري انه عليه الصلاة والسلام قال في جملة ذلك المناسم حين مر
على ذلك الشيخ تحت الشجرة وحوله ولدان فقال له جبريل هذا ابراهيم عليه السلام
وهؤلاء اولاد المسلمين واولاد المشركين قالوا يا رسول الله واولاد المشركين قال « نعم وأولاد
المشركين » ومنهم من جزم لهم بالنار لقوله عليه السلام « هم مع آبائهم » ومنهم من ذهب إلى
انهم يمتحنون يوم القيامة في العرصات فمن أطاع دخل الجنة وانكشف علم الله فيهم بسابق السعادة ،
ومن عصى دخل النار داخراً وانكشف علم الله فيه بسابق الشقاوة . وهذا القول يجمع بين الأدلة كلها
وقد صرح به الاحاديث المتقدمة المتعاضدة الشاهد بعضها لبعض . وهذا القول هو الذي حكاه الشيخ
ابو الحسن علي بن اسماعيل الاشعري عن أهل السنة والجماعة وهو الذي نصره الحافظ ابو بكر البيهقي
في كتاب الاعتماد وكذلك غيره من محققي العلماء والحفاظ والنقاد ، وقد ذكر الشيخ ابو عمر بن
عبد البر النمري بعض ما تقدم من احاديث الامتحان ثم قال : وأحاديث هذا الباب ليست قوية ولا
تقوم بها حجة وأهل العلم ينكرونها لان الآخرة دار جزاء وليست بدار عمل ولا ابتلاء فكيف يكلفون
دخول النار وليس ذلك في وسع المخلوقين والله لا يكلف نفساً إلا وسعها (والجواب) عما قال ان احاديث
هذا الباب منها ما هو صحيح كما قد نص على ذلك كثير من أئمة العلماء ومنها ما هو حسن ومنها ما هو
ضعيف يتقوى بالصحيح والحسن ، واذا كانت احاديث الباب الواحد متصلة متعاضدة على هذا النمط
أفادت الحجة عند الناظر فيها ، وأما قوله ان الدار الآخرة دار جزاء فلا شك انها دار جزاء ولا
ينافي التكليف في عرصاتهما قبل دخول الجنة أو النار كما حكاه الشيخ ابو الحسن الاشعري عن مذهب
أهل السنة والجماعة من امتحان الاطفال وقد قال تعالى (يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود)
الآية ، وقد ثبت في الصحيح وغيرها أن المؤمنين يسجدون لله يوم القيامة وان المنافق لا يستطيع ذلك
ويعود ظهره كالصفحة الواحدة طبقاً واحداً كلما أراد السجود خر لقفاه . وفي الصحيحين في الرجل
الذي يكون آخر أهل النار خروجا منها ان الله يأخذ عهوده ومواثيقه ان لا يسأل غير ما هو فيه ويتكرر
ذلك مراراً ويقول الله تعالى يا ابن آدم ما أغدرك ثم يأذن له في دخول الجنة ، وأما قوله فكيف يكلفهم
الله دخول النار وليس ذلك في وسعهم فليس هذا بمانع من صحة الحديث فان الله يأمر العباد يوم القيامة
بالجواز على الصراط وهو جسر على جهنم أحدهم السيف وأدق من الشعرة ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم
كالبرق وكالريح وكأجويد الخيل والركاب ومنهم الساعي ومنهم الماشي ومنهم من يحبو حبوا ومنهم المكدوش

على وجهه في النار ، وليس ماورد في اولئك بأعظم من هذا بل هذا أطم وأعظم ، وأيضاً فقد ثبتت السنة بأن الدجال يكون معه جنة ونار ، وقد أمر الشار ع المؤمنين الذين يدركونه أن يشرب أحدهم من الذي يرى انه نار فانه يكون عليه برداً وسلاماً فهذا نظير ذاك ، وأيضاً فان الله تعالى أمر بني اسرائيل أن يقتلوا أنفسهم فقتل بعضهم بعضاً حتى قتلوا فيما قيل في غداة واحدة سبعين الفا يقتل الرجل أباه وأخاه وهم في حماية غمامة أرسلها الله عليهم وذلك عقوبة لهم على عبادتهم العجل وهذا أيضاً شاق على النفوس جداً لا يتقاصر عما ورد في الحديث المذكور والله أعلم

(فصل) إذا تقرر هذا فقد اختلف الناس في ولدان المشر كين على أقوال (أحدهما) أنهم في الجنة واحتجوا بحديث سيرة أنه عليه السلام رأى مع ابراهيم عليه السلام أولاد المسلمين وأولاد المشر كين وبما تقدم في رواية احمد عن خلصاء عن عمها أن رسول الله ﷺ قال « والمولود في الجنة » وهذا استدلال صحيح ولكن أحاديث الامتحان أخص منه . فمن علم الله منه أنه يطيع جعل روحه في البرزخ مع ابراهيم وأولاد المسلمين الذين ماتوا على الفطرة ، ومن علم منه أنه لا يجيب فأمره إلى الله تعالى ويوم القيامة يكون في النار كما دلت عليه أحاديث الامتحان ونقله الاشعري عن أهل السنة ، ثم إن هؤلاء القائلين بأنهم في الجنة منهم من يجعلهم مستقلين فيها ومنهم من يجعلهم خدماً لهم كما جاء في حديث علي بن زيد عن أنس عند أبي داود الطيالسي وهو ضعيف والله أعلم

(والقول الثاني) أنهم مع آبائهم في النار واستدل عليه بما رواه الامام احمد بن حنبل عن أبي المقبرة حدثنا عتبة بن ضمرة بن حبيب حدثني عبد الله بن أبي قيس مولى غطيف أنه أتى عائشة فسأها عن ذراري الكفار فقالت قال رسول الله ﷺ « هم تبع لا بائهم » فقلت يارسول الله بلا أعمال؟ فقال « الله أعلم بما كانوا عاملين » وأخرجه ابو داود من حديث محمد بن حرب عن محمد بن زياد الالهاني سمعت عبد الله بن أبي قيس سمعت عائشة تقول سألت رسول الله ﷺ عن ذراري المؤمنين قال « هم مع آبائهم » قلت فذراري المشر كين؟ قال « هم مع آبائهم » فقلت بلا عمل؟ قال « الله أعلم بما كانوا عاملين » ورواه احمد أيضاً عن وكيع عن أبي عقيل يحيى بن المتوكل وهو متروك عن مولاته بهية عن عائشة أنها ذكرت أطفال المشر كين لرسول الله ﷺ فقال « ان شئت أسمعتك نضاغيهم في النار » وروى عبد الله بن الامام احمد حدثنا عثمان بن أبي شيبة عن محمد بن فضيل بن غزوان عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال : سألت خديجة رسول الله ﷺ عن ولدين لما ماتا في الجاهلية فقال « هما في النار » قال فلما رأى الكراهية في وجهها فقال لها « لورأيت مكنهما لا بغضتهما » قالت فولدي منك؟ قال « إن المؤمنين وأولادهم في الجنة وإن المشر كين وأولادهم في النار ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) وهذا حديث غريب قال في إسناده محمد بن عثمان مجهول الحال وشيخه زاذان لم يدرك علياً والله أعلم

وروى ابو داود من حديث ابن أبي زائدة عن أبيه عن الشعبي قال قال رسول الله ﷺ « الوائدة

والموءودة في النار» ثم قال الشعبي حدثني به علقمة عن أبي وائل عن ابن مسعود، وقدرواه جماعة عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن سلمة بن قيس الاشجعي قال: أتيت أنا وأخي النبي ﷺ فقلنا ان أمنا ماتت في الجاهلية وكانت تقري الضيف وتصل الرحم وانما وأدت اختنا لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث فقال «الوائدة والموءودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الاسلام فتسلم» وهذا اسناد حسن (والقول الثالث) التوقف فيهم واعتمدوا على قوله ﷺ «الله أعلم بما كانوا عاملين» وهو في الصحيحين من حديث جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس سئل رسول الله ﷺ عن أولاد المشركين قال «الله أعلم بما كانوا عاملين» وكذلك هو في الصحيحين من حديث الزهري عن عطاء بن يزيد، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين فقال «الله أعلم بما كانوا عاملين» ومنهم من جعلهم من أهل الاعراف وهذا القول يرجع إلى قول من ذهب إلى أنهم من أهل الجنة لأن الاعراف ليس دار قرار ومآل أهلها إلى الجنة كما تقدم تقرير ذلك في سورة الاعراف والله أعلم

(فصل) وليعلم أن هذا الخلاف مخصوص بأطفال المشركين، فأما ولدان المؤمنين فلا خلاف بين العلماء كما حكاه القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الامام أحمد أنه قال: لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة وهذا هو المشهور بين الناس وهو الذي قطع به ان شاء الله عز وجل، فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن الولدان كلهم تحت المشيئة، قال أبو عمر ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك واسحاق بن راهويه وغيرهم قالوا وهو يشبه ما رسم مالك في موطنه في أبواب القدر وما أورده من الاحاديث في ذلك، وعلى ذلك أكثر أصحابه وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة. انتهى كلامه وهو غريب جداً، وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضاً والله أعلم

وقد ذكروا في ذلك أيضاً حديث عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت: دعي النبي ﷺ إلى جنازة صبي من الانصار فقلت يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه؟ فقال «أوغير ذلك يا عائشة، ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلاً وهم في أصلا بآبائهم، وخلق النار وخلق لها أهلاً وهم في أصلا بآبائهم» رواه مسلم وأحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه ولما كان الكلام في هذه المسئلة يحتاج إلى دلائل صحيحة جيدة وقد يتكلم فيها من لا علم عنده عن الشارع كره جماعة من العلماء الكلام فيها روي ذلك عن ابن عباس والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ومحمد بن الحنفية وغيرهم. وأخرج ابن حبان في صحيحه عن جرير بن حازم سمعت أبا رجاء المطارد يسمعت ابن عباس (رض) وهو على المنبر يقول: قال رسول الله ﷺ «لا يزال أمر هذه الامة مؤانيساً أو مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر» قال ابن حبان يعني أطفال المشركين، وهكذا رواه

أبو بكر البزار من طريق جرير بن حازم به ثم قال وقد رواه جماعة عن أبي رجاء عن ابن عباس موقوفا

واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً (١٦)

اختلف القراء في قراءة قوله (أمرنا) فالمشهور قراءة التخفيف واختلف المفسرون في معناها ف قيل معناه أمرنا مترفيا ففسقوا فيها أمراً قديراً كقوله تعالى (أناها أمرنا ليلاً أو نهاراً) فإن الله لا يأمر بالفحشاء ، قالوا معناه أنه سخرهم إلى فعل الفواحش فاستحقوا العذاب ، وقيل معناه أمرناهم بالطاعات ففعلوا الفواحش فاستحقوا العقوبة . رواه ابن جرير عن ابن عباس وقاله سعيد بن جبير أيضاً ، وقال ابن جرير يحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء قلت إنما يجيء هذا على قراءة من قرأ (أمرنا مترفيا) قال علي بن طلحة عن ابن عباس قوله (أمرنا مترفيا ففسقوا فيها) يقول سلطاناً أشرارها فعصوا فيها فاذا فعلوا ذلك أهلكهم الله بالعذاب وهو قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) الآية ، وكذا قال أبو العالصة ومجاهد والربيع بن أنس ، وقال العوفي عن ابن عباس (واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ففسقوا فيها) يقول أكثرنا عددهم ، وكذا قال عكرمة والحسن والضحاك وقتادة ، وعن مالك عن الزهري (أمرنا مترفيا) أكثرنا وقد استشهد بعضهم بالحديث الذي رواه الامام أحمد حيث قال : حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو نعمان العدوي عن مسلم بن بديل عن إياس بن زهير عن سويد بن هبيرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « خير مال امرئ له مهرة مأمورة أو سكة مأبورة » قال الامام أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه الفريب المأمورة كثيرة النسل

﴿ واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ﴾ قرأ مجاهد أمراً بالتشديد أي سلطاناً أشرارها فعصوا وقرأ الحسن وقتادة ويعقوب أمراً بالمد أي أكثرنا وقرأ الباقر بالقصر مخففاً أي أمرناهم بالطاعة فعصوا ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا يقال أمرهم الله أي كثرهم الله وفي الحديث « خير المال مهرة مأمورة » أي كثيرة النسل ويقال منه أمر القوم يأمرزون أمراً إذا كثروا وليس من الأمر بمعنى الفعل فإن الله لا يأمر بالفحشاء واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها يعني الأمر والامارة والكثرة (مترفيا) منعياً واغنياها ﴿ ففسقوا فيها فحق عليها القول ﴾ وجب عليها العذاب ﴿ فدمرناها تدميراً ﴾ أي خربناها وأهلكنا من فيها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فزعا وهو يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب » فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه « وحلق بأصبعه الإبهام

والسكة الطريقة المصطفة من النخل والمأبورة من التأخير ، وقال بعضهم إنما جاء هذا متناسبا كقوله « مأزورات غير مأجورات »

وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا (١٧)

يقول تعالى منذراً كفار قريش في تكذيبهم رسوله محمد ﷺ بأنه قد أهلك أمما من المكذبين للرسول من بعد نوح ودل هذا على أن القرون التي كانت بين آدم ونوح على الاسلام كما قاله ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الاسلام . ومعناه أنكم أيها المكذبون لستم أكرم على الله منهم وقد كذبتم أشرف الرسل وأكرم الخلائق فعقوبتكم أولى وأحرى ، وقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) أي هو عالم بجميع أعمالهم خيرها وشرها لا يخفى عليه منها خافية سبحانه وتعالى

من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما

مدحورا (١٨) ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا (١٩)

يخبر تعالى أنه ما كل من طلب الدنيا وما فيها من النعيم يحصل له بل إنما يحصل لمن أراد الله وما يشاء . وهذه مقيدة لاطلاق ما سواها من الآيات فانه قال (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم) أي في الآخرة (بصلاها) أي يدخلها حتى تغمره من جميع جوانبه (مذموما) أي في حال كونه مذموما على سوء تصرفه وصنيعه ، اذ اختار الثاني على الباقي (مدحورا) مبعدا مقصيا حقيرا ذليلا مهانا . روى الامام أحمد حدثنا حسين حدثنا دويل عن أبي اسحاق عن زرعة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا دار من لادار له ، ومال من لامال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقوله (ومن أراد الآخرة) أي أراد الدار الآخرة وما فيها من النعيم والسرور (وسعى لها سعيها) أي طلب ذلك

والتي تليها قالت زينب فقلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال « نعم اذا كثر الخبث » قوله (وكم أهلكنا من القرون) أي المكذبة (من بعد نوح) يخوف كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خيرا بصيرا) قال عبد الله بن أبي أوفى القرن مائة وعشرون سنة فبعث رسول الله ﷺ في أول قرن وكان في آخره يزيد بن معاوية وقيل مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني أن رسول الله ﷺ وضع يديه على رأسه وقال « سيعيش هذا الغلام قرنا » وقال محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة ثم مات . قال الكلبي القرن ثمانون سنة وقيل أربعون سنة (من كان يريد العاجلة) يعني الدنيا أي الدار العاجلة (عجلنا له فيها ما نشاء) من البسط والتقدير (لمن نريد) أن نفعل به ذلك واهلا كه (ثم جعلنا له) في الآخرة (جهنم بصلاها) يدخل نارها (مذموما مدحورا) مطرودا مبعدا (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) عمل عملها (وهو

(سورة الاسراء ١٧ جز ١٥٠) رزق الدنيا وتفاضل المؤمن والكافر فيه والتفاضل في درجات الآخرة ١٦٩
من طريقه وهو متابعة الرسول ﷺ (وهو مؤمن) أي قلبه مؤمن أي مصدق بالثواب والجزاء (فاولئك
كان سعيهم مشكورا)

كَلَّا تَمْدَهُوْلَاءُ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انظر كيف
فضلنا بعضهم على بعض ، وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا (٢١)

يقول تعالى (كَلَّا) أي كل واحد من الفريقين الذين أرادوا الدنيا والذين أرادوا الآخرة فمدهم
فيما هم فيه (من عطاء ربك) أي هو المتصرف الحاكم الذي لا يجور فيعطي كلاً ما يستحقه من السعادة
والشقاوة فلا راد لحكمه ولا مانع لما أعطى ولا مغير لما أراد ولهذا قال (وما كان عطاء ربك محظوراً)
أي لا يمنع أحد ولا يردعه راد ، قال قتادة (وما كان عطاء ربك محظوراً) أي منقوصاً ، وقال الحسن
وغيره أي ممنوعاً ثم قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) أي في الدنيا فمنهم الغني والفقير
وبين ذلك والحسن والقيبح وبين ذلك ، ومن يموت صغيراً ، ومن يعمّر حتى يبقى شيخاً كبيراً ، وبين
ذلك (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) أي وتفاوتهم في الدار الآخرة أكبر من الدنيا فإن
منهم من يكون في الدرجات في جهنم وسلسلها وأغلالها ، ومنهم من يكون في الدرجات العلى ونعيمها
وسرورها ، ثم أهل الدرجات يتفاوتون فيما هم فيه كما أن أهل الدرجات يتفاوتون فإن الجنة مائة
درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض . وفي الصحيحين « أن أهل الدرجات العلى يلبسون أهل
عليين كما تلبسون الكوكب الغابر في أفق السماء » ولهذا قال تعالى (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)
وفي الطبراني من رواية زاذان عن سلمان مرفوعاً « ما من عبد يريد أن يرتفع في الدنيا درجة فارتفع
إلا وضعه الله في الآخرة أكبر منها » ثم قرأ (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً)

لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً (٢٢)

يقول تعالى والمراد المكلفون من الأمة لا تجعل أيها المكلف في عبادتك ربك له شريكاً (فتقعد
مذموماً) أي على أشراكك به (مخذولاً) لأن الرب تعالى لا ينصرك بل يتركك إلى الذي عبدت معه
وهو لا يملك لك ضرراً ولا نفعاً لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له . وقد قال الامام أحمد

مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكوراً) مقبولا (كَلَّا تَمْدَهُوْلَاءُ وَهَؤُلَاءِ) أي تمد كلا الفريقين من يريد
الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) أي يرزقهما جميعاً ثم يختلف بهما الحال في المال (وما
كان عطاء ربك) رزق ربك (محظوراً) ممنوعاً عن عباده فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا
فلا حظ للكفار في الآخرة (انظر) يا محمد (كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق والعمل
الصالح يعني طالب العاجلة وطالب الآخرة (وللاخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً) لا تجعل مع الله
(تفسير ابن كثير والبقوي) (٢٢) (الجزء الخامس)

حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا بشير بن سلمان عن سيار ابن الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ، ومن أنزلها بالله أرسل الله له بالفني اما أجلا واما غنى عاجلا » ورواه أبو داود والترمذي من حديث بشير بن سلمان به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب

وقضى ربك ألا تعبدوا الا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما (٢٣) واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٢٤)

يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له فان القضاء ههنا بمعنى الامر ، قال مجاهد (وقضى) يعني وصى ، وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (ووصى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه) ولهذا قرن بعبادته بر الوالدين فقال (وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا كقوله في الآية الاخرى (أن اشكركي ولوالدك إلي المصير) وقوله (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف) أي لا تسمعهما قولا سيئا حتى ولا التأنيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ (ولا تنهرهما) أي ولا يصدر منك اليهما فعل قبيح كما قال عطاء بن أبي رباح في قوله (ولا تنهرهما) أي لا تنفض يدك عليهما ، ولما نهى عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن فقال

إلها آخر الخطاب مع النبي ﷺ والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الانسان مع الله إلها آخر (فتقعد مذموما مخذولا) مذموما من غير حمد مخذولا من غير نصر

قوله عز وجل (وقضى ربك) وأمر ربك قاله ابن عباس وقتادة والحسن قال الربيع بن أنس : وأوجب ربك قال مجاهد : وأوصى ربك وحكي عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ ووصى ربك وقال إنهم ألصقوا الواو بالصاد فصارت قافا (ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا) أي وأمر بالوالدين احسانا برأيهما وعطفا عليهما (إما يبلغن عندك الكبر) قرأ حمزة والكسائي بالالف على التثنية فعلى هذا قوله (أحدهما أو كلاهما) كلام مستأنف كقوله تعالى (ثم عموا وصموا كثير منهم) وقوله (وأسرؤا النجوى الذين ظلموا) وقوله (الذين ظلموا) ابتداء وقرأ الباقون يبلغن على التوحيد (فلا تقل لهما أف) فيه ثلاث لغات قرأ ابن كثير وابن عامر وبعقوب بفتح الفاء ، قرأ أبو جعفر ونافع وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير ممنون ومعناها واحد وهي كلمة كراهية قال أبو عبيدة : أصل التف والاف الوسخ على الاصابع اذا قتلها وقيل الاف ما يكون في المغابن من الوسخ والتف ما يكون

(وقل لهما قولا كريما) أي لينا طيبا حسنا بتأدب وتوقير وتعظيم (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) أي تواضع لهما بفعلك (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي في كبرها وعند فواتهما، قال ابن عباس ثم أنزل الله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية

وقد جاء في بر الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره أن النبي ﷺ صعد المنبر ثم قال «آمين آمين آمين» قيل يا رسول الله على ما أمنت؟ قال «أنا في جبريل فقال يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك، قل آمين فقلت آمين ثم قال رغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان ثم خرج فلم يغفر له، قل آمين فقلت آمين، ثم قال رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخله الجنة، قل آمين فقلت آمين»

(حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا علي بن زيد عن زرارة بن أوفى عن مالك بن الحارث عن رجل منهم انه سمع النبي ﷺ يقول «من ضم يتيما من أبوين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يستغني عنه وجبت له الجنة البتة، ومن أعتق امرا مسلما كان فكاكه من النار يجزي بكل عضوه منه عضوا منه» ثم قال حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد فذكر معناه إلا أنه قال عن رجل عن قومه يقال له مالك أو ابن مالك وزاد «ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله»

(حديث آخر) وقال الامام أحمد حدثنا عفان عن حماد بن سلمة حدثنا علي بن زيد عن زرارة ابن أوفى عن مالك بن عمرو القشيري سمعت رسول الله ﷺ يقول «من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار فان كل عظم من عظامه محررة بعظم من عظامه، ومن أدرك أحد والديه ثم لم يغفر له فأبعده الله عز وجل، ومن ضم يتيما من أبوين مسلمين الى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله وجبت له الجنة» (حديث آخر) قال الامام أحمد حدثنا حجاج ومحمد بن جعفر قالا حدثنا شعبة عن قتادة سمعت زرارة بن أوفى يحدث عن أبي مالك القشيري قال: قال النبي ﷺ «من أدرك والديه

في الاصابع وقيل الألف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار وقيل الألف وسخ الظفر والتف مارفعته بيديك من الارض من شيء حقير (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما (وقل لهما قولا كريما) حسنا جميلا لينا قال ابن المسيب: كقول العبد المذنب للسيد الغض وقال مجاهد: لا تسمهما ولا تكنيهما وقل لهما يا أبتاه يا أماه وقال مجاهد في هذه الآية أيضا: إذا بلغا عندك من الكبر ما يبولان فلا تتقذرهما ولا تقل لهما أف حين تيمط عنهما الخلا والبول كما كانا يبطانه عنك صغيرا (واخفض لهما جناح الذل) أي أن جانبك لهما واخضع لهما قال عروة بن الزبير أن لهما حتى لا تمنع عن شيء أحباه (من الرحمة) من الشفقة (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أراد إذا كانا مسلمين قال ابن عباس هذا منسوخ بقوله (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو مسعود محمد

أو أحدهما ثم دخل النار من بعد ذلك فأبعده الله وأسحقه « ورواه أبو داود الطيالسي عن شعبة به وفيه زيادات أخرى »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا أبو عوانة حدثنا سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « رغم أنف ثم رغم أنف ثم رغم أنف رجل أدرك أحد أبويه أو كلاهما عنده الكبر لم يدخل الجنة » صحيح من هذا الوجه ولم يخرجوه سوى مسلم من حديث أبي عوانة وجابر وسليمان بن بلال عن سهيل به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا ربهى بن إبراهيم قال أحمد وهو أخو إسماعيل بن علية وكان يفضل على أخيه عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليّ » ورغم أنف رجل دخل عليه شهر رمضان فأنسلخ فلم يغفر له ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة « قال ربهى ولا أعلمه إلا قال « أو أحدهما » ورواه الترمذي عن أحمد بن إبراهيم الدورقي عن ربهى بن إبراهيم ثم قال غريب من هذا الوجه

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا محمد حدثنا عبد الرحمن بن الفضيل حدثنا أسيد بن علي عن أبيه عن أبي عبيد عن أبي أسيل وهو مالك بن ربيعة الساعدي قال بينما أنا جالس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من الأنصار فقال يا رسول الله هل بقي علي من بر أبوي شيء بعد موتهما أبرهما به ؟ قال « نعم خصال أربع الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقيهما وصلة الرحم التي لا رحم لك إلا من قبلهما فهو الذي بقي عليك من برهما بعد موتهما » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن سليمان وهو ابن الفضيل به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا ابن جريج أخبرني محمد بن طلحة بن عبيد الله ابن عبد الرحمن عن معاوية بن جاهمة السلمي أن جاهمة جاء إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله

ابن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا سليمان ابن حرب ثنا حماد بن يزيد عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن يعني السلمي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « الوالد أوسط أبواب الجنة فأحفظ إن شئت أو ضيع » أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد بن علي الزرادي أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني أنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني أنا الحسن بن سفيان ثنا يحيى بن حبيب بن عدي ثنا خالد بن الحارث عن سعيد بن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال « رضا الله في رضا الوالد » وسخط الله في سخط الوالد » أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي أنا أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الصفار ثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز

أردت الفوز وجنتك أستشبعك؟ فقال «فهل لك من أم؟» قال نعم قال «فإنها فان الجنة عند جليلها» ثم الثانية ثم الثالثة في مقاعد شتى كمثل هذا القول ، ورواه النسائي وابن ماجه من حديث ابن جريج به
 ﴿حديث آخر﴾ قال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا ابن عياش عن يحيى بن سعد عن خالد بن معدان عن المقدم بن معد يكرب عن النبي ﷺ قال «ان الله يوصيكم بأبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بأبائكم إن الله يوصيكم بالاقرب فالاقرب» وأخرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عياش به

﴿حديث آخر﴾ قال احمد حدثنا يونس حدثنا ابو عوانة عن أشعث بن سليم عن ابيه عن رجل من بني يربوع قال أتيت النبي ﷺ فسمعتة وهو يكلم الناس يقول «يد المعطي العليا أمك وأباك وأختك وأهلك ثم أدناك أدناك»

﴿حديث آخر﴾ قال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا ابراهيم ابن المستمر العروقي حدثنا عمرو بن سفيان حدثنا الحسن بن أبي جعفر عن ليث بن أبي سليم عن علقمة ابن يزيد عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا كان في الطواف حاملا أمه يطوف بها فسأل النبي ﷺ هل أدبت حقها؟ قال «لا ولا بزفرة واحدة» أو كما قال ثم قال البزار لا نعلم يروى إلا من هذا الوجه . قلت والحسن بن أبي جعفر ضعيف والله أعلم

ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا (٢٥)

قال سعيد بن جبير هو الرجل تكون منه البادوة الى أبويه وفي نيته وقلبه انه لا يؤخذ به ، وفي رواية لا يريد إلا الخير بذلك فقال (ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين) وقوله (فانه كان للأوابين غفورا) قال قتادة للطيبين أهل الصلاة ، وعن ابن عباس المسبحين وفي رواية عنه المطيعين

ابن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة منان ، ولا عاق ، ولا مدمن خمر» أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن نامويه الاصفهاني أنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصري أنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا ربعي بن علي بن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ، ورغم أنف رجل أتى عليه شهر رمضان فلم يغفر له ورغم أنف امرئ أدرك أبواه عنده الكبر فلم يدخلا الجنة» (ربكم أعلم بما في نفوسكم) من بر الوالدين وعقوقهما ﴿إن تكونوا صالحين﴾ ابرارا مطيعين بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين وغير ذلك ﴿فانه كان للأوابين﴾ بعد المعصية ﴿غفورا﴾ قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو الرجل يكون منه البادرة الى أبويه ولا يريد به إلا

المحسنين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون بين العشاءين ، وقال بعضهم هم الذين يصلون الضحى ، وقال شعبة عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب في قوله (فانه كان للأوايين غفورا) قال الذين يصيبون الذنب ثم يتوبون ويصيدون الذنب ثم يتوبون ، وكذا رواه الليث وابن جريج عن ابن المسيب به ، وقال عطاء بن يسار وسعيد بن جبير ومجاهد هم الراجعون الى الخير وقال مجاهد عن عبيد بن عمير في الآية هو الذي اذا ذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها وواقفه مجاهد في ذلك ، وقال عبد الرزاق حدثنا محمد بن مسleme عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير في قوله (فانه كان للأوايين غفورا) قال كنا نعد الأواب الحفيظ أن يقول اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا . وقال ابن جرير والأولى في ذلك قول من قال هو التائب من الذنب الرجاء من المعصية الى الطاعة مما يكره الله الى ما يحبه ويرضاه ، وهذا الذي قاله هو الصواب لان الأواب مشتق من الاوب وهو الرجوع يقال آب فلان اذا رجع قال تعالى (إن الينا لإباهم) وفي الحديث الصحيح ان رسول الله ﷺ كان اذا رجع من سفر قال « آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون »

وَأَتَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبِيلَ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) لَٰنَ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّيسُورًا (٢٨)

الخير فانه لا يؤخذ به قال سعيد بن المسيب الاواب الذي يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب قال سعيد بن جبير الرجاء الى الخير ، وعن ابن عباس قال : الرجاء الى الله فيما يجزيه وينوبه وعن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : هم المسيبون دليله قوله (يا جبال أوبي معه) قال قتادة هم المصلون قال عون العقيلي هم الذين يصلون صلاة الضحى أخبرنا ابو الحسن طاهر بن الحسين الدورقي الطومسي أنا ابو الحسن محمد بن يعقوب أنا ابو النضر محمد بن محمد بن يوسف ثنا الحسن بن سفيان ثنا ابو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائي عن قتادة عن القاسم بن عوف عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله ﷺ على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى فقال « صلاة الاوايين اذا رمضت الفصل من الضحى » وقال محمد بن المنكدر الاواب الذي يصلي بين المغرب والعشاء ، وروي عن ابن عباس أنه قال ان الملائكة تنحرف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الاوايين قوله تعالى (وَأَتَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ) يعني صلة الرحم وأراد به قرابة الانسان وعليه الاكترون وعن علي

لما ذكر تعالى بر الوالدين عطف بذكر الاحسان الى القرابة وصلة الارحام، وفي الحديث «أمك وأباك ثم أدناك أدناك» وفي رواية «ثم الاقرب فالاقرب» وفي الحديث «من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أجله فليصل رحمه» وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن يعقوب حدثنا أبو يحيى التميمي حدثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد قال لما نزلت (وآت ذا القربى حقه) دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطهاها فذلك ثم قال لا تعلم حدث به عن فضيل بن مرزوق إلا أبو يحيى التميمي وحيد بن حماد بن أبي الجوزاء وهذا الحديث مشكل لوضح اسناده لأن الآية مكية وفذلك انما فتحت مع خير سنة سبع من الهجرة فكيف يلتزم هذا مع هذا؟ فهو اذا حديث منكر والاشبه أنه من وضع الرافضة والله أعلم. وقد تقدم الكلام على المساكين وأبناء السبيل في سورة براءة بما أغنى عن إعادته ههنا قوله (ولا تبذر تبذرا) لما أمر بالانفاق نهى عن الاسراف فيه بل يكون وسطا كما قال في الآية الاخرى (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) الآية ثم قال منفراً عن التبذير والسرف (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي أشباههم في ذلك قال ابن مسعود التبذير الانفاق في غير حق وكذا قال ابن عباس وقال مجاهد لو انفق انسان ماله كله في الحق لم يكن مبذراً ولو انفق مدا في غير حق كان مبذراً. وقال قتادة التبذير النفقة في معصية الله تعالى وفي غير الحق والفساد

وقال الامام أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال أتى رجل من بني تميم الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني ذو مال كثير وذو أهل وولد وحاضرة فاخبرني كيف أنفق وكيف اصنع؟ فقال رسول الله ﷺ «تخرج الزكاة من مالك فانها طهرة تطهرك وتصل اقرباك وتعرف حق السائل والجار والمسكين» فقال يا رسول الله اقل لي؟ قال «فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذرا» قال حسبي يا رسول الله اذا أديت الزكاة الى رسولك فقد برئت منها إلى الله وإلى رسوله فقال رسول الله ﷺ «نعم اذا أديتها الى رسولي فقد برئت منها فلك أجرها وأثمها على من بدلها»

وقوله (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي في التبذير والسفه وترك طاعة الله وارتكاب معصيته ولهذا قال (وكان الشيطان لربه كفورا) أي جحوداً لأنه أنكر نعمة الله عليه ولم يعمل بطاعته

ابن الحسن أراد به قرابة الرسول ﷺ والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذرا أي لا تنفق مالك في المعصية، وقال مجاهد لو أنفق الانسان ماله كله في الحق ما كان تبذراً ولو أنفق مدا في باطل كان تبذراً ومثل ابن مسعود عن التبذير فقال انفاق المال في غير حقه قال شعبة كنت أمشي مع أبي اسحاق في طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بحص وأجر فقال هذا التبذير، وفي قول عبدالله انفاق المال في غير حقه (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أي أولياءهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) جحود النعمة (واما تعرض عنهم) نزلت في

بل أقبل على معصيته ومخالفته وقوله (واما تعرض عنهم ابتغاء رحمة من ربك) الآية أي اذا سألك أقاربك ومن أمرناك باعطائهم وليس عندك شيء. وأعرضت عنهم لفقد النفقة فقل لهم قولاً ميسوراً أي عدهم وعداً بسهولة وابن اذا جاء رزق الله فنصلكم إن شاء الله هكذا فسر قوله (قل لهم قولاً ميسوراً) بالوعد مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقطادة وغير واحد

ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً (٢٩)

ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خيراً بصيراً (٣٠)
يقول تعالى أمراً بالاقتصاد في العيش ذاماً للبخل ناهياً عن السرف (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) أي لا تكن بخيلاً منوعاً لا تعطي أحداً شيئاً كما قالت اليهود عليهم لعائن الله بد الله مغلولة أي نسبوه الى البخل تعالى وتقدس الكريم الوهاب وقوله (ولا تبسطها كل البسط) أي ولا تسرف في الانفاق فتعطي فوق طاقتك وتخرج أكثر من دخلك فتقعد ملوماً محسوراً وهذا من باب الاقف والنشر أي فتقعد ان بخلت فعدت ملوماً يلومك الناس ويذمونك ويستغفون عنك كما قال زهير بن أبي سلمى في المعلقة

ومن كان ذا مال فيبخل بماله على قومه يستغن عنه ويذم
ومتى بسطت يدك فوق طاقتك فعدت بلا شيء تنفقه فتكون كالحسبر وهو الدابة التي قد عجزت عن السير فوقفت ضعفاً وعجزاً فانها تسمى الحسبر وهو مأخوذ من السكلال كما قال (فارجم البصر هل ترى من فتور * ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسبر) أي كليل عن أن يرى عيباً هكذا فسر هذه الآية بان المراد هنا البخل والسرف ابن عباس والحسن وقطادة وابن

مهجع وبلال وصهيب وسلم وخباب كانوا يسألون النبي ﷺ في الاحايين ما يحتاجون اليه ولا يجد فيعرض عنهم حياة منهم ويمسك عن القول فنزل (واما تعرض عنهم) يعني وان تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك أن تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (قل لهم قولاً ميسوراً) لنا وهي العدة أي عدهم وعداً جميلاً وقيل القول الميسور أن تقول : رزقنا الله وإياك (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) قال جابر أني صبي فقال يا رسول الله إن امي تستكسيك درعاً ولم يكن لرسول الله ﷺ إلا قبضه فقال للصبي « من ساعة الى ساعة بظهر كذا فعد الينا وقتاً آخر » فعاد الى امه فقالت قل له إن امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله ﷺ داراً فترزع قبضه فاعطاه إياه وقعد عريانا فأذن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك) يعني ولا تمسك يدك عن النفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) فتعطي جميع ما عندك

جريح وابن زيد وغيرهم، وقد جاء في الصحيحين من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «مثل البخل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من نديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت أو وفرت على جلدته حتى تخفي بنانه وتغفو أثره، وأما البخل فلا يريد أن ينفق شيئاً إلا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع» هذا لفظ البخاري في الزكاة وفي الصحيحين من طريق هشام بن عروة عن زوجته فاطمة بنت المنذر عن جدتها أسماء بنت أبي بكر قالت قال رسول الله ﷺ «أنفق هكذا وهكذا ولا نوعي فيوعي الله عليك ولا توكي فيوكي الله عليك» وفي لفظ ولا «تحصي فيحص الله عليك» وفي صحيح مسلم من طريق عبد الرزاق عن معمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «إن الله قال لي أنفق أنفق عليك» وفي الصحيحين من طريق معاوية بن أبي مزرع عن سعيد بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان من السماء يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفاً» وروى مسلم عن قتبية عن اسماعيل بن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً «ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبداً أنفق إلا عزاً ومن تواضع لله رفعه الله» وفي حديث أبي كثير عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً «يا كم والشح فانه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وأمرهم بالفجور ففجروا» وروى البيهقي من طريق سعدان بن نصر عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ «ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحي سبعين شيطاناً»

وقال الامام احمد حدثنا ابو عبيدة الخداد حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا ابراهيم المجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود (رض) قال قال رسول الله ﷺ «ما عال من اقتصد» وقوله (إن ربك ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) اخبار أنه تعالى هو الرزاق القابض الباسط المنتصرف في خلقه بما يشاء فيغني من يشاء ويفقر من يشاء لما له في ذلك من الحكمة ولهذا قال (انه كان لعباده خيراً بصيراً) أي خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر كما جاء في الحديث «ان من عبادي لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه» وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجاً، والفقر عقوبة عياداً بالله من هذا وهذا

﴿فتعبد ملوما﴾ يلومك سائلوك بالامساك اذا لم تعطهم والمعلوم الذي أتى بما يلوم نفسه أو يلومه غيره
﴿محسوراً﴾ منقطعاً بك لا شيء عندك تنفقه يقال حسرتة بالمسئلة اذا ألحقت عليه ودابة حسيرة اذا كانت كالة رازحة قال قتادة محسوراً نادماً على ما فرط منك ﴿إن ربك ييسر﴾ بوسع ﴿الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ أي يقتر وبضيق ﴿إنه كان لعباده خيراً بصيراً﴾

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(٢٣)

(الجزء الخامس)

ولا تقتلوا أولادكم خشية املئكم نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيراً (٣١)

هذه الآية السريفة دالة على أن الله تعالى أرحم بعباده من الوالد بولده لانه نهى عن قتل الاولاد كما أوصى الآباء بالاولاد في الميراث وكان أهل الجاهلية لا يورثون البنات بل كان أحدهم ربما قتل ابنته لئلا تكثر عيلته فنهى الله تعالى عن ذلك وقال (ولا تقتلوا أولادكم خشية املئكم) أي خوف أن تفقرؤا في ثاني الحال ، ولهذا قدم الاهتمام برزقهم فقال (نحن نرزقهم وإياكم) وفي الانعام (ولا تقتلوا أولادكم من املئكم) أي من فقر (نحن نرزقهم وإياهم) وقوله (إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) أي ذنباً عظيماً وقرأ بعضهم كان خطئاً كبيراً وهو بمعناه ، وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم ؟ قال « أن تجعل لله نداً وهو خلقك - قلت ثم أي ؟ - قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك - قلت ثم أي ؟ - قال أن تزاني حيلة جارك »

ولا تقربوا الزنى انه كان فحشة وساء سبيلاً (٣٢)

يقول تعالى ناهياً عباده عن الزنا وعن مقاربتة ومخالطة أسبابه ودواعيه ولا تقربوا الزنا انه كان فحشة أي ذنباً عظيماً وساء سبيلاً أي وبئس طريقاً ومسلماً

وقد قال الامام احمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا جرير حدثنا سليم بن عامر عن أبي امامة ان فتى شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ائذن لي بازنا فأقبل القوم عليه فزجروه وقالوا : مه مه فقال « ادنه » فدنا منه قريباً فقال « اجلس » فجلس فقال « أتحبه لامك » ؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال « أتحبه لابنتك » ؟ قال لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لبناتهم قال « أتحبه لأختك » ؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال « أتحبه لعمتك » ؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لعماتهم قال « أتحبه لخالتك » ؟ قال لا والله جعلني الله فداك قال ولا الناس يحبونه لخالاتهم قال فوضع يده عليه وقال « اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه » قال فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت الى شيء ، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عمار بن نصر حدثنا بقية عن أبي بكر بن أبي مريم عن الهيثم بن مالك الطائي عن النبي ﷺ قال « ما من ذنب بعد الشرك أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في رحم لا يحل له »

قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املئكم نحن نرزقهم وإياكم) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يندون بناتهم خشية الفاقة فنهوا عنه واخبروا أن رزقهم ورزق أولادهم على الله تعالى (إن قتلهم كان خطئاً كبيراً) قرأ ابن عامر وابو جعفر خطأ بفتح الحاء والطاء مقصوداً وقرأ ابن كثير بكسر الحاء ممدوداً وقرأ الآخرون بكسر الحاء وجزم الطاء ومعنى الكل واحد أي إنما كبيراً (ولا تقربوا

ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق، ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً

فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً (٣٣)

يقول تعالى ناهياً عن قتل النفس بغير حق شرعي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا بأحدي ثلاث: النفس بالنفس والزاني المحصن والتارك لدينه المفارق للجماعة » وفي السنن « لزوال الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم » وقوله (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) أي سلطه على القاتل فإنه بالخيار فيه إن شاء قتله قوداً وإن شاء عفا عنه على الدية وإن شاء عفا عنه مجاناً كما ثبتت السنة بذلك ، وقد أخذ الإمام الحبر ابن عباس من عموم هذه الآية الكريمة ولاية معاوية السلطنة أنه سيملك^(١) لأنه كان ولي عثمان وقد قتل عثمان مظلوماً رضي الله عنه وكان معاوية بطالب علياً رضي الله عنه أن يسلمه قتلته حتى يقتص منهم لأنه أموي وكان علي رضي الله عنه يستعمل في الأمر حتى يتمكن ويفعل ذلك ويطلب علي من معاوية أن يسلمه الشام فيأبى معاوية ذلك حتى يسلمه القتلة وأبى أن يبايع علياً هو وأهل الشام ثم مع المطالبة تمكن معاوية وصار الأمر إليه كما قاله ابن عباس واستنبطه من هذه الآية الكريمة وهذا من الأمر العجيب ، وقد روى ذلك الطبراني في معجمه حيث قال حدثنا يحيى بن عبد الباقي حدثنا أبو عمير بن النعمان حدثنا ضمرة بن ربيعة عن ابن شوذب عن مطر الوراق عن زهدم الجرمي قال : كنا في سمر ابن عباس فقال اني محدثكم بمحدث ليس بسر ولا علانية انه لما كان من أمر هذا الرجل ما كان يعني عثمان قلت لملي اعزل فلو كنت في جحر طلبت حتى تستخرج فعصاني، وإيم الله ليتأمرن عليكم معاوية وذلك ان الله يقول (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل) الآية

(١) هذا استنباط

ظاهر البطلان لإجماع الأمة على ما ثبت في السنة من أن سلطان ولي المقتول خاص بقتل القاتل فأين هو من الولاية العامة ؟

الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً * ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وحققا ما روي أن النبي ﷺ قال « لا يجل دم امرئ مسلم إلا بأحدي ثلاث : رجل كفر بعد إيمانه، أو زنا بعد احصائه ، أو قتل نفساً بغير نفس فيقتل بها » (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) أي قوة وولاية على القاتل بالقتل قاله مجاهد وقال الضحاك سلطاناً هو أنه يتخير فإن شاء استفاد منه وإن شاء أخذ الدية وإن شاء عفا عنه (فلا يسرف في القتل) قرأ حمزة والكسائي فلا تسرف بالتاء يخاطب ولي القتل، وقرأ الآخرون بالياء على الغائب أي لا يسرف الولي في القتل واختلفوا في هذا الاسراف الذي منع منه ولي القتل فقال ابن عباس وأكبر المفسرين معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قاتل لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه ، وقال سعيد بن جبيرة إذا كان القاتل واحداً فلا يقتل جماعة بدل واحد وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول شريفاً لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقال قتادة معناه لا يمثل بالقاتل (إنه كان منصوراً)

وليحملنكم قريش على سنة فارس والروم وليقيمن عليكم النصارى واليهود والمجوس ، فمن أخذ منكم يومئذ بما يعرف نجا ، ومن ترك وأنتم تاركون كنتم كقرون من القرون هلك فيمن هلك ، وقوله (فلا يسرف في القتل) قالوا معناه فلا يسرف الولي في قتل القاتل بأن يمثل به أو يقتص من غير القاتل ، وقوله (انه كان منصورا) أي ان الولي منصور على القاتل شرعا وغالبا وقدرا

ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا بالعهد ان العهد كان

مستولا (٣٤) وأوفوا الكيل اذا كلمتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا (٣٥)

يقول تعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) أي لا تنصرفوا في مال

اليتيم إلا بالغبطة (ولا تأكلوها)^(١) إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا

فليأكل بالمعروف) وقد جاء في صحيح مسلم ان رسول الله ﷺ قال لابي ذر « يا أبا ذر اني أراك ضعيفا

واني أحب لك ما أحب لنفسي لا تأمرن على اثنين ولا تولين مال يقيم » وقوله (وأوفوا بالعهد)

أي الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملون بها فان العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه (إن

العهد كان مسؤولا) أي عنه وقوله (وأوفوا الكيل اذا كلمتم) أي من غير تطفيف ولا تبخسوا الناس أشياءهم

(وزنوا بالقسطاس) قريء بضم القاف وكسر ها كالقسطاس وهو الميزان ، قال مجاهد هو العدل بالرومية وقوله

(المستقيم) أي الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا اضطراب (ذلك خير) أي لكم في معاشكم ومعادكم ولهذا

قال (وأحسن تأويلا) أي مالا ومنقبلا في آخرتكم . قال سعيد عن قتادة (ذلك خير وأحسن تأويلا)

أي خير ثوابا وأحسن عاقبة . وابن عباس كان يقول يا معشر الموالى إنكم ولينتم أمرين بهما هلك

الناس قبلكم هذا المكيال وهذا الميزان ، قال وذكر لنا ان نبي الله عليه السلام كان يقول « لا يقدر

رجل على حرام ثم يدعه ليس به إلا مخافة الله إلا أبدله الله به في عاجل الدنيا قبل الآخرة ما هو خير من ذلك »

(١) في جميع النسخ
ولا تأكلوها أموالهم
إسرافا الخ وهو غلط
ربما كان سببه ان
المصنف ذكر أولا
آية (ولا تأكلوها
أموالهم إلى أموالكم)
ثم ذكر هذه فسقط
من النسخ تسمية الآية
الاولى وأول الثانية

فالهاء راجعة الى المقتول في قوله (ومن قتل مظلوما) يعني أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود

على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله هذا قول مجاهد ، وقال قتادة الهاء راجعة الى

ولي المقتول معناه إنه منصور على القاتل باستيفاء القصاص منه أو الدية وقيل في قوله (فلا يسرف

في القتل) إنه أراد به القاتل المعتدي بقول لا يعتدى بالقتل بغير الحق فانه إن فعل ذلك فولي المقتول

منصور عليه باستيفاء القصاص منه ﴿ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده

وأوفوا بالعهد ﴾ بالأتين بما أمر الله به والآنهاء عما نهى الله عنه وقيل أراد بالعهد ما يلتزمه الانسان

على نفسه ﴿ إن العهد كان مسؤولا ﴾ عنه وقال السدي كان مطلوبا وقيل العهد بسأل عن صاحب العهد

فيقال فيم تقضت كالمودعة تسأل فيم قتلت ﴿ وأوفوا الكيل اذا كلمتم وزنوا بالقسطاس ﴾ قرأ حمزة

والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بضمه وهما لفتان وهو الميزان صغيرا كان أو كبيرا أي

ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً (٣٦)

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (رض) يقول لا تقف ، وقال العوفي لا ترم أحداً بما ليس لك به علم وقال محمد بن الحنفية يعني شهادة الزور ، وقال قتادة لا تقف رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمع وعلمت ولم تعلم فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله ، ومضمون ما ذكره أن الله تعالى نهى عن القول بلا علم بل بالظن الذي هو التوهم والخيال كما قال تعالى (اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) وفي الحديث « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث » وفي سنن أبي داود « بئس مطية الرجل زعموا » وفي الحديث الآخر « إن أفرى الفري أن يري الرجل عينيه ما لم تريا » وفي الصحيح « من تحمل حملاً كلف يوم القيامة أن يعتقد بين شعرتين وليس بفاعل » وقوله (كل أولئك) أي هذه الصفات من السمع والبصر والفؤاد (كان عنه مسئولاً) أي سيسأل العبد عنها يوم القيامة وتسال عنه وعما عمل فيها ، ويصح استعمال أولئك مكان تلك كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة الولى * والعيش بعد أولئك الايام

ولا تمش في الارض مراً إنك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (٣٧)

يميزان العدل وقال الحسن هو القبان وقال مجاهد هو رومي وقال غيره هو عربي مأخوذ من القسط وهو العدل أي زنوا بالعدل المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً أي عاقبة ولا تقف ما ليس لك به علم قال قتادة لا تقف رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ولم تعلمه وقال مجاهد لا ترم أحداً بما ليس لك به علم قال القتيبي لا تتبعه بالحدس والظن وهو في اللغة اتباع الاثر يقال قفوت فلانا أقفوه وقفيته وأقفيته اذا اتبعت أثره وبه سميت القافة لتتبعهم الاثر ، وقال القتيبي هو مأخوذ من القفو كأنه يقفو الامور أي يكون في اقفاها يتبعها ويتعرفها ، وحقيقة المعنى لا تتكلم أيها الانسان بالحدس والظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) قيل معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء وقوله (كل أولئك) أي كل هذه الجوارح والاعضاء وعلى القول الاول يرجع أولئك الى أربابها. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسن أنا أبو علي حامد بن محمد الرقاء ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنا الفضل بن دكين حدثنا سعيد بن أوس العبسي حدثني بلال بن يحيى العبسي أن شثير بن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال أتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله علمني تعويداً أنعوذ به قال فأخذ بيدي ثم قال قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها قال سعيد المنى ماؤه (ولا تمش في الارض مراً) أي بطراً وكبراً وخيلاً وهو

كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها (٣٨)

يقول تعالى ناهيا عباده عن التجبر والتبخر في المشية (ولا تمش في الأرض مراحا) أي متبخرأ متايلا مشي الجبارين (إنك لن تحرق الأرض) أي لن تقطع الأرض بشيك قاله ابن جرير واستشهد عليه بقول رؤبة بن العجاج:

« وقام الاعماق خاوي المحرق »

وقوله (ولن تبلغ الجبال طولا) أي بتايلاك وفركك واعجابك بنفسك، بل قد يجازي فاعل ذلك بتقبض قصده كما ثبت في الصحيح « بينما رجل يمشي فيمن كان قبلكم وعليه بردان يتبخر فيهما إذ خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » وكذلك أخبر الله تعالى عن قارون أنه خرج على قومه في زينته وأن الله تعالى خسف به وبداره الأرض، وفي الحديث « من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند الناس حقير، حتى لهو أبغض إليهم من الكلب والحنزير » وقال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب الخول والتواضع: حدثنا أحمد بن إبراهيم بن كثير حدثنا حجاج بن محمد عن أبي بكر الهذلي قال: بينما نحن مع الحسن إذ مر عليه ابن الأهم برید المنصور وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي ويتبخر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال: أف أف، شامخ بأنفه، ثافي عطفه، مصمر خده، ينظر في عطفيه، أي حميق ينظر في عطفه في نعم غير مشكورة ولا مذكورة، غير المأخوذ بأمر الله فيها،

تفسير المشي فلذلك أخرجه على المصدر « إنك لن تحرق الأرض » أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها « ولن تبلغ الجبال طولا » أي لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك. معناه أن الإنسان لا ينال بكبره وبطوره شيئا كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء. وقيل ذكر ذلك لأن من مشى مختالا يمشي مرة على عقبيه ومرة على صدور قدميه فليل له إنك لن تنقب الأرض أن مشيت على عقبيك ولن تبلغ الجبال طولا إن مشيت على صدور قدميك أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجرجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي عن المسعودي عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن جبير ابن مطعم عن علي قال كان رسول الله ﷺ إذا مشى يتكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صبيب. أخبرنا أبو محمد الجوزجاني أنا أبو القاسم الخزاعي أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن لهيعة عن أبي يونس عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله ﷺ كان الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحدا أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكثوث « كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها »

ولا المؤدى حق الله منها ، والله ان يمشي أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون في كل عضو منه نعمة ، وللشيطان به لعنة . فسمعه ابن الاعم فرجع يعتذر اليه ، فقال لا تعتذر إلي وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى (ولا تمش في الارض مرحا انك لن تحرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا) ورأى البخري العابد رجلا من آل علي يمشي وهو يخطر في مشيته فقال له يا هذا : ان الذي أكرمك به لم تكن هذه مشيته قال فتركها الرجل بعد . ورأى ابن عمر رجلا يخطر في مشيته فقال ان للشياطين اخوانا . وقال خالد بن معدان : اياكم والخطر فان الرجل يده من سائر جسده رواها ابن أبي الدنيا

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا خلف بن هشام البزار حدثنا حماد بن زيد عن يحيى عن سعيد عن محسن قال : قال رسول الله ﷺ « اذا مشيت أمتي المطيطاء ، وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض » وقوله (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) أما من قرأ سيئة أي فاحشة فعناه عنده كل هذا الذي نهينا عنه من قوله (ولا تقتلوا أولادكم خشية اطلاق) الى هنا فهو سيئة مؤاخذ عليها مكروه عند الله لا يجبه ولا يرضاه ، وأما من قرأ سيئته على الاضافة فعناه عنده كل هذا الذي ذكرناه من قوله (وقضى ربك أن لا تعبدوا الاياه) إلى هنا فسيئته أي تقييحه مكروه عند الله . هكذا وجه ذلك ابن جرير رحمه الله

ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا ٣٩

يقول تعالى هذا الذي أمرناك به من الاخلاق الجيلة ونهيناك عنه من الصفات الرذيلة مما أوحينا إليك يا محمد لتأمر به الناس (ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما) أي تلومك نفسك ويلومك

قرأ ابن عامر واهل الكوفة برفع الهمزة وضم الها . على الاضافة ومعناه كل الذي ذكرنا من قوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلاياه - كان سيئته) أي سيء ما عددنا عليك (عند ربك مكروها) لان فيها عددنا امورا حسنة كقوله (وآت ذا القربى حقه - واخفض لهما جناح الذل) وغير ذلك وقرأ الآخرون سيئته منصوبة منونة يعني كل الذي ذكرنا من قوله (ولا تقتلوا أولادكم) الى هذا الموضع سيئة لاحسنة فيه اذ الكل يرجع الى المنهي عنه دون غيره ، ولم يقل مكروهة لان فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروها سيئته وقوله (مكروها) على التكرير لاعلى الصفة مجازة كل ذلك كان سيئة وكان مكروها راجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكر

قوله تعالى (ذلك) الذي ذكرناه (مما أوحى إليك ربك من الحكمة) وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة (ولا تجعل مع الله الها آخر) خاطب النبي ﷺ في هذه الآيات والمراد منه الامة

الله والخلق (مدحوراً) أي مبعداً من كل خير، قال ابن عباس وقتادة مطروداً والمراد من هذا الخطاب الأمة بواسطة الرسول ﷺ فإنه صلوات الله عليه وسلامه معصوم

أفأصفيكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إنسناً؟ انكم لتقولون قولاً عظيماً (٤٠)
يقول تعالى راداً على المشركين الكاذبين الزاعمين عليهم لعائن الله أن الملائكة بنات الله فجعلوا
الملائكة الذين هم عباد الرحمن أناثاً، ثم ادعوا أنهم بنات الله ثم عبدوهم فأخطوا في كل من المقامات
الثلاث خطأ عظيماً فقال تعالى منكرأ عليهم (أفأصفاكم ربكم بالبنين) أي خصصكم بالذكر (واتخذ من
الملائكة أناثاً) أي واختار لنفسه على زعمهم البنات ثم شدد الانكار عليهم فقال (انكم لتقولون قولاً
عظيماً) أي في زعمكم أن الله ولدأ ثم جعلكم ولده الاناث التي تأفون أن يكن لكم وربما قتلتموهن
بالوآد فتلك اذا قسمة ضيزى وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) لقد جئتم شيئاً اداً * تكاد
السموات يتفطرن منه وتتشق الارض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدأ * وما ينبئني
للرحمن أن يتخذ ولدأ * ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم
عدأ * وكلهم آتية يوم القيامة فردأ)

ولقد صرفنا في هذا القرآن ليدركوا وما يزيدهم الا نفوراً (٤١)
يقول تعالى (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي صرفنا فيه من الوعيد لهم
يذكرون ما فيه من الحجج والبيانات والمواعظ فينزعجوا عما هم فيه من الشرك والظلم والافك (وما
يزيدهم) أي الظالمين منهم (الا نفوراً) أي عن الحق وبعداً منه
قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لا بتفوا الي ذي العرش سييلاً (٤٢) سبحانه وتعالى

عما يقولون ثلواً كبيراً (٤٣)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الزاعمين أن الله شريكاً من خلقه العابدين معه غيره ليقربهم

(فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً) مطروداً مبعداً من كل خير
قوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم) أي اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة يعني
اختاركم (بالبنين واتخذ من الملائكة أناثاً) لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله (انكم لتقولون
قولاً عظيماً) يخاطب مشركي مكة (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني العبر والحكم والأمثال
والاحكام والحجج والاعلام، والتشديد للتكثير والتكثير (ليذكروا) أي ليتذكروا ويتعظوا، وقرأ
همزة والكسائي باسكان الذال وضم الكاف وكذلك في الفرقان (وما يزيدهم) نصريفنا وتذكيرنا
وتكريرنا (الا نفوراً) ذهاباً وتباعداً عن الحق (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (لو كان معه آلهة كما

فيه زاني لو كان الامر كما يقولون وأن معه آلهة تعبد لتقرب اليه وتشفع لديه لكان أولئك المعبودون يعبدونه ويتقربون اليه ويتفتنون اليه الوسيلة والقرية فاعبدوه أنتم وحده كما يعبد من تدعونه من دونه ولا حاجة لكم الى معبود يكون واسطة بينكم وبينه فانه لا يجب ذلك ولا يرضاه بل يكرهه ويأباه وقد نهى عن ذلك على السنة جميع رسله وأنبيائه ثم نزه نفسه الكريمة وقدها فقال (سبحانه وتعالى عما يقولون) أي هؤلاء المشركون المعتدون الظالمون في زعمهم أن معه آلهة أخرى (علواً كبيراً) أي تعالياً كبيراً ، بل هو الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد

تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ، وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِيحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ، إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)

يقول تعالى قدس السموات السبع والارض ومن فيهن أي من المخلوقات وتنزهه وتعظمه وتبجله وتكبره عما يقول هؤلاء المشركون وتشهد له بالوحدانية في ربوبيته وإلهيته في كل شيء له آية تدل على أنه واحد

كما قال تعالى (تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداه أن دعوا للرحمن ولدأ) وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا علي بن عبد العزيز حدثنا سعيد بن منصور حدثنا سليمان بن ميمون مؤذن مسجد الرملة حدثنا عروة بن رويم عن عبد الرحمن بن قرط أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به الى المسجد الأقصى كان بين المقام وزمزم جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فطارا به حتى بلغ السموات السبع ، فلما رجع قال « سمعت تسبيحاً في السموات العلى مع تسبيح كثير سبحت السموات العلى ، من ذي المهابة مشفقات لذي العلو بما علا ، سبحان العلى الاعلى سبحانه وتعالى »

وقوله (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) أي وما من شيء من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لانها بخلاف لغاتكم وهذا عام في يقولون ﴿ قرأ حفص وابن كثير يقولون بالياء وقرأ الآخرون بالتاء ﴾ (إذا لا تفقهوا) لطلبوا يعني الآلهة ﴿ إلى ذي العرش سيلا ﴾ بالمغالبة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض ، وقيل معناه لطلبوا الى ذي العرش سيلا بالتقرب اليه . قال قتادة لعرفوا الله بفضله وابتغوا ما يقربهم اليه والاول أصح

ثم نزه نفسه فقال عز من قائل ﴿ سبحانه وتعالى عما يقولون ﴾ قرأ حمزه والكسائي يقولون بالتاء والآخرون بالياء ، ﴿ علواً كبيراً ، تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن ﴾ قرأ أبو عمر وحمزة والكسائي وحفص ويعقوب تسبح بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث ﴿ وإن من (تفسير ابن كثير والبغوي) (٢٤) (الجزء الخامس)

الحيوانات والجمادات والنباتات وهذا أشهر القولين كما ثبت في صحيح البخاري عن ابن مسعود أنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل . وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ في يده حصيات فسمع لمن تسبيح كحنين النحل ، وكذا في يد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وهو حديث مشهور في المسانيد

وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبائن عن سهل بن معاذ عن ابن أنس عن أبيه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل فقال لهم « اركبوها سالمة ، ودعوها سالمة ، ولا تتخذوها كراسي لا يحدثكم في الطرق والاسواق قرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه » وفي سنن النسائي عن عبد الله بن عمرو قال : نهى رسول الله ﷺ عن قتل الضفدع وقال « تقيها تسبيح » وقال قتادة عن عبد الله بن أبي عن عبد الله بن عمرو : أن الرجل إذا قال لا إله إلا الله فهي كلمة الاخلاص التي لا يقبل الله من أحد عملا حتى يقولها ، وإذا قال الحمد لله فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد قط حتى يقولها ، وإذا قال الله أكبر فهي تملأ ما بين السماء والارض ، وإذا قال سبحان الله فهي صلاة الخلائق التي لم يدع الله أحدا من خلقه الا قرره بالصلاة والتسبيح ، وإذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عدي واستسلم .

وقال الامام أحمد حدثنا وهب حدثنا جرير حدثنا أبي سمعت الصعب بن زهير يحدث عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو قال أتى النبي ﷺ أعرابي عليه جبة من طيالة مكفوفة بديباج : أو مزورة بديباج فقال : ان صاحبكم هذا يريد أن يرفع كل راع بن راع ويضع كل رأس بن رأس : فقام اليه النبي ﷺ مغضبا فأخذ بمجامع جيبه فاجتذبه فقال « لا أرى عليك ثياب من يعقل » ثم رجع رسول الله ﷺ فجلس فقال « ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنه فقال اني قاص عليك الوصية أمر كما بأثنين وأنها كما عن اثنين أنها كما عن الشرك بالله والكبر وأمر كما بلا إله إلا الله فان السموات والارض وما فيها لو وضعت في كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله في الكفة الاخرى كانت أرجح ولو أن السموات والارض كانتا حلقة فوضعت لا إله إلا الله عليهما لقصمتها أو انقصمتها ، وأمر كما بسبعان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها برزق كل شيء » ورواه

شيء إلا بسبح بحمده) روي عن ابن عباس انه قال وإن من شيء حي إلا يسبح بحمده وقال قتادة يعني الحيوانات والناميات ، وقال عكرمة الشجرة تسبح والاسطوانة لا تسبح ، وعن المقدم بن معدي كرب قال ان التراب يسبح مالم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح وإن الخرزة تسبح مالم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح ، وإن الورقة لتسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح ، وإن الثوب ليسبح مادام جديدا فاذا وسخ ترك التسبيح ، وإن الماء يسبح مادام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح ، وإن الوحش والطير تسبح اذا صاحتا فاذا سكنتا تركت التسبيح . وقال ابراهيم

الامام أحمد أيضا عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن الصعب بن زهير به أطول من هذا ونفرد به ، وقال ابن جرير حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي حدثنا محمد بن يعلى عن موسى ابن عبيدة عن زيد بن أسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه ؟ إن نوحا عليه السلام قال لابنه يا بني أمرك أن تقول سبحان الله فانها صلاة الخلق وتسبيح الخلق وبها يرزق الخلق » قال الله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) اسناده فيه ضعيف فان الاودي ضعيف عند الاكثرين ، وقال عكرمة في قوله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) قال الاسطوانة تسبح والشجرة تسبح - الاسطوانة السارية - وقال بعض السلف صرير الباب تسبيحه وخرير الماء تسبيحه قال الله تعالى (وان من شيء الا يسبح بحمده) وقال سفيان الثوري عن منصور عن ابراهيم قال الطعام يسبح ويشهد لهذا القول آية السجدة في الحج ، وقال آخرون انما يسبح من كان فيه روح يعنون من حيوان ونبات قال قتادة في قوله (وان من شيء الا يسبح بحمده) قال كل شيء فيه روح يسبح من شجر أو شيء فيه ، وقال الحسن والضحاك في قوله (وان من شيء الا يسبح بحمده) قال كل شيء فيه الروح

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن حميد حدثنا يحيى بن واضح وزيد بن حباب قال حدثنا جرير أبو الخطاب قال كنا مع يزيد الرقاشي ومعه الحسن في طعام فقدموا الخوان فقال يزيد الرقاشي يا أبا سعيد يسبح هذا الخوان ؟ فقال كان يسبح مرة - قلت الخوان هو المائدة من الخشب - فكان الحسن رحمه الله ذهب إلى أنه لما كان حيا فيه خضرة كان يسبح فلما قطع وصار خشبة يابسة انقطع تسبيحه وقد يستأنس لهذا القول بحديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ مر بقبرين فقال « انهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة » ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم قال « لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » أخرجاه في الصحيحين قال بعض من تكلم على هذا الحديث من العلماء إنما قال ما لم ييبسا لانهما يسبحان ما دام فيها خضرة فاذا ييبسا انقطع تسبيعهما والله أعلم. وقوله (إنه كان حيا غفورا) أي إنه لا يعاجل

النعيم وإن من شيء جهاد وحى الا يسبح بحمده حتى صرير الباب وتقيض السقف ، وقال مجاهد كل الأشياء تسبح لله حيا كان أو ميتا أو جهادا وتسبيحها سبحان الله وبحمده ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو أحمد الزبير أنا اسرئيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقل الماء فقال « اطلبوا فضلا من ماء » فجاءوا بآنا فيه ماء قليل فأدخل يده في الاناء ثم قال « حي على الطهور المبارك والبركة من الله » فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ، وقال بعض أهل المعاني تسبح

١٨٨ من قال إن تسبيح كل شيء لله إنما هو بدلالته على تنزيهه (تفسير ابن كثير والبغوي)

من عصاه بالعقوبة بلى يؤجله وينظره فان استمر على كفره وعناده أخذه أخذ عزيز مقتدر كما جاء في الصحيحين «ان الله ليظلم حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) وقال تعالى (وكان من قرية أمليت لها وهي ظالمة) الآية وقال (وكان من قرية أهلكتها وهي ظالمة) الآية ومن أظلم عما هو فيه من كفر أو عصيان ورجع الى الله وتاب اليه تاب عليه كما قال تعالى (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله) الآية وقال ههنا (إنه كان حليماً غفوراً) كما قال في آخر قاطر (ان الله يسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليماً غفوراً) الى أن قال (ولو يؤاخذ الله الناس) إلى آخر السورة

واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً (٤٥)

وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً، وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً (٤٦)

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وإذا قرأت يا محمد على هؤلاء المشركين القرآن جعلنا بينك وبينهم حجاباً مستوراً. قال قتادة وابن زيد هو الأكنة على قلوبهم كما قال تعالى (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقراً ومن بيننا وبينك حجاب) أي مانع حائل أن يصل اليها مما تقول شيء. وقوله (حجاباً مستوراً) بمعنى سائر كيمون ومشووم بمعنى يامن وشائم لانه من بينهم وشوهم وقيل مستوراً عن الابصار فلا تراه وهو مع ذلك حجاب بينهم وبين الهدى ومال إلى ترجيعه ابن جرير رحمه الله وقال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو موسى الهروي اسحاق بن ابراهيم حدثنا سفيان عن الوليد ابن كثير عن يزيد بن تدرس عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها قالت لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) جاءت العوراء أم جميل ولها ولولة وفي يدها فخر وهي تقول : مذمما أئينا - أو أئينا قال أبو موسى الشك مني - ودينه قلينا، وأمره عصينا، ورشول الله ﷺ جالس وأبو بكر الى جنبه فقال

السموات السبع والارض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء مادامت تدل بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها، والاول هو المنقول عن السلف واعلم ان الله تعالى علماً في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه اليه (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح ما عدا من يسبح بلغاتكم وألسنتكم (انه كان حليماً غفوراً) وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً (يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به قال قتادة هو الأكنة والمستور بمعنى السائر كقولنا (إنه كان وعدة مائتاً) مفعول بمعنى فاعل وقيل مستور عن أعين الناس فلا يرونه وفسره بعضهم بالحجاب عن الاعين الظاهرة كما روي عن سعيد بن

أبو بكر (رض) لقد أقبلت هذه وأنا أخاف أن تراك فقال « انها لن تراني » وقرأ قرأنا اعتصم به منها (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) قال فجاءت حتى قامت على أبي بكر فلم تر النبي ﷺ فقالت يا أبا بكر بلغني أن صاحبك هجاني قال أبو بكر لا ورب هذا البيت ما هجأك قال فانصرفت وهي تقول لقد علمت قريش أنني بنت سيدها. وقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة) وهي جمع كنان الذي يغشى القلب (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموا القرآن (وفي آذانهم وقرا) وهو الثقل الذي بمنعهم من سماع القرآن مما عاينفهم ويهندون به

وقوله تعالى (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) أي إذا وحدت الله في تلاوتك وقلت لا إله إلا الله (ولوا) أي أدبروا راجعين (على أديبارهم نفورا) ونفور جمع نافر كقعود جمع قاعد ويجوز أن يكون مصدرا من غير الفعل والله أعلم كما قال تعالى (واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) الآية قال قتادة في قوله (وإذا ذكرت ربك في القرآن) الآية إن المسلمين لما قالوا لا إله إلا الله انكر ذلك المشركون وكبرت عليهم فضاقتها إبليس وجنوده فابى الله إلا أن يعضيها ويعليها وينصرها ويظهرها على من ناوأها، انها كلمة من خاصم بها فليج ومن قاتل بها نصرانما يعرفها اهل هذه الجزيرة من المسلمين التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس لا يعرفونها ولا يعرفون بها ﴿قول آخر في الآية﴾ روى ابن جرير حدثني الحسين بن محمد الذراع حدثنا روح بن المسيب ابو رجاء الكلبي حدثنا عمرو بن مالك عن ابي الجوزاء عن ابن عباس في قوله (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أديبارهم نفورا) هم الشياطين وهذا غريب جدا في تفسيرها والا فالشياطين إذا قرء القرآن أو نودي بالآذان أو ذكر الله انصرفوا

نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون اليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تبمون

إلا رجلا مسحورا (٤٧) انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلو افلا يستطيعون سبيلا (٤٨)

ينهر تعالى نبيه محمداً ﷺ بما يتناجى به رؤساء كفار قريش حين جاءوا يستمعون قراءته

جبر انه لما نزلت (تبت يدا أبي لهب) جاءت امرأة أبي لهب ومعها حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره فقالت لأبي بكر أين صاحبك لقد بلغني انه هجاني؟ فقال والله ما ينطق عن الهوى ولا ينطق بالشعر ولا يقوله، فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ برأسه، فقال أبو بكر مارأيتك يا رسول الله؟ قال « لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني » ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ أغطية ﴿أن يفقهوه﴾ كراهية أن يفقهوه وقيل لئلا يفقهوه ﴿وفي آذانهم وقرا﴾ ثقل لئلا يسمعه ﴿واذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ يعني اذا قلت لا إله إلا الله في القرآن وأنت تتلوه ﴿ولوا على أديبارهم نفورا﴾ جمع نافر مثل قاعد وقعود وجالس وجلوس أي نافرين ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ قيل به

ﷺ مرأ من قومهم بما قالوا من انه رجل مسحور من السحر على المشهور أو من السحر وهو الرثة أي إن تتبعون إن اتبعتم محمداً إلا بشراً يأكل كما قال الشاعر :

فإن تسألينا فيم نحن فأننا * عصافير من هذا الانام المسحر

وقال الرازي * يسحر بالطعام وبالشراب * أي يغذى وقد صوب هذا القول ابن جرير وفيه نظراً لانهم أرادوا ههنا انه مسحور له رأي يأتيه بما استمعوه من الكلام الذي يتلوه ومنهم من قال شاعر ومنهم من قال كاهن ومنهم من قال مجنون ومنهم من قال ساحر ولهذا قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلاً) أي فلا يهتدون الى الحق ولا يجدون اليه مخلصاً ، قال محمد بن إسحاق في السيرة حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أنه حدث ان أبا سفيان بن حرب وأباجيل بن هشام والخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته فأخذ كل واحد منهم مجلساً يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا حتى اذا جمعهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رأيكم بعض سفهاكم لا وقعتم في نفسه شيئاً ، ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا وجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا ، حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان بن حرب في بيته فقال اخبرني بأبأ حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها . قال الخنس وأنا الذي حلفت به . قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد ؟ قال ماذا سمعت ؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف : أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا

صلة أي يطلبون سمعه ﴿ اذ يستمعون اليك ﴾ وأنت تقرأ القرآن ﴿ واذا هم نجوى ﴾ يتناجون في أمرك وقيل ذرو نجوى فبعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول شاعر ﴿ اذ يقول الظالمون ﴾ يعني الوليد بن المغيرة وأصحابه ﴿ ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً ﴾ مطبوا وقال مجاهد مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق يقال مسحرك عن كذا أي ماصرفك عنه وقال أبو عبيدة أي رجلاً له سحر والسحر الرثة أي انه بشر مثلك تغذى معللاً بالطعام والشراب يأكل ويشرب قال الشاعر

أرانا موضعين لأمر غيب ويسحر بالطعام وبالشراب

أي يغذي ويعلل ﴿ انظر ﴾ يا محمد ﴿ كيف ضربوا لك الامثال ﴾ الاشياء فقالوا شاعر وساحر

وأعطوا فأعطينا حتي اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فتى ندرك هذه والله لا تؤمن بهذا أبدا ولا نصدقك . قال فقام عنه الاخنس وتركه

وقالوا أءذا كنا عظماء ورقتنا أءنا لمبعوثون خلقا جديداً (٤٩) قل كونوا حجارة أو

حديداً (٥٠) أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يبيدنا ؟ قل الذي فطركم أول مرة

فسيقولون اليك رءوسهم ويقولون متى هو ؟ قل عسى أن يكون قريباً (٥١) يوم يدعوكم

فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلاً (٥٢)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار المستعبدين وقوم المعاد القائلين استغفم انكار منهم لذلك (أئذا كنا عظاما ورفاتا) أي ترابا قاله مجاهد ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما غبارا (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) أي يوم القيامة بعد ما بلىنا وصرنا عدما لانذكر كما أخبر عنهم في الموضع الآخر (يقولون أئنا لمرءودون في الحفرة ، أئذا كنا عظاما ونحوه ، قالوا اذا تلك كرة خامسة) وقوله تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه) الآية يتبين فأمروا الله سبحانه رسول الله ﷺ أن يحییهم فقال (قل كونوا حجارة أو حديداً) إذ هما أشد امتناعا من العظام والرفات (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قال ابن اسحاق عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سألت ابن عباس عن ذلك فقال : هو الموت وروى عطية عن ابن عمر انه قال في تفسير هذه الآية لو كنتم موتى لأحييتكم ، وكذا قال سعيد بن جبير وابو صالح والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم ، ومعنى ذلك انكم لو فرضتم انكم قد صرتم الى الموت الذي هو ضد الحياة لأحياكم الله إذا شا . فانه لا يمتنع عليه شيء إذا أراده

وقد ذكر ابن جرير ههنا حديثا بجماء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم : ثم يقال يا أهل النار أتعرفون هذا ؟ فيقولون نعم فيذبج بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت ، وقال مجاهد (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) يعني السماء والارض والجبال ، وفي رواية : ما شئتم فكونوا فسيعيدكم الله

وكاهن ومجنون (فضلوا) فجاروا وحادوا (فلا يستعملون سبيلا) أي وصولا الى طريق الحق (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) بعد الموت قال مجاهد ترابا وقيل حطاما والرفات كل ما يكسر ويبيلى من كل شيء كالفتات والحطام (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) قل (لهم يا محمد) كونوا حجارة أو حديداً (في الشدة والقوة وليس هذا بأمر الزام بل هو أمر تعجيز أي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة أو حديد في القوة (أو خلقا مما يكبر في صدوركم) قيل السماء والارض والجبال وقال مجاهد وعكرمة وأكثر المفسرين انه الموت فانه ليس في نفس ابن آدم شيء أكبر من الموت أي ولو كنتم

بعد موتكم ، وقد وقع في التفسير المروي عن الامام مالك عن الزهري في قوله (أو خلقا عما يكبر في صدوركم) قال النبي ﷺ قال مالك ويقولون هو الموت

وقوله تعالى (فسيقولون من يعيدنا) أي من يعيدنا إذا كنا حجارة أو حديداً أو خلقاً آخر شديداً (قل الذي فطركم أول مرة) أي الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً مذكوراً ثم صرتم بشراً تنتشرون فإنه قادر على اعادةكم ولو صرتم إلى أي حال (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) الآية وقوله تعالى (فسيفضون اليك رءوسهم) قال ابن عباس وقتادة بحر كونها استهزاء وهذا الذي قاله هو الذي تعرفه العرب من لغائها لان الانقراض هو التحرك من أسفل إلى أعلى أو من أعلى إلى أسفل ، ومنه قيل للظلم وهو ولد النعامة نفضاً لأنه إذا مشى عجل بمشيته وحرك رأسه ويقال نفضت سنه اذا تحركت وارتفعت من منبتها . وقال الرازي

* ونفضت من هرم أسنانها *

وقوله (ويقولون متى هو) اخبار عنهم بالاستبعاد منهم لوقوع ذلك كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وقال تعالى (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) وقوله (قل عسى أن يكون قريباً) أي احذروا ذلك فإنه قريب اليكم سيأتيكم لاحالة فكل ما هو آت

وقوله تعالى (يوم يدعوكم) أي الرب تبارك وتعالى (اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون أي) إذا أمركم بالخروج منها فإنه لا يخالف ولا يمانع بل كما قال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) إنما قولنا الشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون (وقوله (فانما هي زجرة واحدة * فاذا هم بالساهرة) أي إنما هو أمر واحد بانتهاز فاذا الناس قد خرجوا من باطن الارض إلى ظاهرها كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أي تقولون كلكم اجابة لأمره وطاعة لارادته . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فتستجيبون بحمده أي بأمره وكذا قال ابن جريج ، وقال قتادة بعرفته وطاعته ، وقال بعضهم (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) أي وله الحمد في كل حال وقد جاء في الحديث « ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم كأنني بأهل لا إله إلا الله

الموت بعينه لا ميتنكم ولا بعثنكم (فسيقولون من يعيدنا ؟) من يعيدنا بعد الموت (قل الذي فطركم) خلقكم (أول مرة) ومن قدر على الانشاء قدر على الاعادة (فسيفضون اليك رءوسهم) أي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها (ويقولون متى هو) أي البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريباً) أي هو قريب لان عسى من الله واجب نظيره قوله تعالى (وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً) (يوم يدعوكم) من قبوركم الى موقف القيامة (فتستجيبون بحمده) قال ابن عباس بأمره وقال قتادة بطاعته وقيل مقربين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا

يقومون من قبورهم بنفضون التراب عن رؤوسهم يقولون لا إله إلا الله وفي رواية يقولون (الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن) وسياأتي في سورة قاطر . وقوله تعالى (وتظنون) أي يوم تقومون من قبوركم (ان لبئس) أي في الدار الدنيا (إلا قليلا) وكقوله تعالى (كانهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) وقال تعالى (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا * يتخافتون بينهم ان لبئس الا عشرا * نحن أعلم بما يقول اذ يقول أمثلهم طريقة ان لبئس الا يوما) وقال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون) وقال تعالى (قال كم لبثتم في الارض عدد سنين ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون)

وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للإنس عدوا مبينا (٥٣) *

يأمر تبارك وتعالى عبده ورسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الاحسن والكلمة الطيبة فانهم ان لم يفعلوا ذلك نزغ الشيطان بينهم وأخرج الكلام الى الفعل ووقع الشر والمحاصرة والمقاتلة فانه عدو لا دم وذريته من حين امتنع من السجود لا دم وعداونه ظاهرة بينة، ولهذا نهى أن يشير الرجل الى أخيه المسلم بحديدة فان الشيطان ينزغ في يده أي فربما أصابه بها وقال الامام احمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا يشير أحدكم الى أخيه بالسلاح فانه لا يدري أحدكم لعل الشيطان أن ينزغ في يده فيقع في حفرة من النار » أخرجه من حديث عبد الرزاق

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد أنبأنا علي بن زيد عن الحسن قال حدثني رجل من بني سلبط قال أتيت النبي ﷺ وهو في أرفة من الناس فسمعتة يقول « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا

خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين » وتظنون ان لبئس في الدنيا أو في القبور (إلا قليلا) لان الانسان لو مكث ألوفا من السنين في الدنيا أو في القبور عد ذلك قليلا في مدة القيامة والخلود قال قتادة يستحقرون مائة الدنيا في جنب القيامة

قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) قال الكلبي كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا الى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى (وقل لعبادي يقولوا) للكافرين (التي هي أحسن) ولا يكافئهم بسفهم قال الحسن يقول لك يهديك الله وكان هذا قبل الاذن في الجهاد والقتال وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعتق وقيل أمر الله المؤمنين بأن يقولوا ويفعلوا التي هي أحسن أي الخلة التي هي أحسن وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا إله إلا الله (إن (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٢٥) (الجزء الخامس)

١٩٤ الرسول ليس وكيلا على الناس. تفضيل بعض النبيين على بعض (تفسير ابن كثير والبغوي)

يخذه التقوى ههنا قال حماد وقال بيده الى صدره وما تواد رجلان في الله ففرق بينهما الا حدث يحدته أحدهما والمحدث شر والمحدث شر والمحدث شر

ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم او ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا (٥٤)

وربك أعلم بمن في السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود

زبوراً (٥٥)

يقول تعالى ربكم أعلم بكم أيها الناس أي أعلم بمن يستحق منكم الهداية ومن لا يستحق ان يشأ يرحمكم بأن يوفقكم لطاعته والابانة اليه أو ان يشأ يعذبكم وما أرسلناك يا محمد عليهم وكيلا أي انما أرسلناك نذيراً فمن أطاعك دخل الجنة ، ومن عصاك دخل النار . وقوله (وربك أعلم بمن في السموات والارض) أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وكما قال تعالى (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات) وهذا لا ينافي ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لا تفضلوا بين الانبياء » فان المراد من ذلك هو التفضيل بمجرد التشهي والعصية لا بمقتضى الدليل فاذا دل الدليل على شيء وجب اتباعه ، ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الانبياء وان أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الاحزاب (واذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) وفي الشورى في قوله (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) ولا خلاف ان محمداً ﷺ أفضلهم ثم بعده ابراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام على المشهور وقد بسطناه بدلائله في غير هذا الموضع والله الموفق.

الشیطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقي العداوة بينهم) ان الشيطان كان للانسان عدواً مبیناً) ظاهر العداوة) ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم) يوفقكم فتؤمنوا) أو ان يشأ يعذبكم) يمتكم على الشرك فتعذبوا) قاله ابن جریر ، وقال الكلبي ان يشأ يرحمكم فينجيكم من أهل مكة وان يشأ يعذبكم فيسلطهم عليكم) وما أرسلناك عليهم وكيلا) حفيظاً وكفيلاً قيل نسخناها آية القتال) وربك أعلم بمن في السموات والارض) أي ربك العالم بمن في السموات والارض فجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملئهم) ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) قيل جعل السموات والارض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض قال قتادة في هذه الآية اتخذ الله ابراهيم خليلاً وكلم الله موسى تكليماً وقال لعيسى كن فيكون وآتى سليمان ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً كما قال

(سورة الاسراء ١٧ جزء ١٥) أفضل من عبد من دون الله من ملك ورسول يتوسلون الى الله ١٩٥

وقوله تعالى (وآتينا داود زبوراً) تنبيه على فضله وشرفه . قال البخاري حدثنا اسحاق بن نصر أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « خفف على داود القراءة فكان يأمر بدوايه ففسر ج فكان يقرؤه قبل أن يفرغ يعني القرآن

قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً (٥٦)

أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذوراً (٥٧)

يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله (ادعوا الذين زعمتم من دونه) من الاصنام والانداد فارغبوا اليهم فانهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي بالكافية ولا تحويلاً أي بان يحولوه الى غيركم والمعنى أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له الذي له الخلق والامر . قال العوفي عن ابن عباس في قوله (ادعوا الذين زعمتم) الآية قال كان أهل الشرك يقولون نعبد الملائكة والمسيح وعزيراً وهم الذين يدعون يعني الملائكة والمسيح وعزيراً

وقوله تعالى (أولئك الذين يدعون) الآية روى البخاري من حديث سليمان بن مهران الاعمش عن ابراهيم عن أبي معمر عن عبد الله في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) قال ناس من الجن كانوا يعبدون فاسلموا ، وفي رواية قال كان ناس من الانس يعبدون ناساً من الجن فاسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ، وقال قتادة عن معبد بن عبد الله الرمانى عن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود في قوله (أولئك الذين يدعون) الآية قال نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرأ من الجن فاسلم الجنيون والانس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون باسلامهم فنزلت هذه الآية وفي رواية عن ابن مسعود كانوا يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن فذكره ، وقال السدي عن

(وآتينا داود زبوراً) والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعا وتمجيد وثناء على الله عز وجل وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود ومعناه إنكم لم تنكروا تفضيل النبيين فكيف تنكرون فضل النبي ﷺ واعطاه القرآن وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الانبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم

قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي ﷺ ليدعو لهم قال الله تعالى قل للمشركين ادعوا الذين زعمتم أنها آلهة من دونه (فلا يملكون كشف الضر) القحط والجوع (عنكم ولا تحويلاً) الى غيركم أو تحويل الحال من العسر الى اليسر (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة)

أبي صالح عن ابن عباس في قوله (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) قال عيسى وأمه وعزير ، وقال مغيرة عن إبراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الآية هم عيسى وعزير والشمس والقمر ، وقال مجاهد عيسى والعزير والملائكة ، واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله (يبتغون إلى ربهم الوسيلة) وهذا لا يعبر به عن الماضي فلا يدخل فيه عيسى والعزير والملائكة وقال الوسيلة هي القرية كما قال قتادة ولهذا قال (أيهم أقرب) وقوله تعالى (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء ، فبالخوف ينكف عن المناهي وبالرجاء يكثّر من الطاعات ، وقوله تعالى (إن عذاب ربك كان محذوراً) أي ينبغي أن يحذر منه ويخاف من وقوعه وحصوله عباداً بالله منه .

وان من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً (٥٨)

هذا اخبار من الله عز وجل بأنه قد حتم وقضى بما قد كتب عنده في اللوح المحفوظ أنه ما من قرية إلا سيلكها بأن يبيد أهلها جميعهم أو يعذبهم (عذاباً شديداً) أما يقتل أو ابتلاء بما يشاء وإنما يكون ذلك بسبب ذنوبهم وخطاياهم كما قال تعالى عن الامم الماضية (وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم) وقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) الآيات

يعني الذين يدعونهم المشركون أنهم آلهة يعبدونهم . قال ابن عباس ومجاهد وهم عيسى وأمه وعزير والملائكة والشمس والقمر والنجوم (يبتغون) أي يطلبون (إلى ربهم الوسيلة) أي القرية وقيل الوسيلة الدرجة أي يتضرعون إلى الله في طلب الدرجة العليا وقيل الوسيلة كل ما يتقرب به إلى الله تعالى وقوله (أيهم أقرب) معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به وقال الزجاج أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح (ويرجون رحمته) جنته (ويخافون عذابه) إن عذاب ربك كان محذوراً (أي يطلب منه الحذر وقال عبد الله بن مسعود نزلت الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نغراً من الجن فأسلم الجنيون ولم يعلم الانس الذين كانوا يعبدونهم بسلامهم فتمسكوا بعبادتهم فغيرهم الله وأنزل هذه الآية وقرأ ابن مسعود أولئك الذين تدعون بالثناء (وإن من قرية) وما من قرية (إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) أي نخرّبوها ومهلكوها أهلها (أو معذبوها عذاباً شديداً) بأنواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقال مقاتل وغيره مهلكوها في حق المؤمنين بالامانة أو معذبوها في حق الكفار بأنواع العذاب قال عبد الله بن مسعود : اذا ظهر الزنا والزنا في قرية أذن لله في اهلاكا (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطوراً) مكتوباً قال عبادة بن الصامت سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ما خلق الله القلم فقال اكتب : فقال ما أكتب ؟ قال القدر وما كان وما هو كائن إلى الابد »

وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون وآتيناهمودة الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا (٥٩)

قال سفيان عن حماد بن زيد عن أبوب عن سعيد بن جبير قال: قال المشركون يا محمد انك تزعم أنه كان قبلك أنبياء فمنهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى فان سرك أن تؤمن بك ونصدقك فادع ربك أن يكون لنا الصفا ذهباً فادع الله إليه (إني قد سمعت الذي قالوا فان شئت أن نفعل الذي قالوا فان لم يؤمنوا نزل العذاب فانه ليس بعد نزول الآية مناظرة وإن شئت أن تستأني بقومك استأنيت بهم قال «يأرب استأني بهم» وكذا قال قتادة وابن جريج وغيرهما، وروى الامام أحمد حدثنا عثمان بن محمد حدثنا جرير عن الاعمش عن جعفر بن اباس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فقبل له أن شئت أن تستأني بهم وأن شئت أن يأنيهم الذي سألوا فان كفروا هلكوا كما أهلكت من كان قبلهم من الامم قال «لا بل استأني بهم» وانزل الله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) الآية ورواه النسائي من حديث جرير به وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عمران بن حكيم عن ابن عباس قال قالت قريش للنبي ﷺ ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك قال «وتفعلون؟» قالوا نعم قال فدعا فأتاه جبريل فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك ان شئت اصبح لهم الصفا ذهباً فن كفر منهم بعد ذلك عذبه عذاباً لا أعذبه احداً من العالمين وان شئت فتحت لهم ابواب التوبة والرحمة فقال «بل باب التوبة والرحمة» وقال الحافظ ابو يعلى في مسنده حدثنا محمد بن اسماعيل بن علي الانصاري حدثنا خلف بن نمير المصيصي عن عبد الجبار بن عمر الابلي عن عبد الله بن عطاء بن ابراهيم عن جدته ام عطاء مولاة الزبير بن العوام قالت: سمعت الزبير يقول لما نزلت (وانذر عشيرتك الاقربين) صاح رسول الله ﷺ على ابي قبيس «يا آل عبد مناف اني نذير» فجاءته قريش فحذرهم وانذرهم فقالوا تزعم انك نبي يوحى اليك وان سليمان سخر له الريح والجبال وان موسى سخر له البحر وان عيسى كان يحيي الموتى فادع الله ان يسير عنا هذه الجبال ويفجر لنا الارض انهاراً فتتخذ محارث فنزرع ونأكل والا فادع الله ان يحيي لنا موتانا

قوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) قال ابن عباس سأل أهل مكة رسول الله ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي الجبال عنهم فيزرعوا فادع الله تعالى الى رسوله ﷺ ان شئت أن تستأني بهم فعلت وان شئت أن أوتيهم ما سألوا فعلت فان لم يؤمنوا أهلكهم كما أهلكت من كان قبلهم فقال النبي ﷺ «لا بل تستأني بهم» فانزل الله عز وجل (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي سألها كفار قريش (إلا أن كذب بها الاولون) فاهلكنام

لنكلمهم ويكلمونا والا فادع الله ان يصير هذه الصخرة التي تحتك ذهابا فننتح منها وتفتينا عن رحلة الشقا. والصيف فانك تزعم انك كبيتهم. قال فيينا نحن حوله إذ نزل عليه الوحي فلما سري عنه قال « والذي نفسي بيده لقد اعطاني ما سألتهم ولو شئت لكان ولكنه خيرني بين ان تدخلوا باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم وبين ان يكلكم الى ما اخترتم لانفسكم ففضلوا عن باب الرحمة فلا يؤمن منكم احد فاخترت باب الرحمة فيؤمن مؤمنكم واخبرني انه ان اعطاكم ذلك ثم كفرتم انه يعذبكم عذابا لا يعذبه احدا من العالمين » ونزلت (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون) وقرأ ثلاث آيات ونزلت (ولو أن قرأنا سيرت به الجبال أو قطعنا به الارض أو كلم به الموتى) الآية ولهذا قال تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات) أي نبعث الآيات ونأني بها على ما سألت قومك منك فانه سهل علينا يسير لدينا الا أنه قد كذب بها الاولون بعد ما سألوها وجرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم أنهم لا يؤخرون ان كذبوا بها بعد نزولها كما قال الله تعالى في المائدة (قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه عذابا لا أعذبه احدا من العالمين) وقال تعالى عن نوح حين سألوها آية ناقة تخرج من صخرة عينوها فدعا صالح عليه السلام ربه فأخرج لهم منها ناقة على ما سألوها فلما ظلموا بها أي كفروا بمن خلقها وكذبوا رسوله وعقروها فقال (تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب) ولهذا قال تعالى (وآتينا نوحا الناقة مبصرة فظلموا بها) أي دالة على وحدانية من خلقها وصدق رسوله الذي اجيب دعاؤه فيها (فظلموا بها) أي كفروا بها ومنعوها شربها وقتلوا فأبادم الله عن آخرهم وانتقم منهم وأخذهم اخذ عزيز مقتدر وقوله تعالى (وما نرسل بالآيات الا تخويفا) قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلمهم بعبثهم ويدكرون ويرجعون ذكر لنا أن السكوفة رجفت على عهد ابن مسعود رضي الله عنه فقال يا أيها الناس ان ربكم يستعيبكم فاعتبوه ، وهكذا روي ان المدينة زلزلت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرات فقال عمر احذثم والله لئن عادت لافعلن ولا فعلن . وكذا قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق عليه « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله وانهما لا ينكسفان لموت احد ولا لحياته ولكن الله عز وجل يخوف بهما عباده فاذا رأيتم ذلك فانزعوا الى ذكره ودعائه واستغفاره » ثم قال - يا أمة محمد والله ما أحد غير من الله أن يزني عبده أو يزني أمته يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا »

فان لم يؤمن قومك بعد ارسال الآيات أهلكنهم لأن من شأنا في الامم اذا سألوها الآيات ثم لم يؤمنوا بعد آياتها نهلكهم ولا نهلمهم وقد حكنا بامثال هذه الامة في العذاب فقال جل ذكره (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) ثم قال (وآتينا نوحا الناقة مبصرة) مضية بينة (فظلموا بها) أي جحدوا بها انها من عند الله كما قال (وما كانوا بآياتنا يظلمون) أي بها يجحدون وقيل ظلموا أنفسهم بتكذيبها يريد فاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) أي العبر والدلالات (الا تخويفا) ليعباد ليؤمنوا قال قتادة ان الله تعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلمهم بزعجون

واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة

الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا (٦٠)

يقول تعالى لرسوله ﷺ محرضا له علي إبلاغ رسالته ونخبر أنه بانه قد عصمه من الناس فانه القادر عليهم وهم في قبضته ونحت قهره وغلبته . قال مجاهد وعروة بن الزبير والحسن وقناة وغيرهم في قوله (واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) أي عصمك منهم وقوله (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الآية قال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) قال هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به (والشجرة ملعونة في القرآن) شجرة الزقوم وكذا رواه أحمد وعبد الرزاق وغيرهما عن سفيان بن عيينة به وكذا رواه العوفي عن ابن عباس، وهكذا فسر ذلك بلبلة الامراء مجاهد وسعيد بن جبير والحسن ومسروق وابراهيم وقناة وعبد الرحمن بن زيد وغير واحد . وقد تقدمت أحاديث الامراء في أول السورة مستقصاة والله الحمد والمنة . وتقدم أن ناسا رجعوا عن دينهم بعد ما كانوا على الحق لانه لم تحمل قلوبهم وعقولهم ذلك فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه وجعل الله ذلك ثباتا ويقينا لا خربن ولهذا قال (الا فتنة) أي اختبارا وامتحانا ، وأما الشجرة الملعونة فهي شجرة الزقوم لما أخبرهم رسول الله ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى شجرة الزقوم فكذبوا بذلك حتى قال أبو جهل عليه لعائن الله

قوله عز وجل ﴿واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس﴾ أي هم في قبضته لا يقدرّون على الخروج عن مشيئته فهو حافظك وما نفعك منهم فلا تنهيم وامض الى ما أمرك الله به من تبليغ الرسالة كما قال (والله يعصمك من الناس) ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس﴾ فلا كثرون علي أن المراد منه ما رأى النبي ﷺ ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها النبي ﷺ وهو قول سعيد بن جبير والحسن ومسروق وقناة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والا كثرين والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكر رسول الله ﷺ للناس أنكروا بعضهم ذلك وكذبوا وكان فتنة للناس . وقال قوم أسري بروحه دون بدنه وقال بعضهم كان له معراجان معراج رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب ، وقال قوم أراد بهذه الرؤيا ما رأى النبي ﷺ عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل السير الى مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجم الى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم حتى دخلها في العام المقبل فانزل الله تعالى (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) ﴿والشجرة الملعونة في القرآن﴾ يعني شجرة الزقوم . مجازة والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن والعرب تقول : لكل طعام كربه طعام ملعون وقبل معناه الملعون أكلها ونصب الشجرة عظما على الرؤيا أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة

هاتوا لنا تمراً وزبداً وجعل يأكل من هذا بهذا ويقول تزقوا فلا تعلم الزقوم غير هذا حتى ذلك ابن عباس ومسروق وأبو مالك والحسن البصري وغير واحد وكل من قال أنها ليلة الاسراء فسره كذلك بشجرة الزقوم وقيل المراد الشجرة الملعونة بنو أمية وهو غريب ضعيف ، وقال ابن جرير حدثت عن محمد بن الحسن بن زبالة حدثنا عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد حدثني أبي عن جدي قال رأى رسول الله ﷺ بني فلان يغزون على منبره زو القروء فسأله ذلك فما استجمع ضاحكاً حتى مات قال وأنزل الله في ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) الآية وهذا السند ضعيف جداً فإن محمد بن الحسن بن زبالة متروك وشيخه أيضاً ضعيف بالكلية ، ولهذا اختار ابن جرير أن المراد بذلك ليلة الاسراء وأن الشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم قال لاجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك أي في الرؤيا والشجرة وقوله (ونخوفهم) أي الكفار بالوعيد والعذاب والنعك (فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً) أي تمادياً فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم

وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طيناً (٦١)

قال أريتك هذا الذي كرمت علي لئن أخرتن إلى يوم القيامة لاحتنكن ذريته إلا قليلاً (٦٢)

يذكر تبارك وتعالى عداوة إبليس لعنه الله لآدم وذريته وأنها عداوة قديمة منذ خلق آدم فانه تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا كلهم إلا إبليس استكبر وأبى أن يسجد له افتخاراً عليه واحتقاراً له (قال أسجد لمن خلقت طيناً) كما قال في الآية الأخرى (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) وقال أيضاً أريتك يقول للرب جراءة وكفراً والرب يعلم وينظر (قال أريتك

إلا فتنة للناس فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين (أحدهما) أن أبا جهل قال إن ابن أبي كبشة يوعدهم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ينبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجرة (والثاني) أن عبد الله بن الزهري قال أن محمداً يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم إلا الزبد والتمر . وقال أبو جهل يا جارية تعالى فرقبنا فأنت بالتمر والزبد فقال يا قوم تزقوا فان هذا ما يخوفكم به محمد . فوصفها الله تعالى في الصافات ، وقيل الشجرة الملعونة هي التي تلتوي على الشجر فتحنقه يعني الكثوف (ونخوفهم فما يزيدهم) التخويف إلا طغياناً كبيراً أي تمرداً وعتواً عظيماً

قوله عز وجل ﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أسجد لمن خلقت طيناً ﴾ أي خلقته من طين أنا جئت به وذلك ما روي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفاً من راب الأرض من عذبتها ومالحها لخلق منه آدم فن خلقه من العذب فهو سعيد وإن كان ابن كافرين ومن خلقه من الملح فهو شقي وإن كان ابن نبي (قال) يعني إبليس ﴿ أريتك ﴾ أي أخبرني والكاف لنا كيد المحاطبة (هذا الذي كرمت علي) أي فضله علي

هذا الذي كرم علي (الآية قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول لاستولين علي ذريته إلا قليلا وقال مجاهد لاحتوين وقال ابن زيد لاضلنهم وكلها متقاربة والمعنى أرايتك هذا الذي شرفه وعظمته علي لئن أنظرني لاضلن ذريته الا قليلا منهم

قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاءاً موفوراً (٦٣) واستغفر من استطعت

منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد وعدم وما

يعدهم الشيطان الا غروراً (٦٤) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا (٦٥)

لما سأل إبليس النظرة قال الله له (اذهب) فقد أنظرتك كما قال في الآية الاخرى قال (فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) ثم أوعده ومن اتبعه من ذرية آدم جهنم (قال اذهب فمن اتبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أي على أعمالكم (جزاءاً موفوراً) قال مجاهد وافراً ، وقال قتادة موفوراً عليكم لا ينقص لكم منه .

وقوله تعالى (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) قيل هو الغناء قال مجاهد باللهو والغناء أي استخفهم بذلك وقال ابن عباس في قوله (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) قال كل داع دعا الى معصية الله عز وجل وقاله قتادة واختاره ابن جرير ، وقوله تعالى (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) يقول واحمل عليهم بجنودك خيالتهم ورجالتهم فان الرجل جمع راجل كما أن الركب جمع راكب ومحب

(لئن أخرتن) أهلنتي (إلى يوم القيامة لاحتكن ذريته) أي لاستأصلنهم بالاضلال يقال احتكت الجراد الزرع اذا أكله كله وقيل هو من قول العرب حنك الدابة يحنكها اذا شد في حنكها الاسفل جبلا يقودها أي لا قودنهم كيف شئت وقيل لاستولين عليهم بالاغواء (إلا قليلا) يعني المعصومين الذين استثناهم الله عز وجل في قوله (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) (قال) الله (اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفوراً) وافراً مكلاً يقال وفرتة أفروه وفراً وقوله (واستغفر) واستخفف واستجهد (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس وقادة بدعائك الى معصية الله وكل داع دعا الى معصية الله فهو من جند إبليس قال الأزهرى معناه ادعهم دعاء تستغفرهم به الى جانبك أي تستخفهم ، وقال مجاهد بالغناء والمزامير (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) قيل اجمع عليهم مكائيدك وخيلك يقال أجلبوا وجلبوا اذا صاحوا يقول صح بخيلك ورجلك واحتشهم عليهم بالاغواء . قال . مقاتل استعن عليهم بركان جنسك (تفسير ابن كثير والبغوي) (٢٦) (الجزء الخامس)

جمع صاحب ومعناه تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه وهذا أمر قدري كقوله تعالى (ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً) أي تزعمهم الى المعاصي ازعاجاً وتسوقهم اليها سوقاً وقال ابن عباس ومجاهد في قوله (واجلب عليهم بخيلك ورجلك) قال كل راكب وماش في معصية الله وقال قتادة ان له خيلاً ورجلاً من الجن والانس وهم الذين يطعمونه تقول العرب اجلب فلان على فلان إذا صاح عليه ومنه نهي في المسابقة عن الجلب والجنب ومنه اشتقاق الجلبة وهي ارتفاع الاصوات وقوله تعالى (وشاركهم في الاموال والاولاد) قال ابن عباس ومجاهد هو ما أمرهم به من انفاق الاموال في معاصي الله تعالى ، وقال عطاء هو الربا ، وقال الحسن هو جمعها من خيث وانفاقها في حرام ، وكذا قال قتادة ، وقال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما اما مشاركتهم ايام في أموالهم فهو ما حرموه من أنعامهم يعني من البعائر والسوائب ونحوها وكذا قال الضحاك وقاتدة ، وقال ابن جرير والاولى أن يقال ان الآية تم ذلك كله ، وقوله (والاولاد) قال العوفي عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يعني اولاد الزنا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو ما كانوا قتلوه من اولادهم سفها بغير علم ، وقال قتادة عن الحسن البصري قد والله شاركهم في الاموال والاولاد مجسوا وهودوا ونصروا وصبغوا غير صبغة الاسلام وجزءوا من أموالهم جزءاً للشيطان وكذا قال قتادة سواء ، وقال ابو صالح عن ابن عباس هو تسميتهم اولادهم عبد الحارث

ومشائهم والخيل الركبان والرجل المشاة قال أهل التفسير كل راكب وماش في معاصي الله فهو من جند ابليس ، وقال مجاهد وقاتدة ان له خيلاً ورجلاً من الجن والانس وهو كل من يقاتل في المعصية والرجل والرجالة والرجلة واحد يقال راجل ورجل مثل تاجر وتجر وراكب وركب ، وقرأ حفص ورجلك بكسر الجيم وهما لفتان ﴿ وشاركهم في الاموال والاولاد ﴾ فالمشاركة في الاموال كل ما أصيب من حرام أو أنفق في حرام هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبيرة ، وقال عطاء هو الربا ، وقال قتادة هو ما كان المشتركون يحرمونه من الانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحمام ، وقال الضحاك هو ما كانوا يذبحونه لألهتهم ، وأما الشركة في الاولاد فروي عن ابن عباس أنها المودة ، وقال مجاهد والضحاك هم اولاد الزنا ، وقال الحسن وقاتدة هو أنهم هودوا اولادهم ونصروهم ومجسومهم وعن ابن عباس رواية أخرى هو تسميتهم الاولاد عبد الحارث وعبد شمس وعبد العزى وعبد الدار ونحوها ، وروي عن جعفر بن محمد أن الشيطان يقعد على ذكر الرجل فإذا لم يقل بسم الله أصاب معه امرأته وأنزل في فرجها كما ينزل الرجل ، وروي في بعض الاخبار: إن فيكم مقربين ، قيل وما المقربون؟ قال الذين يشارك فيهم الجن ، وروي أن رجلاً قال لابن عباس ان امرأتني استيقظت وفي فرجها شعلة من نار ، قال ذلك من وطء الجن . وفي الآثار أن ابليس لما أخرج إلى الارض قال يارب أخرجنني من الجنة لاجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته ، قال أنت مسلط ، قال لا أستطيعه الا بك فزدني قال

وعبد شمس وعبد فلان . قال ابن جرير وأولى الأقوال بالصواب أن يقال كل مولود ولدته أنثى عصي الله فيه بتسميته بما يكرهه الله أو بادخله في غير الدين الذي ارتضاه الله أو بالزنا بأمه أو بقتله أو وأده أو غير ذلك من الأمور التي يعصى الله بفعله به أو فيه فقد دخل في مشاركة إبليس فيه من ولد ذلك الولد له أو منه لأن الله لم يخص بقله (وشاركهم في الأموال والأولاد) معنى الشراكة فيه بمعنى دون معنى فكل ما عصي الله فيه أو به أو أطيع الشيطان فيه أو به فهو مشاركة ، وهذا الذي قاله متبعه وكل من السلف رحمهم الله فسر بعض المشاركة فقد ثبت في صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاختالهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم » وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « لو أن أحدا إذا أراد أن يأتي أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان أبدا » وقوله تعالى (وعدم وما يعدم الشيطان إلا غرورا) كما أخبر تعالى عن إبليس أنه يقول : إذا حصص الحق يوم يقي بالحق : ان الله وعدمكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الآية وقوله تعالى (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) أخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين وحفظه إياهم وحرصه لهم من الشيطان الرجيم ولهذا قال تعالى (وكفى بربك وكيل) أي حافظا ومؤيدا ونصيرا ، وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان المؤمن لينضي شياطينه كما ينضي أحدكم بعيره في السفر » ينضي أي يأخذ بناصيته ويقهره

(استغفر من استطعت منهم بصوتك) الآية ، فقال آدم يارب سلطت إبليس علي وعلى ذريتي وإني لأستطيعه إلا بك ، قال لا يولد لك ولد إلا وكنت به من يحفظونه ، قال زدني ، قال الحسنه بعشر أمثالها والسينة بمثلها ، قال زدني ، قال التوبة معروضة مادام الروح في الجسد ، فقال زدني ، قال (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم) الآية . وفي الخبر أن إبليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتباً فما قرأتني ؟ قال الشعر ، قال فما كتابي ؟ قال الوشم ، قال ومن رسلني ؟ قال الكهنة ، قال وأين مسكني ؟ قال الحمامات ، قال وأين مجلسي ؟ قال الاسواق ، قال فما مطعمي ؟ قال ما لم يذكر عليه اسمي ، قال ما شرابي ؟ قال كل مسكر ، قال وما حباتي ؟ قال النساء ، قال وما أذاني ؟ قال المزامير .

قوله عز وجل (وعدم) أي خذ منهم الخيل في طاعتك ، وقيل قل لهم لاجنة ولا نار ولا بعث (وما يعدم الشيطان إلا غرورا) والغرور تزوين الباطل بما يظن أنه حق ، فان قيل كيف ذكر الله هذه الاشياء وهو يقول (ان الله لا يأمر بالفحشاء) قيل هذا على طريق التهديد كقوله تعالى (اعملوا ما شئتم) وكقول القائل : افعَل ما شئت فسترى

قوله (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيل) أي حافظا ومن يوكل الامر اليه

٢٠٤ دعاء المشركين الله في الشدة ورجوعهم الى الشرك بعد النجاة منها (تفسير ابن كثير والبغوي)

ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيمًا (٦٦)

يخبر تعالى عن لطفه بخلقه في تسخير عباده الفلك في البحر وتسهيله لمصالح عباده لا يتفاتهم من فضله في التجارة من اقليم إلى اقليم ولهذا قال (انه كان بكم رحيمًا) أي إنما فعل هذا بكم من فضله عليكم ورحمته بكم

وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجحكم الى البر أعرضتم وكان

الانسان كفورًا (٦٧)

يخبر تبارك وتعالى أن الناس اذا مسهم ضر دعوه منيبين اليه مخلصين له الدين ولهذا قال تعالى (وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه) أي ذهب عن قلوبكم كل ما تعبدون غير الله تعالى كما اتفق لعكرمة بن أبي جهل لما ذهب قاراً من رسول الله ﷺ حين فتح مكة فذهب هارباً فركب في البحر ليدخل الحبشة فجاءتهم ريح عاصف فقال القوم بعضهم لبعض انه لا يغني عنكم إلا أن تدعوا الله وحده فقال عكرمة في نفسه والله ان كان لا ينفع في البحر غيره فانه لا ينفع في البر غيره اللهم لك علي عهد اني أخرجتني منه لأذهبن فلأضعن يدي في يد محمد فلا أجده رء وفارحياً فخرجوا من البحر فوجم الى رسول الله ﷺ فأسلم وحسن اسلامه رضي الله عنه وأرضاه . وقوله تعالى (فلما نجحكم الى البر أعرضتم) أي نسيتم ما عرفتم من توحيده في البحر وأعرضتم عن دعائه وحده لاشريك له وكان الانسان كفوراً أي سجيته هذا ينسى النعم ويجهدها إلا من عصم الله

أفأنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً ثم لا تجدوا لكم وكيلاً (٦٨)

يقول تعالى أحسنهم بخروجكم الى البر أمنتهم من انتقامه وعذابه أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً وهو المطر الذي فيه حجارة . قاله مجاهد وغير واحد كما قال تعالى (انا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا) وقد قال في الآية الاخرى (وأمطرنا عليهم حجارة من مطين) وقال (أأنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فإذا هي تمور * أم أأنتم من

قوله عز وجل ﴿ ربكم الذي يزجي لكم الفلك ﴾ أي يسوق ويجري لكم الفلك ﴿ في البحر لتبتغوا من فضله ﴾ لتطلبوا من رزقه ﴿ انه كان بكم رحيماً ﴾ وإذا مسكم الضر ﴿ الشدة وخوف الفرق ﴾ في البحر ضل أي بطل وسقط ﴿ من تدعون ﴾ من الآلهة ﴿ إلا إياه ﴾ الا الله فلم تجدوا مغيثاً سواه ﴿ فلما نجحكم ﴾ أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم ﴿ إلى البر أعرضتم ﴾ عن الإيمان والاخلاص والطاعة كفرأ منكم لنعمه ﴿ وكان الانسان كفوراً ﴾ أفأنتم ﴿ بعد ذلك ﴾ أن يخسف بكم ﴿ بغور البر ﴾ ناحية البر وهي الارض ﴿ أو يرسل عليكم حاصباً ﴾ أي بمطر عليكم

في السماء أن يرسل عليكم حاصبا فتعلمون كيف نذير) وقوله (ثم لا تجدوا لكم وكبلا) أي ناصرأ
برد ذلك عنكم وينقذكم منه

أم أمنت أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيفرقكم بما كفرتم
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا (٦٩)

يقول تبارك وتعالى أم أمنت أيها المعرضون عنا بعد ما اعترفوا بتوحيدنا في البحر وخرجوا الى
البر أن يعيدكم في البحر مرة ثانية فيرسل عليكم قاصفا من الريح أي يقصف الصواري ويفرق المراكب
قال ابن عباس وغيره القاصف ربح البحار التي تكسر المراكب وتفرقها وقوله (فيفرقكم بما كفرتم)
أي بسبب كفركم واعراضكم عن الله تعالى : وقوله (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) قال ابن عباس
نصبرا وقال مجاهد نصير أثرا أي يأخذ بشاركم . بعدكم وقال قتادة ولا تخاف أحدا يتبعنا بشي . من ذلك

ولقد كرمتنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا (٧٠)

يخبر تعالى عن تشریفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات وأكلها كقوله
تعالى (لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) أي يمشي قائما منتصباً على رجله ويأكل بيديه ، وغيره من
الحيوانات يمشي على أربع ويأكل بفيه وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع به

حجارة من السماء كما أمطر على قوم لوط ، وقال أبو عبيدة والقتبي الحاصب الريح التي ترمي بالحصباء
وهي الحصا الصفار ﴿ ثم لا تجدوا لكم وكبلا ﴾ قال قتادة مانعا ﴿ أم أمنت أن يعيدكم فيه ﴾ يعني في
البحر ﴿ تارة ﴾ مرة ﴿ أخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح ﴾ قال ابن عباس أي عاصفا وهي الريح
الشديدة ، وقال أبو عبيدة هي الريح التي تقصف كل شيء أي تدقه وتحطمه ، وقال القتبي هي التي
تقصف الشجر أي تكسره ﴿ فيفرقكم بما كفرتم ﴾ لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ﴿ ناصرأ ولا تاترا أو تبعيما ﴾
بمعنى تابع ، أي تابعا مطالباً بالثار ، وقيل من يتبعنا بالانكار . قرأ ابن كثير وأبو عمرو (أن نخسف
ونرسل ونعيدكم ، فترسل فنفرقكم بالنون فيهن لقوله (علينا) وقرأ الآخرون بالياء لقوله (الا اياه)
وقرأ أبو جعفر ويعقوب فنفرقكم بالياء يعني الريح

قوله عز وجل ﴿ ولقد كرمتنا بني آدم ﴾ روي عن ابن عباس أنه قال هو أنهم يأكلون بالأيدي
وغير الآدمي يأكل بفيه من الارض ، وروي عنه أنه قال بالعقل ، وقال الضحاك بالنطق ، وقال عطاء
بتعديل القامة وامتدادها والدواب منكبة على وجوها ، وقيل بحسن الصورة ، وقيل الرجال بالحي

ويفرق بين الاشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الامور الدينية والدنيوية وحملناهم في البر أي على الدواب من الانعام والحيل والبغال وفي البحر أيضا على السفن الكبار والصغار ورزقناهم من الطيبات أي من زروع وثمار ولحوم وألبان من سائر أنواع الطعوم والالوان المشتهة اللذيذة والمناظر الحسنة والملابس الرفيعة من سائر الانواع على اختلاف أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم ويجلبه اليهم غيرهم من أقطار الاقاليم والنواحي وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات ، وقد استدلل بهذه الآية الكريمة على أفضلية جنس البشر على جنس الملائكة . قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن زيد بن أسلم قال قالت الملائكة يا ربنا انك أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتنعمون ولم نعطنا ذلك فاعطنا الآخرة فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ، وهذا الحديث مرسل من هذا الوجه ، وقد روى من وجه آخر متصلا

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي حدثنا ابراهيم بن عبدالله بن خارجة المصيصي حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو غسان محمد بن مطرف عن صفوان ابن سليم عن عطاء بن يسار عن عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « إن الملائكة قالت يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا يأكلون فيها ويشربون ويلبسون ونحن نسبح بحمدي ولا نأكل ولا نشرب ولا نلبس فكما جعلت لهم الدنيا فاجعل لنا الآخرة قال لا أجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان » وقد روى ابن عساکر^(١) من طريق محمد بن أيوب الرازي حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علق سمعت عروة بن روم الأنخمي حدثني أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « ان الملائكة قالوا ربنا خلقتنا وخلقنا بني آدم وجعلتهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب ويلبثون الثياب ويتزوجون النساء ويركبون الدواب

(١) هذا الحديث غير موجود في المسكية

والنساء بالنواثب ، وقيل بأن سخر لهم هذه الاشياء ، وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس ﴿ وحملناهم في البر والبحر ﴾ أي حملناهم في البر على الدواب وفي البحر على السفن ﴿ ورزقناهم من الطيبات ﴾ يعني لذيق المطاعم والمشارب ، قال مقاتل السمن والزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم مالا يخفى ﴿ وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ وظاهر الآية أنه فضلهم على كثير ممن خلقهم لا على الكل وقال قوم فضلوهم على جميع الخلق إلا على الملائكة ، وقال الكاظمي فضلوهم على الخلائق كلها إلا على طائفة من الملائكة جبريل وميكائيل وإمراةيل وملك الموت وأشباهم ، وفي تفضيل الملائكة على البشر اختلاف فقال قوم فضلوهم على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الاكثر موضع الكل كما قال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين — الى قوله تعالى — وأكثرهم كاذبون) أي كلهم وفي الحديث عن جابر بن جعفر قال « لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم يأكلون

ينامون ويستريحون ولم نجعل لنا من ذلك شيئا فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال الله عز وجل
 « لا أجعل من خلقته يدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان » وقال الطبراني حدثنا عبدان
 ابن أحمد حدثنا معمر بن سهل حدثنا عبد الله بن تمام عن خالد الحذاء عن بشر بن شغاف عن أبيه عن عبد الله
 ابن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « ما شيء أكرم على الله يوم القيامة من ابن آدم » قيل يا رسول الله
 ولا الملائكة ؟ قال « ولا الملائكة الملائكة معجورون بمنزلة الشمس والقمر » وهذا حديث غريب جداً .

يوم ندعوا كل أناس بامامهم فمن أوتي كتابه يمينه فالولئك يقرؤون كتابهم ولا يظالمون

فتيلاً (١٧) ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً (٧٢)

بخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة أنه بحاسب كل أمة بامامهم ، وقد اختلفوا في ذلك فقال مجاهد
 وقادة أي بنبيهم وهذا كقوله تعالى (ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط) الآية
 وقال بعض السلف هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث لأن إمامهم النبي ﷺ وقال ابن زيد
 بكتابهم الذي أنزل على نبيهم من التشريع واختاره ابن جرير ، وروي عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
 لأنه قال بكتبهم فيحتمل أن يكون أراد هذا وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله
 (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) أي بكتاب أعمالهم وكذا قال أبو العالية والحسن والضحاك وهذا القول
 هو الأرجح لقوله تعالى (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) وقال تعالى (ووضع الكتاب فترى المجرمين
 مشفقين مما فيه) الآية ويحتمل أن المراد بامامهم أي كل قوم بمن يؤمنوا به فاهل الايمان ائتموا بالانبياء عليهم
 السلام وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم كما قال وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار وفي الصحيحين « لتبع كل أمة ما كانت
 تعبد فيبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت » الحديث وقال تعالى (وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى
 كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون » هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون)
 وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته فإنه لا بد أن يكون شاهداً على أمته بأعمالها كقوله

ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة ، فقال تعالى لا أجعل من خلقته يدي ونفخت
 فيه من روحي كمن قلت له كن فكان » والاولى أن يقال عوام المؤمنين أفضل من عوام الملائكة ،
 وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال الله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم
 خير البرية) وروي عن أبي هريرة أنه قال « المؤمن أفضل وأكرم على الله من الملائكة الذين عنده »
 قوله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بامامهم) قال مجاهد وقال قتادة بن نبيهم ، وقال أبو صالح والضحاك
 بكتابهم الذي أنزل عليهم ، وقال الحسن وأبو العالية بأعمالهم ، وقال قتادة أيضاً بكتابهم الذي فيه
 أعمالهم بدليل سياق الآية (فمن أوتي كتابه يمينه) ويسمى الكتاب اماماً كما قال عز وجل (وكل شيء
 أحصيناه في إمام مبين) وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما بامام زمانهم الذي دعاهم
 في الدنيا إلى ضلالة أو هدى قال الله تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) وقال وجعلناهم أئمة يدعون

٢٠٨ الأعمى في الدنيا عن الحق هو الأعمى في الآخرة عن النجاة (تفسير ابن كثير والبغوي)

تعالى (وأشرققت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجي بالنبيين والشهداء) وقوله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشييد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) ولكن المراد ههنا بالامام هو كتاب الاعمال ولهذا قال تعالى (يوم ندعوا كل أناس بأسمهم فمن أوتي كتابه يمينه فأولئك يقولون كتابهم) أي من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح يقرأه ويحب قراءته كقوله (فأما من أوتي كتابه يمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه — إلى قوله — وأما من أوتي كتابه بشماله) الآيات ، وقوله تعالى (ولا يظلمون فتيلاً) قد تقدم أن الفتيل هو الخيط المستطيل في شق النواة

وقد روى الحافظ أبو بكر البزار حديثاً في هذا فقال : حدثنا محمد بن يعمر ومحمد بن عثمان بن كرامة قالا : حدثنا عبيد الله بن موسى عن اسمرائيل عن السدي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قول الله تعالى (يوم ندعوا كل أناس بأسمهم) قال « يدعى أحدهم فيعطى كتابه يمينه ويمد له في جسمه ويبيض وجهه ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلأل فينطلق إلى أصحابه فيبرونه من بعيد فيقولون اللهم آتنا بهذا ، وبارك لنا في هذا فيأتيهم فيقول لهم أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا ، وأما الكافر فيسود وجهه ويمد له في جسمه ويراه أصحابه فيقولون نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا اللهم لا تأتنا به فيأتيهم فيقولون اللهم اخزه فيقول أبعدكم الله فإن لكل رجل منكم مثل هذا » ثم قال البزار لا يروى إلا من هذا الوجه ، وقوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى) الآية ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد (ومن كان في هذه) أي في الحياة الدنيا (أعمى) أي عن حجة الله وآياته وبيناته (فهو في الآخرة أعمى) أي كذلك يكون (وأضل سبيلاً) وأضل منه كما كان في الدنيا عابداً بالله من ذلك

إلى النار) وقيل بمعبودهم . وعن سعيد بن المسيب قال : كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقال محمد بن كعب بامامهم قيل يعني بأسمائهم وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة (أحدها) لاجل عيسى عليه السلام (والثاني) ليعرف الحسن والحسين (والثالث) لتلايفتضح أولاد الزنا (فمن أوتي كتابه يمينه) فأولئك يقولون كتابهم ولا يظلمون فتيلاً أي لا ينقص من حقهم قدر فتيل

قوله (ومن كان في هذه أعمى) اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم هي راجعة إلى النعم التي عدها الله تعالى في هذه الآيات من قوله (ربكم الذي يزجي لكم الفلك — إلى قوله — تفضيلاً) يقول ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى (فهو في) أمر (الآخرة) التي لم يعاين ولم ير (أعمى وأضل سبيلاً) يروى هذا عن ابن عباس ، وقال الآخرون هي راجعة إلى الدنيا يقول من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق (فهو في الآخرة أعمى) أي أشد عمى (وأضل سبيلاً) أي أخطأ طريقاً ، وقيل من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار . وقال الحسن من كان في الدنيا ضالاً كافراً فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته . وأمال بعض القراء هذين الحرفين وفتحهما بعضهم وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني فهو في الآخرة أشد عمى لقوله وأضل سبيلاً

وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لا تأخذوك خيلاً (٧٣) ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً (٧٤) إذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً (٧٥)

ينجز تعالى عن تأييده رسوله صلوات الله عليه وسلامه وثبته وعصمته وسلامته من شر الاشرار وكيد الفجار وانه تعالى هو المتولي أمره ونصره وانه لا يكله إلى أحد من خلقه بل هو وليه وحافظه

قوله عز وجل ﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك ﴾ الآية اختلفوا في سبب نزولها قال سعيد بن جبير: كان النبي ﷺ يستلم الحجر الاسود فتمنعه قريش وقالوا لا ندعك حتى تستلم بالهتنا وتمسها فحدث نفسه ما علي أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم أني لما كاره بعد أن يدعوني حتى أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يمس آلهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك فأنزل الله هذه الآية قال ابن عباس: قدم وفد ثقيف (١) على النبي ﷺ فقالوا نبايعك على أن نعطينا ثلاث خصال، قال « وما هن؟ » قالوا أن نجبي في الصلاة أي لا نجبي، ولا نكسر أصنامنا بأيدينا، وأن تمتعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي ﷺ « لا خبر في دين لا ركوع فيه ولا سجود، وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذاك لكم، وأما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها » فقالوا يا رسول الله انا نحب أن نسمع العرب أنك أعطينا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرني بذلك فسكت رسول الله ﷺ فطمع القوم في سكوتة أن يعطيهم ذلك فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وان كادوا ليفتنونك) ليصرفونك (عن الذي أوحينا إليك) لتفترى ﴿ لتختلق ﴾ علينا غيره وإذا ﴿ لو فعلت مادعوك اليه ﴾ لا تأخذوك خيلاً ﴿ أي والوك وصافوك ﴾ ولولا أن ثبتناك ﴿ على الحق بعصمتنا ﴾ لقد كدت تركن ﴿ اليهم شيئاً قليلاً ﴾ أي قريباً من الفعل فان قيل كان النبي ﷺ معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه وما طلبوه كفر؟ قيل كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزمًا، وقد عفا الله عز وجل عن حديث النفس. قال قتادة كان النبي ﷺ يقول بعد ذلك « اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين » والجواب الصحيح هو أن الله تعالى قال (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً) وقد ثبتته الله ولم يركن وهذا مثل قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً) وقد تفضل فلم يتبعوا ﴿ إذا لا ذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ﴾ أي لو فعلت ذلك لا ذقناك ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات يعني أضعفنا لك العذاب في الدنيا

وناصره ومؤيده ومظفره ومظهر دينه على من عاداه وخالفه وناواه في مشارق الارض ومغاربها ﷺ
تسلما كثيرا إلى يوم الدين

وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلعك الا

قليلا (٧٦) سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسننتنا تحويلا (٧٧)

قيل نزلت في اليهود إذ أشاروا على رسول الله ﷺ بسكنى الشام بلاد الانبياء وترك سكنى المدينة وهذا القول ضعيف لان هذه الآية مكية وسكنى المدينة بعد ذلك ، وقيل أنها نزلت بتبوك وفي صحته نظر . روى البيهقي عن الحاكم عن الاصم عن احمد بن عبد الجبار الطاطري عن يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ يوما فقالوا يا أبا القاسم ان كنت صادقا انك نبي فالحق بالشام فان الشام أرض المحشر وأرض الانبياء فصدق ما قالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله عليه آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة (وان كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها — إلى قوله — تحويلا) فأمره الله بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محبائك ومما تكتب منها تبعث . وفي هذا الاسناد نظر والاظهر أن هذا ليس بصحيح فان النبي ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود وإنما غزاها امتثالا لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) ولقوله تعالى (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين

والآخرة ، وقيل الضعف هو العذاب سمي ضعفا لتضاعف الألم فيه ﴿ ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ أي ناصرا يمنعك من عذابنا

قوله تعالى ﴿ وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ﴾ اختلفوا في معنى الآية ، فقال بعضهم هذه الآية مدنية ، قال الكلبي لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسداً منهم فأنوه وقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الانبياء فان أرض الانبياء الشام وهي الأرض المقدسة وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم الصلاة والسلام فان كنت نبياً مثلهم فأت الشام وإنما يمنعك من الخروج اليها مخافتك الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله ، فعسكر النبي ﷺ على ثلاثة أميال من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه أصحابه ويخرج . فأنزل الله الآية ، والأرض ههنا هي المدينة وقال مجاهد وقتادة الأرض أرض مكة والآية مكية ثم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالمعجزة فخرج بنفسه وهذا أليق بالآية لان ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية ، وقيل هم الكفار كلهم وأرادوا أن يستفزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهروا عليه فتم الله عز وجل رسوله ﷺ ولم ينالوا منه مأملوا ، والاستفزاز هو الازعاج بسرعة

أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون) وغزاها ليقنص وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه والله أعلم ، ولو صح هذا الحبل عليه الحديث الذي رواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي امامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل القرآن في ثلاثة أمكنة مكة والمدينة والشام » قال الوليد يعني بيت المقدس وتفسير الشام بتبوك أحسن مما قال الوليد أنه بيت المقدس والله أعلم . وقبل نزلت في كفار قريش هموا بإخراج رسول الله ﷺ من بين أظهرهم فتوعدهم الله بهذه الآية وانهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا ، وكذلك وقع فانه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعد ما اشتد أذاهم له إلا سنة ونصف حتى جمعهم الله وإياه بيد علي غير ميعاد فأمكنه منهم وسلطه عليهم وأظفره بهم فقتل أشرافهم وسبى ذراريهم ، ولهذا قال تعالى (سنة من قد أرسلنا) الآية أي هكذا عادتنا في الذين كفروا برسولنا وأذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم يأتهم العذاب ولولا أنه ﷺ رسول الرحمة لجاءهم من النقم في الدنيا مالا قبل لأحد به ، ولهذا قال تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية

أقم الصلوة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان

مشهودا (٧٨) ومن الليل فتعجده نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا (٧٩)

يقول تبارك وتعالى لرسوله ﷺ أمرأ له باقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها (أقم الصلوة لدلوك الشمس) قيل لغروبها قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس

(وإذا لا يلبثون خلفك) أي بعدك ، وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص ويعقوب خلافا لاعتباراً بقوله تعالى (فرح المخلفون بمقدمهم خلافا لرسول الله) ومعناها واحد (إلا قليلا) أي لا يلبثون بعدك إلا قليلا حتى يهلكوا ، فعلى القول الاول مدة حياتهم وعلى الثاني ما بين خروج النبي ﷺ الى المدينة الى أن قتلوا بيد.

قوله عز وجل (سنة من قد أرسلنا قبلك) أي كسنة فانتصب بحذف الكاف وسنة الله في الرسل اذا كذبته الامم أن لا يعذبهم مادام نبيهم بين أظهرهم فاذا خرج نبيهم من بين أظهرهم عذبهم (ولا تجد استننا تحويلا) أي تبديلا .

قوله (أقم الصلوة لدلوك الشمس) اختلفوا في الدلوك ، روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال : الدلوك هو الغروب وهو قول إبراهيم النخعي ومقاتل بن حيان والضحاك والسدي ، وقال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ، ومعنى اللفظ يجمعهما لأن أصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت وغربت والحل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين

دلوکها زوالها ورواه نافع عن ابن عمر ورواه مالك في تفسيره عن الزهري عن ابن عمر وقاله ابو برزة الاسلمي وهو رواية أيضاً عن ابن مسعود ومجاهد بن عبد الله قال الحسن والضحاك وابو جعفر الباقر وقتادة ، واختاره ابن جرير ومما استشهد عليه مارواه عن ابن حميد عن الحسن بن بشير حدثنا عمرو بن قيس عن ابن أبي ليلى عن رجل عن جابر بن عبد الله قال دعوت رسول الله ﷺ ومن شاء من أصحابه فطعموا عندي ثم خرجوا حين زالت الشمس فخرج النبي ﷺ فقال « اخرج يا أبا بكر فهذا حين دلكت الشمس » ثم رواه عن سهل بن بكر عن أبي عوانة عن الاسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر عن رسول الله ﷺ نحوه فعلى هذا تكون هذه الآية دخل فيها أوقات الصلوات الخمس فمن قوله (لدلوک الشمس إلى غسق الليل) وهو ظلامه وقيل غروب الشمس أخذ منه الظهر والعصر والمغرب والعشاء وقوله (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر ، وقد ثبتت السنة عن رسول الله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله بتفاصيل هذه الاوقات على ما عليه أهل الاسلام اليوم مما تلقوه خلفنا عن سلف وقرنا بعد قرن كما هو مقرر في مواضعه والله الحمد (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) قال الاعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود وعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ في هذه الآية (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) قال تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار

وقال البخاري حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وسعيد ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » يقول أبو هريرة : اقرءوا ان شئتم (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً)

وقال الامام أحمد حدثنا اسباط حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن ابن مسعود عن النبي ﷺ ، وحدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً) قال « تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار » ورواه الترمذي والنسائي وابن ماجه ثلاثتهم

به ولانا إذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوک الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر ، وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر هو صلاة الصبح . قوله عز وجل ﴿ إلى غسق الليل ﴾ أي ظهور ظلمته ، وقال ابن عباس بدو الليل وقال قتادة وقت صلاة المغرب ، وقال مجاهد غروب الشمس ﴿ وقرآن الفجر ﴾ يعني صلاة الفجر سمي صلاة الفجر قرآناً لأنها لا تنجز إلا بقرآن وانتصاب القرآن من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة أي وأقم قرآن الفجر قاله الفراء وقال أهل البصرة على الاغراء أي وعليك قرآن الفجر ﴿ إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا أبو الهيثم أنا شبيب عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب

عن عبيد بن اسباط بن محمد عن أبيه به وقال الترمذي حسن صحيح . وفي لفظ في الصحيحين من طريق مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وفي صلاة العصر ، فيخرج الذين بأنوا فيكم فيسلمهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أنيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون » وقال عبد الله ابن مسعود يجتمع الحرسان في صلاة الفجر فيصعد هؤلاء ويقيم هؤلاء . وكذا قال إبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة وغير واحد في تفسير هذه الآية . وأما الحديث الذي رواه ابن جرير بهنا من حديث الليث بن سعد عن زيادة عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء عن رسول الله ﷺ فذكر حديث النزول وأنه تعالى يقول : من يستغفرني أغفر له ، من بسألتني أعطيه ، من يدعني فأستجيب له . حتى يطالع الفجر فلذلك يقول (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً) فيشهد الله وملائكة الليل وملائكة النهار . فانه تفرد به زيادة ، وله بهذا حديث في سنن أبي داود

وقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) أمر له بقيام الليل بعد المكتوبة كما ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال « صلاة الليل » ولهذا أمر

وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « تفضل صلاة الجمع على صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جراً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر » ثم يقول أبو هريرة اقرأوا إن شئتم (إن قرآن الفجر كان مشهوداً)

قوله تعالى (ومن الليل فتهجد به) أي قم بعد نومك والتهجد لا يكون إلا بعد النوم يقال تهجد إذا قام بعد ما نام وهجد إذا نام ، والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة الليل فريضة على النبي ﷺ في الابتداء وعلى الأمة لقوله تعالى (يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً) ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخاً في حق الأمة بالصلوات الخمس وبقي الاستحباب ، قال الله تعالى (فاقروا ما تيسر منه) وبقي الوجوب في حق النبي ﷺ ، وروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال « ثلاث هن عليّ فريضة وهن سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل » قوله عز وجل (نافلة لك) أي زيادة لك يريد فضيلة زائدة على سائر الفرائض فرضها الله عليك وذهب قوم إلى أن الوجوب صار منسوخاً في حقه كما في حق الأمة فصارت نافلة وهو قول مجاهد وقتادة لأن الله تعالى قال (نافلة لك) ولم يقل عليك ، فان قيل فما معنى التخصيص وهي زيادة في حق كافة المسلمين كما في حقه ﷺ ؟ قيل التخصيص من حيث أن نوافل العباد كفارة لذنوبهم والنبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكانت نوافله لا تعمل في كفارة الذنوب فتبقى له زيادة في رفع الدرجات . أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة وبشر بن معاذ قال ثنا أبو عوانة عن زياد بن علاقة عن المفيرة بن شعبة قال قام

ذنبه وما تأخر ، وغيره من أمته إنما يكفر عنه صلواته النوافل الذنوب التي عليه . قاله مجاهد وهو في المسند عن أبي امامة الباهلي رضي الله عنه

وقوله (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) أي افعل هذا الذي أمرتك به لتقيمك يوم القيامة مقاما محموداً يحمذك فيه الخلائق كلهم وخالقهم تبارك وتعالى . قال ابن جرير قال أكثر أهل التأويل ذلك هو المقام الذي يقومه محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليربحهم ربهم من عظيم مام فيه من شدة ذلك اليوم

ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن أبي اسحاق عن صلة بن زفر عن حذيفة قال : يجمع الناس في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا قياما لا تكلم نفس الا باذنه ينادي بالحمد فيقول « لييك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس اليك ، والمهدي من هديت ، وعبدك بين يديك ، ومنك واليك لا منجى ولا ملجأ منك الا اليك ، تباركت وتعاليت سبعانك رب البيت » فهذا المقام المحمود الذي ذكره الله عز وجل ، ثم رواه عن بندار عن غندر عن شعبة عن أبي اسحاق به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر والثوري عن أبي اسحاق به ، وقال ابن عباس هذا المقام المحمود مقام الشفاعة ، وكذا قال ابن أبي نجيح عن مجاهد وقاله الحسن البصري ، وقال قتادة هو أول من تشق عنه الارض يوم القيامة وأول شافع ، وكان أهل العلم يرون أنه المقام المحمود الذي قال الله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) قلت لرسول الله ﷺ تشريفات يوم القيامة لا يشرك فيها أحد ، وتشريفات لا يساويه فيها أحد فهو أول من تشق عنه الارض ويبعث راجعا إلى المحشر وله اللواء الذي آدم فن دونه تحت لوائه ، وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر

ولا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه وقال كان يصوم من الشهر حتى تقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى تقول لا يصوم منه شيئا .

قوله عز وجل (عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً) عسى من الله تعالى واجب لانه لا يدع أن يعطي عباده أو يفعل بهم ما أطمعهم فيه ، والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لامتة لانه يحمده فيه الاولون والآخرون أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا ابو جعفر محمد بن احمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه أنا عبد الله بن يزيد المقرئ أنا حبة عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله

وارداً منه ، وله الشفاعة العظمى عند الله ليا تلي لفصل القضاء بين الخلائق وذلك بعد ما تسأل الناس آدم ثم نوحاً ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى فكل يقول لست لها حتي يأتوا إلى محمد ﷺ فيقول «أنا لها أنا لها» كما سنذكر ذلك مفصلاً في هذا الموضع ان شاء الله تعالى ، ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها وهو أول الانبياء يقضى بين أمته وأولهم اجازة على الصراط بأمته وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم

وفي حديث الصور أن المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته وهو أول داخل اليها وأمه قبل الامم كلهم ، ويشفع في رفع درجات أقوام لا تباعها أعمالهم ، وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لا تليق الا له ، واذا أذن الله تعالى في الشفاعة للعصاة لشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيشفع هو في خلائق لا يعلم عدتهم الا الله تعالى ولا يشفع أحد مثله ولا يساويه في ذلك ، وقد بسطت ذلك مستقصى في آخر كتاب السيرة في باب الخصائص لله الحمد والمنة . ولنذكر الآن الاحاديث الواردة في المقام المحمود وبالله المستعان

قال البخاري حدثنا اسماعيل بن أبان حدثنا أبو الاحوص عن آدم بن علي سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة جنأ كل أمة تدفع نبيها يقولون يا فلان اشفع يا فلان اشفع حتي تنتهي الشفاعة إلى محمد ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً . ورواه حمزة بن عبد الله عن أبيه عن النبي ﷺ . قال ابن جرير حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم حدثنا شعيب بن الليث ثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر أنه قال سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول : قال رسول الله ﷺ « ان الشمس لتدنو حتي يبلغ العرق نصف الاذن فينبأهم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع بين الخلق فيمشي

النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا علي بن عياش ثنا سعيد بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » أخبرنا أبو حامد احمد بن عبد الله الصالح أنا أبو بكر احمد بن الحسن الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا بهلي عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبأت دعوتي شفاعة لاتي وهي نائلة منكم ان شاء الله من مات لا يترك الله شيئاً » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل قال ، وقال الحاجب بن منهال ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة عن أنس أن النبي ﷺ قال « بحبس المؤمنون يوم القيامة حتي يهيموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقتك الله

حتى يأخذ بحلقه باب الجنة فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً . وهكذا رواه البخاري في الزكاة عن يحيى ابن بكير وعلقمة عن عبد الله بن صالح كلاهما عن الليث بن سعد به . وزاد فيومئذ يبعثه الله مقاما محموداً يحمد به أهل الجمع كلهم .

قال البخاري وحدثنا علي بن عياش حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محموداً الذي وعدته . حلت له شفاعتي يوم القيامة » انفرد به دون مسلم

« حديث أبي بن كعب » قال الامام أحمد حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه عن النبي ﷺ قال « اذا كان يوم القيامة كنت امام الانبياء وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر » وأخرجه الترمذي من حديث أبي عامر عبد الملك ابن عمرو العقدي وقال حسن صحيح . وابن ماجه من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل به ، وقد قدمنا في حديث أبي بن كعب في قراءة القرآن على سبعة أحرف ، قال ﷺ في آخره « فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي فيه الخلق حتى ابراهيم عليه السلام »

« حديث أنس بن مالك » قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا سعيد بن أبي عروبة حدثنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيعلمون ذلك فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فأراحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلوك أسماء . كل شيء . فاشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا . فيقول لهم آدم لست هناك ويذكر ذنبه الذي أصاب فيستحي ربه عز وجل من ذلك ويقول ولكن اتوا نوحا فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الارض . فيأتون نوحا فيقول لست هناك ويذكر خطيئته سؤاله ربه باليس له

بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلوك أسماء . كل شيء . اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناك ويذكر خطيئته التي أصاب أكله من الشجرة وقد نهي عنها ولكن اتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى أهل الارض فيأتون نوحا فيقول لست هناك ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم ولكن اتوا ابراهيم خليل الرحمن قال فيأتون ابراهيم فيقول : اني لست هنا كم ويذكر ثلاث كذبات كذبهن ، ولكن اتوا موسى عبداً آناه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون موسى فيقول : اني لست هنا كم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن اتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول : لست هنا كم ولكن اتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فاستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته

به علم فيستحي ربه من ذلك، ويقول ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتونه فيقول است هناكم ولكن اتوا موسى عبيد كلمة الله وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر لهم النفس التي قتل بغير نفس فيستحي ربه من ذلك ويقول ولكن اتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمته وروحه، فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني. قال الحسن هذا الحرف. فأقوم فأمشي بين ساطين من المؤمنين. قال أنس - حتى استأذن على ربي فاذا رأيت ربي وقعت له. أو خررت. ساجداً لربي فبدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل تسمع واشفع تشفع، وسل تعطه فارفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيعبد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه الثانية فاذا رأيت ربي وقعت له أو خررت ساجداً لربي فبدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فارفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيعبد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فاذا رأيت ربي وقعت - أو خررت - ساجداً لربي فبدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد قل تسمع وسل تعطه، واشفع تشفع فارفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيعبد لي حداً فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول يارب ما بقي إلا من حبسه القرآن « فحدثنا أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « فيخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة » أخرجه من حديث سعيد به، وهكذا رواه الإمام أحمد عن عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بطوله

وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا حرب بن ميمون أبو الخطاب الانصاري عن النضر بن أنس عن أنس قال حدثني نبي الله ﷺ قال « إني لقائم أنتظر أمي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى عليه السلام فقال هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد بأسألون - أو قال يجتمعون إليك - ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لهم جاءهم فيه فالخلق ملجئون بالعرق، فأما المؤمن فهو

وقعت ساجداً فبدعني ماشاء الله أن يدعني فيقول : ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء، ونحميد يعلمنيه ثم أشفع فيعبد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجداً فبدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء ونحميد يعلمنيه ثم أشفع فيعبد لي حداً فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجداً فبدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول : ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فارفع رأسي فأثني على ربي بثناء ونحميد يعلمنيه ثم أشفع فيعبد لي حداً فأخرج فأدخلهم الجنة « قال قتادة وقد سمعته يقول

عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت فقال انتظر حتى أرجع اليك فذهب نبي الله ﷺ فقام تحت العرش فلقي مالم يلق ملك مصطفى ولا نبي مرسل فأوحى الله عز وجل الى جبريل أن اذهب إلى محمد وقل له ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع فشفت في أمي أن أخرج من كل تسعة وتسعين انسانا واحداً فما زلت أردد إلى ربي عز وجل فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله عز وجل من ذلك أن قال يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله عز وجل من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً ومات على ذلك »

حديث بريدة رضي الله عنه قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا الاسود بن عامر أخبرنا أبو إسرائيل عن الحارث بن حضيرة عن ابن بريدة عن أبيه انه دخل على معاوية فاذا رجل يتكلم فقال بريدة يا معاوية تأذن لي في الكلام ؟ فقال نعم وهو يرى انه سيتكلم بمثل ما قال الآخر فقال بريدة سمعت رسول الله ﷺ يقول « اني لأرجو أن أشفع يوم القيامة عدد ما على الارض من شجرة ومدره » قال فارجوها أنت يا معاوية ولا يرجوها علي رضي الله عنه

حديث ابن مسعود قال الامام أحمد حدثنا عارم بن الفضل حدثنا سعيد بن الفضل حدثنا سعيد بن زيد حدثنا علي بن الحكم البناني عن عثمان عن ابراهيم عن علقمة والاسود عن ابن مسعود قال : جاء ابنا مليكة الى النبي ﷺ فقالا إن أمنا تكرم الزوج وتعطف على الولد ، قال وذكر الضيف غير انها كانت وأدت في الجاهلية ، فقال « أمكا في النار » قال فأدبرا والسوء يرى في وجوههما فأمر بهما فردا فرجعا والسوء يرى في وجوههما رجاء أن يكون قد حدث شي . فقال « أمي مع أمكا » فقال رجل من المنافقين وما بغني هذا عن أمه شيئا ونحن نطأ عقبيه . فقال رجل من الانصاء ولم أر رجلاً قط أكثر سؤالاً منه يارسول الله هل وعدك ربك فيها أو فيها . قال فظن انه من شي . قد سمعته فقال « ماشاء الله ربي وما أطمعني فيه واني لا قوم المقام المحمود يوم القيامة » فقال الانصاري يارسول الله وما ذاك المقام المحمود ؟ قال « ذاك اذا جئ بك حفاة عراة غرلاً فيكون أول من يكسى ابراهيم عليه السلام فيقول

« فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من قد حبسه القرآن » أي وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ وبهذا الاسناد قال : حدثنا محمد بن اسماعيل ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد ثنا معبد بن هلال الغزي قال ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة بمعناه وقال « فاستأذن على ربي فيؤذن لي ويلهمني محامداً أحمد به لا تخضر في الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمي أمي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان فأطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فذكر مثله وقال - فيقال لي انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان قال

اكسوا خيلتي فيؤتني برطتين بيضارين فيلبسهما ثم يقعه مستقبلاً العرش ثم أوتى بكسوتي فألبسها فأقوم عن يمينه مقاما لا يقومه أحد فيغبطني فيه الاولون والآخرون قال ويفتح لهم من الكوثر إلى الخوض فقال المنافق انه ما جرى ماء قط إلا على حال أو رضر اض فقال رسول الله ﷺ « حاله المسك وضره اللؤلؤ » فقال المنافق لم أسمع كاليوم فانه قلما جرى ماء على حال أو رضر اض إلا كان له نبت . فقال الانصاري يا رسول الله هل له نبت ؟ فقال « نعم قضبان الذهب » قال المنافق لم أسمع كاليوم فانه قلما ينبت قضيب إلا أورق وإلا كان له ثمر . قال الانصاري يا رسول الله هل له ثمرة ؟ قال « نعم ألوان الجوهر وماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربة لا يظأ بعده من حرمة لم يرو بعده » وقال أبو داود الطيالسي حدثنا يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه عن أبي الزعراء عن عبد الله قال : ثم يأذن الله عز وجل في الشفاعة فيقوم روح القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم خليل الله ثم يقوم عيسى أو موسى قال أبو الزعراء لا أدري أيهما قال . ثم يقوم نبيكم ﷺ رابعاً فيشفع لا يشفع أحد بعده أكثر مما شفّع وهو المقام المحمود الذي قال الله عز وجل (عسى أن يعفئك ربك مقاما محمودا) حديث كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال الامام أحمد حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا محمد بن حرب حدثنا الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن كعب بن مالك ان رسول الله ﷺ قال « يبعث الناس يوم القيامة فاكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي عز وجل حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ماشاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود »

حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، قال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ « أنا أول من يؤذن له بالسجود يوم القيامة وأنا أول من يؤذن له أن يرفع رأسه فأنظر الى ما بين يدي فأعرف بين أمتي من الأمم ومن خلفي مثل ذلك وعن يميني مثل ذلك وعن شمالي مثل ذلك » فقال رجل يا رسول الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم فيما بين نوح الى أمتك ؟ قال « هم غر يحجلون من أثر الوضوء »

فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ثم آخر له ساجداً فذكر مثله ثم يقال انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأنطلق فأفعل - فلما خرجنا من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم يزدنا على هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ مضطجع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال « ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم آخر له ساجداً فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطى واشفع تشفع فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لا أخرجن منها من قال لا إله إلا الله » وروي عن عبد الله بن عمر قال : ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بأدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشي حتى يأخذ

ليس أحد كذلك غيرهم وأعرفهم أنهم يؤنون كتبهم بإيمانهم وأعرفهم تسعى من بين أيديهم ذريتهم »
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال الامام احمد رحمه الله حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا
 أبو حيان حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتى رسول الله
 ﷺ بلحم فرفع اليه الذراع وكانت تعجبه ففهم منها نهشة ثم قال « أنا سيد الناس يوم القيامة »
 وهل تدرون مم ذاك؟ يجمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد بسمعهم الداعي وينفذهم البصر
 وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون
 ما أنتم فيه مما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم
 فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر
 الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا؟ فيقول آدم إن ربي
 قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد نهاني عن الشجرة فعصيت
 نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح ، فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل
 الى أهل الارض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد
 بلغنا ، فيقول نوح ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وأنه قد
 كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم . فيأتون
 ابراهيم فيقولون يا ابراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الارض اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن
 فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده
 مثله فذكر كذباته نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى ، فيأتون موسى فيقولون
 يا موسى أنت رسول الله اصطفاك الله برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن
 فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم موسى إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وإن يغضب

بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم : وأخبرناه الامام أبو علي الحسين بن
 محمد القاضي أنا ابو محمد عبيد الله بن يوسف بن محمد بن نامويه ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا
 محمد بن حنوية ثنا سعيد بن سليمان ثنا منصور بن أبي الاسود ثنا الليث عن الربيع بن أنس عن أنس
 ابن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « أنا أولهم خروجا إذا بعثوا وأنا قائم إذا وفدوا
 وأنا خطيبهم إذا أنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ
 بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي بطوف علي ألف خادم كأنهم أولؤ بيض
 مكنون أو أولؤ منشور » أخبرنا ابي عمار بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي
 ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني الحكم بن موسى ثنا معقل يعني ابن زياد
 عن الاوزاعي حدثني ابو عمار حدثني عبد الله بن فروخ حدثني ابو هريرة قال : قال رسول الله

بعده مثله واني قد قتلت نفساً لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى عيسى
 فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في
 المهد صبيفاً فاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد بلغنا ؟ فيقول لهم عيسى ان ربي قد
 غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنباً نفسي نفسي نفسي اذهبوا
 الى غيري اذهبوا الى محمد ﷺ ، فيأتون محمداً ﷺ فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الانبياء
 وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فاشفع لنا الى ربك ألا ترى مانحن فيه ألا ترى ماقد
 بلغنا ؟ فأقوم قأتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل ثم يفتح الله عليّ ويلهمني من محامده وحسن
 الثناء عليه ما لم يفتحه علي أحد قبلي ، فيقال يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفعك تشفع . فأرفع
 رأسي فأقول أمي يارب أمي يارب أمي يارب ؟ فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليه
 من الباب الايمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ثم قال والذي نفس
 محمد بيده ان ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى ، أخرجاه
 في الصحيحين . وقال مسلم رحمه الله حدثنا الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الاوزاعي حدثني
 أبوعمار حدثني عبد الله بن فروخ حدثني أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم
 القيامة وأول من ينشق عنه القبر يوم القيامة وأول شافع وأول مشفع » وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب
 حدثنا وكيع عن داود بن يزيد الزعفراني عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ (عسى أن
 يبعثك ربك مقاماً محموداً) سئل عنها فقال « هي الشفاعة » رواه الإمام احمد عن وكيع عن محمد بن
 عبيد عن داود عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً
 محموداً) قال « هو المقام الذي أشفع لأمتي فيه » وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن

ﷺ « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة أنا أول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع » والاخبار في
 الشفاعة متواترة كثيرة ، وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة ، وروي عن
 يزيد بن صهيب الفقيه قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج وكنت رجلاً شاباً فخرجنا في
 عصابة نريد الحج ففررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله ﷺ وذكر
 حديث الجنبيين قُلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي تحدثونه والله عز وجل يقول (انك من
 تدخل النار فقد أخرجته) وكلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها . فقال لي يا فتى أقرأ القرآن ؟ قلت
 نعم قال هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه ؟ قلت نعم . قال فانه مقام محمد المحمود الذي
 يخرج الله به من النار ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه وان قوما يخرجون من النار
 بعد ما يكونون فيها قال فرجعنا وقلنا آرون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ، وروي عن
 أبي وائل عن عبد الله عن النبي ﷺ قال « إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلًا وان صاحبكم خليل

علي بن الحسين قال قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه قال النبي ﷺ فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن تبارك وتعالى والله مارآه قبلها ، فأقول أي رب ان هذا أخبرني انك أرسلته إلي فيقول الله عز وجل صدق ثم أشفعم فأقول يا رب عبادك عبدوك في اطراف الارض قال فهو المقام المحمود » وهذا حديث مرسل

وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا

نصيرا (٨٠) وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا (٨١)

قال الامام أحمد حدثنا جبرير عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس كان النبي ﷺ بمكة ثم أمر بالهجرة فأنزل الله (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال الحسن البصري في تفسير هذه الآية : إن كفار أهل مكة لما اتهموا برسول الله ﷺ ليقتلوه أو يطردوه أو يوثقوه فأراد الله قتل أهل مكة أمره أن يخرج الى المدينة فهو الذي قال الله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) الآية ، وقال قتادة (وقل رب أدخلني مدخل صدق) يعني المدينة (وأخرجني مخرج صدق) يعني مكة ، وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهذا القول هو أشهر الاقوال ، وقال العوفي عن ابن عباس (أدخلني مدخل صدق) يعني الموت (وأخرجني مخرج صدق) يعني الحياة بعد الموت ، وقيل غير ذلك من الاقوال والاول أصح وهو اختيار ابن جبرير

الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا » وعن مجاهد في قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قال يجلسه على العرش ، وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد من المدخل والمخرج الإدخال والاخراج واختلف أهل التفسير فيه فقال ابن عباس والحسن وقاتدة أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة ، وقال الضحاك وأخرجني مخرج صدق من مكة آمنا من المشركين وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهرا عليها بالفتح ، وقال مجاهد أدخلني في أمرك الذي أرسلني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد قت بما وجب علي من حقه مخرج صدق ، وعن الحسن أنه قال : أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني مخرج صدق من مكة وقيل أدخلني في طاعتك وأخرجني من المناهي ، وقيل معناه أدخلني حينما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق أي لا تجمعني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فان ذا الوجهين لا يكون أمينا ووجيها عند الله ووصف الادخال والاخراج بالصدق لما يؤل اليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين كما وصف القدم بالصدق فقال (أن لهم قدم صدق عند ربهم)

وقوله (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً) قال الحسن البصري في تفسيرها وعده ربه لينزعن ملك فارس وعز فارس وليجعله له ، وملك الروم وعز الروم وقال قتادة فيها ان نبي الله ﷺ علم أن لا طاقة له بهذا الامر الا بسلطان فسأل سلطانا نصيراً لكتاب الله ، ولحدود الله ، ولغرائض الله ، ولإقامة دين الله فان السلطان رحمة من الله جعله بين أظهر عباده ولولا ذلك لأغار بعضهم على بعض فأكل شديدهم ضعيفهم قال مجاهد سلطانا نصيراً حجة بينة ، واختار ابن جرير قول الحسن وقطادة وهو الأرجح لأنه لا بد مع الحق من قهر لمن عاداه وفاراه ولهذا يقول تعالى (قد أرسلنا رسلنا بالبينات — إلى قوله — وأمرنا الحديد) الآية . وفي الحديث « ان الله لينزع بالسلطان مالا يزرع بالقرآن » أي لينزع بالسلطان عن ارتكاب الفواحش والآثام مالا يتمتع كثير من الناس بالقرآن وفيه من الوعيد الأكيد والتهديد الشديد وهذا هو الواقع

وقوله (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الآية . تهديد ووعد لكفار قريش فانه قد جاءهم من الله الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به وهو ما بعثه الله به من القرآن والایمان والعلم النافع وزهق باطلهم أي اضمحل وهلك ، فان الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء ، (بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق)

وقال البخاري حدثنا الحديدي حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله بن مسعود قال ، دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول « جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقاً جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد » وكذا رواه البخاري أيضاً في غير هذا الموضع ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من طرق عن سفيان بن عيينة به ، وكذا رواه عبد الرزاق عن ابن أبي نجيح به وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا شبابة حدثنا المغيرة حدثنا أبو الزبير عن جابر رضي

﴿ واجعل لي من لدنك سلطانا نصيراً ﴾ قال مجاهد حجة بينة ، وقال الحسن ملكاً قوياً تنصرني به على من نأواني ، وعزاً ظاهراً أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس والروم وغيرها فيجعله له قال قتادة علم نبي الله ﷺ أن لا طاقة له بهذا الامر إلا بسلطان نصير فسأل سلطانا نصيراً لكتاب الله وحدوده وإقامة دينه

قوله عز وجل ﴿ وقل جاء الحق ﴾ يعني القرآن ﴿ وزهق الباطل ﴾ أي ذهب الشيطان قال قتادة ، وقال السدي الحق الاسلام والباطل الشرك ، وقيل الحق عبادة الله والباطل عبادة الاصنام ﴿ ان الباطل كان زهوقاً ﴾ ذاهباً يقال زهقت نفسه أي خرجت . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله قال دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعن

الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثائة وستون صنفاً تعبد من دون الله ، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكبت على وجوهها وقال « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً »

ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الا خساراً (٨٢)
يقول تعالى مخبراً عن كتابه الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ وهو القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد انه شفاء ورحمة للمؤمنين أي يذهب ما في القلوب من أمراض من شك ونفاق وشرك وزيف وميل فاقترآن بشفي من ذلك كله وهو أيضاً رحمة يحصل فيها الايمان والحكمة وطلب الخير والرغبة فيه وليس هذا إلا لمن آمن به وصدق به واتبعه فانه يكون شفاء في حقه ورحمة ، وأما الكافر الظالم نفسه بذلك فلا يزيده سماعه القرآن الا بعداً وكفراً والآفة من الكافر لا من القرآن كقوله تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عى أولئك ينادون من مكان بعيد) وقال تعالى (واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أبكم زادته هذه إيماناً ، فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون) والآيات في ذلك كثيرة ، قال قتادة في قوله (ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه (ولا يزيد الظالمين الا خساراً) أي لا ينتفع به ولا يحفظه ولا يعيه فان الله جعل هذا القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين

واذا أنعمنا على الانسان أعرض وثناً بجانبه واذا مسه الشر كان يشوساً (٨٣) قل كل

يعمل على شاكته ، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً (٨٤)

يعود في يده ويقول (جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدى الباطل وما بعيد)
قوله عز وجل (ونزل من القرآن ما هو شفاء للناس ورحمة للمؤمنين) قيل من ليس للنعيب مضاه ونزل من القرآن ما هو كله شفاء أي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدي به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ، ورحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين الا خساراً) لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فيكون رحمة له وقيل زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل يتعدهد منهم تكذيب وزداد لهم خسارة . قال قتادة لم يجالس هذا القرآن أحد الا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاء الله الذي قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خساراً

قوله تعالى (واذا أنعمنا على الانسان أعرض) عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أي تباعد

ينجز تعالى عن نقص الانسان من حيث هو الا من عصمه الله تعالى في حالتي السراء والضراء فانه اذا أنعم الله عليه بمال وعافية وفتح وورق ونصر ونال ما يريد أعرض عن طاعة الله وعبادته ونأى بجانبه قال مجاهد بعد عنا قلت وهذا كقوله تعالى (فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضره) وقوله (فلما نجاكم إلى البر أعرضتم) وبأنه اذا مشه الشر وهو المصائب ، والحوادث والنوائب (كان يؤمّا) أي قنط أن يعود يحصل له بعد ذلك خير كقوله تعالى (ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤمس كفور *) ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه أفرح فخور * الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير) وقوله تعالى (قل كل يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته ، وقال مجاهد على حدته وطبيعته ، وقال قتادة على نيته ، وقال ابن زيد دينه وكل هذه الاقوال متقاربة في المعنى . وهذه الآية والله أعلم تهديد للمشرّكين ووعيد لهم كقوله تعالى (وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكاتبتكم) الآية ، ولهذا قال (قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أي منا ومنكم وسيجزي كل عامل بعمله فانه لا يخفى عليه خافية

ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا (٨٥)

قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في حرث في المدينة وهو متوكي ، على عسيب فمر بقوم من اليهود فقال بعضهم لبعض سألوه عن الروح ، وقال بعضهم لا نسألوه ، قال فسألوه عن الروح

منا بنفسه أي ترك التقرب الى الله بالدعاء ، وقال عطاء نعظم وتكبر وبكسر النون والهمزة حمزة والسكسائي وفتح النون وبكسر الهمزة ابو بكر ، رقرأ ابن عامر وابو جعفر ونا ، مثل جاء قيل هو بمعنى نأى وقيل ناء من النوء وهو النهوض والقيام (وإذا مشه الشر) الشدة والضر (كان يؤمّا) أي أبسا قنوطا وقيل معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فاذا تأخرت الاجابة يئس ولا ينبغي للمؤمن أن يئأس من الاجابة وان تأخرت فيدع الدعاء

قوله عز وجل (قل كل يعمل على شاكلته) قال ابن عباس على ناحيته قال الحسن وفتادة على نيته ، وقال مقاتل على خليفته قال الفراء طريقته التي جبل عليها ، وقال القتيبي على طبيعته وجبلته ، وقيل على السبيل الذي اختاره لنفسه وهو من الشكل يقال است على شكلي ولا شاكلي وكلها لغة متقاربة تقول العرب طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق ، ومجاز الآية كل يعمل على ما يشبهه كما يقال في المثل كل امرئ يشبه فعله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أوضح طريقا قوله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد

فقالوا يا محمد ما الروح ؟ فما زال متوكفاً على العسيب قال فظننت أنه يوحى اليه فقال (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) قال فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا نسأله . وهكذا رواه البخاري ومسلم من حديث الأعمش به ، ولفظ البخاري عند تفسير هذه الآية عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث وهو متوكي على عسيب إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال ما رأيكم اليه ، وقال بعضهم لا يستقبلنكم بشيء تكرهونه ، فقالوا سلوه فسأله عن الروح فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً فعلمت أنه يوحى اليه فقامت مقامي فلما نزل الوحي قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية وهذا السياق يقتضي فيما يظهر بادى الرأي أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سأل اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية ، وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سأله بالآية المتقدم انزالها عليه وهي هذه الآية (ويسئلونك عن الروح) ومما يدل على نزول هذه الآية بمكة ما قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يحيى بن زكريا عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قالت قريش ليهود اعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فنزلت (ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) قالوا أوتينا علماً كثيراً أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كثيراً ، قال وأنزل الله (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر) الآية وقد روى ابن جرير عن محمد بن المثنى عن عبد الأعلى عن داود عن عكرمة قال سأل أهل الكتاب

المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قيس بن حفص ثنا عبد الواحد يعني ابن زياد ثنا الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : بينا أنا أمشي مع النبي ﷺ في حرث المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا نسأله لا يجيب فيه شيء تكرهونه فقال بعضهم لنسأله فقام رجل منهم فقال : يا أبا القاسم ما الروح ؟ فسكت فقلت أنه يوحى اليه فقامت فلما انجلى عنه قال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) وفي رواية وما أوتوا من العلم إلا قليلاً قال الأعمش هكذا في قراءتنا . وروى عن ابن عباس أنه قال : ان قريشاً قد اجتمعوا وقالوا إن محمداً نشأ فينا بالامانة والصدق وما اتهمناه بكذب وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرأ إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة اليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أولم يجيب عن شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجيب عن واحدة فهو نبي فسأله عن فتية فقدوا في الزمن الاول ما كان من أمرهم فانه كان لهم حديث عجيب ، وعن رجل بلغ شرق الارض وغربها ما خبره ، وعن الروح فسأله فقال النبي ﷺ « أخبركم بما سألتهم غداً » ولم يقل إن شاء

رسول الله ﷺ عن الروح فأنزل الله (ويسألونك عن الروح) الآية فقالوا تزعم أننا لم نؤت من العلم إلا قليلاً وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) قال فنزلت (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر) الآية قال ما أتيتهم من علم فجاءكم الله به من النار فهو كثير طيب وهو في علم الله قليل

وقال محمد بن اسحاق عن بعض اصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت بمكة (وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً) فلما جاء رسول الله ﷺ الى المدينة أتاه أحبار يهود وقالوا يا محمد ألم يبلغنا عنك أنك تقول (وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً) أفعنيتنا أم عنيت قومك فقال « كلا قد عنيت » فقالوا إنك تتلو إنا أوتينا التوراة وفيها تبيان كل شيء فقال رسول الله ﷺ « هي في علم الله قابل وقد آتاكم الله ما ن عملتم به انتفعتم » وأنزل الله (ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم)

وقد اختلف المفسرون في المراد بالروح ههنا على أقوال (أحدها) أن المراد أرواح بني آدم وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (ويسألونك عن الروح) الآية وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ أخبرنا عن الروح وكيف تعذب الروح التي في الجسد وإنما الروح من الله ولم يكن نزل عليه شيء فلم يجر اليهم شيئاً فأتاه جبريل فقال له (قل الروح من أمر ربي وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً) فآخبره النبي ﷺ بذلك فقالوا من جاءك بهذا قال جاءني به جبريل من عند الله فقالوا له والله ما قاله لك إلا عدونا فأنزل الله (قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه) وقيل المراد بالروح ههنا جبريل فإنه قتادة قال وكان ابن عباس يكتمه ، وقيل المراد به ههنا ملك عظيم بقدر المخلوقات

الله فلبث الوحي قال مجاهد اثنتي عشرة ليلة وقيل خمسة عشر يوماً ، وقال عكرمة أربعين يوماً وأهل مكة يقولون وعدنا محمد غداً وقد أصبحنا لا نبخبرنا بشيء حتى حزن النبي ﷺ من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل بقوله (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله) ونزل في الفتية (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب (ويسألونك عن ذي القرنين) ونزل في الروح (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) واختلفوا في الروح الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن عباس أنه جبريل وهو قول الحسن وقتادة وروى عن علي أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله تعالى بكلماتها ، وقال مجاهد خلق على صور بني آدم لهم أيد وأرجل ورجل ولسان وملائكة ولا ناس يأكلون الطعام ، وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقاً أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لفعل صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلي

كلها ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (وبسئلوكم عن الروح) يقول الروح ملك . وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس المصري حدثنا وهب الله بن رزق بن هبيرة حدثنا بشر ابن بكير حدثنا الاوزاعي حدثنا عطاء عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن لله ملكا لو قيل له انقم السموات السبع والارضين بلقمة واحدة لفعل ، تسبيحه سبحانه حيث كنت » وهذا حديث غريب بل منكر . وقال أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثني علي حدثني عبد الله حدثني أبو مروان يزيد بن سمرة صاحب قيسارية عن حدثه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال في قوله (وبسئلوكم عن الروح) قال هو ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه منها سبعون ألف لسان لكل لسان منها سبعون ألف لغة يسبح الله تعالى بتلك اللغات كلها يخلق الله من كل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة الى يوم القيامة . وهذا أثر غريب عجيب والله أعلم . وقال السهيلي زوي عن علي انه قال : هو ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه في كل وجه مائة ألف فم في كل فم مائة ألف لسان يسبح الله تعالى بلغات مختلفة . قال السهيلي وقيل المراد بذلك طائفة من الملائكة على صور بني آدم ، وقيل طائفة يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالللائكة لبني آدم ، وقوله (قل الروح من أمر ربي) أي من شأنه وما استأثر بعلمه دونكم ولهذا قال (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أي وما أطلعكم من علمه إلا على القليل فانه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى ، والمعنى ان علمكم في علم الله قليل وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح مما استأثر به تعالى ولم يطلعكم عليه كما انه لم يطلعكم الا على القليل من علمه تعالى ، وسيأتي إن شاء الله في قصة موسى والخضر أن الخضر نظر الى عصفور وقع على حافة السفينة فنقر في البحر نقرة أي شرب منه بمنقاره فقال يا موسى ما علمي وعلمك وعلم الخلق في علم الله إلا كما أخذ هذا العصفور من هذا البحر أو كما قال صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) وقال السهيلي قال بعض الناس لم يجيبهم عما سألوهم لانهم سألوهم على وجه التعنت وقيل أجابهم ، وعول السهيلي على

الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن بشفع لاهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة ستر من نور لا حترق أهل السموات من نوره ، وقيل الروح هو القرآن وقيل المراد منه عيسى عليه السلام فانه روح الله وكلمته ومعناه أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى وقال قوم هو الروح المركب في الخلق الذي يحيا به الانسان وهو الاصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الحيوان اذا مات لا يفوت منه شيء الا الدم ، وقال قوم هو نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس ، وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف ، وقال بعضهم الروح معنى اجتماع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء ألا ترى انه إذا كان موجودا يكون الانسان موصوفا بجميع هذه الصفات فاذا خرج ذهب الشكل . وأولى الاقوال أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو

ان المراد بقوله (قل الروح من أمر ربي) أي من شرعه أي فادخلوا فيه وقد علمتم ذلك لانه لا سبيل الى معرفة هذا من طبع ولا فلسفة وانما ينال من جهة الشرع وفي هذا المسلك الذي طرقه وسلكه نظر والله أعلم . ثم ذكر السبيل الخلاف بين العلماء في أن الروح هي النفس أو غيرها وقرر أنها ذات لطيفة كالهواء سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء ، قال كما ان الماء هو حياة الشجر ثم يكسب بسبب اختلاطه معها اسما خاصا فاذا اتصل بالعنبة وعصر منها صار ماء مصطاراً أو خمر أو لا يقال له ماء حينئذ إلا على سبيل المجاز ، وكذا لا يقال للنفس روح إلا على هذا النحو وكذا لا يقال للروح نفس إلا باعتبار ما تؤول اليه ، فحاصل ماقول ان الروح هي أصل النفس ومادتها والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن فهي هي من وجه لا من كل وجه وهذا معنى حسن والله أعلم . قلت وقد تكلم الناس في ماهية الروح وأحكامها وصنفوا في ذلك كتباً ومن أحسن من تكلم على ذلك الحافظ بن منده في كتاب سمعناه في الروح

ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً (٨٦) إلا رحمة من ربك إن فضله كان عليك كبيراً (٨٧) قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً (٨٨) ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فآبى أكثر الناس إلا كفوراً (٨٩)

قول أهل السنة . قال عبد الله بن بريدة إن الله لم يطلع على الروح ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلًا . وقوله عز وجل (قل الروح من أمر ربي) قيل من علم ربي ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ أي في جنب علم الله . قيل هذا خطاب لرسول الله ﷺ وقيل خطاب لليهود قاتلهم كانوا يقولون : أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير ، وقيل كان النبي ﷺ يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحداً لأن ترك اخباره به كان علماً لنبوته والاول أصح لأن الله عز وجل استأثر بعلمه

قوله تعالى ﴿ ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ﴾ يعني القرآن معناه انا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك يعني القرآن ﴿ ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً ﴾ أي من ينوب برد القرآن إليك ﴿ إلا رحمة من ربك ﴾ هذا استثناء منقطع معناه ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك ﴿ إن فضله كان عليك كبيراً ﴾ فان قيل كيف يذهب القرآن وهو كلام الله عز وجل ؟ قيل المراد منه محوه من المصاحف واذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرءوا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع . قيل هذه

يذكر تعالى نعمته وفضله العظيم على عبده ورسوله الكريم ﷺ فيما أوحاه اليه من القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . قال ابن مسعود رضي الله عنه يطرق الناس ريح حراء يعني في آخر الزمان من قبل الشام فلا يبقى في مصحف رجل ولا في قلبه آية ثم قرأ ابن مسعود (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) الآية . ثم نبه تعالى على شرف هذا القرآن العظيم فأخبر أنه لو اجتمعت الانس والجن كلهم واتفقوا على أن يأتوا بمثل ما أنزله على رسوله لما أطاقوا ذلك ولما استطاعوه ولو تعاونوا وتساعدوا وتظافروا فإن هذا أمر لا يستطيعون وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عدل له . وقد روى محمد بن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في نفر من اليهود جاءوا رسول الله ﷺ فقالوا له إنا نأتيك بمثل ما جئتنا به فأنزل الله هذه الآية . وفي هذا نظر لان هذه السورة مكية وسياقها كله مع قريش ، واليهود أما اجتمعوا به في المدينة فالله أعلم . وقوله (ولقد صرفنا للناس) الآية . أي بينا لهم الحجة والبراهين القاطعة ووضحنا لهم الحق وشرحناه وبسطناه ومع هذا فابى أكثر الناس إلا كفورا أي جعودا للحق وردا للصواب

وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٩٠) أو تكون لك جنة من

نخيل وعنب فتفجر الأنهر خلالها فجيرا (٩١) أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي

بالله والملائكة قبيلة (٩٢) أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن

لرؤيتك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا (٩٣)

المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس ؟ قال يسري عليه ليل لا يرفع ما في صدورهم فيصبعون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : لا تقوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش كدوي النحل فيقول الرب مالك وهو أعلم فيقول : يارب أتلى ولا يعمل بي

قوله جل وعلا (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) لا يقدرّون على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) عوننا ومظاهرها نزلت حين قال الكفار لو نشاء لقلنا مثل هذا فكنذبهم الله تعالى : فالقرآن معجز في النظم والتأليف والاخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلا طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لانه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله

قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل وجه من العبر والاحكام والوعد والوعيد وغيرها (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جعودا (وقالوا لن نؤمن لك) لن

قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير حدثنا محمد بن إسحاق حدثني شيخ من أهل مصر قدم منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان ابن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبا البخثري أخا بني أسد والاسود بن المطلب بن أسد وزمعة ابن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونيبها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا أو من اجتمع منهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعدوا إلى محمد فكلوه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك ، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنهم حتى جلس اليهم ، فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وأنا والله مانع من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفقت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي من قبيل إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك ، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث نطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت إنما نطلب الشرف فينا سوذناك علينا ، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا ، وإن كان هذا الذي يأتيك بما يأتيك رؤيا تراه قد غلب عليك - وكانوا بسمون التابع من الجن الرئي - فرما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعذر فيك . فقال رسول الله ﷺ « ما بني ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فإن قبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » أو كما قال رسول الله ﷺ نسليما فقالوا يا محمد فإن كنت غير قابل منا

نصدقك (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) قرأ أهل الكوفة ويعقوب تفجر بفتح التاء وضم الجيم مخففا لأن ينبوع واحد وقرأ الباقر بالتشديد من التفجير وانفقوا على تشديد قوله (فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) لأن الأنهار جمع والتشديد يدل على التكثير ولقوله تفجيرا من بعد وروى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر بن الحارث وأبا البخثري بن هشام والاسود بن عبد المطلب وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونيبها ومنبها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعدوا إلى محمد فكلوه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعا وهو يظن أنه بدا لهم في أمره بدء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم حتى جلس اليهم فقالوا : يا محمد إنا قد بعثنا إليك لنعذر فيك وأنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء

ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق منا بلاداً ولا أقل مالا ولا أشد عيشاً منا فاسأل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلاداً وليفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخنا صدوقاً فسألهم عما نقول حق هو أم باطل فإن صنعت ما سألتك وصدقك صدقنا وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما نقول . فقال لهم رسول الله ﷺ « ما بهذا بعثت أنما جئتكم من عند الله بما بعثني به فقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لا مر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا فإن لم تفعل لنا هذا فخذ لنفسك فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك ونسأله فيجعل لك جنات وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة وبنيك بها عما نراك تبغى فانك تقوم بالسواق وتلمس المعاش كما تلمسه حتى نعرف فضل منزلتك من ربك إن كنت رسولاً كما تزعم . فقال لهم رسول الله ﷺ « ما أنا بفاعل ما أنا بالذي يسأل به هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لا مر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » قالوا: فأسقط السماء كما زعمت أن ربك أن شاء فعل ذلك فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل . فقال لهم رسول الله ﷺ « ذلك الى الله أن شاء فعل بكم ذلك » فقالوا يا محمد أما علم ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألك عنه ونطلب منك ما نطلب فيقدم اليك ويعلمك ما راجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا إذا لم يقبل منك ما جئتنا به ، فقد بلغنا انه أما بعلمك هذا رجل بالجماعة يقال له الرحمن وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبداً فقد أعذرونا اليك ، يا محمد أما والله لا نتركك وما فعلت بنا حتى نهلكك أو نهلكنا

وعبت الدين وسفقت الاحلام وشتمت الالهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئت فيها بينك وبيننا ، فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا ، وإن كنت تطلب الشرف سودهاك علينا ، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا ، وإن كان هذا الامر الذي بك رئي تراه حتى قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطبع حتى نبرئك منه أو نعذر فيك وكانوا يسمعون التابع في الجن الرئي فقال رسول الله ﷺ « ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان قبلوا مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه علي أصبر لا مر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم » فقالوا يا محمد إن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيق منا بلاداً ولا أشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا ويبسط لنا بلاداً ويفجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخنا

وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله ، وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن همر بن مخزوم وهو ابن عمته عائكة ابنة عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم يقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك ثم سألوك أن تعجل لهم ما يخوفهم به من العذاب فوالله لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ثم ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بصحيفة منشورة ومعك أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول ، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت اني لأصدقك ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا أسفا لما فاتته مما كان طمع فيه من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدهم آياه . وهكذا رواه زياد بن عبد الله البكائي عن ابن اشحاق حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس فذكر مثله سواء . وهذا المجلس الذي اجتمع هؤلاء له لو علم الله منهم انهم يسألون ذلك استرشاداً لأجيئوا اليه ولكن علم انهم انما يطلبون ذلك كفراً وعناداً ، فقيل لرسول الله ﷺ إن شئت أعطيناكم ما سألوا فان كفروا عذبتم عذاباً لا أعذبه أحد من العالمين ، وان شئت فتحت عليهم باب التوبة والرحمة . فقال « بل تفتح عليهم باب التوبة والرحمة » كما تقدم ذلك في حديثي ابن عباس والزبير بن العوام أيضا عند قوله تعالى (وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون *) وآتيناهم نورا مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفا)

وقال تعالى (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً * أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تبعون إلا رجلا مسحوراً *) انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوها فلا يستطيعون سبيلا * تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من

صدوقا فسألهم عن تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك صدقناك ، فقال رسول الله ﷺ ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به ، فان تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه أصبر لأمر الله . قالوا فان لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك وسله أن يجعل لنا جنانا وقصوراً وكنوزاً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك فانك تقوم بالأسواق وتلتبس المعاش كما نلتبسه فقال « ما بعث بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً » قالوا فاسقط السماء كما زعمت أن ربك لو شاء فعل ، فقال « ذلك إلى الله ان شاء فعل ذلك بكم فعله » وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبلا ، فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عائكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا عليك فلم يقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله تعالى فلم تفعل ، ثم سألوك أن تعجل ما يخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً ترقى فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة

ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً * بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً) وقوله تعالى (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً) ينبوع العين الجارية سأله أن يجري لهم عيوناً معيناً في أرض الحجارة ههنا وههنا وذلك سهل على الله تعالى يسير لو شاء لفعله ولا جأهم إلى جميع ما سألوها وطلبوا ولكن علم أنهم لا يهتدون كما قال تعالى (إن الذين حقن عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) وقال تعالى (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا يؤمنوا) الآية

وقوله تعالى (أو تسقط السماء كما زعمت) أي أنك وعدتنا أن يوم القيامة تنشق فيه السماء وتدلى أطرافها ف يجعل ذلك في الدنيا وأسقطها كسفا أي قطعاً كقولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء) الآية ، وكذلك سأل قوم شعيب منه فقالوا (أسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين) فعاقبهم الله بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم ، وأما بني الرحمة وبني التوبة المبعوث رحمة للعالمين فسأل انظارهم وتأجيلهم لعل الله أن يخرج من أصلاهم من من يعبده لا يشرك به شيئاً وكذلك وقم فان من هؤلاء الذين ذكروا من أسلم بعد ذلك وحسن اسلامه حتى عبد الله بن أبي أمية الذي تبع النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قال أسلم اسلاماً تاماً وأتاب إلى الله عز وجل

وقوله تعالى (أو يكون لك بيت من زخرف) قال ابن عباس ومجاهد وقادة هو الذهب ، وكذلك هو في قراءة ابن مسعود أو يكون لك بيت من ذهب (أو ترقى في السماء) أي تصعد في سلم ونحن

معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول ، وإيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزينا لما رأى من مبادئهم فأنزل الله تعالى (وقالوا إن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض) يعني أرض مكة (ينبوعاً) أي عيوناً (أو تكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً) تشقيفاً (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً) قرأنا ف وابن عامر وعاصم بفتح السين أي قطعاً وهي جمع كسفة وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسر ، وقرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد وجمعه اكساف وكسوف أي تسقطها طباقاً واحداً ، وقيل أراد جانباً علينا ، وقيل معناه أيضاً القطع وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر وفي الشعراء وسبأ كسفاً بالفتح حفص ، وفي الروم ساكنة أبو جعفر وابن عامر (أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً) قال ابن عباس كفيلاً ، أي يكفلون بما تقول ، وقال الضحاك ضامناً ، وقال مجاهد هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة ، وقال قتادة عياناً أي نراهم مقابلة أي معاينة ، وقال الفراء هو من قول العرب لقيت فلاناً قبيلاً وقبيلاً أي معاينة (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) تصعد (في السماء) هذا قول عبد الله بن أبي أمية (وإن نؤمن لرقبك) لصعودك (حتى تنزل علينا

نظر اليك (ولن يؤمن لريقك حتى تنزل علينا كتابا قرؤه) قال مجاهد أي مكتوب فيه الى كل واحد واحد صحيفة هذا كتاب من الله لفلان بن فلان تصبح موضوعة عند رأسه ، وقوله تعالى (قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا) أي سبحانه وتعالى وتقدس أن يتقدم أحد بين يديه في أمر من أمور سلطانه وملكوته بل هو الفعال لما يشاء ان شاء أجابكم إلى ما سألتهم وإن شاء لم يجيبكم وما أنا الا رسول اليكم أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وقد فعلت ذلك وأمركم فيما سألتهم الى الله عز وجل قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا علي بن اسحاق حدثنا ابن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي امامة عن النبي ﷺ قال « عرض علي ربي عز وجل لي جعل لي بطحاء مكة ذهابا فقلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما - أو نحو ذلك - فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، واذا شبعت حمدتك وشكرتك » ورواه الترمذي في الزهد عن سويد بن زهير عن ابن المبارك به وقال هذا حديث حسن وعلي بن يزيد يضعف في الحديث

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا (٩٤)

قل لو كان في الارض ملئكة يمشون مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٩٥)
يقول تعالى (وما منع الناس) أي أكثرهم (أن يؤمنوا) ويتابعوا الرسل الا استعجابهم من بعثة البشر رسلا كما قال تعالى (أكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم) وقال تعالى (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهودنا ؟) الآية ، وقال فرعون وملؤه (أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون) وكذلك قالت الامم لرسلم (إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فاثبتونا بسلطان مبين) والآيات في هذا كثيرة ، ثم قال تعالى منبها على لطفه ورحمته بعباده انه يبعث اليهم الرسول من جنسهم ليفقهوا عنه ويفهموا منه لتمكنهم من مخاطبته ومكلمته ولو بعث الى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الاخذ عنه كما قال تعالى (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من

كتابا قرؤه) أمرنا فيه باتباعك (قل سبحان ربي) وقرأ ابن كثير وابن عامر قال يعني محمداً ، وقرأ الآخرون على الأمر أي قل يا محمد (هل كنت إلا بشرا رسولا) أمره بتعظيمه وتمجيده على معنى أنه لو أراد أن ينزل ماطلبوا لفعل ، ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر وما أنا إلا بشر وليس ما سألتهم في طوق البشر ، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يفني عن هذا كله مثل القرآن واشتقاق القمر وتفجير العيون من بين الاصابم وما أشبهها والقوم عامتهم كانوا متعنتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم

قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا) جهلا منهم (أبعث

أنفسهم) وقال تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) وقال تعالى (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحسنة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) فاذكروني أذكركم واشكروني ولا تكفرون) ولهذا قال ههنا (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين) أي كما أنتم فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي من جنسهم، ولما كنتم أنتم بشرأ بعثنا فيكم رسولا منكم لطفنا ورحمة

قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم انه كان بعباده خيرا بصيرا (٩٦)
يقول تعالى مرشداً نبيه ﷺ الى الحجة على قومه في صدق ما جاءهم به انه شاهد على وعليكم، عالم بما جئتم به فلو كنتم كاذبا عليه لانتقم مني أشد الانتقام كما قال تعالى (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وقوله (انه كان بعباده خيرا بصيرا) أي علما بهم بمن يستحق الانعام والاحسان والهداية ممن يستحق الشقاء والاضلال والازاعة ولهذا قال

ومن يهد الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما ما يؤيسهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا (٩٧)

يقول تعالى مخبرا عن تصرفه في خلقه ونفوذ حكمه وأنه لا معقب له بأنه من يهد فلا مضل له ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه أي يهدونهم كما قال (من يهد الله فهو المهتد، ومن يضل

الله بشرأ رسولا) أراد أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر وهلا بعث الله اليناملكا فأجابهم الله تعالى (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئين) مستوطنين مقيمين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم لان القلب الى الجنس أميل منه إلى غير الجنس (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي رسوله اليكم (انه كان بعباده خيرا بصيرا) ومن يهد الله فهو المهتد، ومن يضل فلن تجد لهم أولياء من دونه) يهدونهم (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم)

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح أنا الحسن بن شجاع الصوفي المعروف بابن الموصلي أنبأنا أبو بكر ابن الهيثم ثنا جعفر بن محمد الصائغ ثنا حسين بن محمد ثنا سفيان عن قتادة عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ «إن الذي أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه على وجهه» وجاء في الحديث «إنهم يتقون بوجوههم كل حذب وشوك» (عميا وبكما وصما) فان قيل كيف وصفهم بأنهم عمي وبكم وصم، وقد قال (ورأى المجرمون النار) وقال (دعوا هنالك ثبورا) وقال (سمعوا لها نقيقا وزفيرا) أثبت لهم الرؤية والكلام والسمع؟ قيل يحشرون على ما وصفهم الله ثم تعاد اليهم هذه الاشياء وجواب آخر قال ابن عباس عميا لا يرون ما يسرهم بكالا

فلن نحمد له ولها مرشداً) وقوله (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) قال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا اسماعيل عن نعيم قال سمعت أنس بن مالك يقول: قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟ قال «الذي أمشاهم على أرجلهم قادر على أن يمسيهم على وجوههم» وأخرجاه في الصحيحين وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا الوليد بن جميع القرشي عن أبيه عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة ابن أسيد قال: قام أبو ذر فقال يا بني غفار قولوا ولا تحلفوا فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج، فوج راكبين طامعين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم ونحشرهم إلى النار، فقال قائل منهم هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال «يلقي الله عز وجل الآفة على الظهر حتى إن الرجل لتكون له الحديقة المعجبة فيعطيهما بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها» وقوله (عيا) أي لا يصرون (وبكما) يعني لا ينطقون (وصما) لا يسمعون وهذا يكون في حال دون حال جزاء لهم كما كانوا في الدنيا بكما وعميا وصما عن الحق فجوزوا في محشرهم بذلك أحوج ما يحتاجون إليه (ماوأم) أي منقلبهم ومصيرهم (جهنم كلما خبت) قال ابن عباس سكنت، وقال مجاهد طفت (زدناهم سعيراً) أي لها ووهجا وجهرأ كما قال (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً)

ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاماً ورثتنا أئنا لمبعوثون خلقاً

جديداً (٩٨) أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم ويجعل لهم أجلاً لا ريب فيه، فأبى الظالمون إلا كفوراً (٩٩)

يقول تعالى هذا الذي جازيناهم به من البعث على العمى والبكم والصمم جزاؤهم الذي يستحقونه لأنهم كذبوا (بآياتنا) أي بأدلتنا وحجتنا واستبعدوا وقوع البعث (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورثتنا) أي بالية نخرة (أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً) أي بعد ما صرنا إلى ما صرنا إليه من البلى والهلاك والتفرق والذهاب في الأرض نعاد مرة ثانية فاحتج تعالى عليهم ونبيههم على قدرته على ذلك بأنه خلق السموات

ينطقون بحجة صما لا يسمعون شيئاً بسرهم، وقال الحسن هذا حين يساقون إلى الموقف إلى أن يدخلوا النار، وقال مقاتل هذا حين يقال لهم (اخشوا فيها ولا تكلمون) يصيرون بأجمعهم عمياً وبكماً وصماً لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون

قوله عز وجل «ماوأم جهنم كلما خبت» قال ابن عباس كلما سكنت أي سكن لحيها، وقال مجاهد طفت، وقال قتادة ضعفت وقيل هو المدور من غير أن يوجد نقصان في ألم الكفار لأن الله تعالى قال (لا يفتر عنهم) وقيل كلما خبت أي أرادت أن تخبو «زدناهم سعيراً» أي وقوداً وقيل المراد

والارض فقد رتبته على اعدائهم اسهل من ذلك كما قال (لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس) وقال (اولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهم بقادر على أن يحيي الموتى) الآية وقال (أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (الى آخر السورة) وقال ههنا (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) أي يوم القيامة يعيد أبدانهم وينشئهم نشأة أخرى كما بدأهم ، وقوله (وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه) أي جعل لأعدائهم واقامتهم من قبورهم أجلاً مضروباً ومدة مقدرة لا بد من انقضائها كما قال تعالى (وما تؤخره الا لأجل معدود) وقوله (فأبى الظالمون) أي بعد الحجة عليهم (الا كفوراً) الا تماديا في باطلهم وضلالهم

قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكنكم خشية الانفاق ، وكانت

الانسان قنورا (١٠٠)

يقول تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه قل لهم يا محمد أو أنكم أيها الناس تملكون التصرف في خزائن الله لأمسكنكم خشية الانفاق قال ابن عباس وقتادة أي الفقر أي خشية أن تذهبوها مع أنها لا تفرغ ولا تنفذ أبداً لأن هذا من طباعكم وسجاياكم ولهذا قال (وكان الانسان قنورا) قال ابن عباس وقتادة أي بخيلاً منوعاً وقال الله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً) أي لو أن لهم نصيباً في ملك الله لما أعطوا أحداً شيئاً ولا مقدار نقير والله تعالى يصف الانسان من حيث هو الا من وفقه الله وهداه فان البخل والجزع والهم صفة له كما قال تعالى (ان الانسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً الا المصلين) ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز ويدل هذا على كرمه وجوده واحسانه وقد جاء في الصحيحين يد الله ملائ لا يفيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرايتم ما أنفق منذ خلق السموات والارض فانه لم يفض ما في يمينه »

من قوله كلما خبت أي فضحت جلودهم واحترقت أعينهم فيها إلى ما كانوا عليه وزيد في تفسير النار لتعرقهم ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً أنتم المبعوثون خلقاً جديداً فاجابهم الله تعالى فقال (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض) في عظمتها وشدها (قادر على أن يخلق مثلهم) في صغرهم وضعفهم ، نظيره قوله تعالى (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) (وجعل لهم أجلاً) أي وقتاً لعذابهم (لا ريب فيه) انه يأتيهم قبل هو الموت وقيل هو يوم القيامة (فأبى الظالمون إلا كفوراً) أي جحوداً وعناداً (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي) أي نعمة ربي وقيل رزق ربي (إذا لامسكنم) لبخلهم وجبنهم (خشية الانفاق) أي خشية الفاقة قاله قتادة وقيل خشية النفاق يقال أنفق الرجل أي أملك وذهب ماله ونفق الشيء أي ذهب وقيل لأمسكنكم عن الانفاق خشية الفقر (وكان الانسان قنورا) أي بخيلاً ممسكاً عن الانفاق

ولقد آتينا موسى تسع آيات بينت فسئل بني إسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني
 لأظنك يا موسى مسحورا (١٠١) قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والارض
 بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشبورا (١٠٢) فاراد أن يستغزهم من الارض فأغرقناه ومن
 معه جميعا (١٠٣) وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة
 جئنا بكم لقيفا (١٠٤)

يخبر تعالى أنه بعث موسى بتسع آيات بينات وهي الدلائل القاطعة على صحة نبوته وصدقه فيما
 أخبر به عن إرساله الى فرعون وهي العصا واليد والسنين والبحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع
 والدم آيات مفصلات قاله ابن عباس وقال محمد بن كعب هي اليد والعصا والخس في الاعراف والطمس
 والحجر، وقال ابن عباس أيضا ومجاهد وعكرمة والشعبي وقتادة هي يده وعصاه والسنين ونقص
 الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وهذا القول ظاهر جلي حسن قوي، وجعل الحسن
 البصري السنين ونقص الثمرات واحدة وعنده أن التاسعة هي تلف العصا ما يأفكون (فاستكبروا
 وكانوا قوما مجرمين) أي ومع هذه الايات ومشاهدتهم لها كفروا بها وجمدوا بها واستيقنتها أنفسهم
 ظلما وعلوا وما نجعت فيهم فكذلك لو أجينا هؤلاء الذين سألوا منك ما سألو وقالوا لن نؤمن لك
 حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى آخرها لما استجابوا ولا آمنوا إلا أن يشاء الله كما قال فرعون
 لموسى وقد شاهد منه ما شاهد من هذه الآيات (إني لأظنك يا موسى مسحورا) قيل بمعنى ساحر
 والله تعالى أعلم، فهذه الآيات التسع التي ذكرها هؤلاء الائمة هي المرادة ههنا وهي المعينة في قوله تعالى
 (وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى لا تخف) الى قوله في تسع آيات.

قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ أي دلالات واضحات فهي الآيات التسع
 قال ابن عباس والضحاك هي العصا واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فخلها وقلق البحر والطوفان
 والجراد والقمل والضفادع والدم، وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء هي الطوفان والجراد والقمل
 والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات. وذكر محمد بن كعب القرظي الطمس والبحر
 بدل السنين ونقص من الثمرات. قال فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صارا حجربن والمرأة
 منهم قائمة تحبز وقد صارت حجرا: وقال بعضهم هن آيات الكتاب. أخبرنا ابو سعيد احمد بن ابراهيم
 الشريحي أنا ابو اسحاق احمد بن محمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد الثقفي أنا هارون بن
 محمد بن هارون العطاردي أنا أبو يوسف بن عبد الله بن ماهان ثنا الوليد الطيالسي ثنا شعبة عن عمرو

إلى فرعون وقومه أنهم كانوا قوما فاسقين) فذكر هاتين الآيتين العصا واليد وبين الآيات الباقيات في سورة الاعراف وفصلها، وقد أوتي موسى عليه السلام آيات أخر كثيرة منها ضربه الحجر بالعصا وخروج الماء منه ومنها تظليلهم بالغمام وإنزال المن والساوى وغير ذلك مما أوتوه بنو إسرائيل بعد مفارقتهم بلاد مصر ولكن ذكر ههنا التسم آيات التي شاهدها فرعون وقومه من أهل مصر فكانت حجة عليهم فخافوها وعاندوها كفرا وجحوداً. فأما الحديث الذي رواه الامام أحمد حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت عبد الله بن سلمة يحدث عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال قال يهودي لصاحبه اذهب بنا الى هذا النبي حتى نسأله عن هذه الآية (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) فقال لا تقل له نبي فانه لو سمعك لصارت له أربع أعين فسألاه فقال النبي ﷺ « لا تسركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا بيري. الى ذي سلطان ليقتله ولا تقذفوا بحصنة - أو قال لا تفروا من الزحف شعبة الشاك - وأنتم يا يهود عليكم خاصة أن لا تعدوا في السبت» فقبلا يديه ورجليه وقالوا نشهد أنك نبي قال « فما يمنعكما أن تتبعاني؟ » قالان داود عليه السلام دعا أن لا يزال من ذريته نبي وانا نخشى أن اسلمنا أن تقتلنا يهود. فهذا الحديث رواه هكذا الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن جرير في تفسيره من طرق عن شعبة بن حجاج به وقال الترمذي حسن صحيح. وهو حديث مشكل وعبد الله بن سلمة في حفظه شيء. وقد تكلموا فيه ولعله اشتبه عليه التسم الآيات بال عشر الكلمات فانها وصايا في التوراة لاتعلق لها بقيام الحجة على فرعون والله أعلم. ولهذا قال موسى لفرعون (لقد علمت ما أنزل هؤلاء الا

ابن مرة عن عبد الله بن سلمة عن صفوان بن عسال المرادي أن يهودياً قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل نبي فانه لو سمعك صارت له أربع أعين فأتياه فسألاه عن هذه الآية (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) فقال « لا تسركوا بالله شيئاً ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبري. الى سلطان ليقتله ولا تسرقوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعلكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت» فقبلا يديه وقالوا نشهد أنك نبي قال فما يمنعكما أن تتبعاني قالان داود دعا ربه أن لا يزال من ذريته نبي وانا نخاف ان اتبعناك أن يقتلنا اليهود

قوله عز وجل ﴿ فاستل ﴾ يا محمد ﴿ بني إسرائيل إذ جاءهم ﴾ موسى يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون خطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليقين كذبهم مع قومهم ﴿ فقال له فرعون اني لا ظنك يا موسى مسحوراً ﴾ أي مطبوعاً سحروك قاله السكلي وقال ابن عباس مخدوعاً وقيل مصر وفا عن الحق، وقال الفراء وابو عبيدة ساحراً فوضع المفعول موضع الفاعل، وقال محمد بن جرير معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك ﴿ قال ﴾ موسى ﴿ لقد علمت ﴾ قرأ العامة بفتح التاء خطاباً لفرعون، وقرأ السكستاني بضم التاء ويروى ذلك عن علي وقال لم يعلم الخبيث أن موسى (تفسير ابن كثير والبغوي) (٣١) (الجزء الخامس)

رب السموات والارض بصائر) أي حججها وأدلة على صدق ما جئتكم به (وإني لأظنك يا فرعون مشبوراً) أي هالكاً قاله مجاهد وقادة ، وقال ابن عباس ملعونا ، وقال أيضاً هو والضحاك (مشبوراً) أي مغلوباً والهالك كما قال مجاهد يشمل هذا كله قال الشاعر

إذ أجاري الشيطان في سنن الله ي ومن مال ميله مشبور

بمعنى هالك وقرأ بعضهم برفع التاء من قوله علمت وروي ذلك عن علي بن أبي طالب ولكن قراءة الجمهور بفتح التاء على الخطاب لفرعون (فلما جاءهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) الآية فهذا كله مما يدل على أن المراد بالتسم الآيات إنما هي ما تقدم ذكره من العصا واليد والسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم التي فيها حجج وبراهين على فرعون وقومه وخوارق ودلائل على صدق موسى ووجود النازل المختار الذي أرسله ، وليس المراد منها كما ورد في هذا الحديث فإن هذه الوصايا ليس فيها حجج على فرعون وقومه وأي مناسبة بين هذا وبين إقامة البراهين على فرعون؟ وما جاء هذا الوهم إلا من قبل عبد الله ابن مسلم فإن له بعض ما ينكر والله أعلم ، ولعل ذينك اليهوديين إنما سألا عن العشر الكلمات فاشتبه على الراوي بالتسم الآيات فحصل وهم في ذلك والله أعلم

وقوله (فأراد أن يستفهم من الارض) أي يخلطهم منها ويزيلهم عنها (فأغرقناه ومن معه جميعاً) وقلنا من بعده لبني اسرائيل اسكنوا الارض (وفي هذا بشارة محمد ﷺ بفتح مكة مع أن السورة مكية نزلت قبل الهجرة وكذلك وقع فإن أهل مكة هموا باخراج الرسول منها كما قال تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها) الآيتين ولهذا أورد الله رسوله مكة فدخلها عنوة على أشهر القولين وقهر أهلها ثم أطلقهم حلماً وكرماً كما أورد الله القوم الذين كانوا يستضعفون من

على الحق ولو علم لآ من ولكن موسى هو الذي علم ، وقال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً) وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليها أكثر القراء لأن موسى لا يحتاج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن علي رفع التاء لأنه روي عن رجل من مراد عن علي وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي (ما أنزل هؤلاء) هذه الآيات التسع (إلا رب السموات والارض بصائر) جمع بصيرة أي يبصر بها (وإني لأظنك يا فرعون مشبوراً) قال ابن عباس ملعونا ، وقال مجاهد هالكاً ، وقال قادة مهلكاً وقال الفراء أي مصر وفاقاً ممنوعاً عن الخير يقال مائبرك عن هذا الامر أي مامنعك وصرفك عنه (فأراد أن يستفهم) أي أراد فرعون أن يستفهم موسى وبني اسرائيل أي يخرجهم (من الارض) يعني أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعاً) ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعده) أي من بعده هلاك فرعون (لبني اسرائيل اسكنوا الارض) يعني أرض مصر والشام (فإذا جاء وعد الآخرة) يعني يوم القيامة

(سورة الاسراء ١٧ جزء ١٥) انزال القرآن ونزوله بالحق وارسال الرسول مبشرا ونذيرا ٢٤٣

بني إسرائيل مشارق الارض ومغاربها وأورثهم بلاد فرعون وأموالهم وزروعهم ونمارم وكنوزهم كما قال كذلك وأورثنا بني إسرائيل وقال ههنا (وقلنا من بعده لبني إسرائيل اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيقا) أي جميعكم أنتم وعدوكم ، قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك لفيقا أي جميعا

وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا (١٠٥) وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا (١٠٦)

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وهو القرآن المجيد إنه بالحق نزل أي متضمنا للحق كما قال تعالى (لكن الله يشهد بما أنزل اليك أنزل به علمه والملائكة يشهدون) أي متضمنا علم الله الذي أراد أن يطلعكم عليه من أحكامه وأمره ونهيه ، وقوله (وبالحق نزل) أي ونزل اليك يا محمد محفوظا بحفظ رسا لم يشب بغيره ولا زيد فيه ولا نقص منه بل وصل اليك بالحق فإنه نزل به شديد القوى الامين المكين المطاع في الملأ الاعلى وقوله (وما أرسلناك) أي يا محمد (إلا مبشرا ونذيرا) مبشرا لمن أطاعك من المؤمنين ونذيرا لمن عصاك من الكافرين ، وقوله (وقرآنا فرقناه) أما قراءة من قرأ بالتخفيف فعناه فصلناه من اللوح المحفوظ الى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفردا منجما على الوقائع الى رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة ، قاله عكرمة عن ابن عباس . وعن ابن عباس أيضا أنه قرأ فرقناه بالتشديد أي أنزلناه آية آية مبينا مفسرا ولهذا قال لتقرأه على الناس أي لتبلغه الناس وتتلوه عليهم أي (على مكث) أي مهل (ونزلناه تنزيلا) أي شيئا بعد شيء .

قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان

(جئنا بكم لفيقا) أي جميعا إلى موقف القيامة والليق الجمل الكثير اذا كانوا مختلفين من كل نوع يقال لفت الجيوش إذا اختلفوا وجمع القيامة كذلك فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر ، وقال الكلبي فاذا جاء وعد الآخرة يعني مجي عيسى من السماء جئنا بكم لفيقا أي النزاع من كل قوم من ههنا وههنا لفوا جميعا (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) يعني القرآن (وما أرسلناك إلا مبشرا) للطيبين (ونذيرا) للعاصين (وقرآنا فرقناه) قبل أنزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قراءة ابن عباس وقرآنا فرقناه بالتشديد وقراءة العامة بالتخفيف أي فصلناه وقيل بيناه ، وقال الحسن معناه فرقنا به بين الحق والباطل (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) هذا على طريق الوعيد والتهديد (إن الذين أوتوا العلم من قبله

سُجِّدًا (١٠٧) ويقولون سبحن ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا (١٠٨) ويخرون للأذقان

يكونون ويزيدهم خشوعا (١٠٩)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء الكافرين بما جئتهم به من هذا القرآن العظيم (آمنوا به أو لا تؤمنوا) أي سواء آمنتم به أم لا فهو حق في نفسه أنزل الله ونوه بذكره في سالف الأزمان في كتبه المنزلة على رسوله ، ولهذا قال (ان الذين أوتوا العلم من قبله) أي من صالحى أهل الكتاب الذين تمسكوا بكتابهم وقيمونه ولم يبدلوه ولا حرفوه (إذا يتلى عليهم) هذا القرآن (يخرون للأذقان) جمع ذقن وهو أسفل الوجه (سجداً) أي لله عز وجل شكراً على ما أنعم به عليهم من جعله إياهم أهلاً أن أدركوا هذا الرسول الذي أنزل عليه هذا الكتاب ، ولهذا يقولون (سبحان ربنا) أي تعظيماً وتوقيراً على قدرته التامة وأنه لا يخلف الميعاد الذي وعدهم على السنة الأنبياء المتقدمين عن بعثة محمد ﷺ ولهذا قالوا (سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا)

وقوله (ويخرون للأذقان يكون) أي خضوعاً لله عز وجل وإيماناً وتصديقاً بكتابه ورسوله (ويزيدهم خشوعاً) أي إيماناً وتسليماً كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقوله (ويخرون) عطف صفة على صفة لا عطف السجود على السجود كما قال الشاعر:

الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكنية في المزدحم

قبل هم مؤمنوا أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله ﷺ ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للأذقان) أي يسقطون على الأذقان قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجداً) ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا (أي كائنات واقعاً) ويخرون للأذقان يكون (أي يقعون على الوجوه) يكون والبكاء مستحب عند قراءة القرآن (ويزيدهم) نزول القرآن (خشوعاً) خضوعاً لربه نظيره قوله تعالى (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمرو بن بكر بن محمد المزني ثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسن بن الفضل البجلي أنا عاصم عن علي بن عاصم ثنا المسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن أبي عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا يلج النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا » أخبرنا أبو القاسم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أنا أبو أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان ثنا محمد بن يونس الكرمي أنا عبد الله بن محمد الباهلي ثنا أبو حبيب الغنوي ثنا بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله ﷺ

قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا (١١٠) وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً (١١١)

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين صفة الرحمة لله عز وجل المانعين من تسميته بالرحمن (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى) أي لا فرق بين دعائكم له باسم الله أو باسم الرحمن فانه ذو الاسماء الحسنى كما قال تعالى (هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم - إلى أن قال - له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض) الآية، وقد روى مكحول أن رجلاً من المشركين سمع النبي ﷺ وهو يقول في سجوده «يا رحمن يا رحيم» فقال إنه يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو اثنين فأنزل الله هذه الآية، وكذا روي عن ابن عباس رواهما ابن جرير، وقوله (ولا تجهر بصلاتك) الآية

قال الامام أحمد حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية ورسول الله ﷺ متوار بمكة (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فلما سمع ذلك المشركون سبوا القرآن وسبوا من أنزله ومن جاء به قال فقال الله تعالى لنبيه ﷺ (ولا تجهر بصلاتك) أي بقرائك فيسمع المشركون فيسبون القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم القرآن حتى يأخذوه عنك (وابتغ بين ذلك سبيلا) أخرجاه في الصحيحين من حديث أبي بشر جعفر بن إياس به، وكذا رواه الضحاك عن ابن عباس وزاد فلما هاجر إلى

يقول «حرمت النار على ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله، وعين سهرت في سبيل الله، وعين غضت عن محارم الله»

قوله جل وعلا (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله ﷺ بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده «يا الله يا رحمن» فقال أبو جهل إن محمداً ينهانا عن ألهتنا وهو يدعو الهين فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناه أنهما أيمان لواحد (أيا ما تدعوا) قيل ما صلة معناه أيا تدعوا من هذين الاسمين ومن جميع أسمائه (فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا يعقوب بن إبراهيم ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال نزلت ورسول الله ﷺ مخف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه ﷺ

المدينة سقط ذلك يفعل أي ذلك شاء ، وقال محمد بن اسحاق حدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالقرآن وهو يصلي تفرقوا عنه وأبوا أن يسمعوا منه وكان الرجل إذا أراد أن يسمع من رسول الله ﷺ بعض ما يتلو وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فإذا رأى أنهم قد عرفوا أنه يستمع ذهب خشية أذاهم فلم يسمع فإن خفض صوته ﷺ لم يسمع الذين يستمعون من قراءته شيئا فأنزل الله (ولا تجهر بصلاتك) فبتفرقوا عنك (ولا تخافت بها) فلا يسمع من أراد أن يسمع عن يسترق ذلك منهم فلعله يرعوي إلى بعض ما يسمع فينتفع به (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهكذا قال عكرمة والحسن البصري وقتادة نزلت هذه الآية في القراءة في الصلاة ، وقال شعبة عن أشعث بن سليم عن الأسود بن هلال عن ابن مسعود ولا تخافت بها من أسمع أذنيه قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال نبئت أن أبا بكر كان إذا صلى قرأ خفض صوته وإن عمر كان يرفع صوته فقل لا ينبغي بكر لم نصنع هذا ؟ قال أناجي ربي عز وجل وقد علم حاجتي فقل أحسنت. وقيل لعمر لم تصنع هذا ؟ قال أطرده الشيطان وأوقف الوسنان قبل أحسنت فلما نزلت (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وابتغ بين ذلك سبيلا (قل لا ينبغي بكر أرفع شيئا ، وقيل لعمر اخفض شيئا ، وقال أشعث بن سوار عن عكرمة عن ابن عباس نزلت في الدعاء ، وهكذا روى الثوري ومالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها نزلت في الدعاء ، وكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير وابن عياض ومكحول وعروة بن الزبير ، وقال الثوري عن ابن عباس العامري عن عبد الله بن شداد قال كان أعرابي من بني نعيم إذا سلم النبي ﷺ قال «اللهم ارزقني ابلا وولدا» قال فنزلت هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (قول آخر) قال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص بن غياث عن هشام بن عروة

(ولا تجهر بصلاتك) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن (ولا تخافت بها) عن أصحابك فلا تسمعهم (وابتغ بين ذلك سبيلا) وبهذا الاسناد عن محمد بن اسماعيل قال : ثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر باسناده مثله وزاد (وابتغ بين ذلك سبيلا) أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن. وقال قوم نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة رضي الله عنها والنخعي ومجاهد ومكحول. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا طلق بن غنم ثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قالت أنزل ذلك في الدعاء وقال عبد الله بن شداد كان أعراب من بني نعيم إذا سلم النبي ﷺ قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا فيجهرون بذلك فأنزل الله هذه الآية (ولا تجهر بصلاتك) أي لا ترفع صوتك بقراءة تلك أو بدعائك ولا تخافت بها والخافة خفض الصوت والسكوت وابتغ بين ذلك سبيلا أي بين الجهر والاختفاء. أخبرنا أبو عثمان سعيد بن أم عيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخراعي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ثنا

عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها نزلت هذه الآية في التشهد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) وبه قال حفص عن أشعث بن سوار عن محمد بن سيرين مثله

﴿قول آخر﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تصل مراآة للناس ولا تدعها مخافة الناس، وقال الثوري عن منصور عن الحسن البصري (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال لا تحسن علانيتها وتسي سريرتها وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن الحسن به وهشيم عن عوف عنه به وسعيد عن قتادة عنه كذلك

﴿قول آخر﴾ قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وابتغ بين ذلك سبيلا) قال أهل الكتاب يخافتون ثم يجهر أحدهم بالحرف فيصيح به وبصيحون هم به وراه فيها أن يصيح كما يصيح هؤلاء وأن يخافت كما يخافت القوم ثم كان السبيل الذي بين ذلك الذي سن له جبريل من الصلاة

وقوله (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) لما أثبت تعالى لنفسه الكريمة الاسماء الحسنى نزه نفسه عن النقائص فقال (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) ولم يكن له شريك في الملك بل هو الله الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (ولم يكن له ولي من الدن) أي ليس بذليل فيحتاج إلى أن يكون له ولي أو وزير أو مشير بل هو تعالى خالق الاشياء وحده لا شريك له قال مجاهد في قوله (ولم يكن له ولي من الدن) لم يحالف أحدا ولم يتبع نصر أحد (وكبره تكبيرا) أي عظمه وأجله عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا

قال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني أبو صخر عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية (الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) الآية قال ان اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا وقالت العرب

ابو عيسى الترمذي ثنا محمود بن غيلان ثنا يحيى بن إسحاق ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن أبي رباح الانصاري عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال لأبي بكر «مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض صوتك» فقال اني سمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر «مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك» فقال اني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال «اخفض قليلا»

قوله تعالى ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا﴾ أمر الله نبيه ﷺ بأن يحمده على وحدانيته ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله قال الحسين بن الفضل معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم يتخذ ولدا ﴿ولم يكن له شريك في الملك﴾ ولم يكن له ولي من الدن قال مجاهد: لم يذل حتى يحتاج الى ولي يتعزز به ﴿وكبره تكبيرا﴾ أي وعظمه عن أن يكون له شريك أو ولي أخبرنا الامام أبو علي الحسين ابن محمد القاضي أنا الامام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان ثنا أبو العباس الاصم ثنا محمد بن اسحاق الصفاني ثنا نصر بن حماد أبو الحارث الوراق ثنا شعبة عن حبيب بن أبي ثابت قال سمعت سعيد ابن جبير يحدث عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «أول ما يدعى الى الجنة يوم القيامة

ليتك لا شريك لك الا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. وقال الصائون والمجوس لولا أولياء الله لذل
فأنزل الله هذه الآية (قل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدن
وكبره تكبيراً) وقال أيضاً حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن النبي ﷺ
كان يعلم أهله هذه الآية (الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً) الآية الصغير من أهله والكبير. قلت وقد جاء
في حديث أن رسول الله ﷺ سعى هذه الآية آية العز وفي بعض الآثار أنها ما قرئت في بيت
في ليلة فيصبيه سرق أو آفة والله أعلم

وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا بشر بن سبهان البصري حدثنا حرب بن ميمون حدثنا موسى
ابن عبيدة الزبيدي عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة قال خرجت أنا ورسول الله ﷺ وبه
في يدي أو يدي في يده فأتى على رجل رث الهيئة فقال « أي فلان ما بلغ بك ما أرى » قال
السقم والضر يارسول الله قال « ألا أعلمك كلمات تذهب عنك السقم والضر » قال ما يسرني
أن شهدت بها معك بدراً أو أحداً قال فضحك رسول الله ﷺ وقال « وهل يدرك أهل بدر وأهل
أحد ما يدرك الفقير القائم » قال فقال أبو هريرة يارسول الله إياي فعلمني قال « قل يا أبا هريرة
توكلت على الحي الذي لا يموت الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له ولي من الدن وكبره تكبيراً »
قال فأتى علي رسول الله ﷺ وقد حسنت حالي قال فقال لي « ميم » قال قلت يارسول الله أزل أقول الكلمات
التي علمتني. اسناده ضعيف وفي متنه نكارة والله أعلم

(آخر تفسير سورة سبحان لله الحمد والمنة)

الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أخبرنا أحمد
ابن عبد الله النعمي أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح الحلي أنا أبو الحسن بن بشر أنا إسماعيل بن محمد
الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا أنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة أن عبد الله بن عمر قال :
قال رسول الله ﷺ « الحمد لله رأس الشكر ما شكر الله عبد لا يحمد » أخبرنا أبو الفضل بن زياد
ابن محمد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد الانصاري أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا
يحيى بن خالد بن أيوب الخزومي ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر الخزامي الانصاري عن
طلحة بن خراش عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « إن أفضل الدعاء الحمد لله ، وأفضل
الذكر لا إله إلا الله » أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المايحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم
عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير ثنا منصور عن هلال بن بشار عن
الربيع بن خثيم عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ « أحب الكلام إلى الله تعالى أربع
لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله لا يضررك بأيهن بدأت »

تفسير سورة الكهف وهي مكية

ذكر ماورد في فضلها والعشر الآيات من أولها وآخرها وأنها عصمة من الدجال . قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي اسحاق قال سمعت البراء يقول : قرأ رجل الكهف وفي الدار دابة فجعلت تنفر فنظر فإذا ضباب أو سحابة قد غشيت فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « أقرأ فلان فانها السكينة تنزل عند القرآن أو تنزلت للقرآن » أخرجاه في الصحيحين من حديث شعبة به وهذا الرجل الذي كان يتلوها هو أسيد بن حضير كما تقدم في تفسير سورة البقرة . وقال الامام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث قتادة به ، ولفظ الترمذي « من حفظ ثلاث آيات من أول الكهف » وقال حسن صحيح

(طريق أخرى) قال الامام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شعبة عن قتادة سمعت سالم بن أبي الجعد يحدث عن معدان عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » ورواه مسلم أيضاً والنسائي من حديث قتادة به ، وفي لفظ النسائي « من قرأ عشر آيات من الكهف » فذكره

(حديث آخر) وقد رواه النسائي في اليوم واليلة عن محمد بن عبد الاعلى عن خالد عن شعبة عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قرأ العشر الاواخر من سورة الكهف فانه عصمة له من الدجال » فيحتمل أن سالما سمعه من ثوبان ومن أبي الدرداء . وقال أحمد حدثنا حسين حدثنا ابن لهيعة حدثنا ثوبان بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدمه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نوراً ما بين السماء والارض » انفرد به أحمد ولم يخرجوه .

وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره بإسناد له غريب عن خالد بن سعيد بن أبي مرزوق عن نافع عن ابن عمر قال ، قال رسول الله ﷺ « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه إلى عنان السماء يضيء له يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين » وهذا الحديث في رفعه نظر وأحسن أحواله الوقف . وهكذا روى الامام سعيد بن منصور في سننه عن هشيم بن بشير عن أبي هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق . هكذا وقع موقوفاً ، وكذا رواه الثوري عن أبي هاشم به من حديث أبي سعيد الخدري ، وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي بكر محمد بن

المؤمل حدثنا الفضيل بن محمد الشعراfi حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم حدثنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضأه من النور ما بينه وبين الجمعتين » ثم قال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وهكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في سننه عن الحاكم ، ثم قال البيهقي ورواه يحيى بن كثير عن شعبة عن أبي هاشم بإسناده أن النبي ﷺ قال « من قرأ سورة الكهف كما نزلت كانت له نورا يوم القيامة » وفي المختارة للحافظ الضياء المقدسي عن عبد الله بن مصعب عن منظور بن زيد بن خالد الجهني عن علي بن الحسين عن أبيه عن علي مرفوعا : من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ثمانية أيام من كل فتنة ، وإن خرج الدجال عصم منه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا (١) قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا (٢) مكثين فيه أبدا (٣) وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا (٤) ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا (٥)

قد تقدم في أول التفسير أنه تعالى يحمد نفسه المقدسة عند فوائده الأمور وخواتمها فانه المحمود على كل حال وله الحمد في الأولى والآخرة ولهذا حمد نفسه على أنزاله كتابه العزيز على رسوله الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه فانه أعظم نعمة أنعمها على أهل الأرض إذ أخرجهم به من الظلمات إلى النور حيث جعله كتابا مستقيما لا عوجا فيه ولا زيف بل يهدي إلى صراط مستقيم واضحا بينا جليا نذيرا

﴿ سورة الكهف مكية وهي مائة وأحدى عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ﴾ أثني الله على نفسه بأنعامه على خلقه وخص رسوله ﷺ بالذكر لان أنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم ﴿ ولم يجعل له عوجا ﴾ قيا فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قيا ولم يجعل له عوجا (قيا) أي مستقيما قال ابن عباس عدلا وقال الفراء قيا على الكتب كلها أي مصدقا لها نسخا لشرائعها وقال قتادة ليس على التقديم والتأخير بل معناه أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ولكن جعله قيا

للكافرين بشيراً للمؤمنين ولهذا قال (ولم يجعل له عوجاً) أي لم يجعل فيه اعوجاجاً ولا زيفاً ولا ميلاً بل جعله معتدلاً مستقيماً ولهذا قال (قياً) أي مستقيماً (لينذر بأساً شديداً من لدنه) أي لمن خالفه وكذبه ولم يؤمن به ينذره بأساً شديداً عقوبة عاجلة في الدنيا وآجلة في الآخرة (من لدنه) أي من عند الله الذي لا يعذب عباده أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد (ويبشر المؤمنين) أي بهذا القرآن الذين صدقوا إيمانهم بالعمل الصالح (أن لهم أجراً حسناً) أي مثوبة عند الله جميلة (ما كثر في) في ثوابهم عند الله وهو الجنة خالدين فيه (أبداً) دائماً لا زوال له ولا انتضاء.

وقوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) قال ابن اسحاق وهم مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة وهم بنات الله (ما لهم به من علم) أي بهذا القول الذي افتروه وانتفكوه (ولا لا بائهم) أي لا سلافهم (كبرت كلمة) نصب على التمييز تقديره كبرت كلمتهم هذه وقيل على التعجب تقديره أعظم بكلمتهم كلمة كما تقول أكرم زيد رجلاً قاله بعض البصريين ، وقرأ ذلك بعض قراء مكة كبرت كلمة كما يقال عظم قولك وكبر شأنك ، والمعنى على قراءة الجمهور أظهر فإن هذا تبشيع لمقاتلتهم واستعظام لافكهم ولهذا قال (كبرت كلمة تخرج من أفواههم) أي ليس لها مستند سوى قولهم ولا دليل لهم عليها الا كذبهم وافترائهم ولهذا قال (إن يقولون الا كذباً) وقد ذكر محمد بن اسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال : حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال : بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أخبار يهود بالمدينة فقالوا لهم سلوهم عن محمد ووصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله فأنهم أهل الكتاب الاول وعندهم ما ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى أتيا المدينة فسألوا أخبار يهود عن رسول الله ﷺ ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالوا انكم أهل التوراة وقد جشاكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال فقالوا لهم سلوه عن ثلاث فأمرهم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإلا فرجل متقول فروا في رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان من أمرهم فأنهم قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طواف بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه ، وسلوه عن الروح ما هو ؟ فان أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه وان لم يخبركم فانه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم ، فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا يا معشر قريش قد جشناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد أمرنا أخبار يهود أن نسأله عن أمور فآخبروهم بها فجاءوا رسول الله ﷺ

قوله عز وجل (ولم يجعل له عوجاً) أي مختلفاً على ما قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) وقيل معناه لم يجعله مخلوقاً وروي عن ابن عباس في قوله (قرآناً عربياً غير ذي عوج أي غير مخلوق) لينذر بأساً شديداً أي لينذر بأساً شديداً (من لدنه) أي من عند الله (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً) أي الجنة (ما كثر في) أي مقامين فيه (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً) ولداً ما لهم به من علم ولا لا بائهم أي قالوه عن جهل

فقالوا يا محمد أخبرنا فسالوه عما أمرهم به فقال لهم رسول الله ﷺ « أخبركم غداً عما سألتهم عنه ولم يستثن » فانصرفوا عنه ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له في ذلك وحياً ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء ما سألتناه عنه وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معانيته إياه على حزنه عليهم وخبر مأسأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف ، وقول الله عز وجل (ويستلونك عن الروح؟ قل الروح) الآية

فلعلك باخع نفسك على آثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً (٦) انا جعلنا ماعلى

الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً (٧) وإنا لجاعلون ماعليها صعيداً جزراً (٨) يقول تعالى مسلياً لرسوله صلوات الله وسلامه عليه في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه كما قال تعالى (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) وقال (ولا تحزن عليهم) وقال (لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين) باخع أي مهلك نفسك بحزنك عليهم ولهذا قال (فلعلك باخع نفسك على آثرهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعني القرآن (أسفاً) يقول لانهلك نفسك أسفاً ، قال قتادة قاتل نفسك غضبا وحزنا عليهم ، وقال مجاهد جزعا والمعنى متقارب أي لاأسف عليهم بل أبلغهم رسالة الله فن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا فانية مزينة بزينة زائلة ، وانما جعلها دار اختبار لادار قرار فقال (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً) قال قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بني اسرائيل كانت في النساء » ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها فقال تعالى (وانا لجاعلون ماعليها صعيداً جزراً) أي وانا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار فنجعل كل شيء عليها هالكا صعيداً جزراً لا يثبت ولا ينتفع به كما قال العوفي عن

لاعن علم (كبرت) أي عظمت (كلمة) نصب على التمييز يقال تقديره كبرت الكلمة كلمة وقيل من كلمة فحذف من فانتصب (تخرج من افواههم) أي تظهر من افواههم (إن يقولون) ما يقولون (إلا كذبا * فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على آثرهم) من بعدهم (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) أي القرآن (أسفاً) أي حزنا وقيل غضبا (انا جعلنا ماعلى الارض زينة لها) فان قيل أي زينة في الحيات والعقارب والشياطين قيل فيها زينة على معنى انها تدل على وحدانية الله تعالى وقال مجاهد أراد به الرجال خاصة ثم زينة الارض وقيل أراد بهم العلماء والصلحاء وقيل الزينة بالنبات

ابن عباس في قوله تعالى (وانا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزاً) يقول يهلك كل شيء عليها ويبعد ، وقال مجاهد صعيداً جرزاً بلقعا ، وقال قتادة الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات ، وقال ابن زيد الصعيد الارض التي ليس فيها شيء . ألا ترى الى قوله تعالى [أولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون] وقال محمد بن اسحاق [وانا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزاً] يعني الارض وان ماعليها لغان وبأند ، وان المرجع لألى الله فلا تأمن ولا يحزنك ماتسم وتري

أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا (٩) إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً (١٠) فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً (١١) ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً (١٢)

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف علي سبيل الاجمال والاختصار ثم بسطها بعد

والاشجار والانهار كما قال (حتى إذا أخذت الارض زخرفها وازينت) ﴿ لنبلوهم ﴾ لنختبرهم ﴿ أيهم أحسن عملاً ﴾ أي اصالح عملاً وقيل أيهم انرك للدنيا ﴿ وانا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزاً ﴾ فالصعيد وجه الارض وقيل هو التراب جرزاً يابساً ألس لا ينبت شيئاً يقال جرزت الارض اذا أكل نباتها قوله تعالى ﴿ أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ﴾ يعني أظننت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي هم عجب من آياتنا وقيل معناه أنهم ليسوا بأعجب من آياتنا فان ما خلقت من السموات والارض وما فيهن من العجائب أعجب منهم . والكهف هو الغار في الجبل واختلفوا في الرقيم قال سعيد بن جبير هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الاقوال ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم أي المكتوب والرقم الكتابة . وحكى عن ابن عباس انه قال هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف وعلى هذا هو من رقة الوادي وهو جانبه . وقال كهب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقبل اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف فقال ﴿ إذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ أي صاروا اليه واختلفوا في سبب مصيرهم الى الكهف فقال محمد بن اسحاق ومحمد بن يسار مزج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطفئت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم ولا يترك في قرية نزلها أحداً إلا فتنه حتى يعبد

ذلك فقال (أم حسبت) يعني يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقم كانوا من آياتنا عجبا) أي ليس أمرهم عجيبا في قدرتنا وسلطاننا فإن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والكواكب وغير ذلك من الآيات العظيمة الدالة على قدرة الله تعالى وأنه على ما يشاء قادر ولا يعجزه شيء. أعجب من أخبار أصحاب الكهف كما قال ابن جريج عن مجاهد (أم حسبت أن أصحاب

الاصنام ويذبح للطواغيت أو قتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أقسوس فلما نزلها كبر على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يتبع أهل الايمان فيجمعوا له واتخذ شرطا من الكفار من أهلها يتبعون أهل الايمان في أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت، فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ثم يربط ما قطع من اجسامهم على سور المدينة من نواحيها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة، فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشرف الروم وكانوا ثمانية نفر بكوا وتضرعوا الى الله وجعلوا يقولون (ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا) ان عبدنا غيره اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة، وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعادوا عبادتك. فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا في مصلى لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم ساجدون على وجوههم ييكون ويتضرعون الى الله فقالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك؟ انطلقوا اليه ثم خرجوا فرفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا أنجمع الناس للذبح لآلهتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك بسنيزئون بك ويعصون أمرك. فلما سمع ذلك بعث اليهم فأتي بهم تفيض أعينهم من الدمع مغفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة لسادات من أهل مدينتكم، اختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا وإما أن أقتلكم؟ فقال مكسليينا وهو أكبرهم سنا: إن لنا إلها ملاء السموات والأرض عظمة لن ندعو من دونه إلها أبدا له الحمد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير، فأما الطواغيت فلن نعبد أبدا فأصنع بنا ما بدا لك. وقال أصحاب مكسليينا لدقيانوس مثل ما قال مكسليينا، فلما قالوا ذلك أمر فنزع عنهم لبوسا كان عليهم من لبوس عظامهم ثم قال سأفرغ لكم فأعجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني أن أعجل ذلك لكم إلا أنني أراكم شبانا حديثي أسنانكم فلا أحب أن أهلكم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلية كانت عليهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم، ثم أمرهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم قريبا منهم لبعض أموره، فلما رأى الفتية خروجه بادروا قدومه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم فاثمروا بينهم أن يأخذ كل رجل

الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك ، وقال العوفي عن ابن عباس (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) يقول الذي آتيتك من العلم والسنة والكتاب أفضل من شأن أصحاب الكهف والرقيم ، وقال محمد بن اسحاق ما ظهرت من حججبي على العباد أعجب من شأن أصحاب الكهف والرقيم ، وأما الكهف فهو الغار في الجبل وهو الذي لجأ

منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له مخلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء ، فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل قتي منهم الى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها ، ثم انطلقوا بما بقي معهم وانبعثهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه . قال كهب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه ففعل ذلك مراراً فقال لهم الكلب يا قوم ما تريدون مني لا تخشون جانبي فأنا أحب أحياب الله فناموا حتى أحرسكم . وقال ابن عباس هربوا ليلاً من دقيانوس وكانوا سبعة ففروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد الى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله وجعلوا نفقتهم الى قتي منهم يقال له تملیخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرّاً وكان من أجهلهم وأجلدهم وكان اذا دخل المدينة بضم ثيابا كانت عليه حسانا يأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ ورقة فينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرايا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشي . ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا ، ثم قدم دقيانوس المدينة فأمر عطاء أهلها فذبخوا للطواغيت ففرع من ذلك أهل الايمان وكان تملیخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع الى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل وأخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عطاء المدينة ففرعوا ووقعوا سجوداً يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة . ثم ان تملیخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رءوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رءوسهم وأعينهم تفيض من الدمع فطعموا وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضاً فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم النوم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رءوسهم ، فلما كان من الغد فقدم دقيانوس فالتفتهم فلم يجدهم فقال لبعضهم لقد ساء لي شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا ظنوا أن بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمري ما كنت لأجهل عليهم انهم تابوا وعبدوا آلهتي . فقال عطاء المدينة ما أنت بحقيق أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجملت لهم أجلا ولو شأوا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا ، فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديداً ثم أرسل الى آبائهم فأثنى بهم فسالهم عنهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن فلم نعصك فلم تقلنا بقوم مردة

اليه هؤلاء الفتية المذكورن ، وأما الرقيم فقال العوفي عن ابن عباس هو واد قريب من ايلة وكذا قال عطية العوفي وقتادة . وقال الضحاك أما الكهف فهو غار الوادي والرقيم اسم الوادي ، وقال مجاهد الرقيم كتاب بنيانهم ويقول بعضهم هو الوادي الذي فيه كهفهم وقال عبد الرزاق أخبرنا الثوري عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس في قوله الرقيم كان

قد ذهبوا بأموالنا فأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا وارتقوا الى جبل يدعى بنجلوس . فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم ، وأراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيهما مغشيهما يتقبلون ذات اليمين وذات الشمال ، ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما يندوسيس والآخر رويانس اثمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في التبنين وقالوا لعزل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ففعلا وبنا عليه فبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ، وقال عبيد ابن عمير كان أصحاب الكهف فتيافا مطوقين مسورين ذوي ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عيد لهم عظيم في زبي وموكب وأخرجوا معهم ألحنتهم التي يعبدونها وقد قذف الله في قلوب الفتية الايمان وكان أحدهم وزير الملك فأمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه فقالوا في أنفسهم نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا بصيبتنا عقاب بجرهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر ذلك ثم خرج الآخر فاجتمعوا في مكان فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتى فيخلو بصاحبه ثم يفشي كل واحد منكم سره الى صاحبه ففعلوا فاذا هم جميعا على الايمان واذا كهف في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأتوا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا وفقدتهم قومهم فطلبوهم فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا ليكون لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن . وقال وهب بن منبه جاء حواربي عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له إن على بابها صنما لا يدخلها

يزعم كهب أنها القرية ، وقال ابن جريج عن ابن عباس الرقيم الجبل الذي فيه الكهف ، وقال ابن اسحاق عن عبد الله بن أبي نجیح عن معاهد عن ابن عباس قال اسم ذلك الجبل بنجلوس ، وقال ابن جريج أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبائي أن اسم جبل الكهف بنجلوس واسم الكهف حيزم والكلب حمران .

أحد إلا يسجد له فكره أن يدخلها فأنى حماما قرييما من المدينة فكان يؤاجر نفسه من الحمامي ويعمل فيه ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة واجتمع عليه فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه وكان شرط صاحب الحمام أن الليل لي لا يحول بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فغيره الحواري وقال أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستعيا وذهب فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسببه وانهره ولم يلتفت الى مقاتته حتى دخلا معا فماتا في الحمام ، وأتى الملك فقيل له قتل صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه وهرب فقال من كان يصحبه ؟ فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فرأوا بصاحب لهم على مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعه كلب حتى آواهم الليل الى الكهف فدخلوه وقالوا نبيت ههنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم ففرض الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه يبتغونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف فلما أراد رجل منهم دخوله أربع فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل منهم أليس لو قدرت عليهم قتلهم ؟ قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتون جوعا ففعل قال وهب فغير بعد ماسدوا عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمي فيه من المطر فأكنه من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا

وقال محمد بن اسحاق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له يندوسيس فلما ملك بقي في ملكه ثمانيا وستين سنة فتحزب الناس في ملكه فكانوا أحزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فبكى وتضرع الى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لآ حياة إلا حياة الدنيا وإنما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فجعل يندوسيس يرسل الى من يظن فيهم خيرا وأنهم أئمة في الخلق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فجلس عليه فدأب ليله ونهاره زمانا يتضرع الى الله تعالى ويكي كنه ويقول : أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث اليهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه . ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويحلمهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح يندوسيس

وقال عبد الرزاق أنبأنا امرأئيل عن سمالك عن عكرمة عن ابن عباس قال القرآن أعلمه الاحنا
والاواه والرقيم ، وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة يقول قال ابن عباس ما
أدري ما الرقيم كتاب أم بنيان ؟

وبتم نعمته عليه وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالتقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد
الذي فيه الكهف وكان اسم ذلك الرجل أرياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبني
به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلوا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى نزعا ما على
فم الكهف وفتحوا باب الكهف وحجبتهم الله عن الناس بالرب ، فلما فتحت أبواب الكهف أذن الله ذوالقدرة
والسلطان محيي الموتى للأتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم
فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليلتهم
ثم قاموا إلى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهيئتهم
حين رقدوا وهم يرون أن دقيانوس في طلبهم . فلما قضوا صلاتهم قالوا لتلميذنا صاحب نفقاتهم أنبئنا
ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا
يرقدون وقد تخيل اليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى نساءوا بينهم فقال بعضهم لبعض
كم لبثتم نياما ؟ قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال
لهم تلميذنا المنتم في المدينة فلم توجدوا وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتذبجون للطواغيت أو يقتلكم
فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلينا يا اخوتاه اعلوا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم
إذا دعاكم عدو الله . ثم قالوا لتلميذنا انطلق إلى المدينة فتسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر عند
دقيانوس وتلطف ولا تشعن بك أحداً وابتم لنا طعاما فائتنا به وزدنا على الطعام الذي
جئتنا به فقد أصبحنا جوعا ففعل تلميذنا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان
يتنكر فيها وأخذ ورقا من نفقاتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس فكانت كخفاف
الريم والربع أول ما ينتج من ولد الضأن في الرعي . فانطلق تلميذنا خارجا فلما مر بياب الكهف
رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا
يصد عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل
ذلك بثلاثمائة سنة فلما أتى تلميذنا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة تكون
لأهل الإيمان إذا كان أمر الإيمان ظاهراً فيها ، فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفيا وجعل
ينظر يمينا وشمالا ثم ترك ذلك الباب فتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يخيل إليه
أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناسا كثيرين محدثين لم يكن برأى قبل ذلك فجعل يمشي
ويتعجب ويخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الرقيم الكتاب ، وقال سعيد بن جبير الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف
وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الرقيم الكتاب ثم قرأ كتاب مرقوم ، وهذا هو الظاهر من الآية وهو اختيار ابن جرير قال الرقيم فعيل بمعنى مرقوم كما يقال للمقتول قتيل والمجروح جريح والله

يأليت شعري ما هذا ؟ أما عشية أمس فكان المسلمون يجلبثون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلنا نرى انه ليس بناثم ، فأخذ كساءه وجهه على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين ظهراني سوقها فيسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى انه حيران فقام مسندا ظهره الى جدار من جدر المدينة وقال في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فلبس على ظهر الارض انسان يذكر عيسى بن مريم إلا قتل وأما الغداة فاسمعهم وكل انسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف أحدا ، ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا فقام كالخيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى ؟ قال اسمها افسوس . فقال في نفسه لعل بي مسأ أو أمراً أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزي فيها أو يصيبني شر فأهلك ثم انه أفاق فقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يظن بي لكان أكيس بي ، فدنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاهم رجلا منهم فقال بعني بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل فنظر الى ضرب الورق ونقشها فمجب منها ثم طرحها الى رجل آخر من أصحابه فنظر اليها فجعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتمتعون منها ثم جعلوا ينشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض ان هذا أصاب كنزاً خبيثاً في الارض منذ زمان ودهر طويل . فلما رأهم تملخا ينشاورون من أجله فرق فرقا شديداً وجعل يرتعد ويطن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق منهم أفضلوا علي قد أخذتم ورقي فامسكوها وأما طعامكم فلا حاجة لي به ؟ فقالوا له من أنت يا فتى وما شأنك والله قد وجدت كنزاً من كنوز الاولين وأنت تريد أن تخفيه منا فانطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل فأت بك الى السلطان فنسلمك اليه فيقتلك . فلما سمع قولهم قال في نفسه قد وقعت في كل شيء . كنت أحذر منه ، فقالوا يا فتى انك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت . فجعل تملخا لا يدري ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يحير اليهم شيئاً ، فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع اليه أهل المدينة صغيرهم وكبيرهم فجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأيناه فيما قط وما نعرفه قط ، فجعل تملخا لا يدري ما يقول لهم ، فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق وسكت فلم يتكلم وكان مستبقنا ان أباه واخوته

أعلم ، وقوله (إذ أوى الفتية إلى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً)
 يخبر تعالى عن أولئك الفتية الذين فروا بدينهم من قومهم لئلا يقتلهم عنه فهربوا منهم فلبثوا إلى غار
 في جبل ليخفوا عن قومهم فقالوا حين دخلوا سائلين من الله تعالى رحمته ولطفه بهم (ربنا آتنا من

بالمدينة وان حسبه ونسبه من أهل المدينة من عطاء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا به ، فبينما هو قائم
 كالخيران ينتظر من يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم اذ اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة
 ومديرها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر ططيوس ،
 فلما انطلق به اليهما ظن تلميذا انه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس
 يسخرون منه كما يسخرون من المجنون وجعل تلميذا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء فقال في نفسه اللهم
 إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم علي صبراً وأولج معي روحاً منك تؤيدني به عند هذا الجبار ، وجعل
 يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين اخوتي ياليتهم يعلمون ما ليقت ياليتهم يأتوني فقوم جميعاً بين
 يدي هذا الجبار فانا كنا تواقنا لنكون معاً لانكفر بالله ولا نشرك به شيئاً ، فرق بيني وبينهم فلن
 يروني ولن أرهم أبداً وكنا تواقنا أن لا نفرق في حياة ولا موت أبداً . يحدث به نفسه تلميذا فما يخبر
 أصحابه حين يرجع اليهم حتى انتهوا إلى الرجلين الصالحين أريوس وططيوس ، فلما رأى تلميذا انه
 لا يذهب به إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء فأخذ أريوس وططيوس الورق فنظرا إليها وعجبا
 منها ثم قال له أحدهما أين الكنز الذي وجدت يافتي ؟ فقال تلميذا ما وجدت كنزاً ولكن هذا ورق
 أبائي وقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأني وما أقول لكم . فقال أحدهما فن أنت ؟
 فقال تلميذا أما أنا فكنت أرى أني من أهل هذه المدينة . فقال ومن أبوك ومن يعرفك فيها ؟ فأجابهم
 باسم أبيه فلم يجدوا أحداً يعرفه ولا أباه ، فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لاتبئنا بالحق فلم يدر
 تلميذا ما يقول لهم غير انه نكس بصره إلى الأرض ، فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون ، وقال بعضهم
 ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه عمداً لكي يفلت منكم . فقال له أحدهما ونظر إليه نظراً شديداً
 أنظن أنا نرسلك ونصدقك بأن هذا مال أبيك وقش هذه الورق وضربها أكثر من ثمانية ستة
 وانما أنت غلام شاب أنظن انك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شعث كما ترى وحولك سراة أهل
 المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وإني
 لاظنني سأمر بك فتعذب عذاباً شديداً ثم أوثقك حتى تعرف بهذا الكنز الذي وجدته . فلما قال
 ذلك قال لهم تلميذا أنبئوني عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي . قالوا سل لانكتمك
 شيئاً . قال لهم ما فعل الملك دقيانوس ؟ قالوا لانعرف اليوم على وجه الأرض ملكاً يسمى دقيانوس
 ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة . فقال تلميذا اني إذا
 لخيران وما يصدقني أحد من الناس بما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وهو الاسلام وإن الملك

لذلك رحمة) أي هب لنا من عندك رحمة ترحمنا بها وتسرننا عن قومنا (وهي) لنا من أمرنا رشداً أي وقدّر لنا من أمرنا هذا رشداً أي اجعل عاقبتنا رشداً كما جاء في الحديث «وما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشداً» وفي المسند من حديث بسر بن أرطاة عن رسول الله ﷺ أنه كان يدعو «اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة»

أكرهنا على عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فنمنا فلما انتبهنا خرجت لاشترى لهم طعاماً وأنجس الاخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف أريكم أصحابي. فلما سمع أريوس ما يقول تلميذا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه برنا أصحابه. فانطلق معه أريوس وطيطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو الكهف لينظروا اليهم، ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تلميذا قد احتبس عنهم بطعامهم وشراهم عن القدر الذي كان يأتي به ظنوا أنه قد أخذ فذهب به الى ملكهم دقيانوس، فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الاصوات وجلب الخيل مصعدة نحوهم فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث اليهم ليؤتيهم، فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضاً وقالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تلميذا فانه الآن بين يدي الجبار ينتظر متى تأتبه، فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهري الكهف لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوا على باب الكهف وسبقهم تلميذا فدخل عليهم وهو يبكي، فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سأله عن شأنه فأخبرهم وقص عليهم القصة والنبأ كله ففرغوا عند ذلك انهم كانوا نياماً ذلك الزمان كله بأمر الله وانما أوقفوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث ولعلوا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ثم دخل على أثر تلميذا أريوس فرأى تابوتا من نحاس محتوماً بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجلاً من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوباً فيهما ان مكسلينا وتلميذا ومرطونس وكشطونس ويبرونس وديموس وبطيوس والكلب اسمه قطير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم لعلهم من بعدهم إن عثر عليهم. فلما قرءوه عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الى الكهف فوجدوهم جلوساً بين ظهريهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم، فخر أريوس وأصحابه سجوداً وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضاً وأنبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس، ثم ان أريوس وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح بندوسيس أن عجل لعلك تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نوراً وضياء وتصديقا للبعث فاعجل الى فتية بعثهم الله عز وجل وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة. فلما أتى الملك الخبر رجع اليه عقاله وذهب عنه غم

وقوله (فضر بنا على آذانهم في الكهف سنين عددا) أي القينا عليهم النوم حين دخلوا الى الكهف فناموا سنين كثيرة (ثم بعثناهم) أي من رقدتهم تلك وخرج أحدهم بدرهم معه ليشتري لهم به أطعاما يأكلونه كما سيأتي بيانه وتفصيله ، ولهذا قال (ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين) أي المختلفين فيهم (أحصى

فقال أحمد الله رب السموات والارض وأعبدك وأسبح لك تطولت علي ورحتني فلم تطفئ النور الذي كنت جعلته لآبائي وللعبد الصالح قطنطينوس الملك ، فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا مدينة دقوس فلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف فلما رأى الفتية يندوسيس فرحوا به وخرجوا سجداً على وجوههم وقام يندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية لندوسيس نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ مملكك ونعيزك بالله من شر الانس والجن ، فبينما الملك قائم إذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفي الله أنفسهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما أمسى ونام أتوه في المنام فقالوا له اننا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكننا خلقنا من تراب وإلى التراب نصير فاتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه . فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبههم الله حين خرجوا من عندهم بالعرب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم ، فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجداً يصلي فيه وجعل لهم عيداً عظيماً وأمر أن يؤتى كل سنة . وقيل ان تلميذاً لما حمل الى الملك الصالح قال له الملك من أنت ؟ قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر انه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع ان فتية فقدوا في الزمن الاول وان أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة فدعا باللوحة ونظر في أسماءهم فاذا هو من أولئك القوم وذكر أسماء الآخرين فقال تلميذاً هم أصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تلميذاً دعوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم فانهم ان رأوكم معي ارجعتموهم فدخل فبشروهم فقبض الله أرواحهم وأعمى عليهم أثرهم فلم يهتدوا اليهم مرة ثانية وذلك قوله عز وجل ﴿ اذ أوى الفتية الى الكهف ﴾ أي صاروا الى الكهف يقال أوى فلان الى موضع كذا أي اتخذوه منزلاً ، الى الكهف وهو غار في جبل تنلوس واسم الكهف جبرم ﴿ فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة ﴾ ومعنى الرحمة الهداية في الدين وقيل الرزق ﴿ وهبي لنا ﴾ يسر لنا ﴿ من أمرنا ﴾ أي ما نلتبس من خير رضاك وما فيه رشدنا وقال ابن عباس (رشداً) أي يخرجنا من الغار في سلامة ﴿ فضر بنا على آذانهم ﴾ أي أعمى أيمانهم وألقينا عليهم النوم ، وقيل معناه منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم اذا سمع الصوت ينتبه ﴿ في الكهف سنين عدداً ﴾ أي أيمانهم سنين معدودة وذكر العدد على سبيل التأكيد ، وقيل ذكره يدل على الكثرة فان القليل لا يعد في العادة ﴿ ثم بعثناهم ﴾ يعني من نومهم ﴿ لنعلم ﴾ أي علم المشاهدة ﴿ أي الحزبين ﴾ أي الطائفتين

لما لبثوا أمداً) قيل عدداً ، وقيل غاية فإن الامة الغاية كقوله * سبق الجواد إذا استولى على الامم *

نحن نقص عليك نبأهم بالحق لانهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى (١٣) وربطنا على

قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً

شعطاً (١٤) هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن

افترى على الله كذباً (١٥) وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم

ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقاً (١٦)

من ههنا شرع في بسط القصة وشرحها فذكر تعالى أنهم فتية وهم الشباب وهم أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى وأرسوله ﷺ شباباً ، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يسلم منهم إلا القليل ، وهكذا أخبر تعالى عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً ، وقال مجاهد بلغني أنه كان في اذان بعضهم القرطة يعني الخلق فآلهمهم الله رشدتهم وآتاهم تقواهم فأمنوا بربهم أي اعترفوا له بالوحدانية وشهدوا أنه لا إله إلا هو (وزدناهم هدى) استدلل بهذه الآية وأمثالها غير واحد من الائمة كالبخاري وغيره ممن ذهب الى زيادة الايمان وتفاضله وأنه يزيد وينقص ، ولهذا قال تعالى (وزدناهم هدى) كما قال (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) وقال (فأما الذين آمنوا فزادناهم إيماناً وهم يستبشرون) وقال (ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم) الى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك . وقد ذكر أنهم كانوا على دين المسيح عيسى بن مريم ﷺ فآلهمهم الله أعلم ، والظاهر أنهم كانوا قبل ملة النصرانية بالكلية فانهم لو كانوا على دين النصرانية لما اعتنى أخبار اليهود بحفظ خبرهم وأمرهم لمباينتهم لهم

وقد تقدم عن ابن عباس أن قريشاً بعثوا إلى أخبار اليهود بالمدينة يطلبون منهم أشياء يتمتعون بها رسول الله ﷺ فبعثوا اليهم أن يسألوه عن خبر هؤلاء وعن خبر ذي القرنين وعن الروح فدل

أحصى لما لبثوا أمداً) وذلك أن أهل القرية تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف واختلفوا في قوله (أحصى لما لبثوا) أحفظ لما مكثوا في كهفهم نيماً (أمداً) أي غاية ، وقال مجاهد عدداً ونصبه على التفسير قوله تعالى (نحن نقص عليك) نقرأ عليك (نبأهم) خبر أصحاب الكهف (بالحق) بالصدق (انهم فتية) شبان (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) إيماناً وبصيرة (وربطنا) شددنا (على قلوبهم) بالصبر والثبوت وقويانهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفص العيش وفروا بدينهم الى الكهف (إذ قاموا) بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم

هذا علي أن هذا أمر محفوظ في كتب أهل الكتاب وأنه متقدم على دين النصرانية والله أعلم . وقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض) يقول تعالى وصبرناهم على مخالفة قومهم ومدينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمة فانه قد ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف انهم كانوا من أبناء ملوك الروم وسادتهم وانهم خرجوا يوماني بعض أعياد قومهم وكان لهم مجتمع في السنة يجتمعون فيه في ظاهر البلد ، وكانوا يعبدون الاصنام والطواغيت ويدبحون لها وكان لهم ملك جبار عنيد يقال له دقيانوس وكان يأمر الناس بذلك ويحثهم عليه ويدعوهم اليه فلما خرج الناس لمجتمعهم ذلك وخرج هؤلاء الفتية مع آبائهم وقومهم ونظروا إلى ما يصنع قومهم بعين بصيرتهم عرفوا أن هذا الذي يصنعه قومهم من السجود لاصنامهم والذبح لها لا ينبغي إلا لله الذي خلق السموات والارض فجعل كل واحد منهم يتخلص من قومه وينحاز منهم ويتبرز عنهم ناحية فكان أول من جلس منهم وحده أحدهم جلس تحت ظل شجرة فجاء الآخر فجلس إليها عنده وجاء الآخر فجلس إليهم وجاء الآخر وجاء الآخر ولا يعرف واحد منهم الآخر وإنما جمعهم هناك الذي جمع قلوبهم على الإيمان كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري تعليقا من حديث يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث سهيل عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ والناس يقولون الجنسية علة الضم . والغرض ان كل أحد منهم يكتم ما هو عليه عن أصحابه خوفا منهم ولا يدري أنهم مثله حتى قال أحدهم تعلمون والله يا قوم انه ما أخرجكم من قومكم وأفردكم عنهم إلا شي ، فليظهر كل واحد منكم في أمره . فقال آخر أما أنا فاني والله رأيت ما قومي عليه فعرفت انه باطل وإنما الذي يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به شيئا هو الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما ، وقال الآخر وأنا والله وقم لي كذلك ، وقال الآخر كذلك حتى توافقوا كلهم على كلمة واحدة فصاروا ببدأ واحدة وإخوان صدق فاتخذوا لهم معبداً يعبدون الله فيه فعرف بهم قومهم فوشوا بأمرهم إلى ملكهم فاستعصمهم بين يديه فسألهم عن أمرهم وما هم عليه فأجابوه بالحق ودعوه إلى الله عز وجل ولهذا أخبر تعالى عنهم بقوله (وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا

﴿ فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه إلها ﴾ قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاوثان ﴿ لقد قلنا اذا شططا ﴾ يعني ان دعونا غير الله لقد قلنا اذا شططا ، قال ابن عباس جوراً ، وقال قتادة كذباً ، وأصل الشطط والاشطاط مجاوزة القدر والافراط

قوله ﴿ هؤلاء قومنا ﴾ يعني أهل بلادهم ﴿ اتخذوا من دونه ﴾ أي من دون الله ﴿ آلهة ﴾ يعني الاصنام يعبدونها ﴿ لولا ﴾ أي هلا ﴿ يأتون عليهم ﴾ أي على عبادتهم ﴿ بسطان بين ﴾ بحجة واضحة ﴿ فن أنظلم من افترى على الله كذباً ﴾ وزعم أن له شريكاً أو ولداً ثم قال بعضهم لبعض ﴿ وإذا عثر لقومهم ﴾

رب السموات والارض ان ندعو من دونه إلهاً) ولن لنني التأيد أي لا يقع مناهذا أبداً لأننا لو فعلنا ذلك لكان باطلاً ولهذا قال عنهم (لقد قلنا إذا شططاً) أي باطلاً وكذباً بهتاناً (هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين) أي هلا أقاموا على صحة ما ذهبوا اليه دليلاً واضحاً صحيحاً (فن أظلم من اقترى على الله كذباً) يقولون بل هم ظالمون كاذبون في قولهم ذلك فيقال ان ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبي عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه ، وكان هذا من لطف الله بهم فانهم في تلك النظرة توصلوا إلى الحرب منه والفرار بدينهم من الفتنة وهذا هو المشروع عند وقوع الفتن في الناس أن يفر العبد منهم خوفاً على دينه كما جاء في الحديث «يوشك أن يكون خير مال أحدكم غنماً يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن» ففي هذه الحال تشرع العزلة عن الناس ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع فلما وقع عزمهم على الذهاب والحرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله (وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله) أي وإذا فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقتوهم أيضاً بأديانكم (فأتوا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته) أي يبسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم ويهيئ لكم من أمركم الذي أنتم فيه مرفقا أي أمراً ترتفقون به فعند ذلك خرجوا هرباً إلى الكهف فأووا إليه ففقدتهم قومهم من بين أظهرهم وتطلبهم الملك فيقال أنه لم يظفر بهم وعصى الله عليه خبرهم كما فعل بنبيه محمد ﷺ وصاحبه الصديق حين لجأ إلى غار ثور وجاء المشركون من قريش في الطلب فلم يهتدوا إليه مع أنهم يمرون عليه وعندها قال النبي ﷺ حين رأى جزع الصديق في قوله يارسول الله لو أن أحدهم نظر إلى موضع قدميه لأبصرنا فقال «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» وقد قال تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فنزل الله سكينة عليه وأيده بمجنود لم نزوها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) فقصه هذا الغار أشرف وأجل وأعظم وأعجب من قصة أصحاب الكهف ، وقد قيل إن قومهم ظفروا بهم ووقفوا على باب الغار الذي دخلوه فقالوا ما كنا يعني قومكم (وما يعبدون إلا الله) قرأ ابن مسعود وما يعبدون من دون الله ، وأما القراءة المعروفة فعنها أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان ، ويقول إذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون إلا الله فانكم لم تعتزلوا عبادته (فأتوا إلى الكهف) فالتجأوا إليه (ينشر لكم) يبسط لكم (ربكم من رحمته) ويهيئ لكم (من أمركم مرفقا) أي ما يهود اليه يسركم ويرفقكم ، قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر (مرفقا) بفتح الميم وكسر الفاء ، وقرأ الآخرون بكسر الميم وفتح الفاء ومعناها واحد وهو ما يرتفق به الإنسان

نريد منهم من العقوبة أكثر مما فعلوا بأنفسهم فأمر الملك بردم بابهم عليهم ليهلكوا مكانهم ففعلوا ذلك ، وفي هذا نظر والله أعلم . فان الله تعالى قد أخبر أن الشمس تدخل عليهم في الكهف بكرة وعشيا كما قال تعالى .

وترى الشمس اذا طلعت تزور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات

الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيت الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له

وليا مرشدا (١٧)

فهذا فيه دليل على أن باب هذا الكهف كان من نحو الشمال لانه تعالى أخبر أن الشمس اذا دخلته عند طلوعها تزاور عنه (ذات اليمين) أي يتقلص اليه . ينة كما قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة (تزاور) أي تميل وذلك أنها كلما ارتفعت في الافق تقلص شعاعها بارتفاعها حتى لا يبقى منه شيء عند الزوال في مثل ذلك المكان ، ولهذا قال (واذا غربت تقرضهم ذات الشمال) أي تدخل إلى غارهم من شمال بابهم وهو من ناحية المشرق فدل على صحة ما قلناه وهذا بين لمن تأمله وكان له علم بمعرفة الهيئة وسير الشمس والقمر والكواكب ، ويانه أنه لو كان باب الغار من ناحية الشرق لما دخل اليه منها شيء عند الغروب ولو كان من ناحية القبلة لما دخل منها شيء عند الطلوع ولا عند الغروب ولا تزاور اليه يمينا ولا شمالا ولو كان من جهة الغرب لما دخلته وقت الطلوع بل بعد الزوال ولم تزل فيه إلى الغروب فتعين ما ذكرناه والله الحمد ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة تقرضهم تتركهم ، وقد أخبر الله تعالى بذلك وأراد منا فهمه وتدبره ولم يخبرنا بمكان هذا الكهف في أي البلاد من الارض إذ لا فائدة لنا فيه ولا قصد شرعي ، وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالا فتقدم عن ابن عباس أنه قال هو قريب من أيلة ، وقال اسحاق هو عند نينوى وقيل ببلاد الروم وقيل ببلاد البلقاء والله أعلم بأي بلاد الله هو . ولو كان فيه مصلحة دينية لارشدنا الله تعالى ورسوله اليه فقد قال ﷺ « ما

قوله تعالى ﴿ وترى الشمس اذا طلعت تزاور ﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب زور بسكون الزاي وتشديد الراء على وزن نحر ، وقرأ أهل الكوفة بفتح الزاي خفيفة وألف بعدها ، وقرأ الآخرون بتشديد الزاي وكلها بمعنى واحد أي تميل وتعدل ﴿ عن كهفهم ذات اليمين ﴾ أي جانب اليمين ﴿ واذا غربت تقرضهم ﴾ أي تتركهم وتعدل عنهم ﴿ ذات الشمال ﴾ أصل القرض القطع ﴿ وهم في فجوة منه ﴾ أي متسم من الكهف وجمعها فجوات ، قال ابن قتبية كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيما بين ذلك قالوا اختار الله لهم مضطجعا في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحر ها وتغير ألوانهم وهم في متسع ينالهم برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم كرب الغار وغمومه

تركت شيئا يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد أعلمتكم به فأعلمنا تعالى بصفته ولم يعلمنا مكانه فقال (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم) قال مالك عن زيد بن أسلم تميل (ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه) أي في منقسم منه داخلا بحيث لا تصيبهم إذ لو أصابهم لأحرقت أبدانهم وثيابهم قاله ابن عباس (ذلك من آيات الله) حيث أرشدهم إلى هذا الغار الذي جعلهم فيه أحياء والشمس والريح تدخل عليهم فيه لتبقى أبدانهم، ولهذا قال تعالى (ذلك من آيات الله - ثم قال - من يهد الله فهو المهتد) الآية أي هو الذي أرشد هؤلاء الفتيه إلى الهداية من بين قومهم فإنه من هداه الله اعتدى ومن أضله فلا هادي له

وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم بأسط ذراعيه

بالوصيد لو اطلعت عليهم لو ليت منهم فرارا ولمثلث منهم رعبا (١٨)

ذكر بعض أهل العلم أنهم لما ضرب الله على آذانهم بالنوم لم تنطبق أعينهم لئلا يسرع إليها البلى فإذا بقيت ظاهرة للهواء كان أبى لها، ولهذا قال تعالى (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) وقد ذكر عن الذئب أنه ينام فيطبق عيناه ويفتح عيناه ثم يفتح هذه ويبقى هذه وهو راقد كما قال الشاعر:

ينام باحدى مقلتيه ويتقي باخرى الرزايا فهو يقظان نائم

وقوله تعالى (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال بعض السلف يقلبون في العام مرتين قال ابن عباس لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض وقوله (وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد) قال ابن عباس وعجابه

وقال بعضهم هذا القول خطأ وهو أن الكف كان مستقبل بنات نعل الشمس فكانت الشمس لا تقع عليهم، ولكن الله صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم ألا ترى أنه قال (ذلك من آيات الله) من عجائب صنع الله ودلالات قدرته التي يعتبر بها (من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل) أي من يضله الله ولم يرشده (فلن نجد له وليا) معينا (مرشدا)

قوله تعالى (وتحسبهم أيقاظا) أي منتبهين جمع يقط ويقظ (وهم رقود) نيام جمع راقد مثل قاعد وقعود وإنما اشتبه حالهم لأنهم كانوا مفتحة أعينهم ينفسون ولا يتكلمون (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) مرة للجنب الايمن ومرة للجنب الايسر، قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الارض لحومهم، وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم، وقال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقلبان (وكلهم بأسط ذراعيه بالوصيد) أكثر أهل التفسير على أنه كان من من جنس الكلاب، وروي عن ابن جريج أنه كان أسداً وسمي الاسد كلباً فإن النبي ﷺ دعا على عتبة بن أبي لهب فقال «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فافترسه أسد والاول المعروف. قال ابن عباس كان كلباً أغر، وروى عنه فوق القلطي ودون الكرزي، والقلطي كلب صيني، وقال مقاتل

وسعيد بن جبير وقتادة الوصيد الفناء ، وقال ابن عباس بالباب وقيل بالصعيد وهو الثراب والصحيح أنه بالفناء وهو الباب ومنه قوله تعالى (إنها عليهم موصدة) أي مطبقة مغلقة ويقال وصيد وصيد وأصيد ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب ، قال ابن جريج يهرس عليهم الباب وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض بيباهم كأنه يحرسهم وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كما ورد في الصحيح ولا صورة ولا جنب ولا كافر كما ورد به الحديث الحسن . وشملت كلبهم بركنهم فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذا فائدة صحيحة لا خيار فانه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن . وقد قيل انه كان كلب صيد لا حدم وهو الاشبه وقيل كلب طباطخ الملك وقد كان واقفهم على الدين وصحبه كلب والله أعلم ، وقد روى الحافظ بن عساكر في ترجمة همام بن الوليد الدمشقي حدثنا صدقة بن عمر الفسائي حدثنا عباد المنقري سمعت الحسن البصري يقول كان امير كلب ابراهيم عليه الصلاة والسلام جرير واسم هدهد سليمان عليه السلام عنقز واسم كلب أصحاب الكهف قطمير واسم عجل بني اسرائيل الذي عبده بهموت . وهبط آدم عليه السلام بالهند وحواء بمجدة وبابليس بدست بيسان والحية باصفهان ، وقد تقدم عن شعيب الجبائي أنه سماه حمران واختلفوا في لونه على أقوال لا حاصل لها ولا طائل تحتها ولا دليل عليها ولا حاجة اليها بل هي مما ينهى عنه فان مستندها رجم بالغيب ، وقوله تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا) ولملت منهم رعبا أي أنه تعالى التقى

كان أصفر ، وقال القرظي كانت شدة صفرة تفرب إلى الحمرة ، وقال الكلبي لونه كالخليج وقيل لون الحجر ، قال ابن عباس اسمه قطمير ، وعن علي اسمه ريان ، وقال الاوزاعي يشور ، وقال السدي يور ، وقال كعب صهبا . قال خالد بن معدان ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام

وقوله (بالوصيد) قال مجاهد والضحاك والوصيد فناء الكهف ، وقال عطاء الوصيد عتبة الباب ، وقال السدي الوصيد الباب وهو رواية عكرمة عن ابن عباس ، فان قيل لم يكن للكهف باب ولا عتبة قيل معناه موضع الباب والعتبة كان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما ، قال السدي كان أصحاب الكهف اذا انقلبوا انقلب الكلب معهم ، واذا انقلبوا إلى اليمين كسر الكلب أذنه اليمنى وورقده عليها واذا انقلبوا إلى الشمال كسر أذنه اليسرى وورقده عليها (لو اطلعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) لما أبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل اليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقظهم الله تعالى من رقدتهم (ولملت منهم رعبا) خوفا قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرون بتخفيفها واختلفوا في أن الرعب كان لماذا قيل من وحشة المسكن ، وقال الكلبي لان أعينهم كانت مفتحة كالمستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام ، وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا شعور . وقيل إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد . وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

عليهم المهابة بحيث لا يقع نظر أحد عليهم إلا هابهم لما لبسوا من المهابة والذعر لئلا يدنو منهم أحد ولا تمسهم يد لاس حتى يبلغ الكتاب أجله وتنقضي رقتهم التي شاء تبارك وتعالى فيهم لماله في ذلك من الحكمة والحجة البالغة والرحمة الواسعة

وكذلك بعثهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحدا (١٩) انهم ان يظهر وا عليكم يرجوكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تغفلوا اذا أبدا (٢٠)

يقول تعالى كما أرقدناهم بعثناهم صحيحة أبدانهم وأشعارهم وأبشارهم لم يفقدوا من أحوالهم وهياتهم شيئا وذلك بعد ثمانمائة سنة وتسع سنين ولهذا تساءلوا بينهم (كم لبثتم؟) أي كرقدتم (قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم) لانه كان دخولهم إلى الكف في أول نهار واستيقاظهم كان في آخر نهار ولهذا استدركوا فقالوا (أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) أي الله أعلم بأمركم وكأنه حصل لهم نوع تردد في كثرة نومهم قاله أعلم ثم عدلوا الى الاهم في أمرهم إذ ذاك وهو احتياجهم الى الطعام والشراب فقالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم) أي فضلكم هذه وذلك أنهم كانوا قد استصبحوا معهم دراهم من منازلهم لحاجتهم اليها فصدقوا منها وبقي منها فلماذا قالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة) أي مدينتكم

غزونا مع معاوية نحو الروم ففررنا بالكف الذي فيه أصحاب الكف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال ابن عباس رضي الله عنه لقد منع ذلك من هو خير منك فقال تعالى (لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً) فبعث معاوية ناساً فقال اذهبوا فانظروا ، فلما دخلوا الكف بعث الله عليهم رجلاً فأحرقهم

قوله تعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ﴾ أي كما أنعمناهم في الكف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النوم التي تشبه الموت ﴿ ليتساءلوا بينهم ﴾ ليسأل بعضهم بعضاً واللام فيه لام العاقبة لانهم لم يبعثوا للسؤال ﴿ قال قائل منهم ﴾ وهو رئيسهم مكلمينا ﴿ كم لبثتم ﴾ في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم ويقال أنهم راعوا ما فاتهم من الصلاة فقالوا ذلك ﴿ قالوا لبثنا يوماً ﴾ وذلك أنهم دخلوا الكف غدوة فانقبوا حين انتبهوا عشية فقالوا لبثنا يوماً ، ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا ﴿ أو بعض يوم ﴾ فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم ﴿ قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ﴾ وقيل ان رئيسهم مكلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم هذه ﴾ يعني تمليحاً . قرأ أبو عمر وجره وأبو بكر بورقكم

التي خرجتم منها والالف واللام للعهد (فليُنظر أيها أزكي طعاما) أي أطيب طعاما كقوله (ولولا فضل الله عليكم ورحمته لما زكا منكم من أحد أبدا) وقوله (قد افلح من تزكى) ومنه زكاة التي تطيب المال ونظيره وقيل أكثر طعاما ومنه زكا الزرع إذا كثر قال الشاعر :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع أزكى من ثلاث وأطيب

والصحيح الاول لأن مقصودهم انما هو الطيب الحلال سواء كان كثيراً أو قليلاً ، وقوله (وليتلطف) أي في خروجه وذهابه وشرائه وإيابه بقولون ولتتخفف كل ما يقدر عليه (ولا يشعروا) أي ولا يعلمون (بكم أحدا) انهم ان يظهروا عليكم بجهومكم (أي ان علموا بمكانكم) (يرجموكم أو يعيدوكم في ملتهم) يعنون أصحاب دقيانوس يخافون منهم أن يطلعوا على مكانهم فلا يزالون يعذبونهم بأنواع العذاب إلى أن يعيدوهم في ملتهم التي هم عليها أو يموتوا وان واقتموهم على العود في الدين فلا فلاح لكم في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا قال (وان تفلحوا إذا أبدا)

وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم

فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم ، قال الذين غلبوا على أمرهم لتتخذن عليهم مسجدا (٢١) يقول تعالى (وكذلك أعثرنا عليهم) أي أطلعنا عليهم الناس (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها) ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لاهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة ، وقال عكرمة : كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد فبعث

ساكنة الرء والباقون بكسرها ومعناها واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (إلى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية دقوس فسموها في الاسلام طرسوس (فليُنظر أيها أزكي طعاما) أي أحل طعاما حتى لا يكون من غصب أو سبب حرام ، وقيل أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم ، وقال الضحاك أطيب طعاما وقال مقاتل بن حيان أجود طعاما ، وقال عكرمة أكثر وأصل الزكاة الزيادة ، وقيل أرخص طعاما (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) وليرفق في الطريق وفي المدينة وليكن في ستر وكتمان (ولا يشعروا) ولا يعلمون (بكم أحدا) من الناس (انهم ان يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قال ابن جريج يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم ، وقيل كان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أخبث القتل ، وقيل بضربوكم (أو يعيدوكم في ملتهم) أي إلى الكفر (ولن تفلحوا إذا أبدا) ان عدتم اليه

قوله عز وجل (وكذلك أعثرنا) أي اطلعنا (عليهم) يقال عثرت على الشيء إذا اطلعت عليه وأعثرت غيري أي اطلعته (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني أصحاب يندوسيس الذين أنكروا البعث

الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك ، وذكروا أنه لما أراد أحدهم الخروج ليذهب إلى المدينة في شراء شيء لم يأكلوه تذكر وخرج بمشي في غير الجادة حتى انتهى إلى المدينة ، وذكروا أن اسمها دقوس وهو يظن أنه قريب العهد بها وكان الناس قد تبدلوا قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل وأمة بعد أمة ، وتغيرت البلاد ومن عليها كما قال الشاعر :

أما الديار فأنها كديارهم وأرى رجال الحي غير رجاله

فجعل لا يرى شيئا من معالم البلد التي يعرفها ولا يعرف أحدا من أهلها لا خواصها ولا عوامها فجعل يتحير في نفسه ويقول لعل بي جنونا أو مسكا أو أنا خالم ويقول : والله ما بي شيء من ذلك وإن عهدي بهذه البلدة عشية أمس على غير هذه الصفة . ثم قال : إن تعجيل الخروج من ههنا لأولى لي ، ثم عمد إلى رجل ممن يبيع الطعام فدفع إليه ما معه من النفقة وسأله أن يبيعه بها طعاما فلما رآها ذلك الرجل أنكرها وأنكر ضربها فدفعها إلى جاره وجعلوا يتداولونها بينهم ويقولون لعل هذا وجد كنزا فسالوه عن أمره ومن أين له هذه النفقة لعله وجدها من كنز ومن أنت ؟ فجعل يقول أنا من أهل هذه البلدة وعهدي بها عشية أمس وفيها دقياوس فنسبوه إلى الجنون فحملوه إلى ولي أمرهم فسأله عن شأنه وخبره حتى أخبرهم بأمره وهو متحير في حاله وما هو فيه فلما أعلمهم بذلك قاموا معه إلى الكهف - ملك البلد وأهلها - حتى انتهى بهم إلى الكهف فقال لهم دعوني حتى أقدمكم في الدخول لأعلم أصحابي فدخل فيقال أنهم لا يدرون كيف ذهب فيه وأخفى الله عليهم خبرهم ، ويقال بل دخلوا عليهم ورأوهم وسلم عليهم الملك واعتنقهم وكان مسلما فيما قيل واسمه بندوسيس ففرحوا به وأنسوه بالكلام ثم ودعوه وسلموا عليه وعادوا إلى مضاجعهم وتوفاهم الله عز وجل فآله أعلم

قال قتادة : غزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة فروا بكهف في بلاد الروم فأروا فيه عظاما فقال قائل هذه عظام أهل الكهف فقال ابن عباس لقد بليت عظامهم من أكثر من ثلثمائة سنة رواه ابن جرير وقوله (وكذلك اعثرنا عليهم) أي كما ارقدناهم وأيقظناهم بهياتهم اطلعنا عليهم أهل ذلك الزمان (ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم) أي في أمر القيامة فن مثبت لها ومن منكر فجعل الله ظهورهم على أصحاب الكهف حجة لهم وعليهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم) أي سدوا عليهم باب كهفهم وذروهم على حالهم (قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين (أحدهما) أنهم المسلمون منهم (والثاني)

﴿ وأن الساعة لا ريب فيها ، إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴾ قال ابن عباس يتنازعون في البنيان ، فقال المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا ، وقال المشركون نبني عليهم بنيانا لأنهم من أهل نسبنا ، وقال عكرمة تنازعوا في البعث فقال المسلمون البعث للأجساد والأرواح ، وقال قوم للأرواح دون الأجساد فبعثهم الله تعالى وأراهم أن البعث للأجساد والأرواح ، وقيل تنازعوا في

اهل الشرك منهم فالله اعلم ، والظاهر ان الذين قالوا ذلك هم اصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون ام لا ؟ فيه نظر لان النبي ﷺ قال « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا . وقد روينا عن امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق امر ان يخفى عن الناس وان تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده فيها شي من الملاحم وغيرها

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالانبياء ، ويقولون

سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل ، فلا تمار فيهم الا مراء ظهراً ولا تستفت فيهم منهم احدا (٢٢)

يقول تعالى مخبراً عن اختلاف الناس في عدة اصحاب الكهف فحكي ثلاثة اقوال فدل على ان لا قائل برابع ولما ضعف القولين الاولين بقوله (رجماً بالغييب) اي قول بلا علم كن برمي إلى مكان لا يعرفه فانه لا يكاد يصيب وإن اصاب فبلا قصد ، ثم حكي الثالث وسكت عليه او قرره بقوله (وثامنهم كلبهم) فدل على صحته وانه هو الواقع في نفس الامر

وقوله (قل ربي اعلم بعدتهم) ارشاد الى أن الاحسن في مثل هذا المقام رد العلم الى الله تعالى

مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم) يندوسيس الملك واصحابه (لتتخذن عليهم مسجداً) سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم (روي ان السيد والعاقب واصحابهما من نصارى اهل نجران كانوا عند النبي ﷺ فحكي ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ، وقال العاقب وكان نستوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم ، وقال المسامون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين بعد ما حكي قول النصارى فقال (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم) (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغييب) أي ظناً وحسباً من غير يقين ولم يقل هذا في حق السبعة فقال (ويقولون) يعني المسلمين (سبعة وثامنهم كلبهم) اختلفوا في الواو في قوله (وثامنهم) قيل تركها وذكرها سواء ، وقيل هي واو الحكم والتحقيق كانه حكي اختلافهم وتم الكلام عند قوله (ويقولون سبعة) ثم حقق هذا القول بقوله (وثامنهم كلبهم) والثامن لا يكون إلا بعد السابع وقيل هذه واو الثمانية وذلك أن العرب تعد فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة وثمانية لان العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة نظيره قوله تعالى (الثابثون العابدون الحامدون — إلى قوله — والناهون عن المنكر) وقال في أزواج النبي ﷺ (عسى ربه إن طافكن أن يبدلهن أزواجا خير أمنكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكار) (قل ربي اعلم بعدتهم) أي بعددهم (ما يعلمهم إلا قليل) أي إلا قليل من الناس قال

إذ لا احتياج إلى الخوض في مثل ذلك بلا علم لسكن إذا أطلعنا على أمر قلنا به وإلا وقفنا . وقوله (ما يعلمهم إلا قليل) أي من الناس . قال قتادة قال ابن عباس أنا من القليل الذي استثنى الله عز وجل كانوا سبعة وكذا روى ابن جرير عن عطاء الخراساني عنه أنه كان يقول أنا ممن استثنى الله عز وجل ويقول عندهم سبعة . وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا إسرائيل عن معاذ عن عكرمة عن ابن عباس (ما يعلمهم إلا قليلا) أنا من القليل كانوا سبعة فهذه أسانيد صحيحة إلى ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو موافق لما قدمناه

وقال محمد بن اسحاق بن يسار عن عبد الله بن أبي نعيم عن مجاهد قال لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة سنه وضح الورق قال ابن عباس فكانوا كذلك ليلهم ونهارهم في عبادة الله ليكون ويستغيثون بالله وكانوا ثمانية نفر مكسطينا وكان أكبرهم وهو الذي كلم الملك عنهم ويمليخا ومرطونس وكسطونس وبيرونس وديموس ويطبونس وقالوا وقع في هذه الرواية ويحتمل أن هذا من كلام ابن إسحاق ومن بينه وبينه فإن الصحيح عن ابن عباس أنهم كانوا سبعة وهو ظاهر الآية وقد تقدم عن شعيب الجبائي أن اسمه كلهم حمران وفي تسميتهم بهذه الأسماء واسم كلهم نظر في صحته والله أعلم فإن غالب ذلك متلقى من أهل الكتاب ، وقد قال تعالى (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) أي سهلا هينا فإن الأمر في معرفة ذلك لا يترتب عليه كبير فائدة (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) أي فاتهم لا علم لهم بذلك إلا ما يقولونه من تلقاء أنفسهم رجاء بالقياس أي من غير استناد إلى كلام معصوم ، وقد جاءك الله يا محمد بالحق الذي لا شك فيه ولا مريبة فيه فهو المقدم الحاكم على كل ما تقدمه من الكتب والأقوال

ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا (٢٣) إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت

وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا (٢٤)

هذا ارشاد من الله تعالى لرسوله ﷺ إلى الأدب فيما إذا عزم على شيء ليفعله في المستقبل أن

قال ابن عباس أنا من القليل كانوا سبعة . وقال محمد بن اسحاق كانوا ثمانية وقرأوا ثمانهم كلهم أي حافظهم . والصحيح هو الأول وروى عن ابن عباس أنه قال : هم مكسطينا ويمليخا ومرطونس وبيرونس وسارينوس وذنونانس وكفشطيطونس وهو الراعي والكلب قطمير (فلا تمار فيهم) أي لا تتجادل ولا تقل في عددهم وشأنهم (إلا مراء ظاهرا) إلا بظاهر ما قصصنا عليك يقول حسبك ما قصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده (ولا تستفت فيهم منهم) من أهل الكتاب (أحدا) أي لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا) إلا أن يشاء الله يعني إذا عزمتم (تفسير ابن كثير والبقوي) (٣٥) (الجزء الخامس)

يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل علام الغيوب الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « قال سليمان بن داود عليهما السلام لا طوفن الليلة على سبعين امرأة - وفي رواية تسعين امرأة وفي رواية مائة امرأة - تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله فقيل له - وفي رواية قال له الملك - قل إن شاء الله فلم يقل فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف انسان - فقال رسول الله ﷺ - والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركاً لحاجته » وفي رواية « ولتقاتلوا في سبيل الله فرساناً أجمعين » وقد تقدم في أول السورة ذكر سبب نزول هذه الآية في قول النبي ﷺ لما سئل عن قصة أصحاب الكهف غداً أجيئكم فأخبر الوحي خمسة عشر يوماً ، وقد ذكرناه بطوله في أول السورة فأغنى عن اعادته وقوله (واذا ذكر ربك اذا نسيت) قيل معناه اذا نسيت الاستثناء فاستثنى عند ذكره له قاله ابو العالية والحسن البصري ، وقال هشيم عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس في الرجل يحلف قال له أن يستني ولو الى سنة وكان يقول (واذا ذكر ربك اذا نسيت) ذلك قيل للاعمش سمعته عن مجاهد فقال حدثني به ليث بن أبي سليم يرى ذهب كسائي هذا ورواه الطبراني من حديث أبي معاوية عن الاعمش به ، ومعنى قول ابن عباس أنه يستني ولو بعد سنة أي اذا نسى أن يقول في حلفه أو في كلامه ان شاء الله وذكر ولو بعد سنة فالسنة له أن يقول ذلك ليكون آتياً بسنة الاستثناء حتى ولو كان بعد الحنث قاله ابن جرير رحمه الله ونص على ذلك لا أن يكون رافعاً لحنث اليمين ومسقطاً للكفارة وهذا الذي قاله ابن جرير رحمه الله هو الصحيح وهو الائق بحمل كلام ابن عباس عليه والله أعلم ، وقال عكرمة (واذا ذكر ربك اذا نسيت) اذا غضبت

وقال الطبراني حدثنا محمد بن الحارث الحلبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن

علي أن تفعل غداً شيئاً فلا تقل أفعل غداً حتى تقول ان شاء الله ، وذلك أن أهل مكة سألوهم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال « أخبركم غداً » ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي إياماً ثم نزلت هذه الآية (واذا ذكر ربك اذا نسيت) قال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه اذا نسيت الاستثناء ، ثم ذكرت فاستثنى وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان الى سنة وجوزه الحسن مادام في المجلس وجوزه بعضهم اذا قرب الزمان فإن بعد فلا يصح ، ولم يجوز جماعة حتى يكون الكلام متصلاً بالكلام وقال عكرمة معنى الآية واذا ذكر ربك اذا غضبت وقال وهب مكتوب في الانجيل : ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين أغضب ، وقال الضحاك والسدي هذا في الصلاة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا الحسن بن أحمد الخلدني ثنا عبد الواحد أبو العباس السراج ثنا قتيبة ثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها » (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشداً) أي يثبتني على طريق هو أقرب اليه وأرشد وقبل أمر الله نبيه

عبد العزيز بن حصين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله (ولا تقولن شيئا اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله * واذا كر ربك اذا نسيت) أن تقول ان شاء الله ، وروى الطبراني أيضا عن ابن عباس في قوله (واذا كر ربك اذا نسيت) الاستثناء فاستثنى اذا ذكرت ، وقال هي خاصة برسول الله ﷺ وليس لأحد منا أن يستثنى الا في صلة من بعينه ثم قال انفرد به الوليد عن عبد العزيز بن الحصين ، ويحتمل في الآية وجه آخر وهو أن يكون الله تعالى قد أرشد من نسي الشيء في كلامه الى ذكر الله تعالى لان النسيان منشؤه من الشيطان كما قال فتى موسى (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) وذكر الله تعالى بطرد الشيطان فاذا ذهب الشيطان ذهب النسيان فذكر الله تعالى سبب لذكر ولهذا قال (واذا كر ربك اذا نسيت) وقوله (وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا) أي اذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه وتوجه اليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك ، وقيل في تفسيره غير ذلك والله أعلم

ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا (٢٥) قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا (٢٦)

هذا خبر من الله تعالى لرسوله ﷺ بمقدار ما لبث أصحاب الكهف في كهفهم منذ أرقدهم الى أن بعثهم الله وأعتر عليهم أهل ذلك الزمان وأنه كان مقداره ثلثمائة سنة تزيد تسع سنين بالهلالية وهي ثلثمائة سنة بالشمسية فان تفاوت ما بين كل مائة سنة بالقمرية الى الشمسية ثلاث سنين فلهذا قال بعد الثلثائة وازدادوا تسعا ، وقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) أي اذا سئلت عن لبثهم وليس عندك علم في أن يذكره اذا نسي شيئا ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر مانسيه ويقال هو أن القوم لما سأله عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب الى الرشد من خبر أصحاب الكهف ، وقال بعضهم هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء الله اذا ذكر الاستثناء بعد النسيان واذا نسي الانسان ان شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول (عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا)

قوله عز وجل ﴿ ولبثوا في كهفهم ﴾ يعني أصحاب الكهف قال بعضهم هذا خبر عن أهل الكهف انهم قالوا ذلك ولو كان خبراً من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) وجه وهذا قول قتادة ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقالوا لبثوا في كهفهم ثم رد الله تعالى عليهم فقال (قل الله أعلم بما لبثوا) وقال الآخرون هذا اخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الاصح وأما قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) فعناه إن الامر في مدة لبثهم كما ذكرنا فان نازعوك فيها فأجبهم وقل الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن هذه المدة

ذلك وتوقيف من الله تعالى فلا تتقدم فيه بشيء بل قل في مثل هذا (الله أعلم بما لبثوا) له غيب السموات والارض (أي لا يعلم ذلك إلا هو أو من أطلعه عليه من خلقه وهذا الذي قلناه عليه غير واحد من علماء التفسير كجاهد وغير واحد من السلف والخلف

وقال قتادة في قوله (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين) الآية هذا قول أهل الكتاب ، وقد رده الله تعالى بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) قال وفي قراءة عبدالله وقالوا ولبثوا يعني انه قاله الناس وهكذا قال قتادة ومطرف بن عبدالله وفي هذا الذي زعمه قتادة نظر فان الذي بأيدي أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة سنة من غير تسميع يعنون بالشمسية ولو كان الله قد حكى قولهم لما قال وازدادوا تسعا والظاهر من الآية انما هو إخبار من الله لاحتكاكهم عنهم وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله ورواية قتادة قراءة ابن مسعود منقطعة ثم هي شاذة بالنسبة الى قراءة الجمهور فلا يحتاج بها والله أعلم

وقوله (أبصر به وأسمع) أي انه لبصير بهم سميع لهم ، قال ابن جرير وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام ما أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل مسموع لا يخفى عليه من ذلك شيء . ثم روى عن قتادة في قوله (أبصر به وأسمع) فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع ، وقال ابن زيد (أبصر به وأسمع) يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعا بصيرا ، وقوله (ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) أي انه تعالى هو الذي له الخلق والأمر الذي لا معقب لحكمه وليس له وزير ولا نصير ولا شريك ولا مشير تعالى وتقدس

من لدن دخلوا الكهف الى يومنا هذا ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم وقال (قل الله أعلم بما لبثوا) يعني بعد قبض ارواحهم الى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله

قوله تعالى (ثلاثمائة سنين) قرأ حمزة والكسائي ثلاثمائة بلا تنوين وقرأ الآخرون بالتنوين فان قيل لم قال ثلاثمائة سنين ولم يقل سنة؟ قيل نزل قوله (ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة) فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين قال الفراء ومن العرب من يضع سنين في موضع سنة وقيل معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلاثمائة (وازدادوا تسعا) قال السكبي قالت نصارى نجران أما ثلاثمائة فقد عرفنا وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت (قل الله أعلم بما لبثوا) روي عن علي أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاثمائة شمسية والله تعالى ذكر ثلاثمائة قرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون في ثلاثمائة تسع سنين فلذلك قال (وازدادوا تسعا) (له غيب السموات والارض) فالغيب ما يغيب عن ادراكك والله عز وجل لا يغيب عن ادراكه شيء . (أبصر به وأسمع) أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء . (ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحدا) أي من دون الله (من ولي) ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) قرأ ابن عامر ويعقوب ولا تشرك بالثاء على الخطاب والنهي وقرأ الآخرون بالياء أي لا يشرك الله

واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً (٢٧)

واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم

تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطاً (٢٨)

يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ بتلاوة كتابه العزيز وإبلاغه إلى الناس (لا مبدل لكلماته) أي

لا مغير لها ولا محرف ولا مزيل

وقوله (ولن تجد من دونه ملتحداً) عن مجاهد ملتحداً قال ملجأ وعن قتادة ويا ولا مولى قال

ابن جرير يقول إن أنت يا محمد لم تمل ما أوحى إليك من كتاب ربك فإنه لا ملجأ لك من الله كما قال

تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)

وقال (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) أي سائلك عما فرض عليك من إبلاغ الرسالة

وقوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) أي اجلس مع

الذين يذكرون الله ويمثلونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه ويسألونه بكثرة وعشياً من عباد الله سواء

كانوا فقراء أو أغنياء أو أقوياء أو ضعفاء يقال إنها نزات في أشرف قریش حين طلبوا من النبي ﷺ

أن يجلس معهم وحده ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمار وصهيب وخباب وابن مسعود

وليفرد أولئك بمجلس على حدة فتهاه الله عن ذلك فقال (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة

والعشي) الآية وأمره أن يصبر نفسه في الجلوس مع هؤلاء فقال (واصبر نفسك مع الذين يدعون

ربهم بالغداة والعشي) الآية وقال مسلم في صحيحه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن عبد الله

الاسدي عن أسرائيل عن المقدم بن شريح عن أبيه عن سعد بن أبي وقاص قال كنا مع النبي ﷺ

ﷺ ستة فقال المشركون للنبي ﷺ اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود

في حكمه أحداً وقيل الحكم هنا علم الغيب أي لا يشرك في علم غيبه أحداً

قوله عز وجل (واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع

ما فيه (لا مبدل لكلماته) قال الكلبي لا مغير للقرآن وقيل لا مغير لما أوعده بكلماته أهل معاصيه

(ولن تجد من دونه) أنت (من دونه) إن لم تتبع القرآن (ملتحداً) قال ابن عباس رضي الله عنهما حرزاً

وقال الحسن مدخلا وقال مجاهد ملجأ وقيل معدلاً وقيل مهرباً وأصله من الميل

قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزات في عيينة بن حصن الفزاري أن النبي ﷺ قبل

أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها ويده خوصة يشقها ثم ينسجها

فقال عيينة للنبي ﷺ أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها فإن أسلمنا أسلم الناس

ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) انفرد باخراجه مسلم دون البخاري

وقال أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي التياح قال سمعت أبا الجعد يحدث عن أبي امامة قال خرج رسول الله ﷺ على قاص يقص فامسك فقال رسول الله ﷺ قص فلأن أقعد غدوة إلى أن تشرق الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب

وقال أحمد أيضا حدثنا هاشم ثناشعة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت كرويس بن قيس وكان قاص العانة بالكوفة يقول أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه سمع النبي ﷺ يقول «لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب» قال شعبة فقلت أي مجلس قال كان قاصا وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا محمد حدثنا يزيد بن أبان عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ «لأن أجالس قوما يذكر الله من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ولأن أذكر الله من صلاة العصر إلى غروب الشمس أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا» فحسبنا دياتهم ونحن في مجلس أنس فبلغت ستة وتسعين ألفا وهما من يقول أربعة من ولد إسماعيل والله ما قال الا ثمانية دية كل واحد منهم اثنا عشر ألفا

وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن اسحاق الهمداني حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقر عن الأغر أبي مسلم وهو الكوفي أن رسول الله ﷺ مر برجل يقرأ سورة الكهف فلما رأى النبي ﷺ سكت فقال النبي ﷺ «هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم» هكذا رواه أبو أحمد عن عمرو بن ثابت عن علي بن الأقر عن الأغر مرسلنا وحدثنا يحيى بن المعلى عن منصور حدثنا محمد بن الصلت حدثنا عمرو بن ثابت عن علي بن الأقر عن الأغر أبي مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد قال جاء رسول الله ﷺ ورجل يقرأ سورة الحج أو سورة الكهف فسكت فقال رسول الله ﷺ «هذا المجلس الذي أمرت أن أصبر نفسي معهم»

ولا يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فمنهم حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلسا ولهم مجلسا فانزل الله عز وجل (وأصبر نفسك) أي احبس يا محمد نفسك «مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» طرفي النهار «يريدون وجهه» أي يريدون الله لا يريدون به عرضا من الدنيا قال قتادة نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعة رجل فقراء في مسجد رسول الله ﷺ لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ «الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم» «ولا تعد» أي لا تصرف ولا تتجاوز «عينك عنهم» إلى غيرهم «تريد زينة الحياة الدنيا» أي تطلب مجالسة الأغنياء والاشراف وصحبة أهل الدنيا «ولا تطم

وقال الامام احمد ثنا محمد بن بكير ثنا ميمون المروني ثنا ميمون بن سياه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال « مامن قوم اجتمعوا يذكرون الله لا يريدون بذلك إلا وجهه إلا ناداهم مناد من السماء أن قوموا مغفوراً لكم قد باءت سيئاتكم حسنات » تفرد به أحمد رحمه الله. وقال الطبراني ثنا ابي عمار بن الحسن ثنا أحمد بن صالح ثنا ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن عبد الرحمن بن سهل بن حنيف قال : نزلت على رسول الله ﷺ وهو في بعض أبياته (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) الآية فخرج يلتمسهم فوجد قوما يذكرون الله منهم ثائر الرأس وجاف الجلد وذو الثوب الواحد فلما رآهم جلس معهم وقال « الحمد لله الذي جعل في أمي من أمرني أن أصبر نفسي معهم » عبد الرحمن هذا ذكره أبو بكر بن أبي داود في الصحابة وأما أبوه فمن سادات الصحابة رضي الله عنهم وقوله (ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا) قال ابن عباس ولا تجاوزهم إلى غيرهم يعني تطالب بدلتهم أصحاب الشرف والثروة (ولا نظم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي شغل عن الدين وعبادة ربه بالدنيا (وكان أمره فرطاً) أي أعماله وأفعاله سفة وتفريط وضياح ولا تكن مطيعاً له ولا محباً لطريقته ولا نغبط بما هو فيه كما قال (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً (٢٩) يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ وقل يا محمد للناس هذا الذي جئتمكم به من ربكم هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا من باب التهديد ، والوعيد الشديد ، ولهذا

من أغفلنا قلبه عن ذكرنا أي جعلنا قلبه غافلاً عن ذكرنا يعني عينية بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أي مراده في طلب الشهوات (وكان أمره فرطاً) قال قتادة ومجاهد ضياعاً وقيل معناه ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندماً وقال مقاتل بن حيان سرفاً وقال الفراء متروكاً وقيل باطلاً وقيل مخالفاً للحق وقال الاخفش مجاوزاً للحد قيل معنى التجاوز في الحد هو قول عينية ان أسلمنا أسلم الناس وهذا افراط عظيم (وقل الحق من ربكم) أي ما ذكر من الايمان والقرآن معناه قل يا محمد هؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا أيها الناس الحق من ربكم واليه التوفيق والخذلان ويده الهدى والضلال ايسر إلي من ذلك شيء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله (اعملوا ما شئتم) وقيل معنى الآية وقل الحق من ربكم واست بطارد المؤمنين هو اكم فان شئتم فآمنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم ربكم نارا أحاط بكم سرادقها وان آمنتم فلكم ما وصف الله عز وجل لاهل طاعته وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية

قال (إنا اعتدنا) أي أعددنا (لظالمين) وهم الكافرون بالله ورسوله وكتابه (ناراً أحاط بهم سرادقها) أي سورها. قال الامام احمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن ابي الهيثم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال «لسرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدر مسافة أربعين سنة» وأخرجه الترمذي في صفة النار وابن جرير في تفسيره من حديث دراج أبي السمعة وقال ابن جرير قال ابن عباس (أحاط بهم سرادقها) قال حائط من نار. قال ابن جرير: حدثني الحسين بن نصر والعباس بن محمد قال حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن أمية حدثني محمد بن حبي بن بعل عن صفوان بن يحيى عن بعل بن أمية قال: قال رسول الله ﷺ: البحر وجههم. قال فقيل له كيف ذلك فتل هذه الآية أو قرأ هذه الآية (ناراً أحاط بهم سرادقها) ثم قال «والله لا أدخلها أبداً أو مادمت حياً لا تصيني منها قطرة» وقوله (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه) الآية قال ابن عباس: المهل الماء الغليظ مثل دردي الزيت، وقال مجاهد: هو كالدوم والقيح، وقال عكرمة هو الشئ الذي انتهى حره، وقال آخرون: هو كل شئ أذيب. وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئاً من الذهب في أخذود فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شئ بالمهل. وقال الضحاك: ماء جهنم أسود وهي سوداء وأهلها سود، وهذه الأقوال ليس شئ منها ينفي الآخر فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها فهو أسود منتهن غليظ حار ولهذا قال (يشوي الوجوه) أي من حره إذا أراد الكافر أن يشربه وقربه من وجهه شواء حتى تقط جلدة وجهه فيه كما جاء في الحديث الذي رواه الامام أحمد بإسناده المتقدم في سرادق النار عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال «ما كالمهل» قال كهكر الزيت فإذا قرب به إليه سقطت فروة وجهه فيه، وهكذا رواه الترمذي في صفة النار من جامعه من حديث رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به. ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين وقد تكلم فيه من قبل حفظه هكذا قال. وقد رواه الامام أحمد كما تقدم عن حسن الاشيب عن ابن لهيعة عن دراج والله أعلم وقال عبد الله بن المبارك وبقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن أبي أمامة عن

من شاء الله له الايمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله (وما نشاءون إلا أن يشاء الله) «إنا اعتدنا» أعددنا وهبنا من العتاد وهو العدة «لظالمين» للكافرين «ناراً أحاط بهم سرادقها» السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال «سرادق النار أربعة جدر كثافة كل جدر مسافة أربعين سنة قال ابن عباس هو حائط من نار وقال الكلبي هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخطيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى (انطلقوا

النبي ﷺ في قوله (ويسقى من ماء صديد يتجرعه) قال « يقرب اليه فيتركه فاذا قرب منه شوى وجهه وورقت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمعاءه » يقول الله تعالى (وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالملح يشوي الوجوه بئس الشراب) وقال سعيد بن جبير : إذا جاع أهل النار استغاثوا فأغيثوا بشجرة الزقوم فإكلون منها فاختلفت جلود وجوههم فلو أن ماراً مر بهم يعرفهم يعرف جلود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالملح وهو الذي قد انتهى حره فاذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود ولهذا قال تعالى بعد وصفه هذا الشراب بهذه الصفات الذميمة القبيحة (بئس الشراب) أي بئس هذا الشراب كما قال في الآية الاخرى (وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم) وقال تعالى (نسقى من عين آنية) أي حارة كما قال تعالى (وبين حميم آن) (وساءت مرتقفا) أي وساءت النار منزلاً ومقبلاً ومجتمعا وموضعا للارتفاق كما في الآية الاخرى (انها ساءت مستقراً ومقاماً)

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضع أجر من أحسن عملاً (٣٠) أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتقفاً (٣١)

لما ذكر تعالى حال الاشقياء ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين فيما جاؤا به وعملوا بما أمرهم به من الاعمال الصالحة فلم جنات عدن والعدن الاقامة (تجري من تحتهم الانهار) الى ظل ذي ثلاث شعب (وإن يستغيثوا) من شدة العطش (يغاثوا بماء كالملح) أخبرنا محمد ابن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن احمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله ابن محمود أنبأنا ابراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد ثنا عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمع عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (بماء كالملح) قال « كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه فيه » وقال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردي الزيت وقال مجاهد هو القبيح والدم وسئل ابن مسعود عن المهل فدعا بذهب وفضة فأوقد عليهما النار حتى ذابا ثم قال هذا أشبه شيء بالمهل (يشوي الوجوه) ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب وساءت) النار (مرتقفاً) قال ابن عباس منزلاً وقال مجاهد مجتمعاً وقال عطاء مقرأ وقال القتيبي مجليها وأصل المرتفق المنكأ

قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لانضع أجر من أحسن عملاً) فان قيل أين جواب قوله (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل جوابه قوله (أولئك لهم جنات عدن تجري) (نفسيرا ابن كثير والبغوي) (الجزء الخامس) (٣٦)

أي من تحت غرفهم ومنازلهم . قال فرعون (وهذه الأنهار تجري من تحتي) الآية (يحملون) أي من الحلية (فيها من أساور من ذهب) وقال في المكان الآخر (ولؤلؤاً ولباسهم فيها خضر) وفصله ههنا فقال (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق) فالسندس لباس رفيع رقيق كالقمصان وما جرى مجراها . وأما الاستبرق فغليظ الديباج وفيه بريق

وقوله (متكئين فيها على الأرائك) الأرائك قيل الاضطجاع وقيل التربع في الجلوس وهو أشبه بالمراد ههنا ومنه الحديث الصحيح « أما أنا فلا آكل متكئاً » فيه القولان . والأرائك جمع أريكة وهي السرير تحت الحجلة والحجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالبشخانة والله أعلم

قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة (على الأرائك) قال هي الحجال قال معمر وقال غيره السرر في الحجال . وقوله (نعم الثواب وحسنت مرتقا) أي نعمت الجنة ثواباً على أعمالهم وحسنت مرتقا أي حسنت منزلاً ومقيلاً ومقاماً كما قال في النار (بئس الشراب وساءت مرتقا) وهكذا قابل بينهما في سورة الفرقان في قوله (أنها ساءت مستقراً ومقاماً) ثم ذكر صفات المؤمنين فقال (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً)

واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا

بينهما زرعاً (٣٢) كلتا الجنتين آتت أكلهما ولم تظلم منه شيئاً وفجرا خا لهما نهراً (٣٣)

وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً (٣٤) ودخل جنته

وأما قوله (إنا لانضيع) فكلام معترض وقيل فيه إضمار معناه إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنا لانضيع أجرهم بل نجازيهم ثم ذكر الجزاء فقال (أولئك لهم جنات عدن) أي إقامة يقال عدن فلان بالمكان إذا أقام به سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب) قال سعيد بن جبير يحمل كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ وبراقيت (ويلبسون ثياباً خضراً من سندس) وهو مارق من الديباج (واستبرق) وهو ما غلظ منه ومعنى الغلظ في ثياب الجنة أحكامه وعن أبي عمران الجوني قال السندس هو الديباج المنسوج بالذهب (متكئين فيها) في الجنان (على الأرائك) وهي السرر في الحجال واحدها أريكة (نعم الثواب) أي نعم الجزاء (وحسنت) الجنان (مرتقا) أي مجلساً ومقراً

قوله تعالى (واضرب لهم مثلاً رجلين) الآية نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل وكان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد بن عبد ياليل وقيل هذا مثل لعينة بن حصين وأصحابه مع

وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رُدِّدت

إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً (٣٦)

يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين وافتخروا عليهم بأموالهم واحسابهم فضرب لهم ولهم مثلاً برجلين جعل الله لأحدهما جنتين أي بستانين من أعناب مخفوفتين بالنخيل المحدثه في جنبائهما وفي خلاهما الزروع وكل من الاشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة ولهذا قال (كلنا الجنة أنت أكلها) أي أخرجت ثمرها (ولم نعلم منه شيئاً) أي ولم تنقص منه شيئاً (وفجرنا خلالها نهراً) أي والانهار متفرقة فيهما ههنا وههنا (وكان له ثمر) قيل المراد به المال روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل الثمار وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة

سلمان وأصحابه شبههما برجلين من بني امرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقال مقاتل يملئها والآخ كافر واسمه قطروص وقال وهب قطفير وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات وكانت قصتهما على ما حكى عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار. وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتهما فعمد أحدهما فاشترى أرضاً بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضاً بألف دينار فاني اشترى منك أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم إن صاحبه بنى داراً بألف دينار فقال هذا اللهم إن فلانا بنى داراً بألف دينار فاني اشترى منك داراً في الجنة بألف دينار فتصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فافق عليها ألف دينار فقال هذا المؤمن اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم اشترى صاحبه خدماً ومتاعاً بألف دينار فقال هذا اللهم إني اشترى منك متاعاً وخدماً في الجنة بألف دينار فتصدق بألف دينار ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في حشمة فقام اليه فنظر اليه الآخر فعرفه فقال فلان قال نعم فقال ماشأئك؟ قال أصابتنى حاجة بعدك فأيتيتك لتصيدني بخير فقال ما فعل مالك وقد اقسمتنا مالا وأخذت شطره فقص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئاً فطرده فقضى لهما أن توفيا فنزل فيهما (فأقبل بعضهم على بعض يتسألون) قال قائل منهم إني كان لي قرين (وروي أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه فنزل فيهما) واضرب لهم مثلاً برجلين (جعلنا لأحدهما جنتين) بستانين (من أعناب وحفناهما بنخل) أي اطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب وجهه أحفة يقال حف به القوم أي أطافوا بجوانبه (وجعلنا بينهما زرعاً) أي جعلنا حول الاعناب النخيل ووسط الاعناب الزرع وقيل بينهما أي بين الجنة زرعاً يعني لم يكن بين الجنة موضع

الآخرى (وكان له ثمر) بضم الثاء وتسكين الميم فيكون جمع ثمرة كخشب وخشب ، وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره أي يجادله وبخاصته يفتخر عليه ويتأمن (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) أي أكثر خديما وحشما وولداً

قال قتادة تلك والله أمنية الفاجر كثرة المال وعزة النفر وقوله (ودخل جنته وهو ظالم لنفسه) أي بكفره وتمرده وتكبره ونجبره وانكاره المعاد (قال ما أظن أن تبديد هذه أبداً) وذلك اغترار منه لما رأى فيهما من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تنقضي ولا تفرغ ولا تهلك ولا تلتف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة ولهذا قال (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً) أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكون لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى (ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى) وقال (أفرأيت الذي كفر بآياتنا) وقال (لأوتين مالا وولداً) أي في الدار الآخرة تأتي على الله عز وجل . وكان سبب نزولها في العاص بن وائل كسبائي بيانه في موضعه ان شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان

خراب ﴿ كلنا الجنتين آتت ﴾ أي أعطت كل واحدة من الجنتين ﴿ أكلها ﴾ ثمرها تاماً ﴿ ولم نظلم ﴾ لم تنقص ﴿ منه شيئاً ﴾ ونجونا ﴿ قرأ العامة بالتشديد وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم ﴾ خلاهما نهراً ﴿ يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهراً ﴾ وكانت له ﴿ لصاحب البستان ﴾ ثمر ﴿ قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ثمر بفتح الثاء والميم وكذلك بشمره وقرأ أبو عمرو بضم الثاء ساكنة الميم وقرأ الآخرون بضمها فن قرأ بالفتح فهو جمع ثمرة وهو ماخرجته الشجرة من الثمار المأكولة ومن قرأ بالضم فهي الاموال الكثيرة المثمرة من كل صنف جمع ثمار ، وقال مجاهد ذهب وفضة وقيل جمع الثمرات قال الأزهري الثمرة تجمع على ثمر ويجمع الثمر على ثمار ثم تجتمع الثمار على ثمر ﴿ فقال ﴾ يعني صاحب البستان ﴿ لصاحبه ﴾ المؤمن ﴿ وهو يحاوره ﴾ بخاطبه ويحاوره ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ أي عشيرة ورهطاً وقال قتادة خديما وحشما وقال مقاتل ولداً تصديقه قوله تعالى (ان ترن أنا أقل منك مالا وولداً) ودخل جنته ﴿ يعني الكافر آخذاً بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه ثمارها ﴾ وهو ظالم لنفسه ﴿ بكفره ﴾ قال ما أظن أن تبديد ﴿ هذه أبداً ﴾ قال أهل المعاني راقه حسنهما وغرته زهرتهما فتوهم أنها لا تنقضي أبداً وانكر البعث فقال ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ كائنة ﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً ﴾ قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية يعني من الجنتين وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الآخرون منها أي من الجنة التي دخلها (منقلباً) أي مرجعاً قالت قبل كيف قال ولئن رددت إلى ربي وهو منكرب للبعث ؟ قيل معناه ولئن رددت إلى ربي على ما نزعمت أنت بعملي هناك خيراً منها فإنه لم يعطني هذه الجنة في الدنيا الا يعطيني في الآخرة أفضل منها

قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً؟ (٣٧) لكننا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً (٣٨) ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولداً (٣٩) فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً (٤٠) أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً (٤١)

يقول تعالى مخبراً عما أجابه به صاحبه المؤمن وأعطاه وزاجراً عما هو فيه من الكفر بالله والاعتزاز (أ كفرت بالذي خلقك من تراب) الآية وهذا انكار وتعظيم لما وقع فيه من جحوده به الذي خلقه وابتدأ خلق الانسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم) الآية اي كيف نمجدون ربكم ودلائله عليكم ظاهر جلية كل أحد بعلمها من نفسه فانه مامن أحد من المخلوقات إلا ويعلم انه كان معدوماً ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستنداً إلى شيء من المخلوقات لانه بمثابة فعل اسناد إلى خالقه وهو الله لا إله الا هو خالق كل شيء ولهذا قال المؤمن (لكننا هو الله ربي) أي لكن أنا لا أقول بمثلتك بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية (ولا أشرك بربي أحداً) أي بل هو الله المعبود وحده لا شريك له ثم قال (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن أنا أقل منك مالا وولداً) اي هلا اذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت فيها حمدت الله على ما أنعم به عليك وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ولهذا قال بعض السلف من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده

(قال له صاحبه) المسلم (وهو يحاوره) كفرت بالذي خلقك من تراب (أي خلق أصلك من تراب) ثم (من نطفة ثم سواك رجلاً) أي عدلك بشراً سوياً ذكراً (لكننا هو الله ربي) قرأ ابن عاصم ويعقوب لكننا بالالف في الوصل وقرأ الباقون بلا الف وانفقوا على اثبات الالف في الوقف وأصله لكن أنا فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف لكثرة استعمالها ثم ادغمت إحدى النونين في الأخرى قال الكسائي فيه تقديم وتأخير مجازه لكن الله هو ربي (ولا أشرك بربي أحداً) ولولا اذ دخلت جنتك (أي هلا اذ دخلت جنتك) (قلت ما شاء الله) أي الامر ما شاء الله وقيل جوابه مضمري ما شاء الله كان وقوله (لا قوة الا بالله) أي لا أقدر على حفظ مالي أو دفع شيء عنه الا بالله، وروي عن هشام بن عروة عن أبيه انه كان إذا رأى من ماله شيئاً يعجبه أو دخل حائطاً من حيطانه قال

فليقل ماشاء الله لا قوة الا بالله وهذا مأخوذ من هذه الآية السكرية وقد روي فيه حديث مرفوع أخرجه الحافظ ابو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا جراح بن مخلد حدثنا عمر بن يونس حدثنا عيسى بن عون حدثنا عبد الملك بن زرارة عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما أنعم الله على عبد نعمة من أهل او مال او ولد فيقول ماشاء الله لا قوة الا بالله فيرى فيه آفة دون الموت » وكان يتأول هذه الآية (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله) قال الحافظ ابو الفتح الازدي عيسى بن عون عن عبد الملك بن زرارة عن أنس لا يصح حديثه

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة وحجاج حدثني شعبة عن عاصم بن عبيد الله عن عبيد مولى أبي رهم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لا قوة الا بالله » تفرد به احمد ، وقد ثبت في الصحيح عن أبي موسى ان رسول الله ﷺ قال له « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة لا حول ولا قوة الا بالله »

وقال الامام احمد حدثنا بكير بن عيسى حدثنا أبو عوانة عن أبي بلخ عن عمرو بن ميمون قال : قال أبو هريرة قال لي رسول الله ﷺ « يا أبا هريرة ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة تحت العرش ؟ قلت نعم فذاك أبي وأمي » قال أن تقول (لا قوة الا بالله) قال أبو بلخ واحسب أنه قال « فإن الله يقول أسلم عبدي واستسلم » قال فقلت لعمرؤ قال أبو بلخ قال عمرو قلت لأبي هريرة لا حول ولا قوة إلا بالله فقال لا إنها في سورة الكهف (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله) وقوله (فمضى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك) أي في الدار الآخرة (وبرسل عليها) أي على جنتك في الدنيا التي ظننت أنها لا تبديد ولا تنفى (حسبانا من السماء) قال ابن عباس والضحاك وقتادة ومالك عن الزهري أي عذابا من السماء والظاهر أنه مطر عظيم مزعج يقلع زرعها وأشجارها ولهذا قال (فتصبح صعيدا زلقا) أي بقلعها ترابا أملس لا يثبت فيه قدم وقال ابن عباس كالجوز الذي لا يثبت شيئا ، وقوله (أو يصبح ماؤها غوراً) أي غائرا في الأرض وهو ضد النابع الذي يغالب وجه الأرض فالغائر يطلب أسفلها كما قال تعالى (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين) أي جار وسائح قال ههنا (أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا) والغور مصدر بمعنى غائر وهو أبلغ منه كما قال الشاعر :

ماشاء الله لا قوة الا بالله ثم قال « ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا » (أنا) عماد لذلك نصب أقل معناه ان ترني أقل منك مالا وولدا فتكبرت وتعظمت علي « فمضى ربي » فلعل ربي « أن يؤتين » يعطيني في الآخرة « خيراً من جنتك وبرسل عليها » أي على جنتك « حسبانا » قال قتادة عذابا وقال ابن عباس رضي الله عنه نارا ، وقال القتيبي مرأى « من السماء » وهي مثل صاعقة او شيء يهلكها واحسنها حسبانة « فتصبح صعيداً زلقاً » أي أرضا جرداء ملسا لا نبات فيها وقل زلق فيها الاقدام وقال مجاهد رملا هائلا « أو يصبح ماؤها غوراً » أي غائراً مقطعا ذاهبا لا تناله الايدي ولا الدلاء.

نظل جياده نوحا عليه تقلده أعنتها صفوها

بمعنى نأثحات عليه

وأحيط بثمره فأصبح يُقَلَّبُ على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول

يا ليتني لم أشرك بربي أحدا (٤٢) ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا (٤٣)

هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا (٤٤)

يقول تعالى (وأحيط بثمره) بأمواله أو بثماره على القول الآخر والمقصود أنه وقم بهذا الكافر ما كان يحذر مما خوفه به المؤمن من إرسال الحسبان على جنته التي اغتر بها وأهنته عن الله عز وجل (فأصبح يقبل على كفيه ما أنفق فيها) قال قتادة يصفق كفيه متأسفا متلهفا على الاموال التي اذهبها عليها (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا) ولم تكن له فئة (أي عشيرة أو ولد كما افتخر بهم واستعز) ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق (اختلف القراء ههنا فمنهم من يقف على قوله (وما كان منتصرا هنالك) أي في ذلك الموطن الذي حل به عذاب الله فلا منقذ له منه ويبتدي بقوله (الولاية لله الحق) ومنهم من يقف على (وما كان منتصرا) ويبتدي بقوله (هنالك الولاية لله الحق) ثم اختلفوا في قراءة الولاية فمنهم من فتح الواو من الولاية فيكون المعنى هنالك الموالاة لله أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر يرجع الى الله والى موالاته والخضوع له إذا وقم العذاب كقوله (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) كقوله اخبارا عن فرعون (حتى

والغور مصدر وضع موضع الاسم مثل زور وعدل (فلن تستطيع له طلبا) يعني ان طلبته لم تجده (وأحيط بثمره) أي أحاط العذاب بثمر جنته وذلك ان الله تعالى أرسل عليها نارا فأهلكتها وغاز ماؤها (فأصبح) صاحبها الكافر (يقبل كفيه) أي يصفق بيده على الاخرى ويقبل كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها وهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) سقوطها (ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحدا)

قال الله تعالى (ولم تكن له فئة) جماعة (ينصرونه من دون الله) بمنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) متمنعا منتقما أي لا يقدر على الانتصار لنفسه، وقيل لا يقدر على رد ما ذهب عنه (هنالك الولاية لله الحق) يعني في القيامة قرأ حمزة والكسائي الولاية بكسر الواو يعني السلطان وقرأ الآخرون بفتح الواو من الموالاة والنصرة كقوله تعالى (الله ولي الذين آمنوا) قال القتيبي يريد أنهم يتولونه يومئذ (ويتبرون مما كانوا يعبدون) وقيل بالفتح الربونية وبالكسر الامارة (الحق) برفع القاف أبو عمرو والكسائي على نعت الولاية وتصديقه قراءة أبي (هنالك الولاية لله الحق) وقرأ الآخرون بالجر على

إذا أدركه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين) ومنهم من كسر الواو من الولاية أي هنالك الحكم لله الحق ثم منهم من رفع الحق على أنه نعت للولاية كقوله تعالى (الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يومئذ على الكافرين عسيرا) ومنهم من خفض القاف على أنه نعت لله عز وجل كقوله (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) الآية ولهذا قال تعالى (هو خير ثوابا) أي جزاء (وخير عقبي) أي الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة كلها خير

واغرب لهم مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا (٤٥) المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا (٤٦)

يقول تعالى (واضرب) يا محمد للناس (مثل الحياة الدنيا) في ذوالها وفنائها وانقضائها (كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض) أي ما فيها من الحب قشب وحسن وعلاء الزهر والنور والنضرة ثم بعد هذا كله (أصبح هشيما) يابساً (تذروه الرياح) أي تفرقه ونطرحه ذات اليمين وذات الشمال (وكان الله على كل شيء مقتدرا) أي هو قادر على هذه الحال وهذه الحال وكثيرا ما يضرب الله مثل الحياة الدنيا بهذا المثل كما قال تعالى في سورة يونس (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام) الآية وقال في الزمر (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه) الآية وقال في سورة الحديد (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الآية وفي الحديث «الدنيا خضرة حلوة» وقوله (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) كقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب) الآية وقال تعالى (إنما أموالكم وأولادكم

صفة الله كقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (هو خير ثوابا) أفضل جزاء لاهل طاعته لو كان غيره يثيب (وخير عقبي) أي عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير ائابة وعاقبة طاعة قرأ حمزة وعاصم عقبى ساكنة القاف وقرأ الآخرون بضمها

قوله تعالى (واضرب لهم) يا محمد أي قومك (مثل الحياة الدنيا كما أنزلناه من السماء) يعني المطر (فاختلط به نبات الأرض) خرج منه كل لون وزهرة (فأصبح) عن قريب (هشيما) يابساً قاله ابن عباس وقال الضمك كبيراً والهشيم ما يابس وتفتت من النبات فأصبح هشيما (تذروه الرياح) قال ابن عباس تفرقه الرياح وقال أبو عبيدة مثله وقال الفتيبي تنسفه (وكان الله على كل شيء مقتدراً)

فنة والله عنده أجر عظيم) أي الاقبال عليه والتفرغ لعبادته خير لكم من اشتغالكم بهم والجمع لهم والشقة المفرطة عليهم ، ولهذا قال (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) قال ابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف الباقيات الصالحات الصلوات الخمس ، وقال عطاء بن أبي رباح وسعيد بن جبير عن ابن عباس الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، وهكذا مثل أمير المؤمنين عثمان بن عفان عن الباقيات الصالحات ما هي فقال هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، رواه الامام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل أنه سمع الحارث مولى عثمان رضي الله عنه يقول جلس عثمان يوما وجلسنا معه فجاء المؤذن فدعا بما في إناؤه أظنه سيكون فيه مد فتوضأ ثم قال رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا ثم قال « من توضأ وضوئي هذا ثم قام بصلية صلاة الظهر غفر له ما كان بينها وبين الصبح ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين الظهر ثم صلى المغرب غفر له ما بينها وبين العصر ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين المغرب ثم لله يتمرغ بيوت يتمرغ ليلته ثم ان قام فتوضأ وصلى صلاة الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء ومن الحسنات يذهبن السيئات » قالوا هذه الحسنات فما الباقيات الصالحات يا عثمان؟ قال هي لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله تفرد به ، وروى مالك عن عمارة بن عبد الله بن جباد عن سعيد بن المسيب قال الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله

وقال محمد بن عجلان عن عمارة قال سألت سعيد بن المسيب عن الباقيات الصالحات فقلت الصلاة والصيام فقال لم تصب قلت الزكاة والحج فقال لم تصب ولكنهن الكلمات الخمس لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله

وقال ابن جريج أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم عن نافع بن مرجس أنه أخبره أنه سأل ابن عمر عن الباقيات الصالحات قال لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح مثل ذلك ، وقال مجاهد الباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

قادراً (المال والبنون) التي يفخر بها عتبة وأصحابه الاغنياء (زينة الحياة الدنيا) ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : المال والبنون حرث الدنيا والاعمال الصالحات حرث الآخرة وقد يجمعها الله لا أقوام (والباقيات الصالحات) اختلفوا فيها فقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد هي قول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر وقد روينا أن النبي ﷺ قال « أفضل الكلام أربع كلمات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسين الحيري أخبرنا أبو جعفر عبد الله بن اسماعيل

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الحسن وقتادة في قوله (والباقيات الصالحات) قال لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله من الباقيات الصالحات ، قال ابن جرير : وجدت في كتابي عن الحسن بن الصباح البزار عن أبي نصر التمار عن عبد العزيز بن مسلم عن محمد بن عجلان عن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر من الباقيات الصالحات » قال وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث ان دراجا أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل وما من يارسل الله ؟ قال « الملة » قيل وما هي يارسل الله ؟ قال « التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله » وهكذا رواه أحمد من حديث دراج به

قال ابن وهب أخبرني أبو صخر أن عبد الله بن عبد الرحمن مولى سالم بن عبد الله حدثه قال : أرسلني سالم إلى محمد بن كعب القرظي في حاجة فقال قل له القني عند زاوية القبر فإن لي اليك حاجة قال فالتقيا فسلم أحدهما على الآخر ثم قال سالم : مانعت الباقيات الصالحات ؟ فقال لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له سالم : متى جعلت فيها لا حول ولا قوة إلا بالله ؟ قال : مازلت أجعلها قال فراجعته مرتين أو ثلاثا فلم يزرع قال فأبيت ؟ قال سالم أجل فأبيت فإن أبا أيوب الأنصاري حدثني أنه سمع رسول الله ﷺ وهو يقول « عرج بي إلى السماء فرأيت إبراهيم عليه السلام فقال يا جبريل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد فرحب بي وسهل ثم قال مر امتك فلتكثر من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة فقلت وما غراس الجنة فقال لا حول ولا قوة إلا بالله »

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن يزيد عن العوام حدثني رجل من الانصار من آل النعمان بن بشير قال خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد بعد صلاة العشاء فرفع بصره إلى السماء ثم خفض حتى ظننا انه قد حدث في السماء شيء ثم قال « اما انه سيكون بعدي امراء يكذبون وبظلمون فمن صدقهم يكذبهم ومالاهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ومن لم يصدقهم يكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ، ألا وإن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر من الباقيات الصالحات »

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا أبان حدثنا يحيى بن أبي كثير عن زيد عن أبي سلام عن مولى

الهاشمي أنبأنا أحمد بن عبد الجبار الطماردي ثنا أبو معارية عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لأن أقول سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد ابن سمعان أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار أنبأنا حميد بن زنجويه ثنا عثمان بن صالح ثنا ابن لهيعة ثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال « استكثروا من الباقيات الصالحات » قيل وما من يارسل الله ؟ قال « الملة » قيل وما هي يارسل الله ؟ قال

لرسول الله ﷺ ان رسول الله ﷺ قال « يخرج لحس ما أنقلهن في الميزان : لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله والولد الصالح يتوفى فيحسبه والده - وقال - يخرج لحس من لقي الله مستيقنا بين دخل الجنة : يؤمن بالله واليوم الآخر وبالجنة والنار وبالبعث بعد الموت والحساب » وقال الامام أحمد حدثنا روح حدثنا الازاعي عن حسان بن عطية قال : كان شداد بن اوس رضي الله عنه في سفر فنزل منزلا فقال لفلان : ائتنا بالشجرة فبعث بها فانكرت عليه فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطئها وأزمها غير كلمتي هذه فلا تحفظوها علي واحفظوا ما أقول لكم : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كنز النام الذهب والفضة فاكثروا أنتم هؤلاء الكلمات : اللهم إني أسألك الثبات في الامر والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك ، وأسألك حسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، وأسألك لسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم انك أنت علام الغيوب » ثم رواه أيضا النسائي من وجه آخر عن شداد بن محم . وقال الطبراني : حدثنا عبد الله بن ناجية حدثنا محمد ابن سعد العوفي حدثني أبي حدثنا عمر بن الحسين عن يونس بن نفع الجدي عن سعد بن جنادة رضي الله عنه قال : كنت في أول من أتى النبي ﷺ من أهل الطائف فخرجت من أعلى الطائف من السراة غدوة فأتيت مني عند العصر فصاعدت في الجبل ثم هبطت فأتيت النبي ﷺ فأسلمت وعلمني (قل هو الله أحد) و (إذا زلزلت) وعلمني هؤلاء الكلمات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال « هن الباقيات الصالحات » وبهذا الاسناد « من قام من الليل فتوضأ ومضمض فاه ثم قال سبحان الله مائة مرة والحمد لله مائة مرة والله أكبر مائة مرة ولا اله الا الله مائة مرة غفرت ذنوبه الا الدماء فانها لا تبطل » وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (والباقيات الصالحات) قال هي ذكر الله قول لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله وتبارك الله ولا حول ولا قوة الا بالله وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله والصيام والصلاة والحج والصدقة والعق والجهاد والصلوة وجميع أعمال الحسنات وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لاهلها في الجنة مادامت السموات والارض . وقال العوفي عن ابن عباس : هي الكلام الطيب . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : هي الاعمال الصالحة كلها واختاره ابن جرير رحمه الله

ويوم تُسير الجبال وترى الارض بارزة وحشر ناسهم فلم تغادر منهم أحدا (٤٧) وعرضوا

« التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وقال سعيد بن جبير ومسروق وابراهيم : الباقيات الصالحات هي الصلوات الخمس ، ويروى هذا عن ابن عباس وعنه رواية اخرى انها الاعمال الصالحة ، وهو قول قتادة . قوله تعالى « خير عند ربك ثوابا » أي جزاء « وخير أملا » أي ما يأمله الانسان

قوله تعالى « ويوم نسير الجبال » قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر نسير بالناء وفتح الياء

على ربك صفّا لقد جثتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن نجعل لكم موعداً (٤٨) ووضع الكتب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يؤلتنا مال هذا الكتب لا يفادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً (٤٩)

ينحصر تعالى عن أحوال يوم القيامة وما يكون فيه من الأمور العظام كما قال تعالى (يوم نورد السماء موراً * وتسير الجبال سيراً) أي نذهب من أماكنها وتزول كما قال تعالى (ونرى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب) وقال تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال (وبسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) يذكر تعالى أنه تذهب الجبال وتتساوى المهاد وتبقى الأرض قاعاً صفصفاً أي سطحاً مستويلاً لا عوج فيه ولا أمتاً أي لا وادي ولا جبل ولهذا قال تعالى (وترى الأرض بارزة) أي بادية ظاهرة ليس فيها معلم لحد ولا مكان يواري أحداً بل الخلق كلهم ضاحون لرؤيتهم لا تخفى عليه منهم خافية . قال مجاهد وقتادة (وترى الأرض بارزة) لا حجر فيها ولا غيابة قال قتادة لا بناء ولا شجر

وقوله (وحشرناهم فلم تغادر منهم أحداً) أي وجمعناهم الأولين منهم والآخريين فلم تترك منهم أحداً لا صغيراً ولا كبيراً كما قال (قل ان الأولين والآخريين لجمعون الى ميقات يوم معلوم) وقال (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقوله (وعرضوا على ربك صفّا) بمحتمل ان يكون المراد أن جميع الخلائق يقومون بين يدي الله صفّا واحداً كما قال تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفّا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صواباً) ويحتمل أنهم يقومون صفوفاً صفوفاً كما قال (وجاء ربك والملك صفّا صفّا) وقوله (لقد جثتمونا كما خلقناكم أول مرة) هذا تقريب للمعبرين بالمعاد، وتوبيخ لهم على رؤس الشهاد، ولهذا قال مخاطباً لهم (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) أي ما كان ظنكم أن هذا واقع بكم ولا أن هذا كائن

الجبال رفع دليله قوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء الجبال نصب وتسير الجبال تقلها من مكان الى مكان (وترى الأرض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا نبات كما قال (فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً) قال عطاء هو بروز ما في بطنها من الموتى وغيرهم فترى باطن الأرض ظاهراً (وحشرناهم) جميعاً الى الموقف والحساب (فلم تغادر منهم) أي تترك منهم أحداً * وعرضوا على ربك صفّا أي صفّا صفّا وفوجاً فوجاً لا أنهم صف واحد وقيل قياماً ثم يقالهم يعني الكفار (لقد جثتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل فرادى كما ذكر في سورة الانعام وقيل عراة وقيل غرلاً (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) يوم القيامة بقوله المنكري البعث أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن

وقوله (ووضع الكتاب) أي كتاب الاعمال الذي فيه الجليل والحقير والغنيل والقطمير والصغير والكبير (قرى المجرمين مشفقين مما فيه) أي من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة (ويقولون يا ويلتنا) أي يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمارنا (ما لهذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة إلا احصاها) أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وان صغر إلا احصاها أي ضبطها وحفظها وروى الطبراني بإسناده المتقدم في الآية قبلها إلى سعد بن جنادة قال لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شيء فقال النبي ﷺ « اجمعوا من وجد عودا فليات به

امام عجل ثنا معلى بن أسد ثنا وهب عن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين وراغبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « إنكم محشورون حفاة عراة غرلا - ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) وأول من يكنى يوم القيامة إبراهيم وان ناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقول إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح (وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم - إلى قوله - العزيز الحكيم) » أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو القاسم جعفر بن محمد بن مفلس ببغداد ثنا هارون بن اسحاق الهمداني أنبأنا أبو خالد عن حاتم بن أبي صفير عن ابن أبي ميلكة عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة ؟ قال « عراة حفاة » قالت قلت والنساء ؟ قال « والنساء » قالت قلت يا رسول الله أنستحيي ؟ قال « يا عائشة الأمر أشد من ذلك أن يهيمهم أن ينظر بعضهم إلى بعض »

قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس في أيامهم وثماناتهم وقيل معناه يوضع بين يدي الله عز وجل (قرى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الاعمال السيئة (ويقولون) إذا رأوها (يا ويلتنا) يا هلاكنا والويل والويللة الملكة وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء تنبيه المخاطبين (مال هذا الكتاب لا يفاد صغيرة ولا كبيرة) من ذنوبنا قال ابن عباس الصغيرة التيسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة الهم والميسس والقبل والكبيرة الزنا (إلا احصاها) عددها قال السدي كتبها واثبتها قال مقاتل بن حيان حفظها أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطيسفوني أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام أنبأنا أبو الحسن

ومن وجد خطبا أو شيئا فليأت به ، قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركنا فقال النبي ﷺ « آترونها هذا ؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا فليتنق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فانها محصاة عليه »

وقوله (ووجدوا ماعلوا حاضرا) أي من خير وشر كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا) الآية وقال تعالى (نبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال تعالى (يوم تبلى السرائر) أي تظهر المحبات والضمائر

قال الامام احمد حدثنا ابو الوليد حدثنا شعبة عن ثابت عن أنس عن النبي ﷺ قال « لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدره فلان بن فلان » وقوله (ولا يظلم ربك أحدا) أي فيحكم بين عباده في أعمالهم جميعا ولا يظلم أحدا من خلقه بل يعفو ويصفح ويغفر ويرحم ويعذب من يشاء بقدرته وحكمته وعدله ويملا النار من الكفار وأصحاب المعاصي ثم ينجي أصحاب المعاصي ويخلد فيها الكافرين وهو الحاكم الذي لا ينجور ولا يظلم قال تعالى (إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها) الآية وقال (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) — إلى قوله — حاسبين) والآيات في هذا كثيرة

وقال الامام احمد حدثنا يزيد أخبرنا همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد المكي عن عبد الله بن محمد بن عقيل انه سمع جابر بن عبد الله يقول : بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي ﷺ فاشترت بهرا ثم شددت عليه رجلا فسرت عليه شهرا حتى قدمت عليه الشام فاذا عبد الله بن أنس فقلت للباب قل له جابر على الباب فقال ابن عبد الله قلت نعم فخرج يظأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته فقلت حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصص فخشيت أن تموت أو أموت قبل أن أسمعه فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يحشر الله عز وجل الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلا بهما قلت وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل الجنة وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى

أحمد بن يسار القرشي ثنا يوسف بن عدي المصري ثنا أبو ضمرة أنس بن عياض عن أبي حازم قال لا أعلمه إلا عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم ومحقرات الذنوب فإما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا يعود وجاء هذا يعود فاجتمعوا فأنجزهم » وإن محقرات الذنوب لموبقات »

قوله تعالى (ووجدوا ماعلوا حاضرا) مكتوبا مثبتا في كتبهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي

أفضيه منه حتى الاطمة قال قلنا كيف وانما نأتي الله عز وجل حفاة عراة غرلا بهما ؟ قال بالحسنات والسيئات « وعن شعبة عن العوام بن مزاحم عن أبي عثمان عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ان الجاء لتقتص من القزاة يوم القيامة » رواه عبد الله بن الامام احمد وله شواهد من وجوه أخر وقد ذكرناها عند قوله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا) وعند قوله تعالى (إلا أمة أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون)

واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه

أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا (٥٠)

يقول تعالى منها بني آدم على عداوة ابليس لهم ولا يبيهم من قبلهم ومقرعا لمن اتبعه منهم وخائف خائفه ومولاه وهو الذي أنشأه وابتداه وبالطافه ورزقه غذاء ثم بعد هذا كله وإلى ابليس وعادى الله فقال تعالى (واذا قلنا للملائكة) أي لجميع الملائكة كما تقدم تقريره في أول سورة البقرة (اسجدوا لآدم) أي سجدوا تشریف وتكريم وتعظيم كما قال تعالى (واذا قال ربك للملائكة أني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون * فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) وقوله (فسجدوا إلا ابليس كان من الجن) أي خاتمه أصله فانه خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال « خلفت الملائكة من نور وخلق ابليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخاتمه الطبع عند الحاجة وذلك انه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبده وتنسك فلون ذلك دخل في خطابهم وعصى بالخالفة « ونبه تعالى ههنا على أنه من الجن أي على أنه خلق من نار كما قال (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)

لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا وقال الضحاك لا يؤخذ أحدًا بجرم لم يعمله وقال عبد الله بن قيس يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجحدال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله ورفع به بعضهم عن أبي موسى

قوله تعالى (واذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يقول واذا ذكر يا محمد اذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (فسجدوا إلا ابليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم. وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الانس (ففسق) أي خرج (عن أمر ربه) عن طاعة ربه (أفتتخذونه) يعني يابني آدم (وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) أي أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال إني لقاعد يوما اذا أقبل رجل فقال أخبرني هل لابليس زوجة قالت إن ذلك العرس مشاهدته ثم ذكرت قوله تعالى (أفتتخذونه

قال الحسن البصري ما كان ابليس من الملائكة طرفة عين قط وأنه لاصل الجن كما أن آدم عليه السلام أصل البشر رواه ابن جرير بإسناد صحيح عنه ، وقال الضحاك عن ابن عباس كان ابليس من حي من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة وكان اسمه الحارث وكان خازنا من خزان الجنة وخلق الملائكة من نور غير هذا الحي قال وولدت الجن الذين ذكروا في القرآن من مارج من نار وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا التهبت

وقال الضحاك أيضا عن ابن عباس كان ابليس من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة وكان خازنا على الجنان وكان له سلطان السماء الدنيا وسلطان الأرض وكان مما سئلت له نفسه من قضاء الله أنه رأى أن له بذلك شرفا على أهل السماء فوقع من ذلك في قلبه كبر لا يعلمه إلا الله واستخرج الله ذلك الكبر منه حين أمره بالسجود لآدم (فاستكبر وكان من الكافرين) قال ابن عباس قوله (كان من الجن) أي من خزان الجنان كما يقال للرجل مكي ومدني وبصري وكوفي

وقال ابن جرير عن ابن عباس نحو ذلك ؟ وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال هو من خزان الجنة وكان يدبر أمر السماء الدنيا ، رواه ابن جرير من حديث الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد به ، وقال سعيد بن المسيب كان رئيس ملائكة مماء الدنيا ، وقال ابن اسحاق عن خلاد عن عطاء عن طاوس عن ابن عباس قال : كان ابليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزازيل وكان من سكان الأرض وكان من أشد الملائكة اجتهدا وأكثرهم علما فذلك دعاه إلى الكبر وكان من حي يسمون جننا .

وقال ابن جرير عن صالح مولى التوأمة وشريك بن أبي نمر أحدهما أو كلاهما عن ابن عباس

وذريته أولياء من ذوي (فعلت أنه لا تكون الذرية إلا من الزوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتتفلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد : من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة ، والهناف ومرة وبه يكتن وزلتبور وهو صاحب الاسواق يزين القفو والحلف الكاذبة ومدح السلم ، ويثر وهو صاحب المصائب يزين للناس خمش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب ، والاعور وهو صاحب الزنا ينفخ في أحليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الأخبار السكاذبة يلقبها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بضره من المتاع ما لم يرفعه ولم يوضع في موضعه أو يحتبس موضعه وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الأعمش ربما دخلت البيت ولم أذكر اسم الله ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم وروى عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال « إن اللوض شيطانان يقال له ولهان فاتقوا وسواس الماء » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي

قال إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى فسخط الله عليه فسخه شيطانا رجيا لعنه الله ممسوخا قال وإذا كانت خطيئة الرجل في كبر فلا ترجمه وإذا كانت في معصية فارجه ، وعن سعيد بن جبير أنه قال كان من الجنان الذين يعملون في الجنة وقد روي في هذا آثار كثيرة عن السلف وغالبها من الاسرائيليات التي تنقل لينظر فيها والله أعلم بحال كثير منها ومنها ما قد يقطع بكذبه لمخالفته للحق الذي بآبدينا وفي القرآن غنية عن كل ما عدها من الاخبار المتقدمة لانها لا تكاد تخلو من تبديل وزيادة وقصمان وقد وضع فيها أشياء كثيرة وليس لهم من الحفاظ المتقين الذين ينفون عنها تحريف الغالين وانتحال المبطلين كما لهذه الامة من الائمة والعلماء والسادة والأتقياء والبررة والزجباء من الجهابذة النقاد والحفاظ الجياد الذين دونوا الحديث وحرروه وبيّنوا صحيحه من حسنه من ضعيفه من منكروه وموضوعه ومتروكه ومكذوبه وعرفوا الوضاعين والكذابين والمجهولين وغير ذلك من أصناف الرجال كل ذلك صيانة للجناب النبوي والمقام الحمدي خاتم الرسل وسيد البشر ﷺ أن ينسب اليه كذب أو يحدث عنه بما ليس منه فرضي الله عنهم وأرضاهم وجعل جنات الفردوس مأواهم وقد فعل ، وقوله (فسق عن أمر ربه) أي فخرج عن طاعة الله فان الفسق هو الخروج يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها وفسقت الفأرة من جحرها إذا خرجت منه للعيث والفساد ثم قال تعالى موقعا وموبخا لمن اتبعه وأطاعه (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني) الآية أي بدلا عني ولهذا قال (بئس للظالمين بدلا) وهذا المقام كقوله بعد ذكر القيامة وأهوالها ومصير كل من الفريقين السعداء والاشقياء في سورة يس (واستأزوا اليوم أيها المجرمون - إلى قوله - أفلم تسكنوا تعقلون)

أبانا إبراهيم بن محمد بن سفيان أبانا مسلم بن الحجاج ثنا يحيى بن خلف الباهلي أبانا عبد الأعلى عن سعيد الحريزي عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أن النبي ﷺ قال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي فليسه علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا احسسته فتعوذ بالله منه واتقل عن يسارك ثلاثا» ففعلت ذلك فذهب الله عني وأخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أبانا عبد الغافر بن محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أبانا مسلم بن الحجاج ثنا أبو كريب محمد بن العلاء أبانا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فيفتنون الناس فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة ينجي أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ماصنعت شيئا قال ثم ينجي أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين أمراته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت» قال الأعمش أراه قال فيلتزمه قوله تعالى ﴿بئس للظالمين بدلا﴾ قال قتادة

ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ

المضلين عضدا (٥١)

يقول تعالى هؤلاء الذين اتخذوهم أولياء من دوني عبيد أمثالكم لا يملكون شيئا ولا أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا كانوا إذ ذاك موجودين) يقول تعالى أنا المستقل بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدي ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير ولا نظير كما قال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشهادة عنده إلا لمن أذن له) الآية ولهذا قال (وما كنت متخذ المضلين عضدا) قال مالك أعوانا

ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا (٥٢)

وراء المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا (٥٣)

يقول تعالى مخبرا عما يخاطب به المشركون يوم القيامة على رؤس الأشهاد تقريرا لهم وتوبيخا (نادوا شركائي الذين زعمتم) أي في دار الدنيا ادعوا اليوم يفتقدونكم مما أنتم فيه كما قال تعالى (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد قطع بينكم وصل عنكم ما كنتم تزعمون) وقوله (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) كما قال (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) الآية وقال (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له) الآية (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا

بئس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم) ما أشهدتهم) ما أحضرتهم) وقرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون والالف على التعظيم أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته وقيل الكفار وقال الكاظمي يعني الملائكة) خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) يقول ما أشهدتهم خلقا فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها) وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي الشياطين الذين يضلون الناس عضدا أي أنصارا وأعوانا

قوله تعالى (ويوم يقول) قرأ حمزة بالنون والآخرين بالياء أي يقول الله لهم يوم القيامة (نادوا شركائي) يعني الأوثان (الذين زعمتم) أنهم شركائي (فدعوهم) فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني بين الأوثان وعبادها، وقيل بين أهل

سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا) وقوله (وجعلنا بينهم موبقا) قال ابن عباس وقتادة وغير واحد مهلكا، وقال قتادة ذكر لنا أن عمرو البكائي حدث عن عبد الله بن عمر وقال هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى وأهل الضلالة وقال قتادة موبقا واديا في جهنم

وقال ابن جرير حدثني محمد بن سنان القزاز حدثنا عبد الصمد حدثنا يزيد بن زريع سمعت أنس بن مالك يقول في قول الله تعالى (وجعلنا بينهم موبقا) قال واد في جهنم من قيح ودم، وقال الحسن البصري موبقا عداوة والظاهر من السياق ههنا أنه المهلك ويجوز أن يكون واديا في جهنم أو غيره والمعنى أن الله تعالى بين أنه لا هبيل لهؤلاء المشركين ولا وصول لهم إلى آلهتهم التي كانوا يزعمون في الدنيا وأنه يفرق بينهم وبينها في الآخرة فلا خلاص لاحد من الفريقين إلى الآخر بل بينهما مهلك وهول عظيم وأمر كبير. وأما أن جعل الضمير في قوله بينهم عائدا إلى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو أنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به فهو كقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) وقال يومئذ يصدعون وقال تعالى (واستأزوا اليوم أيها المجرمون) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزبلنا بهم - إلى قوله - وضل عنهم ما كانوا يفترون) وقوله (ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا) أي أنهم لما عابنوا جهنم حين جي بها تقاد بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (فاذا رأى المجرمون النار) تحققوا لاحالة أنهم (مواقعوها) ليكون ذلك من باب تعجيل بهم والخزن لهم فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز وقوله (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي ليس لهم طريق يعدل بهم عنها ولا بد لهم منها

قال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال «أن الكافر يرى جهنم فيظن أنها موقعة من مسيرة أربعين سنة» وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ ينصب الكافر مقدار خمسين ألف سنة كما لم يعمل في الدنيا وإن الكافر يرى جهنم ويظن أنها موقعة من مسيرة أربعين سنة

الهدى وأهل الضلالة (موبقا) مهلكا قاله عطاء والضحاك، وقال ابن عباس هو واد في النار، وقال مجاهد واد في جهنم، وقال عكرمة هو نهر في النار يسيل ناراً على حافته حيات مثل البقال الدم قال ابن الأعرابي وكل حاجز بين شيتين فهو موبق وأصله الملاك يقال أوبقه أي أهلكه قال الفراء وجعلنا توأصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة والبين على هذا القول التوأصل كقوله تعالى (لقد قطع بينكم) على قراءة من قرأ بالرفع (ورأى المجرمون النار) أي المشركون (فظنوا) أي قنوا أنهم مواقعوها (داخلوها) واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب

ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان أكثر شيء جدلاً (٥٤)
 يقول تعالى (ولقد بينا للناس (في هذا القرآن) ووضعنا لهم الامور وفصلناها كيلاً يضلوا عن
 الحق ويخرجوا عن طريق الهدى ومع هذا البيان وهذا الفرقان الانسان كثير المجادلة والمخاصمة
 والمعارضة للحق بالباطل الا من هدى الله وبصره لطريق النجاة
 قال الامام أحمد حدثنا أبو اليان أخبرنا شعيب عن الزهري أخبرني علي بن الحسين أن حسين
 ابن علي أخبره أن علي بن أبي طالب أخبره أن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة
 فقال «أتصليان» فقلت يا رسول الله انما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف حين
 قلت ذلك ولم يرجع الي شيئاً ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه ويقول (وكان الانسان أكثر شيء
 جدلاً) أخرجاه في الصحيحين .

وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا أن تأتيهم سنة الاولين
 أو يأتيهم العذاب قبلاً (٥٥) وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا
 بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما انذروا هزوا (٥٦)

يخبر تعالى عن نرد الكفرة في قديم الزمان وحديثه وتكذيبهم بالحق بين الظاهر مع ما يشاهدون
 من الآيات والدلالات الواضحات وأنه ما منهم من اتباع ذلك الاطليهم أن يشاهدوا العذاب الذي
 وعدوا به عياناً كما قال أولئك لتبهم (فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين) وآخرون

قوله تعالى (ولقد صرفنا) بينا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا
 (وكان الانسان أكثر شيء جدلاً) خصومة في الباطل . قال ابن عباس أراد النضر بن الحارث
 وجداله في القرآن . وقاله الكلبي أراد به أبي بن خلف الجمحي وقيل المراد من الآية الكفار
 لقوله تعالى (ويجادل الذين كفروا بالباطل) وقيل هي على العموم وهذا أصح أخبرنا عبد الواحد بن
 احمد المليحي أنبأنا احمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف أنبأنا محمد بن اعماميل أنابو اليان
 أنا شعيب عن الزهري أنبأنا علي بن الحسين أن الحسين بن علي أخبره ان علياً أخبره أن رسول الله
 ﷺ طرقة وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال «أتصليان؟» فقلت يا رسول الله ان أنفسنا
 بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله ﷺ حين قلت له ذلك ولم يرجع الي شيئاً ثم
 سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول (وكان الانسان أكثر شيء جدلاً)

قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) القرآن والاسلام والبيان من الله

قالوا (اثننا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وقالت قريش (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو اثننا بعذاب اليم) وقالوا يأيتها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين) الى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك ثم قال (الا أن تأتيتهم سنة الاولين من غشيانهم بالعذاب واخذهم عن آخرهم) (أو تأتيتهم العذاب قبلا) أي برونه عيانا مواجهة ومقابلة ثم قال تعالى (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) أي قبل العذاب مبشرين من صدقهم وآمن بهم ومنذرين لمن كذبهم وخالفهم ثم أخبر عن الكفار بأنهم (يجادلون بالباطل ليدحضوا به) أي ليضعفوا به الحق الذي جاءهم به الرسل وليس ذلك بحاصل لهم (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) أي اتخذوا الحجج والبراهين وخوارق العادات التي بعث بها الرسل وما أنذروهم وخوفوهم به من العذاب (هزوا) أي سخروا منهم في ذلك وهو أشد التكذيب

ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم

أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وأن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا (٥٧) وربك

الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من

دونه موثلا (٥٨) وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا (٥٩)

يقول تعالى وأي عباد الله أظلم ممن ذكر بآيات الله فأعرض عنها أي تناسها وأعرض عنها ولم يصغ لها ولا ألقى إليها بالا (ونسي ما قدمت يداه) أي من الاعمال السيئة والافعال القبيحة (انا جعلنا على قلوبهم) أي قلوب هؤلاء (أكنة) أي أغشية وغشاوة (أن يفقهوه) أي لئلا يفهموا هذا

عز وجل وقيل انه الرسول ﷺ (وبستغفروا ربهم الا أن تأتيتهم سنة الاولين) يعني سنتنا في اهلاكهم ان لم يؤمنوا، وقيل الا طلب أن تأتيتهم سنة الاولين في معاناة العذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو اثننا بعذاب اليم (أو تأتيتهم العذاب قبلا) قال ابن عباس أي عيانا من المقابلة، وقال مجاهد فجأة وقرأ ابو جعفر وأهل الكوفة قبلا بضم القاف والباء جمع قبيل أي أصناف العذاب نوعا نوعا (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل) وعجاذلتهم قولهم (أبعث الله بشرا رسولا) ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وما أشبهه (ليدحضوا) ليطلوا (به الحق) وأصل الدحض الزلق يريد ليزيلوا به الحق (واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا) فيه اضمار يعني وما أنذروا به وهو القرآن هزوا أي استهزاء (ومن أظلم ممن ذكر) وعظ (بآيات ربه فأعرض عنها) نولي عنها وتركها ولم يؤمن بها (ونسي ما قدمت يداه) أي ما عمل من المعاصي من قبل (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) أغشية (أن يفقهوه)

القرآن والبيان (وفي آذانهم وقرا) أي صما معنوياً عن الرشاد (وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبدا)

وقوله (وربك الغفور ذو الرحمة) أي ربك يا محمد غفور ذو رحمة واسعة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) كما قال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة) وقال (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب) والآيات في هذا كثيرة ثم أخبر أنه يحلم ويستتر ويفر وربما هدى بعضهم من الغي إلى الرشاد ومن استمر منهم فله يوم يشيب فيه الوليد وتضع كل ذات حمل حملها ، ولهذا قال (بل لهم موعد إن يجدوا من دونه موثلاً) أي ليس لهم عنه محيص ولا محيد ولا معدل

وقوله (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) أي الأمم السالفة والقرون الخالية أهلكناهم بسبب كفرهم وعنادهم (وجعلنا لهم موعداً) أي جعلناه إلى مدة معلومة ووقت معين لا يزيد ولا ينقص أي وكذلك أنتم أيها المشركون احذروا أن يصيبكم ما أصابهم فقد كذبتم أشرف رسول وأعظم نبي ولستم بأعز علينا منهم فخافوا عذابي ونذر

واذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو امضي حقياً (٦٠) فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً (٦١) فلما جاوزا قال لفته آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا (٦٢) قل أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الخوت وما أنسنيهِ الا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا (٦٣) قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا (٦٤) فوجد عبدا من عبادنا آتينه رحمة من عندنا وعلمنه من لدنا علماً (٦٥)

أي يفهموه يريد لئلا يفهموه (وفي آذانهم وقرا) أي صما وثقلا (وإن تدعهم) يا محمد (إلى الهدى) إلى الدين (فلن يهتدوا إذا أبدا) وهذا في أقوام علم الله منهم أنهم لا يؤمنون (وربك الغفور ذو الرحمة) ذو النعمة (لو يؤاخذهم) بعاقب الكفار (بما كسبوا) من الذنوب (لعجل لهم العذاب) في الدنيا (بل لهم موعد) يعني البعث والحساب (إن يجدوا من دونه موثلاً) ملجأ (وتلك القرى أهلكناهم) يعني قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (لما ظلموا) كفروا (وجعلنا لهم موعداً) أي أجلاً قرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام وكذلك في النمل مهلك أي لوقت هلاكهم ، وقرأ الآخرون بضم الميم وفتح اللام أي لا هلاكهم قوله تعالى (واذا قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين) عامة أهل العلم قالوا أنه

سبب قول موسى لثناء وهو يوشع بن نون هذا الكلام أنه ذكر له أن عبداً من عباد الله بمجمع البحرين عنده من العلم ما لم يحط به موسى فأحب الرحيل اليه وقال لثناء ذلك (لا أبرح) أي لا أزال سائراً حتى أبلغ بمجمع البحرين أي هذا المكان الذي فيه مجمع البحرين قال الفرزدق
فما برحوا حتى نهادت نساؤهم يبطحا ذي قار عياب اللطائم

قال قتادة وغير واحد هما بحر فارس مما يلي المشرق وبحر الروم مما يلي المغرب، وقال محمد بن كعب القرظي: بمجمع البحرين عند طنجة يعني في أقصى بلاد المغرب فالله أعلم، وقوله (أو أمضي حتماً) أي ولو أنني أسير حتماً من الزمان. قال ابن جرير رحمه الله ذكر بعض أهل العلم بكلام العرب أن الحقب في لغة قيس سنة ثم قد روي عن عبد الله بن عمرو أنه قال الحقب ثمانون سنة، وقال مجاهد سبعون خريفاً، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (أو أمضي حتماً) قال دهرأ، وقال قتادة وابن زيد مثل ذلك

وقوله (فلما بلغا بمجمع بينهما نسيا حوتهما) وذلك أنه كان قد أمر بحمل حوت مملوح معه وقيل له متى فقدت الحوت فهو ثمة فصارا حتى بلغا بمجمع البحرين وهناك عين يقال لها عين الحياة فناما هنالك وأصاب الحوت من رشاش ذلك الماء فاضطرب وكان في مكنتل مع يوشع عليه السلام وطفروا من المكنتل إلى البحر فاستيقظ يوشع عليه السلام وسقط الحوت في البحر فجعل يسير في الماء والماء له مثل الطاق لا يلتئم بعده، ولهذا قال تعالى (واتخذ سبيله في البحر سرباً) أي مثل السرب في الأرض قال ابن جرير قال ابن عباس صار أثره كأنه حجر. وقال العوفي عن ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئاً من البحر الايمس حتى يكون صخرة، وقال محمد بن اسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ حين ذكر حديث ذلك ما انجاب ماء منذ كان الناس غير مسير مكان الحوت الذي فيه فانجاب كالكوّة حتى رجع اليه موسى فرأى مسلكه فقال (ذلك ما كنا نبغي) وقال قتادة سرب من البر حتى أفضى إلى البحر ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقاً الا صار ماءً جامداً

موسى بن عمران، وقال بعضهم هو موسى بن ميثامن أولاد يوسف والاول أصح أخبرنا عبد الواحد ابن احمد المليحي أنبأنا احمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن ابي عمار ثنا الهادي ثنا سفيان ثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبيرة قال قلت لابن عباس ان نوحاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن اميرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا أبي بن كعب انه سمع رسول الله ﷺ يقول «ان موسى قام خطيباً في بني اسرائيل فاستل أي الناس أعلم فقال أنا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال موسى يارب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكنتل تخيماً فقدت الحوت فهو ثمة

وقوله (فلما جاوزا) أي المكان الذي نسيا الحوت فيه ونسب النسيان اليهما وان كان يوشع هو الذي نسيه كقوله تعالى (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) وإنما يخرج من المالح على أحد القولين فلما ذهبا عن المكان الذي نسياه فيه بمرحلة (قال موسى) لفتاه آتينا غداً نا لقد لقينا من سفرنا هذا) أي الذي جازوا فيه المكان (نصباً) يعني تعباً (قال أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) قال قتادة وقرأ ابن مسعود أن أذكره ولهذا قال (فاتخذ سبيله) أي طريقه (في البحر عجيباً قال ذلك ما كنا نبغي) أي هذا هو الذي نطلب (فارتدا) أي رجعا (على آثارهما) أي طريقهما (قصصاً) أي يقصان أثر مشيهما ويقفوان أثرهما (فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعليناه من لدنا علماً) وهذا هو الخضر عليه السلام كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ

قال البخاري حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس إن نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل . قال ابن عباس كذب عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « أن موسى قام خائلياً في بني إسرائيل فستل أي الناس أعلم ؟ قال أنا . فغضب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بجمع البحرين هو أعلم منك . قال موسى يارب وكيف لي به ؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله بمكثل فحينما فقدت الحوت فهو ثم » فأخذ حوتا فجعله بمكثل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فتما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر مربياً وأمسك الله عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق ، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من النداء قال موسى لفتاه (آتينا غداً نا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ، قال له فتاه (أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجيباً) قال فكان للحوت

فأخذ حوتا فجعله في مكثل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فتما واضطرب الحوت في المكثل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر مربياً وأمسك الله تعالى عن الحوت جربة الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا كان من النداء قال موسى لفتاه آتينا غداً نا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به وقال له فتاه (أرايت إذ أوينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجيباً) قال فكان للحوت مربياً ولموسى ولفتاه عجيباً وقال موسى (ذلك ما كنا نبغي) نطلبه فارتدا

مربا ولموسى وقناه عجبا (فقال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا) قال فرجعا يقصان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ؛ ثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام . فقال أنا موسى . فقال موسى بني إسرائيل ؟ قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا (قال إنك إن تستطيع معي صبرا) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمه الله لا أعلمه . فقال موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) قال له الخضر (فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكاموم أن يحملوم فعرفوا الخضر فحملوم بغير نول ، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلم لوحا من ألواح السفينة بالقصود ، فقال له موسى قد حملونا بغير نول فعدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا (قال ألم أقل إنك إن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا) قال وقال رسول الله ﷺ « فكانت الأولى من موسى نسيانا » قال وجاء عصفور فوقم على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين فقال له الخضر : ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر . ثم خرجا من السفينة فيمينا هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه فاقبله بيده فقتله فقال له موسى (أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا) قال (ألم أقل لك إنك إن تستطيع معي صبرا) قال وهذه أشد من الأولى ، (قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي مثالا فقال الخضر بيده (فأقامه) فقال موسى قوم أتيتهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا (لو شئت لاتخذت عليه أجرا) قال (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) فقال رسول الله ﷺ « ووددنا أن موسى كان صبرا حتى يقص الله علينا من خبرهما » قال سعيد بن جبير : كان ابن عباس يقرأ (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا) وكان يقرأ (وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين) ثم رواه البخاري عن قتبية عن سفيان بن عيينة فذكر نحوه وفيه فخرج موسى ومعه على آثارهما قصصا * فوجدا عبدا من عبادنا آتياه رحمة من عندنا وعلماه من لدنا علما * قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر عليك السلام وأنى بأرضك السلام فقال له أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم : قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا (قال إنك إن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمه الله لا أعلمه فقال موسى (ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا) فقال له الخضر (فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا * فانطلقا) يمشيان على

فتاه يوشع بن نون ومعهما الخوت حتى انتهيا الى الصخرة فترلا عندها قال فوضع موسى رأسه فنام قال سفيان وفي حديث عن عمرو قال وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حي فأصاب الخوت من ماء تلك العين فتمحرك وانسل من المكمل فدخل البحر ، فلما استيقظ قال موسى لفتاه (آنا غدا نا) قال وساق الحديث ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضر لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره وذكر غماه بنحوه ، وقال البخاري أيضاً حدثنا ابراهيم بن موسى حدثنا هشام بن يوسف ان ابن جريج أخبرهم قال أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار عن سعيد بن جبير يزيد أحدهما على صاحبه وغيرهما قد سمعته يحدث عن سعيد بن جبير قال إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني فقلت أي أبا عباس جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم انه ليس بموسى بني اسرائيل أما عمرو فقال لي قال كذب عدو الله ، وأما يعلى فقال لي قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « موسى رسول الله ذكر الناس يوماً حتى إذا قاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدر كة رجل فقال أي رسول الله هل في الارض أحد أعلم منك ؟ قال لا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم الى الله قيل بلى قال اي رب وابن قال يجمع البحرين قال أي رب اجعل لي علماً أعلم ذلك به . قال لي عمرو حيث يفارقك الخوت وقال لي يعلى خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح فأخذ حوتاً فجعله في مكمل فقال لفتاه لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الخوت قال ما كلفت كبيراً فذلك قوله (وإذ قال موسى لفتاه) يوشع بن نون . ليست عند سعيد بن جبير قال فيينا هو في ظل صخرة في مكان يريان إذ يضرب الخوت وموسى قائم فقال فتاه لا أوقفه حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره ويضرب الخوت حتى دخل في البحر فأمسك الله عنه جرية الماء حتى كأن أثره في حجر قال فقال لي عمرو هكذا كأن أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليهما قال (لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً) قال وقد قطع الله عنك النصب ليست هذه عند سعيد بن جبير أخبره فرجعا فوجدا خضراً قال قال عثمان بن أبي سليمان على طنفسة خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوب قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت رأسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه

ساحل البحر فمرت سفينة فكلهم وهم ان يحملوها فعرفوا الخضر فحملوها بغير نول حتى اذا ركبا في السفينة لم يعبأ الا والخضر قد قلع لوحاً من الواح السفينة بالقدم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقنها (لتفرق أهلها لقد جئت شيئا إصرا قال ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا * فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله) وقال رسول الله ﷺ فكانت الاولى من موسى نسيانا والوسطى شرطاً والثالثة عمداً قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثلاً نقصي هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فييئها هما يشيان على الساحل إذ أبصر

وقال هل بأرض من سلام من أنت؟ قال أنا موسى، قال موسى بني اسرائيل؟ قال نعم قال فما شأنك؟ قال: جئتكم لتعلمني مما علمت رشداً، قال أما يكفيك أن التوراة بيديك وأن الوحي يأتيك؟ يا موسى ان لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال والله ما علمي وعلمك في جنب علم الله الا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر حتى اذار كبا في السفينة وجدا معابر صفاراً تحمل أهل هذا الساحل الى هذا الساحل الا آخر عرفوه فقالوا عبد الله الصالح قال فقلنا لسعيد بن جبير خضر قال نعم لانحملة بأجر فخرها وتود فيها وبدا قال موسى آخرتها لتغرق اهلها؟ لقد جئت شيئاً امراً قال مجاهد منكراً قال ألم أقل انك ان تستطيع معي صبراً كانت الاولى نسياناً والثانية شرطاً والثالثة عمداً قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري سرراً فانطلقا حتى لقيانا غلاماً فقتله قال يعلى قال سعيد وجد غلاماً يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين فقال أقتلت نفساً زكية لم تعجل الخنث وابن عباس قرأها زكية زكية مسامة كقولك غلاماً زكياً فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال بيده هكذا ودفع بيده فاستقام قال لو شئت لانتخذت عليه أجراً قال يعلى حسبت أن سعيداً قال ففسحه بيده فاستقام قال لو شئت لانتخذت عليه أجراً قال سعيد أجراً نأكله وكان وراءهم ملك وكان أمامهم قرأها ابن عباس أمامهم ملك يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد والغلام المقتول اسمه يزعمون حبسون ملك يأخذ كل سفينة غصبا فأردت اذا هي مرت به أن يدعها بعيها فاذا جاوزوا أصحابوها فانتفخوا بها. منهم من يقول سددها بقارورة ومنهم من يقول بالقار كان أبواه مؤمنين وكان هو كافراً فخشينا أن يرهقها طفليانا وكفرا أن يحملها حبه على أن يتابعاه على دينه فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة كقوله (أقتلت نفساً زكية) وقوله (وأقرب رحماً) هما به أرحم منهما بالاول الذي قتل خضر وزعم غير سعيد بن جبير انهما أبداً جارية وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد أنها جارية

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خطب موسى عليه السلام بني اسرائيل فقال ما أحد أعلم بالله وبأمره مني فأمر أن يلقي هذا الرجل فذكر نحو ما تقدم

الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتله بيده وقتله فقال له موسى (أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك انك ان تستطيع معي صبراً) قال وهذه أشد من الاولى (قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعها أهلها فأبوا أن يضيئوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) قال كان ما نلا فقال الخضر بيده فأقامه فقال موسى قوم أيديناهم فلم يطعمونا ولم يضيئونا ووشئت لانتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك) الى قوله ذلك تأويل ما لم نستطع عليه صبراً فقال رسول الله ﷺ «وددنا ان موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس يقرأ وكان امامهم ملك يأخذ كل

بزيادة و نقصان والله أعلم . وقال محمد بن اسحاق عن الحسن بن حمارة عن الحكم بن عتيبة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا أبا العباس ان نوحاً بن امرأة كعب يزعم عن كعب ان موسى النبي الذي طلب العلم انما هو موسى بن ميثا ، قال سعيد فقال ابن عباس أنوف يقول هذا يا سعيد ؟ فقلت له نعم أنا سمعت نوحاً يقول ذلك قال أنت سمعته يا سعيد قال قلت نعم قال كذب نوح . ثم قال ابن عباس حدثني أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ ان موسى بنى إسرائيل سأل ربه فقال أي رب ان كان في عبادك أحد هو أعلم مني فدلي عليه فقال له نعم في عبادي من هو أعلم منك ثم نعمت له مكانه وأذن له في لقيه ، فخرج موسى ومعه فتاه ومعه حوت مليح قد قيل له اذا جئني هذا الحوت في مكان فصاحبك هنالك وقد أدركت حاجتك ، فخرج موسى ومعه فتاه ومعه ذلك الحوت يحملانه فسار حتى جهده السير وانتهى الى الصخرة والى ذلك الماء وذلك الماء ماء الحياة من شرب منه خلد ولا يقارنه شيء . ميت الا حيي فلما نزلوا ومس الحوت الماء حيي فأتخذ مبيله في البحر سرباً فانطلقا فلما جاوز النقلة قال موسى لفتاه آتنا غداً نا لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً ، قال الفتى وذكر أرايت اذ أوتينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره واتخذ مبيله في البحر عجيباً ، قال ابن عباس فظهر موسى على الصخرة حتى اذا انتهيا اليها فاذا رجل متلفف في كساء له فسلم موسى عليه فرد عليه السلام ثم قال له ماجا بك ان كان لك في قومك لشغل قال له موسى جئتكم لتعلمني مما علمت رشداً قال انك لن تستطيع معي صبراً وكان رجلاً يعلم علم الغيب قد علم ذلك فقال موسى بلى قال (وكيف نصبر على ما لم نحط به خبراً) أي انما تعرف ظاهر ما نرى من العدل ولم نحط من علم الغيب بما أعلم قال (متجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) وان رأيت ما يخالفني ، قال (فان أتبعني فلا تسألني عن شيء) وإن أنكرته (حتى أحدث لك منه ذكراً) فانطلقا يمشيان على ساحل البحر يتعرضان الناس يلتمسان من يحملهما حتى مرتا بهما سفينة جديدة وثيقة لم يمر بهما من السفن شيء . أحسن ولا أجمل ولا أوثق منها فسألا أهلها أن يحملوهما فحملوهما فلما اطأنا فيها ولجت بهما مع أهلها أخرج منقاراً له ومطرفة ثم عمد الى ناحية منها فضرب فيها بالمنقار حتى خرقتها ثم أخذ لوحاً فطبقه عليها

سفينة صالحة غصبا ، وكان يقرأ وأما الفلام فكان كافراً وكان ابواه مؤمنين وعن سعيد بن جبير في رواية أخرى عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ « قام موسى رسول الله فذكر الناس يوماً حتى اذا فاضت العيون وورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك ؟ قال لا فكتب الله عليه اذ لم يرد العلم إلى الله قيل بلى عبدنا الخضر قال يارب وأين قال بمجمع البحرين . قال خذ حوتاً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح » وفي رواية قيل له تزود حوتاً ملحاً فانه حيث تفقد الحوت فأخذ حوتاً فجعله في مكمل رجعا الى التفسير قوله (واذا قال موسى لفتاه) يوشع بن نون (لا أبرح) أي لا أزال أسير (حتى أبلغ بمجمع البحرين) قال قتادة بحر فارس وبحر

ثم جلس عليها يرقعها فقال له موسى ورأى أمرا أظلم به (آخرتها لتفرق أهلها لقد جئت أمرا) قال (ألم أقل لك لن تستطيع معي صبرا * قال لا تأخذني بما نسيت) أي بما تركت من عهدك (ولا ترهقني من أمري عسرا) ثم خرجا من السفينة فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية فاذا غلمان يلعبون خلفها فيهم غلام ليس في الغلمان غلام أظرف منه ولا أثرى ولا أوضأ منه فأخذه بيده وأخذ حجراً فضرب به رأسه حتى دمه فقتله ، قال فرأى موسى أمراً فظيماً لا صبر عليه ، صبي صغير قتله لا ذنب له قال (أقتلت نفساً زكية) أي صغيرة (بغير نفس لقد جئت شيئاً فكريا * قال ألم أقل لك لن تستطيع معي صبرا * قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا) أي قد عذرت في شأني (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فهدمه ثم قعد بينيه ، فضجر موسى مما يراه بصنم من التكليف وما ليس عليه صبر فأقامه قال (لو شئت لاتخذت عليه أجراً) أي قد استطعناهم فلم يطعمونا وضمناهم فلم يضيفونا ثم قعدت تعمل من غير صنعة ولو شئت لاتعطيت عليه أجراً في عمله ، قال (هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا * أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا) وفي قراءة أبي بن كعب (كل سفينة صالحة) وإنما عيبها لأرده عنها فسلمت منه حين رأى العيب الذي صنعت بها ، وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا فأردنا أن يبدلها ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً ، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته

الروم مما يلي المشرق ، وقال محمد بن كعب طنجة ، وقال أبي بن كعب إفريقية (أو امضي حتما) أي وإن كان حتما أي دهرأ طويلاً وزماناً وجمعه أحقاب والحقب جمع الحقب قال عبدالله بن عمر والحقب ثمانون سنة فحملاً خبزاً وسمكة مالحه حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلاً وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئاً إلا حيي فلما أصاب السمكة روح الماء وبوده اضطربت في المسكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله (فلما بلغا) يعني موسى وفناء (فجمع بينهما) أي بين البحرين (نسيا) تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعاً تزوداه لسفرهما كما يقال خرج القوم إلى موضع كذا وحلوا من الزاد كذا وإنما حمله واحد منهم (فاتخذ) أي الحوت (سبيلاً في البحر مربياً) أي مسلماً وروي عن أبي بن كعب عن رسول الله ﷺ أنجب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا بالخضر قال ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئاً من البحر إلا يبس حتى صار صخرة ، وقال ابن الكلبي تواضاً يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المالح في المسكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنبه فلا يضرب بذنبه شيئاً من الماء وهو ذاهب إلا يبس ، وقد روي أنها لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج

كنز لها وكان أبوها صالحا فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري) أي ما فعلته عن نفسي (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) فكان ابن عباس يقول ما كان الكنز إلا علما، وقال العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر أنزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار أنزل الله أن ذكرهم بأيام الله فخطب قومه فذكر ما آتاهم الله من الخير والنعمة وذكرهم إذ نجاهم الله من آل فرعون وذكرهم هلاك عدوهم وما استخلفهم الله في الأرض وقال كلم الله نبيكم نكليا واصطفا في نفسه وأنزل علي محبة منه وآتاهم الله من كل ما سألوه فنيبكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة فلم يترك نعمة أنعم الله عليهم إلا وعرفهم إياها. فقال له رجل من بني إسرائيل هم كذلك يا بني الله قد عرفنا الذي تقول فهل على الأرض أحد أعلم منك يا بني الله؟ قال لا. فبعث الله جبرائيل إلى موسى عليه السلام فقال إن الله يقول وما يدريك أين أضع علمي بلي أني على شط البحر رجلا هو أعلم منك. قال ابن عباس هو الخضر، فسأل موسى ربه أن يرهبه إياه، فأوحى إليه أن أئت البحر فانك تجد على شط البحر حوتا فخذ فادفعه إلى فتاك ثم ألزم شاطئ البحر فإذا نسيت الحوت وهلك منك فم تجد العبد الصالح الذي تطلب. فلما طال سفر موسى نبي الله ونصب فيه سأل فتاه عن الحوت، فقال له فتاه وهو غلامه (أرأيت إذ أؤينا إلى الصخرة فاني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) لك، قال الفتى لقد رأيت الحوت حين أخذ سبيله في البحر سربرا فأعجب ذلك، فرجع موسى حتى أتى الصخرة فوجد الحوت فجعل الحوت بضرب في البحر ويتبعه

وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربرا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كان من الغد

قوله تعالى ﴿ فلما جاوزا ﴾ يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين ﴿ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا ﴾ أي طعامنا والغداء ما بعد للأكل غدوة والعشاء ما بعد للأكل عشية ﴿ لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ﴾ أي تعبنا وشدة وذلك أنه القي على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه فقال له فتاه وتذكر ﴿ أرأيت إذ أؤينا إلى الصخرة ﴾ وهي صخرة كانت بالموضع المعهود قال هقل بن زياد هي الصخرة التي دون نهر الزيت ﴿ فاني نسيت الحوت ﴾ أي تركته وفقدته وذلك أن يوشع حين رأى ذلك من الحوت قام ليدرك موسى فيخبره فنتسى أن يخبره فكثا بهم ما حتى صليا الظهر من الغد قيل في الآية اضمار معناه نسيت أن أذكر لك أمر الحوت ثم قال ﴿ وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ﴾ أي وما أنسانيه أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان وقرأ أنسانيه وفي الفتح (عليه الله) بضم الهاء وقيل معناه أنسانيه أن لا أذكره ﴿ واتخذ سبيله في البحر عجبا ﴾ قيل هذا من قول يوشع يقول طفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا وروينا في الخبر كان للحوت سربرا ولموسى وفتاه عجبا وقيل هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر سربرا قال له موسى

موسى وجعل موسى يقدم عصاه بفرج بها عنه الماء يتبع الحوت وجعل الحوت لا يمس شيئاً من البحر إلا يلبس عنه الماء حتى يكون صخرة فجعل نبي الله يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت الى جزيرة من جزائر البحر فلقى الخضر بها فسلم عليه فقال الخضر وعليك السلام وأنى يكون السلام بهذه الارض ومن أنت؟ قال أنا موسى . قال الخضر : صاحب بني اسرائيل؟ قال نعم فرحب به وقال ماجاء بك؟ قال جئتك (على أن تعلمني مما علمت رشداً) قال انك لن تستطيع معي صبراً (يقول لا تطيق ذلك قال) (ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً) قال فانطلق به وقال له : لا تسألني عن شيء أصنع حتى آبين لك شأنه فذلك قوله (حتى أحدث لك منه ذكراً) وقال الزعري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس انه تمارى هو والحارث بن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى فقال ابن عباس هو خضر فمر بهما أبي بن كعب فدعاه ابن عباس فقال اني تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل الى لقيته فهل سمعت رسول الله ﷺ يذكر شأنه قال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « بينا موسى في ملا من بني اسرائيل اذ جاءه رجل فقال تعلم مكان رجل أعلم منك قال لا فأوحى الله الى موسى بلى عبدنا خضر فسأل موسى السبيل الى لقيه فجعل الله له الحوت آية وقيل له اذا فقدت الحوت فارجع فانك ستلقاه فكان موسى يتبع أثر الحوت في البحر فقال فتي موسى لموسى أرأيت اذ أوبنا الى الصخرة فاني نسيت الحوت قال موسى (ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثرهما قصصاً) فوجدنا عبدنا خضرأ فكان من شأنهما ما قص الله في كتابه

عجبا كأنه قال أعجب أعجبا قال ابن زيد أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرأ ثم صار حياً بعد ما أكل بعضه (قال) موسى (ذلك ما كنا نبغ) أي نطلب (فارتدا على آثرهما قصصاً) أي رجعا بقصص الاثر الذي جاءا منه أي يتبعيان فوجدنا عبدأ من عبادنا قيل كان ملكاً من الملائكة والصحيح الذي جاء في التواريخ وثبت عن النبي ﷺ انه الخضر واسمه بليان ملكان قيل كان من نسل بني اسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين تزهّدوا في الدنيا والخضر لقب له سمي بذلك لما أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي أنبأنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنه سمي خضرأ لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء قال مجاهد سمي خضرأ لانه اذا صلى اخضر ماحوله وروينا أن موسى رأى الخضر مسجياً بثوب فسلم عليه فقال الخضر واني بارضك السلام . قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً وفي رواية اخرى لقيه مسجياً بثوب مستلقياً على قفاه بعض الثوب تحت رأسه وبعضه تحت رجله وفي رواية لقيه وهو يصلي ويروي لقيه على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله تعالى (فوجدنا عبدأ من عبادنا آتيناه رحمة) أي نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) أي علم الباطن الهاماً ولم يكن الخضر

قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً؟ (٦٦) قل انك لن تستطيع معي

صبراً (٦٧) وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً (٦٨) قال ستجدني ان شاء الله صابراً ولا

أعصي لك أمراً (٦٩) قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً (٧٠)

يخبر تعالى عن قيل موسى عليه السلام لذلك الرجل العالم وهو الخضر الذي خصه الله بعلم لم يطلع عليه موسى كما أنه أعطى موسى من العلم ما لم يعطه الخضر (قال له موسى هل أتبعك) سؤال تلفت لا على وجه الالتزام والاجبار وهكذا ينبغي أن يكون سؤال المتعلم من العالم وقوله (أتبعك) أي أصحبك وأرافقك (على أن تعلمن مما علمت رشداً) أي مما علمك الله شيئاً أسترشد به في أمري من علم نافع وعمل صالح فعندها (قال) الخضر لموسى (انك لن تستطيع معي صبراً) أي انك لا تقدر على مصاحبتني لما ترى مني من الافعال التي تخاف شريعتك لاني على علم من علم الله ما علمك الله وأنت على علم من علم الله ما علمته الله فكل منا مكلف بأمر من الله دون صاحبه وأنت لا تقدر على صحتي (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) فأنا أعرف أنك ستفكر علي ما أنت معذور فيه ولكن ما اطلعت على حكمته ومصاحته الباطنة التي اطلعت أنا عليها دونك (قال) أي موسى (ستجدني ان شاء الله صابراً) أي على ما أرى من أمورك (ولا أعصي لك أمراً) أي ولا أخالفك في شيء فعند ذلك شارب الخضر عليه السلام (قال فان اتبعني فلا تسألني عن شيء) أي ابتداء (حتى أحدث لك منه ذكراً) أي حتى أبدأك أنا به قبل أن تسألني

قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن هارون عن عبيدة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى عليه السلام ربه عز وجل فقال أي رب أي عبادك أحب إليك؟ قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فأي عبادك أقضي؟ قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال أي رب أي عبادك أعلم؟ قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى

فبينا عند أكثر أهل العلم (قال له موسى هل أتبعك) يقول جئت لاتباعك وأصحبك (على أن تعلمن مما علمت رشداً) قرأ أبو عمرو ويعقوب رشداً بفتح الراء والشين وقرأ الآخرون بضم الراء وسكون الشين أي صواباً وقبل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر كفى بالتوراة علماً وبينى امرائيل شغلاً فقال له موسى إن الله أمرني بهذا فحينئذ (قال) له الخضر (انك لن تستطيع معي صبراً) وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكراً ولا يجوز للانبياء أن يصبروا على المنكرات ثم بين عذره في ترك الصبر فقال له (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) أي علماً (قال) موسى (ستجدني ان شاء الله صابراً) إنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا

قال أي رب هل في أرضك أحد أعلم مني؟ قال نعم قال فمن هو؟ قال الخضر قال وأين أطلبه؟ قال على الساحل عند الصخرة التي ينفلت عندها الحوت قال فخرج موسى يطلبه حتى كان ما ذكر الله وانتهى موسى إليه عند الصخرة فسلم كل واحد منهما على صاحبه فقال له موسى إني أحب أن أصبح بك قال انك لن تطيق صحبتي قال بلى قال فان صحبتني (فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا) قال فسار به في البحر حتى انتهى الى مجمع البحرين وليس في الارض مكان أكثر ماء منه قال وبعث الله الخطاف فجعل يستقي منه بمنقاره فقال لموسى كم ترى هذا الخطاف رزأ من هذا الماء قال ما أقل ما رزأ قال يا موسى فان علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقي هذا الخطاف من هذا الماء وكان موسى قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه أو تكلم به فمن ثم أمر أن يأتي الخضر وذكر تمام الحديث في خرق السفينة وقتل الغلام واصلاح الجدار وتفسيره له ذلك

فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتفريق أهلها؟ لقد جئت شيئا

لامرا (٧١) قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا (٧٢) قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا

ترهقني من أمري عسرا (٧٣)

يقول تعالى يخبراً عن موسى وصاحبه وهو الخضر إنهما انطلقا لما توافقا واصطحبيا واشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره حتى يكون هو الذي يبتدئه من تلقاء نفسه بشرحه وبيانه فركبا في السفينة وقد تقدم في الحديث كيف ركبا في السفينة وأنهم عرفوا الخضر فحملوها بغير نول يعني بغير أجرة تكرمه للخضر فلما استقلت بهم السفينة في البحر ولججت أي دخلت الابهة قام الخضر فخرقها واستخرج لوحا من ألواحها ثم رقعها فلم يملك موسى عليه السلام نفسه أن قال منكرا عليه (أخرقتها لتفريق أهلها)

أعصى لك أمرا أي لا أخالفك فيما تأمرني (قال) الخضر (فان اتبعني) فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه إلا أنه شرط عليه شرطا فقال (فلا تسألني) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والآخرون بسكون اللام وتخفيف النون (عن شيء) عمله فيما تنكره ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) حتى ابتدئ. لك بذكره فابين لك شأنه (فانطلقا) بمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال أهل السفينة هؤلاء لصوص وأمروها بالخروج فقال صاحب السفينة مام بلصوص ولكني أرى وجوه الانبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال «مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرّفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من السفينة فذلك قوله (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال) له موسى (أخرقتها لتفريق أهلها) قرأ حمزة والكسائي بيفرق بالياء وفتحها

وهذه اللام لام العاقبة لا لام التعليل كما قال الشاعر : * لدوا للموت وابنوا للخراب *
 (لقد جئت شيئا إمرا) قال مجاهد منكراً وقال قتادة عجباً فعندها قال له الخضر مذكراً بما تقدم من
 الشرط (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) يعني وهذا الصنيع فعلته قصداً وهو من الأمور التي
 اشترطت معك أن لا تنكر علي فيها لأنك لم تحط بها خبراً ولما دخل هو مصلحة ولم تعلمه أنت (قال)
 أي موسى (لا تؤاخذني بما نسبت ولا ترهقني من أمري عسراً) أي لا تضيق علي ولا تشدد علي
 ولهذا تقدم في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال « كانت الأولى من موسى نسياناً »

فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله قال أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكراً (٧٤)

قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً (٧٥) قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصطحبني
 قد بلغت من لدني عذراً (٧٦)

يقول تعالى (فانطلقا) أي بعد ذلك (حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) وقد تقدم أنه كان يلعب مع

وفتح الزاء أهلها بالرفع على الزوم وقرأ الآخرون بالثاء ورفعها وكسر الزاء أهلها بالنصب على أن
 الفعل للخضر (لقد جئت شيئا إمرا) أي منكراً والامر في كلام العرب الداهية وأصله كل شيء
 شديد كثير يقال أمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم وقال القتيبي إمراً أي عجباً وروي أن الخضر
 لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروي أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشى به الحرق وروي أن
 الخضر أخذ قدحاً من الزجاج وورقه به خرق السفينة (قال) العالم وهو الخضر (ألم أقل إنك لن تستطيع
 معي صبراً * قال) موسى (لا تؤاخذني بما نسبت) قال ابن عباس إنه لم ينس ولكن من معاريف
 الكلام فكانه نسي شيئاً آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك وقال أبي بن كعب
 عن النبي ﷺ « كانت الأولى من موسى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عداءً » (ولا ترهقني) ولا
 تعشني (من أمري عسراً) وقيل لا تكلفني مشقة يقال أرهقته عسراً أي كلفته ذلك يقول لا تضيق
 علي أمري وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر

قوله تعالى (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاماً فقتله) في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فورا
 بفلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاماً ظريفاً وضيء الوجه فاضمعه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان
 أحسنهم وجهاً وكان وجهه يتوقد حسناً وروينا أنه أخذ برأسه فاقطعه بيده وروي عبد الرزاق هذا
 الخبر وأشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقطع برأسه وروي أنه رضع رأسه بالحجارة
 وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاماً لم يبلغ الخنث وهو قول الأكثرين قال
 ابن عباس لم يكن نبي الله يقول أقتلت نفساً زكية إلا وهو صبي لم يبلغ وقال الحسن كان رجلاً وقال

الغلمان في قرية من القرى وأنه عمد اليه من بينهم وكان أحسنهم وأجلهم وأضوأهم فقتله ، وروي أنه احترق رأسه وقيل رضخه بحجر ، وفي رواية اقتلعه بيده والله أعلم فلما شاهد موسى عليه السلام هذا أنكره أشد من الاول وبادر فقال (أقتلت نفساً زكية) أي صغيرة لم تعمل الحنث ولا عملت إثمًا بهد فقتلته (بغير نفس) أي بغير مستند لقتله (لقد جئت شيئاً نكراً) أي ظاهر النكارة (قال ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبراً) فأكد ايضا في التذكار بالشرط الاول فلماذا قال له موسى (ان سأنتك عن شيء بعدها) أي ان اعترضت عليك بشيء بعد هذه المرة (فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً) أي قد اعذرت الي مرة بعد مرة

قال ابن جرير حدثنا عبد الله بن زياد حدثنا حجاج بن محمد عن حمزة الزيات عن أبي اسحاق

شعيب الجبائي كان اسمه جيسور قال السكابي كان قتي يقطع الطريق ويأخذ المتاع ويلجأ الى أبويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه . أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر ابن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج أنا انا عبد الله ابن مسleme بن مغيث ثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن رقية بن مصقلة عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ «إن الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً ولو عاش لارهق أبويه طغياناً وكفراً» (قال) موسى «أقتلت نفساً زكية» قرأ ابن كثير ونافع وأبو جعفر وأبو عمرو زكية بالالف وقرأ الآخرون زكية قال الكسائي والفراء معناها واحد مثل القاسية والقسية وقال أبو عمرو بن العلاء الزكية التي لم تذنّب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت (بغير نفس) أي لم تقتل نفساً بشيء وجب به عليها القتل (لقد جئت شيئاً نكراً) أي منكر أقال قتادة النكر أعظم من الامر لأنه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة كان خوف الهلاك وقيل الامرا عظم لأنه كان فيه تغريق جمع كثير قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وأبو بكر ههنا نكراً وفي سورة الطلاق بضم الكاف والآخرون بسكونها (قال) يعني الخضر «ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبراً» قيل زاد هنالك لأنه نقض العهد مرتين وفي القصة أن يوشع كان يقول لموسى يا بني الله اذكر العهد الذي انت عليه (قال) موسى «إن سألتك عن شيء بعدها» بعد هذه المرة (فلا تصاحبني) وفارقتي وقرأ يعقوب فلا تصاحبني بغير الف من الصحبة (قد بلغت من لدني عذراً) قرأ أبو جعفر ونافع وأبو بكر من لدني خفيفة النون وقرأ الآخرون بتشديد هاء قال ابن عباس أي قد اعذرت فيما بيني وبينك وقيل قد عذرتني اني لا أستطيع معك صبراً وقيل اتضح لك العذر في مفارقتي أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا عبد الله بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن عبد الاعلى القيسي ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن رقية عن أبي اسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ «رحمة الله علينا

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ إذا ذكر أحدا فدعاه بدأ بنفسه فقال ذات يوم «رحمة الله علينا وعلى موسى لو لبث مع صاحبه لا بصر العجب ولكنه قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا» منقلبه

فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً

يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتنقضت عليه أجرا (٧٧) قال هذا فراق بيني وبينك

سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا (٧٨)

يقول تعالى مخبراً عنهما إنهما (انطلقا) بعد المرتين الاولين (حتى إذا أتيا أهل قرية) روى ابن جريج عن ابن سيرين أنها الابله، وفي الحديث «حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً» أي بخلاء (فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) اسناد الارادة ههنا إلى الجدار على سبيل الاستعارة فان الاراد في المحدثات بمعنى الميل والانتقاض هو السقوط، وقوله (فأقامه) أي فرده الى حالة

وعلى موسى - وكان اذا ذكر أحداً من الانبياء بدأ بنفسه - لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب «قوله تعالى (فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية) قال ابن عباس يعني انطاكية وقال ابن سيرين هي الابله وهي أبعد الارض من السماء وقيل برقة وعن أبي هريرة بلدة بالاندلس «استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما» قال أبي بن كعب عن النبي ﷺ حتى إذا أتيا أهل قرية لثاماً فطافا في المجالس فاستطعما فأبوا أن يضيفوهما وروي أنهما طافا في القرية فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروي أنهما طافا في القوم فاستطعما فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما قال قتادة شر القرى التي لا تضيف الضيف وروي عن أبي هريرة قال اطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعوا لنسائهم ولعنارجالهم

قوله تعالى (فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض) أي يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لان الجدار لا ارادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب داري تنظر الى دار فلان إذا كانت تقابلها (فأقامه) أي سواه وروي عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ فقال الخضر بيده فأقامه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده فاستقام وروي عن ابن عباس هدمه ثم قعد بينه وقال السدي بل طينا وجعل بيني الحائط (قال) موسى (لو شئت لتنقضت عليه أجرا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب لتنقضت بتخفيف التاء وكسر الحاء وقرأ الآخرون لتنقضت بتشديد التاء وفتح الحاء وهما لغتان مثل اتبع وتبع (عليه) يعني على اصلاح الجدار (أجراً) يعني جملاً معناه إنك قد علمت اننا جيعا

الاستقامة ، وقد تقدم في الحديث أنه رده بيديه ودعاه حتى ردميله وهذا خارق فعند ذلك قال موسى له (لوشئت لاتخذت عليه أجراً) أي لاجل أنهم لم يضيّفونا كان ينبغي أن لا تعمل لهم مجاناً (قال هذا فراق بيني وبينك) أي لانك شرطت عند قتل الغلام انك إن سألتني عن شيء بعدها فلا تصاحبني فهو فراق بيني وبينك (وسأنبك بتأويل) أي بتفسير (ما لم تستطع عليه صبراً)

أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ

كل سفينة غصبا (٧٩)

هذا تفسير ما اشكل امره على موسى عليه السلام وما كان انكر ظاهره وقد اظهر الله الخضر عليه السلام على حكمة باطنه فقال ان السفينة انما خرقها لاعيبها لانهم كانوا يمررون بها على ملك من الظلمة (يأخذ كل سفينة) صالحة أي جيدة (غصبا) فأردت ان اعيبها لارده عنها ليعيبها فينتفع بها اصحابها المساكين الذين لم يكن لهم شيء ينتفعون به غيرها وقد قيل انهم ايتام وروى ابن جريج عن وهب بن سلمان عن شعيب الجبائي ان اسم ذلك الملك هدد بن بدد وقد تقدم ايضا في رواية البخاري وهو مذكور في التوراة في ذرية العيص بن اسحاق وهو من الملوك المنصوص عليهم في التوراة والله أعلم

وأن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عمالك أجراً (قال) الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا لانكار على ترك الاجر هو المفرق بيننا وقال الزجاج معناه هذا فراق بيننا أي فراق اتصالنا وكرر بين تأكيذاً (سأنبك) أي سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) وفي بعض التفاسير أن موسى أخذ بثوبه فقال أخبرني بمعنى ما عملت قبل أن تفارقني فقال (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قال كعب كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر وفيه دليل على أن المساكين وان كان يملك شيئاً فلا يزول عنه اسم المسكنة اذا لم يقيم ما يملك بكفايته (يعملون في البحر) أي يؤاجرون ويكتسبون بها (فأردت أن أعيبها) أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم) أي أمامهم (ملك) كقوله (من وراءه جهنم) وقيل وراءهم خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والاول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس وكان أمامهم ملك (يأخذ كل سفينة غصبا) أي كل سفينة صالحة غصبا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقها وعيبها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي وكان كافراً قال محمد بن اسحاق اسمه منوله بن جلندي الأزدي وقال شعيب الجبائي اسمه هدد بن بدد وروى أن الخضر اعتذر الى القوم وذكر لهم شأن الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت اذا هي مرت به أن يدعها ليعيبها فاذا جاوزه أصلحوها فانتفعوا بها قيل سدوها بقارورة وقيل باقار

وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا (٨٠) فأردنا أن

يبدلها ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما (٨١)

قد تقدم أن هذا الغلام كان اسمه جيسور . وفي الحديث عن ابن عباس عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال « الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا » رواه ابن جرير من حديث ابن إسحاق عن سعيد عن ابن عباس به ، ولهذا قال (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا) أي يحملهما حبه على متابعتة على الكفر

قال قتادة قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب وصح في الحديث « لا يقضي الله لمؤمن قضاء إلا كان خيرا له » وقال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم) وقوله (فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما) أي ولداً أذكى من هذا وهما أرحم به منه قاله ابن جرير وقال قتادة أبر بوالديه وقد تقدم انهما بدلا جارية ، وقيل لما قتله الخضر كانت أمه حاملا بغلام مسلم قاله ابن جرير

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا

قوله تعالى (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أي فعلنا وفي قراءة ابن عباس وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلنا (أن يرهقهما) يغشيهما وقال الكلبي يكلفهما (طغيانا وكفرا) قال سعيد بن جبير فخشينا أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه (فأردنا أن يبدلها) قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالتشديد ههنا وفي سورة التحريم والقلم وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما اثنان وفرق بعضهم فقال التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعين الشيء قائم والاببدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه (ربهما خيرا منه زكاة) أي صلاحا وتقوى (وأقرب رحما) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون بحزها أي عطفوا من الرحمة وقيل هو من الرحم والقرابة قال قتادة أي أوصل الرحم وأبر بوالديه قال الكلبي أبدلها الله جارية فتزوجها نبي من الانبياء فولدت له نبيا فهدي الله على يديه أمة من الامم وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال أبدلها الله جارية ولدت سبعين نبيا . قال ابن جرير أبدلها بغلام مسلم قال مطرف فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض امرؤ بقضاء الله تعالى فان قضاء الله للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب

قوله تعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) وكان اسمهما امرم وصرم (وكان

فأراد ربك أن يبلغنا أشدهما ويستخرجنا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك

تأويل ما لم تسطع عليه صبراً (٨٢)

في هذه الآية دليل على اطلاق القرية على المدينة لانه قال أولا (حتى إذا أتيا أهل قرية) وقال ههنا (فكان الغلامين يقيمين في المدينة) كما قال تعالى (فكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعني مكة والطائف ومعنى الآية ان هذا الجدار انما أصلحته لانه كان لغلامين يقيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما قال عكرمة وقتادة وغير واحد كان تحته مال مدفون لهما وهو ظاهر السياق من الآية وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، وقال العوفي عن ابن عباس كان تحته كنز علم وكذا قال سعيد بن جبير ، وقال مجاهد صحف فيها علم ، وقد ورد في حديث مرفوع ما يقوي ذلك . قال الحافظ ابو بكر احمد بن عمرو بن عبد الحائق البزار في مسنده المشهور حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا بشر بن المنذر حدثنا الحارث بن عبد الله اليمصبي عن عياش بن عباس الفسائي عن أبي حنيفة عن أبي ذر رفعه قال : ان الكنز الذي ذكره الله في كتابه لوح من ذهب مصمت مكتوب فيه : عجب لمن أيقن بالقدر لم نصب وعجبت لمن ذكر النار لم ضحك وعجبت لمن ذكر الموت لم غفل لا إله الا الله محمد رسول الله . وبشر بن المنذر هذا يقال له قاضي المصيصه قال الحافظ ابو جعفر العقيلي في حديثه وهم وقد روي في هذا آثار عن السلف فقال ابن جرير في تفسيره حدثني يعقوب حدثنا الحسن بن حبيب بن ندبة حدثنا سلمة عن نعيم النخعي وكان من جلساء الحسن قال : سمعت الحسن يعني البصري يقول في قوله (وكان تحته كنز لهما) قال لوح من ذهب مكتوب فيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله الا الله محمد رسول الله . وحدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عبد الله بن عباس عن عمر مولى عفرة قال

تحته كنز لهما اختافوا في ذلك الكنز روي عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال « كان ذهباً وفضة » وقال عكرمة كان مالا وعن سعيد بن جبير كان الكنز صحفا فيها علم وعن ابن عباس أنه قال كان لوحاً من ذهب مكتوب فيه : عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، عجب لمن أيقن بالحساب كيف يغفل ، عجب لمن أيقن بالرزق كيف يتعب ، عجب لمن أيقن بالقدر كيف ينصب ، عجب لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا إله الا الله محمد رسول الله . وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا إله الا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له الخير واجريته على يديه . وهذا قول أكثر المفسرين وروي ذلك مرفوعاً قال الزجاج الكنز اذا اطلق ينصرف الى كنز المال ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كنز علم وهذا اللوح كان جامعاً لهما « وكان أبوهما صالحاً »

ان الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف (وكان تحته كنزهما) قال كان لوحا من ذهب مصمت مكتوب فيه: بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن عرف النار ثم ضحك عجب لمن أيقن بالتقدير ثم نصب عجب لمن أيقن بالموت ثم آمن أشهد ان لا إله الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله. وحدثني احمد بن حازم الفغاري حدثنا هنادة بنت مالك الشيبانية قالت سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله تعالى (وكان تحته كنزهما) قال سطران ونصف لم يتم الثالث: عجبت للمؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت للمؤمن بالحساب كيف يفهل وعجبت للمؤمن بالموت كيف يفرح. وقد قال الله (وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) قالت وذكراهما حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما وبين الاب الذي حفظا به سبعة آباء وكان نساجا وهذا الذي ذكره هؤلاء الائمة وورد به الحديث المتقدم وان صح لا ينافي قول عكرمة انه كان مالا لانهم ذكروا انه كان لوحا من ذهب وفيه مال جزيل أكثر مما زادوا انه كان مودعا فيه علم وهو حكم ومواعظ والله أعلم. وقوله (وكان أبوهما صالحا) فيه دليل على أن الرجل الصالح يحفظ في ذريته وتشمل بركة عبادته لهم في الدنيا والآخرة بشفاعته فيهم ورفع درجاتهم إلى أعلى درجة في الجنة لتقر عينه بهم كما جاء في القرآن ووردت به السنة قال سعيد بن جبير عن ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما ولم يذكر لهما صلاحا وتقدم انه كان الاب السابع فله أعلم. وقوله (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما) ههنا أسند الارادة إلى الله تعالى لان بلوغها الحلم لا يقدر عليه إلا الله، وقال في الغلام (فأردنا أن يبدلها ربهما خيرا منه زكاة) وقال في السفينة (فأردت أن أعيها) فله أعلم. وقوله تعالى (رحمة من ربك وما فعلته عن أمري) أي هذا الذي فعلته في هذه الاحوال الثلاثة انما هو من رحمة الله بمن ذكرنا من أصحاب السفينة والدي الغلام وولدي الرجل الصالح وما فعلته عن أمري أي لكني أمرت به ووقفت عليه وفيه دلالة لمن قال بنبوة الخضر عليه السلام مع ما تقدم من قوله (فوجدنا عبداً من عبادنا أتينا به رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) وقال آخرون كان رسولا وقيل بل كان ملكا نقله الماوردي

قيل كان اسمه كاشح وكان من الاقيا. قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الاب الصالح سبعة آباء. قال محمد بن المنكدر ان الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته وعشيرته وأهل دويرات حوله فما يزاون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب إني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي

قوله عز وجل (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي يبلغا وبمعنا وقيل أن يدركا شدة ما وقوتهما وقيل ثمانين سنة (ويستخرجا) حينئذ (كنزهما رحمة) نعمة (من ربك وما فعلته عن أمري) أي باختياري ورأيي بل فعلته بأمر الله وأوامره (ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا) أي لم نطق عليه صبرا واستطاع واستطاع بمعنى واحد وروى أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له أوصني قال لا تطلب

في تفسيره وذهب كثيرون الى انه لم يكن نبيا بل كان وليا فافقه أعلم . وذکر بن قتية في المعارف ان اسم الخضر بلياً بن ملىكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارغشذ بن سام بن نوح عليه السلام قالوا وكان يكنى أبا العباس ويلقب بالخضر وكان من أبناء الملوك ذكره النووي في تهذيب الاسماء وحكى هو وغيره في كونه باقيا الى الآن ثم الى يوم القيامة قولين ومال هو وابن الصلاح الى بقائه وذكروا في ذلك حكايات وآثاراً عن السلف وغيرهم وجاء ذكره في بعض الاحاديث ولا يصح شيء من ذلك وأشهرها حديث التعزية واسناده ضعيف، ورجح آخرون من المحدثين وغيرهم خلاف ذلك واحتجوا بقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) ويقول النبي ﷺ يوم بدر « اللهم إن تملك هذه العصاة لا تعبد في الارض » وبأنه لم ينقل أنه جاء الى رسول الله ﷺ ولا حضر عنده ولا قاتل معه ولو كان حياً لكان من أتباع النبي ﷺ وأصحابه لانه عليه السلام كان مبعوثاً الى جميع الثقلين الجن والانس وقد قال « لو كان موسى وعيسى حيين لما وسعها إلا اتباعي » وأخبر قبل موته بقليل انه لا يبقى ممن هو على وجه الارض الى مائة سنة من ليلته تلك عين تطرف الى غير ذلك من الدلائل

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في الخضر قال « انما سمي خضراً لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز من تحته خضراء » ورواه أبضاعن عبد الرزاق وقد ثبت أيضاً في صحيح البخاري عن همام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « انما سمي الخضر لانه جلس على فروة فاذا هي تهتز تحته خضراء » والمراد بالفروة ههنا الحشيش اليابس وهو الحشيم من النبات ، قاله عبد الرزاق . وقيل المراد بذلك وجه الارض وقوله (ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبراً) أي هذا تفسير ماضقت به ذرعاً ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ، ولما ان فسر له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال (نستطع) وقبل ذلك كان الاشكال قويا ثقيلًا فقال (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبراً) فقابل الاثقل بالاثقل والاخف بالاخف كما قال (فما استطاعوا أن يظهروه) وهو الصعود الى أعلاه (وما استطاعوا له تقبلاً) وهو أشق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظاً ومعنى والله أعلم . فان قيل : فما بال قى موسى ذكر في أول القصة ثم لم يذكر بعد ذلك ؟ فالجواب ان المقصود بالسياق انما هو قصة موسى مع الخضر وذكر ما كان بينهما وقتى موسى معه تبع وقد صرح في الاحاديث المتقدمة في الصحاح وغيرها أنه يوشع بن نون وهو الذي كان نبي بني إسرائيل

العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ، واختلفوا في أن الخضر حي أم ميت قبل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وقبل ميت ، وكان سبب حياته فيما يحكى انه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العينين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكر الله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وذهب آخرون الى انه ميت لقوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقال النبي ﷺ بعد ما صلى العشاء ليلة « رأيتمكم

بعد موسى عليه السلام ، وهذا يدل على ضعف ما أورده ابن جرير في تفسيره حيث قال : حدثنا ابن حميد حدثنا مسلم حدثني ابن إسحاق عن الحسن بن عمار عن أبيه عن عكرمة قال قيل لابن عباس : لم نسمع لفتى موسى يذكر في حديث وقد كان معه قال ابن عباس فيما يذكر من حديث الفتى قال شرب الفتى من الماء فخلد فأخذ العالم فطابق به سفينة ثم أرسله في البحر فانها تموج به الى يوم القيامة وذلك انه لم يكن له أن يشرب منه فشرب ، اسناده ضعيف والحسن مفروك وأبوه غير معروف

ويستلونك عن ذي القرنين ، قل سأتلوا عليكم منه ذكرا (٨٣) إنا مكنتاه في الارض

وآتينه من كل شيء سببا (٨٤)

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ويستلونك) يا محمد (عن ذي القرنين) أي عن خبره . وقد قدمنا انه بعث كفارا مكة إلى أهل الكتاب يستلون منهم ما يمتحنون به النبي ﷺ فقالوا سلوه عن رجل طواف في الارض ، وعن فتية لا يدري ما صنعوا ، وعن الروح ، فنزلت سورة الكهف ، وقد أورد ابن جرير ههنا والاموي في مغازيه حديثا أسنده وهو ضعيف عن عقبة بن عامر أن نفرا من اليهود جاءوا يستلون النبي ﷺ عن ذي القرنين فأخبرهم بما جاءوا له ابتداء فكان فيما أخبرهم به انه كان شابا من الروم وانه بنى الاسكندرية وانه علا به ملك إلى السماء وذهب به إلى السد ورأى أقواما وجوههم مثل وجوه الكلاب وفيه طول ونسكارة ورفع له يصيح وأكثر ما فيه انه من أخبار بني اسرائيل ، والعجب ان أبازرعة الرازي مع جلالة قدره ساقه بتمامه في كتابه دلائل النبوة وذلك غريب منه ، وفيه من النكارة انه من الروم وأما الذي كان من الروم الاسكندر الثاني وهو ابن فيلبس المقدوني الذي تؤرخ به الروم ، فأما الاول فقد ذكر الازرق وغيره انه طاف بالبيت مع ابراهيم الخليل عليه السلام أول ما بناه وآمن به واتبعه وكان وزيره الخضر عليه السلام ، وأما الثاني فهو اسكندر بن فيلبس المقدوني اليوناني وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف المشهور والله أعلم ، وهو الذي تؤرخ من مملكته ملة الروم وقد كان قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثمائة سنة ، فأما الاول المذكور في القرآن فكان في زمن الخليل كما ذكره الازرق وغيره وانه طاف مع الخليل عليه السلام بالبيت العتيق لما بناه ابراهيم عليه السلام وقرب الى الله قربانا ، وقد ذكرنا طرفا صالحا من أخباره في كتاب البداية والنهاية بما فيه كفاية والله الحمد

يلتكم هذه قات على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو اليوم حي على ظهر الارض أحد ، ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده

قوله تعالى (ويستلونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا) خبراً واختلفوا في نبوته فقال بعضهم كان نبيا ، وقال ابو الطفيل سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين أ كان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبداً أحب الله وأحبه الله وناصح الله فناصره الله وروي أن

وقال وهب بن منبه : كان ملكا وانما سمي ذا القرنين لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس ، قال : وقال بعض أهل الكتاب لانه ملك الروم وفارس ، وقال بعضهم كان في رأسه شبه القرنين ، وقال سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل قال سئل علي رضي الله عنه عن ذي القرنين فقال كان عبدا ناصحا لله فناصره دعا قومه الى الله فضر به على قرنه فمات فأحياء الله فدعا قومه الى الله فضر به على قرنه فمات فسمي ذا القرنين ، وكذا رواه شعبة عن القاسم بن أبي بزة عن أبي الطفيل سمع عليا يقول ذلك ، ويقال انه انما سمي ذا القرنين لانه بلغ المشرق والمغرب من حيث بطلم قرن الشمس ويقرب وقوله (إنا مكننا له في الارض) أي أعطيناه ملكا عظيما مكننا فيه من جميع ما يؤتى الملوك من التمكين والجنود وآلات الحرب والحصارات ولهذا ملك المشرق والمغرب من الارض ودانت له البلاد وخضعت له ملوك العباد وخدمته الامم من العرب والعجم ، ولهذا ذكر بعضهم أنه انما سمي ذا القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها

وقوله (وآتيناه من كل شيء سببا) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والسدي وقتادة والضحاك وغيرهم يعني علما ، وقال قتادة أيضا في قوله (وآتيناه من كل شيء سببا) قال منازل الارض وأعلامها ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وآتيناه من كل شيء سببا) قال تعليم الاسنة قال كان لا يفزرو قوما إلا كلهم بالسائم ، وقال ابن لهيعة حدثني سالم بن غيلان عن سعيد بن أبي هلال ان معاوية بن أبي سفيان قال لكعب الاحبار أنت تقول ان ذا القرنين كان يربط خيله بالثريا؟ فقال له كعب ان كنت قلت ذلك فان الله قال (وآتيناه من كل شيء سببا) وهذا الذي أنكروه معاوية

عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول لا آخر يا ذا القرنين فقال سميت بأسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميت بأسماء الملائكة . والا كثرون على انه كان ملكا عادلا صالحا واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين قال الزهري لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها ، وقيل لانه كان ملك الروم وفارس ، وقيل لانه دخل النور والظلمة ، وقيل لانه رأى في المنام كأنه أخذ بقرني الشمس ، وقيل لانه كانت له ذؤابتان حسنتان وقيل لانه كان له قرنان تواريهما العامة وروى أبو الطفيل عن علي انه قال : سمي ذا القرنين لانه أمر قومه بتقوى الله فضر به على قرنه الايمن فمات فبعثه الله ثم أمرهم بتقوى الله فضر به على قرنه الايسر فمات فأحياء الله . واختلفوا في اسمه قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلقوس بن ياعلوس الرومي

قوله عز وجل (إنا مكننا له في الارض) أوطأنا والتمكين تمهيد الاسباب ، وقال علي سخر له السحاب فحمله عليها ومد له في الاسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه في الارض وهو انه سهل عليه السير فيها وذل له طرقها (وآتيناه من كل شيء) أي من كل شيء يحتاج اليه الخلق وقيل من كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعداء (سببا) أي علما

رضي الله عنه على كعب الاحبار هو الصواب والحق مع معاوية في ذلك الا انكار فان معاوية كان يقول عن كعب ان كنا لنبلو عليه الكذب يعني فيما ينقله لا أنه كان يعتمد نقل ما ليس في صحفه ولكن الشأن في صحفه أنها من الاسرائيليات التي غالبها مبدل مصحف محرف مخلق ولا حاجة لنا مع خبر الله تعالى ورسول الله ﷺ إلى شيء منها بالكلية فانه دخل منها على الناس شر كثير وفساد عريض . وتأويل كعب قول الله (وآتيناه من كل شيء سبباً) واستشهاده في ذلك على ما يجده في صحفه من أنه كان يربط خيله بالثريا غير صحيح ولا مطابق فانه لا سبيل للبشر إلى شيء من ذلك ولا إلى الترفي في أسباب السموات وقد قال الله في حق بلقيس (وأوتيت من كل شيء) أي مما يؤتي مثلها من الملوك ، وهكذا ذو القرنين يسر الله له الأسباب أي الطرق والوسائل إلى فتح الاقاليم والرساتيق والبلاد والاراضي وكسر الاعداء وكبت ملوك الارض واذلال أهل الشرك قد أوتي من كل شيء مما يحتاج اليه مثله سبباً والله أعلم . وفي المختارة للمعافظ الضياء المقدسي من طريق قتيبة عن أبي عوانة عن سماك بن حرب عن حبيب بن حماد قال : كنت عند علي رضي الله عنه وسأله رجل عن ذي القرنين كيف باغ المشرق والمغرب ؟ فقال سبحانه الله سخر له السحاب وقدر له الأسباب وبسط له اليد

فأتبع سبباً (٨٥) حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً قلنا يبئذا القرنين إما ان تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسناً (٨٦) قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً (٨٧) وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى ، وستقول له من أمرنا يسرا (٨٨)

قال ابن عباس (فأتبع سبباً) يعني بالسبب المنزل ، وقال مجاهد (فأتبع سبباً) منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب ، وفي رواية عن مجاهد (سبباً) قال طر في الارض ، وقال قتادة أي اتبع منازل الارض ومعالمها ، وقال الضحاك (فأتبع سبباً) أي المنازل ، وقال سعيد بن جبير في قوله (فأتبع سبباً) قال علما وهكذا قال عكرمة وعبيد بن يعلى والسدي ، وقال مطر معالم وآثار كانت قبل ذلك

يتسبب به إلى كل ما يريد ويسير به في أقطار الارض والسبب ما يوصل به إلى الشيء ، وقال الحسن بلاغا إلى حيث أراد وقيل قربنا إليه أقطار الارض (فأتبع سبباً) أي سلك وسار طريقاً قرأ أهل الحجاز والبصرة فأتبع ثم اتبع موصولاً مشدداً وقرأ الآخرون بقطع الالف وجزم التاء وقيل معناها واحد والمصحح الفرق بينهما فن قطع الالف فمعناه أدرك والحق ومن قرأ بالتشديد فمعناه سار يقال مازلت أتبعه حتى أتبعته أي مازلت أسير خلفه حتى لحقته وقوله (سبباً) أي طريقاً وقال ابن عباس

وقوله (حتى إذا بلغ مغرب الشمس) أي فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب وهو مغرب الأرض وأما الوصول إلى مغرب الشمس من السماء فمتعذر وما يذكره أصحاب القصص والخبار من أنه سار في الأرض مدة والشمس تقرب من ورائه فشيء لا حقيقة له وأكثر ذلك من خرافات أهل الكتاب واختلاف زنادقتهم وكذبهم وقوله (وجدها تغرب في عين حمئة) أي رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه وهي لا تغارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه والحمئة مشتقة على إحدى القراءتين من الحماة وهو الطين كما قال تعالى (أني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون) أي طين أملس وقد تقدم بيانه ، وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أنبأنا نافع بن أبي نعيم سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول كان ابن عباس يقول في عين حمئة ثم فسرهما ذات حمأة قال نافع وسئل عنها كعب الاحبار فقال أنتم أعلم بالقرآن مني ولكني أجدها في الكتاب تقيب في طينة سوداء ، وكذا روى غير واحد عن ابن عباس ، وبه قال مجاهد وغير واحد وقال أبو داود الطيالسي حدثنا محمد بن دينار عن سعد بن أوس عن مصدع عن ابن عباس عن أبي بن كعب أن النبي ﷺ أقرأه حمئة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وجدها تغرب في عين حامية يعني حارة وكذا قال الحسن البصري ، وقال ابن جرير والصواب أنهما قراءتان مشهورتان وأيهما قرأ القاري فهو مصيب قلت ولا منافاة بين معنيهما إذ قد تكون حارة لجوارنها وهيج الشمس عند غروبها وملانها الشعاع بلا حائل وحمئة في ماء وطين أسود كما قال كعب الاحبار وغيره

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن المثني حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام حدثني مولى لعبد الله بن عمرو عن عبد الله قال نفا رسول الله ﷺ إلى الشمس حين غابت فقال « في نار الله الحامية لولا مايزعها من أمر الله لأحرقت ما على الأرض » قلت ورواه الامام أحمد عن يزيد بن هارون وفي نسخة رفع هذا الحديث نظر ولعله من كلام عبد الله بن عمرو من زاملتيه القتين وجدهما يوم البروك والله أعلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا حماد بن حمزة حدثنا محمد يعني ابن بشر حدثنا عمرو بن ميمون أنبأنا ابن حاصر أن ابن عباس ذكر له أن معاوية بن أبي سفيان قرأ الآية التي في سورة الكهف (تغرب في عين حامية) قال ابن عباس لمعاوية ما قرؤها الا حمئة فسأل معاوية عبد الله بن عمرو كيف تقرأها فقال عبد الله كما قرأها قال ابن عباس فقلت لمعاوية في بيتي نزل القرآن فارسل إلى كعب

منزلاً (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) قرأ أبو جعفر وأبو عامر وحزمة والكسائي وأبو بكر حامية بالالف غير مهموزة أي حارة وقرأ الآخرون حمئة مهموزاً بغير ألف أي ذات حمأة وهي الطينة السوداء وسأل معاوية كعباً كيف تجد في التوراة أن تغرب الشمس قال تجد في التوراة أنها تغرب في ماء وطين قال القتيبي يجوز أن يكون معنى قوله (في عين حمئة) أي عندها

فقال له أين تجد الشمس تغرب في التوراة؟ فقال له كعب سل أهل العربية فانهم أعلم بها، وأما أنا فاني أجد الشمس تغرب في التوراة في ماء وطين وأشار بيده الى المغرب قال ابن حاصر لو اني عندك أفدتك بكلام تزداد فيه بصيرة في حمئة قال ابن عباس وإذا ما هو قلت فيا يؤثر من قول تبع فيما ذكر به ذا القرنين في مخلقه بالعلم واتباعه إياه

بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب أمر من حكيم مرشد

فرأى مقام الشمس عند غروبها في عين ذي حلب وناظر حرم

فقال ابن عباس ما الحلب قلت الطين بكلامهم قال فما التاط قلت الحماة قال فما الحرم قلت الاسود قال فدعا ابن عباس رجلا أو غلاما فقال اكتب ما يقول هذا الرجل وقال سعيد بن جبير بينما ابن عباس يقرأ سورة الكهف فقرأ وجدها تغرب في عين حمئة فقال كعب والذي نفس كعب يده ماسمت أحدا يقرؤها كما أنزلت في التوراة غير ابن عباس فانا نجدتها في التوراة تغرب في مدرة سوداء، وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا اسحاق بن أبي اسرائيل حدثنا هشام بن يوسف قال في تفسير ابن جريج (ووجد عندها قوما) قال مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا أصوات أهلها لسمع الناس وجوب الشمس حين تجيب، وقوله (ووجد عندها قوما) أي أمة من الأمم ذكروا أنها كانت أمة عظيمة من بني آدم وقوله (قلنا يا ذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) معنى هذا أن الله تعالى يمكنه منهم وحكمه فيهم وأظفروهم وخيره أن شاء قتل وسبي وإن شاء من أوفدي فعرف عدله وإيمانه فيما أبداه عدله وبيانه في قوله (أما من ظلم) أي استمر على كفره وشركه فرببه فسوف نعذبه قال قتادة بالقتل وقال السدي كان يحمي لهم بقر النحاس ويضعهم فيها حتى يذوبوا وقال وهب بن منبه كان يسلط الظلمة فتدخل أجوافهم ويوتهم وتغشاهم من جميع جهاتهم والله أعلم، وقوله (ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) أي شديداً بليغا وجيما وفي هذا إثبات المعاد والجزاء

عين حمئة أو في رأي العين (ووجد عندها قوما) أي عند العين أمة قال ابن جريج مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجيب (قلنا يا ذا القرنين) يستدل بهذا من زعم أنه كان نبيا فإن الله تعالى خاطبه والاصح أنه لم يكن نبيا والمراد منه الإلهام (إما أن تعذب) يعني إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الاسلام (وإما أن تتخذ فيهم حسنا) يعني تعفو وتصفح وقيل تأمرهم فتعلمهم الهدى خيره الله بين الأمرين (قال أما من ظلم) كفر (فسوف نعذبه) أي يقتله (ثم يرد الى ربه) في الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أي منكرا يعني بالنار والنار أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب جزاء منصوبا منونا أي فله الحسنى جزاء نصب على المصدر وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة والحسنى الجنة وإضافة الحسنى إليها كما قال (ولدار الآخرة خير) والدار هي الآخرة وقيل المراد بالحسنى على

وقوله (وأما من آمن) أي تابعتنا على ما ندعوه اليه من عبادة الله وحده لا شريك له (فله جزاء الحسنى) أي في الدار الآخرة عند الله عز وجل (وسنقول له من أمرنا يسرا) قال مجاهد معروفا

ثم أتبع سبباً (٨٩) حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها

سترأ (٩٠) كذلك وقد أطينا بما لديه خيراً (٩١)

يقول تعالى ثم سلك طريقاً فصار من مغرب الشمس إلى مطلعها وكان كلما مر بامة قهرم وغلبهم ودعاهم إلى الله عز وجل فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم من كل أمة ما تستعين به جيوشه على قتال الأقليم المتأخم لهم ، وذكر في أخبار بني إسرائيل أنه عاش ألفاً وسبعمائة سنة بمغرب الأرض طولها وعرضها حتى بلغ المشارق والمغارب ولما انتهى إلى مطلع الشمس من الأرض كما قال الله تعالى (وجدها تطلع على قوم) أي أمة (لم نجعل لهم من دونها سترأ) أي ليس لهم بناء. يكنهم ولا أشجار تظلمهم وتسرمهم من حر الشمس ، قال سعيد بن جبير كانوا حراً قصارا مساكنهم الغيران أكثر معيشتهم من السمك

وقال أبو داود الطيالسي حدثنا سهيل بن أبي الصلت سمعت الحسن وسئل عن قول الله تعالى (لم نجعل لهم من دونها سترأ) قال إن أرضهم لا تحمل البناء فإذا طلعت الشمس تفوروا في المياه فإذا غربت خرجوا يتراعون كما ترعى البهائم قال الحسن هذا حديث سمرة ، وقال قتادة ذكر لنا أنهم بارض لا تنبت لهم شيئاً فهم إذا طلعت الشمس دخلوا في أمراب حتى إذا زالت الشمس خرجوا إلى حروثهم ومعايشهم وعن سلمة بن كهيل أنه قال : ليست لهم أكنان إذا طلعت الشمس طلعت عليهم فلا حدم أذنان يفرش إحداهما ويلبس الأخرى . قال عبدالرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترأ) قال هم الزنيج ، وقال ابن جرير في قوله (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترأ) قال لم يبنوا فيها بناء قط ولم يبن عابهم فيها بناء قط كانوا إذا طلعت الشمس دخلوا أسراباً لهم حتى تزول الشمس أو دخلوا البحر وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل جاءهم جيش

هذه القراءة الأعمال الصالحة أي له جزاء الأعمال الصالحة (وسنقول له من أمرنا يسرا) أي نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا وقال مجاهد يسراً أي معروفا (ثم أتبع سبباً) أي سلك طرقاً ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أي موضع طلوعها (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترأ) قال قتادة والحسن لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء فكانوا يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم وقال الحسن كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء فإذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهائم وقال السكاكي هم قوم عراة يفرش أحدهم أذنيه ويلتحف بالآخرى

مرة فقال لهم أهلها لا تطلعن عليكم الشمس وأنتم بها قالوا لا نبرح حتى نطلع الشمس ما هذه العظام ؟ قالوا هذه جيف جيش طلعت عليهم الشمس ههنا فأتوا ، قال فذهبوا هارين في الأرض وقوله (كذلك وقد أحطنا بالذي خبرنا) قال مجاهد والسدي : علماً أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه لا يخفى علينا منها شيء ، وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى (لا يخفى علينا شيء في الأرض ولا في السماء)

ثم أتبع سبياً (٩٢) حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون

قولاً (٩٣) قالوا يا هذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً

على أن تجعل بيننا وبينهم سداً (٩٤) قال ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم

وبينهم ردماً (٩٥) آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا

جعله ناراً قال آتوني افرغ عليه قطراً (٩٦)

يقول تعالى مخبراً عن ذي القرنين ثم أتبع سبياً أي ثم سلك طريقاً من مشارق الأرض حتى إذا بلغ بين السدين وهما جيلان متناوحيان بينهما نفرة يخرج منها يأجوج ومأجوج على بلاد الترك فيعيثون فيها فساداً ويهلكون الحرث والنسل ويأجوج ومأجوج من سلالة آدم عليه السلام كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول : يا آدم فيقول لبيك وسعديك فيقول ابعدت النار فيقول وما بعث النار ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها فقال ان فيكم أميين ما كانتا في شيء إلا كثرتا يأجوج ومأجوج ، وقد حكى النووي رحمه الله في شرح مسلم عن بعض الناس أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من

قوله عز وجل ﴿ كذلك ﴾ قيل معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطالعها والصحيح أن معناه كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس كذلك حكم في الذين هم عند طلوع الشمس ﴿ وقد أحطنا بما لديه خبراً ﴾ يعني بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات خبراً أي علماً ﴿ ثم أتبع سبياً حتى إذا بلغ بين السدين ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص السدين وسداً ههنا بفتح السين وافق حمزة والكسائي في سداً وقرأ الآخرون بضم السين وفي يس سداً بالفتح حمزة وحفص وقرأ الباقون بالضم منهم من قال هما لغتان معناهما واحد وقال عكرمة ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو سد بالضم وقاله أبو عمرو وقيل السد بالفتح مصدر وبالضم اسم وهما هنا

آدم فاخلط بالتراب فخلقوا من ذلك فعلى هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء وهذا قول غريب جداً ثم لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل ولا يجوز الاعتماد هنا على ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة والله أعلم

وفي مسند الإمام أحمد عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال « ولد نوح ثلاثة : سام أبو العرب وحام أبو السودان ، ويافث أبو الترك » قال بعض العلماء هؤلاء من نسل يافث أبي الترك ، وقال أنعمسي هؤلاء تركا لأنهم تركوا من وراء السد من هذه الجهة والافهم أقرباء أولئك ولكن كان في أولئك بغي وفساد وجراءة وقد ذكر ابن جرير هنا عن وهب بن منبه أثر طويلاً عجيباً في سير ذي القرنين وبنائه السد وكيف ما جرى له وفيه طول وغرابة ونكارة في أشكالمهم وصفاتهم وطولهم وقصر بعضهم وآذانهم وروى ابن أبي حاتم عن أبيه في ذلك أحاديث غريبة لا تصح أسانيداً والله أعلم

وقوله (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولاً) أي لا يستعجم كلامهم وبعدهم عن الناس قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً قال ابن جرير عن

جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزاً بين يأجوج ومأجوج ومن ورائهم (وجد من دونهما قوما) يعني أمام السدين (لا يكادون يفقهون قولاً) قرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف على معنى لا يفهمون غيرهم قولاً وقرأ الآخرون بفتح الياء والقاف أي لا يفهمون كلام غيرهم قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا يا ذا القرنين) فان قيل كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون قيل كلم عنهم مترجم دليلاً قراءة ابن مسعود (لا يكادون يفقهون قولاً) قال الذين من دونهما يا ذا القرنين (إن يأجوج ومأجوج) قرأهما عاصم مهموزين والآخرون بغير همز وهما لغتان أصلهما من أجبج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدهم وقيل بالهمزة من أجبج النار ويترك الهمز أمان أعجميان مثل هاروت وماروت وهم من أولاد يافث بن نوح قال الضمعاك هم جبل من الترك قال السدي الترك سرية من يأجوج ومأجوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة أنهم اثنان وعشرون قبيلة بنى ذو القرنين السد على إحدى وعشرين قبيلة فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سمو الترك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التاريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب والنعم والروم وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة والهند والسند فهما ابنان قارط بن حام بن نوح ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس في رواية عطاء هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء روى عن حذيفة مرفوعاً « إن يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسبسون إلى خراب الدنيا وقيل هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرض شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع

عطاء عن ابن عباس (أجر أعظيا) يعني أنهم أرادوا أن يجمعوا له من يشبههم مالا يعطونه إياه حتى يجعل بينه وبينهم سدا فقال ذو القرنين بعفو وديانة وصلاح وقصد للخير (ما مكني فيه ربي) خير أي أن الذي أعطاني الله من الملك والتمكين خير لي من الذي تجمعونه كما قال سليمان عليه السلام (أعدون بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم) الآية وهكذا قال ذو القرنين الذي أنا فيه خير من الذي تبذلونه

في السماء وهو لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم بقترش أحدهم أذنه ويلتحف الأخرى لا يبرون بفيل ولا وحش ولا خنزير ولا كلب إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقنهم بخراسان يشربون أنهار المشارق وبحيرة طبرية وعن علي أنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم وذلك أن آدم احتلم^(١) ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك أماء يا جوج وما جوج فهم يتصلون بنا من جهة الالب دون الام وذاكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجزز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله له إني باعك إلى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الأرض أحدهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الأرض أحدهما في القطر الأيمن يقال لها هاويل والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها ناويل ، وأم في وسط الأرض منهم الجن والانس ويا جوج وما جوج فقال ذو القرنين يارب بأي قوة أكارهم وبأي جمع أكارهم وبأي لسان اناطقهم قال الله عز وجل إني سافوك وأبسط لك لسانك وأشد عضدك فلا يهولك شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، واسخر لك النور والظلمة وأجعلهما من جنودك يهديك النور من امامك وتحوطك الظلمة من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصى إلا الله فكأبرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى الله وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت في أجوافهم وبيوتهم فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل فعمل فيهم كعمله في ناسك ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس فعمل فيها وجند فيها جنودا كعمله في الامتين ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى ناويل فعمل فيها كعمله فيما قبلها ثم عمدا إلى الامم التي في وسط الأرض فلما دنا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة سالحة من الانس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلفا أشباه البهائم يفترون الدواب والوحوش لهم أنياب واضراس كالسباع يأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم ولا شك أنهم سيملؤن الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها (فهل نجعل لك خرجا على أن نجعل بيننا وبينهم سدا * قال ما مكني فيه ربي خير) قال أعدوا لي الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا لهم مخالب كالظفار في أيدينا وأنياب

(١) قوله احتلم
هذا مردود فان
الانبياء عليهم الصلاة
والسلام معصومون
من الشيطان
والاحتلام
الشيطان اه

ولكن ساعدوني بقوة أي بعملكم وآلات البناء (أجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد)
والزبر جمع زبرة وهي القطعة منه قاله ابن عباس ومجاهد وقناة وهي كاللينة يقال كل لينة زنة فنطار
بالدمشقي أو نزيد عليه (حتى إذا ساوى بين الصدفين) أي وضع بعضه على بعض من الاساس حتى
إذا حاذى به رؤوس الجبلين طولاً وعرضاً واختلوا في مساحة عرضه وطوله على أقوال (قال انفخوا)
أي أجبج عليه النار حتى صار كله ناراً (قال آتوني أفرغ عليه قطراً) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة
والضحاك وقناة والسدي هو النحاس زاد بعضهم المذاب ويستشهد بقوله تعالى (وأسلنا له عين

واضراس كالسباع ولهم هذب من الشعر في أجسادهم يواريهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل
واحد منهم اذنان عظيمتان يفرش احدهما ويلتحف بالآخرى يصيف في احدهما وبشتونى الاخرى
يثسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذلك ذوالقرنين انصرف الى مابين الصدفين فقام
ما بينهما فحفر له الاساس حتى بلغ الماء وجهل حشوه الصخر وطينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار
كأنه عرق من جبل تحت الارض

قوله تعالى (مفسدون في الارض) قال الكلبي فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع الى أرضهم
فلا يدعون فيها شيئاً أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتلوه وأدخلوه أرضهم وقد اقوا منهم اذى
شديدا وقتلا ، وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس ، وقيل معناه أنهم سيفسدون في الارض
عند خروجهم (فهل نجعل لك خرجاً) قرأ حمزة والكسائي خراجاً بالالف ، وقرأ الآخرون خرجاً
بغير الف وهما لغتان بمعنى واحد أي جعلاً وأجرأ من أموالنا ، وقال ابو عمرو الخرج ما تبرعت به
والخراج ما لزمك اداؤه وقيل الخراج على الارض والخرج على الرقاب يقال أخرج رأسك وخراج
مدينتك (على ان نجعل بيننا وبينهم سداً) أي حاجزاً فلا يصلون اليها (قال) لهم ذوالقرنين (ما مكني
فيه) قرأ ابن كثير مكني بنونين ظاهرين ، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الادغام أي
ماقواني عليه (ربي خير) من جعلكم (فأعينوني بقوة) معناه إني لا اريد للمال بل اعينوني بآيدانكم
وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردماً) أي سداً قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل
والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتوني) اعطوني وقرأ ابو بكر آتوني أي جيثوني (زبر الحديد)
أي قطع الحديد واحدهما زبرة فأتوه بها وبالخطب وجعل بعضها على بعض فلم يزل يجعل الحديد
على الخطب والخطب على الحديد (حتى إذا ساوى بين الصدفين) قرأ ابن كثير وابن عامر وابو
عمرو ويعقوب بضم الصاد والدال وجزم أبو بكر الدال وقرأ الآخرون بفتحها وهما الجبلان ساوى
أي سوى بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) وفي القصة انه جعل الفحم والخطب في خلال زبر الحديد
ثم قال انفخوا يعني في النار (حتى إذا جعله ناراً) أي صار الحديد ناراً (قال آتوني) قرأ حمزة وابو
بكر وصلاً وقرأ الآخرون بقطع الالف (أفرغ عليه قطراً) أي آتوني قطراً أفرغ عليه والافراغ

القطر) ولهذا يشبه بالبرد المحبر . قال ابن جرير حدثنا بشر بن يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قال : ذكر لنا أن رجلا قال يا رسول الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال « انفتح لي » قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء . قال « قد رأيته » هذا حديث مرسل . وقد بعث الخليفة الوائق في دولة بعض أمرائه وجيز معه جيشا سرية لينظروا الى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا فتوصلوا من بلاد الى بلاد ومن ملك إلى ملك حتى وصلوا اليه ورأوا بناءه من الحديد ومن النحاس وذكروا أنهم رأوا فيه بابا عظيما وعليه أقفال عظيمة ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك ، وإن عنده حرسا من الملوك المتأخدة له وأنه عال منيف شاهر لا يستطيع ولا ماحوله من الجبال ثم رجعوا إلى بلادهم وكانت غيبتهم أكثر من سنتين وشاهدوا أهوالا وعجائب ثم قال الله تعالى

فما استطعوا أن يظهره وما استطعوا له نقبا (٩٧) قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا (٩٨) وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض ونفخ في الصور فجمعنهم جمعا (٩٩)

يقول تعالى مخبرا عن يأجوج ومأجوج أنهم ما قدروا على أن يصعدوا من فوق هذا السد ولا قدروا على نقبه من أسفله ولما كان الظهور عليه أسهل من نقبه قابل كلا بما يناسبه فقال (فما استطعوا أن يظهره وما استطعوا له نقبا) وهذا دليل على أنهم لم يقدرُوا على نقبه ولا على شيء منه فأما الحديث الذي رواه الامام احمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة حدثنا ابو رافع عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « ان يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعودون اليه كأشدا ما كان حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون اليه وهو كهيئة حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشقون المياه ويتحصن الناس منهم في حصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع عليها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الارض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيقتلهم بها قال رسول الله ﷺ « والذي نفس محمد بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكرا

الصب والقطر هو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب وبصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس قال قتادة هو كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وفي القصة ان عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع وطوله فرسخ (فما استطعوا أن يظهره) ان يعلوه من فوقه لطوله وملاسته (وما استطعوا له نقبا) من أسفله لشدة وصلابته ، وقرأ حمزة (فما استطعوا) بتشديد

من لحومهم ودمائهم : ورواه احمد أيضاً عن حسن هو ابن موسى الاشهب عن سفيان عن قتادة به وكذا رواه ابن ماجه عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال حدث ابو رافع وأخرجه الترمذي من حديث أبي عوانة عن قتادة ثم قال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه وإسناده جيد قوي ولكن مثنه في رفعه نكارة لان ظاهر الآية يقتضي أنهم لم يتمكنوا من ارتقاؤه ولا من نقبه لاحكام بنائه وصلابته وشده ولكن هذا قد روي عن كعب الاحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون غدا نفتحه فيأتون من الغد وقد عاد كما كان فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون غدا نفتحه ويلهمون أن يقولوا إن شاء الله فيصبحون وهو كما فارقه فيفتحونه وهذا متجه ولعل أبا هريرة تلقاه من كعب فانه كان كثيراً ما يجالسهم ويحدثهم فحدث به ابو هريرة فتروى بعض الرواة عنه انه مرفوع فرفعه والله أعلم

ويؤيد ما قلناه من أنهم لم يتمكنوا من نقبه ولا نقب شيء منه ومن نكارة هذا المرفوع قول الامام احمد حدثنا سفيان عن الزهري عن عروة عن زينب بنت أبي سلمة عن حبيبة بنت أم حبيبة بنت أبي سفيان عن أمها أم حبيبة عن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قال سفيان أربع نسوة قالت استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمر وجهه وهو يقول « لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا » وحلق قلت يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثر الخبث » هذا حديث صحيح اتفق البخاري ومسلم على اخراجه من حديث الزهري ولكن

الطاء أدغم تاء الافعال في الطاء (قال) يعني ذا القرنين (هذا) أي السد (رحمة) نعمة (من ربي) فإذا جاء وعد ربي قبل القيامة وقبل وقت خروجهم (جعل دكا) قرأ اهل الكوفة دكا بالمد والهمز أي ارضا ملساء ، وقرأ الآخرون بلا مد أي جعله مدكوكا مستويا مع وجه الارض (وكان وعد ربي حقاً) وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة برفعه « ان يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى إذا بلغت مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله واستثنى فيعودون اليه وهو كهيته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيقتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فيرجم فيها كهيئة الدم فيقولون قبرنا اهل الارض وعلونا اهل السماء فيبعث الله عليهم نغماً في أفقائهم فيهلكون وان دراب الارض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً » أخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن مهران الرازي ثنا الوليد بن مسلم ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن يحيى بن جابر الطائي عن عبد الرحمن

سقط في رواية البخاري ذكر أم حبيبة وأثبتها مسلم وفيه أشياء عزيزة نادرة قليلة الوقوع في صناعة الاسناد منها رواية الزهري عن عروة وهما تابعيان ومنها اجتماع أربع نسوة في سنده كلهن يروي بعضهن عن بعض ثم كل منهن صحابية ثم ثنتان ربيعتان وثلثان زوجتان رضي الله عنهن ، وقد روي نحو هذا عن أبي هريرة أيضاً فقال البزار حدثنا محمد بن مرزوق حدثنا مؤيد بن اسماعيل حدثنا وهب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال « ففتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد التسعين » وأخرجه البخاري ومسلم من حديث وهب به . وقوله (قال هذا رحمة من ربي) أي لما بناه ذو القرنين (قال هذا رحمة من ربي) أي بالناس حيث جعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج حائلاً يمنعهم من العبث في الأرض والفساد (فإذا جاء وعد ربي) أي إذا اقترب الوجود الحق (جعله دكا) أي ساواه بالارض تقول العرب ناقة دكا إذا كان ظهرها مستويا لاسنامها وقال تعالى (فلما تجل ربه للجبل جعله دكا) أي مساويا للأرض . وقال عكرمة في قوله (فإذا جاء وعد ربي جعله دكا) قال طريقا كما كان (وكان وعد ربي حقا) أي كائنا لا محالة . وقوله (وتركنا بعضهم) أي الناس يومئذ أي يوم يدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم وهكذا قال السدي في قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يوج في بعض) قال ذلك حين يخرجون على الناس وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال كما سيأتي بيانه عند قوله (حتى إذا فتحت

ابن جبير بن نفيير عن أبيه جبير بن نفيير عن النواص بن سميان قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخنض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال « ماشأنكم ؟ » قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال ذات غداة فخنضت فيه ورفعته حتى ظنناه في طائفة النخل فقال « غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فانا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه والله خليفتي على كل مسلم أنه شاب قطط عينه اليمنى طافية كآني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاش يمينا وعاش شمالا يا عباد الله فاثبتوا » قلنا يا رسول الله فما لبثه في الأرض ؟ قال « أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم » قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أيكيفينا فيه صلاة يوم ؟ قال « لا أقدرؤا له قدره » قلنا يا رسول الله وما امرأه في الأرض ؟ قال « كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرى وأسبغه ضرعا وأمدته خواصر ثم يأتي اقوم فيدعوم فيردون عليه قوله قال فينصرف عنهم فيصحبون محملين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتنبعه كنوزها كيما يسب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعو فيقبل ويتهاول وجهه بضحك فينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح

يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون واقترب الوعد الحق (الآية وهكذا قال ههنا) وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض (قال هذا أول يوم القيامة) ثم نفخ في الصور (على أثر ذلك) فجسعنهم جميعا (وقال آخرون بل المراد بقوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال اذا ماج الجن والانس يوم القيامة يختلط الانس والجن ، وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن يعقوب القمي عن هارون بن عنبرة عن شيخ من بني فزارة في قوله (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال اذا ماج الانس والجن قال إبليس أنا أعلم لكم علم هذا الامر فيظعن الى المشرق فيجد الملائكة قد قطعوا الارض ثم يظعن الى المغرب فيجد الملائكة قد قطعوا الارض فيقول ما من محيص ثم يظعن يمينا وشمالا إلى أقصى الارض فيجد الملائكة قد قطعوا الارض فيقول ما من محيص فيبينها هو كذلك اذ عرض له طريق كالشراك فأخذ عليه هو وذريته فيبيناهم عليه اذ هجموا على النار فأخرج الله خازنا من خزان النار فقال يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك ألم تكن في الجنان ؟ فيقول ليس هذا يوم عتاب لو أن الله فرض علي فريضة لعبده فيها عبادة لم يعبد مثله أحد من خلقه فيقول فان الله قد فرض عليك فريضة فيقول ما هي فيقول يأمرك أن تدخل النار فيهلكك عليه فيقول به وبذريته بجناحيه فيقتلهم في النار فتزفر النار زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جنى لركبته وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث يعقوب القمي به ثم رواه من وجه آخر عن يعقوب عن هارون عن عنبرة عن أبيه عن ابن عباس (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قال الانس والجن يموج بعضهم في بعض

عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي باب دمشق بين مهزودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تنمطر منه مثل جمان أو لا يحل لكافر يجحد من ربح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بياب لد فيقتله ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحمدتهم بدرجاتهم في الجنة فيبينها هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عبادا لي لا يد لاحد بقتالهم فخرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لاحد من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرمى كوت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونقنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتنطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض أنتي عمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان القمحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللحمة من البقر لتكفي

وقال الطبراني حدثنا عبد الله بن محمد بن العباس الاصماني حدثنا ابو مسعود احمد بن الفرات حدثنا ابو داود الطيالسي حدثنا المغيرة بن مسلم عن أبي اسحاق عن وهب بن جابر عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال « ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم ولو أرسلوا لأفسدوا على الناس معايشهم ولن يموت منهم رجل إلا ترك من ذريته ألفافصاعداً وان من ورائهم ثلاث أُمم تاويل وتايس ومنسك » هذا حديث غريب بل منكر ضعيف . وروى النسائي من حديث شعبة عن النعمان بن سالم عن عمرو بن أوس عن أبيه عن جده أوس بن أبي أوس مرفوعاً « ان يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ماشاءوا وشجر يلقحون ماشاءوا ولا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفافصاعداً وقوله (ونفخ في الصور) والصور كما جاء في الحديث قرن بنفخ فيه والذي ينفخ فيه امرأيل عليه السلام كما قد تقدم في الحديث بطوله والاحاديث فيه كثيرة . وفي الحديث عن عطية عن ابن عباس وأبي سعيد مرفوعاً « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحني جبهته واستمع متى يؤمر » قلوا كيف تقول قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا . وقوله (فجمعناهم جميعاً) أي أحضرنا الجميع للحساب (قل ان الاولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم — وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً)

وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً (١٠٠) الذين كانت أعينهم في غفلة عن ذكرى

القبيلة من الناس واللقمة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فينبأهم كذلك إذ بعث الله رجلاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحر فعليهم تقوم الساعة » وبهذا الاسناد حدثنا مسلم بن الحجاج ثنا علي بن حجر السعدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر والوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر بهذا الاسناد نحو ما ذكرنا وزاد بعد قوله لقد كان بهذه مرة ما ثم يسبرون حتى ينتهوا إلى جبل الحخر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الارض هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم بنشابهم مخضوبة دماً ، وقال وهب انهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الخشب والشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقدر أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ، أخبرنا عبد الواحد المايحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل أنبأنا أحمد أنبأنا أبي أنبأنا ابراهيم عن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال « ليحجن الببت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج » وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما دجى توفي بشهر زور وذكر بعضهم أن عمره كان نيفاً وثلاثين سنة

وقوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم على بعض كوج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكنهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط انسيهم بنحنيهم حيارى (ونفخ في الصور) لان خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جميعاً) في صعيد واحد (وعرضنا)

وكانوا لا يستطيعون سماعا (١٠١) أخسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء؟ انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا (١٠٢)

يقول تعالى مخبراً عما يفعله بالكفار يوم القيامة أنه يعرض عليهم جهنم أي يبرزها لهم ويظهرها ليروا ما فيها من العذاب والنكال قبل دخولها ليكون ذلك أبلغ في تعجيل الهم والحزن لهم وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « يؤني بجهنم تقاد يوم القيامة بسبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » ثم قال مخبراً عنهم (الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) أي تغافلوا وتعاموا وتعاموا عن قبول الهدى واتباع الحق كما قال (ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطاناً فهو له قرين) وقال ههنا (وكانوا لا يستطيعون سماعاً) أي لا يعقلون عن الله أمره ونهيهِ ثم قال (أخسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أي اعتقدوا أنهم يصح لهم ذلك وينفعون به (كلا سيكفرون بهادتهم ويكونون عليهم ضدّاً) ولهذا أخبر الله تعالى أنه قد أعد لهم جهنم يوم القيامة منزلاً

قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً؟ (١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٤) أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقاءه فخبطلت أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً (١٠٥) ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آيتي ورسلي هزواً (١٠٦)

أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضاً) حتى بشاهدوها عياناً (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء والغطاء ما يغطي به الشيء ويستتره (عن ذكرى) يعني عن الإيمان والقرآن عن الهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل (وكانوا لا يستطيعون سماعاً) أي سمع القبول والإيمان لغلبة الشقاوة عليهم وقيل لا يعقلون وقيل كانوا لا يستطيعون أي لا يقدرون أن يسمعوا من رسول الله ﷺ ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له كقول الرجل لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئاً لعداوته (أخسب) أفظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء) أرباباً يريد بالعباد عيسى والملائكة كلا بل هم لهم أعداء ويبتعدون منهم قال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله وقال مقاتل الأصنام مماها عباداً كما قال (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) وجواب هذا الاستفهام محذوف قال ابن عباس يريد أني لا أغضب لنسبي يقول أفظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء واني لا أغضب لنفسي ولا أعاقبهم وقيل أفظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً) أي منزلاً قال ابن عباس هي مشاوم وقيل النزل ما يهبأ للضيف يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) يعني الذين اتعبوا أنفسهم في عمل

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(٤٣)

(الجزء الخامس)

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو عن مصعب قال: سألت أبي يعقوب سعد بن أبي وقاص عن قول الله (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً) أتم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا محمداً ﷺ وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينتفضون عهد الله من بعد ميثاقه فكان سعد رضي الله عنه يسميهم الفاسقين

وقال علي بن أبي طالب والضحاك وغير واحد: هم الحرورية، ومعنى هذا عن علي رضي الله عنه أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية بحسب أنه مصيب فيها وإن عمله مقبول وهو مخطئ، وعمله مردود كما قال تعالى (وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلي نار حامية) وقال تعالى (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً) وقال تعالى (والذين كفروا ببرهم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) وقال في هذه الآية الكريمة (هل ننبئكم) أي نخبركم (بالأخسرين أعمالاً) ثم فسرهم فقال (الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا) أي عملوا أعمالاً باطلة على غير شريعة مشروعة مرضية مقبولة (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) أي يعتقدون أنهم على شيء وأنهم مقبولون محبوبون

وقوله (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) أي جعلوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته وصدق رسله وكذبوا بالدار الآخرة (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) أي لا تقيم موازينهم لأنها خالية عن الخير، قال البخاري حدثنا محمد بن عبيد الله حدثنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا المغيرة حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال «يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال - أقرؤا أن شتمتم (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) وعن يحيى بن بكير عن مغيرة بن عبد الرحمن عن أبي الزناد مثله هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقاً. وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن إسحاق عن يحيى بن بكير به

يرجون به فضلاً ونوالاً فنالوا هلاكاً وبواراً كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربها فخرس وخاب سعيه واختلفوا فيهم. قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان (الذين) حبسوا أنفسهم في الصوامع، وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء (ضل سعيهم) بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) أي عملاً (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت) بطلت (أعمالهم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزناً) أي لا نجعل لهم خطراً وقد رواه العرب ما لفلان عندي وزن أي قدر لحسته أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي حدثنا أبو الوليد حدثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالرجل الاكول الشراب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها» قال وقرأ (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن أبي الصلت عن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة مرفوعا فذكره بلفظ البخاري سواء وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا العباس بن محمد حدثنا عون بن عمارة حدثنا هشام بن حسان عن واصل عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فأقبل رجل من قرش يخطر في حلة له فلما قام على النبي ﷺ قال «يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنا» ثم قال تفرد به واصل مولى أبي عتبة وعون بن عمارة وليس بالحافظ ولم يتابع عليه. وقد قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الاعمش عن سمرة عن أبي يحيى عن كعب قال يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرؤا (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) وقوله (ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا) أي انما جازيناهم بهذا الجزاء بسبب كفرهم وانخاذهم آيات الله ورسوله هزوا استهزوا بهم وكذبوا أشد التكذيب

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (١٠٧) خالدين فيها

لا يبعثون عنها حولا (١٠٨)

يخبر تعالى عن عباده السعداء وهم الذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا المرسلين فيما جاءوا به ان لهم جنات الفردوس قال مجاهد الفردوس هو البستان بالرومية، وقال كعب والسدي والضحاك هو البستان الذي فيه شجر الاعناب، وقال أبو أمامة الفردوس سررة الجنة، وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة

النعيمي أنا أحمد عن محمد بن يوسف عن محمد بن اسماعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا سعيد بن أبي مرجم أنبأنا المغيرة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة» وقال - اقرؤا (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) قال أبو سعيد الخدري يأتي ناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال نهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وخسة أقدارهم ثم ابتداء فقال (جزاؤهم جهنم بما كفروا وانخاذوا آياتي) يعني القرآن (ورسلي هزوا) أي سخرية ومهزوءا بهم

قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إذا سألتكم الله فاسألوه الفردوس فانه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس

وأوسطها وأفضلها وقد روي هذا مرفوعاً من حديث سعيد بن جبير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ «الفردوس ربوة الجنة أوسطها وأحسنها» وهكذا رواه اسماعيل بن مسلم عن الحسن عن سمرة مرفوعاً وروي عن قتادة عن أنس بن مالك مرفوعاً بنحوه، روى ذلك كله ابن جرير رحمه الله، وفي الصحيحين «إذا سألت الله الجنة فاسأله الفردوس فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة» وقوله تعالى (نزلاً) أي ضيافة فإن النزول الضيافة، وقوله (خالدين فيها) أي مقيمين ساكنين فيها لا يطفئون عنها أبداً (لا ينفون عنها حولاً) أي لا يختارون عنها غير ما ولا يحبون سواها كما قال الشاعر فخلت سويدا القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها أنحول

وفي قوله (لا ينفون عنها حولاً) تنبيه على رغبتهم فيها وحبهم لها مع أنه قد يتوهم فيمن هو مقيم في المكان دائماً أنه قد يسأمه أو يمله فأخبر أنهم مع هذا الدوام والخلود السرمد لا يختارون عن مقامهم ذلك متحولاً ولا انتقالاً ولا ظعنًا ولا رحلة ولا بدلاً

قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفدت البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جشنا بمنثله مداداً (١٠٩) يقول تعالى قل يا محمد لو كان ماء البحر مداداً للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالة عليه لنفدت البحر قبل أن يفرغ كتابه ذلك (ولو جشنا بمنثله) أي بمنثل البحر آخر ثم آخر وعلم جربحور تده ويكتب بها لما نفدت كلمات الله كما قال تعالى (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله، إن الله عزيز حكيم) وقال الربيع بن أنس إن مثل علم العباد كلهم في علم الله كقطرة من ماء البحور كلها وقد أنزل الله ذلك (قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي

فيها إلا مروون بالمعروف والنهاهون عن المنكر. وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها قال كعب الفردوس هو البستان الذي فيه الاغاب. وقال مجاهد هو البستان بالرومية وقال عكرمة هي الجنة بلسان الحبش. قال الزجاج هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية وقال الضحاك هي الجنة الملتفة الأشجار وقيل هي الروضة المستعسنة وقيل هي التي تنبت ضروباً من النبات وجمعه فراديس ﴿نزلاً﴾ قيل أي منزلاً وقيل ما يهبط فنزل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلاً ومعنى (كانت لهم) أي في علم الله قبل أن يخلقوا ﴿خالدين فيها لا ينفون﴾ لا يطفئون ﴿عنها حولاً﴾ أي تحولاً إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى ﴿قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي﴾ قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم أنا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك (ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) ثم تقول (وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً) فأنزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت (وما أوتيتهم من العلم إلا قليلاً) قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء. فأنزل الله (قل لو كان البحر مداداً) سمي المداد مداداً لا مداده الكاتب وأصله من الزيادة ومحبي الشيء. بعد الشيء. قال مجاهد لو كان البحر مداداً للقلم يكتب

لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي) يقول لو كانت تلك البحور مداداً لكلمات الله والشجر كله أقلام لانكسرت الاقلام وفيها ماء البحر ، وبقيت كلمات الله قائمة لا يفتنها شيء ، لان أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي حتى يكون هو الذي يثني على نفسه ان ربنا كما يقول وفوق ما نقول ، ان مثل نعيم الدنيا أولها وآخرها في نعيم الآخرة كحبة من خردل في خلال الارض كلها

قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمك الله واحد، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً (١١٠)

روى الطبراني من طريق هشام بن عمار عن اسماعيل بن عياش عن عمرو بن قيس الكوفي انه سمع معاوية بن أبي سفيان انه قال هذه آخر آية أنزلت ، يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (قل) لهؤلاء المشركين المكذبين برسالتك اليهم (إنما أنا بشر مثلكم) فمن زعم اني كاذب فليأت بمثله ما جئت به فاني لا أعلم الغيب فيما أخبركم به من الماضي عما سألتهم من قصة أصحاب الكهف وخبر ذي القرنين مما هو مطابق في نفس الامر لولا ما أطلعني الله عليه وانما أخبركم انما إلهكم الذي أدعوكم إلى عبادته الله واحد لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي ثوابه وجزاءه الصالح (فليعمل عملاً صالحاً) ما كان موافقاً لشرع الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له ، وهذان ركنا العمل المتقبل لا بد أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ وقد روى ابن أبي حاتم من حديث معمر عن عبد الكريم الجزري عن طاوس قال قال رجل يا رسول الله اني أقف المواقف أريد وجه الله وأحب أن يرى موطني فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وهكذا أرسل هذا مجاهد وغير واحد ، وقال الاعمش حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم عن شهر بن حوشب قال جاء رجل الى عبادة بن الصامت فقال أنبئني عما أسألك عنه : رأيت رجلاً يصلي يبتهني وجه الله ويحب أن يحمد ، وصوم يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ، ويتصدق يبتغي وجه الله ويحب أن يحمد ، ويحج

(لنفذ البحر) أي ماؤه (قبل أن تنفذ) قرأ حمزة والكسائي ينفذ بالياء لتقدم الفعل والباقون بالتاء . (كلمات ربي) أي علمه وحكمته (ولو جئنا بمثله مدداً) معناه لو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدد لنفذ البحر ولم تنفذ كلمات الله (ولو جئنا بمثله مدداً) بمثل ماء البحر في كثرة مدداً وزيادة نظيره قوله تعالى (ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله) (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما ألهمك الله واحد) قال ابن عباس علم الله رسوله التواضع لئلا يزهو على خلقه فأمره الله أن يقر فيقول أنا آدمي مثلكم إلا اني خصصت بالوحي واكرمني الله به (يوحى إلي أنما ألهمك الله واحد) لا شريك له (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير اليه وقيل

يتقي وجه الله ويحب أن يحمد ، فقال عبادة ليس له شيء ان الله تعالى يقول أنا خير شريك فمن كان له معي شرك فهو له كله لا حاجة لي فيه

وقال الامام أحمد : حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير ثنا كثير بن زيد عن ربيع بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال : كنا نقناب رسول الله ﷺ فنبيت عنده تكون له الحاجة أو يطرقه أمر من الليل فيبعثنا فكفر المجسسون وأهل التوب فكنا نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى ؟ » قال قلنا تبنا إلى الله أي نبي الله ﷺ انما كنا في ذكر المسيح وفرقنا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي ؟ » قال قلنا بلى قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي لمكان الرجل » وقال الامام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد يعني ابن بهرام قال : قال شهر بن حوشب قال ابن غنم لما دخلنا مسجد الحامية أنا وأبو الدرداء لقينا عبادة بن الصامت فأخذ يميني بشماله وشمال أبي الدرداء بيمينه فخرج بمشي بيننا ونحن نتناجى والله أعلم بما نتناجى به فقال عبادة بن الصامت إن طال بك عمر أحدا أو كايك لتوشك أن تريا الرجل من ثبج المسلمين يعني من وسط قراء القرآن على لسان محمد ﷺ فأعاده وأبداه وأحل حلاله وحرم حرامه ونزله عند منزله لا يجوز فيكم إلا كما يجوز رأس الحمار الميت . قال فيبيننا نحن كذلك اذ ظلم شداد بن أوس رضي الله عنه وعوف ابن مالك فجلسا إلينا فقال شداد ان أخوف ما أخاف عليكم أيها الناس لما سمعت رسول الله ﷺ يقول « من الشهوة الخفية والشرك » فقال عبادة بن الصامت وأبو الدرداء اللهم غفرألم يكن رسول الله ﷺ قد حدثنا أن الشيطان قد يئس أن يعبد في جزيرة العرب . أما الشهوة الخفية فقد عرفناها هي شهوات الدنيا من نسائها وشهواتها فما هذا الشرك الذي نخوفنا به يا شداد ؟ فقال شداد أرأيتم لو رأيتم رجلا يصلي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدق أنزون أنه قد اشرك ؟ قالوا نعم والله إن من صلى لرجل أو صام أو تصدق له لقد اشرك فقال شداد فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من صلى يرأى فقد اشرك ، ومن صام يرأى فقد اشرك ، ومن تصدق يرأى فقد اشرك » قال عوف بن مالك عند ذلك أفلا يعمد الله إلى ما يتقي به وجهه من ذلك العمل كله فيقبل ما خلاص له ويدع ما اشرك به فقال شداد عند ذلك فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يقول أنا خير قسيم إن اشرك بي من اشرك بي شيئا فإن عمله قليله وكثيره لشريكه الذي اشرك به أنا عنه غني »

يأمل رؤية ربه فالرجاء يكون بمعنى الخوف والامل جميعا قال الشاعر

فلا كل ما ترجو من الخير كائن ولا كل ما ترجو من الشر واقع

فجمع بين المعنيين « فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » أي لا يرأى بعمله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا أبو نعيم أنا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال سمعت جندبا يقول قال النبي ﷺ « من سمع سمع الله به ، ومن يرأى

(طريق اخرى لبعضه) قال الامام احمد حدثنا زيد بن الحباب حدثني عبد الواحد بن زياد اخبرنا عبادة بن نسي عن شداد بن اوس رضي الله عنه انه بكى فقبل ما ييكيك؟ قال شي. سمعته من رسول الله ﷺ فابكاني سمعت رسول الله يقول «أتخوف على امتي الشرك والشهوة الخفية» قلت يا رسول الله أنشرك امتك من بعدك؟ قال «نعم أما انهم لا يعبدون شمساً ولا قرأً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراءون باعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه» ورواه ابن ماجه من حديث الحسن بن ذكوان عن عبادة بن نسي به وعبادة فيه ضعف وفي سماعه من شداد نظر

(حديث آخر) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا الحسن بن علي بن جعفر الاخر حدثنا علي ابن ثابت حدثنا قيس بن أبي حصين عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ - «يقول الله يوم القيامة أنا خير شريك من أشرك بي أحداً فهو له كله»

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت العلاء يحدث عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل انه قال «أنا خير الشركاء فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بري منه وهو الذي أشرك» تفرد به من هذا الوجه

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا يونس حدثنا الليث عن يزيد يعني ابن الهاد عن عمرو عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال «الرياء» يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس باعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً»

(حديث آخر) قال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر اخبرنا عبد الحميد يعني بن جعفر اخبرني أبي عن زياد بن ميناء عن أبي سعيد بن أبي فضالة الأنصاري وكان من الصحابة انه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا جهم الله الأولين والآخرين ليوم لا ريب فيه نادى مناد: من كان أشرك في عمل عمله لله أحداً فليطلب ثوابه من عند غير الله فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك» واخرجه الترمذي وابن ماجه من حديث محمود وهو البرساني به

يرائي الله به» وروينا عن النبي ﷺ أنه قال «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر؟ قال «الرياء» أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أبي ثنا شعيب قال ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله تبارك وتعالى يقول: أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء هو الذي عمله» أخبرنا عبد الواحد بن احمد الملقب بالليثي أنبأنا

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك حدثنا بكر حدثنا أبي - يعني عبد العزيز ابن أبي بكرة - عن أبي بكرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من سمع سمع الله به ومن رأى رأى الله به » وقال الامام أحمد حدثنا معاوية حدثنا شيبان عن فرواس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال « من برأني برأني الله به ومن يسمع يسمع الله به »

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن سعيد عن شعبة حدثني عمرو بن مرة قال سمعت رجلاً في بيت أبي عبيدة أنه سمع عبد الله بن عمرو يحدث ابن عمر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « من سمع الناس بعمله سمع الله به مسامحة خلة وصغره وحقه » فذكرت عينا عبد الله ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عمرو بن يحيى الابلي حدثنا الحارث بن غسان حدثنا أبو عمران الجوني عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « تعرض أعمال بني آدم بين يدي الله عز وجل يوم القيامة في صحف مخطمة فيقول الله ألقوا هذا واقبلوا هذا فتقول الملائكة يا رب والله ما رأينا منه إلا خيراً فيقول ان عمله كان لغير وجهي ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد به وجهي » ثم قال: الحارث بن غسان روى عنه جماعة وهو ثقة بصري ليس به بأس ، وقال وهب حدثني يزيد بن عياض عن عبد الرحمن الاعرج عن عبد الله بن قيس الخزاعي أن رسول الله ﷺ قال « من قام رياء وسمعة لم يزل في مقت الله حتى يجلس » وقال أبو يعلى حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا محمد بن دينار عن إبراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عوف بن مالك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « من أحسن الصلاة حيث يراه الناس وأساء حيث يخلو فذلك استهانة استهان بها ربه عز وجل » وقال ابن جرير حدثنا أبو عامر أسماعيل بن عمرو السكوني حدثنا هشام بن عمار حدثنا ابن عباس حدثنا عمرو بن قيس الكندي أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية (فمن كان يرجو لقاء ربه) الآية ، وقال أنها آخر آية نزلت من القرآن وهذا أمر مشكل فإن هذه الآية آخر سورة الكهف والكهف كلها مكية ولعل معاوية أراد أنه لم يزل بعدها آية تنسخها ولا تغير حكمها بل هي مثبتة محكمة فاشتبه ذلك على بعض الرواة فروى بالمعنى على ما فهمه والله أعلم . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق حدثنا النضر ابن شميل حدثنا أبو قرة عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله ﷺ « من قرأني ليلة فمن كان يرجو لقاء ربه) الآية كان له من النور من عدن أربعين ألفاً إلى مكة وحش ذلك النور الملائكة » غريب جداً

﴿ آخر تفسير سورة الكهف ﴾

أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا حفص بن عمر ثنا همام عن قتادة عن سالم بن الجعد الغطافاني عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء يرويه عن النبي ﷺ قال « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال » واخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو الاسود ثنا ابن لهيعة عن زياد عن سهل هو ابن معاذ عن أبيه عن النبي ﷺ قال « من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نوراً من قدميه إلى رأسه ، ومن قرأها كلها كانت له نوراً من الأرض إلى السماء »

تفسير سورة مريم وهي مكية

وقد روى محمد بن اسحاق في السيرة من حديث أم سلمة ، وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة الى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصعابه

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

كهيص (١) ذكر رحمت ربك عبده زكريا (٢) اذ نادى ربه نداء خفياً (٣) قال رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ولم أكن بدعائك رب شقياً (٤) واني خفت المولي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا (٥) يرثني ويرث من آل يعقوب ، واجعله رب رضياً (٦)

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم في اول سورة البقرة ، وقوله (ذكر رحمة ربك) أي هذا ذكر رحمة الله عبده زكريا ، وقرأ يحيى بن يعمر (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) وزكريا بمد ويقصر قراءتان شهورتان . وكان نبيا عظيما من أنبياء بني إسرائيل ، وفي صحيح البخاري انه كان نجاراً يأكل من عمل يده في التجارة ، وقوله (اذ نادى ربه نداء خفياً) قال بعض المفسرين انما أخفى دعاءه لئلا ينسب في طلب الولد إلى الرعونة لكبره ، حكاه الماوردي ، وقال الآخرون انما أخفاه

﴿ سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل ﴿ كهيص ﴾ قرأ أبو عمرو بكسر الهاء ، وفتح الياء وضده ابن عامر ومهززة وبكسرهما الكسائي وأبو بكر والباقون بفتحهما ويظهر الدال عند الدال من (صاد ذكر) ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والباقون بالادغام قال ابن عباس رضي الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل اسم للسورة وقيل هو قسم اقسم الله به وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (كهيص) قال الكاف من كرم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكلبي معناه كاف لخلقته ، هاد لعباده ، يده فوق أيديهم ، عالم بيريته ، صادق في وعده ﴿ ذكر ﴾ رفع بالمضمر أي هذا الذي نتلوه عليك ذكر ﴿ رحمة ربك ﴾ وفيه تقديم وتأخير معناه ذكر ربك ﴿ عبده زكريا ﴾ برحمته ﴿ اذ نادى ﴾ دعا ﴿ ربه ﴾ في محرابه

(الجزء الخامس)

(٤٤)

(تفسير ابن كثير والفيوري)

لانه أحب إلى الله كما قال قتادة في هذه الآية (إذ نادى ربه نداء خفيا) ان الله يعلم القلب النقي ، وبسمع الصوت الخفي ، وقال بعض السلف قام من الليل عليه السلام وقد نام أصحابه فجعل يهتف بربه يقول خفية يارب يارب يارب فقال الله ليبيك ليبيك ليبيك قال رب اني وهن العظم مني أي ضعفت وخارت القوى (واشتعل الرأس شيئا) أي اضطرم المشيب في السواد كما قال ابن دريد في مقصورته

أما ترى رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت أذيال الدجا

واشتعل المبيض في مسوده مثل اشتعال النار في جمر القضا

والمراد من هذا الاخبار عن الضعف والكبر ودلالة الظاهرة والباطنة ، وقوله (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أي ولم أعهد منك الا الاجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك ، وقوله (واني خفت الموالي من ورائي) قرأ الاكثرون بنصب الياء من الموالي على أنه مفعول ، وعن الكسائي انه سكن الياء كما قال الشاعر كأن أيديهن في القاع القرق أيدي جوار يتعاطين الورق وقال الآخر فتي لوياري الشمس ألفت قناعها أو القمر الساري لا لقي المقلدا ومنه قول أبي تمام حبيب بن أوس الطائي

تغايير الشعر فيه اذ سمرت له حتى ظننت قوافيه ستقتل

وقال مجاهد وقتادة والسدي أراد بالموالي العصبية ، وقال أبو صالح الكلالة ، وروي عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يقرؤها (واني خفت الموالي من ورائي) بتشديد الفاء بمعنى قلت عصباني من بعدي وعلى القراءة الاولى وجه خوفه أنه خشي أن يتصرفوا من بعده في الناس تصرفا سيئا فسأل الله ولدا يكون نبيا من بعده ليسوسهم بنبوته ما يوحى اليه فاجيب في ذلك لا أنه خشي من ورائتهم له ماله فان النبي أعظم منزلة وأجل قدرا من أن يشفق على ماله إلى ما هذا حده وأن يأنف من ورائة عصبانته ويسأل أن يكون له ولد ليحوز ميراثه دونهم هذا وجه (الثاني) أنه لم يذكر أنه كان ذا مال بل كان نجارا يأكل من كسب يديه ومثل هذا لا يجمع مالا ولا سيما الانبياء فانهم كانوا

﴿ نداء خفيا ﴾ دعاء سرّا من قومه في جوف الليل ﴿ قال رب اني وهن ﴾ ضعف ورق ﴿ العظم مني ﴾ من الكبر قال قتادة اشتكى سقوط الاضراس ﴿ واشتعل الرأس ﴾ أي ابيض شعر الرأس ﴿ شيئا ﴾ شمطا ﴿ ولم أكن بدعائك رب شقيا ﴾ يقول عودتي الاجابة فيما مضى ولم تخيبي وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم أشق بترك الايمان ﴿ واني خفت الموالي ﴾ والموالي بنو العم وقال مجاهد العصبية وقال أبو صالح الكلالة وقال الكلبي الورثة ﴿ من ورائي ﴾ من بعد موالي قرأ ابن كثير من ورائي بفتح الياء والآخرين باسكانها وكانت امرأتي عاقرا ﴿ لاتلد ﴾ فبلي من لدنك ﴿ اعطني من عندك ﴾ وليا ﴿ ابنا ﴾ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴿ قرأ أبو عمرو والكسائي يجزم الناء فيهما على جواب الدعاء وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصيغة يعني وليا وارثا واختلفوا في هذا الارث قال

أزهدي شي في الدنيا (الثالث) أنا قد ثبت في الصحيحين من غير وجه أن رسول الله ﷺ قال « لا نورث ما تركنا صدقة » وفي رواية عند الترمذي بإسناد صحيح « نحن معشر الانبياء لا نورث » وعلى هذا فتعين حمل قوله (فهب لي من لدنك وليا يرثني) على ميراث النبوة ولهذا قال (ويرث من آل يعقوب) كقوله (وورث سليمان داود) أي في النبوة إذ لو كان في المال لما خصه من بين أخوته بذلك ولما كان في الاخبار بذلك كبير فائدة إذ من المعلوم المستقر في جميع الشرائع والمثل أن الولد يرث أباه فلو لا أنها وراثته خاصة لما أخبر بها وكل هذا يقرره ويثبتنه ما صح في الحديث « نحن معشر الانبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة » قال مجاهد في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) كان وراثته علما وكان زكريا من ذرية يعقوب ، وقال هشيم أخبرنا اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يكون نبيا كما كانت آبؤه أنبياء ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن يرث نبوته وعلمه ، وقال السدي يرث نبوتي ونبوة آل يعقوب وعن مالك عن زيد بن أسلم (ويرث من آل يعقوب) قال نبوتهم وقال جابر بن نوح ويزيد بن هارون كلاهما عن اسماعيل بن أبي خالد عن أبي صالح في قوله (يرثني ويرث من آل يعقوب) قال يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي ﷺ قال « یرحم الله زكريا وما كان عليه من وراثته ماله ويرحم الله لوطا ان كان لياوي إلى ركن شديد »

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا جابر بن نوح عن مبارك هو ابن فضالة عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ « رحم الله أخي زكريا ما كان عليه من وراثته ماله حين قال (هب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من آل يعقوب) وهذه مراسلات لا تعارض الصحاح والله أعلم ، وقوله (واجعله رب رضيا) أي مرضيا عندك وعند خلقك نجيحة وتحببه إلى خلقك في دينه وخلقه

يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا (٧)

هذا الكلام يتضمن محذوقا وهو أنه أجيب إلى ما سأل في دعائه فقيل له (يا زكريا انا نبشرك

الحسن معناه يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة والحبورة وقبل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد ازث الحبورة لأن زكريا كان رأس الاحبار ، وقال الزجاج والاولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه يبعد أن يشفق زكريا وهو نبي من الانبياء أن يرث بنو عمه ماله والمعنى أنه خاف تضيق بني عمه دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهد من بني اسرائيل من تبدل الدين وقتل الانبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على امته ويرث نبوته وعمله لئلا يضيع الدين وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما (واجعله رب رضيا) أي برأ تقيا مرضيا

قوله عز وجل (يا زكريا انا نبشرك) وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاءه فقال يا زكريا انا

بغلام اسمه يحيى (كما يقال تعالى) هناك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء * فناده الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصواً ونبياً من الصالحين) وقوله (لم نجعل له من قبل سمياً)

قال قتادة وابن جريج وابن زيد أي لم يسم أحد قبله بهذا الاسم واختاره ابن جرير رحمه الله وقال مجاهد (لم نجعل له من قبل سمياً) أي شبيهاً أخذه من معنى قوله (فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً) أي شبيهاً وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي لم تلد العواقر قبله مثله وهذا دليل على أن زكريا عليه السلام كان لا يولد له وكذلك امرأته كانت عاقراً من أول عمرها بخلاف اراهم وصارة عليهما السلام فانهما إنما تعجبا من البشارة باسمحاق الكبيرها لا اعترها ولهذا قال (أبشروني على أن مسني الكبر فبم تبشرون) مع أنه كان قد ولد له قبله اسماعيل ثلاث عشرة سنة وقالت امرأته (يا ويلتي ألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا لشيء عجيب * قالوا أنعجبين من أمر الله ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد)

قل رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً (٨) قال

كذلك قال ربك هو علي هين وقد خلقتك من قبل ولم تنك شيئاً (٩)

هذا تعجب من زكريا عليه السلام حين أجيب إلى ما سأل وبشر بالولد ففرح فرحاً شديداً وسأل عن كيفية ما يولد له والوجه الذي يأتيه منه الولد مع أن امرأته كانت عاقراً لم تلد من أول عمرها مع كبرها ومع أنه قد كبر وعنا أي عسى عظمه ونحل ولم يبق فيه اقحاح ولا جماع والعرب تقول للعود إذا يبس عتا بعنو عتياً وعنوا وعسى عسوا وعسيا ، وقال مجاهد عتياً يعني فعول العظم ، وقال ابن عباس وغيره عتياً يعني الكبر والظاهر أنه أخص من الكبر

وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس قال لقد علمت السنة كلها غير أنى لا أدري أكان رسول الله ﷺ يقرأ في الظهر والعصر أم لا ولا أدري

نبشرك (بغلام) بولد ذكر (اسمه يحيى) لم نجعل له من قبل سمياً (قال قتادة والسكبي لم يسم أحد قبله يحيى وقال سعيد بن جبير وعطاء لم نجعل له شبيهاً ومثلاً كما قال الله تعالى (هل تعلم له سمياً) أي مثلاً والمعنى أنه لم يكن له مثل لانه لم يعص ولم يهيم بمعصية قط وقبل لم يكن له ميل في أمر النساء لانه كان سيداً وحصواً وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي لم تلد العواقر مثله ولداً وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها لان الخليل والسكبي كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى) من أين (يكون لي غلام) وكانت امرأتى عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً (أي يبسا وقال قتادة يريد فعول العظم يقال عتا الشيخ بعنو عتياً وعسيا إذا انتهى

كيف كان يقرأ هذا الحرف (وقد بلغت من الكبر عتيا) أو عسيا ، ورواه الامام أحمد عن شريح بن النعمان وأبو داود عن زياد بن أيوب كلاهما عن هشيم به (قال) أي الملك معجبا لذكربا عما استعجب منه (كذلك قال ربك هو علي هين) أي إيجاد الولد منك ومن زوجتك هذه لا من غيرها (هين) أي يسير سهل على الله ثم ذكر له ما هو أعجب مما سأل عنه فقال (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) كما قال تعالى (هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)

قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا (١٠) فخرج على قومه

من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١١)

يقول تعالى مخبرا عن ذكربا عليه السلام إنه (قال رب اجعل لي آية) أي علامة ودليلا على وجود ما وعدتني ائتسقر نفسي ويطمئن قلبي بما وعدتني كما قال ابراهيم عليه السلام (رب أرني كيف نجني الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي) (قال آيتك) أي علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أي أن نجس لسانك عن الكلام ثلاث ليال وأنت صحيح سوي من غير مرض ولا علة قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة ووهب والسدي وقتادة وغير واحد اعتقل لسانه من غير مرض ولا علة قال ابن زيد بن أسلم كان يقرأ وبسبح ولا يستطيع أن يكلم قومه إلا إشارة وقال العوفي عن ابن عباس (ثلاث ليال سويا) أي متتابعات والقول الاول عنه وعن الجمهور أصح كما قال تعالى في آل عمران (قال رب اجعل لي آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) وقال مالك عن زيد بن أسلم (ثلاث ليال سويا) من غير خرس وهذا دليل على أنه لم يكن يكلم الناس في هذه الليالي الثلاث وأيامها إلا رمزا أي إشارة ولهذا قال في هذه الآية الكريمة (فخرج على قومه من المحراب) أي الذي بشر فيه بالولد (فأوحى

سنه وكبر وشيخ عات وعاس اذا صار الى حالة اليبس والجفاف وقرأ حمزة والكسائي عتيا وبكيا وصليا وجتيا بكسر أوأثان والباقون برفعها وهما لغتان) (قال كذلك قال ربك هو علي هين) يسير (وقد خلقتك) قرأ حمزة والكسائي خلقتك بالنون والالف على التعظيم (من قبل) أي من قبل يحيى (ولم تك شيئا) قال رب اجعل لي آية (دلالة على حمل امرأتي) (قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) أي محييا سليا من غير ما بأس ولا خرس قال مجاهد أي لا يمنعك من الكلام مرض وقيل (ثلاث ليال سويا) أي متتابعات والاول أصح وفي القصة أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فاذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه

قوله تعالى (فخرج على قومه من المحراب) وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون اذ خرج عليهم ذكربا متغير اللون فانكروه فقالوا مالك بازكربا (فأوحى

اليهم) أي إشارة خفية سرية (أن سبّحوا بكثرة وعشياً) أي موافقة له فيما أمر به في هذه الأيام الثلاثة زيادة على أعماله شكر الله على ما أولاه . قال مجاهد (فأوحى اليهم) أي أشار وبه قال وهب وقتادة ، وقال مجاهد في رواية عنه (فأوحى اليهم) أي كتب لهم في الأرض وكذا قال السدي

يبجي خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً (١٢) وحنانا من لدنا وزكوة وكان

تقياً (١٣) وبراً بولديه ولم يكن جباراً عصياً (١٤) وسلم عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم

يبعث حياً (١٥)

وهذا أيضاً تضمن مخدوفاً تقديره أنه وجد هذا الفلام المبشر به وهو بجي عليه السلام وإن الله علمه الكتاب وهو التوراة التي كانوا يندرسونها بينهم وبحكم بها النبيون الذين أسلموا فذنب هادوا والربانيون والاحبار ، وقد كان سنه إذ ذاك صغيراً فلماذا نوه بذكره وبما أنعم به عليه وعلى والديه فقال (يا بجي خذ الكتاب بقوة) أي تعلم الكتاب بقوة أي بمجد وحرص واجتهاد (وآتيناه الحكم صبياً) أي الفهم والعلم والجد والعزم والاقبال على الخير والاكتساب عليه والاجتهاد فيه وهو صغير حدث قال عبد الله بن المبارك قال معمر قال الصبيان لبجي بن زكريا اذهب بنا نلعب فقال ما لعب خلقنا قال فلماذا أنزل الله (وآتيناه الحكم صبياً) وقوله (وحنانا من لدنا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وحنانا من لدنا) يقول ورحمة من عندنا وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك وزاد لا يتدر عليها غيرنا وزاد قتادة رحم الله بها زكريا وقال مجاهد (وحنانا من لدنا) وتعطفنا من ربه عليه وقال عكرمة (وحنانا من لدنا) قال محبة عليه ، وقال ابن زيد أما الحنان فالحبة ، وقال عطاء بن أبي رباح وحنانا من لدنا قال تعظيماً من لدنا

وقال ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة عن ابن عباس أنه قال لا والله ما أدري

اليهم قال مجاهد كتب لهم في الأرض (أن سبّحوا) أي صلوا لله (بكثرة) غدوة (وعشياً) معناه أنه كان يخرج على قومه بكثرة وعشياً فأمروهم بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع الكلام خرج اليهم فأمرهم بالصلاة إشارة

قوله عز وجل (يا بجي) قيل فيه حذف معناه وهبنا له بجي وقلنا له يا بجي (خذ الكتاب) يعني التوراة (بقوة) بمجد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس رضي الله عنهما النبوة (صبياً) وهو ابن ثلاث سنين وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو من أوتي الحكم صبياً (وحنانا من لدنا) رحمة من عندنا قال الخطيب لعمرو بن الخطاب رضي الله تعالى عنه شعر

ما حنانا وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن منصور سألت سعيد بن جبيرة عن قوله (وحنانا من لدنا) فقال سألت عنها ابن عباس فلم يجد فيها شيئاً والظاهر من السياق ان قوله وحنانا معطوف على قوله (وآتيناه الحكم صبياً) أي وآتيناه الحكم وحنانا وزكاة أي وجعلناه ذا حنان وزكاة فالحنان هو المحبة في شفقة وميل كما تقول العرب حنت الناقة على ولدها وحننت المرأة على زوجها ومنه سميت المرأة حنة من الحنية وحن الرجل إلى وطنه ومنه التعطف والرحمة كما قال الشاعر

تعطف علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا

وفي المسند للإمام احمد عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « يبقى رجل في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان » وقد يثنى ومنهم من يجعل ما ورد من ذلك لفة بذاتها كما قال طرفة أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقوله وزكاة معطوف على وحنانا فالزكاة الطهارة من الدنس والآثام والذنوب ، وقال قتادة الزكاة العمل الصالح ، وقال الضحاك وابن جرير العمل الصالح الزكي ، وقال العوفي عن ابن عباس (وزكاة) قال بركة (وكان تقياً) طهر فلم يعمل بذنوب

وقوله (وبراً بالديه ولم يكن جباراً عصياً) لما ذكر تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى عطف بذكر طاعته لوالديه وبره بهما ومحابته عقوبتهما قولاً وفعلاً أصراً ونهيًا ولهذا قال (ولم يكن جباراً عصياً) ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أي له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال ، وقال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون المرء في ثلاثة مواطن يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه ويوم يموت فيرى قومًا لم يكن عابهم ويوم يبعث فيرى نفسه في محشر عظيم قال فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلم عليه فقال (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) رواه ابن جرير عن احمد بن منصور المروزي عن صدقة بن الفضل عنه ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (جباراً عصياً) قال كان ابن المسيب يذكر قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يلقى الله يوم القيامة الا ذا ذنب إلا يحيى بن

نحن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا

أي ترحم (وزكاة) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني بالزكاة الطاعة والاخلاص وقال قتادة رضي الله عنه هي العمل الصالح وهو قول الضحاك ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا ونحننا على العباد ليدعواهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملاً صالحاً في اخلاص وقال الكلبي يعني صدقة تصدق الله بها على أبيه (وكان تقياً) مسلماً ومخلصاً مطيعاً وكان من تقواه انه لم يعمل خطيئة ولا هم بها (وبراً بالديه) أي باراً لطيفاً بهما محسناً اليهما (ولم يكن جباراً عصياً) الجبار المتكبر وقيل الجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب والعصي العاصي (وسلام عليه) أي سلام له (يوم ولد ويوم يموت

زكريا قال قتادة ما أذنبت ولا هم بامرأة، مرسل وقال محمد بن اسحاق عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب حدثني ابن العاص أنه سمع النبي ﷺ قال « كل بني آدم يأتي يوم القيامة وله ذنب إلا ما كان من يحيى بن زكريا » ابن اسحاق مدلس وقد عنعن هذا الحديث قاله أعلم

وقال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « مامن أحد من ولد آدم الا وقد أخطأ او هم بخطيئة ليس يحيى ابن زكريا وما ينبغي لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » وهذا أيضا ضعيف لان علي بن زيد ابن جدعان له منكرات كثيرة والله أعلم

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة أن الحسن قال ان يحيى وعيسى عليهما السلام التقيا فقال له عيسى استغفر لي أنت خير مني . فقال له الآخر أنت خير مني فقال له عيسى أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك فعرف والله فضلهما

واذكر في الكتب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا (١٦) فاتخذت من دونهم

حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (١٧) قالت اني أعوذ بالرحمن منك ان

كنت تقيا (١٨) قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلما زكيا (١٩) قالت اني يكون لي

غلهم ولم يمسنني بشر ولم أك بغيا (٢٠) قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجمه آية

للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا (٢١)

لما ذكر تعالى قصة زكريا عليه السلام وانه أوجد منه في حال كبره وعقم زوجته ولدا زكيا طاهرا مباركا عطف بذكر قصة مريم في إيجاده ولدها عيسى عليه السلام منها من غير أب فإن بين القصتين مناسبة ومشابهة ولهذا ذكرهما في آل عمران وهما وفي سورة الانبياء بقرن بين القصتين لتقارب ما بينهما في المعنى ليدل عباده على قدرته وعظمته سلطانه وانه علي ما يشاء قادر فقال (واذكر في

ويوم يبعث حيا) قال سفيان ابن عيينة أوحش ما يكون الانسان في هذه الأحوال يوم يولد فيخرج مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم (ويوم يبعث حيا) فيرى نفسه في محشر لم ير مثله فخص يحيى بالسلامة في هذه المراتن

قوله عز وجل (واذكر في الكتاب) في القرآن (مريم اذ انتبذت) تنعت واعتزلت (من أهلها) من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان يوما شاتيا شديدا البرد فجلست في مشرقه فغلي رأسها وقيل كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قال الحسن ومن ثم

الكتاب مريم) وهي مريم بنت عمران من سلالة داود عليه السلام وكانت من بيت طاهر طيب في بني إسرائيل، وقد ذكر الله تعالى قصة ولادة أمها لها في سورة آل عمران وأنها نذرتها محررة أي تخدم مسجد بيت المقدس وكانوا يتقربون بذلك (فتقبلها ربهما بقبول حسن وأنتها نبأنا حسناً) ونشأت في بني إسرائيل نشأة عظيمة فكانت إحدى العابدات الناصيات المشهورات بالعبادة العظيمة والتبذل والدعوى وكانت في كفالة زوج أختها زكريا في بني إسرائيل إذ ذاك وعظيمهم الذي يرجعون إليه في دينهم ورأى لها زكريا من الكرامات الماثلة ما بهرهم (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أتى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) فذكر أنه كان يجد عندها تمر الشتاء في الصيف وغير الصيف في الشتاء كما تقدم بيانه في سورة آل عمران فلما أراد الله تعالى وله الحكمة والحجة البالغة أن يوجد منها عبده ورسوله عيسى عليه السلام أحد الرسل أولي العزم الخمسة العظام (انتبذت من أهلها مكانا شرقيا) أي اعزلتهم وتنحت عنهم وذهبت إلى شرقي المسجد المقدس قال السدي لحيض أصابها، وقيل لغير ذلك قال أبو كدينة عن قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال إن أهل الكتاب كتب عليهم الصلاة إلى البيت والحج إليه وما صرفهم عنه إلا قبل ربك (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) قال خرجت مريم مكانا شرقيا فصلوا قبل مطلع الشمس رواء ابن أبي حاتم وابن جرير

وقال ابن جرير أيضاً حدثنا إسحاق بن شاهين حدثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر عن ابن عباس قال: إني لأعلم خاق الله لا شيء اتخذ النصراني المشرق قبلة لقول الله تعالى (فانتبذت من أهلها مكانا شرقيا) واتخذوا ميلاد عيسى قبلة، وقال قتادة (مكانا شرقيا) شامعاً متنجساً، وقال محمد بن إسحاق ذهبت بقلتها لتستقي الماء، وقال نوف البكالي اتخذت لها منزلاً تتعبد فيه فآله أعلم وقوله (فانتبذت من دونهم حجاباً) أي استترت منهم وتوارت فأرسل الله تعالى إليها جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سوياً) أي على صورة إنسان تام كامل. قال مجاهد والضحاك وقاتدة وابن جرير ووهب بن منبه والسدي في قوله (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبرائيل عليه السلام وهذا الذي قالوه هو ظاهر القرآن فإنه تعالى قد قال في الآية الأخرى (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من

اتخذت النصراني المشرق قبلة) فانتبذت) فضربت) من دونهم حجاباً) قال ابن عباس رضي الله عنهما سترأ وقيل جلست وراء جدار وقال مقاتل وراء جبل وقال عكرمة إن مريم كانت تكون في المسجد فإذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هي تفعل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل في صورة شاب امرئ وضيء الوجه، جعل الشعر، سوي الخلق فذلك قوله (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشراً سوياً) وقيل المراد بالروح عيسى عليه السلام جاء في صورة بشر فحلت به والاول أصح فلما رأت مريم جبريل (نفسها ابن كثير والبغوي)

المنذرين) وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب قال ان روح عيسى عليه السلام من جملة الارواح التي أخذ عليها العهد في زمان آدم عليه السلام وهو الذي تمثل لها بشرأ سويها أي روح عيسى فحملت الذي خاطبها وخل في فيها وهذا في غاية الغرابة والذكورة وكأنه إسرائيلي (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي لما تبدى لها الملك في صورة بشر وهي في مكان منفرد وبينها وبين قومها حجاب خافته وظنت انه يريد لها على نفسها فقالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي إن كنت تخاف الله تذكر له بالله وهذا هو المشروع في الدفع أن يكون بالاسهل فالاسهل فخوفته أولا بالله عز وجل ، قال ابن جرير حدثني أبو كريب حدثنا أبو بكر عن عاصم قال قال أبو وائل وذكر قصة مريم فقال قد علمت ان النبي ذو نبيه حين قالت (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) قال إنما أنا رسول ربك (أي فقال لها الملك مجيبا لها ومزيلا لما حصل عندها من الخوف على نفسها لست مما تظنين ولكني رسول ربك أي بعثني الله إليك ، ويقال انها لما ذكرت الرحمن انتفض جبريل فرقا وعاد الى هيئته وقال (إنما أنا رسول ربك ليهب لك غلاما زكيا) هكذا قرأ أبو عمرو بن العلاء أحد مشهوري القراء ، وقرأ الآخرون (لا هب لك غلاما زكيا) وكلا القراءتين له وجه حسن ومعنى صحيح وكل تستلزم الأخرى (قالت أنى يكون لي غلام) أي فتعجبت مريم من هذا وقالت كيف يكون لي غلام أي على أي صفة يوجد هذا الغلام مني ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور ولهذا قالت (ولم يمسنني بشر ولم أك بغيا) والبغي هي الزانية ولهذا جاء في الحديث النهي عن مهر البغي (قال كذلك قال ربك هو علي هين) أي فقال لها الملك مجيبا لها عما سألت ان الله قد قال انه سيوجد منك غلاما وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة فانه على ما يشاء قادر ولهذا قال (ولنجعله آية للناس) أي دلالة وعلامة للناس على قدرة بارئهم وخالقهم الذي نوع في خلقهم فخلق أباهم آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الذرية من ذكر وأنثى إلا عيسى فانه أوجده من أنثى بلا ذكر فتمت القسمة الرباعية الدالة على كمال

يقصد نحوها فادته من بعيد و (قالت إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا) مؤمنا مطيعا فان قيل انما يستعاذ الفاجر فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ؟ قيل هذا كقول القائل ان كنت مؤمنا فلا تظلمني أي ينبغي أن يكون إيمانك مانعا لك من الظلم وكذلك ههنا معناه ينبغي ان تكون تقواك مانعة لك من الفجور (قال) لها جبريل (إنما أنا رسول ربك لا هب لك) قرأ نافع وأهل البصرة ليهب لك أي ليهب لك ربك وقرأ الآخرون لا هب لك أسند الفعل الى الرسول وان كانت الهبة من الله تعالى لانه أرسل به (غلاما زكيا) ولذا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أنى) من أين (يكون لي غلام ولم يمسنني بشر) لم يقربني زوج (ولم أك بغيا) فاجرة تروى أن الولد انما يكون من نسكاح أو سفاح ولم يكن هنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك) قيل

قدرته وعظيم سلطانه فلا إله غيره ولا رب سواه وقوله (ورحمة منا) أي ونجعل هذا الغلام رحمة من الله نبياً من الانبياء يدعو الى عبادة الله تعالى وتوحيده كما قال تعالى في الآية الاخرى (إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) أي يدعو الى عبادة ربه في مهده وكهولته قل ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الرحيم بن ابراهيم حدثنا مروان حدثنا العلاء بن الحارث الكوفي عن مجاهد قال قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت حدثني عيسى وكلمني وهو في بطني وإذا كنت مع الناس سبّح في بطني وكبر، وقوله (وكان أمراً مقضياً) يحتمل ان هذا من كلام جبريل لمريم يخبرها أن هذا أمر مقدر في علم الله تعالى وقدره ومشيتته، ويحتمل أن يكون من خبر الله تعالى لرسوله محمد ﷺ وأنه كنى بهذا عن النفخ في فرجها كما قال تعالى (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا) وقال (والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا) قال محمد بن إسحاق (وكان أمراً مقضياً) أي ان الله قد عزم على هذا فليس منه بد، واختار هذا أيضاً ابن جرير في تفسيره ولم يحك غيره والله أعلم

خملته فانتبذت به مكاناً قصياً (٢٢) فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتني

ميت قبل هذا وكنت نسياً منسياً (٢٣)

يقول تعالى مخبراً عن مريم أنها لما قال لها جبريل عن الله تعالى ما قال أنها استسلمت لقضاء الله تعالى فذكر غير واحد من علماء السلف ان الملك وهو جبرائيل عليه السلام عند ذلك نفخ في جيب درعها فزلت النفخة حتى ولجت في الفرج فحملت بالولد باذن الله تعالى، فلما حملت به ضاقت ذرعاً ولم تدري ماذا تقول للناس فانها تعلم ان الناس لا يصدقونها فيما تخبرهم به غير أنها أشت سرها وذكرت أمرها لاختها امرأة زكريا، وذلك ان زكريا عليه السلام كان قد سأل الله الولد فأجيب الى ذلك.

معناه كما قلت يا مريم ولكن (قال ربك) وقيل هكذا قال ربك (هو علي هين) أي خلق ولد بلا أب (ولنجعله آية) علامة (لنناس) دلالة على قدرتنا (ورحمة منا) ونعمة لمن تبعه على دينه (وكان) ذلك (أمراً مقضياً) محكوماً مفروغاً عنه لا يرد ولا يبدل

قوله عز وجل (خملته) قبل ان جبريل وقع درعها فنفخ في جيبها فحملت حين لبست وقيل مد جيب درعها باصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كم قبضها وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل عليه السلام نفخاً من بعيد فوصل الريح اليها فحملت بعيسى في الحال (فانتبذت به) أي فلما حملته انتبذت به أي تمنحت بالحل وانفردت (مكاناً قصياً) أي بعيداً من أهلها قال ابن عباس رضي الله عنهما أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرأوا من قومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج واختلفوا في

فحملت امرأته فدخلت عليها مريم فقامت اليها فاعتقتها وقالت أشعرت يا مريم أني حبل؟ فقالت لها مريم وهل علمت أيضا أني حبل؟ وذكرت لها شأنها وما كان من خبرها وكانوا يبت ايمان وتصديق ثم كانت امرأة زكريا بعد ذلك اذا واجهت مريم تجد الذي في بطنها يسجد للذي في بطن مريم أي يعظمه ويخضع له فان السجود كان في ملتهم عند السلام مشروعا كما سجد يوسف أبواه واخوته وكأمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم عليه السلام ولكن حرم في ملتنا هذه تكيلا لتعظيم جلال الرب تعالى ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين قال قريء علي الحارث بن مسكين وأنا أسمع أخبرنا عبد الرحمن ابن القاسم قال قال مالك رحمه الله بلغني ان عيسى بن مريم ومحيي بن زكريا عليهما السلام ابنا خالة وكان حملها جميعا معا فبلغني ان أم يحيي قالت لمريم أني أرى ان ما في بطني يسجد لما في بطنك ، قال مالك أرى ذلك لتفضيل عيسى عليه السلام لان الله جعله يحيي الموتى ويبري الالكه والابرص ثم اختلف المفسرون في مدة حمل عيسى عليه السلام فالشهور عن الجمهور انها حملت به تسعة أشهر وقال عكرمة ثمانية أشهر قال ولهذا لا يعيش ولد ثمانية أشهر ، وقال ابن جريج أخبرني المغيرة بن عتبة بن عبد الله الثقفي سمع ابن عباس وسئل عن حمل مريم قال لم يكن إلا أن حملت فوضعت وهذا غريب وكأنه مأخوذ من ظاهر قوله تعالى (فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المحاض الى جذع النخلة) قالوا وإن كانت للتعقيب لكن تعقيب كل شيء بحسبه كقوله تعالى (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) فهذه الغاء للتعقيب بحسبها ، وقد ثبت في الصحيحين ان بين كل صفتين أربعين يوما ، وقال تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة) فالشهور الظاهر والله على كل شيء قدير انها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل بها وكان معها في المسجد رجل صالح من قراباتها يخدم معها البيت المقدس يقال له يوسف النجار فلما رأى ثقل بطنها وكبره أنكر ذلك من أمرها ثم صرفه ما يعلم من برائتها ونزاهتها ودينها وعبادتها ثم تأمل ما هي فيه فجعل أمرها يحوس في فكره لا يستطيع صرفه عن نفسه ، فجعل نفسه على أن عرض لها في القول فقال يا مريم اني سألك عن أمر فلا تعجلى علي . قالت وما هو ؟ قال هل يكون قط شجر من غير حب وهل يكون زرع من غير بذر وهل يكون ولد من غير أب . فقالت نعم وفهمت ما أشار اليه . أما قولك هل يكون شجر

مدة حملها ووقت وضعها فقال ابن عباس رضي الله عنهما كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كان مدة حملها ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لا يعيش ولد يولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاض وقيل ولدت لسته أشهر وقال مقاتل ابن سلبان حملته مريم في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين وكانت قد حاضت حبضتين قبل أن تحمل بعيسى (فأجاءها) أي الجأها وجاء

من غير حب وزرع من غير بذر فان الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب ولا بذر وهل يكون ولد من غير أب فان الله تعالى قد خلق آدم من غير أب ولا أم فصديقها وسلم لها حالها، ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريية انتبذت منهم مكانا قصيا أي قاصيا منهم بعيداً عنهم لئلا تراهم ولا يروها، قال محمد بن اسحق: فلما حملت به وملأت قلبها ورجعت استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والتوجع وتغير اللون حتى فطر لسانها فادخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا وشاع الحديث في بني اسرائيل فقالوا إنما صاحبها يوسف ولم يكن معها في الكنيسة غيره، وتوارت من الناس واتخذت من دونهم حجبا فلا يراها أحد ولا تراه، وقوله (فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة) أي فاضطرها وأجأها الطلق إلى جذع نخلة في المكان الذي تنعت إليه وقد اختلفوا فيه فقال السدي كان شرقي محرابها الذي تصلي فيه من بيت المقدس، وقال وهب ابن منبه ذهبت هاربة فلما كانت بين الشام وبلاد مصر ضربها الطلق، وفي رواية عن وهب كان ذلك على ثمانية أميال من بيت المقدس في قرية هناك يقال لها بيت لحم، قلت وقد تقدم في أحاديث الاسراء من رواية النسائي عن أنس رضي الله عنه والبيهقي عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن ذلك ببيت لحم قاله أعلم، وهذا هو المشهور الذي تلقاه الناس بعضهم عن بعض ولا يشك فيه النصاري أنه بيت لحم وقد تلقاه الناس وقد ورد به الحديث إن صح، وقوله تعالى إخباراً عنها (قالت ياليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً) فيه دليل على جواز ثماني الموت عند الفتنه فإنها عرفت أنها ستبلى وتمتن بهذا المولود الذي لا يحمل الناس أمرها فيه على السداد ولا يصدقونها في خبرها وبعد ما كانت عندهم عابدة ناسكة تصبح عندهم فيما يظنون عاهرة زانية فقالت (ياليتني مت قبل هذا) أي قبل هذا الحال (وكنت نسياً منسياً) أي لم أخلق ولم أك شيئاً قاله ابن عباس، وقال السدي قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس ياليتني مت قبل هذا الكرب الذي أنا فيه والحزن بولادتي المولود من غير بعل (وكنت نسياً منسياً) نسي قترك طلبه كخرق الحيض إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر وكذلك كل شيء نسي وترك فهو نسي، وقال قتادة (وكنت نسياً منسياً) أي شيئاً لا يعرف ولا يذكر ولا يدري من أنا، وقال الربيع بن أنس (وكنت نسياً منسياً) هو السقط، وقال ابن زيد لم أكن شيئاً قط، وقد قدمنا الأحاديث الدالة على النهي عن ثماني الموت إلا عند الفتنه عند قوله (توفني مسلماً وألحقني بالصالحين)

بها (المخاض) وهو وجع الولادة (إلى جذع النخلة) وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة الشتاء لم يكن لها سعف وقيل التجأت إليها لتستند إليها وتمسك بها على وجع الولادة (قالت ياليتني مت قبل هذا) تمت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة (وكنت نسياً منسياً) قرأ حمزة وحفص بفتح النون والباقون بكسرها وهما لغتان مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وهو

فنادها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا (٢٤) وهزي اليك بجذع النخلة تسقط عليك رطبا جنيا (٢٥) فكلي واشربي وقري عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا (٢٦)

قرأ بعضهم من تحتها بمعنى الذي تحتها ، وقرأ الآخرون من تحتها على انه حرف جر ، واختلف المفسرون في المراد بذلك من هو ؟ فقال العوفي وغيره عن ابن عباس (فناداها من تحتها) جبريل ولم يتكلم عيسى حتى أتت به قومها ، وكذا قال سعيد بن جبير والضحاك وعمر بن ميمون والسدي وقادة انه الملك جبرائيل عليه الصلاة والسلام أي ناداها من أسفل الوادي ، وقال مجاهد (فناداها من تحتها) قال عيسى بن مريم وكذا قال عبد الرزاق عن معمر بن عتبة قتادة قال قال الحسن هو ابنها وهو إحدى الروايتين عن سعيد بن جبير أنه ابنها قال أولم نسمع الله يقول (فأشارت اليه) واختاره ابن زيد وابن جرير في تفسيره ، وقوله (أن لا تحزني) أي ناداها قائلا لا تحزني (قد جعل ربك تحتك سريا) قال سفیان الثوري وشعبة عن أبي اسحاق عن البراء بن عازب قد جعل ربك تحتك سريا (قال الجدول وكذا قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس السري النهر وبه قال عمرو بن ميمون مبر تشرب منه ، وقال مجاهد هو النهر بالسريانية ، وقال سعيد بن جبير : السري النهر الصغير بالنبطية ، وقال الضحاك هو النهر الصغير بالسريانية . وقال ابراهيم النخعي هو النهر الصغير . وقال قتادة هو الجدول بلغة أهل الحجاز ، وقال وهب بن منبه : السري هو ربيع الماء ، وقال السدي هو النهر واختار هذا القول ابن جرير وقد ورد في ذلك حديث مرفوع فقال الطبراني حدثنا أبو شعيب الحراني حدثنا يحيى بن عبد الله البجلي

الشيء المنسي والنسي في اللغة كل ما نسي ونسي ولم يذكر لحقارته (منسيا) أي منروكا قال قتادة شيء لا يعرف ولا يذكر قال عكرمة والضحاك ومجاهد جيفة ملقاة وقيل نسي لم أخلق (فناداها من تحتها) قرأ أبو جعفر ونافع وحمة والكسائي وحفص (من تحتها) بكسر الميم والتاء يعني جبريل عليه السلام وكانت مريم على آفة وجبريل وراء الآفة تحتها (فناداها) وقرأ الآخرون بفتح الميم والتاء وأراد جبريل عليه السلام أيضا ناداها من سفح الجبل ، وقبل هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزني) وهو قول مجاهد والحسن والاول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والسدي وقادة والضحاك وجماعة أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرف جزعها ناداها ألا تحزني (قد جعل ربك تحتك سريا) والسري النهر الصغير وقيل (تحتك) أي جعله الله تحت أمرك أن أمرته أن يجري جرى وان أمرته بالامساك أمسك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ضرب جبريل عليه السلام ويقال ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب

حدثنا أيوب بن نهيك سمعت عكرمة مولى ابن عباس سمعت ابن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «ان السري الذي قال الله لمريم (قد جعل ربك تحتك سريا) نهر أخرجه الله لشرب منه» وهذا حديث غريب جداً من هذا الوجه، وأيوب بن نهيك هذا هو الحلي قال فيه أبو حاتم الرازي ضعيف، وقال أبو زرعة منكر الحديث وقال أبو الفتح الأزدي متروك الحديث، وقال آخرون المراد بالسري عيسى عليه السلام وبه قال الحسن والريعم بن أنس ومحمد بن عباد بن جعفر وهو إحدى الروايتين عن قتادة وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم والقول الاول أظهر ولهذا قال بعده (وهزي اليك بجذع النخلة) أي وخذي اليك بجذع النخلة، قيل كانت يابسة قاله ابن عباس وقيل مثمرة قال مجاهد كانت عجوة، وقال الثوري عن أبي داود نعيم الاعمي كانت صرفة والظاهر انها كانت شجرة ولكن لم تكن في إبان عمرها قاله وهب بن منبه ولهذا ائتمن عليها بذلك بأن جعل عندها طعاما وشربا فقال (تساقط عليك رطبا جنيا) فكلي واشربي وقرني عينا) أي طيبي نفسك ولهذا قال عمرو بن ميمون: ما من شيء خير للنفس من التمر والرطب ثم تلا هذه الآية الكررة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا شيان حدثنا مسروق بن سميعة التميمي حدثنا عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي عن عروة بن رويم عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ «أكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها» وقال رسول الله ﷺ «أطعموا نساءكم الولد الرطب فان لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران» هذا حديث منكر جداً ورواه أبو يعلى عن شيان به، وقرأ بعضهم (تساقط) بتشديد السين وآخرون بتخفيفها، وقرأ أبو نهيك (تسقط عليك رطبا جنيا) وروى أبو إسحاق عن البراء انه قرأها (يساقط) أي الجذع والكل متقارب

وجرى وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقال الحسن (تحتك سريا) يعني عيسى وكان والله عبداً سرياً يعني رقيقاً وهزي اليك يعني قبل لمريم حركي «بجذع النخلة» تقول العرب هزه وهز به كما تقول حز رأسه وحز برأسه وامدد الحبل وامدد به «تساقط عليك» القراءة للمعروفة بفتح التاء والقاف وتشديد السين يعني تساقط فادغمت إحدى التاءين في السين يعني تسقط عليك النخلة رطبا وخفف حمزة السين وحذف التاء التي أدغمها غيره وقرأ حفص بضم التاء وكسر القاف خفيف على وزن تفاعل وتساقط بمعنى أسقط والتأنيث لاجل النخلة وقرأ يعقوب يساقط بالياء مشددة رده الى الجذع «رطبا جنيا» مجنيا وقيل الجنى هو الذي بلغ الغاية وجاء أو ان اجتنائه قال الريعم بن خيثم ما للنفساء عندي خير من الرطب، ولا للمريض خير من العسل

قوله سبحانه وتعالى «فكلي واشربي» يعني فكلي يا مريم من الرطب واشربي من ماء النهر

وقوله (فاما ترين من البشر أحداً) أى معها رأيت من أحد (فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا) المراد بهذا القول الإشارة اليه بذلك لان المراد به القول اللفظي لثلاثين في (فلن أكلم اليوم إنسيا) قال أنس بن مالك في قوله (اني نذرت للرحمن صوما) قال صمتا وكذا قال ابن عباس والضحاك وفي رواية عن أنس صوما وصمتا وكذا قال قتادة وغيرهما ، والمراد أنهم كانوا إذا صاموا في شريعتهم يحرم عليهم الطعام والكلام ، نص على ذلك السدي وقتادة وعبد الرحمن بن زيد ، قال ابن إسحاق عن حارثة قال : كنت عند ابن مسعود فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر فقال ما شأنك ؟ قال أصحابه حلف أن لا يكلم الناس اليوم فقال عبد الله بن مسعود كلم الناس وسلم عليهم فان تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدقها انها حملت من غير زوج ، يعني بذلك مريم عليها السلام ليكون عذراً لها إذا سئلت ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله

وقال عبد الرحمن بن زيد لما قال عيسى لمريم (لانحزني) قالت وكيف لا أحزن وأنت معي ؟ لاذات زوج ولا مملوكة أى شيء عذري عند الناس ؟ ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا قال لها عيسى انا اكفيك الكلام (فاما ترين من البشر أحداً فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا) قال هذا كله من كلام عيسى لأمه وكذا قال وهب

فأتت به قومها تحمله ، قالوا يمریم لقد جئت شيئا فريا (٢٧) يا أخت هرون ما كان أبوك

امراً سوء وما كانت أمك بغيا (٢٨) فأشارت اليه ، قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ؟ (٢٩)

قال اني عبد الله آتني الكتب وجعلني نبيا (٣٠) وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصني بالصلاة

﴿ وقوي عيناً ﴾ يعني طيبي نفسا وقيل قري عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك ففقر عينك من النظر اليه وقيل أقر الله عينه يعني أنهما يقال قري إذا سكن وقيل ان العين إذا بكت من السرور فالدمع بارد ، وإذا بكت من الحزن فالدمع يكون حاراً فمن هذا قيل أقر الله عينه واسخن الله عينه ﴿ فاما ترين من البشر أحداً ﴾ يعني ترين فدخل عليه نون التأكيد فكسرت الياء لالتقاء الساكنين معناه فاما ترين من البشر أحدا فيسألك عن ولدك ﴿ فقولي اني نذرت للرحمن صوما ﴾ يعني صمتا وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والصوم في اللغة الامساك عن الطعام والشراب والكلام قال السدي كان في بني اسرائيل من اذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي ، وقيل ان الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القدر نطقاً ثم تمسك عن الكلام بعده ﴿ فلن اكلم اليوم انسيا ﴾ يقال كانت تسكلم الملائكة ولا تسكلم الانس ﴿ فأتت به قومها تحمله ﴾ وقيل إنها ولدت ثم حملته في الجبال الى قومها

والزكوة ما دمت حيا (٣١) وبرا بوالدني ولم يجعلني جبارا شقيا (٣٢) والسلام علي يوم ولدت
ويوم أموت ويوم أبعث حيا (٣٣)

يقول تعالى مخبرا عن مريم حين امرت ان تصوم يوما ذلك وان لا تكلم احدا من البشر فلما
ستكفي امرها ويقام بحجتها فسلمت لأمر الله عز وجل واستسلمت لقضائه فأخذت ولدها فأنت به
قومها تحمله فلما رآها كذلك اعظموا امرها واستنكروه جدأ وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا اي
امرا عظيما قاله مجاهد وقتادة والسدي وغير واحد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد حدثنا شيبان حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا
أبو عمران الجوني عن نوف البكالي قال وخرج قومها في طلبها قال وكانت من أهل بيت نبوة وشرف
فلم يحسوا منها شيئا فلقوا راعي بقر فقالوا رأيت فتاة كذا وكذا نعتها قال لا ولكني رأيت اليلة
من بقري ما لم أره منها قط قالوا وما رأيت قال رأيتها اليلة تسجد نحو هذا الوادي . قال عبد الله بن أبي
زياد واحفظ عن شيبان أنه قال رأيت نوراً ساطعا فتوجهوا حيث قال لهم فاستقبلتهم مريم فلما رأتهم قعدت
وحملت ابنها في حجرها فجاءوا حتى قاموا عليها (وقالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) أمراً عظيما (يا أخت
هارون) أي شبيهة هارون في العبادة (ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا) أي أنت من بيت
طيب طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك قال علي بن أبي طلحة والسدي
قيل لها (يا أخت هارون) أي أخي مومي وكانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم والمضري
يا أخا مضر وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون فكانت تقاس به في الزهاد والعبادة
وحكى ابن جرير عن بعضهم أنهم شبهوها برجل فاجر كان فيهم يقال له هارون ، ورواه ابن أبي حاتم

وقال السكبي حمل يوسف النجار مريم عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نينا وعليه الى
غار ومكث اربعين يوما حتى طهرت من نقاسها ثم حملته مريم عليها السلام الى قومها فكلما عيسى
عليه السلام في الطريق فقال يا أماه بشري فآني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي
بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما منكرا قال أبو عبيدة
كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فري قال النسبي عليه السلام في عمر « فلم أر عبقريا يفري فربه » يعني
يعمل عمله (يا أخت هارون) يريد يا شبيهة هارون قال قتادة وغيره كان هارون رجلا صالحا عابدا
في بني اسرائيل وروي أنه اتبع جنازته يوم مات اربعون الفا كلهم يسمى هارون من بني اسرائيل
سوى سائر الناس شبهوها به على معنى أنا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الاخوة في النسب
كما قال الله تعالى [إن المبذرين كانوا اخوان الشياطين] أي اشباههم اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر
أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى أنا ابراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد
(تفسير ابن كثير والبغوي) (٤٦) (الجزء الخامس)

عن سعيد بن جبير وأغرب من هذا كله ما رواه ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين البهستاني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا الفضل يعني ابن أبي فضالة حدثنا أبو صخر عن القرظي في قول الله عز وجل (يا أخت هارون) قال هي أخت هارون لآبيه وأمه وهي أخت موسى أخي هارون التي قصت أثر موسى فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون ، وهذا القول خطأ محض فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه أنه قفى بعيسى بعد الرسل فدل على أنه آخر الانبياء بعثا وليس بعده إلا محمد صلوات الله وسلامه عليها ولهذا ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا أولى الناس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي » ولو كان الأمر كما زعم محمد بن كعب القرظي لم يكن متأخرا عن الرسل سوى محمد ولكان قبل سليمان بن داود فإن الله قد ذكر أن داود بعد موسى عليها السلام في قوله تعالى (ألم تر إلى الملائكة من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله) وذكر القصة إلى أن قال (وقتل داود جالوت) الآية والذي جراً القرظي على هذه المقالة ما في التوراة بعد خروج موسى وبني إسرائيل من البحر وأغرق فرعون وقومه قال وقامت مريم بنت عمران أخت موسى وهارون النبيين تضرب بالدف هي والنساء معها يسبحن الله وبشكرنه على ما أنعم به على بني إسرائيل فاعتقد القرظي أن هذه هي أم عيسى وهذه هفوة وغلظة شديدة بل هي باسم هذه وقد كانوا يسمون باسماء أنبيائهم وصالحين كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن إدريس سمعت أبي يذكره عن ممالك عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبه قال بعثني رسول الله ﷺ إلى نجران فقالوا أرأيت ما تقرءون (يا أخت هارون) وموسى قبل عيسى بكذا وكذا؟ قال فرجعت فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال « ألا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بالانبياء والصالحين قبلهم » انفرد بإخراجه مسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن إدريس عن أبيه عن ممالك به ، وقال الترمذي حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن إدريس

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن سعيد بن أبي صدقة عن محمد بن سيرين قال أنبئت أن كهبا قال إن قوله (يا أخت هارون) ليس بهارون أخي موسى قال فقالت له عائشة كذبت

ابن عبد الله بن نمير ثنا ابن إدريس عن أبيه عن ممالك بن حرب عن علقمة بن وائل عن المغيرة بن شعبه قال لما قدمت نجران سألتني فقالوا إنكم تقرءون يا أخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا كذا سنة فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال « إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم » وقال الكلبي كان هارون أخا مريم من أبيها وكان أمثلا رجلا في بني إسرائيل وقال السدي إنما عتوا به هارون أخا موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا أخا تميم وقيل كان هارون رجلا فاسقا في بني إسرائيل عظيم الفسق فشهروا به « ما كان أبوك » عمران « أمرا سوء » قال ابن عباس رضي الله عنهما زانيا « وما كانت أمك » حنة « بغيا » أي زانية فمن أين

قال يأثم المؤمنون ان كان النبي ﷺ قاله فهو أعلم وأخبر والا فاني أجد بينهما ستمائة سنة قال فسكتت وفي هذا التاريخ نظر .

وقال ابن جرير أيضا حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله (يا أخت هارون) الآية قال كانت من أهل بيت يعرفون بالصلاح ولا يعرفون بالفساد ومن الناس من يعرفون بالصلاح ويتوالدون به وآخرون يعرفون بالفساد ويتوالدون به وكان هارون مصلحا محببا في عشيرته وليس بهارون أخي موسى ولكنه هارون آخر قال وذكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا كلهم يسمى هارون بن بني اسرائيل ، وقوله (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي أنهم لما استرابوا في أمرها واستنكروا قضيتها وقالوا لها ما قالوا معرضين بقذفها ورميها بالغربة وقد كانت يومها ذلك صاعقة صامتة فاحالت الكلام عليه وأشارت لهم ال خطابها وكلامه فقالوا متهمين بها طائنين أنها تزدرى بهم وتلعب بهم (كيف نكلم من كان في المهد صبيا) قال ميمون بن مهران فأشارت اليه قالت كلموه فقالوا على ما جاءت به من الداهية تأمرنا أن نكلم من كان في المهد صبيا ، وقال السدي لما أشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبي أشد علينا من زناها (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي من هو موجود في مهده في حال صباه وصفه كيف يتكلم قال اني عبد الله اول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه وقوله (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) تبرئة لأمه مما نسبت اليه من الفاحشة قال نوف البكالي لما قالوا لأمه ما قالوا كان يرتضع ثديه فزع الثدي من فمه واتكأ على جنبه الايسر وقال (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا — إلى قوله — مادمت حيا) وقال حماد بن سلمة عن ثابت البناني رفع أصبعه السبابة فوق منكبه وهو يقول (اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) الآية ، وقال عكرمة (آتاني الكتاب) أي قضى أنه يؤتني الكتاب فيما قضى

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن المصنف حدثنا يحيى بن سعيد وهو المطار عن عبد العزيز

لث هذا الولد (فأشارت) مريم (اليه) أي الى عيسى عليه السلام أن كلموه قال ابن عباس رضي الله عنهما لما لم تكن لها حجة أشارت اليه ليكون كلامه حجة لها ، وفي القصة لما أشارت اليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا) أي من هو في المهد وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان بمعنى هو ، وقال أبو عبيدة كان صلة أي كيف نكلم صبيا في المهد ، وقد يجيء كان حشا في الكلام لامتني له كقوله [هل كنت إلا بشرا رسولا] أي هل أنا قال السدي فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع واقبل عليهم وقيل لما أشارت اليه ترك الثدي واتكأ على يساره واقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال اني عبد الله) وقال وهب أنا هاز كريا عند مناظرتها اليهود

ابن زياد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال كان عيسى بن مريم قد درس التوراة وأحكمها وهو في بطن أمه فذلك قوله (إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا) يحيى بن سعيد الطار الحضي منرك وقوله (وجعلني مباركا أينما كنت) قال مجاهد وعمر بن قيس والثوري وجعلني معصيا للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعا، وقال ابن جرير حدثني سليمان بن عبد الجبار حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس الحزومي سمعت وهيب بن الموردي قال لقي عالم عالما هو فوقه في العلم فقال له يرحمك الله ما الذي أعلن من عملي؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فانه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عبادته، وقد أجمع الفقهاء على قول الله (وجعلني مباركا أينما كنت) وقيل ما يركته؟ قال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان وقوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) كقوله تعالى لمحمد ﷺ (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين)

وقال عبد الرحمن بن القاسم عن مالك بن أنس في قوله (وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا) قال أخبره بما هو كائن من أمره إلى أن يموت، ما أثبتها لأهل القدر. وقوله (وبرأ بالذي) أي وأمرني ببر والدي ذكروه بعد طاعة ربه لأن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين الأمر بعبادته وطاعة الوالدين كما قال تعالى (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) وقال (أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير) وقوله (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي ولم يجعلني جبارا مستكبرا عن عبادته وطاعته وبر والدي فأشقي بذلك. قال سفيان الثوري الجبار الشقي الذي يقتل على الفضب، وقال بعض السلف لا نجد أحدا عاقا لوالديه إلا وجدته جبارا شقيا ثم قرأ وبرأ بالذي ولم يجعلني جبارا شقيا) قال ولا نجد سييء الملكة إلا وجدته مختالا فخورا ثم قرأ (وماملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) وقال قتادة ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مريم يحيى الموتى ويرى الآلهة والبرص في آيات

فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها. فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما، وقال مقاتل بل هو يوم ولد (إني عبد الله) أفر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لئلا يتخذ إلهما (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) قيل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا، وقيل هذا إخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي ﷺ متى كنت نبيا؟ قال «كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد» وقال الآكثرون أوتي الإنجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال، وعن الحسن انه قال ألهم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركا أينما كنت) أي نفاعا حينما ما توجهت، وقال مجاهد معصيا للخير، وقال عطاء أدهو إلى الله وإلى توحيده وعبادته، وقيل مباركا على من تبعني (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بهما فإن قيل لم يكن لعيسى مال فكيف يؤمر بالزكاة، قيل معناه بالزكاة لو كان لي مال وقيل أوصاني بالزكاة أي أمرني أن أوصيكم بالزكاة، وقيل بالاستكثار من الخير (ما دمت حيا) وبرأ بالذي) أي وجعلني برأ بالذي (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي عاصيا

سلطه الله عليهم وأذن له فيهن فقالت طوبى للبطن الذي حملك وطوبى للثدي الذي أرضعت به فقال نبي الله عيسى عليه السلام يجيبها طوبى لمن تلا كتاب الله فاتبع ما فيه ولم يكن جباراً شقياً وقوله (والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً) اثبات منه لعبوديته لله عز وجل وأنه مخلوق من خلق الله يجي ويميت ويبعث كسائر المخلوقات ولكن له السلامة في هذه الأحوال التي هي أشق ما يكون على العباد صلوات الله وسلامه عليه

ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون (٣٤) ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون (٣٥) وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم (٣٦) فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم (٣٧)

يقول تعالى لرسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه ذلك الذي قصصناه عليك من خبر عيسى عليه السلام (قول الحق الذي فيه يمترون) أي يختلف المبطلون والمحقون ممن آمن به وكفر به ولهذا قرأ الاكثر قول الحق برفع قول وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول الحق، وعن ابن مسعود أنه قرأ ذلك عيسى بن مريم قال الحق والرفع أظهر اعراباً وبشده له قوله تعالى (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) ولما ذكر تعالى أنه خلقه عبداً نبياً نزه نفسه المقدسة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه) أي عما يقول هؤلاء الجاهلون الظالمون المعتدون علواً كبيراً (إذا قضى أمراً فإنما يقول له

لربه، وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب) (والسلام علي يوم ولدت) أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أي عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حياً) من الأحوال. فلما كامهم عيسى بهذا علواً براءة مريم، ثم سكنت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم) قال الزجاج أي ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى ابن مريم (قول الحق) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب (قول الحق) بنصب اللام وهو نصب على المصدر أي قال قول الحق (الذي فيه يمترون) يختلفون فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول هو الله وقائل يقول هو ساحر كذاب وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق أي هذا الكلام هو قول الحق أضاف القول إلى الحق كما قال حق اليقين ووعد الصدق، وقيل هو نعت لعيسى بن مريم يعني ذلك عيسى ابن مريم كلمة الله والحق هو الله الذي فيه يمترون ويشكون ويختلفون ويقولون غير الحق ثم نفى عن نفسه الولد ثم عظم نفسه فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي ما كان من صفته اتخاذ الولد، وقيل اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد (سبحانه إذا قضى أمراً) إذا أراد أن

كن فيكون) أي إذا أراد شيئاً فإنما يأمُر به فيصير كما يشاء . كما قال [إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين] وقوله [وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم] أي ومما أمر به عيسى قومه وهو في مهده أن أخبرهم اذ ذاك أن الله ربه وربهم وأمرهم بعبادته فقال (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي جئتكم به عن الله صراط مستقيم أي قوم من اتبعه رشد وهدى ومن خالفه ضل وغوى . وقوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) أي اختلف قول أهل الكتاب في عيسى بعد بيان أمره ووضوح حاله وأنه عبده ورسوله وكلمته أنقأها إلى مريم وروح منه فصممت طائفة منهم وهم جمهور اليهود عليهم لعائن الله على أنه ولد زنية ، وقالوا كلامه هذا سحر ، وقالت طائفة أخرى إنما تكلم الله وقال آخرون بل هو ابن الله ، وقال آخرون ثالث ثلاثة وقال آخرون بل هو عبد الله ورسوله وهذا هو قول الحق الذي أرشد الله إليه المؤمنين ، وقد روي نحو هذا عن عمرو بن ميمون وابن جريج وقتادة وغير واحد من السلف والخلف . قال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة في قوله (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون) قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم فامتروا في عيسى حين رفع فقال بعضهم هو الله هبط إلى الأرض فأجيا من أحياء وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل أنت فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إليه وهو إليه وأبيه الله وهم الاسرائيلية ملوك النصارى عليهم لعائن الله . قال الرابع كذبت بل هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قالوا فاقتلوا وظهر على المسلمين ، وذلك قول الله تعالى (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) قال قتادة وهم الذين قال الله (فاختلف الأحزاب من بينهم) قال اختلفوا فيه فصاروا أحزاباً ، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس وعن عروة بن الزبير عن بعض أهل العلم قريباً من ذلك ، وقد ذكر غير واحد من علماء التاريخ من أهل الكتاب وغيرهم أن قسطنطين جمعهم في محفل كبير من مجامعهم الثلاثة المشهور عندهم فكان جماعة الاساقفة منهم ألفين ومائة وسبعين أسقفًا فاختلفوا في عيسى بن مريم عليه السلام اختلافاً متبايناً جداً فقالت كل شريعة فيه قولاً فماتت تقول فيه شيئاً وسبعون تقول فيه قولاً آخر وخمسون تقول شيئاً آخر ومائة وستون تقول شيئاً ولم يجتمع على مقالة واحدة أكثر من ثلثائة وثمانية

يحدث أموا (فإنما يقول له كن فيكون * وإن الله ربي وربكم) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو (إن الله) بفتح الالف يرجع إلى قوله (وأرصاني بالصلاة والزكاة) وبأن الله ربي وربكم ، وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الالف على الاستئناف (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) قوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعني النصارى سموا أحزاباً لأنهم تفرقوا ثلاث فرق في

منهم اتفقوا على قول وصمموا عليه فقال اليهم الملك وكان فيلسوفاً فقد بهم ونصرهم وطرد من عداهم فوضعوا له الامانة الكبيرة بل هي الحياة العظيمة ووضعوا له كتب القوانين وشرعوا له أشياء وابتدعوا بدعا كثيرة وحرفوا دين المسيح وغيره فابتنى لهم حينئذ الكنائس الكبار في مملكته كلها بلاد الشام والجزيرة والروم فكان مبلغ الكنائس في أيامه ما يقارب اثني عشر الف كنيسة وبنت أمه هيلانة قامة على المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي يزعم اليهود أنه المسيح وقد كذبوا بل رفعه الله الى السماء وقوله (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) تهديد ووعد شديد من كذب على الله واقترى وزعم أن له ولدا ولكن أنظرهم تعالى الى يوم القيامة وأجلهم حلماً وثقة بقدرته عليهم فانه الذي لا يعجل على من عصاه كما جاء في الصحيحين «ان الله لم يلبس الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه ألم شديد) وفي الصحيحين أيضاً عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله أنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافهم» وقد قال الله تعالى [وكان من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها والى المصير] وقال تعالى [ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار] ولهذا قال هنا [فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم] أي يوم القيامة، وقد جاء في الحديث الصحيح المتفق على صحته عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «من شهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته أنفاها الى مريم وروح منه وان الجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»

أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين (٣٨) وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون (٣٩) انا نحن رب الارض ومن عليها والينا يرجعون (٤٠)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار يوم القيامة أنهم يكونون أسمع شيء وأبصره كما قال تعالى (ولوترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا) الآية أي يقولون ذلك حين لا ينفعهم ولا يجدي عنهم شيئاً ولو كان هذا قبل معاينة العذاب لكان نافعاً لهم ومنقذاً من عذاب الله ولهذا قال (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم (يوم يأتوننا) يعني يوم القيامة (لكن

أمر عيسى: النسطورية، والملكانية، واليعقوبية) فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخير أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا. قال الكلبي لا أحد

الظالمون اليوم) أي في الدنيا (في ضلال مبين) أي لا يسمعون ولا يبصرون ولا يعقلون فحيث يطلب منهم الهدى لا يهتدون ويكونون مطيعين حيث لا ينفعهم ذلك ثم قال تعالى (وانذرهم يوم الحسرة) أي انذر الخلاق يوم الحسرة (إذ قضي الأمر) أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار وصار كل إلى ما صار إليه مخلدا فيه (وهم) أي اليوم (في غفلة) عما أنذروا به يوم الحسرة والندامة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون به .

قال الامام أحمد حدثنا محمد بن عبيد حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يجماء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ قال فيشرثبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيقال يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال فيشرثبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت قال فيذبح قال ويقال يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت» ثم قرأ رسول الله ﷺ (وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم غفلة وهم لا يؤمنون) وأشار بيده ثم قال «أهل الدنيا في غفلة الدنيا» هكذا رواه الامام أحمد وقد خرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث الاعمش به ولفظهما قريب من ذلك ، وقد روى هذا الحديث الحسن بن عرفة حدثني أسباط بن محمد عن محمد بن الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعا مثله ، وفي سنن ابن ماجه وغيره من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة نحوه وهو في الصحيحين عن ابن عمر ورواه ابن جريج قال : قال ابن عباس فذكر من قبله نحوه ، ورواه أيضا عن أبيه أنه سمع عبيد بن عمير يقول في قصصه يؤتى بالموت كأنه ذابة فيذبح والناس ينظرون ، وقال سفیان الثوري عن سلمة بن كهيل حدثنا أبو الزعراء عن عبد الله هو ابن مسعود في قصة ذكرها قال فليس نفس الا وهي تنظر إلى بيت في الجنة

يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى (أأنت قلت للناس) الآية (يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أي في خطأ بين (وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر) فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الاعمش أنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادي مناد يا أهل الجنة فيشرثفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رأوه ، ثم ينادي يا أهل النار فيشرثفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رأوه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت» ثم قرأ (وانذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) ورواه ابو عيسى عن احمد ابن منيع عن النضر بن اسماعيل عن الاعمش بهذا الاسناد وزاد فلولا ان الله تعالى قضى لأهل الجنة

وبيت في النار وهو يوم الحسرة فيرى أهل النار البيت الذي في الجنة ويقال لهم لو علمتم فتأخذهم الحسرة قال ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار فيقال لهم لولا أن الله من عليكم ، وقال السدي عن زياد عن زر بن حبیش عن ابن مسعود في قوله (وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت في صورة كبش أملح حتى يوقف بين الجنة والنار ثم ينادي مناد يا أهل الجنة هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في أهل عليين ولا في أسفل درجة في الجنة الا نظر اليه ثم ينادي مناد يا أهل النار هذا الموت الذي كان يميت الناس في الدنيا فلا يبقى أحد في ضحضاح من نار ولا في أسفل درك من جهنم الا نظر اليه ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادي يا أهل الجنة هو الخلود أبداً لا بد من وباء أهل النار هو الخلود أبداً لا بد من فيفرح أهل الجنة فرحة لو كان أحد ميتاً من فرح ماتوا وبشوق أهل النار شهقة لو كان أحد ميتاً من شهقة ماتوا فذلك قوله (وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر) يقول إذا ذبح الموت رواه ابن أبي حاتم في تفسيره وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (وانذرهم يوم الحسرة) من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وانذرهم يوم الحسرة) قال يوم القيامة وقرأ أن تقول نفس يا حسرتاً على ما فرطت في جنب الله وقوله (انا نحن نرث الارض ومن عليها والينا يرجعون) يخبر تعالى أنه الخالق المالك المتصرف

وان الخلق كلهم بهلكون ويبقى هو تعالى وتقدس ولا أحد يدعى ملكاً ولا تصرفاً بل هو الوارث الحياة والبقاء لما نوا فرحاً ، ولولا ان الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لما نوا ترحاً . أخبرنا عبد الواحد بن احمد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا معاذ بن أسد أنا عبد الله أنا عمر بن محمد بن زيد عن أبيه أنه حدثه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى حزنهم » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا يدخل أحد الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً ولا يدخل النار أحد إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة » أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا الحسين بن الحسن أنا ابن المبارك أنا يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يموت إلا ندم » قالوا فما ندمه يا رسول الله ؟ قال « إن كان محسناً ندم أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئاً ندم أن لا يكون نزع » (وهم في غفلة) أي عما يفعل بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون

لجميع خلقه الباقي بعدهم الحاكم فيهم فلا تغلم نفس شيئا ولا جناح بهوضة ولا مثقال ذرة، قال ابن أبي حاتم ذكر هدية بن خالد القيسي حدثنا حزم بن أبي حزم القطعي قال كتب عمر بن عبد العزيز الى عبد الحميد بن عبد الرحمن صاحب الكوفة: أما بعد فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم اليه وقال فيما انزل في كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه أنه يرث الارض ومن عليها واليه يرجعون

واذكر في الكتب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا (٤١) اذ قال لآبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع

ولا يبصر ولا يفني عنك شيئا؟ (٤٢) يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك

صراطا سويا (٤٣) يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا (٤٤) يا أبت إني

أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا (٤٥)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ واذكر في الكتاب ابراهيم وأتل على قومك هؤلاء الذين يعبدون الاصنام واذكر لهم ما كان من خبر ابراهيم خليل الرحمن الذين هم من ذريته ويدعون أنهم على ملته وقد كان صديقا نبيا مع آبيه كيف نهاء عن عبادة الاصنام فقال (يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يفني عنك شيئا) أي لا ينفعك ولا يدفع عنك ضرا (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك) يقول وإن كنت من صلبك وتراني أصغر منك لاني ولدك فأعلم إني قد اطلعت من العلم من الله على ما لم تعلمه أنت ولا اطلعت عليه ولا جاءك (فاتبعني أهدك صراطا سويا) أي طريقا مستقيما موصلا إلى نيل المطلوب، والنجاة من المروء (يا أبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه في عبادتك هذه الاصنام فإنه هو الداعي إلى ذلك والراضي به كما قال تعالى (ألم أعهد اليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان أنه لكم عدو مبين) وقال (إن يدعون من دونه إلا إنانا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا)

قوله عز وجل ﴿إنا نحن نرث الارض ومن عليها﴾ أي نمت سكان الارض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده فيرثهم ﴿والينا يزرعون﴾ فنجزهم بأعمالهم ﴿واذكر في الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا﴾ الصديق الكثير الصدق القائم عليه، وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسله وصدق بالبعث وقام بالأوامر فعمل بها فهو الصديق والنبي العالي في الرتبة بارسال الله تعالى إياه قوله تعالى ﴿إذ قال﴾ ابراهيم ﴿لآبيه﴾ آزر وهو يعبد الاصنام ﴿يا أبت لم تعبد ما لا يسمع﴾ صوتا ﴿ولا يبصر﴾ شيئا ﴿ولا يفني عنك﴾ أي لا يكفيك ﴿شيئا﴾ يا أبت إني قد جاءني من العلم ﴿بالله والمعرفة﴾ ما لم يأتك فاتبعني على ديني ﴿أهدك صراطا سويا﴾ مستقيما ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾

وقوله (ان الشيطان كان الرحمن عصيا) أي مخالفا مستكبرا عن طاعة ربه فطرده وأبعده فلا تتبعه تصر مثله (يا أبت اني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن) أي على شركك وعصيانك لما أمرك به (فتكون للشيطان وليا) يعني فلا يكون لك مول ولا ناصرا ولا منجيا إلا إبليس وليس اليه ولا الى غيره من الامر شي . بل اتباعك له موجب لاحاطة العذاب بك كما قال تعالى (نالقه لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم ولهم عذاب أليم)

قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم ؟ لئن لم تنته لأرجنك واهجرني مليا (٤٦) قال سلمة عليك سأستغفر لك ربني انه كان في حقا (٤٧) وأعزلك وما تدعون من دون الله وأدعوني عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا (٤٨)

يقول تعالى مخبرا عن جواب أبي ابراهيم لولده ابراهيم فيما دعاه اليه انه قال (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم) يعني أما تريد عبادتها ولا ترضاها فانت عن سبها وشتها وعيبها فانك ان لم تنته عن ذلك اقتصصت منك وشتمتك وسببتك وهو قوله (لأرجنك) قاله ابن عباس والسدي وابن جرير والضحاك وغيرهم ، وقوله (واهجرني مليا) قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن اسحاق يعني دهرا وقال الحسن البصري زمانا طويلا وقال السدي (واهجرني مليا) قال أبدأ . وقال علي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس (واهجرني مليا) قال سوياس لما قيل أن تصيبك مني عقوبة وكذا قال الضحاك وقتادة وعطية الجدي وأبو مالك وغيرهم واختاره ابن جرير فعندها قال ابراهيم لايه (سلام عليك) كما قال تعالى في صفة المؤمنين [وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] وقال تعالى [وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لننا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين] ومعنى قول ابراهيم لايه [سلام عليك] يعني أما أنا فلا

لا نطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا وكان بمعنى الحال أي هو كذلك (يا أبت اني أخاف) أي أعلم (أن يمسك) يصيبك (عذاب من الرحمن) إن أقمت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) قرينا في النار (قال) أبوه محييا له (أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته) لئن لم تسكت وترجع عن عيبك آلهتنا وشتمتك إياها (لأرجنك) قال السكبي ومقاتل والضحاك لا شتمتك ولا بعدتك عني بالقول القبيح . قال ابن عباس لا ضربتك وقال الحسن لاقتلتك بالحجارة (واهجرني مليا) قال السكبي واجتنبني طويلا ، وقال مجاهد وعكرمة حينئذ ، وقال سعيد بن جبير دهرا أصله المكث ومنه يقال تمليت حيننا والمألوان الليل والنهار ، وقال قتادة وعطاء سالما ، وقال ابن عباس اعزاني سالما لا تصيبك مني معرة ، يقال فلان ملئ بأمرك كذا إذا كان كافيا (قال) ابراهيم (سلام عليك) أي سلمت مني لأصيبك بمكروه وذلك انه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة ، وقيل سلام بر واطف وهو جواب الحليم للسفيه . قال الله تعالى

ينالك مني مكروه ولا أذى وذلك لحمة الابوة [سأستغفر لك ربي] ولكن سأسال الله فيك أن يهديك ويغفر ذنبك [انه كان بي حفيا] قال ابن عباس وغيره اطيفا أي في أن هداني لعبادته والاخلاص له . وقال قتادة ومجاهد وغيرهما انه كان بي حفيا قال عوده الاجابة . وقال السدي الحفي الذي يهتم بأمره ، وقد استغفر ابراهيم عليه السلام لآبيه مدة طويلة وبعد ان هاجر الى الشام وبنى المسجد الحرام وبعد أن ولد له اسماعيل واسحاق عليهما السلام في قوله [ربي اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب] وقد استغفر المسلمون اقربائهم وأهلبيهم من المشركين في ابتداء الاسلام وذلك اقتداء بابراهيم الخليل في ذلك حتى انزل الله تعالى [قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم وما تعبدون من دون الله - الى قوله - الا قول ابراهيم لآبيه لا تستغفركم وما أملك لك من الله من شيء] الآية ، يعني الا في هذا القول فلا تتأسوا به ، ثم بين تعالى ان ابراهيم أقلم عن ذلك ورجع عنه فقال تعالى [ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين - الى قوله - وما كان استغفار ابراهيم لآبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم]

وقوله (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي) اي اجتنبكم وأتبرأ منكم ومن آلهنكم التي تعبدونها من دون الله [وأدعو ربي] وحده لا شريك له [عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا] وعسى هذه موجبة لاحالة فانه عليه السلام سيد الانبياء بعد محمد عليه السلام

فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا (٤٩)

ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٥٠)

يقول تعالى فلما اعتزل الخليل اياه وقومه في الله ابدله الله من هو خير منهم ووهب له اسحاق ويعقوب يعني ابنه وابن اسحاق كما قال في الآية الاخرى (ويعقوب نافلة) وقال (ومن وراء اسحاق يعقوب) ولا خلاف ان اسحاق والد يعقوب وهو نص القرآن في سورة البقرة (أم كنتم شهداء اذ حضر

[واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما] (سأستغفر لك ربي) قبل انه لما أعياه أمره وعده أن يراجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له ، معناه سأسال الله تعالى لك توبة تنال بها المغفرة (إنه كان بي حفيا) برآ لطيفا ، قال الكلبي عالما يستجيب لي اذا دعوته ، قال مجاهد عودني الاجابة لدعائي (وأعتزلكم وما تدعون من دون الله) أي أعتزل ما تعبدون من دون الله ، قال مقاتل كان اعتزاله إياهم انه فارقهم من كوثي فهاجر الى الارض المقدسة (وأدعو ربي) أي اعبد ربي (عسى أن لا اكون بدعاء ربي شقيا) أي عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته كما أنتم تشقون بعبادة الاصنام ، وقيل عسى أن يجيبني اذا دعوته ولا يخيبني (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فذهب مهاجراً

يعقوب الموت اذ قال ابنه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد الهك واله آباءك ابراهيم واسماعيل واسحاق ولهذا انما ذكر ههنا اسحاق ويعقوب أي جعلنا له نسلا وعقباً أنبياء أقر الله بهم عينه في حياته ولهذا قال وكلا جعلنا نبيا فلم يكن يعقوب قد نبى في حياة ابراهيم لما اقتصر عليه ولذا ذكر ولده يوسف فانه نبى أيضا كما قال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته حين سئل عن خير الناس فقال « يوسف نبى الله ابن يعقوب نبى الله ابن اسحاق نبى الله ابن ابراهيم خليل الله » وفي اللفظ الآخر « ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم »

وقوله (ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني الثناء الحسن وكذا قال السدي ومالك بن أنس ، وقال ابن جرير انما قال عليا لان جميع الملل والاديان يشنون عليهم ويمدحونهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا (٥١) ونسب دينه من جانب الطور

الايمن وقرب نسبه نجيا (٥٢) ووهبنا له اخاه هارون نبيا (٥٣)

لما ذكر تعالى ابراهيم الخليل وأثنى عليه عطف بذكر الكليم فقال واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرأ بعضهم بكسر اللام من الاخلاص في العبادة ، قال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي لبابة قال قال الحواريون يا روح الله أخبرنا عن الخالص لله قال الذي يعمل لله لا يجب أن يحمد الناس ، وقرأ الآخرون بفتحها يعني انه كان مصطفى كما قال تعالى (اني اصطفيتك على الناس) وكان رسولا نبيا جعم الله له بين الوصفين فانه كان من المرسلين الكبار أدلى العزم الخمسة وهم نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه على سائر الانبياء أجمعين

وقوله (ونادينا من جانب الطور) أي الجانب (الايمن) من موسى حين ذهب ينتهي من تلك النار جذوة فرأها تلوح فقصدتها فوجدتها في جانب الطور الايمن منه غريبه عند شاطئ الوادي فكلمه ﴿ ووهبنا له ﴾ بعد الهجرة ﴿ اسحاق ويعقوب ﴾ آتسنا وحشته من فراقهم وأقرنا عينه بأولاد كرام على الله عز وجل ﴿ وكلا جعلنا نبيا ﴾ يعني اسحاق ويعقوب ﴿ ووهبنا لهم من رحمتنا ﴾ أي نعمتنا قال الكلبي المال والولد وهو قول الاكثرين ، قالوا معناه ما بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق ، وقيل الكتاب والنبوة ﴿ وجعلنا لهم لسان صدق عليا ﴾ يعني ثناء حسنا رفيعا في كل أهل الاديان فكلهم يتولونهم ويشنون عليهم

قوله عز وجل ﴿ واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا ﴾ غير مرأه أخلاص الطاعة والعبادة لله عز وجل ، وقرأ أهل الكوفة (مخلصا) بفتح اللام أي مختارا اختاره الله عز وجل ، وقيل أخلصه الله من الدنس ﴿ وكان رسولا نبيا ﴾ ونادينا من جانب الطور الايمن ﴿ يعني يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فنودي [يا موسى إني

٣٧٤ ثناء الله على اسماعيل بأنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (تفسير ابن كثير والبغوي)

الله تعالى وناداه وقربه فناداه ، روى ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى هو القطان حدثنا سفيان عن عطاء بن يسار عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (وقربناه نجيا) قال أذني حتى سمع صريف القلم وهكذا قال مجاهد وأبو العالية وغيرهم يعنون صريف القلم بكتابة التوراة وقال السدي (وقربناه نجيا) قال ادخل في السماء فكلم وعن مجاهد نحوه

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (وقربناه نجيا) قال نجا بصدقه ، وروى ابن أبي حاتم حدثنا عبد الجبار بن عاصم حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي واصل عن شهر بن حوشب عن عمرو ابن معد يكرب قال لما قرب الله موسى نجيا بطور سيناء قال ياموسى إذا خلقت لك قلبا شاكرًا ولسانا ذاكرًا وزوجة تعين على الخير فلم أخزن عنك من الخير شيئا ومن أخزن عنه هذا فلم أفتح له من الخير شيئا وقوله (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) أي وأجبنا سؤاله وشفاعته في أخيه فجعلناه نبيا كما قال في الآية الأخرى (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فارسله معي ردأ بصدقني أني أخاف أن يكذبون) * قال قد أوتيت سؤالك ياموسى - وقال - فارسل الى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون) ولهذا قال بعض السلف ماشفم أحد في أحد شفاعة في الدنيا أعظم من شفاعة موسى في هارون ان يكون نبيا قال الله تعالى [ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا]

قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس قوله [ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا] قال كان هارون اكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته. وقد ذكره ابن أبي حاتم معلقا عن يعقوب وهو ابن ابراهيم الدورقي به.

واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (٥٤) وكان يأمر

أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا (٥٥)

هذا ثناء من الله تعالى على اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام وهو والد عرب الحجاز كلهم بأنه كان صادق الوعد. قال ابن جرير لم يعد ربه عدة الا أنجزها يعني ما التزم عبادة قط بنذر الاقام بها ووفائها حقها.

وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث أن سهل بن عقيل حدثه أن اسماعيل النبي عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه فيه فجاء ونسي الرجل فضل به اسماعيل وبات

أنا الله رب العالمين [(وقربناه نجيا) أي مناجيا فالنجي المناجي كما يقال جليس ونديم. قال ابن عباس معناه قربه فكلمه ومعنى التقريب اسماعه كلامه ، وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صريف القلم (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) وذلك حين دعا موسى فقال [واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أخي] فأجاب الله دعاه وأرسل الى هارون ولذلك سماه هبة له (واذكر في الكتاب اسماعيل)

حتى جاء الرجل من الغد فقال ما برحت من ههنا؟ قال لا قال اني نسيت قال لم أكن لابرح حتى تأتيني فلذلك [كان صادق الوعد] وقال سفيان الثوري بلغني أقام في ذلك المكان ينتظره حولاً حتى جاءه ، وقال ابن شاذب بلغني أنه اتخذ ذلك الموضع مسكناً ، وقد رواه أبو داود في سننه وأبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي في كتابه مكارم الاخلاق من طريق ابراهيم بن طهمان عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم يعني ابن عبد الله بن شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحساء قال بايعت رسول الله ﷺ قبل أن يبعث فبقيت له علي بقية فوعده أن آتيه بها في مكانه ذلك قال فنسيت يومي والغد فأتيته في اليوم الثالث وهو في مكانه ذلك فقال لي «يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك» لفظ الخرائطي وساق آثاراً حسنة في ذلك ، ورواه ابن منده أبو عبد الله في كتاب معرفة الصحابة بإسناده عن ابراهيم بن طهمان عن عبد الله بن ميسرة عن عبد الكريم به ، وقال بعضهم إنما قيل له [صادق الوعد] لأنه قال لابي (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) فصدق في ذلك فصدق الوعد من الصفات الحميدة كما أن خلفه من الصفات الذميمة قال الله تعالى [يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون] كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون [وقال رسول الله ﷺ «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان» ولما كانت هذه صفة المنافقين كان التلبس بضدها من صفات المؤمنين ، ولهذا أثنى الله على عبده ورسوله اسماعيل بصدق الوعد وكذلك كان رسول الله ﷺ صادق الوعد أيضاً لا يعد أحداً شيئاً إلا وفى له به ، وقد أثنى على أبي العاص بن الربيع زوج ابنته زينب فقال «حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي» ولما توفي النبي ﷺ قال الخليفة أبو بكر الصديق من كان له عند رسول الله ﷺ عدة أو دين فليأتني أنجز له فجاهد جابر بن عبد الله فقال ان رسول الله ﷺ قال لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا يعني ملء كفيه فلما جاء مال البحرين أمر الصديق جابراً فغرف بيده من المال ثم أمره بعده فاذا هو خمسمائة درهم فأعطاه مثليها معها ، وقوله [وكان رسولا نبياً] في هذا دلالة على شرف اسماعيل على أخيه اسحاق لأنه إنما وصف بالنبوة فقط واسماعيل وصف بالنبوة والرسالة ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال «إن الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل» وذكر تمام الحديث فدل على صحة ما قلناه وقوله [وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً] هذا أيضاً من الثناء الجميل والصفة الحميدة والخلة السديدة حيث كان صابراً على طاعة ربه عز وجل آمراً بها لأهله كما قال تعالى لرسوله (واتم أهلك

وهو اسماعيل بن ابراهيم جد النبي ﷺ) «أنه كان صادق الوعد» قال مجاهد لم يعد شيئاً إلا وفى به وقال مقاتل وعد رجلاً أن يقيم مكانه حتى يرجع اليه فأقام اسماعيل مكانه ثلاثة أيام للميعاد حتى رجع اليه الرجل ، وقال الكلبي انتظره حتى حال عليه الحول [وكان رسولا] الى جرهم [نبياً] مخبراً عن الله عز وجل [وكان يأمر أهله] أي قومه وقيل أهله جميع أمته [بالصلاة والزكاة] قال ابن عباس

بالصلاة واصطبر عليها) الآية وقال [بأهلها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون] أي مروه بالمعروف وانهموم عن المنكر ولا تدعوم هملا فتأكلهم النار يوم القيامة ، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فان أبت نضح في وجهها الماء. رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فان أبى نضحت في وجهه الماء.» أخرجه ابو داود وابن ماجه . وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «إذا استيقظ الرجل من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبنا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات» رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ له

واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا (٥٦) ورفعناه مكانا عليا (٥٧)

ذكر ادريس عليه السلام بالثناء عليه بأنه كان صديقا نبيا وان الله رفعه مكانا عليا ، وقد تقدم في الصحيح أن رسول الله ﷺ مر به في ليلة الامراء وهو في السماء الرابعة

وقد روى ابن جرير ههنا أثرأ غريباً عجيباً فقال : حدثني يونس بن عبد الأعلى أنبأنا ابن وهب أخبرني جرير بن حازم عن سليمان الاعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر فقال له ما قول الله عز وجل لادريس (ورفعناه مكانا عليا) فقال كعب اما ادريس

يريد التي افترضها الله تعالى عليهم وهي الخيفية التي افترضت علينا ﴿ وكان عند ربه مرضيا ﴾ قائما لله بطاعته ، قبل رضيه الله عز وجل لنبوته ورسالته .

قوله ﴿ واذكر في الكتاب ادريس ﴾ وهو جد أبي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الثياب الخيطة وكانوا من قبله يلبسون الجلود ، وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار ، وأول من نظر في علم النجوم والحساب ﴿ انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا ﴾ قيل هي الجنة وقيل هي الرفعة بعلو الرتبة في الدنيا وقيل انه رفع الى السماء الرابعة روى أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة عن النبي ﷺ أنه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج ، وكان سبب رفع ادريس على ما قاله كعب وغيره انه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب إني مشيت فيها يوما واحدا فأصابني المثلثة الشديدة من وهج الشمس وأضرني حرها ضررا بليغا فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها مالا يعرف فقال يارب ما الذي قضيت فيه حتى خففت عني ما أنا فيه قال ان عبدي ادريس سألتني أن اخفف عنك حملها وحرها فأجبتك فقال يارب اجعل بيني وبينه خلة فأذن له حتى أتى ادريس فكان يسأله ادريس فقال له إني اخبرت انك اكرم الملائكة

فان الله أوحى اليه اني أرفعك كل يوم مثل عمل جميع بني آدم فأحب أن يزداد عملا فأناؤه خليل له من الملائكة فقال له إن الله أوحى الي كذا وكذا فكلم لي ملك الموت فليؤخرني حتى أزداد عملا فجلس بين جناحيه حتى صعد به الى السماء فلما كان في السماء الرابعة تلقاهم ملك الموت منعدراً فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه ادريس فقال : وأين ادريس فقال هوذا على ظهري قال ملك الموت العجب بعثت وقيل لي اقبض روح ادريس في السماء الرابعة فجعلت أقول كيف اقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الارض فقبض روحه هناك فذلك قول الله (ورفعناه مكانا عليا) هذا من أخبار كعب الاحبار الاسرائيليات ، وفي بعضه نكارة والله أعلم

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن ابن عباس أنه سأل كعباً فذكر نحوه ما تقدم غير أنه قال لذلك الملك هل لك أن تسأله يعني ملك الموت كم بقي من أجلي لكي أزداد من العمل وذكري باقيه وفيه أنه لما سأله عما بقي من أجله قال لا أدري حتى أنظر فنظر ثم قال انك تسألني عن رجل ما بقي من عمره إلا طرفة عين فنظر الملك تحت جناحه فإذا هو قد قبض عليه السلام وهو لا يشعر به ثم رواه من وجه آخر عن ابن عباس أن ادريس كان خياطاً فكان لا يفرز ابرة إلا قال سبحان الله فكان يعمي حين يعمي وليس في الارض أحد أفضل عملاً منه وذكري بقيته كالذي قبله أو نحوه ، وقال ابن أبي نجيب عن مجاهد في قوله (ورفعناه مكانا عليا) قال ادريس رفع ولم يميت كما رفع عيسى ، وقال سفيان

وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر أجلي فأزداد شكراً وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه الى السماء ووضعته عند مطلع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لي حاجة اليك فقال وما هي فقال صديق لي من بني آدم تشفع بي اليك لتؤخر أجله قال ليس ذلك إلي ولكن ان احببت اعلمته أجله متى يموت فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال انك كلمتني في انسان ما أراه يموت أبداً قال وكيف ذلك قال لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس قال فاني أنيتك وتركته هناك ، قال فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فوالله ما بقي من أجل إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً ، واختلفوا في انه حي في السماء أم ميت ؟ فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا أربعة من الانبياء في الاحياء اثنتان في الارض الخضر والياس واثنتان في السماء إدريس وعيسى وقال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الارض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن ربه عز وجل في زيارته فأذن له فأناؤه في صورة بني آدم وكان ادريس بصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره ادريس فقال له في الليلة الثالثة اني أريد أن أعلم من انت ؟ فقال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك . قال فلي اليك حاجة ؟ قال ما هي . قال تقبض روحي . فأوحى الله اليه أن اقبض روحه ، فقبض روحه وردّها الله اليه بعد ساعة . قال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح ؟

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(٤٨)

(الجزء الخامس)

عن منصور عن مجاهد (ورفعه مكنأ عليا) قال السماء الرابعة ، وقال العوفي عن ابن عباس ورفعه مكنأ عليا قال رفع إلى السماء السادسة فمات بها وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقال الحسن وغيره في قوله (ورفعه مكنأ عليا) قال الجنة

أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبيينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨)

يقول تعالى هؤلاء النبيون وليس المراد المذكورين في هذه السورة فقط بل جنس الأنبياء عليهم السلام استطرد من ذكر الأشخاص إلى الجنس (الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) الآية قال السدي وابن جرير رحمه الله فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل والذي عنى به من ذرية إسرائيل موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم ، قال ابن جرير وكذلك أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة وهو إدريس فإنه جد نوح [قلت] هذا هو الأظهر أن إدريس في عمود نسب نوح عليهما السلام ، وقد قيل أنه من أنبياء بني إسرائيل أخذنا من حديث الاسراء حيث قال في سلامه على النبي ﷺ مرحبا بالنبي الصالح والآخر الصالح ولم يقل والولد الصالح كما قال آدم وإبراهيم عليهما السلام

قال لا ذوق كرب الموت وغمه لا كون أشد استعداداً له . ثم قال إدريس له : إن لي إليك حاجة أخرى ؟ قال وما هي ؟ قال ترفعي إلى السماء لا نظر إليها وإلى الجنة والنار . فأذن الله في رفعه فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى . قال وما تريد ؟ قال تسأل مالكاً حتى يفتح لي أبوابها فأردها ففعل ثم قال فكما أربتني النار فأرني الجنة ، فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود إلى مقرك ، فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها . فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج ؟ قال لأن الله تعالى قال (كل نفس ذائقة الموت) وقد ذقته وقال (وإن منكم إلا واردها) وقد وردتها . وقال (وما هم منها بمخرجين) فلست أخرج . فأوحى الله إلى ملك الموت بأذني دخل الجنة وبأمرني لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى (ورفعه مكنأ عليا) أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم أي إدريس ونوحا (ومن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد إبراهيم لأنه من ولد سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب . قوله (وإسرائيل) أي ومن ذرية إسرائيل وم

وروى ابن أبي حاتم حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب أخبرني ابن طهينة عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الله بن عمر أن أدریس أقدم من نوح فبعثه الله الى قومه فأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله ويعملوا ماشاءوا فأبوا فأهلكهم الله عز وجل ومما يؤيد أن المراد بهذه الآية جنس الانبياء أنها كقوله تعالى في سورة الانعام (ونلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى والياسين كل من الصالحين * وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام) واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آباءهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبتناهم وهديناهم الى صراط مستقيم - الى قوله - اولئك الذين هدى الله فيبدهم اقتده (وقال سبحانه وتعالى [منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك] وفي صحيح البخاري عن مجاهد أنه سأل ابن عباس أفي ص سجدة؟ فقال نعم ثم تلا هذه الآية [اولئك الذين هدى الله فيبدهم اقتده] فنبهكم عن أمر أن يقتدي بهم قال وهو منهم يعني داود. وقال الله تعالى في هذه الآية الكريمة [إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا] أي اذا سمعوا كلام الله المتضمن بحججه ودلائله وبراهينه سجدوا للربهم خضوعا واستكانة حمداً وشكراً على ما هم فيه من النعم العظيمة والبي جمع بك فلهذا أجمع العلماء على شرعية السجود ههنا اقتداء بهم واتباعاً لمنوالهم. قال سفيان الثوري عن الأعمش عن ابراهيم عن أبي معمر قال قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سورة مريم فسجد وقال هذا السجود فأبى البكي يريد البكاء. رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وسقط من روايته ذكر أبي معمر فيما رأيت قاله أعلم

نخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩)

الا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً (٦٠)
لما ذكر تعالى حزب السعداء وهم الانبياء عليهم السلام ومن اتبعهم من القائلين بحدود الله وأوامره المؤدبين فرائض الله التاركين لزواجه. ذكر أنه [خاف من بعدهم خاف] أي قرون أخر [أضاعوا] موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (ومن هدينا واجتبتنا) هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطفينا (إذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيا) سجداً جمع ساجد وبكيا جمع بك أخبر الله ان الانبياء كانوا اذا سمعوا بآيات الله سجدوا وبكوا

قوله تعالى (نخلف من بعدهم خلف) أي من بعد النبيين المذكورين خاف وهم قوم سوء، والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح. قال السدي أراد بهم اليهود ومن لحق بهم، وقال مجاهد وقادة هم قوم في هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة. وقال ابن مسعود وابراهيم آخروها

الصلاة [وإذا أضاعوها فهم لما سواها من الواجبات أضيع لأنها عماد الدين وقوامه وخير أعمال العباد وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها ورضوا بالحياة الدنيا وأطاعوا بها أهولاء سيلقون غيا أي خسارا يوم القيامة ، وقد اختلفوا في المراد بأضاعة الصلاة ههنا فقال قائلون المراد بأضاعتها تركها بالكلية قاله محمد بن كعب القرظي وابن زيد بن أسلم والسدي واختاره ابن جرير ولهذا ذهب من ذهب من السلف والخلف والأئمة كما هو المشهور عن الامام احمد وقول عن الشافعي الى تكفير تارك الصلاة بالحديث « بين العبد وبين الشرك ترك الصلاة » والحديث الآخر « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » وليس هذا محل بسط هذه المسئلة

وقال الاوزاعي عن موسى بن سليمان عن القاسم بن مخيمرة في قوله (تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) قال انما أضاعوا المواقيت ولو كان تركا كان كفرا . وقال وكيع عن المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن والحسن بن سعيد عن ابن مسعود انه قيل له ان الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن (الذين هم عن صلاتهم ساهون * وعلى صلاتهم دائرون * وعلى صلاتهم يحافظون) فقال ابن مسعود على مواقيتها . قالوا ما كنا نرى ذلك إلا على الترك قل ذلك الكفر ، وقال مسروق لا يحافظ أحد على الصلوات الخمس فيكتب من الغافلين ، وفي افراطين المصلحة وافراطين أضاعتن عن وقتن ، وقال الاوزاعي عن ابراهيم بن يزيد ان عمر بن عبد العزيز قرأ (تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) ثم قال لم تكن أضاعتهم تركها ولكن أضاعوا الوقت ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قل عند قيام الساعة وذهب صالح بن أمة محمد ﷺ ينزوا بعضهم على بعض في الأزقة وكذا روى ابن جريج عن مجاهد مثله ، وروى جابر الجعفي عن مجاهد وعكرمة وعطاء بن أبي رباح انهم من هذه الامة يعنون في آخر الزمان ، وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا الحسن الاشيب حدثنا شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد (تخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات) قال هم في هذه الامة يتراكون تراكب الانعام والحمر في الطرق لا يخافون الله في السماء ولا يستحيون من الناس في الارض ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا احمد بن سنان الواسطي حدثنا ابو عبد الرحمن المقرئ حدثنا حيوة حدثنا بشير بن

عن وقتها ، وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تقرب الشمس (واتبعوا الشهوات) أي المعاصي وشرب الخمر أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله . وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في الاسواق والأزقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن وهب النبي نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه ، وقال ابن عباس النبي واد في جهنم وان أودية جهنم لتستعيز من حره أعد للزاني المصير عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولا كل الربا الذي لا ينزع عنه ولا أهل العقوق ولشاهد الزور ولا امرأة أدخلت على زوجها ولدا ، وقال

أبي عمرو الخولاني أن الوليد بن قيس حدثه أنه سمع أبا سعيد الخدري يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « يكون خاف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا ثم يكون خاف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ويقرأ القرآن ثلاثة مؤمن ومنافق وفاجر » وقال بشير قلت لواليد ما هؤلاء الثلاثة ؟ قال المؤمن مؤمن به والمنافق كافر به والفاجر يأكل به وهكذا رواه أحمد عن أبي عبد الرحمن المقرئ ، وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثني أبي حدثنا إبراهيم بن موسى أنبأنا عيسى بن يونس حدثنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن وهب عن مالك عن أبي الرجال أن عائشة كانت ترسل بالشئ صدقة لاهل الصفة وتقول لا تعطوا منه بربريا ولا ببريرة فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « هم الخلف الذين قال الله تعالى تخلف من بعدهم خاف أضاعوا الصلاة » هذا حديث غريب وقال أيضا حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن بن الضحاك حدثنا الوليد بن جرير عن شبيب من أهل المدينة أنه سمع محمد بن كعب القرظي يقول في قول الله [خاف من بعدهم خاف] الآية قال هم أهل القرب يملكون وهم شر من ملك ، وقال كعب الاحبار والله إني لأجد صفة المنافقين في كتاب الله عز وجل شرايين للقهوات تراكين للصلوات لما بين بالكعبات رقادين عن العنات مفرطين في الغدوات تراكين للجماعات قال ثم تلا هذه الآية [خاف من بعدهم خاف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا] وقال الحسن البصري عطلوا المساجد ولزموا الضيعات ، وقال أبو الاشهب العطاردي أوحى الله إلى داود عليه السلام ياد داود حذر وانذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة وإن أهون ما أصنع بالعبد من عبيدي إذا أثر شهوة من شهواته أن أحرمه طاعتي .

وقال الامام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا أبو زيد التميمي عن أبي قبيل انه سمع عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ « إني أخاف على أمتي اثنتين القرآن ^(١) والابن » أما الابن فيتبعون الزيف ويتبعون الشهوات ويتركون الصلاة ، وأما القرآن فيتعلمه المنافقون فيجادلون به المؤمنين ، ورواه عن حسن بن موسى عن ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل عن عقبة به مرفوعا بنحوه تفرد به ، وقوله [فسوف يلقون غيا] قل علي بن ابي طلحة عن ابن عباس [فسوف يلقون غيا] أي

(١) كذا في النسخة
المكية وفي النسخة
الاميرية الكني بدل
الابن

عطاء : الغي واد في جهنم يسيل قيحا ودما ، وقال كعب هو واد في جهنم أبعدا قعرا وأشدّها حرّا فيه بئر تسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتسعر بها جهنم . أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال أنا عبد الله بن المبارك عن هشيم بن بشير أنا زكريا بن ابي مريم الخزاعي قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول : ان ما بين شفير جهنم الى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر بهوي أو قال صخرة نهوي عظامها كهشيم عشروات سمان . فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد هل تحت ذلك

خسرانا ، وقال قتادة شراً وقال سفيان الثوري وشعبة ومحمد بن اسحاق عن ابي اسحاق السبعي عن ابي عبيدة عن عبد الله بن مسعود [فسوف يلقون غيا] قال واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعام وقال الاعمش عن زياد عن ابي عياض في قوله [فسوف يلقون غيا] قال واد في جهنم من قبح ودم وقال الامام ابو جعفر بن جرير حدثني عياض بن ابي طالب حدثنا محمد بن زياد حدثنا شريك بن قنانه عن ابي نعيم عن عامر الخزازي قال سمعت ابا امامة صدي بن عجلان الباهلي فقلت حدثنا حديثنا سمعته من رسول الله ﷺ فدعا بطعام ثم قال قال رسول الله ﷺ «لو أن صخرة زنة عشر أواق قذف بها من شفير جهنم ما باءت قعرها خمسين خريفاً ثم تنهي إلى غي وآثام» قل قالت ما غي وآثام قال «قال بئران في أسفل جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار» وهما اللذان ذكرهما الله في كتابه (أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا) وقوله في الفرقان (ولا تزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً) هذا حديث غريب ورفعه منكر ، وقوله (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً) أي إلا من رجع عن ترك الصلوات واتباع الشهوات فإن الله يقبل توبته ويحسن عاقبته ويجعله من ورثة جنة النعيم ولهذا قال [فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً] وذلك لأن التوبة تجب ما قبلها ، وفي الحديث الآخر «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» ولهذا لا ينقص هؤلاء التائبون من أعمالهم شيئاً ولا قولوا بما عملوه قبلها فينقص لهم بما عملوه بعدها لأن ذلك ذهب هدرأ وترك نسيأ وذهب محابنا من كرم الكريم وحلم الحليم ، وهذا الاستثناء ههنا كقوله في سورة الفرقان [والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق - إلى قوله - وكان الله غفوراً رحيماً]

جنة عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب أنه كان وعده مأتياً (٦١) لا يسمعون فيها

لغواً إلا سلباً ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً (٦٢) تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً (٦٣)

يقول تعالى الجنات التي يدخلها التائبون من ذنوبهم هي جنات عدن أي إقامة التي وعد الرحمن عباده بظار الغيب أي هي من الغيب الذي يؤمنون به وما رأوه وذلك لشدة إيمانهم وقوة إيمانهم وقوله [أنه كان وعده مأتياً] تأكيد لحصول ذلك وثبوته واستقراره فإن الله لا يخلف الميعاد ولا

شيء. يا أبا أمامة ؟ قال نعم غي وآثام ، وقال الضحاك غياً خسرانا وقيل هلاكاً وقيل عذاباً . وقوله (فسوف يلقون غيا) ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤية (إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً) جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب (ولم يروها) (إنه كان وعده مأتياً) يعني آتياً مفعول بمعنى فاعل ، وقيل لم يقل آتياً لأن كل من أنك

يبدله كقوله [وكان وعده مفعولاً] أي كأننا لا محالة ، وقوله ههنا [مأثيماً] أي العباد صائرون اليه وسياتونه ومنهم من قال [مأثيماً] بمعنى آثيماً لان كل مأثك فقد أثيته كما تقول العرب أنت علي خمسون سنة وأثيت علي خمسين سنة كلاهما بمعنى واحد ، وقوله [لا يسمعون فيها لغواً] أي هذه الجنات ليس فيها كلام ساقط تافه لا معنى له كما قد يوجد في الدنيا ، وقوله [إلا سَلَاماً] استثناء منقطع كقوله [لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً] وقوله [ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا] أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لا ان هناك ليلاً ونهاراً ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيتها باضواء وأنوار كما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون آتيتهم وأمشطهم الذهب والفضة ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى منخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسمعون الله بكرة وعشيا » أخرجه في الصحيحين من حديث معمر به ، وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن إسحاق حدثنا الحارث بن فضيل الانصاري عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « الشهداء علي بارق نهر يباب الجنة في قبسة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا » تفرد به أحمد من هذا الوجه . وقال الضحاك عن ابن عباس لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال مقادير الليل والنهار ، وقال ابن جرير حدثنا علي بن سهل حدثنا الوليد بن مسلم قال سألت زهير بن محمد عن قول الله تعالى (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال : ليس في الجنة ليل هم في نور أبدا ولهم مقدار الليل والنهار يعرفون مقدار الليل بارخا الحجب واغلاق الابواب ، ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب وبهذا الاسناد عن الوليد بن مسلم عن خليلد عن الحسن البصري وذكر أبواب الجنة فقال أبواب يرى ظاهرها من باطنها فتكلم فتكلم فتنهم انفتحي انغلقي فتغل ، وقال قتادة في قوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) فيها ساعتان بكرة وعشيا ليس ثم ليل ولا نهار وإنما هو ضوء ونور . وقال مجاهد ليس بكرة ولا عشي ولكن يؤنون به على ما كانوا

فقد أثيته ، والعرب لا تفرق بين قول القائل أنت علي خمسون سنة وبين قوله أثيت علي خمسين سنة . وتقول وصل الي الخير ووصلت الي الخير ، قال ابن جرير (وعده) أي مواعده وهو الجنة (مأثيماً) يأتيه أولياؤه وأهل طاعته (لا يسمعون فيها) في الجنة (لغواً) باطلاً وفحشا وفضولاً من الكلام ، وقال مقاتل هو الخمين الكاذبة (إلا سَلَاماً) استثناء من غير جنسه يعني بل يسمعون فيها سَلَاماً أي قولاً يسلمون منه ، والسَلَام اسم جامع للخير لانه يتضمن السلامة ، معناه إن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤثمهم إنما يسمعون ما يسلمهم ، وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم ، وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل يعرف به البكرة

يشتهون في الدنيا ، وقال الحسن وقنادة وغيرهما كانت العرب الآن نعم فيهم من يتغدى ويتعشى فنزل القرآن على ماني أنفسهم من النعيم فقال تعالى ' ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) وقال ابن مهدي عن حماد بن زيد عن هشام عن الحسن (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال البكور يرد على العشي والعشي يرد على البكور ليس فيها ليل ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا سليمان بن منصور بن عمار حدثني أبي حدثني محمد بن زياد قاضي أهل شباط عن عبد الله بن حدير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ما من غداة من غدوات الجنة وكل الجنة غدوات إلا أنه يزف إلى ولي الله فيها زوجة من الخور العين أدناها التي خلقت من الزعفران » قال أبو محمد هذا حديث غريب منكر ، وقوله (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) أي هذه الجنة التي وصفنا بهذه الصفات العظيمة هي التي نورثها عبادنا المتقين وهم المطيعون لله عز وجل في السراء والضراء والكاظمون الغيظ والعافون عن الناس وكما قال تعالى في أول سورة المؤمنين (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) إلى أن قال (أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون)

وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا (٦٤)

رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا (٦٥)

قال الإمام أحمد حدثنا يعلى ووكيم قالا حدثنا عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبرائيل « ما بينك أن تزورنا أكثر مما تزورنا » قال فنزلت (وما ننزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية . انفرد بإخراجه البخاري فرواه عند تفسير هذه الآية عن أبي نعيم عن عمر بن ذر به ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عمر بن ذر به وعندهما

والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤنون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار ، وقيل أنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخاء الحجب ، وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق من غير تضيق وكان الحسن البصري يقول كانت العرب لا تعرف من العيش أفضل من الرزق بالبكرة والعشي فوصف الله عز وجل أهل جنته بذلك « تلك الجنة التي نورث من عبادنا » أي نعطي وننزل وقيل يورث عباد الله المؤمنين المساكن التي كانت لاهل النار لو آمنوا « من كان تقيا » أي المتقين من عباده « وما ننزل إلا بأمر ربك » أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا خلاد بن يحيى أنا عمر بن ذر قال سمعت أبي يحدث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال « يا جبريل ما بينك أن تزورنا أكثر مما تزورنا » فنزلت (وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا) الآية . قال كان هذا الجواب ل محمد ﷺ وقال عكرمة والضحاك وقنادة ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي ﷺ حين سأله قومه عن

زيادة في آخر الحديث فكان ذلك الجواب لمحمد ﷺ وقال العوفي عن ابن عباس احتبس جبرائيل
عن رسول الله ﷺ فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وحزن فأنابه جبرائيل وقال يا محمد (وما تنزل
إلا بأمر ربك) الآية. وقال مجاهد لبث جبرائيل عن محمد ﷺ اثنتي عشرة ليلة ويقولون أقل
فلما جاءه قال «يا جبرائيل لقد رثت علي حتى ظن المشركون كل ظن فنزلت (وما تنزل إلا بأمر
ربك) الآية. قال وهذه الآية كالتي في الضحى وكذلك قال الضحاك بن مزاحم وقادة والسدي
 وغير واحد أنها نزلت في احتباس جبريل، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة قال أبطأ جبرائيل النزول
على النبي ﷺ أربعين يوماً ثم نزل فقال له النبي ﷺ «ما نزلت حتى اشتقت اليك» فقال له جبريل
بل أنا كنت اليك أشوق ولكني مأمور فأوحى الله إلى جبرائيل أن قل له (وما تنزل إلا بأمر ربك)
الآية رواه ابن أبي حاتم رحمه الله وهو غريب، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا
أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال أبطأت الرسل على النبي ﷺ ثم أنابه جبريل فقال له
«ما حبسك يا جبريل؟» فقال له جبريل وكيف تأتيكم وأنتم لا تقصون أظفاركم ولا تنقون براجمكم
ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون؟ ثم قرأ (وما تنزل إلا بأمر ربك) إلى آخر الآية. وقد قال
الطبراني حدثنا أبو عامر النهوي حدثنا محمد بن إبراهيم الصوري حدثنا سليمان بن محمد الرحمن
الدمشقي حدثنا اسماعيل بن عياش أخبرني ثعلبة بن مسلم عن أبي كعب مولى ابن عباس عن ابن عباس
عن النبي ﷺ أن جبرائيل أبطأ عليه فذكر له ذلك فقال وكيف وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم
ولا تقصون شواربكم ولا تنقون براجمكم؟ وهكذا رواه الامام أحمد عن أبي اليمان عن اسماعيل بن
عياش عن ابن عباس بنحوه، وقال الامام أحمد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا المغيرة
ابن حبيب عن مالك بن دينار حدثني شيخ من أهل المدينة عن أم سلمة قالت قال لي رسول الله ﷺ
«أصاحي لنا المجلس فانه ينزل ملك إلى الأرض لم ينزل إليها قط» وقوله (له ما بين أيدينا وما خلفنا)
قيل المراد بما بين أيدينا أمر الدنيا وما خلفنا أمر الآخرة وما بين ذلك ما بين النفختين هذا قول
أبي العالية وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبيرة وقادة في رواية عنهما والسدي والريعي بن أنس وقيل
(ما بين أيدينا) ما يستقبل من أمر الآخرة (وما خلفنا) أي ماضى من الدنيا (وما بين ذلك) أي
أصحاب الكهف وذو القرنين والروح فقال أخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله حتى شق ذلك على
النبي ﷺ ثم نزل بعد أيام فقال له رسول الله ﷺ «أبطأت علي حتى ساء ظني واشتقت اليك»
فقال له جبريل اني كنت أشوق ولكني عبيد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست.
فأنزل الله (وما تنزل إلا بأمر ربك) وأنزل (والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى)
قوله تعالى (له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك) أي له علم ما بين أيدينا واختلفوا فيه فقال
سعيد بن جبيرة وقادة ومقاتل [ما بين أيدينا] من أمر الآخرة والثواب والعقاب [وما خلفنا] ماضى
(تفسير ابن كثير والبغوي) (٤٩) (الجزء الخامس)

ما بين الدنيا والآخرة، يروى نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وابن جريج والثوري واختاره ابن جرير أيضا والله أعلم. وقوله (وما كان ربك نسيا) قال مجاهد والسدي: معناه مانسيك ربك وقد تقدم عنه أن هذه الآية كقوله (والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبي حاتم حدثنا يزيد بن محمد بن عبد الصمد الدمشقي حدثنا محمد بن عثمان يعني أبا الجاهر حدثنا اسماعيل بن عياش حدثنا عاصم بن رجا، بن حيوة عن أبيه عن أبي الدرداء يرفعه قال «ما أحل الله في كتابه فهو حلال وما حرمه فهو حرام وما سكت عنه فهو عافية فاقبلوا من الله عافيته فإن الله لم يكن لينسى شيئا» ثم تلا هذه الآية (وما كان ربك نسيا) وقوله (رب السموات والأرض وما بينهما) أي خالق ذلك ومدبره والحاكم فيه والمنصرف الذي لا معقب لحكمه (فاعبدوه واصطبروا لعبادته هل تعلم له سميا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هل تعلم للرب مثلا أو شبيهاً وكذلك قال مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وابن جريج وغيرهم، وقال عكرمة عن ابن عباس ليس أحد يسمى الرحمن غيره تبارك وتعالى وتقدس اسمه

ويقول الانسن أذا ما ميت لسوف أخرج حيا (٦٦) أو لا يذكر الانسن أنا خلقناه

من قبل ولم يك شيئا (٦٧) فو ربك لنحشرنهم والشيطين ثم لنحضرنهم حول جهنم

جثيا (٦٨) ثم لننزعن من كل شيعة أئهم أشد على الرحمن عتيا (٦٩) ثم لنحنن المم

بالذين هم أولى بها صليا (٧٠)

يخبر تعالى عن الانسان أنه يتعجب ويستبعد إعادته بعد موته كما قال تعالى (وإن تعجب فعجب قولهم أنذا كنا ترابا أنذا في خلق جديد) وقال (أو لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم

من الدنيا (وما بين ذلك) ما يكون من هذا الوقت الى قيام الساعة وقيل (ما بين ايدينا) من امر الآخرة [وما خلفنا] من امر الدنيا [وما بين ذلك] أي ما بين النفختين و بينهما أربعون سنة وقيل ما بين ايدينا ما بقي من الدنيا وما خلفنا ماضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وقيل ما بين ايدينا بعد أن نموت وما خلفنا قبل أن نخلق وما بين ذلك مدة الحياة وقيل ما بين ايدينا من الارض اذا أردنا النزول اليها وما خلفنا السماء اذا نزلنا منها وما بين ذلك الهواء يريد أن ذلك كله لله عز وجل فلا تقدر على شيء إلا بأمره (وما كان ربك نسيا) أي ناسيا يقول مانسيك ربك أي ما تركك والناسي التارك (رب السموات والأرض وما بينهما) فاعبدوه واصطبروا لعبادته (أي اصبر على أمره ونهيه) هل تعلم له سميا (له سميا) قال ابن عباس رضي الله عنهما مثلا وقال سديد بن جبير عدلا وقال السكلي هل تعلم أحدا يسمى الله غيره (ويقول الانسان) يعني أبي بن خلف الجمحي كان منكرا للبعث قال (أنذا ماتم

مبين * وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم * قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم (وقال هبنا) ويقول الانسان أنذا ماتت لسوف أخرج حيا * أو لا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) يستدل تعالى بالبداءة على الاعادة ، يعني أنه تعالى قد خلق الانسان ولم يك شيئا أفلا يعيده وقد صار شيئا كما قال تعالى (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وفي الصحيح « يقول الله تعالى كذبني ابن آدم ولم يكن له أن يكذبني ، وأذاني ابن آدم ولم يكن له أن يؤذيني ، أما تكذبيه إياي فقله لن يعيدني كما بداني وليس أول الخلق بأهون علي من آخره ، وأما أذاه إياي فقله ان لي ولداً وأنا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » وقوله (فوربك لنحشرنهم والشياطين) أقسم الرب تبارك وتعالى بنفسه الكريمة أنه لا بد أن يحشرهم جميعا وشياطينهم الذين كانوا يعبدون من دون الله (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال العوفي عن ابن عباس يعني فعوداً كقوله (وترى كل أمة جاثية) وقال السدي في قوله جثيا يعني قياما ، وروي عن مرة عن ابن مسعود مثله . وقوله (ثم لنزعن من كل شيعة) يعني من كل أمة قاله مجاهد (أبهم أشد على الرحمن عتيا) قال الثوري عن علي بن الاقر عن أبي الاحوص عن ابن مسعود قال : يحبس الاول على الآخر حتى إذا تكاملت العدة أنام جميعا ثم بدأ بالاكار فالأكابر جرما وهو قوله (ثم لنزعن من كل شيعة أبهم أشد على الرحمن عتيا) وقال قتادة (ثم لنزعن من كل شيعة أبهم أشد على الرحمن عتيا) قال ثم لنزعن من أهل كل دين قادتهم ورؤساءهم في الشر وكذا قال ابن جرير وغير واحد من السلف وهذا كقوله تعالى (حتى إذا داركوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار - إلى قوله - بما كنتم تكسبون)

لسوف أخرج حيا) من القبر قاله استهزاء وتكديبا للبعث

قال الله عز وجل (أولا يذكر) أي يتذكر ويتفكر وقرأ نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب يذكر خفيف (الانسان) يعني أبي بن خلف (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) أي لا يتفكر هذا الجاحد في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة ثم أقسم بنفسه فقال (فوربك لنحشرنهم) أي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم) قيل في جهنم (جثيا) قال ابن عباس رضي الله عنه جماعات جمع جثوة وقال الحسن والضحاك جمع جاث أي جاثين على الركب قال السدي قائمين على الركب لضيق المكان (ثم لنزعن) لنخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أبهم أشد على الرحمن عتيا) عتوا قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جرأة وقال مجاهد فجورا يريد الاعتي فالاعتى وقال الكلبي قائدهم ورؤسائهم في الشر يريد أنه يقدم في ادخال النار من هو أكثر جرما وأشد كفرا وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم

وقوله (ثم لنمنع أعلم بالذين هم أولى بها صلبا) ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر والمراد أنه تعالى أعلم
بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها وبمن يستحق تضعيف العذاب كما قال في الآية
المنقدمة (قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون)

وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتما مقضيا (٧١) ثم تنجي الذين اتقوا ونذر

الظالمين فيها جثيا (٧٢)

قال الامام أحمد حدثنا سليمان بن حرب حدثنا خالد بن سليمان عن كثير بن زياد البرساني عن أبي
سمية قال اختلفنا في الورود فقال بعضهم لا يدخلها مؤمن وقال بعضهم يدخلونها جميعا ثم ينجي الله
الذين اتقوا ، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له إنا اختلفنا في الورود فقال يردونها جميعا ، وقال سليمان بن
مرة يدخلونها جميعا وأهوى بأصبعه إلى أذنيه وقال صمنا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول
« لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمن بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن النار
ضجيجها من بردهم ثم ينجي الله الذين اتقوا وينذر الظالمين فيها جثيا » غريب ولم يخرجوه ، وقال
الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن معاوية عن بكار بن أبي مروان عن خالد بن معدان قال قال أهل الجنة
بعد ما دخلوا الجنة ألم بعدنا ربنا الورود على النار قال قد مررت عليها وهي خامدة

وقال عبد الرزاق عن ابن عيينة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال كان عبد الله بن
رواحة واضعا رأسه في حجر امرأته فبكت فبكت امرأته قال ما يبكيك قالت رأيتك تبكي فبكت قال
أني ذكرت قول الله عز وجل (وإن منكم إلا واردها) فلا أدري أنجو منها أم لا - وفي رواية - وكان

الا كفر فلا كفر ورفع أي معنى الذي يقال لهم [أيهم أشد على الرحمن عتيا] وقيل على الاستئناف
ثم لنمنع عن عمل في موضع من كل شيعة (ثم لنمنع أعلم بالذين هم أولى بها صلبا) أي أحق بدخول
النار يقال صلي يصل صليا مثل لقي يلقى لقاء صلي يصلي صليا مثل مضى مضيا إذا دخل النار وقامى
حرها (وإن منكم إلا واردها) أي وما منكم إلا واردها وقيل القسم فيه مضمرة أي والله ما منكم من أحد
إلا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود ههنا وفيما تنصرف إليه الكناية في
قوله [واردها] قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورود ههنا هو الدخول والكناية
راجعة إلى النار وقالوا النار يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها والدليل على أن
الورود هو الدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون [يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار]
وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق ماري ابن عباس رضي الله عنها في الورود فقال
ابن عباس رضي الله عنها هو الدخول وقال نافع ليس الورود الدخول فقلنا عبد الله بن عباس رضي الله
عنه قوله تعالى [إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون] أدخلها هؤلاء أم لا ثم

مريضا . وقال ابن جرير حدثنا ابو كريب حدثنا ابن يمان عن مالك بن مغول عن ابي اسحاق كان ابو ميسرة اذا اوى إلى فراشه قال بليت امي لم تلدني ثم يبكي فليل له ما يبكيك يا ابا ميسرة؟ فقال اخبرنا انا واردها ولم نخبر انا صادرون عنها ، وقال عبد الله بن المبارك عن الحسن البصري قال قال رجل لاختيه هل اناك انك وارد النار قال نعم قال فهل اناك انك صادر عنها؟ قال لا قال فقيم الضحك؟ قال فصار لي ضاحكا حتى لحق بالله . وقال عبد الرزاق ايضا اخبرنا ابن عيينة عن عمرو اخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الازرق فقال ابن عباس الورود الدخول فقال نافع لا ، فقرأ ابن عباس (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون) وردوا ام لا وقال (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) اوردها ام لا اما انا وانت فسندخلها فانظر هل نخرج منها ام لا وما ارى الله يخرجك منها بتكذيبك فضحك نافع

وروي ابن جرير عن عطاء قال قال ابو راشد الحاروري وهو نافع بن الازرق (لا يسمعون حسيها) فقال ابن عباس وبلك أمجنون أنت أين قوله (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا * وان منكم إلا واردها) والله ان كان دعا . من مضى : اللهم أخرجني من النار سالما ، وأدخلني الجنة غائما ، وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا اسباط عن عبد الملك عن عبيد الله عن مجاهد قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الازرق فقال له يا ابن عباس أرايت قول الله (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال أما انا وانت يا ابا راشد فسنردها فانظر هل نصدر عنها ام لا

قال يا نافع أما والله انت وأنا سنردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك . وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقولوا النار لا يدخلها مؤمن أبدا لقوله تعالى (ان الذين سبقتم من الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها) وقالوا كل من دخلها لا يخرج منها والمراد من قوله (وان منكم إلا واردها) الحضور والرقبة لا الدخول كما قال تعالى (ولما ورد ماء مدين) أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال وان منكم إلا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والاول أصح وعليه أهل السنة انهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله عز وجل منها أهل الايمان بدليل قوله تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا) أي اتقوا الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه لا ما وردت وقرأ الكسائي ويعقوب ننجي بالتخفيف والآخرون بالتشديد والدليل على هذا ما أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو بكر احمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن احمد الطوسي أنا عبد الرحيم بن منيب أنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ « لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم » وأراد بالقسم قوله (وان منكم إلا واردها) أخبرنا

وقال أبو داود الطيالسي قال شعبة أخبرني عبد الله بن السائب عن سمع ابن عباس يقرؤها (وان منهم إلا واردها) يعني الكفار وهكذا روى عمر بن الوليد البستي أنه سمع عكرمة يقرؤها كذلك (وان منهم إلا واردها) قال وهم الظلمة كذلك كذا يقرؤها، رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (وان منكم إلا واردها) يعني البر والفاجر ألا نسمع إلى قول الله لفرعون (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار) الآية (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) فسمي الورود على النار دخولا وليس بصادر.

وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن اسراييل عن السدي عن مرة عن عبد الله هو ابن مسعود (وان منكم إلا واردها) قال رسول الله ﷺ «يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم» ورواه الترمذي عن عبد بن حميد عن عبيد الله عن اسراييل عن السدي به، ورواه من طريق شعبة عن السدي عن مرة عن ابن مسعود مرفوعا هكذا وقع هذا الحديث ههنا مرفوعا، وقد رواه اسباط عن السدي عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعا الصراط وورودهم قيامهم حول النار ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم فمنهم من يمر مثل البرق ومنهم من يمر مثل الريح ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل ومنهم من يمر كاجود الابل ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم صار رجل نوره على موضع ابهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القناد حافاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس. وذكر تمام الحديث رواه ابن أبي حاتم وقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم حدثنا النضر حدثنا اسراييل أخبرنا أبو اسحاق عن أبي

عبد الواحد المديجي أنا احمد النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا هشام أنا قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير» وقال أبان عن قتادة من إيمان مكان خير أخبرنا أبو المنذر محمد بن اسماعيل بن علي الشجاعني أنا أبو نصر النعمان بن محمد بن محمود الجرجاني أنا أبو عثمان عمر بن عبد الله البصري أنا محمد بن عبد الوهاب أنا محمد بن الفضل أبو النعمان أنا سلام بن مسكين أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ «أنزل جلا في النار ينادي ألف سنة يا حنان يا منان فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فائتني بعبي هذا قال فذهب جبريل فوجد أهل النار منكبين فيكون قال فرجع فاخبر ربه عز وجل قال اذهب فاته في موضع كذا وكذا قال فجاء به قال يا عبيدي كيف وجدت مكانك ومقيلك قال يارب شر مكان وشر مقيل قال ردوا عبيدي قال ما كنت أرجو أن تعبدني إليها إذا أخرجتني منها قال الله تعالى للملائكة دعوا عبيدي «وأما قوله عز وجل (لا يسمعون حسابها) قبل إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون حسابها فيجوز أن يكون قد

الاحوص عن عبد الله قوله (وإن منكم إلا واردها) قال الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الاولى كالبرق والثانية كالريح والثالثة كاجود الخيل والرابعة كاجود البهائم ثم يمرون والملائكة يقولون اللهم سلم سلم ، ولهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرة وجابر وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم

وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن الجريري عن أبي السليل عن غنيم بن قيس قال ذكروا ورود النار فقال كعب بن مالك النار للناس كلها بين هالة حتى يستوي عليها أقدام الخلائق يرمون وفاجرهم ثم يناديها مناد أن امسكي أصحابك ودعي أصحابي قال فتخسف بكل ولي لها هي أعلم بهم من الرجل بولده ويخرج المؤمنون ندية ثيابهم قال كعب ما بين منكبي الخازن من خزنها مسيرة سنة مع كل واحد منهم عمود ذو شعبتين يدفع به الدفع فيصرع به في النار سبعمائة ألف

وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر عن حفصة قالت قال رسول الله ﷺ « اني لارجو أن لا يدخل النار ان شاء الله أحد شهد بدرًا والحديبية » قالت فقلت اليس الله يقول (وان منكم إلا واردها) قالت : فسمعت يقول (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)

وقال أحمد أيضا حدثنا ابن ادریس حدثنا الاعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر امرأة زيد بن حارثة قالت كان رسول الله ﷺ في بيت حفصة فقال « لا يدخل النار أحد شهد بدرًا والحديبية » قالت حفصة اليس الله يقول (وان منكم إلا واردها) فقال رسول الله ﷺ (ثم ننجي الذين اتقوا)

سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لانه لم يقل لم يسمعوا حسيبها ويجوز أن لا يسمعوا حسيبها عند دخولهم إياها لان الله عز وجل يجعلها عليهم بردًا وسلاما وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث « تقول النار للمؤمن جز بامؤمن قد اطفأ نورك لهبي » وروي عن مجاهد في قوله عز وجل [وان منكم إلا واردها] قال من هم من المسلمين فقد وردوا وفي الخبر : الحمى كبر من جهنم وهي حظ المؤمن من النار اخبرنا عبد الواحد المليجي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا محمد بن المنثري أنا يحيى عن هشام اخبرني أبي عن عائشة عن النبي ﷺ قال « الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء » (كان على ربك حتما مقضيا) أي كان ورودكم جهنم حتما لازما مقضيا قضاء الله عليكم (ثم ننجي الذين اتقوا) أي اتقوا الشرك وقرأ الكسائي تنجي بالتخفيف والباقون بالتشديد (ونذر الظالمين فيها جثيا) جميعا وقيل جاثين على الركب وفيه دليل على أن الكل دخلوها ثم اخرج الله منها المتقين وترك فيها الظالمين وهم المشركون اخبرنا عبد الواحد المليجي أنا احمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا أبو النعمان أنا شعيب عن الزهري قال اخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد الليثي أن ابا هريرة

الآية ، وفي الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلا تحلة القسم »
وقال عبد الرزاق قال معمر أخبرني الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « من مات له ثلاثة لم تمسه النار إلا تحلة القسم » يعني الورود ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا زمعة عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا يموت مسلم ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم » قال الزهري كأنه يريد هذه الآية (وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا)

وقال ابن جرير حدثني عمران بن بكار الكلاعي حدثنا أبو المغيرة حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن تميم حدثنا اسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة قال خرج رسول الله ﷺ يعود رجلا من أصحابه وعك وأنا معه ثم قال « ان الله تعالى يقول هي ناري أسلمها على عبدي المؤمن لتكون حظه من النار في الآخرة » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه . وحدثنا أبو كريب حدثنا أبو اليان عن عثمان بن الأسود عن مجاهد قال الحى حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ (وان منكم إلا واردها) وقال الامام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا زباني بن فايد عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله احد حتى يحتمها عشر مرات بنى الله

اخبرهما أن الناس قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال « هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس من دونه سبحانه ؟ » فقالوا لا يارسول الله قال « فهل تمارون في الشمس ليس دونها سبحانه ؟ » قالوا لا قال « فانكم ترونه كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ، ومنهم من يتبع القمر ، ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون انت ربنا ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان ؟ - قالوا نعم - قال فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمتها إلا الله تحطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ، ومنهم من يخردل ثم ينجو حتى اذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار من أراد أن يخرج من النار كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيخرجون من النار قد امتعشوا فيصعب عليهم ما الحياة فينبئون كما تنبت الحبة في حبل السيل ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب اصرف وجهي عن النار قد قشني ربحها وحرقتني

له قصر في الجنة فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ «الله أكثر وأطيب» وقال رسول الله ﷺ «من قرأ الف آية في سبيل الله كتب يوم القيامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا إن شاء الله ومن حرص من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا باجر سلطان لم ير النار بعينه إلا نحلة القسم» قال الله تعالى (وان منكم إلا واردها) وان الذكر في سبيل الله بضاعف فوق النفقة بسبعائة ضعف، وفي رواية بسبعائة الف ضعف، وروى أبو داود عن أبي الطاهر عن ابن وهب وعن يحيى بن أيوب كلاهما عن زبائن عن سهل عن أبيه عن رسول الله ﷺ «إن الصلاة على والصيام والذكر بضاعف النفقة في سبيل الله بسبعائة ضعف»

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قوله (وان منكم إلا واردها) قال هو المعمر عليها. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله (وان منكم إلا واردها) قال ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها وورود المشركين أن يدخلوها، وقال النبي ﷺ «الزاون والزالات يومئذ كثير وقد أحاط بالجسر يومئذ سباطان من الملائكة دعاؤهم يا الله سلم سلم» وقال السدي عن مرة عن ابن مسعود في قوله (كان على ربك حتما مقضيا) قال قسما واجبا

ذكاؤها فيقول هل عسيت أن فعل ذلك بك أن نسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فاذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكنت ماشاء الله أن يسكت ثم قال يارب قدمني عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى أليس قد اعطيت اليهود والميثاق أن لا نسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت إن اعطيت ذلك أن نسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسألك غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فاذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب ادخاني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويلك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد اعطيت اليهود والميثاق أن لا نسأل غير الذي اعطيت فيقول يارب لا أنجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فاذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول من فيتمنى حتى إذا انقطعت أميته قال الله تعالى من كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأمان قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد لأبي هريرة إن رسول الله ﷺ قال «قال الله تعالى لك ذلك وعشرة أمثاله» قال أبو هريرة لم احفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله «لك ذلك ومثله معه» قال أبو سعيد إني سمعته يقول «لك ذلك وعشرة أمثاله» ورواه محمد بن اسماعيل عن محمود بن غيلان أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة بمعناه قال «فيا تبهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا أنا نار بناعر فناء فيا تبهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون انت ربنا فيذبعون» اخبرنا احمد بن عبد الله

وقال مجاهد حتما قال قضا، وكذا قال ابن جريج وقوله (ثم ننجي الذين اتقوا) أي إذا من الخلائق كلهم على النار وسقط فيها من سقط من الكفار والعصاة وذوي المعاصي بحسبهم ننجي الله تعالى المؤمنين المتقين منها بحسب أعمالهم فجوازهم على الصراط ومرعتهم بقدر أعمالهم التي كانت في الدنيا ثم يشفعون في أصحاب الكبائر من المؤمنين فيشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون فيخرجون خلقا كثيرا قد أكلتهم النار الإدارات وجوههم وهي مواضع السجود وأخرجهم إياهم من النار بحسب ما في قلوبهم من الإيمان فيخرجون أولا من كان في قلبه مثقال دينار من إيمان ثم الذي يليه ثم الذي يليه حتى يخرجون من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان ثم يخرج الله من النار من قال يوما من الدهر لا إله إلا الله ولم يعمل خيرا قط ولا يبقى في النار إلا من وجب عليه الخلود كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)

وإذا تلى عليهم آيتنا بينت قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقام

واحسن نديا؟ (٧٣) وكم أهملنا قبلهم من قرن هم احسن اثنا ورعبا (٧٤)

الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطرمي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ «يعذب اناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدرهم الرحمة» قال - فيخرجون فيطرحون على ابواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبثون كما تنبت القثاء في حميل السيل ثم يدخلون الجنة» أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي أنا أبو سعيد الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي أنا هناد السري أنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد الناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل فيقال له انذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له بمن قال فيتمنى فيقال له فإن لك الذي تمنى وعشرة أضعاف الدنيا فيقول أنسخري وانت الملك الجبار» قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه. أخبرنا أحمد بن عبد الله أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الحيري أنا حاجب بن أحمد الطرمي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنهما عن أم مبشر عن حفصة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بدرا والحديبية» قالت قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى (وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال «فلم تسمعه يقول (ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)» وإذا تلى عليهم آياتنا

يخبر تعالى عن الكفار حين تلى عليهم آيات الله ظاهرة الدلالة بينة الحجة واضحة البرهان أنهم يصدون ويهرضون عن ذلك ويقولون عن الذين آمنوا مفتخرين عليهم ومحتجبين على صحة ما هم عليه من الدين الباطل بأنهم (خير مقاماً وأحسن ندياً) أي أحسن منازل وأرفع دوراً وأحسن ندياً وهو مجتمع الرجال للحديث أي ناديتهم أجمع وأكثروا وطارفاً يعنون فكيف نكون ونحن بهذه المثابة على باطل وأولئك الذين هم مخفون مستترون في دار الأرقم بن أبي الأرقم ونحوها من الدور على الحق كما قال تعالى مخبراً عنهم (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه) وقال قوم نوح (أنؤمن لك واتبعك الأراذلون) وقال تعالى (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ولهذا قال تعالى راداً عليهم شبهتهم (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي وكم من أمة وقرن من المكذبين قد أهلكناهم بكفرهم (هم أحسن أثاثاً ورثياً) أي كانوا أحسن من هؤلاء أموالاً وأمتعة ومناظر وأشكالاً قال الأعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس (خير مقاماً وأحسن ندياً) قال المقام المنزل والندى المجلس والأثاث المتاع والرثي المنظر

وقال العوفي عن ابن عباس المقام المسكن والندى المجلس والنعمة والبهجة التي كانوا فيها وهو كما قال الله لقوم فرعون حين أهلكهم وقص شأنهم في القرآن (كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم) فالمقام المسكن والنعيم والندى المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه. وقال تعالى فيما قص على رسوله من أمر قوم لوط (وتأتون في ناديكم المنكر) والعرب تسمي المجلس النادي، وقال قتادة لما رأوا أصحاب محمد ﷺ في عيشهم خشونة وفيهم قسافة فعرض أهل الشرك بما تسمعون (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً) وكذا قال مجاهد والضحاك ومنهم من قال في الأثاث هو المال ومنهم من قال الثياب ومنهم من قال المتاع والرثي المنظر كما قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد، وقال الحسن البصري يعني الصور وكذا قال مالك (أثاثاً ورثياً) أكثر أموالاً وأحسن صوراً والكل متقارب صحيح

بينات) واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحارث وذويه من قريش (للذين آمنوا) يعني فقراء أصحاب النبي ﷺ وكانت فيهم قسافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثانة وكان المشركون يزلون شعورهم، ويدهنون رؤوسهم، ويلبسون ثيابهم فقالوا المؤمنون (أي الفريقين خير مقاماً منزلاً ومسكناً وهو موضع الإقامة) وقرأ ابن كثير مقاماً بضم الميم أي إقامة (وأحسن ندياً) أي مجلساً ومثله النادي فأجابهم الله تعالى فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً أي متاعاً وأموالاً وقال مقاتل لباساً وثياباً ورثياً) قرأ أكثر القراء بالهمز أي منظر من الرؤية وقرأ ابن عامر وأبو جعفر ونافع غير ورش رياء مشدداً بغير همز وله تفسيران أحدهما هو الأول بطرح الهمز والثاني من الرعي الذي هو ضد العطش ومعناه الارتواء من النعمة فإن المتنعم يظهر فيه ارتواء النعمة والفقير

قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا حتى اذا رأوا ما يوعدون إما العذاب

وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جنداً (٧٥)

يقول تعالى قل يا محمد هؤلاء المشركين برهبهم المدين انهم على الحق وانكم على الباطل (من كان في الضلالة) أي منا ومنكم (فليمدد له الرحمن مداً) أي فأمله الرحمن فيما هو فيه حتى يلقى ربه وينتقي أجله إما (العذاب) يصيبه (وإما الساعة) بغتة تأتيه [فسيعلمون] حينئذ [من هو شر مكانا وأضعف جنداً] في مقابلة ما احتجوا به من خيرية المقام وحسن الندي . قال مجاهد في قوله [فليمدد له الرحمن مداً] فليدعه الله في طغيانه هكذا قرر ذلك أبو جعفر ابن جرير رحمه الله وهذه مباهلة للمشركين الذين يزعمون انهم على هدى فيما هم فيه كما ذكر تعالى مباهلة اليهود في قوله [يا أيها الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين] أي ادعوا بالموت على المبطل منا أو منكم ان كنتم تدعون انكم على الحق فانه لا يضركم الدعاء فنكلوا عن ذلك وقد تقدم تقرير ذلك في سورة البقرة مبسوطاً والله الحمد وكما ذكر تعالى المباهلة مع النصاري في سورة آل عمران حين صمموا على الكفر واستمروا على الطغيان والغلو في دعواهم أن عيسى ولد الله وقد ذكر الله حججه وبراهينه على عبودية عيسى وأنه مخلوق كآدم قال تعالى بعد ذلك [فن حاجك فيه من بعد ما جاك من العلم قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين] فنكلوا أيضاً عن ذلك

ويزيد الله الذين اهتدوا هدى والبقية الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير مرداً (٧٦)

لما ذكر تعالى امداد من هو في الضلالة فيما هو فيه وزيادته على ما هو عليه أخيراً بزيادة المهتدين هدى كما قال تعالى [وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً] الآيتين

وقوله (والباقيات الصالحات) قد تقدم تفسيرها والكلام عليها وإيراد الاحاديث المتعلقة بها في سورة الكهف (خير عند ربك ثواباً) أي جزاء (وخير مرداً) أي عاقبة ومرداً على صاحبها ، وقال

يظهر عليه ذبول الفقر ﴿ قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ﴾ هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه ويمهله في كفره ﴿ حتى اذا رأوا ما يوعدون إما العذاب ﴾ وهو الاسر والقتل في الدنيا ﴿ وإما الساعة ﴾ يعني القيامة فيدخلون النار ﴿ فسيعلمون ﴾ عند ذلك ﴿ من هو شر مكانا ﴾ منزلاً ﴿ وأضعف جنداً ﴾ أقل ناصراً أم أم المؤمنين لأنهم في النار والمؤمنون في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم (أي الفريقين خير مقاماً واحسن ندياً) (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) أي إيماناً وإيماناً على يقينهم ﴿ والباقيات الصالحات ﴾ الاذكار والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها ﴿ خير عند ربك ثواباً وخير مرداً ﴾ عاقبة ومرجماً

عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال جلس رسول الله ﷺ ذات يوم فآخذ عودا يابساً فط ورقه ثم قال « ان قول لا إله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله تحط الخطايا كما تحط ورق هذه الشجرة الرج خذهن بأبأ الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن هن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة » قال أبو سلمة فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال لا هلال الله ولا كبرن الله ولا سبحن الله حتى إذا رأي الجاهل حسب اني مجنون وهذا ظاهره أنه مرسل ولكن قد يكون من رواية أبي سلمة عن أبي الدرداء والله أعلم ، وهكذا وقع في مسند ابن ماجه من حديث أبي معاوية عن عمر بن راشد عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي الدرداء ، فذكر نحوه .

أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لا وتين مالا وولداً (٧٧) أطاع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً (٧٩) ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً (٨٠)

قال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن مسلم عن مسروق عن خباب بن الارت قال كنت رجلاً قيناً وكان لي علي العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه منه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال فاني اذا مت ثم تبعث جثتي ولي ثم مال وولد فأعطيتك فانزل الله (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لا وتين مالا وولداً الى قوله - ويأتينا فرداً) أخرجه صاحبنا الصحيح وغيرهما من غير وجه عن الاعمش به وفي لفظ البخاري كنت قيناً بمكة فعملت للعاص بن وائل سيفاً فجئت أتقاضاه فذكر الحديث ، وقال (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) قال موثقاً

وقال عبد الرزاق أخبرنا الشوري عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال : قال خباب ابن الارت كنت قيناً بمكة فكنيت اعلم للعاص بن وائل فاجتمعت لي عليه دراهم فجئت لاتقاضاه فقال لي لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث قال فاذا تبعث كان

قوله (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لا وتين مالا وولداً) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الاعمش عن مسلم عن مسروق حدثنا خباب قال كنت قيناً فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالي عنده فأتيته أتقاضاه فقال لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت أما والله حتى تموت ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت نعم قال إنه سيكون لي ثم مال وولد فأقضيك فانزل الله عز وجل (أفرايت الذي كفر بآياتنا

لي مال وولد قال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأنزل الله [أفرأيت الذي كفر بآياتنا] الايات وقال العوفي عن ابن عباس إن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يلبسون العاص بن وائل السهمي بدين فأتوه يتقاضونه فقال السهمي تزعمون أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً ومن كل الثمرات قالوا بلى قال فان موعدكم الآخرة فوالله لأوتين مالا وولداً ولأوتين مثل كتابكم الذي جئتم به فضرب الله مثله في القرآن فقال (أفرأيت الذي كفر بآياتنا - إلى قوله - وبأيتنا فردا) وهكذا قال مجاهد وقتادة وغيرهم إنها نزلت في العاص بن وائل ، وقوله (لأوتين مالا وولداً) قرأ بعضهم بفتح الواو من ولداً وقرأ آخرون بضمها وهو بمعناه قال رؤبة :

الحمد لله العزيز فردا لم يتخذ من ولد شيء ولدا
وقال الحارث بن حلزة

ولقد رأيت معاشراً قد ثمروا مالا وولداً
وقال الشاعر :

فليت فلاناً كان في بطن أمه وليت فلاناً كان ولد حمار

وقيل إن الولد بالضم جمع والولد بالفتح مفرد وهي لغة قيس والله أعلم ، وقوله أطلع الغيب انكار على هذا القائل (لأوتين مالا وولداً) يعني يوم القيامة أي أعلم ماله في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك ، وقد تقدم عند البخاري أنه الموثق وقال الضحاك عن ابن عباس (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً) قال شهادة أن لا إله إلا الله ثم قرأ (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) وقوله (كلا) هي حرف ردع لما قبلها وتأكيده لما بعدها (سنكتب ما يقول) أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما يتمناه وكفره بالله العظيم (وعد له) من العذاب (مداً) أي في الدار الآخرة على قوله ذلك وكفره بالله في الدنيا (ونرثه ما يقول) أي من مال وولد ينسلب منه عكس ما قال أنه يؤتى في الدار الآخرة مالا وولداً زيادة على الذي في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ، ولهذا قال تعالى (وبأيتنا فردا) أي من المال والولد قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ونرثه ما يقول) قال نرثه ، وقال مجاهد (ونرثه ما يقول) ماله وولده وذلك الذي قال العاص بن وائل .

وقال لأوتين مالا وولداً (أطلع الغيب) قال ابن عباس أنظر في اللوح المحفوظ ، وقال مجاهد أعلم الغيب حتى يعلم في الجنة هو أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهداً) يعني قال لا إله إلا الله ، وقال قتادة يعني عمل عملاً صالحاً قدمه ، وقال الكلبي أعهد إليه أن يدخل الجنة (كلا) رد عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب) سنحفظ عليه (ما يقول) فنجازيه به في الآخرة وقيل تأمر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول (وعد له من العذاب مداً) أي نزيده عذاباً فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه (ونرثه

وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ونثره ما يقول) قال ما عنده وهو قوله (لاوتين مالا وولدا) وفي حرف ابن مسعود ونثره ما عنده ، وقال قتادة (ويأتينا فردا) لا مال له ولا ولد وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ونثره ما يقول) قال ما جمع من الدنيا وما عمل فيها قال (ويأتينا فردا) قال فردا من ذلك لا يتبعه قليل ولا كثير

واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا (٨١) كلا سيكفرون بعبادتهم ويكنونون

عليهم ضدا (٨٢) ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا (٨٣) فلا تعجل عليهم

إنما نعد لهم عدا (٨٤)

يخبر تعالى عن الكفار المشركين برهبهم أنهم اتخذوا من دونه آلهة لتكون تلك الآلهة (عزا) يعززون بها ويستنصرونها ثم أخبر أنه ليس الأمر كما زعموا ولا يكون ما طمعوا قال (كلا سيكفرون بعبادتهم) أي يوم القيامة (ويكنونون عليهم ضدا) أي بخلاف ما ظنوا فيهم كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقرأ أبو نهيك (كل سيكفرون بعبادتهم) وقال السدي (كلا سيكفرون بعبادتهم) أي بعبادة الأوثان وقوله [ويكنونون عليهم ضدا] أي بخلاف ما رجوا منهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [ويكنونون عليهم ضدا] قال أعوانا قال مجاهد عونا عليهم تخصمهم وتكذبهم ، وقال العوفي عن ابن عباس [ويكنونون عليهم ضدا] قال قرناء وقال قتادة قرناء في النار يلعن بعضهم بعضا ويكفر بعضهم ببعض ، وقال السدي [ويكنونون عليهم ضدا] قال الخصماء الأشداء في الخصومة وقال الضحاك [ويكنونون عليهم ضدا] قال أعداء ، وقال ابن زيد الضد البلاء ، وقال عكرمة الضد الحسرة .

ما يقول) أي ما عنده من المال والولد بأهلا كذا إياه وإبطاله ملكه وقوله ما يقول لأنه زعم أن له مالا وولدا في الآخرة أي لا نعطي ونعطي غيره فيكون الارث راجعا إلى ماتحت القول لا إلى نفس القول وقيل معنى قوله [ونثره ما يقول] أي تحفظ ما يقول حتى يجازيه به (ويأتينا فردا) يوم القيامة بلا مال ولا ولد (واتخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش اتخذوا الأصنام آلهة بعبادتها (ليكنونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكنونون لهم شفعا يمنعونهم من العذاب (كلا) أي ليس الأمر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) أي يمجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدها عبادة المشركين وتبرؤون منهم كما أخبر الله تعالى (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا بعبدون) (ويكنونون عليهم ضدا) أي أعداء لهم وكانوا

٤٠٠ حشر المتقين إلى الرحمن وفداً وسوق المجرمين إلى جهنم ورداً (تفسير ابن كثير والبغوي)

وقوله [ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس تغوهم اغواء ، وقال العوفي عنه تعرضهم على محمد وأصحابه ، وقال مجاهد غلهم إبلاء ، وقال قتادة ترعجهم إزعاجاً إلى معاصي الله ، وقال سفيان الثوري تغريهم إغراء . وتستعجلهم استعجالاً ، وقال السدي تطغيهم طغياناً ، وقال عبد الرحمن بن زيد هذا كقوله تعالى [ومن بعث عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين]

وقوله [فلا تعجل عليهم إنما نعد لهم عدا] أي لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم [إنما نعد لهم عدا] أي إنما نؤخرهم لأجل معدود مضبوط وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله وقال [ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون] الآية [فهل الكافرين أمهلهم رويداً] * إنما نلي لهم ليزدادوا * إنما نمتهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ * قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار [وقال السدي إنما نعد لهم عدا السنين والشهور والأيام والساعات ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس [إنما نعد لهم عدا] قال نعد أنفسهم في الدنيا

يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً (٨٥) ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً (٨٦) لا

يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً (٨٧)

يخبر تعالى عن أوليائه المتقين الذين خافوه في الدار الدنيا وأنبعوا رسله وصدقوه فيما أخبرهم واطاعوه فيما أمرهم به وانتهوا عما عنه زجروهم أنه يحشرهم يوم القيامة وفداً إليه والوفد هم القادمون ركبنا ومنه الوفود وركوبهم على نهائب من نور من مراكب الدار الآخرة وهم قادمون على خير موفود إليه إلى دار كرامته ورضوانه وأما المجرمون المكذبون للرسول المخالفون لهم فأنهم يساقون عنفاً إلى النار (ورداً) عطاشاً قاله عطاء. وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد وههنا يقال (أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندباً)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن خالد عن عمرو بن قيس الملائي عن ابن مرزوق (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً) قال يستقبل المؤمن عند خروجه من قبره أحسن صورة

أوليائهم في الدنيا وقيل أعواناً عليهم يكذبونهم ويلعنونهم ﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾ أي سلطانهم عليهم وذلك حين قال لا بليس (واستفز من استطعت منهم بصوتك) الآية ﴿تؤزهم أزاً﴾ ترعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية والاز والهز التحريك أي تخرجهم عن طاعتهم على المعاصي ﴿فلا تعجل عليهم﴾ أي لا تطالب عقوبتهم ﴿إنما نعد لهم عدا﴾ قال الكلبي يعني الليالي والأيام والشهور والاعوام وقيل الانفس التي ينفسون بها في الدنيا إلى الاجل الذي أجل لعذابهم ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ أي اذكر لهم يا محمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله

رأها وأطيبها ربحا فيقول من أنت ؟ فيقول أما تعرفني ؟ فيقول لا إلا أن الله قد طيب ربحك وحسن وجهك . فيقول أنا عمالك الصالح وهكذا كنت في الدنيا حسن العمل طيبه فطالما ركبك في الدنيا فلم اركبني فيركبه فذلك قوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال ركبانا ، وقال ابن جرير حدثني ابن المثنى حدثنا ابن مهدي عن سعيد بن اسماعيل عن رجل عن أبي هريرة (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال علي الأبل وقال ابن جريج على النجائب ، وقال الثوري على الأبل النوق ، وقال قتادة (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) قال إلى الجنة ، وقال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه حدثنا سعيد بن سعيد أخبرنا علي بن مسهر عن عبد الرحمن بن إسحاق حدثنا النعمان بن سعيد قال كنا جلوسا عند علي رضي الله عنه فقرأ هذه الآية [يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا] قال لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضر بواب الجنة . وهكذا رواه ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث عبد الرحمن بن إسحاق المدني به وزاد عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد والباقي مثله . وروى ابن أبي حاتم ههنا حديثا غريبا جردا مرفوعا عن علي فقال حدثنا أبي حدثنا أبو غسان مالك بن اسماعيل النهدي حدثنا مسلمة بن جعفر البجلي سمعت أبا معاذ البصري قال ان عليا كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية [يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا] فقال ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله ؟ فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده انهم اذا خرجوا من قبورهم يستقبلون أو يؤتون بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالم نور يتلأل كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداها فتغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا اشعارهم بعدها أبدأ وتجري عليهم نضرة النعيم فينتهون أو فيأتون باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيشربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين باعلي فيبلغ كل حوراء ان زوجها قد أقبل فتبعث قيمها فيفتح له فاذا رآه خر له - قال مسلمة أراه قال ساجدا فيقول ارفع رأسك فانما أنا قيمك وكأت بأمرك فيقبعه ويقفو أثره فاستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت حتى تعتقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتا من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع بناؤه على جندل اللؤلؤ طرائق أحمر وأصفر وأخضر ليس منها طريقة تشاكل صاحبها ، وفي الدنيا بطاعته إلى الرحمن أي إلى جنته وفدا أي جماعات جمع وافد مثل راكب وركب وصاحب وصحب وقال ابن عباس ركبنا وقال أبو هريرة على الأبل وقال علي بن أبي طالب ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن علي نوق رحالها الذهب ونجائب مرجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا

البيت سبعون مريراً على كل مريير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مع ساقها من وراء الحلل يقضي جماعها في مقدار ليلة من لياليكم ، هذه الأنهار من تحتهم تترد أنهار من ماء غير آسن قال صاف لا كدر فيه وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ولم يخرج من ضرع الماشية وأنهار من خمر لذة للشاربين لم يعتصرها الرجال بأقدامهم وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل فيستجلى الثمار فان شاء أكل قائماً وإن شاء قاعداً متكئاً ثم تلا [ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً] فيشتهي الطعام فيأتيه طير أبيض وربما قال خضر فترفع أجنحتها فياً كل من جنوبها أي الألوان شاء ثم تطير فتذهب فيدخل الملك فيقول سلام عليكم (تلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) ولو أن شجرة من شعر الحوراء وقعت لاهل الأرض لأضاءت الشمس معها سواد في نوره هكذا وقع في هذه الرواية مرفوعاً وقد روينا في المقدمات من كلام علي رضي الله عنه بنحوه وهو أشبه بالصحة والله أعلم . وقوله (ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا) أي عطاشاً (لا يملكون الشفاعة) أي ليس لهم من يشفع لهم كما يشفع المؤمنون بعضهم لبعض كما قال تعالى مخبراً عنهم (فما لنا من شافعين ولا صديق حميم) وقوله (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) هذا استثناء منقطع بمعنى لكن من اتخذ عند الرحمن عهداً وهو شهادة أن لا إله إلا الله والقيام بحقوقها ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال العهد شهادة أن لا إله إلا الله ويبرأ إلى الله من الحول والقوة ولا يرجو إلا الله عز وجل ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا عثمان بن خالد الواسطي حدثنا محمد بن الحسن الواسطي عن المسعودي عن عون بن عبد الله عن أبي فاختة عن الأسود بن يزيد قال قرأ عبد الله يعني ابن مسعود هذه الآية (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) ثم قال اتخذوا عند الله عهداً فان الله يقول يوم القيامة من كان له عند الله عهد فليقم قالوا يا أبا عبد الرحمن فعلنا قال قولوا اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة فاني أعهد اليك في هذه الحياة الدنيا أن لا تكلفني إلى عمل يقربني من الشر ويباعدني من الخير واني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهداً تؤدبه إلى يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد . قال المسعودي فحدثني زكريا عن القاسم بن عبد الرحمن أخبرنا ابن مسعود وكان يلحق بهن : خائفاً مستجيراً مستغفراً راهباً راغباً اليك . ثم رواه من وجه آخر عن المسعودي

وقالوا اتخذ الرحمن ولداً (٨٨) لقد جئتم شيئا إداً (٨٩) تكاد السموات يتفطرن منه

بها طارت (ونسوق المجرمين) الكافرين الكاذبين (إلى جهنم وردا) أي مشاة وقيل عطاشاً قد قطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) يعني لا إله إلا الله وقيل معناه لا يشفع الشافعون إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً يعني المؤمنين كقوله (لا يشفعون إلا من أَرْضِي من رسول) وقيل لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا المؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) يعني اليهود والنصارى ومن

وتنشق الارض وتخر الجبال هداً (٩٠) أن دعوا للرحمن ولداً (٩١) وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً (٩٢) ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبداً (٩٣) لقد أحصهم وعدهم عداً (٩٤) وكلهم آتية يوم القيمة فرداً (٩٥)

لما قرر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام وذكر خلقه من مريم بلا أب شرع في مقام الانكار على من زعم أن له ولداً تعالى وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً فقال (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم أي في قولكم هذا (شيتا ادا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك أي عظيماً ويقال أداً بكسر الهمزة وفتحها ومع مدّها أيضاً ثلاث لغات أشهرها الاولى وقوله (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولداً) أي يكاد يكون ذلك عند سماعهن هذه المقالة من فجرة بني آدم اعظاماً للرب واجلالاً لانهن مخلوقات ومؤسسات على توحيدِه وأنه لا اله الا هو، وأنه لا شريك له ولا نظير له ولا ولد له ولا صاحبة له ولا كف، له بل هو الاحد الصمد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

قال ابن جرير حدثني علي حدثنا عبد الله حدثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولداً) قال ان الشرك فزعّت منه السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت أن تزول منه اعظمة الله وكلا ينفع مع الشرك احسان المشرك كذلك نرجوا أن يغفر الله ذنوب الموحدين، وقال رسول الله ﷺ «لقنوا موتاكم شهادة أن لا اله الا الله فمن قالها عند موته وجبت له الجنة» فقالوا يا رسول الله فمن قالها في صحته؟ قال تلك أوجب وأوجب ثم قال «والذي نفسي بيده لو جئ بالسموات والارضين

زعم أن الملائكة بنات الله وقرأ حمزة والكسائي ولداً بضم الواو وسكون اللام ههنا وفي الزخرف وسورة نوح ووافق ابن كثير وابو عمرو ويعقوب في سورة نوح والباقون بفتح الواو واللام ههنا وهما لغتان مثل العرب والعجم والعجم «لقد جئتم شيتاً ادا» قال ابن عباس منكراً وقال قتادة ومجاهد عظيماً وقال مقاتل لقد قاتم قولاً عظيماً والاد في كلام العرب أعظم الدواهي «تكاد السموات» قرأ نافع والكسائي يكاد بالياء ههنا، وفي حمصق لتقدم الفعل، وقرأ الباقر بالياء لتأنيث السموات «يتفطرن منه» ههنا وفي حمصق بالنون من الانفطار ابو عمرو وابو بكر ويعقوب ووافق ابن عامر وحمزة ههنا لقوله تعالى (اذا السماء انفطرت * والسماء منفطر) وقرأ الباقر بالياء من التفطر ومعناها واحد يقال انفطر الشيء وتفطر أي تشقق «وتنشق الارض وتخر الجبال هدا» أي

وما فيهن وما بينهن وما تحتهن فوضعن في كفة الميزان ووضعت شهادة أن لا اله الا الله في الكفة الاخرى لرجحت بهن « هكذا رواه ابن جرير ويشهد له حديث البطاقة والله أعلم
وقال الضحاك (تسكاد السموات يتفطرن منه) أي يتشققن فرقاً من عظمة الله ، وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وتنشق الارض أي غضباً له عز وجل وتخر الجبال هدأ قال ابن عباس هدماء ، وقال سعيد بن جبيرة هدأ ينكسر بعضها على بعض متتابعات ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله ابن سويد القبري حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا مسعر عن عون بن عبد الله قال ان الجبل لينادي الجبل باسمه يا فلان هل مر بك اليوم ذكر الله عز وجل فيقول نعم ويستبشر ، قال عون لمي للخير أسمع أفيسمع الزور والباطل إذا قبل ولا يسمعه غيره ثم قرأ (تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدأ أن دعوا للرحمن ولداً)

وقال ابن أبي حاتم أيضاً حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا هودة حدثنا عوف عن غالب بن عجرود حدثني رجل من أهل الشام في مسجد منى قال بلغني أن الله لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة — أو قال — كان لهم فيها منفعة ولم تزل الارض والشجر بذلك حتى تكلم فجرة بني آدم بتلك الحكمة العظيمة قولهم اتخذ الرحمن ولداً فلما تسكلموا بها اقشعرت الارض وشاك الشجر . وقال كعب الاحبار غضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا ما قالوا . وقال الامام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الاعشى عن سعيد بن جبيرة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « لا احد اصبر على أذى سمعه من الله أن يشرك به ويجعل له ولد وهو يعافيه ويدفع عنهم ويرزقهم » أخرجاه في الصحيحين وفي لفظ « انهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيه »

وقوله (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً) أي لا يصاح له ولا يليق به جلالة وعظمته لانه لا كف له من خلقه لان جميع الخلائق عبيد له ولهذا قال (ان كل من في السموات والارض إلا آت الرحمن عبداً » لقد أحصاهم وعدم عدأ) أي قد علم عددهم منذ خلقهم الى يوم القيامة ذكرهم وأنشأهم

تنكسر كسرا وقيل تنشق الارض أي تنخسف بهم والانفطار في السماء أن تسقط عليهم وتخر الجبال هدأ أي تنطبق عليهم « أن دعوا » أي من أجل أن جعلوا « للرحمن ولداً » قال ابن عباس وكعب فرزت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولد ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال « وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به « إن كل من في السموات والارض إلا آت الرحمن » أي الآتية يوم القيامة « عبداً » ذليلاً خاضعاً يعني الخلق كلهم عبيده « لقد أحصاهم وعدم عدا » أي عد أنفاسهم وأيامهم وأثارهم فلا يخفى عليه شيء . « وكلهم آتية يوم القيامة فرداً » وحيداً ليس

وصغيرهم وكبيرهم) وكلهم آتية يوم القيامة فرداً (أي لا ناصر له ولا مجير إلا الله وحده لا شريك له فيحكم في خلقه بما يشاء وهو العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحداً

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً (٩٦) فالتما يسرته بالسانك

لتبشر به المتقين وتذكّر به قوماً لداً (٩٧) وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم

من أحد أو تسمع لهم ركزا (٩٨)

يخبر تعالى انه يفرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الاعمال التي ترضي الله عز وجل لمتابعتها الشريعة المحمدية — يفرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة وهذا امر لا بد منه ولا محيد عنه وقد وردت بذلك الاحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ من غير وجه قال الامام احمد حدثنا عفان حدثنا ابو عوانة حدثنا سهيل عن ابيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل اني أحب فلانا فأحبه قل فيحبه جبريل قال ثم ينادي في أهل السماء ان الله يحب فلانا فأحبه قل فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وان الله إذا أبغض عبداً دعا جبريل فقال يا جبريل اني أبغض فلانا فأبغضه قل فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء ان الله يبغض فلانا فأبغضوه قل فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغض في الارض » ورواه مسلم عن حديث سهيل ورواه احمد والبخاري عن حديث ابن جريج عن موسى بن عتبة عن نافع مولى ابن عمر عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن بكر حدثنا ميمون أبو محمد المراتي حدثنا محمد بن عباد الخزومي عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن العبد ليلمس مرضاة الله عز وجل فلا يزال كذلك فيقول الله عز وجل لجبريل ان فلانا عبدي يلمس أن يرضيني ألا وان رحمتي عليه فيقول جبريل : رحمة الله على فلان ويقولها حملة العرش ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السموات السبع ثم يهبط إلى الارض » غريب ولم يخرجوه من هذا الوجه

وقال الامام احمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن محمد بن سعد الواسطي عن أبي ظبية عن أبي امامة قال قال رسول الله ﷺ « ان المقة من الله - قال شريك هي المحبة - والنصبت من السماء

معه من الدنيا شي. ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً أي محبة قال مجاهد يحبهم الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين . أنا ابو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا ابو الحسن احمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « اذا أحب الله

فإذا أحب الله عبداً قال لجبريل عليه السلام أني أحب فلانا فينادي جبريل أن ربكم يمق - يعني يحب - فلانا فأجوبه - أرى شريكاً قد قال فتنزل له المحبة في الارض - وإذا أبغض عبداً قال لجبريل أني أبغض فلانا فأبغضه قال فينادي جبريل أن ربكم يبغض فلانا فأبغضوه - أرى شريكاً قال - فيجري له البغض في الارض غريب ولم يخرجوه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو داود الحفري حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - وهو الدراوردي عن سبيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال « إذا أحب الله عبداً نادى جبريل أني قد أحببت فلانا فأجبه فينادي في السماء ثم ينزل له المحبة في أهل الارض فذلك قول الله عز وجل (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) » ورواه مسلم والترمذي كلاهما عن عبد الله عن قتبية عن الدراوردي به وقال الترمذي حسن صحيح ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سيجعل لهم الرحمن ودا) قال حباً وقال مجاهد عنه سيجعل لهم الرحمن ودا قال محبة في الناس في الدنيا وقال سعيد بن جبير عنه يحبهم ويحبهم يعني إلى خلقه المؤمنين كما قال مجاهد أيضاً والضحاك وغيرهم . وقال العوفي عن ابن عباس أيضاً : الود من المسلمين في الدنيا والرزق الحسن والاسان الصادق ، وقال قتادة (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي والله في قلوب أهل الايمان ، وذكر لنا أن هرم بن حيان كان يقول ما أقبل عبد بقلبه الى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين اليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم

وقال قتادة وكان عمان بن عفان رضي الله عنه يقول ما من عبد يعمل خيراً أو شراً إلا كساه الله عز وجل رداء عمله ، وقال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن الربيع بن صبيح عن الحسن البصري رحمه الله قال قال رجل والله لا أعبدن الله عبادة أذكر بها فكان لا يرى في حين صلاة إلا قائماً يصلي وكان أول داخل إلى المسجد وآخر خارج فكان لا يعظم فكث بذلك سبعة أشهر وكان لا يمر على قوم إلا قالوا انظروا الى هذا المرأني فأقبل على نفسه فقال لا أراني أذكر إلا بشر لأجعلن عملي كله لله عز وجل فلم يزد علي أن قلب نيتي ولم يزد على العمل الذي كان يعمل ففكان يمر بعد بالقوم فيقولون رحم الله فلانا الآن وتلا الحسن (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات) سيجعل لهم الرحمن ودا وقد روى ابن جرير أنرا أن هذه الآية نزلت في هجرة عبد الرحمن ابن عوف وهو خطأ فان هذه السورة بكاملها مكية لم ينزل منها شيء بعد الهجرة ولم يصح سند ذلك والله أعلم

العبد قال لجبرائيل قد أحببت فلانا فأجبه فيجبه جبرائيل ثم ينادي في أهل السماء ان الله عز وجل قد أحب فلانا فأجوبه فيجبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض ، وإذا أبغض العبد قال مالك لا أحسبه إلا قال في البغض مثل ذلك . قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه الى الله عز وجل إلا أقبل الله بقلوب أهل الايمان اليه حتى يرزقه مودتهم ﴿ فاعلموا يا بني أن الله سبحانه بلسانك يا محمد لتبشر

وقوله (فانما يسرناه) يعني القرآن بلسانك أي يا محمد وهو اللسان العربي المبين الفصيح الكامل لتبشر به المتقين أي المستجيبين لله المصدقين لرسوله وتنذر به قوماً لدا أي عوجاً عن الحق مائلين إلى الباطل ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قوماً لدا لا يستقيمون ، وقال الثوري عن اسماعيل وهو السدي عن أبي صالح وتنذر به قوماً لداً عوجاً عن الحق ، وقال الضحاك الألد الخصم وقال القرظي الألد الكذاب ، وقال الحسن البصري قوماً لداً صماً وقال غيره صم آذان القلوب ، وقال قتادة قوماً لداً يعني قريشاً ، وقال العوفي عن ابن عباس قوماً لداً فجراً وكذا روى ليث بن أبي سليم عن مجاهد ، وقال ابن زيد الألد الظلوم وقرأ قوله تعالى (وهو ألد الخصام)

وقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن) أي من أمة كفروا بآيات الله وكذبوا رسله (هل تحسن منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي هل ترى منهم أحداً أو تسمع لهم ركزا قال ابن عباس وأبو العالية وعكرمة والحسن البصري وسعيد بن جبير والضحاك وابن زيد يعني صوتاً ، وقال الحسن وقاتلة هل ترى عينا أو تسمع صوتاً ، والركز في أصل اللغة هو الصوت الخفي ، قال الشاعر

فتوحشت ركز الانيس فراعها عن ظهر غيب والانيس سقامها

﴿ آخر تفسير سورة مريم والله الحمد والمنة ﴾

﴿ ويتلوه ان شاء الله تفسير سورة طه والله الحمد ﴾

به المتقين ﴿ يعني المؤمنين ﴾ وتنذر به قوماً لداً ﴿ شداداً في الخصومة جمع الألد ، وقال الحسن صماً عن الحق قال مجاهد الألد الظالم الذي لا يستقيم قال أبو عبيدة الألد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل ﴾ (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل نحس) هل ترى وقبل هل تجد ﴿ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ أي صوتاً والركز الصوت الخفي قال الحسن أي بادوا جميعاً فلم يبق منهم عين ولا أثر



تفسير سورة طه وهي مكية

روى امام الائمة محمد بن اسحاق بن خزيمة في كتاب التوحيد عن زياد بن ايوب عن ابراهيم بن المنذر الحزامي حدثنا ابراهيم بن مهاجر بن مسمار عن عمر بن حفص بن ذكوان عن مولى الحرمة — يعني عبد الرحمن بن يعقوب عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « ان الله قرأ طه وبس قبل ان يخلق آدم بألف عام فلما سمعت الملائكة قالوا طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى لاسن تنكلم بهذا » هذا حديث غريب وفيه نكارة ، وابراهيم بن مهاجر وشيخه تكلم فيها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

طه (١) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (٢) إلا تذكرة لمن يخشى (٣) تنزيلا ممن

خلق الأرض والسموات العلى (٤) الرحمن على العرش استوى (٥) له ما في السموات وما في

الأرض وما بينهما وما تحت الثرى (٦) وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى (٧) الله

لا اله الا هو ، له الاسماء الحسنى (٨)

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسين بن محمد بن شعبة الواسطي حدثنا ابو احمد — يعني الزهري انبأنا اسرائيل عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال طه يارجل وهكذا روي عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والحسن وقنادة والضحاك والسدي

﴿ سورة طه مكية ﴾

وهي مائة وخمس وثلاثون أو اربعون أو ثنتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أويس حدثني أبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول ، واعطيت طه والطواسين من الواح مومى ، واعطيت فوائج القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من كنز تحت العرش ، واعطيت المفصل نافلة (طه) قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الهاء وبكسرهما حمزة والكسائي وأبو بكر والباقون

وابن أبزي أنهم قالوا ياطه بمعنى يارجل ، وفي رواية عن ابن عباس وسعيد بن جبير والثوري أنها كلمة بالنبطية معناها يارجل ، وقال أبو صالح هي معربة وأسند القاضي عياض في كتابه الشفاء من طريق عبد بن حميد في تفسيره حدثنا هاشم بن القاسم عن جعفر عن الربيع بن أنس قال كان النبي ﷺ إذا صلى قام على رجل ورفع الأخرى فانزل الله تعالى (طه) يعني طأ الأرض يا محمد (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) ثم قال ولا يخفى ما في هذا من الإكرام وحسن المعاملة وقوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال جويبر عن الضحاك لما أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه فقال المشركون من قريش ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى فانزل الله تعالى (طه) ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى) فليس الأمر كما زعمه المبطلون بل من آتاه الله العلم فقد أراد به خيراً كثيراً كما ثبت في الصحيحين عن معاوية قال : قال رسول الله ﷺ « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين » وما أحسن الحديث الذي رواه الحافظ أبو القاسم الطبراني في ذلك حيث قال حدثنا أحمد بن زهير حدثنا العلاء بن سالم حدثنا إبراهيم الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سفيان عن سماك بن حرب عن ثعلبة بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ « يقول الله تعالى للعلماء يوم القيامة إذا قعد على كرسيه لقضاء عبادي لم أجعل علمي وحكمي فيكم إلا وأنا أريد أن اغفر لكم على ما كان منكم ولا أباي » اسناده جيد وثعلبة بن الحكم هذا هو اللبي ذكره أبو عمرو في استيعابه ، وقال نزل البصرة ثم تحول إلى السكوفة ، وروى عنه سماك بن حرب ، وقال مجاهد في قوله (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) هي كقوله فاقروا ما تيسر منه وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة وقال قتادة (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) لا والله ما جعله شقاء ولكن جعله رحمة ونورا ودليلا إلى الجنة (إلا تذكرة لمن يخشى) إن الله أنزل كتابه وبعث رسوله رحمة رحم بها عباده ليتذكر ذاكروا وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذكر أنزل الله فيه حلاله وحرامه وقوله (تنزيلا لمن خلق الأرض والسموات العلى) أي هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه القادر على ما يشاء الذي خلق الأرض بانخفاضها وكنافتها وخلق السموات العلى في ارتفاعها ولطافتها ، وقد جاء في الحديث

بفتحهما قبل هو قسم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقال مجاهد والحسن وعطاء والضحاك معناه يارجل وقال قتادة يارجل بالسريانية وقال الكلبي هو يا إنسان بلفظ عكل وقال مقاتل معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجيد ، وقال محمد بن كعب القرظي هو قسم أقسم الله عز وجل بطوله وهدايته قال سعيد بن جبير الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء افتتاح اسمه هاد قال الكلبي لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الآية وأمره أن يخفف على نفسه فقال (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقيل لما رأى المشركون اجتهداه في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا اشتاكت فتزلت

الذي صححه الترمذي وغيره أن سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام وبعد ما بينها والتي تليها مسيرة خمسمائة عام ، وقد أورد ابن أبي حاتم ههنا حديث الاوعال من رواية العباس عم رسول الله ﷺ ورضي الله عنه ، وقوله (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام على ذلك في سورة الاعراف بما أغنى عن إعادته أيضا وأن المسالك الاسلم في ذلك طريقة السلف إمرار ما جاء في ذلك من الكتاب والسنة من غير تكيف ولا تحريف ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ، وقوله (له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى) أي الجميع ملكه وفي قبضته وتحت تصرفه ومشيتته وإرادته وحكمه ، وهو خالق ذلك ومالكه وإلهه لا إله سواه ولا رب غيره وقوله (وما تحت الثرى) قال محمد بن كعب أي ماتحت الارض السابعة ، وقال الاوزاعي إن يحيى بن أبي كثير حدثه أن كعبا سئل فقيل له ماتحت هذه الارض ؟ فقال الماء قيل وما تحت الماء ؟ قال الارض قيل وما تحت الارض قال الماء قيل وما تحت الماء ؟ قال الارض قيل وما تحت الارض ؟ قال الماء قيل وما تحت الماء ؟ قال الارض قيل وما تحت الارض ؟ قال الصخرة قيل وما تحت الصخرة ؟ قال ملك قيل وما تحت الملك ؟ قال حوت معلق طرفاه بالعرش قيل وما تحت الحوت ؟ قال الهواء والظلمة وانقطع العلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عبيد الله بن أخي بن وهب حدثنا عمي حدثنا عبد الله بن عباس حدثنا عبد الله بن سليمان عن دراج عن عيسى بن هلال الصديقي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « إن الارضين بين كل أرض والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت قد التقى طرفاه في السماء والحوت على صخرة والصخرة بيد الملك والثانية سجن الريح والثالثة فيها حجارة جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم والخامسة فيها حبات جهنم والسادسة فيها عقارب جهنم والسابعة فيها سقر وفيها إبليس مصفد بالحديد يد أمامه ويد خلفه فإذا أراد الله أن يطلقه لما يشاء أطلقه » وهذا حديث غريب جدا ورفع فيه نظر ، وقال الحافظ أبو يعلى في مسنده حدثنا أبو موسى الهروي عن العباس بن الفضل قال قلت لابن الفضل الانصاري ؟ قال نعم عن القاسم بن عبد الرحمن عن محمد بن

(ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتتعنى وتتعب وأصل الشقاء في اللغة العناء (إلا تذكرة لمن يخشى) أي لكن انزلناه عظة لمن يخشى وقيل تقديره (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) ما انزلناه (إلا تذكرة لمن يخشى) (تنزيلا) بدل من قوله تذكرة (ممن خلق الارض) أي من الله الذي خلق الارض (والسموات العلى) يعني العالية الرفيعة وهي جعم العليا كقولهم كبرى وكبر وصغرى وصغر (الرحمن على العرش استوى) له ما في السموات وما في الارض وما بينهما (يعني الهواء) (وما تحت الثرى) والثرى هو التراب الندي قال الضحاك يعني ما وارى الثرى من شيء وقال ابن عباس : ان الارضين على ظهر النون والنون على متن بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش

علي عن جابر بن عبد الله قال كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك فأقبلنا راجعين في جرح شديد ففحن متفرقون بين واحد واثنين منتشرين قال وكنت في أول العسكر إذ عارضنا رجل فسلم ثم قال أيكم محمد ومضى أصمعياني ووقف معي فإذا رسول الله ﷺ قد أقبل في وسط العسكر على جمل أحمق مقنع بثوبه على رأسه من الشمس فقلت أيها السائل هذا رسول الله ﷺ قد أتاك فقال أيهم هو فقلت صاحب البكر الأحمر فدنا منه فاخذ بخطام راحلته فكف عليه رسول الله ﷺ فقال أنت محمد؟ قال «نعم» قال أفني أريد أن أسألك عن خصال لا يعلمن أحد من أهل الأرض إلا رجل أو رجلان فقال رسول الله ﷺ «سل عما شئت» قال يا محمد أينام النبي؟ فقال رسول الله ﷺ «ينام عيناه ولا ينام قلبه» قال صدقت ثم قال يا محمد من ابن يشبه الولد أباه وأمه فقال رسول الله ﷺ «ماء الرجل أبيض غليظ وماء المرأة أصفر رقيق فأبي الماءين غلب على الآخر نزع الولد» قال صدقت فقال ما للرجل من الولد وما للمرأة منه فقال «لرجل العظام والعروق والعصب والمرأة اللحم والدم والشعر» قال صدقت ثم قال يا محمد ما تحت هذه يعني الأرض فقال رسول الله ﷺ «خلق» فقال فما تحتهم؟ قال «أرض» قال فما تحت الأرض؟ قال «الماء» قال فما تحت الماء؟ قال «ظلمة» قال فما تحت الظلمة؟ قال «الهواء» قال فما تحت الهواء؟ قال «النرى» قال فما تحت النرى؟ ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء وقال «انقطع علم الخلق عند علم الخالق أيها السائل ما المسؤول عنها باعلم من السائل» قال فقال صدقت أشهد أنك رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ «أيها الناس هل تدرون من هذا؟» قالوا الله ورسوله أعلم قال «هذا جبريل عليه السلام» هذا حديث غريب جداً وسيأتي عجيب تفرد به القاسم بن عبد الرحمن هذا وقد قال فيه يحيى بن معين ليس بساوي شيئاً وضعفه أبو حاتم الرازي، وقال ابن عدي لا يعرف قلت وقد خلط في هذا الحديث ودخل عليه شيء في حديثي وحديث في حديث وقد يحتمل أنه تعمّد ذلك أو ادخل عليه فيه والله أعلم

وقوله (وان نجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) أي أنزل هذا القرآن الذي خلق الأرض والسموات العلى الذي يعلم السر وأخفى كما قال تعالى (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان

والبحر على صخرة خضراء خضرة السماء منها وهي الصخرة التي ذكر الله في قصة لقمان (فتكن في صخرة) والصخرة على قرن ثور والثور على النرى وما تحت النرى لا يعلمه إلا الله وذلك الثور فأنح فاه فإذا جعل الله عز وجل البحار بحراً واحداً سالت في جوف ذلك الثور فإذا وقعت في جوفه ليست ﴿وان نجهر بالقول﴾ أي تعلن به ﴿فإنه يعلم السر وأخفى﴾ قال الحسن السر ما أسرّه الرجل إلى غيره وأخفى من ذلك ما أسرّه من نفسه وعن ابن عباس وسعيد بن جبير: السر ما أسر في نفسك وأخفى من السر ما بليق الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك تعلم ما أسر به اليوم وما تعلم ما أسر به غداً والله يعلم ما أسررت اليوم وما أسر به غداً قال ابن أبي طلحة

غنورا رجيا) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (يعلم السر وأخفى) قال السر ما أسر به ابن آدم في نفسه وأخفى ما أخفى علي ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه فإله يعلم ذلك كله فعلمه فيما مضى من ذلك وما بقي علم واحد وجميع الخلائق في ذلك عنده كنفس واحدة وهو قوله (ما خلقكم ولا بشكم إلا كنفس واحدة) وقال الضحاك (يعلم السر وأخفى) قال السر ما تحدث به نفسك وأخفى ما لم تحدث به نفسك بعد وقال سعيد بن جبير أنت تعلم ما أسر اليوم ولا تعلم ما أسر غدا والله يعلم ما أسر اليوم وما أسر غدا ، وقال مجاهد (وأخفى) يعني الوسوسة وقال أيضاً هو وسعيد بن جبير [وأخفى] أي ما هو عامله مما لم يحدث به نفسه ، وقوله [الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى] أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الاسماء الحسنى والصفات العلى ، وقد تقدم بيان الاحاديث الواردة في الاسماء الحسنى في أواخر سورة الاعراف والله الحمد والمنة

وهل أتاك حديث موسى (٩) إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا

لعل آتيكم منها بقبس أو أجدر على النار هدى (١٠)

من ههنا شرع تبارك وتعالى في ذكر قصة موسى وكيف كان ابتداء الوحي اليه وتكليمه إياه وذلك بعد ما قضى موسى الاجل الذي كان بينه وبين صهره في رعاية الغنم وسار بأهله قيل قاصداً بلاد مصر بعد ما طالت الغيبة عنها أكثر من عشرين سنة ومعه زوجته فأضل الطريق وكانت ليلة شانية ونزل منزلاً بين شعاب وجبال في برد وشتاء وسحاب وظلام وضباب وجعل يقدح بزند معه ليوري نارا كما جرت له العادة به فجعل لا يقدح شيئاً ولا يخرج منه شرر ولا شيء فبينما هو كذلك إذ آنس من جانب الطور نارا أي ظهرت له نار من جانب الجبل الذي هناك عن يمينه فقال لأهله يبدشرم

عن ابن عباس السر ما أسر ابن آدم في نفسه وأخفى ما أخفى عليه مما هو فاعله قبل أن يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذي تسرون من الناس وأخفى الوسوسة وقيل السر هو العزيمة وأخفى ما يخطر على القلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن اسلم (يعلم السر وأخفى) أي يعلم أسرار العباد وأخفى سره من عباده فلا يعلمه أحد ثم وحد نفسه فقال ﴿ الله لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى وهل أتاك حديث موسى ﴾ أي وقد أتاك استقهام بمعنى التقرير ﴿ إذ رأى نارا ﴾ وذلك أن موسى استأذن شعباً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته واخته فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام وامراته في سقمها لا تدرى أليلاً تضم أم نهارة فسار في البرية غير عارف بطريقها فالتجأ المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق فقدح زنده قلم يور ، وقيل ان موسى كان رجلاً غيوراً وكان يصحب الزفة بالليل ويفارقهم بالنهار لئلا يرى امرأته فاختأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شانية لما أراد الله عز وجل من كرامته فجعل يقدح

[إني آنست ناراً لهلي آتيكم منها بقبس] أي شهاب من نار وفي الآية الاخرى أو جذوة من النار وهي الجمر الذي معه لمب لعلكم تصطلون دل على وجود البرد وقوله [بقبس] دل على وجود الظلام وقوله [أو أجد على النار هدى] أي من بهديني الطريق دل على أنه قد تاه عن الطريق كما قال الثوري عن أبي سعيد الاور عن عكرمة عن ابن عباس في قوله [أو أجد على النار هدى] قال من بهديني إلى الطريق وكانوا شاكين وضلوا الطريق فلما رأى النار قال ان لم أجد أحداً بهديني إلى الطريق أتيتكم بنار توقدون بها

فلما أتمها نودي بموسى (١١) إني أنا ربك فاخلع نعليك ، إنك بالوادي المقدس طوي (١٢) وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى (١٣) انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري (١٤) ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (١٥) فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (١٦)

يقول تعالى (فلما آناها) أي النار واقترب منها (نودي بموسى وفي الآية الاخرى (نودي من شاطيء الوادي الايمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى اني أنا الله (وقال ههنا (اني أنا ربك) أي الذي يكلمك وبخاطبك فاخلع نعليك قال علي بن أبي طالب وأبوذر وأبو أيوب وغير واحد من السلف كانتا من جلد حمار غير ذكي ، وقيل إنما أمره بخلع نعليه تعظيماً للبقعة ، وقال سعيد بن جبير كما يؤمر الرجل أن بخلع نعليه إذا أراد أن يدخل الكعبة ، وقيل ليطأ الارض المقدسة بقدميه حافياً غير منتعل وقيل غير ذلك والله أعلم

الزند فلا يوري فابصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لاهله امكثوا) أقيموا قرا همزة بضم الهاء ههنا وفي القصص (إني آنست) أي أبصرت (ناراً لهلي آتيكم منها بقبس) قطعة من نار والقبس قطعة من نار يأخذها في طرف عمود من معظم النار (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما آناها) رأى شجرة خضراء من أسفلها إلى أعلاها أطافت بها نار يضاء تنقد كأضواء ما يكون فلا ضوء النار يفسر خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار . قال ابن مسعود كانت الشجرة سمرة خضراء ، وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت من العوسج ، وقال وهب كانت من العليق وقيل كانت شجرة العناب وروي ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لان موسى حسبه ناراً ، وقال أكثر المفسرين انه نور الرب عز وجل وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما وقال سعيد بن جبير هي النار بعينها وهي احدي حجب الله تعالى يدل عليه ما رويناه عن أبي موسى الاشعري

وقوله (طوى) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو اسم الوادي وكذا قال غير واحد ، فعلى هذا يكون عطف بيان وقيل عبارة عن الامر بالوطء بقدميه ، وقيل لانه قدس مرتين وطوى له البركة وكررت والاول أصبح كقوله إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى . وقوله (وأنا اخترتك) كقوله (إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي أي على جميع الناس من الموجودين في زمانه ، وقد قيل إن الله تعالى قال يا موسى أتدري لم خصصتك بالتكليم من بين الناس ؟ قال لا قال لاني لم يتواضع إلي أحد تواضعك ، وقوله (فاستمع لما يوحى) أي استمع الآن ما أقول لك وأوحيه إليك انني أنا الله لا إله الا أنا هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا اله الا الله وحده لا شريك له

وقوله (فاعبدني) أي وحدني وتم بعبادتي من غير شريك (وأقم الصلاة لذكرى) قيل معناه صل لذكرني وقيل معناه وأقم الصلاة عند ذكرك لي ويشهد لهذا الثاني ما قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي حدثنا الثوري بن سعيد عن قتادة عن أنس عن رسول الله ﷺ قال « إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فان الله تعالى قال وأقم الصلاة لذكرى » وفي الصحيحين عن أنس قال قال رسول الله ﷺ « من نام عن صلاة أو نسيها فكفارتها أن يصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك » وقوله (ان الساعة آتية) أي قائمة لا محالة وكائنة لا بد منها

وقوله (أكاد أخفيها) قال الضحاك عن ابن عباس انه كان يقرؤها أكاد أخفيها من نفسي يقول لانها لا تخفى من نفس الله أبدا ، وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس من نفسه وكذا قال مجاهد وأبو صالح

عن النبي ﷺ أنه قال « حجاب النار لو كشفها الله لاحرق سبعات وجهه ما انتهى اليه بصر من خلقه » وفي القصة ان موسى أخذ شيتا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما نأت منه النار واذا نأى دنت فوقه متحبرا وسمع تسبيح الملائكة وأقيمت عليه السكينة (فنودي يا موسى اني أنا ربك) قرأ ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو آتي بفتح الالف على معنى نودي باني وقرأ الآخرون بكسر الالف أي نودي فقبل اني أنا ربك قال وهب نودي من الشجرة فقبل يا موسى فاجاب سريعا لا يدري من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فابن أنت ؟ قال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعمل ان ذلك لا ينبغي إلا لله فأيقن به

قوله عز وجل (فاخلع نعليك) وكان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله (فاخلع نعليك) قال كانتا من جلد حمار ميت وبروي غير مذبوغ ، وقال عكرمة ومجاهد أمر بخلع النعلين ليأشركه بقدمه تراب الارض المقدسة فقتاله بركتها لانها قدست مرتين فخلعهما موسى وألقاهما من وراء الوادي (إنك بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وطوى اسم الوادي قرأ أهل الكوفة والشام طوى بالتنوين ههنا ، وفي سورة النازعات وقرأ الآخرون بلا تنوين لأنه معدول به عن طاو فلما كان معدولا عن وجهه كان مصروفا عن اعرابه مثل عمر وزفر ، وقال الضحاك طوى واد مستدير

وبحي بن رافع ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أكاد أخفيها يقول لا أطلع عليها أحدا غيري
وقال السدي ليس أحد من أهل السموات والارض الا قد أخفى الله تعالى عنه علم الساعة وهي في
قراءة ابن مسعود اني أكاد أخفيها من نفسي يقول كنتمها من الخلائق حتي لو استطعت ان أكتنها
من نفسي لعلت ، وقال قتادة أكاد أخفيها وهي في بعض القراءات أخفيها من نفسي ولعمري لقد
أخفاها الله من الملائكة المقربين ومن الانبياء والمرسلين ، قلت وهذا كقوله تعالى (قل لا يعلم من في
السموات والارض الغيب الا الله) وقال (ثقلت في السموات والارض لآياتكم الا بغفة) اي ثقل
علمها على أهل السموات والارض ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابو زرعة حدثنا منجاب حدثنا
أبو نميلة حدثني محمد بن سهل الاسدي عن ورقاء قال اقرأنيها سعيد بن جبير أكاد أخفيها يعني بنصب
الالف وخفض الغاء يقول اظهرها ثم قال اما سمعت قول الشاعر

داب شهرين ثم شهر ادميكا بارتكين بخفيان غميرا

قال السدي الغمير نبت رطب ينبت في خلال يلس والارتكين موضع والدميك الشهر التام
وهذا الشعر السكب بن زهير

وقوله سبحانه وتعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) اي اقيمها لا محالة لا جزى كل عامل بعمله فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وانما تجزون ما كنتم تعملون ، وقوله (فلا

صديق مثل الطوي في استدارته) (وأنا اخترتك) اصطفتك برسالاتي قرأ حمزة وأنا مشددة النون
اخترتك على التعظيم (فاستمع لما يوحى) اليك (اني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني) ولا تعبد غيري
(وأقم الصلاة لذكري) قال مجاهد أقم الصلاة لذكري بها ، وقال مقاتل اذا تركت صلاة ثم ذكرتها
فأقمها أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو عمر بكر بن محمد المزني أنا ابو بكر بن محمد بن عبد الله
الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا همام أنا قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ من
نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك ثم قال سمعته يقول بعد ذلك أقم الصلاة
لذكري (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) قيل معناه ان الساعة آتية أخفيها أو كاد صلتها أو كثر المفسرين
قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف أبي بن كعب وفي مصحف عبد الله بن
مسعود أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراءات فكيف أظهرها لكم وذو ذلك
على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كنتم مترك من نفسي أي أخفيته غاية الاخفاء
والله تعالى لا يخفى عليه شيء ، وقال الاخفش أكاد أي أريد ومعنى الآية (ان الساعة آتية) أريد
أخفيها والمعنى في أخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها
كل وقت وقرأ الحسن أخفيها بفتح الالف أي أظهرها يقال خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته اذا سترته
قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير وشر (فلا يصدنك عنها)

يصدقك عنها من لا يؤمن بها) الآية المراد بهذا الخطاب آحاد المكلفين أي لا تتبعوا سبيل من كذب بالساعة وأقبل على ملاذ في دنياه وعصى مولاه واتبع هواه فمن وافقهم على ذلك فقد خاب وخسر (فتردى) أي هلك وتعطب قال الله تعالى (وما يغني عنه ماله إذا تردى)

وما تلك يمينك يـمـوسى (١٧) قال هي عصاي أتوكؤ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى (١٨) قال ألقها يـمـوسى (١٩) فألقها فإذا هي حية تسعى (٢٠) قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى (٢١)

هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام ومعجزة عظيمة وخرق للعادة باهر دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل، وقوله وما تلك يمينك يا موسى قال بعض المفسرين إنما قال له ذلك على سبيل الايمان له وقيل إنما قال له ذلك على وجه التقرير أي أما هذه التي في يمينك عصاك التي تعرفها فسترى مانصم بها الآن (وما تلك يمينك يا موسى) استفهام تقرير (قال هي عصاي أتوكؤ عليها) أي أعتمد عليها في حال المشي (وأهش بها على غنمي) أي أهز بها الشجرة ليتساقط ورقها لترعاه غنمي، قال عبد الرحمن بن القاسم عن الامام مالك: الهش أن يضع الرجل المحجن في الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه وثمره ولا يكسو العود فهذا الهش ولا يخط وكذا قال ميمون بن مهران أيضا، وقوله (ولي فيها مآرب أخرى) أي مصالح ومنافع وحاجات أخرى غير

فلا بصرفك عن الايمان بالساعة ﴿من لا يؤمن بها واتبع هواه﴾ مراده خالف أمر الله ﴿فتردى﴾ أي قهلك

قوله عز وجل ﴿وما تلك يمينك يا موسى﴾ سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرف هذا وهو لا يشك أنه يعرفه ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى معرفته بقلبه ﴿قال هي عصاي﴾ قبل وكانت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن قال مقاتل اسمها نبعة ﴿أتوكؤ عليها﴾ أعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوثبة ﴿وأهش بها على غنمي﴾ أضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها لترعاه الغنم وقرأ عكرمة وأهش بالسين غير المعجمة أي أزجر بها الغنم والهش زجر الغنم ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ حاجات ومنافع أخرى جمع مأربة بفتح الراء وضمها ولم يقل آخر لرؤس الآي وأراد بالمآرب ما يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل فيستقي الماء من البئر، ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها إذا قعد وغير ذلك، وروى عن ابن عباس أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه ونحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج

ذلك ، وقد تكلف بعضهم لذكر شيء من تلك المآرب التي أبهت قليل كانت تضيء له بالليل وتحرس له الغنم إذا نام وبفرسها فتصير شجرة تظله وغير ذلك من الأمور الحارقة للعادة ، والظاهر أنها لم تكن كذلك ولو كانت كذلك لما استنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعباناً فما كان يفر منها هارباً ولكن كل ذلك من الأخبار الإسرائيلية ، وكذا قول بعضهم أنها كانت لا دم عليه الصلاة والسلام وقول الآخرين أنها هي الدابة التي تخرج قبل يوم القيامة ، وروي عن ابن عباس أنه قال كان اسمها ماشاء الله أعلم بالصواب وقوله تعالى (قال ألقها يا موسى) أي هذه العصا التي في يدك يا موسى ألقها (فألقاها فإذا هي حية تسعى) أي صارت في الحال حية عظيمة ثعباناً طويلاً يتحرك حركة سريعة فإذا هي تنهز كأنها جان وهو أمرع الحيات حركة ولكنه صغير فهذه في غاية الكبر وفي غاية سرعة الحركة (تسعى) أي تمشي وتضطرب قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا مالك عن عكرمة عن ابن عباس (فألقاها فإذا هي حية تسعى) ولم تكن قبل ذلك حية فمرت بشجرة فألقاها ومرت بصخرة فابتلعها فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها فولى مدبراً ونودي أن يأمر موسى خذها فلم يأخذها ثم نودي الثانية أن خذها ولا تخف فقبل له في الثالثة أنك من الأمنين فأخذها. وقال وهب بن منبه في قوله فألقاها فإذا هي حية تسعى قال فألقاها على وجه الأرض ثم حانت منه نظرة فإذا بأعظم ثعبان نظر إليه الناظرون يدب يلتمس كأنه يبتغي شيئاً يريد أخذه ير بالصخرة

مأياً كل يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وإذا انتهى مرة ركزها فتغصنت غصنا كالشجرة وأورقت وأثمرت وإذا أراد الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعباتها كاللدو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أنبذها قال وهب ظن موسى أنه يقول ارفضها (فألقاها) على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فإذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسعى) تمشي بسرعة على بطنها ، وقال في موضع آخر كأنها جان وهي الحية الصغيرة الخفيفة الجسم ، وقال في موضع ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات فلما الحية فأنها تجمع الصغير والكبير والذكر والأنثى ، وقيل الجان عبارة عن ابتداء حالها فأنها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتنفخ حتى صارت ثعباناً والثعبان عبارة عن انتهاء حالها ، وقيل أنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن إسحاق نظر موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات صارت شعباتها شديق لها والجمجم عنقاً لها وعرفاً منهز كالنيزك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الخلفة من الأبل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأسنانها صريف عظيم فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً وهرب ثم ذكر ربه فوق استحياء منه ثم نودي أن يأمر موسى أقبل وأرجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) يمينك (ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى) هيئتها الأولى أي نردها عصا

مثل الخانة من الابل فيلقمها ويطعن بالناب من أنيابه في أصل الشجرة العظيمة فيجتثها غيثاه تتقدان ناراً وقد عاد المحجن منها عرفاً قيل شعر مثل النيازك وعاد الشعبان منها مثل القلب الواسع فيه أضرار وأنياب لها صريف فلما عاين ذلك موسى ولى مدبراً ولم يعقب فذهب حتى أمعن ورأى انه قد أعجز الحية ثم ذكر ربه فوق استحياء منه ثم تودى ياموسى أن ارجع حيث كنت فرجع موسى وهو شديد الخوف فقال خذها بيمينك ولا تخف سعيدها سيرتها الاولى وعلى موسى حينئذ مدرعة من صوف قد خلها بخلال من عيدان فلما أمره بأخذها لف طرف المدرعة على يده فقال له ملك أرأيت يلموسى لو أذن الله بما تحاذر أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها على فم الحية حتى سمع حس الأضرار والأنياب ثم قبض فاذا هي عصاه التي عهدها واذا يده في موضعها الذي كان يضعها اذا توكأ بين الشعبين ولهذا قال تعالى (سعيدها سيرتها الاولى) أي الى حالها التي تعرف قبل ذلك

واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى (٢٢) لترك من آياتنا الكبرى (٢٣) اذهب الى فرعون انه طغى (٢٤) قال رب اشرح لي صدري (٢٥) ويسر لي أمري (٢٦) واحلل عقدة من لساني (٢٧) يفقهوا قولي (٢٨) واجعل لي وزيراً من أهلي (٢٩) هرون أخى (٣٠) أشد به أذري (٣١) وأثر كه في أمري (٣٢) كي نسبحك كثيراً (٣٣) ونذكرك كثيراً (٣٤) انك كنت بنا بصيراً (٣٥)

وهذا برهان ثان لموسى عليه السلام وهو أن الله أمره أن يدخل يده في جيبه كما صرح به في الآية الاخرى وههنا عبر عن ذلك بقوله (واضمم يدك الى جناحك) وقال في مكان آخر (واضمم اليك

كما كانت وكان على موسى مدرعة من صوف قد خلها بعيدان من الخلال فلما قال الله تعالى (خذها) لف طرف المدرعة على يده قال فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئاً قال لا ولكني ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذا توكأ . قال المفسرون أراد الله عز وجل أن يرى موسى ما أعطاه من الآية التي لا يقدر عليها مخلوق لئلا يفزع منها اذا ألقاها عند فرعون وقوله سيرتها انصب بحذف الى يريد الى سيرتها

قوله تعالى ﴿واضمم يدك الى جناحك﴾ يعني ابسطك قال مجاهد تحت عضدك وجناح الانسان

جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه) وقال مجاهد واضمم يدك الى جناحك كفك تحت عضدك وذلك ان موسى عليه السلام كان اذا ادخل يده في جيبه ثم أخرجها تخرج تلالاً كأنها فلقة قر وقوله (تخرج بيضاء من غير سوء) أي من غير برص ولا أذى ومن غير شين قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والسدي وغيرهم، وقال الحسن البصري أخرجها والله كأنها مصباح فعلم موسى انه قد لقي ربه عز وجل ولهذا قال تعالى (لنريك من آياتنا الكبرى) وقال وهب قال له ربه ادنه فلم يزل يدينه حتى سند ظهره بجذع الشجرة فاستقر وذهبت عنه الرعدة وجمع يده في العصي وخضع برأسه وعنقه وقوله (اذهب الى فرعون انه طغى) أي اذهب الى فرعون ملك مصر الذي خرجت فاراً منه وهارباً فادعه الى عبادة الله وحده لا شريك له وعره فليحسن الى بني اسرائيل ولا يعذبهم فانه قد طغى وبغى وآثر الحياة الدنيا ونسي الرب الاعلى. قال وهب بن منبه قال الله لموسى انطلق برسالتى فانك بسمعي وعيني وان معك أيدي ونصري واني قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري فانت جند عظيم من جندي بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وأمن مكري وغرته الدنيا غنى حتى جحد حقى وانكر ربوبيتي وزعم انه لا يعرقتى فاني اقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يفضب افضبه السموات والارض والجبال والبحار فان امرت السماء حصنته وان امرت الارض ابتلغته وان امرت الجبال دمرته وان امرت البحار غرقته ولكنه هان عليّ وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت بما عندي وحقى اني انا الغنى لا غنى غيري فبلغه رسالتى وادعه الى عبادتي وتوحيدي واخلاصي وذكره ايامي وحذره نعمتي وبأسى واخبره انه لا يقوم شيء افضبي وقل له فيما بين ذلك قولاً لنا لعله يتذكر او يخشى واخبره اني الى العفو والمغفرة اسرع مني الى الغضب والعقوبة ولا يروعنك ما البسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني وقل له اجب ربك فانه واسم المغفرة وقد امهلك اربعمائة سنة في كلها انت مبارزه بالمحاربة تسبه وتمثل به وتصد عباده عن سبيله

عضده الى اصل أبطه (تخرج بيضاء) نيرة مشرقة (من غير سوء) من غير عيب والسوء هنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لنريك من آياتنا الكبرى) ولم يقل الكبرى لروى الآي، وقيل فيه اضماء معناه لنريك من آياتنا الآية الكبرى دليله قول ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته

قوله تعالى (اذهب الى فرعون انه طغى) يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد فادعه الى عبادتي (قال) موسى (رب اشرح لي صدري) وسعه الحق قال ابن عباس يريد حتى لا أخاف غيرك وذلك أن موسى كان يخاف فرعون خوفاً شديداً شدة شوكنه وكثرة جنوده وكان يضيق صدره بما

وهو يطر عليك السماء وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفقر ولم تغلب ولو شاء الله أن يجعل لك العقوبة لفعل ولكنه ذو اناء وحلم عظيم وجاهد بنفسك وإنيك وإنيك تحسبان بجهاده فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها ففعلت ولكن ليعلم هذا العبد الضعيف الذي قد أعجبه نفسه وجوعه أن الفئة القليلة ولا قليل مني تغلب الفئة الكثيرة بأذني ولا تعجبكما زينته ولا مامتم به ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فانها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن قدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما ففعلت ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما وكذلك أفعل بأوليائي وقديما ما حثرت عادي في ذلك فإني لأزودهم عن نعميها وزخارفها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك الغرة وما ذاك لئلا يلهوهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالما موفراً لم تكلمه الدنيا ، وأعلم أنه لا يعزني لي العباد بزينة هي أبغ في عيني من الزهد في الدنيا فانها زينة المتهين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع وسياهم في وجوههم من أثر السجود أولئك أوليائي حقاً حقاً ، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذال قلبك ولسانك وأعلم أنه من أهان لي ولياً أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها وأنا أسرع شيء إلى نصرته أليسانني ، أظن الذي يحاربني أن يقوم لي ، أم يظن الذي بهادني أن يعجزني ، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني ، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري» رواه ابن أبي حاتم (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعث به فأنه قد أمره بأمر عظيم وخطب جسيم بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك وأجبرهم وأشدهم كفراً وأكثرهم جنوداً وأعمرهم ملكاً وأطفاهم وأبلغهم تمرداً بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله ولا يعلم لرعاياه إلهاً غيره هذا وقد مكث موسى في داره مدة ولیداً عندهم في حجر فرعون على فراشه ثم قتل منهم نفساً فخانهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة بكمالها ثم بعد هذا بعث ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله عز وجل

كف من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله أن يوسع قلبه للحق حتى يعلم أن أحداً لا يقدر على مضرتة إلا بأذن الله وإذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكتة وكثرة جنوده (ويسر لي أمري) يعني سهل علي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك أن موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمه وأخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امرأته إن هذا عدوي وأراد أن يقتله فقالت آسية أنه صبي لا يعقل ولا يميز وفي رواية إن أم موسى لما فطمته ردتها فأنشأ موسى في حجر فرعون وامرأته آسية برياته واتخذاه ولداً فينأه ويلعب يوماً بين يدي فرعون ويديه قضيب يلعب به إذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون ونظير بضربه حتى تم بقتله فقالت آسية أمها الملك أنه صغير لا يعقل فجربه أن شئت فجاءت بطشتين في أحدهما الحجر

أن يعبدوه وحده لا شريك له ولهذا قال (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) أي ان لم تكن أنت عوني ونصيري وعضدي وظهيري وإلا فلا طاقة لي بذلك (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) وذلك لما كان أصابه من النخ حين عرض عليه النمرة والجرة فأخذ الجرة فوضعها على لسانه كما سيأتي بيانه وما سأل أن يزول بالكلية بل بحيث يزول المي ويحصل لهم فهم ما يريد منه وهو قدر الحاجة ولو سأل الجميع لزال ولكن الانبياء لا يسألون إلا بحسب الحاجة ولهذا بقيت بقية قال الله تعالى إخباراً عن فرعون أنه قال (أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين) أي يفصح بالكلام ، وقال الحسن البصري (واحلل عقدة من لساني) قال حل عقدة واحدة ولو سأل أكثر من ذلك أعطي ، وقال ابن عباس شكى موسى الى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه فأتاه سؤاله فحل عقدة من لسانه ، وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عمر بن عثمان حدثنا بقية عن اوطاة بن المنذر حدثني بعض أصحاب محمد بن كعب عنه قال أتاه ذو قرابة له فقال له ما بك بأمر لولا انك تلحن في كلامك ولست تعرب في قراءتك . فقال القرظي يا ابن أخي أأنت أفهمك اذا حدثتك . قال نعم . قال فان موسى عليه السلام إنما سأل ربه أن يحلل عقدة من لسانه كي يفقه بنو إسرائيل كلامه ولم يزد عليها هذا لفظه ، وقوله (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي) وهذا أيضاً سؤال من موسى عليه السلام في أمر خارجي عنه وهو مساعدة أخيه هرون له . قال الثوري عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس انه قال نبي هارون ساعثه حين نبي موسى عليهما السلام وقال ابن أبي حاتم ذكر عن ابن نمير حدثنا ابو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها خرجت فيما كانت تعتمر فزلت ببعض الاعراب فسمعت رجلاً يقول أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا لاندرى . قال أنا والله أدرى ؟ قالت فقلت في نفسي في حلفه لا يستثني انه ليعلم أي كان في الدنيا أنفع لأخيه . قال موسى حين سأل لأخيه النبوة ، فقلت صدق والله . قلت ومن هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام (وكان عند الله وجيهاً) وقوله (اشدد به أزري) قال مجاهد ظهري .

وفي الآخر الجواهر فوضعتهما بين يدي موسى فأراد أن يأخذ الجواهر فأخذ جبريل يدهموسى فوضعها على النار فأخذ جرة فوضعها في فيه فاحترقت لسانه وصارت عليه عقدة ﴿ يفقهوا قولي ﴾ يقول احلل العقدة كي يفقهوا كلامي ﴿ واجعل لي وزيراً ﴾ معينا وظهيراً ﴿ من أهلي ﴾ والوزير من يوازيك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال ﴿ هارون أخي ﴾ وكان هارون اكبر من موسى بأربع سنين وكان أفصح منه لساناً واجمل واوسم أبيض اللون وكان موسى آدم اقني أجعد ﴿ اشدد به أزري ﴾ قوبه ظهري ﴿ وأشرکه في أمري ﴾ يعني في النبوة وتبليغ الرسل وقرأ ابن عامر اشدد بفتح الألف وأشرکه بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعني افعل ذلك وقرأ الآخرون

(وأشركه في أمري) أى في مشاورتي (كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً ، وقوله (إنك كنت بنا بصيراً) أى في اصطفاؤك لنا وإعطائك إيانا النبوة وبعثك لنا إلى عدوك فرعون فلك الحمد على ذلك

قال قد أوتيت سؤالك موسى (٣٦) ولقد مننا عليك مرة أخرى (٣٧) اذ أوحينا إلى أمك مايوحى (٣٨) أن اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له ، وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني (٣٩) اذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله ، فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من النعم وفتنك فتونا (٤٠)

هذه إجابة من الله لرسوله موسى عليه السلام فيما سأل من ربه عز وجل وتذكيره بنعمه السالفة عليه فيما كان من أمر أمه حين كانت ترضعه وتحذر عليه من فرعون وملئه أن يقتلوه لانه كان قد ولد في السنة التي يقتلون فيها الفلمن فاتخذت له تابوتا فكانت ترضعه ثم تضعه فيه وترسله في البحر وهو النيل وتمسكه إلى منزلها بجبل فذهبت مرة لتربط الحبل فانفلت منها وذهب به البحر فحصل لها من النعم والهم ما ذكره الله عنها في قوله (وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها) فذهب به البحر إلى دار فرعون (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً) أى قدراً مقدوراً من الله حيث كانوا هم يقتلون الفلمن من بني اسرائيل حذراً من وجود موسى فختم الله له السلطان العظيم والقدرة التامة أن لا يربى إلا على فراش فرعون وبغذى بطعامه وشرابه مع محبته وزوجه له ولهذا قال تعالى (يأخذه عدو لي وعدو له ، وألقيت عليك محبة مني) أى عند عدوك جفلة يحبك قال سلمة بن كهيل [وألقيت عليك محبة مني] قال جبينك إلى عبادي [ولتصنع على عيني] قال أبو عمران الجوني تربي بين الله وقال قتادة تغذى على عيني وقال معمر بن المثنى [ولتصنع على عيني] بحيث أرى ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعني أجعله في بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة .

وقوله [إذ تمشي أختك فتقول هل أدلكم على من يكفله فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها]

على الدعاء والمسئلة عطفاً على ما تقدم من قوله (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) (كي نسبحك كثيراً) قال الكلبي نصلي لك كثيراً (ونذكرك كثيراً) نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك (إنك كنت بنا بصيراً) خيراً علماً (قال) الله تعالى (قد أوتيت) أعطيت (سؤالك) جميع

وذلك أنه لما استقر عند آل فرعون عرضوا عليه المراضع فأبأها قال الله تعالى [وحرمنا عليه المراضع من قبل] فجاءت أخته وقالت [هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون] يعني هل أدلكم على من يرضعه لكم بالاجرة فذهبت به وهم معها إلى أمه فعرضت عليه ثديها فقبله ففرحوا بذلك فرحاً شديداً واستأجروها على إرضاعه فلما بسبه سعادة ورقعة وراحة في الدنيا وفي الآخرة أعظم وأجزل ، ولهذا جاء في الحديث « مثل الصانع الذي يحتسب في صنعه الخير كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها » وقال تعالى ههنا [فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها ولا تحزن] أي عليك [وقتلت نفساً] يعني القبطي [فنجيناك من الغم] وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله ففر منهم هارباً حتى ورد ماء مدين وقال له ذلك الرجل الصالح [لا تخف نجوت من القوم الظالمين] وقوله [وفتناك فتونا] قال الامام ابو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله في كتاب التفسير من سننه قوله [وفتناك فتونا]

﴿ حديث الفتون ﴾ حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا أصبغ بن زيد حدثنا القاسم بن أبي أيوب أخبرني سعيد بن جبير قال سألت عبد الله بن عباس عن قول الله عز وجل لموسى عليه السلام [وفتناك فتونا] فسأته عن الفتون ما هو فقال استأنف النهار يا ابن جبير فإن لما حديثاً طويلاً فلما أصبحت غدوت إلى ابن عباس لا نتجز منه ما وعدني من حديث الفتون فقال تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكة فقال بعضهم إن بني إسرائيل ينتظرون ذلك لا يشكون فيه وكانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا ليس هكذا كان وعد إبراهيم عليه السلام فقال فرعون كيف ترون فائتمروا واجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشغار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكرأ إلاذبوه ففعلوا ذلك فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم والصغار يذبون قالوا ليوشكن أن تقبوا بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي يكفونكم فاقبلوا عما كل مولود ذكر وأركوا بناتهم ودعوا عما فلا تقتلوا منهم أحداً فيذهب الشغار مكان من يموت من الكبار فانهم لن يكثرُوا بمن تستحيون منهم فتخافوا مكائرتهم إياكم ولم يقنوا بمن تقتلون وتحتاجون إليهم فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهرون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدت له علانية أمنة فلما كان من قابل حملت بموسى عليه السلام فوقع في قلبها الهم والحزن وذلك من الفتون يا ابن جبير ما دخل عليه وهو في بطن أمه مما يراد به فأوحى الله إليها أن لا تخافي ولا تحزني أنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوت ثم تلقيه في اليم فلما ولدت فعلت ذلك فلما نوارى عنها

ماسأته ﴿ يا موسى ﴾ ولقد مننا عليك ﴿ انعمنا عليك ﴾ مرة أخرى ﴿ يعني قبل هذه المرة وهي ﴾ اذ أوحينا إلى أمك ﴿ وحي الهم ﴾ ما يوحى ﴿ ما يلهم ثم فسر ذلك الالهام وعدد نعمه عليه فقال ﴿ أن

ابنها أناها الشيطان فقالت في نفسها ما فعلت بابني لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب الي من أن ألقيه الى دواب البحر وحيثانه فانتهى الماء به حتى أوفى به عند فرضة مستقى جوارى امرأة فرعون فلما رأيته أخذته فاردن أن يفتحن التابوت فقال بعضهم ان في هذا مالا وانا ان فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه فحملته كهيئته لم يخرج من شين حتى دفعه اليها فلما فتحت رأت فيه غلاما فألقى الله عليه منها محبة لم يلق منها على أحد قط وأصبح نؤاد أم موسى فارغا من ذكر كل شيء الا من ذكر موسى فلما سمع الذبايحون بامرهم أقبلوا بشغارهم الى امرأة فرعون ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت لهم اقروه فان هذا الواحد لا يزيد في بني اسرائيل حتى آتي فرعون فاستوهبه منه فان وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم وان أمر بذبحه لم أملك فأتت فرعون فقالت قره عين لي ولك فقال فرعون يكون لك فأما لي فلا حاجة لي فيه فقال رسول الله ﷺ «والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون قره عين له كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها ولكن حرمة ذلك» فأرسلت الى من حولها الى كل امرأة لها لان مختار له ظنرا فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل على ثديها حتى اشفقت امرأة فرعون ان يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فامرت به فأخرج الى السوق وعجم الناس ترجو أن تجد له ظنرا تأخذه منها فلم يقبل واصبحت أم موسى والها فقالت لاخته قصي اثره وأطليه هل تسمعين له ذكر أحيى ابني ام قد اكلته الدواب ونسيت ما كان الله وعدا فيه فبصرت به اخته عن جنب وهم لا يشعرون والجنب ان يسمو بصير الانسان الى شيء بعيد وهو الى جنبه وهو لا يشعر به فقالت من الفرح حين اعيام الظورات انا اذكركم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فأخذوها فقالوا ما يدريك ما نصحهم له هل تعرفينه حتى شكوا في ذلك وذلك من الفتون يا ابن جبير فقالت نصحهم له وشققهم عليه رغبهم في صهر الملك ورجاء منفعة الملك فتركوها فانطلقت الى امها فاخبرتها الخبر فجاءت امه فلما وضعت في حجرها نزل الى ثديها حتى امتلأ جنبها ربا وانطلق البشير الى امرأة فرعون يبشر ونها ان قد وجدنا لابنك ظنرا فأرسلت اليها فأنت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت امكثي ترضعي ابني هذا فاني لم أحب شيئا حبه قط قالت أم موسى لا أستطيع ان ادع بيبي وولدي فيضيع فان طابت نفسك أن تعطينه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا أؤذيه ففعلت فاني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أم موسى ما كان الله وعدا فيه فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله منجز وعده فرجعت به الى بيتها من يومها وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه لما قد قضى فيه فلم يزل بنو اسرائيل وهم في ناحية القرية ممنعين من السخرة والظلم ما كان فيهم فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لام موسى اريد تربني ابني فوعدها يوما تربها اياه فيه وقالت امرأة فرعون لحزانها وظورها وقهارتها لا يبقين احد منكم الا استقبل

أقذ فيه في التابوت يعني ألهمناها أن اجعله في التابوت (فأقذ فيه في اليم) يعني نهر النيل (فألقاه اليم بالساحل) يعني شاطئ النهر لفظه أمر ومعناه خبر ومجازه حتى يلقيه اليم بالساحل (بأخذه عدو

ابني اليوم بهدية وكرامة لأرى ذلك وأنا باعثة أمينا يحصي ما يصنع كل انسان منكم فلم نزل الهدايا والكرامة والنحل تستقبله من حين خرج من بيت امه الى ان دخل على امرأة فرعون فلما دخل عليها بجلته وأكرمته وفرحت به ونحلت أمه لحسن اثرها عليه ثم قالت لآتين به فرعون فلينعلمه وليكرمه فلما دخلت به عليه جعله في حجره فتناول موسى الحية فرعون ففدها الى الارض فقال الغواة من أعداء الله لفرعون ألا ترى ما وعد الله ابراهيم نبيه انه زعم أن يرثك ويعطوك وبصرعك فأرسل إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جبير بعد كل بلا ابتلي به وأريد به فتونا فجاءت امرأة فرعون فقالت ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبت لي فقال ألا تريه يزعم انه بصرعني ويعطوني فقالت اجعل بيني وبينك أمراً يعرف الحق به انت بجمرتين ولؤلؤتين قدمهن اليه فان بطش باللؤلؤتين واجتنب الجرتين عرفت انه يعقل وان تناول الجرتين ولم يرد اللؤلؤتين علمت أن أحداً لا يؤثر الجرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل فغرب اليه الجرتين واللؤلؤتين فتناول الجرتين فانزعهما منه مخافة أن يحرقا يده فقالت المرأة ألا ترى فصرفه الله عنه بعد ما كان قد هم به وكان الله بالحق فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان من الرجال لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة حتى امتنعوا كل الامتناع فينبأ موسى عليه السلام بمشي في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيل فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فغضب موسى غضباً شديداً لانه تناوله وهو يعلم منزله من بني إسرائيل وحفظه لم لا يعلم الناصر إلا انما ذلك من الرضاع الا أم موسى الا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكل موسى الفرعوني فقتله وليس براهما أحد إلا الله عز وجل والإسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال (رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له انه هو الغفور الرحيم) فأصبح في المدينة خائفاً يترقب الاخبار فأتى فرعون فقيل له ان بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم فقال ابغوني قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وان كان صفوة مع قومه لا يستقيم له ان يقيد بغير بينة ولا ثبت فاطلبوا لي علم ذلك آخذ لكم بحكمك فينبأهم بطوفون لا يجدون ثبناً اذا بموسى من القصد قد رأى ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني فصادف موسى قد ندم على ما كان منه وكره الذي رأى فغضب الإسرائيلي وهو يريد أن يبطش بالفرعوني فقال للإسرائيلي لما فعل بالامس واليوم إنك لغوي مبين فنظر الإسرائيلي الى موسى بعد ما قال له ما قال فاذا هو غضبان كغضبه بالامس الذي قتل فيه الفرعوني فخاف أن يكون بعدما قال له انك لغوي مبين أن يكون إياه أراد ولم يكن أراد انما أراد الفرعوني فخاف الإسرائيلي وقال يا موسى أتريد أن تقتلني لي وعدو له يعني فرعون فانخذت تابوتا وجعلت فيه قطناً محلوفاً ووضعته فيه موسى وقبرت رأسه وخصاصه يعني شقوقه ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فينبأ فرعون جالس

(تفسير ابن كثير والبغوي)

(٥٤)

(الجزء الخامس)

كما قتلت نفساً بالامس وإنما قاله مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته فتاركا وانطلق الفرعون في فأخبرهم بما سمع من الاسرائيلي من الخبر حين يقول يا موسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالامس فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى فأخذ رسل فرعون في الطريق الأعظم يشنون على هيتهم يطلبون موسى وهم لا يخافون أن يفوتهم فجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقا حتى سبقهم إلى موسى فأخبره وذلك من الفتون يا ابن جبير، فخرج موسى متوجها نحو مدين لم يلق بلاء قبل ذلك وليس له بالطريق علم الا حسن ظنه بربه عز وجل فانه قال (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان يعني بذلك حابستين غنمها فقال لهما ما خطبكما معزلتين لا تسقيان مع الناس؟ قالتا ليس لنا قوة نراحم القوم وإنما نسقي من فضول حياضهم فسقى لهما فجعل يغترف في الدلو ماء كثيرا حتى كان أول الرعاء فانصرفا بغنمها إلى أبيهما وانصرف موسى عليه السلام فاستظل بشجرة وقال (رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير) واستنكر أبوها سرعة صدورها بغنمها حفلا بطائنا فقال ان لكما اليوم لشأنا فأخبرناه بما صنع موسى فأمر احدهما أن تدعوه فأتت موسى فدعته فلما كلمه قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان وأسنا في مملكته فقالت احدهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين فاحتملته الغيرة على أن قال لهما ما يدريك ما قوته وما أمانته فقالت اما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه وأما الامانة فانه نظر الي حين أقبلت اليه وشخصت له فلما علم اني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك ثم قال لي امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلم يفعل هذا الا وهو أمين فسري عن أبيها وصدقها وظن به الذي قالت فقال له هل لك أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فان أتممت عشرا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك مستجديني إن شاء الله من الصالحين ففعل فكانت على نبي الله موسى ثمان سنين واجبة وكانت سنتان عدة منه ف قضى الله عنه عدته فأتمها عشرا . قال سعيد وهو ابن جبير: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم قال هل تدري أي الأجلين قضى موسى؟ قلت لا وأنا يومئذ لأدري، فلقيت ابن عباس فذكرت له ذلك . فقال أما علمت ان ثمانيا كانت على نبي الله واجبة لم يكن نبي الله لينقص منها شيئا ويعلم ان الله كان قاضيا عن موسى عدته التي كان وعده فانه قضى عشر سنين، فلقيت النصراني فأخبرته ذلك فقال الذي سأله فأخبرك أعلم منك بذلك، قلت أجل وأولي . فلما سار موسى بأهله كان من أمر النار والعصى ويده ما قص الله عليك في القرآن فشكا الي الله تعالى ما يحذر من آل فرعون

على رأس البركة مع امرأته آسية اذ اتابوت بحمي به الماء فأمر الفلمان والجواري باخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فاذا صبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتالك فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك محبة مني) قال ابن عباس أحبه وحببه الى خلقه قال عكرمة ما رآه أحد إلا أحبه قال قتادة ملاحه كانت

في القتل وعقدة لسانه فانه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رداً ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه ، فأتاه الله سؤاله وحل عقدة من لسانه وأوحى الله الى هارون وأمره أن يلقاه ، فاندفع موسى بفصاء حتى لقي هارون عليه السلام ، فانطلقا جميعاً الى فرعون فأقاما على بابه حيناً لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد فقالا (إنا رسول ربك) قال فمن ربكما ؟ فأخبراه بالذي قص الله عليك في القرآن . قال فما تريدان وذكره القتل فاعتذر بما قد سمعت قال أريد أن تؤمن بالله وترسل معنا بني اسرائيل . فأبى عليه وقال انت بآية إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي حية تسعى عظيمة فاغرة فاها مسرعة الى فرعون ، فلما رآها فرعون قاصدة اليه خافها فاقحم عن سريره واستغاث بموسى أن يكفها عنه ففعل ثم أخرج يده من جيبه فراها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص ثم ردها فعادت الى لونها الاول ، فاستشار الملا حوله فيما رأى . فقالوا له (هذان ساحران يريدان أن يخرجاك من أرضك بسحرهما ويندبنا بطريقتكم المثلى) يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش وأبوا على موسى أن يعطوه شيئاً مما طلب وقالوا له اجمع لهما السحرة فانهم بأرضك كثير حتى تغلب بسحرك سحرهما . فأرسل الى المدائن فحضر له كل ساحر متعالم . فلما أتوا فرعون قالوا لهم يعمل هذا الساحر ؟ قالوا يعمل بالحيات . قالوا فلا والله ما أحد في الارض يعمل بالسحر بالحيات والحبال والعصى الذي يعمل فما أجربنا إن نحن غلبنا ؟ قال لهم أنتم أقاربي وخاصتي وأنا صانع اليكم كل شيء أحببتم . فتواعدوا يوم الزينة وأن يحضر الناس ضحى . قال سعيد ابن جبير فحدثني ابن عباس ان يوم الزينة الذي اظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة هو يوم عاشوراء ، فلما اجتمعوا في صعيد واحد قال الناس بعضهم لبعض انطلقوا فلنحضر هذا الأمر (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) يعنون موسى وهارون اسمهم بهما . فقالوا يا موسى إما أنت تلقي وإما أن نكون نحن الملقين * قال بل ألقوا فآلقوا حبالمهم وعصيتهم وقالوا بغزة فرعون إنا لنحن الغالبون فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة فأوحى الله اليه أن ألق عصاك فلما ألقاها صارت ثعباناً عظيمة فاغرة فاها فجعلت العصى تلتبس بالحبال حتى صارت جرزا الى الثعبان تدخل فيه حتى ما أبتقت عصا ولا حبالاً إلا ابتاعته ، فلما عرف السحرة ذلك قالوا لو كان هذا سحراً لم يبلغ من سحرنا كل هذا ولكن هذا أمر من الله عز وجل آمننا بالله وبما جاء به موسى من عند الله وتوب الى الله مما كنا عليه ، فكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياءه وظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين) وامرأة فرعون بارزة متبذلة

في عيني موسى ما رآه أحد إلا عشقه * ولتصنع علي عيني * يعني تعزى برأى ومنظر مني قرأ أبو جعفر ولتصنع بالجزم * اذ نمشي اخذك * واسمها مريم متعرفة خبره * فنقول هل أدلكم على من يكفله * يعني على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك أنه كان لا يقبل ثدى امرأة فلما قالت ذلك لهم اخته قالوا

تدعو الله بالنصر لموسى على فرعون وأشياعه فمن رآها من آل فرعون ظن أنها إنما ابتدئت للشقة على فرعون وأشياعه وإنما كان حزنها ومهما لموسى ، فلما طال مكث موسى بمواعيد فرعون الكاذبة كلما جاء بآية وعده عندها أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا مضت أخلف موعده وقال هل يستعين بك أن يصنع غير هذا ؟ فأرسل الله على قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات كل ذلك يشكو إلى موسى ويطلب إليه أن يكفها عنه ويؤاqqه على أن يرسل معه بني إسرائيل فإذا كف ذلك أخلف موعده ونكث عهده حتى أمر الله موسى بالخروج بقومه فخرج بهم ليلاً فلما أصبح فرعون ورأى أنهم قد مضوا أرسل في المدائن حاشرين فبعه بجنود عظيمة كثيرة وأوحى الله إلى البحر إذا ضربك عبدي موسى بعصاه فانطلق اثنتي عشرة فرقة حتى يجوز موسى ومن معه ثم التقى على من بقي بعد من فرعون وأشياعه ، فدسي موسى أن يضرب البحر بالعصا وانتهى إلى البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسى بعصاه وهو غافل فيصير عاصياً لله . فلما رأى الجمعان وتقاربا قال أصحاب موسى إنا لمدركون أفعل ما أمرك به ربك فإنه لم يكذب ولم تكذب . قال وعدني ربي إذا أتيت البحر انفرق اثنتي عشرة فرقة حتى أجازه ثم ذكر بعد ذلك المعصي ف ضرب البحر بعصاه حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جند موسى فانفرق البحر كما أمره ربه وكما وعد موسى ، فلما أن جاز موسى وأصحابه كلهم البحر ودخل فرعون وأصحابه النقي عليهم البحر كما أمر ، فلما جاوز موسى البحر قال أصحابه إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق ولا نؤمن بهلاكه ، فدغاريه فأخرجه له ييدنه حتى استيقنوا بهلاكه ثم مروا بعد ذلك على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا ياموسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبر ما هم فيه) الآية . قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفكم ومضى فأنزلهم موسى منزلاً وقال أطيعوا هارون فاني قد استخلفته عليكم فاني ذاهب إلى ربي وأجابه ثلاثين يوماً أن يرجع إليهم فيباء فلما أتى ربه وأراد أن يكلمه ثلاثين يوماً وقد صام من ليالين ونهارهن وكره أن يكلم ربه وريح فيه ريح فم الصائم فتناول موسى من نبات الأرض شيئاً فضعه فقال له ربه حين أتاه لم أفطرت وهو أعلم بالذي كان ، قال يارب اني كرهت أن أكلمك إلا وفي طيب الريح . قال أو ما علمت ياموسى ان ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك ارجع فصم عشر آثم اثنتي ففعل موسى عليه السلام ما أمر به ، فلما رأى قومه أنه لم يرجع إليهم في الأجل ساءم ذلك وكان هارون قد خطبهم وقال انكم قد خرجتم من مصر ولقوم فرعون عندكم عواري وودائع ولكم فيهم مثل ذلك فاني أرى انكم تحسبون ما لكم عندهم ولا أحل لكم وديعة استودعتموها ولا عارية ولسنا برادين

نعم نجاة بالام فقبل نذرها فذلك قوله تعالى ﴿ فرجعناك الى امك كي تقر عينها ﴾ بلفظك ﴿ ولا تحزن ﴾ أي ليذهب عنها الحزن ﴿ وقتلت نفسا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما كان قتل قطيبا كافرا قال كعب الاحبار كان اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة ﴿ فنجيناك من الغم ﴾ أي من غم القتل

اليهم شيئا من ذلك ولا تمسكه لا نفسنا فخر حفيراً وأمر كل قوم عندهم من ذلك من متاع أو حلية أن يقدفوه في ذلك الحفير ثم أوقد عليه النار فأحرقته فقال لا يكون لنا ولا لهم وكان السامري من قوم يعبدون البقر جيران لبني اسرائيل ولم يكن من بني اسرائيل فاحتمل مع موسى وبني اسرائيل حين احتملوا ففضى له ان رأى أثراً فقبض منه قبضة فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام يا سامري ألا تلقي ما في يدك وهو قابض عليه لا يراه أحد طول ذلك فقال هذه قبضة من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر ولا ألقىها شيء إلا أن تدعو الله اذا ألقىتها أن يجعلها ما أريد ، فألقاها ودعا له هارون ، فقال أريد أن يكون عرجلاً فاجتمع ما كان في الحفيرة من متاع أو حلية أو نحاس أو حديد فصار عرجلاً أجوف ليس فيه روح وله خوار ، قال ابن عباس لا والله ما كان له صوت قط انما كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه وكان ذلك الصوت من ذلك فتفرق بنو اسرائيل فرقا فقالت فرقة يا سامري ما هذا وأنت أعلم به ؟ قال هذا ربكم ولكن موسى أضل الطريق ، فقالت فرقة لا تكذب بهذا حتى يرجع اليك موسى فان كان ربنا لم نسكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأينا وإن لم يكن ربنا فانا نتبع قول موسى ، وقالت فرقة هذا من عمل الشيطان وليس بربنا ولا تؤمن به ولا نصدق ، وأشرب فرقة في قلوبهم الصدق بما قال السامري في العجل وأعلنوا التكذيب به ، فقال لهم هارون (يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري) قالوا فما بال موسى وعدنا ثلاثين يوماً ثم أخلفنا ، هذه اربعون يوماً قد مضت ، وقال سفهاؤهم أخطأ ربهم فهو يطلبه يتبعه ، فلما كلم الله موسى وقال له ما قال أخبره بما لقي قومك من بعده (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفاً) فقال لهم ما سمعتم في القرآن وأخذ برأس أخيه يجره اليه وألقى الألواح من الغضب ثم انه عذر أخاه بعذره واستغفر له وانصرف الى السامري فقال له ما حملك على ما صنعت ؟ قال (قبضت قبضة من أثر الرسول) وفطنت لها وعميت عليكم (فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة أن تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى إهلك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقته ثم لننسفنه في البهم نسفاً ، ولو كان إلها لم يخلص إلى ذلك منه فاستيقن بنو اسرائيل بالفتنة واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون فقالوا لجماعتهم يا موسى سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها فيكفر عنا ما عملنا فاختر موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يألووا الخير خيار بني اسرائيل ومن لم يشرك في العجل فانطلق بهم يسأل لهم التوبة فرجفت بهم الارض فاستحيى نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال (رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أهلكنا بما فعل السفهاء منا) وفيهم من كان الله اطلع منه على ما أشرب قلبه من حب العجل

وكرهه ﴿ وفنتك فتونا ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنه اختبرناك اختباراً أو قال الضحاك ومقاتل ابتليناك ابتلاء وقال مجاهد اخلصناك اخلاصاً وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير إن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة خلصه الله منها أولها أن امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاه

وإيمانه به فلذلك رجفت بهم الأرض فقال (رحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) فقال يارب سألتك التوبة لقومي فقلت إن رحمتي كتبتها لقوم غير قومي هلا آخرتني حتى تخرجني في أمة ذلك الرجل المرحومة فقال له إن توبتهم أن يقتل كل رجل منهم من بقي من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالي من قتل في ذلك الموطن وتاب أولئك الذين كان خفي على موسى وهارون وأطلع الله من ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما أمروا وغفر الله للقاتل والمقتول ثم سار بهم موسى عليه السلام متوجها نحو الأرض المقدسة وأخذ الألواح بعد ما سكنت عنه الغضب فأمرهم بالذي أمرهم به أن يبلغهم من الوظائف فنقل ذلك عليهم وأبوا أن يقرؤا بها فتنق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ودنا منهم حتى خافوا أن يقع عليهم فأخذوا الكتاب بإيمانهم وهم مصغون ينظرون إلى الجبل والكتاب بأيديهم وهم من وراء الجبل مخافة أن يقع عليهم ثم مضوا حتى أتوا الأرض المقدسة فوجدوا مدينة فيها قوما جبارين خلقهم خلق منكروا وذكروا من ثمارهم أمراً عجيباً من عظمها فقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين لا طاقة لنا بهم ولا ندخلها ماداموا فيها فإن يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون قيل ليزيد هكذا قرأه قال نعم من الجبارين آمنا بموسى وخرجنا إليه قالوا نحن أعلم بقومنا إن كنتم إنما تخافون ما رأيتم من أجسامهم وعددهم فانهم لا قلوب لهم ولا منعة عندهم فادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فانكم غالبون ويقول أناس انهم من قوم موسى فقال الذين يخافون بنو إسرائيل (قالوا يا موسى لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) فاعضبوا موسى فدعا عليهم وسأهم فاسقين ولم يدع عليهم قبل ذلك لما رأى منهم من المعصية واساءتهم حتى كان يومئذ فاستجاب الله له وسأهم كما سأهم موسى فاسقين وحرماً عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض يصبحون كل يوم فيسيرون ليس لهم قرار وظلل عليهم الغمام فيأتيه وأنزل عليهم المن والسلوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجراً أمراً وأمر موسى فصر به بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية ثلاثة أعين وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها فلا يرتحلون من مكان الاوجدوا ذلك الحجر بينهم بالمكان الذي كان فيه بالأمس. رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ وصدق ذلك عندي أن معاوية سمع ابن عباس يحدث هذا الحديث فانكر عليه أن يكون الفرعوني الذي أفشى على موسى امر القتل الذي قتل فقال كيف يغشي عليه ولم يكن علم به ولا ظهر عليه إلا الاسرائيلي الذي حضر ذلك فغضب ابن عباس فأخذ بيد معاوية وانطلق به إلى سعد بن مالك الزهري فقال له يا أبا اسحاق هل تذكر يوم حدثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتل من

في البحر في التابوت ثم منعه الرضاح إلا من ندي أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجرة بدل الدرة ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفاً فكان ابن عباس يقص القصة على سعيد

آل فرعون الاسرائيلي الذي أفضى عليه أم الفرعوني قال انما أفضى عليه الفرعوني بما سمع من الاسرائيلي الذي شهد على ذلك وحضره هكذا رواه النسائي في السنن الكبرى وأخرجه أبو جعفر بن جرير وابن أبي حاتم في تفسيريهما كلهم من حديث يزيد بن هارون به وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع إلا قليل منه وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيع نقله من الاسرائيليات عن كعب الاحبار أو غيره والله أعلم وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضا وقوله عز وجل

فلبث سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يموسى (٤٠) واصطنتك لنفسى (٤١)

اذهب أنت وأخوك بآبى ولا تنيا في ذكرى (٤٢) اذهبا إلى فرعون انه طنى (٤٣) فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى (٤٤)

يقول تعالى مخاطباً لموسى عليه السلام إنه لبث مقبياً في أهل مدين فاراً من فرعون وملئه يروى على صهره حتى انتهت المدة وانقضى الاجل ثم جاء موافقاً لقدر الله وإرادته من غير ميعاد والامر كله لله تبارك وتعالى وهو المسير عباده وخلقه فيما يشاء ولهذا قال (ثم جئت على قدر ياموسى) قال مجاهد أي على موعد، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله (ثم جئت على قدر ياموسى) قال على قدر الرسالة والنبوة.

وقوله (واصطنتك لنفسى) أي اصطفتك واجتبتك رسولا لنفسى أي كما أريد وأشاء، وقال البخاري عند تفسيرها حدثنا الصلت بن محمد حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن سيرين عن أبي

ابن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلصناك من تلك الحزن كما يفتن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه والفتن مصدر (فلبث) فكنت أي فخرجت من ارض مصر إلى مدين فلبث (سنين في أهل مدين) يعني تروى الاغنام عشر سنين ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر هرب اليها موسى. وقال وهب لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر زوجته صفورا بنت شعيب وثمانى عشر سنة أقام عنده حتى ولد له (ثم جئت على قدر ياموسى) قال مقاتل على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعداً في تقدير الله قال محمد بن كعب جئت على القدر الذى قدرت لك انك نجي الي فيه وقال عبد الرحمن بن كيسان على رأس اربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه الى الانبياء وهذا معنى قول اكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعده الله وقدره انه يوحى اليه بالرسالة وهو اربعون سنة

قوله عز وجل (واصطنتك لنفسى) أى اخترتك واصطفتك لوحىي ورسالتى يعنى لتصرف على ارادتي ومحبتى وذلك ان قيامه بأداء الرسالة نصرف على ارادة الله ومحبتة قال الزجاج اخترتك

هريرة عن رسول الله ﷺ قال «التقى آدم وموسى فقال موسى أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة فقال آدم وانت الذي اصطفاك الله برسائه واصطفاك لنفسه وأنزل عليك التوراة قال نعم قال فوجدته مكتوبا علي قبل أن يخلقني قال نعم فخرج آدم موسى «أخرجاه وقوله (اذهب أنت وأخوك بآبائي) أي بجرجي وبرايمني ومعجزاتي (ولا تنيا في ذكرني) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس لا تبطناء، وقال مجاهد عن ابن عباس لا تضعنا والمراد انهما لا يفتران في ذكر الله بل يذكران الله في حال مواجهة فرعون ليكون ذكر الله عوناً لهما عليه وقوة لهما وسلطاناً كاسراً له كما جاء في الحديث «ان عبدي كل عبدي الذي يذكرني وهو مناجز قرنه»

وقوله (اذهبا إلى فرعون انه طغى) أي تمرد وعتا وتجبر على الله وعصاه (فقولاً له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى) هذه الآية فيها عبرة عظيمة وهو ان فرعون في غاية العتو والاستكبار وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك ومع هذا أمر أن لا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين كما قال يزيد الرقاشي عند قوله [فقولاً له قولاً لنا]

يامن يتجيب إلى من يعاديه فكيف بمن يتولاه ويناديه

وقال وهب بن منبه قولاً له أني إلى العفو والمغفرة أقرب مني إلى الغضب والعقوبة وعن عكرمة في قوله [فقولاً له قولاً لنا] قال لا إله إلا الله، وقال عمرو بن عبيد عن الحسن البصري [فقولاً له قولاً لنا] اعذرا إليه قولاً له ان لك رباً ولك معاداً وان بين يديك جنة وناراً وقال بقية عن علي بن هارون عن رجل عن الضحاك بن مزاحم عن الزال بن سبرة عن علي في قوله [فقولاً له قولاً لنا] قال كنه وكذا روى عن سفيان الثوري كنه بابي مرة والحاصل من أقوالهم ان دعوتهم له تكون

لامري وجعلتك القائم بجرجي والمخاطب بيني وبين خلقي كآني الذي أقت بك عليهم الحجة وخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآبائي) بدلاً لآني وقال ابن عباس يعني الآيات التسم التي بعث بها موسى (ولا تنيا) ولا تضعنا وقال السدي لا نفترأ وقال محمد بن كعب لا تقصرا (في ذكرني) * اذهبا إلى فرعون انه طغى قرأ أبو عمرو وأهل الحجاز (لنفسني اذهب) و(ذكرني اذهبا) وان قومي اتخذوا (من بعدي اسمه) بفتح الياء فيمن ووافقهم أبو بكر (من بعدي اسمه) وقرأ الباقر باسكانها (فقولاً له قولاً لنا) يقول دارياء وارقا معه قال ابن عباس رضي الله عنه لا نعنف في قولنا وقال السدي وعكرمة كنياه فقولاً يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقال مقاتل يعني بالقول اللين (هل لك إلى أن تزكي وأهديك إلى ربك فتخشي) وقيل أمرها باللاطفة في القول لما له من حق التربية وقال السدي القول اللين أن موسى أتاه ووعدته على قبول الإيمان شاباً لا يهرم معه، ولملك لا ينزع منه إلا بالموت ويبقى له لذة الطعام والمشرب والمنكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمراً دون هامان وكان غائباً فلما قدم أخبره بالذي دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له

بكلام رقيق لين سهل رفيع ليكون اوقع في النفوس وابلغ وانجع كما قال تعالى [ادع الى سبيل ربك بالحنكة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن] وقوله [لعله يتذكر او يخشى] اي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة او يخشى اي يوجد طاعة من خشية ربه كما قال تعالى لمن (اراد ان يذكر او يخشى) فالتذكر الرجوع عن المحذور والخشية تحصيل الطاعة ، وقال الحسن البصري [لعله يتذكر او يخشى] يقول : لا تغفل انت يا موسى واخوك هارون اهلكه قبل ان اعذر اليه وههنا تذكر شعر زيد بن عمرو بن نفيل وبروي لامية بن ابي الصلت فيما ذكره ابن اسحاق

وانت الذي من فضل من ورحة	بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له فاذهب وهارون فادعوا	الى الله فرعون الذي كان باغيا
فقلوا له هل انت سويت هذه	بلا وتد حتى استقلت كما هي
وقولا له اأنت رفعت هذه	بلا عمد ارفق اذن تك بانيا
وقولا له اأنت سويت وسطها	منبراً إذا ما جنة الليل هاديا
وقولا له من يخرج الشمس بكرة	فيصبح مامست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب في الثرى	فيصبح منه البقل بهتز رايا
ويخرج منه حبه في رءوسه	ففي ذلك آيات لمن كان واعيا

قالا ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى (٤٥) قال لا تخافا اني معكما أسمع وأرى (٤٦) فأتياه فقلوا إنا رسول ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئتكم

هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا انت رب تريد أن تكون مربوبا وانت تعبد تريد أن تعبد فقلبه على رأيه وكان هارون يومئذ بمصر فأمر الله موسى أن يأتي هارون واوحى الى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحى اليه ﴿ لعله يتذكر او يخشى ﴾ أي يتعظ ويخاف ويسلم فان قيل كيف قال لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم ؟ قيل معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء امركما ، وقال الحسين بن الفضل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر ويخشى خاش اذا رأى بري والطافي بن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية ، وقال أبو بكر محمد بن عمر الوراق لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين ألجمه الفرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية (قلوا له قولوا لينا) فيكي يحيى وقال إلهي هذا برك بمن يقول أنا لا اله فكيف برك بمن يقول أنا نعبد انت الاله ﴿ قالاً ﴾ يعني موسى وهارون ﴿ ربنا إنا نخاف أن ﴾ (تفسير ابن كثير والبقوي) (٥٥) (الجزء الخامس)

بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى (٤٧) إنا قد أوحى اليك أن العذاب على من

كذب وتولى (٤٨)

يقول تعالى اخباراً عن موسى وهرون عليهما السلام انها قالوا مستجيرين بالله تعالى شاكين اليه (إنا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى) يعنيان أن يبدد اليهما بمقوبة أو يعتدى عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن يفرط يعجل وقال مجاهد يسطر علينا وقال الضحاك عن ابن عباس أو أن يعتدي (قال لا تخافا أنتي معكما أسمع وأرى) أي لا تخافا منه فأنني معكما أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه لا يخفى علي من أمركم شيء واعلمنا ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يطمش إلا بأذني وبعد أمري وأنا معكما بمحفظي ونصري وتأيدي وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عمرو ابن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما بعث الله عز وجل موسى الى فرعون فقال رب أي شيء أقول قال قل هيا شراهما قال الأعمش فسر ذلك أنا الحي قبل كل شيء والحي بعد كل شيء اسناده جيد وشيء غريب (فأثنياه قولا إنا رسولا ربك) قد تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس أنه قال مكثا على بابه حيناً لا يؤذن لهما ثم أذن لهما بعد حجاب شديد وذكر محمد بن اسحاق بن يسار أن موسى وأخاه هرون خرجا فوق باب فرعون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فأذنوا بنا هذا الرجل فكثما فيما بلغني سنتين يغدوان وبروحان لا يعلم بهما ولا يجتري أحد على أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطل له يلاعبه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلا يقول قولا عجيباً يزعم أن له إلها غيرك أرسله اليك قال بياي؟ قال نعم قال أدخلوه فدخل ومعه أخوه هرون وفي يده عصاه فلما وقف على فرعون قال افي رسول رب العالمين؟ فعرفه فرعون وذكر السدي أنه لما قدم بلاد مصر ضاف أمه وأخاه وهما لا يعرفانه وكان طعامها ليلتذ الطفيل وهو الفت ثم عرفاه وسلموا عليه فقال له موسى يا هرون ان ربي قد أمرني ان آتي هذا الرجل فرعون فأدعوه الى الله وأمرك أن تعاوطني قال افعل ما أمرك ربك فذهبا وكان ذلك ليلا فضرب موسى باب القصر بعصاه فسمع فرعون فغضب وقال من يجتري على هذا الصنيع الشديد فأخبره السدنة والبوابون بان ههنا رجلا مجنوناً يقول

يفرط علينا قال ابن عباس رضي الله عنهما يعجل علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط عليه فلان اذا عجل بمكره وفرط منه امر أي بدر وسبق (أو أن يطغى) أي يجاوز الحد في الاساءة البنا قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فامنه لست بفاضل عنكما فلا تنهما (فأثنياه قولا إنا رسولا ربك) أرسلنا اليك (فارسل معنا بني اسرائيل) أي خل عنهم واطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) لاتعذبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال

انه رسول الله فقال علي به فلما وقف بين يديه قالا وقال لهما ما ذكر الله في كتابه وقوله (قد جئتكم بآية من ربك) أي بدلالة ومعجزة من ربك (والسلام على من اتبع الهدى) أي والسلام عليك ان اتبعت الهدى ولهذا لما كتب رسول الله ﷺ الى هرقل عظيم الروم كتابا كان أوله « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين » وكذلك لما كتب مسيلة الى رسول الله ﷺ كتابا صورته من مسيلة رسول الله الى محمد رسول الله سلام عليك أما بعد فاني قد شركتك في الامر فلك المدر ولي الوبر ولكن قریش قوم يعتدون . فكتب اليه رسول الله ﷺ « من محمد رسول الله الى مسيلة الكذاب سلام على من اتبع الهدى أما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » ولهذا قال موسى وهرون عليها السلام لفرعون (والسلام على من اتبع الهدى إنا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى) أي قد أخبرنا الله فيما أوحاه الينا من الوحي المعصوم ان العذاب متمحض لمن كذب بآيات الله وتولى عن طاعته كما قال تعالى (فاما من طغى وأثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى) وقال تعالى (فانذرناكم نارا تلقى لايصلها الا الاشقي الذي كذب وتولى) وقال تعالى (فلا صدق ولا صلي ولكن كذب وتولى) أي كذب بقلبه وتولى بفعله

قال فمن ربكما يموسى (٤٩) قال ربنا الذي أعطى كل شيء مخلقه ثم هدى (٥٠) قال فما بال

القرون الاولى (٥١) قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى (٥٢)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون انه قال لموسى منكراً وجود الصانع الخالق إله كل شيء . وربهم ومليكهم قال (فمن ربكما يا موسى) أي من بعثك وأرسلك من هو فاني لا أعرفه وما علمت لكم من إله غيري (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول (خلق لكل شيء زوجة) وقال الضحاك عن ابن عباس جعل الانسان انساناً والحصاة حصاة وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد أعطى كل شيء صورته وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد سوى خلق كل دابة وقال سعيد بن جبير في قوله (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال أعطى كل ذي خلق

الشاقة (قد جئتكم بآية من ربك) قال فرعون وما هي فاخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه التحية انما معناه يسلم من عذاب الله من اسلم (إنا قد أوحى الينا ان العذاب على من كذب وتولى) أي انما يعذب الله من كذب بما جئتكم به واعرض عنه (قال فمن ربكما يا موسى) من إلهكما الذي ارسلكما (قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى) قال الحسن وقتادة أعطى كل شيء صلاحه وهداه لما يصلحه ، وقال مجاهد اعطى كل شيء صورته لم يجعل خلق الانسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الانسان ثم هداه الى منافعه من

ما يصلحه من خلقه ولم يجعل للانسان من خلق الدابة ولا للدابة من خلق الكلب ولا للكلب من خلق الشاة وأعطى كل شيء ما ينبغي له من النكاح وهياكل شيء على ذلك ليس شيء منها يشبه شيئاً من أفعاله في الخلق والرزق والنكاح، وقال بعض المفسرين أعطى كل شيء خلقه ثم هدى كقوله تعالى (الذي قدر فهدى) أي قدر قدراً وهدى الخلائق إليه أي كتب الاعمال والآجال والارزاق ثم الخلائق ماشون على ذلك لا يحيدون عنه ولا يقدر أحد على الخروج منه يقول ربنا الذي خلق الخلق وقدر القدر وجعل الخليفة على ما أراد (قال قبال القرون الاولى) أصح الأقوال في معنى ذلك أن فرعون لما أخبره موسى بأن ربه الذي أرسله هو الذي خلق ورزق وقدر فهدى شرع يحتج بالقرون الاولى أي الذين لم يعبدوا الله أي فبالحكم اذ كان الامر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره فقال له موسى في جواب ذلك هم وإن لم يعبدوه فإن علمهم عند الله مضبوط عليهم وسيجزئهم بعملهم في كتاب الله وهو اللوح المحفوظ وكتاب الاعمال (لا يضل ربي ولا ينسى) أي لا يشذ عنه شيء ولا يفوته صغير ولا كبير ولا ينسى شيئاً يصف عليه تعالى (بأنه بكل شيء محيط) وأنه لا ينسى شيئاً تبارك وتعالى وتقدس وتنزهه فان علم الخلق بعترية نقصان أحدهما عدم الاحاطة بالشيء والآ خر نسيانه بعد علمه فتره نفسه عن ذلك

الذي جعل لكم الارض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى (٥٣) كلوا وارعوا أنعمكم إن في ذلك لآية لأولي النهى (٥٤) منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى (٥٥) ولقد آريناه آيتنا كلها فكذب وأبى (٥٦) هذا من تمام كلام موسى فيما وصف به ربه عز وجل حين سأله فرعون عنه فقال (الذي أعطى كل

المطعم والمشرّب والمنكح وقال الضحك أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبعض والرجل للمشى والاسنان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع وقال سعيد بن جبير أعطى كل شيء خلقه يعني زوج الانسان المرأة والبهيير الناقة والحصان الأتان والفرس الرمكة (ثم هدى) أي الهمه كيف يأتي الذكر الانثى (قال) فرعون (فما بال القرون الاولى) ومعنى البال الحال أي ما حال القرون الماضية والامم الخالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدعونني اليه فانها كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث (قال) موسى (علمها عند ربي) أي اعمالهم محفوظة عند الله يجازي بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك الى الله لأنه لم يعلم ذلك فان التوراة انزلت اليه بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني في اللوح المحفوظ (لا يضل ربي) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء ولا يغيب عن شيء (ولا ينسى) ما كان من امرهم حتى يجازيهم باعمالهم وقيل (لا ينسى) أي لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازي المؤمنين (الذي جعل لكم الارض مهدياً) قرأ أهل الكوفة مهدياً ههنا وفي الزخرف فيكون مصدراً أي فرشاً

شيء خلقه ثم هدى) ثم اعترض الكلام بين ذلك ثم قال (الذي جعل لكم الارض مهادا) وفي قراءة بعضهم مهدا أي قرارا نستقرون عليها وتقومون وتنامون عليها وتسافرون على ظهرها (وسلك لكم فيها سبلا) أي جعل لكم طرقا تمشون في مناكبها كما قال تعالى (وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون) (وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى) أي من أنواع النباتات من زروع وغار ومن حامض وحلو ومر وسائر الانواع (كلوا وارعوا انعامكم) أي شيء لطعامكم وفاكهتكم وشيء لانعامكم لا قوتها خضرا وبيضا (ان في ذلك لآيات) أي للدلالات وحجج وبراهين (لا ولي النهي) أي لذوي العقول السليمة المستقيمة على انه لا إله إلا الله ولا رب سواه (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) أي من الارض مبدؤكم فان أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الارض وفيها نعيدكم أي واليها نصيرون اذا تم وبليتم ومنها نخرجكم تارة أخرى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وهذه الآية كقوله تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها نخرجون) وفي الحديث الذي في السنن أن رسول الله ﷺ حضر جنازة فلما دفن الميت أخذ قبضة من التراب فلقاها في القبر وقال منها خلقناكم ثم أخذ أخرى وقال وفيها نعيدكم ثم أخرى وقال ومنها نخرجكم تارة أخرى وقوله (ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى) يعني فرعون أنه قامت عليه الحجج والآيات والدلالات وعابن ذلك وأبصره فكذب بها وأباها كفرا وعنادا وبغيا كما قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) الآية

وقرأ الآخرون مهادا كقوله تعالى (ألم نجعل الارض مهادا) أي فراشا وهو اسم ما يفرش كاللبساط اسم لما يبسط (وسلك لكم فيها سبلا) السلك ادخال الشيء في الشيء والمعنى ادخل في الارض لاجلكم طرقا تسلكونها قال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا تسلكونها (وأنزل من السماء ماء) يعني المطر ثم الاخبار عن موسى ثم اخبر الله عن نفسه بقوله (فأخرجنا به) بذلك الماء (أزواجا) أصنافا (من نبات شتى) مختلف الالوان والطعوم والمنافع من ابيض واحمر واخضر واصفر فكل صنف منها زوج فمنها للناس ومنها للدواب (كلوا وارعوا) أي وارعوا (انعامكم) تقول العرب رعيت الغنم فرعيت أي أسيموا انعامكم رعى (ان في ذلك) الذي ذكرت (لايات لا ولي النهي) لذوي العقول واحدها نهي سميت نهي لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصي قال الضحاك لا ولي النهي الذين ينتهون عما حرم الله عليهم قال قتادة لذوي الورع (منها) أي من الارض (خلقناكم) يعني أباكم آدم وقال عطاء الخراساني ان الملك ينطق فيأخذ من تراب المكان الذي يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة فذلك قوله تعالى (منها خلقناكم) (وفيها نعيدكم) أي عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) يوم البعث قوله تعالى (ولقد أريناه آياتنا كلها) يعني الآيات التسم التي اعطاها الله

قال اجثتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى؟ (٥٧) فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا تخلفه نحن ولا انت مكانا سوى (٥٨) قال موعدكم يوم الزينة وأن يحش الناس ضحى (٥٩)

يقول تعالى مخبراً عن فرعون انه قال لموسى حين أراه الآية الكبرى وهي القاء عصاه فصارت ثعبانا عظيما ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء فقال هذا سحر جئت به لتسحرنا وتستولى به على الناس فيتبعونك وتكاثروا بهم ولا يتم هذا معك فان عندنا سحرا مثل سحرك فلا يفرنك ما أنت فيه فاجعل بيننا وبينك موعدا أي يوما نجتمع نحن وأنت فيه فنعارض ما جئت به بما عندنا من السحر في مكان معين ووقت معين فعند ذلك قال لهم موسى موعدكم يوم الزينة وهو يوم عيدهم ويفرورزم وتفرغهم من أعمالهم واجتماع جميعهم ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ومعجزات الانبياء وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ولهذا قال (وان يحش الناس) أي جميعهم ضحى أي ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح وهكذا شأن الانبياء كل أمرهم بين واضح ليس فيه خفاء ولا ترويج ولهذا لم يقل ليلا ولكن نهارا ضحى قال ابن عباس وكان يوم الزينة يوم عاشوراء وقال السدي وقادة وابن زيد كان يوم عيدهم وقال سعيد بن جبير كان يوم سوقهم ولا منافاة قلت وفي مثله أهلك الله فرعون وجنوده كما ثبت في الصحيح وقال وهب بن منبه قال فرعون يا موسى اجعل بيننا وبينك أجلا ننظر فيه قال موسى لم أؤمر بهذا إنما أمرت بمناجرتك إن أنت لم تخرج دخلت اليك فأوحى الله إلي موسى ان اجعل بينك وبينه أجلا وقل له أن يجعل هو قال فرعون اجعله الى أربعين يوما ففعل وقال مجاهد وقادة مكانا سوى منصفنا وقال السدي عدلا

موسى (فكذب) بها وزعم انها سحر (وأبى) أن يسلم (قال) يعني فرعون (اجثتنا لتخرجنا من ارضنا) يعني أرض مصر (بسحرك يا موسى) أي تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعدا) أي فاضرب بيننا وبينك أجلا وميعاتا (لا تخلفه) قرأ أبو جعفر لا تخلفه جزما لا يجاوز (نحن ولا انت مكانا سوى) قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة ويعقوب سوى بضم السين وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عدى وعدى وطوى وطوى قال مقاتل وقادة مكانا عدلا بيننا وبينك وعن ابن عباس نسفا ومعناه تستوي مسافة الفريقين اليه قال أبو عبيدة والقتبي وسطا بين الفريقين قال مجاهد منصفنا وقال الكلبي يعني سوى هذا المكان (قال موعدكم يوم الزينة) قال مجاهد وقادة ومقاتل والسدي كانت يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقبل هو يوم النيروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبير يوم عاشوراء

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مكانا سوى مستوي بين الناس وما فيه لا يكون صوت ولا شيء يتغيب
بعض ذلك مستوي حين يرى

فتولى فرعون جميع كيدته ثم أتى (٦٠) قال لهم موسى ويلكم لا تقفروا على الله كذبا
فيُسْحِتكم بعذاب وقد خاب من افترى (٦١) فتنازعوا امرهم بينهم واسروا النجوى (٦٢)
قالوا ان هذان لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى
(٦٣) فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى (٦٤)

يقول تعالى مخبرا عن فرعون انه لما تواعد هو وموسى عليه السلام الى وقت ومكان معلومين
تولى أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته كل من ينسب الى السحر في ذلك الزمان وقد كان
السحر فيهم كثيرا نافعا جدا كما قال تعالى (وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم) ثم أتى أي اجتمع
الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة وجلس فرعون على سرير مملكته واصطف له أكبر دولته
ورفعت الرعايا بمنه وبسرة واقبل موسى عليه الصلاة والسلام متوكئا على عصاه ومعه اخوه هرون
ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفا وهو بحرضهم ويحشهم ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك

(وأن يحشر الناس ضحى) أي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون ابعس من الريبة (فتولى فرعون
جميع كيدته) مكره وحيلته وسحرته (ثم أتى) أي الميعاد (قال لهم موسى) يعني للسحرة الذين
جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل واحد حبل وعصا وقيل كانوا أربعائة وقال كعب
كانوا اثني عشر الفا وقيل اكثر من ذلك (ويلكم لا تقفروا على الله كذبا فيُسْحِتكم بعذاب) قرأ
همزة والكسائي وحفص فيسْحِتكم بضم الياء وكسر الحاء وقرأ الباقر بفتح الياء والحاء وهما افتتان
قال مقاتل والكلبي فيهلككم وقال قتادة فيستأصلكم (وقد خاب من افترى) فتنازعوا أمرهم
بينهم (أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر موسى سرا من فرعون قال الكلبي قالوا سرا
ان غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن اسحاق لما قال لهم موسى لا تقفروا على الله كذبا قال بعضهم
لبعض ما هذا بقول ساحر (واسروا النجوى) أي المناجاة يكون مصدرا واسما ثم (قالوا) وأسروا
بعضهم الى بعض يتناجون (ان هذان لساحران) يعني موسى وهارون قرأ ابن كثير وحفص ان
بتخفيف النون (هذان) أي ماهذان إلا ساحران كقوله (إن نظنك لمن الكاذبين) وشدد ابن كثير
النون من هذان وقرأ أبو عمرو إن بتشديد النون هذين بالياء على الاصل وقرأ الآخرون ان بتشديد
النون هذان بالالف واختلفوا فيه فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنه خطأ من
الكتاب وقال قوم هو لغة بلحارث بن كعب وخضع وكنانة فاتهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع

اليوم ويتمنون عليه وهو بعدهم ويعنيهم يقولون (أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالين قال نعم وانكم اذا لمن المقربين) (قال لهم موسى ويلكم لا تقفروا على الله كذبا) اي لا تخيلوا للناس باعمالكم ايجادا شيئا لاحقاق لها وانما مخلوقة وليست مخلوقة فتكونون قد كذبتم على الله (فيسحقكم بعذاب) أي يهلككم بمقوبة هلاك لا بقية له (وقد خاب من افترى* فتنازعوا أمرهم بينهم) قبل معناه انهم تشاجروا فيما بينهم فقائل يقول ليس هذا بكلام ساحر انما هذا كلام نبي، وقائل يقول بل هو ساحر وقيل غير ذلك والله أعلم وقوله (وأسرروا التجوى) أي تناجوا فيما بينهم (قالوا ان هذان لساحران) وهذه لغة لبعض العرب جاءت هذه القراءة على اعرابها، ومنهم من قرأ (ان هذين لساحران) وهذه اللغة المشهورة وقد توسع النحاة في الجواب عن القراءة الاولى بما ليس هذا موضعه. والقرص أن السحرة قالوا فيما بينهم: تعلمون ان هذا الرجل وأخاه — يعنون موسى وهرون — ساحران عالمان خبيران بصناعة السحر يريدان في هذا اليوم ان يغلباكم وقومكم ويستوليا على الناس وتتبعهما العامة ويقاتلا فرعون وجنوده فينصرا عليه ويخرجاكم من ارضكم

وقوله (ويذهب بطريقكم المثل) اي ويستبدل بهذه الطريقة وهي السحر فانهم كانوا معظمين بسببها لهم اموال وأرزاق عليها يقولون اذا غلب هذان اهلكاكم واخرجاكم من الارض وتفردا بذلك وتمحضت لها الرياسة بها دونكم، وقد تقدم في حديث الفتون ان ابن عباس قال في قوله

والنصب والخفض بالالف يقولون أنا في الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان فلا يتركون ألف التثنية في شيء منها وكذلك يجعلون كل يا ساكنة انفتح ما قبلها ألفا كما في التثنية يقولون كسرت يداه، وركت علاه يعني يديه وعليه وقال شاعرهم

تزد مني بين اذناه ضربة دعتني الى هابي التراب عقيم
يريد بين اذنيه وقال آخر

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتها

وقيل تقدير الآية انه هذان فحذف الهاء وذهب جماعة الى أن حرف ان ههنا بمعنى نعم أي نعم هذان روى أن اعرابيا سأل ابن الزبير شينا فخرمه فقال لعن الله ناقة حملتني اليك فقال ابن الزبير إن وصاحبها أي نعم وقال الشاعر

بكرت علي عواذلي يلمني وألو منه

ويقلن شيب قد علاك وقد كبرت فقلت انه

أي نعم (يريدان أن يخرجاكم من ارضكم) مصر (بسحرهما ويذهب بطريقكم المثل) قال ابن عباس يعني بسيرة قومكم واشرافكم يقال هؤلاء طريقة قومهم أي اشرافهم والمثل تأنيث الامثل وهو الافضل حدث الشعبي عن علي قال بصرفان وجوه الناس اليهما قال قتادة طريقهم المثل كان بنو اسرائيل

(ويذهب بطريقتكم المثلى) يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم ابن حماد حدثنا هشيم عن عبد الرحمن بن اسحاق سمع الشعبي يحدث عن علي في قوله (ويذهب بطريقتكم المثلى) قال يصرفان وجوه الناس اليهما ، وقال مجاهد (ويذهب بطريقتكم المثلى) قال اولو الشرف والعقل والاسنان . وقال ابو صالح بطريقتكم المثلى اشر افكم ومروا بكم ، وقال عكرمة بنخبركم ، وقال قتادة وطريقتهم المثلى يومئذ بنو اسرائيل وكانوا اكثر القوم عددا واموالا فقال عدو الله يريدان ان يذهبا بها لانفسها وقال عبد الرحمن بن زيد بطريقتكم المثلى بالذي انتم عليه

وقوله (فاجمعوا كيدكم ثم اتوا صفا) اي اجتمعوا كلكم صفا واحدا والقوا ما في ايديكم مرة واحدة لتبهروا الابصار وتغلبوا هذا واخاه (وقد افلح اليوم من استعلى) اي منا ومنه ، اما نحن فقد وعدنا هذا الملك العطاء الجزيل واما هو فينال الرياسة العظيمة

قالوا ياموسى إما ان تلقى وإما ان نكون اول منلقى (٦٥) قال بل القوا فاذا حبالهم

وعصيتهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى (٦٦) فأوجس في نفسه خيفة موسى (٦٧) قلنا

لا تخف انك انت الاعلى (٦٨) والحق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، انما صنعوا كيد ساحر ولا

يفلح السحر حيث اتى (٦٩) فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هرون وموسى (٧٠)

يقول تعالى مخبراً عن السحرة حين توافقوا هم وموسى عليه السلام أنهم قالوا لموسى (اما ان تلقى) أي أنت أولاً (واما ان نكون أول من ألقى) قال بل ألقوا) أي أنتم أولاً لترى ماذا تصنعون من السحر وليظهر للناس جليلة أمرهم (فاذا حبالهم وعصيتهم يخيل اليه من سحرهم انها تسمى) وفي

يومئذ أكثر القوم عدداً واموالا فقال عدو الله يريدان ان يذهبا بهم لانفسهم وقيل (بطريقتكم المثلى) أي بسنتكم ودينكم الذي أنتم عليه والمثلى نعت الطريق تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعني على الصراط المستقيم (فاجمعوا كيدكم) قرأ ابو عمرو فاجمعوا بوصل الالف وفتح الميم من الجمع أي لا تدعوا شيئاً من كيدكم الا جئتم به بدليل قوله فجمع كيده وقرأ الآخرون بقطع الالف وكسر الميم فقد قيل معناه الجمع أيضا تقول العرب أجمعت الشيء فجمعه بمعنى واحد ، والصحيح ان معناه العزم والاحكام أي اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له لا تختلفوا فيختل أمركم (ثم اتوا صفا) أي جميعا قاله مقاتل والسكبي ، وقال قوم أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد لهيبكم وقال ابو عبيدة الصف المجتمع ويسمى المصلى صفا . معناه ثم اتوا المكان الموعد صفا (وقد افلح اليوم من استعلى) أي فاز من غلب (قالوا) يعني السحرة (ياموسى اما ان تلقى) عصاك (واما ان نكون أول من ألقى) عصيتنا (قال) موسى (بل ألقوا) أنتم أولاً (فاذا حبالهم) وفيه اضمحار أي فألقوا فاذا حبالهم (تفسير ابن كثير والبغوي) (٥٦) (الجزء الخامس)

الآية الاخرى انهم لما ألقوا (قالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) وقال تعالى (وسحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) وقال ههنا (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وذلك انهم أودعوها من الزئبق ما كانت تتحرك بسببه وتضطرب وتعيد بحيث يخيل للناس أنها تسعى باختيارها وإنما كانت حيلة وكانوا جما غفيرا وجما كثيرا فألقى كل منهم عصا وحبالا حتى صار الوادي ملآن حيات يركب بعضها بعضا

وقوله (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أي خاف على الناس أن يفتنوا بسحرهم ويغفروا بهم قبل أن يلقي ما في يمينه ، فأوحى الله تعالى اليه في الساعة الراهنة أن ألق ما في يمينك يعني عصاك فاذا هي تلف ماصنعوا وذلك أنها صارت تنينا عظيما هائلا ذا قوائم وعنق ورأس وأضراس فجعلت تتبع تلك الحبال والعصي حتى لم تبق منها شيئا إلا تلففته وابتلعته والسحرة والناس ينظرون إلى ذلك عيانا جهره نهارا ضحوة ، فقامت المعجزة وانضح البرهان ووقع الحق وبطل السحر ولهذا قال تعالى (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن موسى الشيباني حدثنا حماد بن خالد حدثنا ابن معاذ - أحسبه الصائغ - عن الحسن عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله ﷺ « إذا أخذتم - يعني الساحر - فاقتلوه - ثم قرأ (ولا يفلح الساحر حيث أتى) قال لا يؤمن حيث وجد » وقد روى أصله الترمذي موقوفا ومرفوعا . فلما عاين السحرة ذلك وشاهدوه ولهم خبرة بفنون السحر وطرقه ووجوهه علموا علم اليقين أن هذا الذي فعله موسى ليس من قبيل السحر والحيل وأنه حق لا مربة فيه ولا يقدر على هذا إلا الذي يقول لشيء كن فيكون فعند ذلك وقعوا ساجدا لله وقالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ولهذا قال ابن عباس وعبيد بن عمير : كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء بررة ، قال محمد بن كعب كانوا ثمانين الفا ، وقال القاسم بن أبي بزة كانوا سبعين الفا وقال السدي بضعة وثلاثين الفا ، وقال الثوري عن عبد العزيز بن رفيع عن أبي ثمامة كان سحرة

﴿وعصيهم﴾ جمع العصا ﴿يخيل اليه﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالثاء ، ردا إلى الحبال والعصي وقرأ الآخرون بالياء ردوه إلى السكيد والسحر ﴿من سحرهم﴾ أنها تسعى ﴿حتى ظن أنها تسعى﴾ أي نمشي وذلك أنهم كانوا لطلخوا حبالهم وعصيهم بالزئبق فلما أصابه حر الشمس انهمست واهتزت فظن موسى أنها تقصده ، وفي القصة أنهم لما ألقوا الحبال والعصي أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأن الأرض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا أنها تسعى ﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ أي وجد وقيل أضمر في نفسه خوفا واختلجوا في خوفه فقبل خوف طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده وقال مقاتل خاف على القوم أن يلتبس عليهم الامر فيشكوا في أمره فلا يتبعونه ﴿فلما﴾ لموسى ﴿لأنخف أنك أنت الاعلى﴾ أي الغالب يعني لك الغلبة والظفر ﴿وألقى ما في

فرعون تسعة عشر الفا ، وقال محمد بن اسحاق كانوا خمسة عشر الفا ، وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن موسى حدثنا علي بن الحسين ابن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس كانت السحرة سبعين رجلاً أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح بمكة حدثنا ابن المبارك قال قال الاوزاعي لما خر السحرة سجدا رفعت لهم الجنة حتى نظروا اليها ، قال وذكر عن سعيد بن سلام حدثنا ابي عبد الله بن سليمان عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير قوله (وألقي السحرة سجداً) قال رأوا منازلهم تبين لهم وهم في سجودهم وكذا قال عكرمة والقاسم بن أبي بزة

قال آمنتم له قبل أن آذن لكم ، انه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولا تصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينما أشد عذاباً وأبقى (٧١) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرننا ، فاقض ما أنت قاض ، انما نقضي هذه الحيسوة

الدنيا (٧٢) إنا آمنا ربنا ليغفر لنا خطيئتنا وما أكرهتنا عليه من السحر ، والله خير وأبقى (٧٣) يقول تعالى نخبرنا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة ورأى الذين قد استخسروا بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغلب كل الغالب مصرع في المكابرة والبهت وعدل إلى استعمال جأهه وسلطانه في السحرة فتهدد بهم وتوعدهم وقال (آمنتم له) أي صدقتموه (قبل أن آذن لكم) أي وما أمرتكم بذلك وافتنتم علي في ذلك ، وقال قولاً يعلم هو والسحرة والخلق كلهم انه بهت وكذب (انه لكبيركم الذي علمكم السحر)

بمينك (يعني العصا) تلقف (تلقف) وتبتلع (ما صنعوا) قرأ ابن عامر تلقف برفع الفاء ههنا وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الامر (إنما صنعوا) أي الذي صنعوا (كيد ساحر) أي حيلة سحر هكذا قرأ حمزة والكسائي بكسر السين بلا ألف وقرأ الآخرون ساحر لان اضافة الكيد إلى الفاعل أولى من اضافته إلى الفعل وان كان ذلك لا يمتنع في العربية (ولا يفلح الساحر حيث أتى) من الارض قال ابن عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال (فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم) لرئيسكم ومعلمكم (الذي علمكم السحر فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا تصلبنكم في جذوع النخل) يعني على جذوع النخل (ولتعلمن أينما أشد عذاباً) يعني أنا على إيمانكم به أو رب موسى على ترك الايمان به (وأبقى) يعني أدام (قالوا) يعني السحرة (لن نؤثرك) لن نختارك (على ما جاءنا من البينات) يعني الدلالات قال مقاتل يعني البد البيضاء والعصا ، وقيل كان استدلالهم انهم قالوا لو كان هذا سحراً فأين جبالنا وعصبتنا ، وقيل

أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى واتقتم أنتم وإياه علي وعلى رغبتي لتظهروه كإقال تعالى في الآية الأخرى (إن هذا لكم مكرهم في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون) ثم أخذ يهددهم فقال (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولا صلبنكم في جذوع النخل) أي لا جعلنكم مثله ولا قتلنكم ولا شهرنكم، قال ابن عباس فكان أول من فعل ذلك، رواه ابن أبي حاتم وقوله (ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبغى) أي أنتم تقولون أني وقومي على ضلالة وأنتم مع موسى وقومه على الهدى فسوف تعلمون من يكون له العذاب ويبقى فيه، فلما صال عليهم بذلك وتوعدهم هانت عليهم أنفسهم في الله عز وجل وقالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات أي لن نختاركم على ما حصل لنا من الهدى واليقين (والذي فطرنا) يحتمل أن يكون قسماً ويحتمل أن يكون معطوفاً على البينات، يعنون لا نختاركم على فطرنا وخالقنا الذي أنشأنا من العدم المبتدي خلقنا من الطين فهو المستحق للعبادة والخضوع لأنك (فأقض ما أنت قاض) أي فافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) أي إنما لك تسلط في هذه الدار وهي دار الزوال ونحن قد رغبتنا في دار القرار إنا آمنا بربنا ليفقر لنا خطايانا أي ما كان منا من الآثام خصوصاً ما أكرهتنا عليه من السحر لتعارض به آية الله تعالى ومعجزة نبيه

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا نعيم بن حماد حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي سعيد عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) قال أخذ فرعون أربعين غلاماً من بني إسرائيل فأمر أن يعلموا السحر بافرماء وقال علموهم تعليماً لا يعلمه أحد في الأرض، قال ابن عباس فهم من الذين آمنوا بموسى وهم من الذين قالوا (آمنا بربنا ليفقر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقوله (والله خير وأبقى) أي خير لنا

(من البينات) يعني من اليقين والعلم حكى عن القاسم بن أبي بزة أنه قال لهم لما ألقوا سجداً ما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها ورأوا منازلهم في الجنة فنعد ذلك (قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات) (والذي فطرنا) يعني لن نؤثر على الله الذي فطرنا وقيل هو قسم (فأقض ما أنت قاض) يعني فأصنع ما أنت صانع (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (إنا آمنا بربنا ليفقر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) فإن قيل كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يحلفون بعهدة فرعون أن لهم القلبة؟ قيل روي عن الحسن أنه قال كان فرعون يكره قوماً على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله، وقد كان أكرههم في الابتداء، وقال مقاتل كانت السحرة اثنتين وسبعين اثناً من القبط وسبعون من بني إسرائيل كان عدو الله فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر فذلك قوله (وما أكرهتنا عليه من السحر) وقال عبد العزيز بن أبان قالت السحرة لفرعون أرنا موسى إذا نام فأرأهم موسى نائماً وعصاه تحرسه

منك (وأبقى) أي أودم ثوابا مما كنت وعدتنا ومنقنا وهو رواية عن ابن إسحاق رحمه الله، وقال محمد بن كعب القرظي (والله خير) أي لنا منك أن أطيع (وأبقى) أي منك عذابا أن عصي وروي نحوه عن ابن إسحاق أيضا، والظاهر أن فرعون لعنه الله صمم على ذلك وفعله بهم رحمة لهم من الله ولهذا قال ابن عباس وغيره من السلف أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء

إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى (٧٤) ومن يأت مؤمناً

قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى (٧٥) جنت عدن تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى (٧٦)

الظاهر من السياق أن هذا من تمام ما وعظ به السحرة لفرعون يحذرونه من نقمة الله وعذابه الدائم السرمدى، ويرغبونه في ثوابه الأبدى المخلد فقالوا (أنه من يأت ربه مجرماً) أي يلقي الله يوم القيامة وهو مجرم (فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) كقوله (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور) وقال (ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى) وقال تعالى (ونادوا يا مالِك ليَقض علينا ربك قال انكم ما كنون) وقال الامام أحمد ابن حنبل حدثنا اسماعيل اخبرنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها فاتهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس تصيبهم النار بذنوبهم فتमितهم إمانة حتى إذا صاروا فخا أذن في الشفاعة جي بهم ضبائر ضبائر فبشوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبئون نبات الحبة تكون في حبل السبل » فقال رجل من القوم كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية وهكذا أخرجه مسلم في كتابه الصحيح من رواية شعبة وبشر بن المغضل كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث قال حدثنا أبي حدثنا حبان سمعت سليمان التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد أن

فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم إلا أن يتعلموا فذلك قوله تعالى (وما أكرهتنا عليه من السحر) (والله خير وأبقى) قال محمد بن إسحاق خير منك ثوابا وأبقى عذابا وقال محمد بن كعب خير منك ثوابا أن أطيع وأبقى منك عذابا أن عصي وهذا جواب لقوله (ولتسلمن أيضا أشد عذابا وأبقى) (أنه من يأت ربه مجرماً) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى، وقيل من تمام قول السحرة مجرماً أي مشركاً يعني من مات على الشرك (فإن له جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينفع بها (ومن يأت) قرأ أبو عمرو ساكنة الهاء ويخففها أبو جعفر وقالون ويعقوب وقرأ الآخرون بالاشباع (مؤمناً) أي من مات على الإيمان (قد عمل

٤٤٦ اعتراف السحرة بأن من آمن وعمل صالحا فله الدرجات العلى (تفسير ابن كثير والبغوي)

رسول الله ﷺ خطب فأثنى على هذه الآية (انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) قال النبي ﷺ « أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون ، وأما الذين ليسوا من أهلها فان النار تسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون فتجعل الضبائر فيؤتى بهم نهرا يقال له الحياة أو الحيوان فيذببتون كما يذببت العشب في حبل السيل »

وقوله تعالى (ومن يأت مؤمنا قد عمل الصالحات أي ومن لقي ربه يوم المعاد مؤمنا القلب قد صدق ضميره بقوله وعمله (فأولئك لهم الدرجات العلى) أي الجنة ذات الدرجات العاليات والفرق الآمات والمساكن الطيبات .

قال الامام أحمد حدثنا عفان أنبأنا همام حدثنا زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال « الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض والفردوس أعلاها درجة ومنها يخرج الانهار الاربعة والعرش فوقها فاذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس » ورواه الترمذي من حديث يزيد بن هارون عن همام به ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي أخبرنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال كان يقال الجنة مائة درجة في كل درجة مائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض فهن الياقوت والحلي في كل درجة أمير يرون له الفضل والسودد ، وفي الصحيحين « إن أهل عليين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم - قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء - قال - بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفي السنن وإن أبابكر وعمر لمنهم وأنها وقوله (جنات عدن) أي اقامة وهي بدل من الدرجات العلى (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها) أي ما كثرين أبدا (وذلك جزاء من تزكى) أي طهر نفسه من الدنس والخبث والشرك وعبد الله وحده لا شريك له واتبع المرسلين فيما جاؤا به من خير وطلب

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف

الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أي الرفيعة والعلى جمع العليا والعليا تأنيث الاعلى (جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يعني تطهر من الذنوب ، وقال الكلبي أعطى زكاة نفسه وقال لا إله الا الله ، أخبرنا احمد بن عبد الله الصالحى أنا ابو القاسم عبد الرحمن ابن عبيد الله السمسار أنا ابو حمزة احمد بن محمد بن عباس الدهقان أنا احمد بن عبد الجبار العطاردى أنا أبو معاوية عن الاعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « ان أهل الدرجات العلى ليرام من تحتهم كما ترون الكوكب الدرى في أفق من آفاق السماء وانما ابو بكر وعمر منهم وأنها »

قوله عز وجل (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) يعني أسر بهم ليلا من أرض مصر

دركا ولا تخشى (٧٧) فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم (٧٨) واضل فرعون قومه وما هدى (٧٩)

يقول تعالى مخبرا أنه أمر موسى عليه السلام حين أبى فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل أن يسري بهم في الليل ويذهب بهم من قبضة فرعون وقد بسط الله هذا المقام في غير هذه السورة الكريمة وذلك أن موسى لما خرج ببني إسرائيل أصبحوا وليس منهم بمصر لا داع ولا محجب فغضب فرعون غضبا شديدا وأرسل في المدائن حاشرين أي من يجمعون له الجنود من بلدانه ورسائيقه يقول إن هؤلاء أشردمة قليلون وإنهم لنا لغاظلون ثم لما جمع جنده واستوثق له جيشه ساق في طلبهم فأتبعهم مشرقين أي عند طلوع الشمس (فلما تراعى الجمعان) أي نظر كل من الفريقين إلى الآخر (قال أصحاب موسى أنا لمدركون قال كلا إن معي ربي سيهدين) ووقف موسى ببني إسرائيل البحر أمامهم وفرعون وراءهم فعند ذلك أوحى الله إليه (ان اضرب لهم طريقا في البحر يبسا) فضرب البحر بعصاه وقال انفلق علي باذن الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم أي الجبل العظيم فارسل الله الريح على أرض البحر فلنفته حتى صار يابسا كوجه الأرض فلماذا قال (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا) أي من فرعون (ولا تخشى) يعني من البحر أن يفرق قومك ثم قال تعالى (فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم) أي البحر (ماغشيهم) أي الذي هو معروف ومشهور وهذا يقال عند الأمر المعروف المشهور كما قال تعالى (والمؤتفة أهوى فغشاها ماغشى) وقال الشاعر :

* أنا أبو النجم وشعري شعري *

أي الذي يعرف وهو مشهور كما تقدمهم فرعون فسلك بهم في اليم فاضلهم وما هداهم إلى سبيل الرشاد وكذلك يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس المورد

﴿ فاضرب لهم طريقا في البحر ﴾ يعني اجعل لهم طريقا في البحر بالضرب بالعصا ﴿ يبسا ﴾ ليس فيه ماء ولا طين وذلك أن الله أيسس لهم الطريق في البحر ﴿ لا تخاف دركا ﴾ قرأ حمزة لا تخف بالجزم على النهي والباقون بالالف والرفع على النفي لقوله تعالى ﴿ ولا تخشى ﴾ قيل لا تخاف أن يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى أن يفرقك البحر أمامك ﴿ فأتبعهم ﴾ فلحقهم ﴿ فرعون بجنوده ﴾ وقيل معناه أمر فرعون بجنوده أن يتبعوا موسى وقومه والباء فيه زائدة وكان هو فيهم ﴿ فغشيهم ﴾ أصابهم من ﴿ اليم ماغشيهم ﴾ وهو الفرق وقبل غشيهم علام وسرهم من ﴿ اليم ماغشيهم ﴾ يريد غشيهم بعض ماء اليم لا كاه وقيل غشيهم من اليم ماغشى قوم موسى ففرقهم ونجا موسى وقومه ﴿ واضل فرعون قومه وما هدى ﴾ يعني ما أرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله (وما أهديكم الا سبيل الرشاد)

بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم
المن والسلوى (٨٠) كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن
يحمل عليه غضبي فقد هوى (٨١) واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى (٨٢)

يذكر تعالى نعمه على بني اسرائيل العظام ومنه الجسام حيث انجياهم من عدوهم فرعون ولقوا
أعينهم منه وهم ينظرون اليه والى جنده قد غرقوا في صبيحة واحدة لم ينج منهم أحد كما قال (وأغرقنا
آل فرعون وأنهم تنظرون) وقال البخاري حدثنا يعقوب بن ابراهيم حدثنا روح بن عبادة حدثنا
شعبة حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وجد
اليهود تصوم عاشوراء فسألهم فقالوا هذا اليوم الذي أظفر الله فيه موسى على فرعون فقال «نحن أولى
بموسى فصوموه» رواه مسلم أيضاً في صحيحه ثم إنه تعالى واعد موسى وبني اسرائيل بعد هلاك فرعون
إلى جانب الطور الايمن وهو الذي كاهه الله تعالى عليه وسأل فيه الرؤية وأعطاه التوراة هنالك وفي
غضون ذلك عبد بنو اسرائيل المجمل كما يقصه الله تعالى قريباً وأما المن والسلوى فقد تقدم الكلام
على ذلك في سورة البقرة وغيرها فلئن حلوى كانت تنزل عليهم من السماء والسلوى طائر يسقط عليهم
فيأخذون من كل قدر الحاجة إلى الغد لطفاً من الله ورحمة بهم واحساناً اليهم ولهذا قال تعالى (كلوا
من طيبات ما رزقناكم ولا تطفوا فيه فيحل عليكم غضبي) أي كلوا من هذا الرزق الذي رزقكم ولا
تطفوا في رزقي فتأخذوه من غير حاجة وتخالفوا ما أمرتكم به [فيحل عليكم غضبي] أي أغضب عليكم
[ومن يحمل عليه غضبي فقد هوى] قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي فقد
شقي وقال شني بن مانع إن في جهنم قصراً يرمي الكافر من اعلاه فيهوى في جهنم أربعين خريفاً قبل
أن يبلغ الصلصال وذلك قوله [ومن يحمل عليه غضبي فقد هوى] رواه ابن أبي حاتم وقوله [واني لغفار
لمن تاب وآمن وعمل صالحاً] أي كل من تاب إلى تبت عليه من أي ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على

قوله ﴿يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم﴾ فرعون ﴿وواعدناكم جانب الطور الايمن
ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ قرأ حمزة والسكسائي أنجيتكم وواعدتكم
ورزقكم بالناء على التوحيد، وقرأ الآخرون بالنون والالف على التعظيم ولم يختلفوا في ونزلنا لانه
مكتوب بالالف ﴿ولا تطفوا فيه﴾ قال ابن عباس لا تظفوا قال السكسائي لا تكفروا النعمة فتكونوا
ظالمين طائفين وقيل لا تنفقوا في معصيتي وقيل لا تنفقوا بنعمتي على معاصي، وقيل لا تدخروا فادخروا
فدود ﴿فيحل﴾ قرأ الأعمش والسكسائي فيحل بضم الحاء (ومن يحل) بضم اللام يعني ينزل وقرأ
الآخرون بكسرها يعني يجب ﴿عليكم غضبي ومن يحل عليه غضبي فقد هوى﴾ هلك ونردى في

من عبد العجل من بني اسرائيل ، وقوله تعالى [تاب] أي رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق ، وقوله [وآمن] أي بقلبه [وعمل صالحا] أي بجوارحه ، وقوله [ثم اهتدى] قال علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس أي ثم لم يشكك ، وقال سعيد بن جبير [ثم اهتدى] أي استقام على السنة والجماعة ، وروى نحوه عن مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف وقال قتادة [ثم اهتدى] أي لزم الاسلام حتى يموت ، وقال سفيان [ثم اهتدى] أي علم ان لهذا ثوابا وثم ههنا لترتيب الخبر على الخبر كقوله [ثم كان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات]

وما اعجلك عن قومك يـمـوسى ؟ (٨٣) قال ثم اولاء على اثري وصجلت اليك رب

لترضى (٨٤) قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري (٨٥) فرجع موسى الى

قومه غضبـن أسفا قال يقوم الم يعدكم ربكم وعداً حسنا أفضال دليكم العهد ام اردتم ان يحل

عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي ؟ (٨٦) قالوا ما اخلفنا موعداً بملكنا ولكننا حملنا

اوزاراً من زينة القوم فقذفنا فكذلك اتى السامري (٨٧) فأخرج لهم عجلاً جسداً له

خوار فقال هذا الحكم واله موسى فنسي (٨٨) افلا يرون ألا يرجع اليهم قولا ولا يملك

لهم ضرراً ولا نفعا (٨٩)

لما سار موسى عليه السلام ببني اسرائيل بعد هلاك فرعون وأنوا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وواعده رب ثلاثين ليلة ثم أتبعها عشر اتمت أربعين ليلة أي يصومها ليلاً ونهاراً

النار (واني لغفار لمن تاب) قال ابن عباس تاب من الشرك (وآمن) ووحد الله وصدقه (وعمل صالحا) أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال عطاء عن ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله له وقال قتادة وسفيان الثوري يعني لزم الاسلام حتى مات عليه قال الشعبي ومقاتل والكلبي علم أن لذلك ثوابا ، وقال زيد بن أسلم تعلم العلم ليهتدي به كيف يعمل قال الضحاك استقام ، وقال سعيد بن جبير أقام على السنة والجماعة (وما أعجلك) يعني وما حلاك على العجلة (عن قومك) وذلك أن موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه الى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجّل موسى بينهم شوقا الى ربه عز وجل وخلف السبعين رأسهم أن يتبعوه الى الجبل فقال الله تعالى له (وما أعجلك عن قومك) (يا موسى قال) مجيبا لربه تعالى (هم أولاء على أثري) يعني هم بالقرب مني يأتون

وقد تقدم في حديث الفتون بيان ذلك فسارع موسى عليه السلام مبادراً إلى الطور واستخلف على بني إسرائيل أخاه هارون ولهذا قال تعالى (وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري) أي قادمون ينزلون قريباً من الطور (وعجلت إليك رب لترضى) أي لتزداد غني رضا قال فانا قد فتننا قومك من بعدك وأضلهم السامري أخبر تعالى نبيه موسى بما كان بعده من الحدث في بني إسرائيل وعبادتهم العجل الذي عمله لهم ذلك السامري. وفي الكتب الإسرائيلية أنه كان اسمه هرون أيضاً وكتب الله تعالى له في هذه المدة الألواح المتضمنة للتوراة كما قال تعالى (وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوها باحسناً سأريكم دار الفاسقين) أي عاقبة الخارجين عن طاعتي المخالفين لأمري، وقوله (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) أي بعد ما أخبره تعالى بذلك في غاية الغضب والحنق عليهم هو فيها هو فيه من الاعتناء بأمرهم وتسلم التوراة التي فيها شريعته وفيها شرف لهم وهم قوم قد عبدوا غير الله ما يعلم كل عاقل له لب وحزم بطلان ما هم فيه وسخافة عقولهم وأذهانهم ولهذا قال رجم إليهم غضبان أسفا والأسف شدة الغضب وقال مجاهد غضبان أسفا أي جزعاً وقال قتادة والسدي أسفا حزينا على ما صنع قومه من بعده (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) أي أما وعدكم على لساني كل خير في الدنيا والآخرة وحسن العاقبة كما شاهدتم من نصرته إياكم على عدوكم وأظهاركم عليه وغير ذلك من أيادي الله أطفال عليكم العهد أي في انتظار ما وعدكم الله ونسيان ما سلف من نعمه وما بالعهد من قدم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أم ههنا بمعنى بل وهي للاضراب عن الكلام الأول وعدول إلى الثاني كأنه يقول بل أردتم بصنيعكم هذا أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي قالوا أي بنو إسرائيل في جواب ما أنبهم موسى وقرعهم ما أخلفنا موعدك بملكنا أي عن قدرتنا واختيارنا ثم شرعوا يعتذرون بالعدو البارد يخبرونه عن تورعهم عما كان بأيديهم من حلي القبط الذي كانوا قد استعاروه منهم حين خرجوا من

من بعده (وعجلت إليك رب لترضى) لتزداد رضا (قال فانا قد فتننا قومك من بعدك) أي ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا ستمائة ألف فافتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا من بعدك أي من بعد انطلاقتك إلى الجبل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصرفهم إلى عبادة العجل وأضانه إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً) صدقاً أنه يعطيكم التوراة (أطفال عليكم العهد) مدة مفارقتي إياكم (أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلاً يجب عليكم به الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدي) قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا (قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم بملكنا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بضمها وقرأ الآخرون بكسر ها أي ونحن نملك امرنا وقيل باختيارنا ومن قرأ بالضم فعناه بقدرةنا وسلطاننا وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه (ولكننا حملنا) قرأ أبو عمرو

مصر فقتلناها أي القيناها عنا. وقد تقدم في حديث الفتون أن هرون عليه السلام هو الذي كان أمرهم بالقاء الحلي في حفرة فيها نار وهي في رواية السدي عن أبي مالك عن ابن عباس إنما أراد هرون أن يجتمع الحلي كله في تلك الحفيرة ويجعل حجرا واحدا حتى إذا رجع موسى عليه السلام رأى فيه ما يشاء ثم جاء ذلك السامري فالتقى عليها تلك القبضة التي أخذها من أثر الرسول وسأل من هرون أن يدعو الله أن يستجيب له في دعوة فدعا له هرون وهو لا يعلم ما يريد فاجيب له فقال السامري عند ذلك أسأل الله أن يكون عجلا فكان عجلا له خوار أي صوت استدراجا وإيهالا ومحنة واختبارا ولهذا قال (فكذلك التقي السامري فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عباد بن البختري حدثنا يزيد بن هرون أخبرنا حماد عن سماك عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس أن هرون مر بالسامري وهو ينحت العجل فقال له ما تصنع فقال اصنع ما يضر ولا ينفع فقال هرون اللهم اعطه ما سأل على ما في نفسه ومضى هرون وقال السامري اللهم اني أسألك أن يخرج خوار فكان إذا خار سجدوا له وإذا خار رفعوا رؤوسهم. ثم رواء من وجه آخر عن حماد وقال اعمل ما ينفع ولا يضر وقال السدي كان يخور ويمشي فقالوا أي الضلال منهم الذين افتنوا بالعجل وعبدوه هذا إلهكم واله موسى فنتسي أي نسيه ههنا وذهب يتطلبه كذا تقدم في حديث الفتون عن ابن عباس وبه قال مجاهد وقال سماك عن عكرمة عن ابن عباس فنتسي أي نسي أن يذكركم أن هذا إلهكم وقال محمد بن اسحاق عن حكيم بن جبيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فقالوا (هذا إلهكم وإله موسى) قال فكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط يعني مثله يقول الله فنتسي أي ترك ما كان عليه من الإسلام يعني السامري قال الله تعالى ردا عليهم وتقريرا لهم وبيانا لفضيحتهم وسخافة عقولهم فيما ذهبوا إليه (أفلا يرون أن لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) أي العجل أفلا يرون أنه لا يجيبهم إذا سألوه ولا إذا خاطبوه ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا أي في دنياهم ولا أخراهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لا والله ما كان خواره إلا أن يدخل الربح في دبره فيخرج من فيه فيسمع له صوت وقد تقدم

وحزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء وتخفيف الميم وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكافنا حملها (أوزاراً من زينة القوم) من حلي قوم فرعون مماها أوزاراً لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردوها وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حلياً من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر وقيل إن الله تعالى لما أغرق فرعون بنيد البحر حلبيهم فأخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالاً لهم في ذلك الزمان فسمها أوزاراً لذلك (فقتلناها) قيل إن السامري قال لهم احفروا حفرة فأتوها فيها حتى يرجع موسى قال السدي قال لهم هارون أن تلك غنيمة لا تحل فاحفروا حفرة فأتوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها ففعلوا قوله (فقتلناها) أي طرحنها في الحفرة (فكذلك التقي السامري) ما عساه من الحلي فيها وقال سعيد بن جبيرة عن

في حديث الفتون عن الحسن البصري أن هذا العجل اسمه بهموت وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجبلية أنهم تورعوا عن زينة القبط فأتوها عنهم وعبدوا العجل فتورعوا عن الخفير وفعلوا الأمر الكبير كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر أنه سأل رجل من أهل العراق عن دم البعوض إذا أصاب الثوب يعني هل يصلي فيه أم لا فقال ابن عمر رضي الله عنهما انظروا إلى أهل العراق قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ يعني الحسين وهم يسألون عن دم البعوضة

ولقد قال لهم هرون من قبل يقوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا

أمري (٩٠) قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى (٩١)

يخبر تعالى عما كان من نهى هارون عليه السلام لهم عن عبادتهم العجل وأخباره إياهم أنما هذا فتنة لكم وإن ربكم الرحمن الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً ذو العرش المجيد فقال لما يريد (فاتبعوني وأطيعوا أمري) أي فيما أمركم به وتركوا ما أنما هم عنه (قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى) أي لا نترك عبادته حتى نسمع كلام موسى فيه وخالفوا هارون في ذلك وحاربوه وكادوا أن يقتلوه

قال هرون مامنكم إذ رأيتمهم ضلوا (٩٢) ألا تتبعني أفصيت أمري؟ (٩٣) قال يبنؤم

ابن عباس رضي الله عنهما أوقد هارون ناراً وقال اقذفوا فيها ما معكم فأتوه فيها ثم أتى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل قال فتادة كان قد صر قبضة من ذلك التراب في عمامته (فاخرج لهم عجلاً جسداً له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسي) أي تركه موسى ههنا وذهب بطابه وقيل أخطأ الطريق وضل

قال الله تعالى ﴿ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا ﴾ أي لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه ﴿ ولا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً ﴾ وقيل أن هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا؟ قال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم أعطه ما سألك على ما في نفسه فأتى التراب في فم العجل وقال كن عجلاً يخور فكان ذلك بدعوة هارون، والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل ﴿ ولقد قال لهم هارون من قبل ﴾ أي من قبل رجوع موسى ﴿ يا قوم إنما فتنتم به ﴾ ابتليهم بالعجل ﴿ وإن ربكم الرحمن فاتبعوني ﴾ على ديني في عبادة الله ﴿ وأطيعوا أمري ﴾ في ترك عبادة العجل ﴿ قالوا لن نبرح ﴾ أي لن نزال ﴿ عليه ﴾ على عبادته ﴿ عاكفين ﴾ مقيمين ﴿ حتى يرجع إلينا موسى ﴾ فاعتزلهم هارون في اثني عشر ألفاً وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال لل سبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه يمينه وشماله ﴿ قال ﴾ له ﴿ يا هارون مامنكم إذ رأيتمهم ضلوا ﴾

لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي (٩٤)
 يخبر تعالى عن موسى عليه السلام حين رجع الى قومه فرأى ما قد حدث فيهم من الأمر العظيم
 فامتلاً عند ذلك غضباً وألقى ما كان في يده من الألواح الالهية وأخذ برأس أخيه يجره اليه وقد قدمنا
 في سورة الاعراف بسط ذلك وذكرنا هناك حديث « ليس الخبر كالمعاينة » وشرع يلوم أخاه هارون فقال
 (مامنك إذ رأيتهم ضلوا ألا تتبعن) أي فتخبرني بهذا الأمر أول ما وقع (أفصيت أمري) أي فيما
 كنت قدمت اليك وهو قوله (اخلفني في قومي وأصاح ولا تتبع سبيل المفسدين) قال (يا ابن أم)
 ترقى له بذكر الأم مع أنه شقيقه لأبويه لأن ذكر الأم ههنا أرق وأبلغ في الحنو والعطف ولهذا قال
 (يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) الآية . هذا اعتذار من هارون عند موسى في سبب تأخره
 عنه حيث لم يلحقه فيخبره بما كان من هذا الخطب الجسيم (قال اني خشيت) أن أتبعك فأخبرك
 بهذا فتقول لي لم تركتهم وحدهم وفرقت بينهم (ولم ترقب قولي) أي وما رايت ما أمرتك به حيث
 استخلفتك فيهم ، قال ابن عباس وكان هارون هائباً مطيعاً له

قال فما خطبك يا سامري (٩٥) قال بصرت بما لم يبصروا به ، فقبضت قبضة من أثر
 الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي (٩٦) قال فاذهب فان لك في الحيوة أن تقول
 لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه وانظر الى الهلاك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه
 ثم لننسفنه في اليتم نسفاً (٩٧) إنما الهلكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً (٩٨)
 يقول موسى عليه السلام للسامري ما حملك على ما صنعت وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت
 قال محمد بن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جابر عن ابن عباس قال : كان السامري رجلاً

أشركوا (ألا تتبعن) أي أن تتبعني ولا صلة أي تتبع أمري ووصيتي يعني هلا قاتلتهم وقد علمت
 اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل أن لا تتبعني أي مامنك من العقوق بي واخباري
 بضاللتهم فتكون مفارقتك إياهم قرعاً لهم عما أتوه (أفصيت أمري) أي خالفت أمري
 (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) أي بشعر رأسي وكان قد أخذ ذؤابته (إني خشيت) لو انكرت
 عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً (أن تقول فرقت بين بني إسرائيل) أي خشيت أن فارقتهم
 واتبعك لصاروا حزبا يتقاتلون فتقول انت فرقت بين بني إسرائيل (ولم ترقب قولي) ولم تحفظ وصيتي
 حين قلت لك اخلفني في قومي وأصلح أي ارفق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فما خطبك)
 أي ما أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري) قال بصرت بما لم يبصروا به

من أهل باجرما وكان من قوم بهيدن البقر وكان حب عبادة البقر في نفسه وكان قد أظهر الاسلام مع بني اسرائيل وكان اسمه موسى بن ظفر وفي رواية عن ابن عباس انه كان من كرمانيين ، وقال قتادة كان من قرية سامرا (قال بصرت بما لم يصروا به) أي رأيت جبريل حين جاء لهلاك فرعون (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي من أثر فرسه هذا هو المشهور عند كثير من المفسرين أو أكثرهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث أخبرنا عبيد الله بن موسى أخبرنا اسرائيل عن السدي عن أبي بن عمار عن علي رضي الله عنه قال ان جبريل عليه السلام لما نزل فصعد بموسى عليه السلام الى السماء بصربه السامري من بين الناس فقبض قبضة من أثر الفرس قال وحمل جبريل موسى عليهما السلام خلفه حتى اذا دنا من باب السماء صعد وكتب الله الاواح وهو بسمع صريز الاقلام ، فلما أخبره ان قومه قد فتنوا من بعده قال نزل موسى فأخذ العجل فأحرقه غريب ، وقال مجاهد (فقبضت قبضة من أثر الرسول) قال من تحت حافر فرس جبريل ، قال والقبضة ملء الكف والقبضة بأطراف الاصابع ، قال مجاهد نبذ السامري أي ألقى ما كان في يده على حلية بني اسرائيل فانسبك مجلا جسداً له خوار حفيف الريح فيه فهو خواره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن يحيى أخبرنا علي بن المديني حدثنا يزيد بن زريع حدثنا عمار حدثنا عكرمة ان السامري رأى الرسول فألقى في روعه انك إن أخذت من أثر هذا الفرس قبضة فألقيتها في شيء قتلته كن فكان قبض قبضة من أثر الرسول فيست أصابه على القبضة ، فلما ذهب موسى للميقات وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حلي آل فرعون فقال لهم السامري انما أصابكم من أجل هذا الحلي فاجمعوه فجمعوه فأوقدوا عليه فذاب فرآه السامري فألقى في روعه انك لو قذفت هذه القبضة في هذه قتلته كن فكان قذف القبضة وقال كن فكان عملاً جسداً له خوار فقال (هذا إلهكم وإله موسى) ولهذا قال (فنبذنها) أي ألقى ألقى من ألقى (وكذلك سولت لي نفسي) أي حسنته وأعجبها إذ ذاك (قال فاذهب فان لك

رأيت ما لم يروا وعرفت ما لم يعرفوا قرأ حمزة والكسائي ما لم تبصروا بالناء على الخطاب وقرأ الآخرون بالياء على الخبر (فقبضت قبضة من أثر الرسول) أي من تراب أثر فرس جبريل (فنبذنها) أي ألقى ألقى في فم العجل وقال بعضهم انما خار لهذا لان التراب كان مأخوذاً من تحت حافر فرس جبريل فان قيل كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس قبل لأن امه لما ولدته في السنة التي يقتل فيها البنون وضعته في الكهف حذراً عليه فبعث الله جبريل ليريه لما قضى على يديه من الفتنة (وكذلك سولت لي نفسي) أي زينت لي نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة أي مادمت حياً (أن تقول لا ماساس) أي لا تخاط أحد ولا يخاطك أحد وأمر موسى بني اسرائيل أن لا يخاطروه ولا يقربوه قال ابن عباس لا ماساس لك ولولدك والماس من الماسة معناه لا يمسه بعضنا بعضا فصار السامري يهيم في البرية مع الوحوش والسباع لا يمسه أحد ولا يمسه أحد فعاقبه الله بذلك وكان اذا لقي أحدا يقول

في الحياة أن تقول لا مساس) أي كما أخذت ومستمت مالم يكن لك أخذه ومسه من أثر الرسول
 فعقوبتك في الدنيا أن تقول لا مساس أي لا تماس الناس ولا يمسونك (وإن لك موعداً) أي يوم
 القيامة [لن تخلفه] أي لا يخلفك عنه ، وقال قتادة [أن تقول لا مساس] قال عقوبة لهم وبقيام
 اليوم يقولون لا مساس . وقوله [وإن لك موعداً لن تخلفه] قال الحسن وقتادة وأبو نهيك لن تغيب عنه
 وقوله [وانظر الى إهلك] أي معبودك [الذي ظلت عليه عاكفاً] أي أقمت على عبادته يعني
 العجل [لنحرقنه] قال الضحاك عن ابن عباس والسدي نذرحله بالمبارد وإلقائه على النار ، وقال قتادة
 استحبال العجل من الذهب لحما ودما فحرقه بالنار ثم ألقى رماده في البحر ولهذا قال (ثم لننفسنه في
 اليم نسفاً) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن
 عمارة بن عبد الله وأبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال : ان موسى لما تعجل الى ربه حمد السامري
 فجمع ما قدر عليه من حلى نساء بني إسرائيل ثم صورده عجلاً قال فعمد موسى الى العجل فوضع عليه
 المبرد فبرده بها وهو على شط نهر فلم يشرب أحد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل إلا اصفر وجهه
 مثل الذهب فقالوا لموسى ما نوبتنا ؟ قال يقتل بعضكم بعضاً وهكذا قال السدي وقد تقدم في تفسير
 سورة البقرة ثم في حديث الفتون بسط ذلك

وقوله تعالى (انما إلهكم الله الذي لا إله الا هو وسع كل شيء علماً) يقول لهم موسى عليه السلام
 ليس هذا إلهكم انما إلهكم الله الذي لا إله الا هو أي لا يستحق ذلك على العباد الا هو ولا تنبغي
 العبادة إلا له فان كل شيء فقير اليه عبد له وقوله وسع كل شيء علماً نصب على التمييز أي هو عالم
 بكل شيء . أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً فلا يعزب عنه مثقال ذرة وما نسقط من ورقة
 إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وما من دابة في الأرض
 إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين والآيات في هذا كثيرة جداً

لا مساس أي لا تقربني ولا تمسني وقيل كان اذا مس أحد أو مسه أحدهما جميعاً حتى ان بقيام
 اليوم يقولون ذلك واذا مس أحد من غيرهم أحداً منهم جميعاً في الوقت (وإن لك) يا سامري
 (موعداً) لعذابك (لن تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وبهتوب لن تخلفه بكسر اللام أي لن
 تغيب عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرأ الآخرون بفتح اللام أي لن تكذبه وان
 يخلفك الله ومعناه أن الله تعالى يكائنك على فعلك ولا تفوته (وانظر الى إهلك) بزعمك (الذي
 ظلت عليه عاكفاً) أي ظلت ودمت عليه مقياً تعبدو والعرب تقول ظلت افعل كذا بمعنى ظلت
 ومست بمعنى مست (لنحرقنه) بالنار وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الاحراق (ثم لننفسنه)
 لنذرينه (في اليم) في البحر (نسفاً) روى أن موسى أخذ العجل فذبحه فسأل منه دم لانه كان
 قد صار لحماً ودماً ثم حرقه بالنار ثم ذراه في اليم قرأ ابن محيصن لنحرقنه بفتح النون وضم الياء لنحرقنه

كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا ذكراً (٩٩) من عرض

عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً (١٠٠) خالدين فيه وساء لهم يوم القيامة حملاً (١٠١)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ كما قصصنا عليك خبر موسى وما جرى له مع فرعون وجنوده على الجلية والامر الواقع كذلك قص عليك الاخبار الماضية كما وقعت من غير زيادة ولا نقص هذا وقد آتيناك من لدنا أي من عندنا ذكراً وهو القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد الذي لم يعط نبي من الانبياء منذ بعثوا الى ان ختموا بمحمد ﷺ كتاباً مثله ولا أكل منه ولا أجمع لخبر ما سبق وخبر ما هو كائن وحكم الفصل بين الناس منه ، وقوله تعالى (من عرض عنه) أي كذب به وأعرض عن اتباعه أمراً وطلباً وابتغى الهدى من غيره فان الله يضلّه ويهديه الى سواء الجحيم ولهذا قال (من عرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً) أي انما قال تعالى [ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده] وهذا عام في كل من بلغه القرآن من العرب والعجم أهل الكتاب وغيرهم كما قال (لانذركم به ومن بلغ) فكل من بلغه القرآن فهو نذير له وداع فمن اتبعه هدي ومن خالفه وأعرض عنه ضل وشقي في الدنيا والنار موعده يوم القيامة ولهذا قال [من عرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزراً خالدين فيه] أي لا يحيد لهم عنه ولا انفكك وساء لهم يوم القيامة حملاً أي بثس الحمل جهلهم

يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقاً (١٠٢) يتخافتون بينهم ان لبثتم

الا عشرآ (١٠٣) نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوماً (١٠٤)

ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ سئل عن الصور فقال قرن ينفخ فيه وقد جاء في حديث الصور من رواية أبي هريرة أنه قرن عظيم الدائرة منه بقدر السموات والارض ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وجاء في الحديث « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحي جهته وانتظر ان يؤذن له » فقالوا يا رسول الله كيف تقول ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا »

بالمبرد ومنه قيل بالمبرد المحرق وقال السدي أخذ موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في البم ﴿ إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً ﴾ وسع علمه كل شيء ، ﴿ كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق ﴾ من الامور ﴿ وقد آتيناك من لدنا ذكراً ﴾ يعني القرآن ﴿ من عرض عنه ﴾ أي عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه ﴿ فانه يحمل يوم القيامة وزراً ﴾ حملاً ثقيلاً من الاثم ﴿ خالدين فيه ﴾ مقيمين في عذاب الوزر ﴿ وساء لهم يوم القيامة حملاً ﴾ أي بثس ما حلوا على أنفسهم من الاثم كفروا بالقرآن ﴿ يوم ينفخ في الصور ﴾ قرأ أبو عمرو ننفخ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله

وقوله (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) قيل معناه زرق العيون من شدة ما هم فيه من الاهوال [يتخافون بينهم] قال ابن عباس ينشأون بينهم أي يقول بعضهم لبعض ان لبئس الاشرار أي في الدار الدنيا لقد كان لبئسكم فيها قليلا عشرة أيام أو نحوها قال الله تعالى [نحن أعلم بما يقولون] أي في حال تناجيهم بينهم [إذ يقول أمثلهم طريقة] أي العاقل الكامل فيهم [ان لبئس الايام] أي تقصر مدة الدنيا في أنفسهم يوم المعاد لان الدنيا كلها وان تكررت أوقاتها وتعاقبت لياليها وأيامها وساعاتها كأنها يوم واحد ولهذا يستقصر الكافرون مدة الحياة الدنيا يوم القيامة وكان غرضهم في ذلك دره قيام الحجة عليهم اقصر المدة ولهذا قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة - الى قوله - ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (أو لم نعمركم ما يتذكرون فيه من تذكريهم) الآية وقال تعالى (كم لبثتم في الارض عدد سنين * قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين * قال ان لبثتم الا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون) أي إنما كان لبئسكم فيها قليلا لو كنتم تعلمون لا تترتم الباقي على الثاني ولكن تصرفتم فاسأتم التصرف قدتم الحاضر الثاني على الدائم الباقي

ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً (١٠٥) فيذرها قاعا صافصفا (١٠٦) لا تری فيها عوجا ولا أمثالا (١٠٧) يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا (١٠٨)

يقول تعالى ويسألونك عن الجبال أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول فقل ينسفها ربي نسفاً أي يذهبها عن أماكنها ويحرقها ويسيرها تسييراً فيذرها أي الارض قاعا صافصفا أي بسطا واحداً والقاع هو المستوى من الارض والصفصف تأكيد لمعنى ذلك وقيل الذي لا نبات فيه والاول أولى وان كان (ونحشر) وقوا الآخرون بالياء وضما وفتح الراء على غير تسمية الفاعل (ونحشر المجرمين) المشركين (يومئذ زرقا) والزرقا هي الخضرة في سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه وقيل زرقا أي عميا وقيل عطاشا (يتخافون بينهم) أي ينشأون بينهم ويتكلمون خفية (ان لبئس) أي ما كنتم في الدنيا (إلا عسرا) أي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو اربعون سنة لان العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصروا مدة لبئس لهول ما عاينوا قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أي ينشأون بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) اوقام عقلا ، واعد لهم قولا (ان لبئس الايام) قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من احوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار لبئس لشدة ما همهم

قوله (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٥٨) (الجزء الخامس)

الآخر مراداً أيضاً باللائم وهذا قال [لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً] أي لا ترى في الأرض يومئذ وادياً ولا رابية ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف [يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له] أي يوم يرون هذه الأحوال والأحوال يستجيبون مسارعين إلى الداعي حيناً أمروا بادروا إليه ولو كان هذا في الدنيا لكان أنفع لهم ولكن حيث لا ينفعهم كما قال تعالى [أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا] وقال - مهطعين إلى الداع [وقال محمد بن كعب القرظي يحشر الله الناس يوم القيامة في ظلمة ويطوى السماء وتتناثر النجوم وتذهب الشمس والقمر وينادي مناد فيتبع الناس الصوت يؤمنونه فذلك قوله (يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له) وقال قتادة لا عوج له لا يميلون عنه وقال أبو صالح لا عوج له لا عوج عنه وقوله (وخشعت الأصوات للرحمن) قال ابن عباس سكنت وكذا قال السدي فلا تسمع إلا همساً قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني وطء الأقدام وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك والريем بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فلا تسمع إلا همساً الصوت الخفي وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال سعيد بن جبير فلا تسمع إلا همساً الحديث ومرة وطء الأقدام فقد جمع سعيد كلا القولين وهو محتمل أما وطء الأقدام فلمراد سعي الناس إلى المحشر وهو مشيهم في سكون وخضوع، وأما الكلام الخفي فقد يكون في حال دون حال فقد قال تعالى (يوم يأت لاتكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد)

يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من اذن له الرحمن ورضي له قولا (١٠٩) يعلم ما بين أيديهم

الله ﷻ فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة ؟ فأنزل الله هذه الآية والنسف هو القلم يعني يقلعها من أصلها ويجعلها هباء منثوراً (فيذرهما) يعني فيدع أما كن الجبال من الأرض (قاعاً صافياً) يعني أرضاً ملساء مستوية لأنبات فيها والقاع ما انبسط من الأرض والصفصف الاملس (لا ترى فيها عوجاً ولا أمناً) قال مجاهد انخفاضاً وارتفاعاً ، وقال الحسن العوج ما انخفض من الأرض والامت مانشر من الروابي يعني لا ترى وادياً ولا رابية قال قتادة لا ترى صدعاً ولا أكمة (يومئذ يتبعون الداعي) أي صوت الداعي الذي يدعوهم إلى موقف القيامة وهو إسرافيل وذلك أنه يضع الصور في فيه ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المتفرقة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) يعني لدعائه وهو من المقلوب يعني لا عوج لهم عن دعاء الداعي لا يزيغون عنه يميناً ولا شمالاً ولا يتدرون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الأصوات للرحمن) يعني سكنت وذلت وخضعت ووصف الأصوات بالخشوع والمراد أهلها (فلا تسمع إلا همساً) يعني صوت وطء الأقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفي كصوت أخفاف الأبل في المشي ، وقال مجاهد هو تخافت الكلام وخفض الصوت ، وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تحريك الشفاه من غير منطق (يومئذ

وما خلقهم ولا يحيطون به علما (١١٠) وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من قبلها (١١١)

ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما (١١٢)

يقول تعالى (يومئذ أي يوم القيامة) لا تنفع الشفاعة أي عنده (إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) كقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) وقوله (وكم من ملك في السموات لا تنفع شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) وقال (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وقال (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا) وفي الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله عز وجل أنه قال «آتي تحت العرش وأخر الله ساجدا ويفتح علي بهامد لأحصيها الآن فيدعني ماشاء أن يدعني ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع - قال - فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة ثم أعود» فذكر أربع مرات صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء. وفي الحديث أيضا «يقول تعالى اخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول اخرجوا من النار من كان في قلبه نصف مثقال من إيمان، اخرجوا من النار من كان في قلبه ما وزن ذرة من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال ذرة من إيمان» الحديث وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي يحيط علما بالخلق كلهم (ولا يحيطون به علما) كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) وقوله (وعنت الوجوه للحي القيوم) قال ابن عباس وغير واحد خضعت وذلت واستسلمت الخلق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به. وقوله (وقد خاب من حمل ظلما) أي يوم القيامة فإن الله سيؤذي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشيء الجزاء من الشاة القرناء، وفي الحديث «يقول الله عز وجل وعزني وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم» وفي

لا تنفع الشفاعة ﴿ يعني ﴾ (لا تنفع الشفاعة) أحدًا من الناس ﴿ إلا من أذن له الرحمن ﴾ يعني ﴿ إلا من أذن الله له أن يشفع ﴾ ورضي له قولاً ﴿ يعني ﴾ ورضي قوله قال ابن عباس يعني قال لا إله إلا الله وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ﴾ الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي أي يعلم الله ﴿ ما بين أيديهم ﴾ ما قدموا ﴿ وما خلفهم ﴾ ما خلفوا من أمر الدنيا وقيل ما بين أيديهم من الآخرة وما خلفهم من الأعمال ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ قبل الكناية ترجع إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه وقيل الكناية راجعة إلى الله لأن عباده لا يحيطون به علماً ﴿ وغنت الوجوه للحي القيوم ﴾ أي ذلت وخضعت ومنه قيل للأسير عان وقال طلق بن حبيب هو السجود على الجبهة للحي القيوم ﴿ وقد خاب من جهل ظلماً ﴾ قال ابن عباس خسرت من أشرك بالله

الصحيح «اياكم والظلم فان الظالم ظلمات يوم القيامة والخيبة كل الخيبة من لقي الله وهو به مشرك فان الله تعالى يقول ان الشرك لظلم عظيم» وقوله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) لما ذكر الظالمين ووعدهم ثنى بالمتقين وحكمهم وهو أنهم لا يظلمون ولا يهضمون أى لا يزداد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة وغير واحد فالظلم الزيادة بأن يحمل عليه ذنب غيره والهضم النقص

وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون أو يحدث لهم ذكر (١١٣) فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه وقل رب زدني علما (١١٤)

يقول تعالى ولما كان يوم المعاد والجزاء بالخير والشر واقعا لا محالة أنزلنا القرآن بشيرا ونذيرا بلسان عربي مبين فصيح لا لبس فيه ولا عي (وصرفنا فيه من الوعيد لعلمهم يتقون) أى يتركون المآثم والمحارم والفواحش (أو يحدث لهم ذكرا) وهو إيجاد الطاعة وفعل القربات (فتعالى الله الملك الحق) أى تنزهه وتقدس الملك الحق الذي هو حق ووعدته حق ووعيدته حق ورسوله حق والجنة حق والنار حق وكل شيء منه حق وعدله تعالى أن لا يعذب أحدا قبل الانذار وبهئة الرسل والاعذار الى خلقه لئلا يبقى لأحد حجة ولا شبهة. وقوله (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى اليك وحيه)

والظلم هو الشرك (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف) قرأ ابن كثير فلا يخف مجزوما على النهي جوابا لقوله تعالى (ومن يعمل) وقرأ الآخرون فلا يخاف مرفوعا على الخبر (ظلمنا ولا هضما) قال ابن عباس لا يخاف أن يزداد على سيئاته ولا أن ينقص من حسناته، وقال الحسن لا ينقص من ثواب حسناته ولا يحمل عليه ذنب مسيء، وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمل ولا تبطل حسنة عملها وأصل الهضم النقص والكسر ومنه هضم الطعام (وكذلك) أى كما بينا في هذه السورة (أنزلناه) يعنى أنزلنا هذا الكتاب (قرآنا عربيا) يعنى بلسان العرب (وصرفنا) يعنى بينا (فيه من الوعيد) أى صرفنا القول فيه بذكر الوعيد (لعلمهم يتقون) أى يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم ذكرا) أى يجدد لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب الله للامم الخالية (فتعالى الله الملك الحق) جل الله عن الحاد الملحدين وعما يقول المشركون (ولا تعجل بالقرآن) أراد ان النبي ﷺ كان اذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانفلات والنسيان فهما الله عن ذلك وقال (ولا تعجل بالقرآن) أى لا تعجل بقراءته (من قبل أن يلقى اليك وحيه) أى من قبل أن يفرغ جبريل من الابلاغ بنظيره قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل

كقوله تعالى في سورة (لا أقسم بيوم القيامة * لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه *
 فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم ان علينا بيانه) وثبت في الصحيح عن ابن عباس ان رسول الله ﷺ
 كان يعالج من الوحي شدة فكان مما يحرك به لسانه فأنزل الله هذه الآية يعني انه عليه السلام كان
 اذا جاءه جبريل بالوحي كلما قال جبريل آية قالها معه من شدة حرصه على حفظ القرآن فأرشده الله
 تعالى الى ما هو الاسهل والاخف في حقه لئلا يشق عليه فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا
 جمعه وقرآنه) أي نجمعه في صدرك ثم تقرأه على الناس من غير أن تنسى منه شيئاً (فاذا قرأناه فاتبع
 قرآنه ثم ان علينا بيانه) وقال في هذه الآية (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه)
 أي بل أنصت فاذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقراء بعده (وقل رب زدني علماً) أي زدني منك
 علماً قال ابن عيينة رحمه الله ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عز وجل ولهذا جاء في الحديث
 « ان الله تابع الوحي على رسوله حتى كان الوحي أكثر ما كان يوم توفي رسول الله ﷺ » وقال ابن ماجه
 حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الله بن نمير عن موسى بن عبيدة عن محمد بن ثابت عن أبي هريرة
 رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول « اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً
 والحمد لله على كل حال » وأخرجه الترمذي عن أبي كريب عن عبد الله بن نمير به وقال غريب من
 هذا الوجه ، ورواه البزار عن عمرو بن علي الفلاس عن أبي عاصم عن موسى بن عبيدة به وزاد في
 آخره « وأعوذ بالله من حال أهل النار »

ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً (١١٥) واذا قلنا للملئكة اسجدوا
 لآدم فسجدوا الا ابليس ابي (١١٦) قلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزوجه فلا يخرجكما
 من الجنة فتشقى (١١٧) ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى (١١٨) وانك لا تظمأ فيها ولا
 تضحى (١١٩) فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا
 يبلى (١٢٠) فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم
 ربه فغوى (١٢١) ثم اجتباها ربه فتاب عليه وهدى (١٢٢)

به) وقرأ يعقوب تقضي بالنون وفتحها وكسر الضاد وفتح الياء وحيه بالنصب وقال مجاهد وقتادة
 معناه لا تقرئه أصحابك ولا تملأ عليهم حتى يتبين لك معانيه (وقل رب زدني علماً) يعني بالقرآن
 ومعانيه وقيل علماً الى ما علمت وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني إيماناً وبقيناً
 قوله تعالى (ولقد عهدنا الى آدم من قبل) يعني أمرناه وأوحينا اليه أن لا يأكل من الشجرة من

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا أسباط بن محمد حدثنا الأعمش عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فَنَسِيَ وكذا رواه علي بن أبي طلحة عنه ، وقال مجاهد والحسن تركه ، وقوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يذكر تعالى تشریف آدم وتكريمه وما فضله به على كثير من خلق تفضيلاً ، وقد تقدم الكلام على هذه القصة في سورة البقرة وفي الأعراف وفي الحجر والكهف وسبأ في آخر سورة ص يذكر تعالى فيها خلق آدم وأمره للملائكة بالسجود له تشریفاً وتكريماً وبين عداوة إبليس لبني آدم ولا يبيهم قديماً ولهذا قال تعالى (فسجدوا إلا إبليس أبى) أي امتنع واستكبر (فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزواجك) يعني حواء عليها السلام (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) أي إياك أن نسعى في إخراجك منها فتتعب وتعي وتشتى في طلب رزقك فأنك همها في عيش رغيد هي . بلا كلفة ولا مشقة (إن لك أن لا تنجوع فيها ولا تعرى) إنما قرن بين الجوع والعري لأن الجوع ذل البطن والعري ذل الظاهر (وأنت لا تظمؤ فيها ولا تضحي) وهذان أيضاً متقابلان فالظما حر البطن وهو العطش والضحي حر الظاهر

قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى (لعلمهم يتقون) (فَنَسِيَ) فترك الأمر والمعنى أنهم نقضوا العهد فان آدم أيضاً عهدنا إليه فَنَسِيَ (ولم نجد له عزماً) قال الحسن لم نجد له صبراً عما نهي عنه ، وقال عطية العوفي حفظاً لما أمر به وقال ابن قتبية رأياً معزوماً حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأبى أن يسجد له والعزم في اللغة هو توطئ النفس على الفعل قال أبو أمامة الباهلي لو وزن لحم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه وقد قال الله (ولم نجد له عزماً) فان قيل أقولون ان آدم كان ناسياً لأمر الله حين أكل من الشجرة ؟ قيل يجوز أن يكون نسي أمره ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعاً عن الإنسان بل كان مؤاخذاً به وإنما رفع عنا وقيل نسي عقوبة الله وظن أنه نهاه تنزيهاً

قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا عدوك ولزواجك) حواء (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) يعني تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بهرق جبينك قال السدي يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز وعن سعيد بن جبيرة قال أهبط إلى آدم ثور أحمر وكان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه ولم يقل فتشقى رجوعاً به إلى آدم لأن تعبهُ أكثر فان الرجل هو الساعي على زوجته وقيل لأجل زهوس الآي (إن لك أن لا تنجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وأنت) قرأنا نافع وأبو بكر بكسر الالف على الاستئناف وقرأ الآخرون بالفتح نسقا على قوله (لا تنجوع فيها) لا تظمأ (لا تضحي) فيها ولا تضحي يعني لا تبرز للشمس فيؤذيك حرها ، وقال عكرمة لا تصيبك الشمس وأذاها

وقوله (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) قد تقدم أنه دلاهما بقروور (إني لكأمن الناصحين) وقد تقدم أن الله تعالى عهد إلى آدم وزوجه أن يأكلا من كل الثمار ولا يقربا هذه الشجرة المعينة في الجنة فلم يزل بهما إبليس حتى أكلا منها وكانت شجرة الخلد يعني التي من أكل منها خلد ودام مكثه ، وقد جاء في الحديث ذكر شجرة الخلد فقال أبو داود الطيالسي حدثنا شعبة عن أبي الصمعي سمعت أبا هريرة يحدث عن النبي ﷺ قال «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها وهي شجرة الخلد» ورواه الامام أحمد ، وقوله (فأكلا منها فبدت لهما سوءا فلهما) قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن إشكاب حدثنا علي بن عاصم عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ «إن الله خلق آدم رجلا طولا كثيرا شعر الرأس كأنه نخلة سحوق فلما ذاق الشجرة سقط عنه لباسه فأول ما بدا منه عورته فلما نظر إلى عورته جعل يشتد في الجنة فأخذت شعره شجرة فنازعها فناداه الرحمن يا آدم مني نفر فلما سمع كلام الرحمن قال يارب لا ولكن استجيا، أرأيت ان تبت ورجعت أعائدي إلى الجنة قال نعم» فذلك قوله (فلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وهذا منقطع بين الحسن وأبي بن كعب فلم يسمعه منه وفي رفعه نظر أيضا

وقوله (وطبقا يخفضان عليهما من ورق الجنة) قال مجاهد يرقعان كهيئة الثوب وكذا قال قتادة والسدي ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن عون حدثنا سفيان عن ابن أبي ليلى عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وطبقا يخفضان عليهما من ورق الجنة) قال يزرعان ورق التين فيجعلانه على سواتهما وقوله (وعصى آدم ربه فغوى) ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدي) قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا أيوب بن النجار عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «حاج موسى آدم فقال له أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم؟ قال آدم يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه أنلوني على أمر كتبته الله علي قبل أن يخلقني أوقدره الله

لأنه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل عمود (فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) يعني على شجرة ان أكلت منها بقيت مخلداً (وملك لا يبلى) لا يبيد ولا يفتى (فأكلا) يعني آدم وحواء عليهما السلام (منها فبدت لهما سوءا فلهما) وطبقا يخفضان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه (بأكل الشجرة) (فغوى) يعني فعل ما لم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عن أكله فخاب ولم ينل مراده ، وقال ابن الاعرابي أي فسد عليه عيشه وصار من العز إلى الذل ومن الراحة إلى التعب

قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصى آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه إنما يقال عاص لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخطئ ثوبه يقال خاط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك ويعتاده حدثنا

علي قبل أن يخلفني - قال رسول الله ﷺ - فخرج آدم موسى « وهذا الحديث له طرق في الصحيحين وغيرهما من المسانيد .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني أنس بن عياض عن الحارث بن أبي ذئاب عن يزيد بن هرمز قال سمعت أبا هريرة يقول : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى قال موسى أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبطت الناس إلى الأرض بخطيئتك ؟ قال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء . وقربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلفني بأربعين سنة - قال رسول الله ﷺ - فخرج آدم موسى « قال الحارث وحدثني عبد الرحمن بن هرمز بذلك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ

قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا

يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة

اعمى (١٢٤) قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا (١٢٥) قال كذلك أتتك آياتنا

فنسيتها وكذلك اليوم تنسى (١٢٦)

يقول تعالى لا آدم وحواء وإبليس اهبطوا منها جميعا أي من الجنة كلهم وقد بسطنا ذلك في سورة البقرة (بعضكم لبعض عدو) قال آدم وذريته وإبليس وذريته ، وقوله (فاما يأتينكم مني هدى)

ابو الفضل زياد بن محمد الحنفى أنا أبو معاذ الشاه عبد الرحمن المزني أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد أنا يونس بن عبد الأعلى البغدادي أنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « احتج آدم وموسى عند ربهما قال موسى يا آدم أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أفتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلفني بأربعين سنة فخرج آدم موسى « ورواه عبد الرحمن الاعرج عن أبي هريرة وزاد « قال آدم يا موسى بكم وجدت كتب الله التوراة قبل أن أخلق ؟ قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى ؟ قال نعم قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله علي أن أعمله قبل أن يخلفني بأربعين سنة - قال رسول الله ﷺ - فخرج آدم موسى « ثم اجتبه ربه « اختاره واصطفاه « فتاب عليه « بالعفو « وهدى « هداة الى التوبة حتى قال ربنا ظلمنا أنفسنا « قال اهبطا

قال أبو العالية الأنبياء والرسل والبيان (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة (ومن أعرض عن ذكره أي خالف أمري وما أنزلته على رسولي أعرض عنه وتناساه وأخذ من غيره هداه) (فان له معيشة ضنكا) أي ضنكا في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشراح لصدره بل صدره ضيق حرج لضلالة وان تنعم ظاهره ولبس ماشاء وأكل ماشاء وسكن حيث شاء فان قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتردد فهذا من ضنك المعيشة قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (فان له معيشة ضنكا) قال الشقاء وقال العوفي عن ابن عباس (فان له معيشة ضنكا) قال كلما أعطيته عبداً من عبادي قل أو كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة ، وقال أيضا إن قوما ضللا أعرضوا عن الحق وكانوا في سعة من الدنيا متكبرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم كانوا يرون أن الله ليس مخلقا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتكذيب فإذا كان العبد يكذب بالله ويسمي الظن به والثقة به اشتدت عليه معيشته فذلك الضنك ، وقال الضحاك هو العمل السيء والرزق الخبيث وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفیان بن عيينة عن أبي حازم عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قوله [معيشة ضنكا] قال يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه قال أبو حاتم الرازي النعمان بن أبي عياض يكنى أباسلمة ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان أنبأنا الوليد أنبأنا عبد الله بن لهيعة عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ في قول الله عز وجل [فان له معيشة ضنكا] قال « ضمة القبر له » والموقوف أصح .

وقال ابن أبي حاتم أيضا حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح عن ابن حجريرة واسمه عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال « المؤمن في قبره في روضة خضراء ويفسح له في قبره سبعون ذراعا وبنار له في قبره كالقمر ليلة البدر أتدرون فيم أنزلت هذه الآية [فان له معيشة ضنكا] أتدرون ما المعيشة الضنك؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال منها جميعاً بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي يعني الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى » روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه الله في الدنيا من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سوء الحساب وذلك لأن الله يقول (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) وقال الشعبي عن ابن عباس أجاز الله تعالى تابع القرآن من أن يضل في الدنيا ويشقى في الآخرة وقرأ هذه الآية « ومن أعرض عن ذكره » يعني القرآن فلم يؤمن به ولم يتبعه » (فان له معيشة ضنكا) ضيقاً روي عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضيق حتى تختلف أضلاعه ، وفي بعض المسانيد مرفوعاً يلثم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث ، وقال الحسن هو الزقوم والضريع والفلسين في النار ، وقال

«عذاب الكافر في قبره والذي نفسي بيده أنه ليسلط عليه تسعة وتسعون تينا أتدرون ما التين تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رؤوس ينفخون في جسمه ويلسعونه ويخدشونه إلى يوم يبعثون» رفعه منكر جداً وقال البزار حدثنا محمد بن يحيى الأزدي حدثنا محمد بن عمر حدثنا هشام بن سعد عن سعيد ابن أبي هلال عن ابن حجية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله عز وجل (فإن له معيشة ضنكا) قال «المعيشة الضنك الذي قال الله أنه يسلط عليه تسعة وتسعون حبة ينشون لحمه حتى تقوم الساعة» وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (فإن له معيشة ضنكا) قال «عذاب القبر» اسناد جيد

وقوله (ونحشره يوم القيامة اعمى) قال مجاهد وأبو صالح والسدي لاحجة له وقال عكرمة هي عليه كل شيء الا جهنم، ويحتمل أن يكون المراد أنه يبعث أو يحشر إلى النار اعمى البصر والبصيرة أيضا كما قال تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكا وصما ماواه جهنم) الآية ولهذا يقول [رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا] أي في الدنيا [قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى] أي لما أعرضت عن آيات الله وعاملتها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها اليك تناسيتها وأعرضت عنها واغفلتها كذلك اليوم تعاملتك معاملة من نسيتك (فاليوم ننسوا كما نسوا لقاء يومهم هذا) فان الجزاء من جنس العمل. فأما نسيان لفظ القرآن مع فهم معناه والقيام بمقتضاه فليس داخلا في هذا الوعيد الخاص وان كان متوعداً عليه من جهة أخرى فإنه قد وردت السنة بالنهي الاكيد والوعيد الشديد في ذلك، قال الامام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «ما من رجل قرأ القرآن فنسيه الا لقي الله يوم يلقاه وهو أجزم» ثم رواه الامام أحمد من حديث يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فائد عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه وللعذاب الآخرة اشد وابقى (١٢٧)

عكرمة هو الحرام وقال الضحاك هو الكسب الخيث وعن ابن عباس قال الشقاء وروي عنه أنه قال كل مال أعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وان أقواما أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا مكثروا فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخالف لهم فاشتدت عليهم معاشيتهم من سوء ظنهم بالله قال سعيد بن جبير بسلبه القناعة حتى لا يشبع (ونحشره يوم القيامة اعمى) قال ابن عباس اعمى البصر وقال مجاهد اعمى عن الحجعة (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) بالعين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أتتك آياتنا فنسيتها) فتركها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) تترك في النار قال قتادة نسوا من الخير ولم ينسوا من العذاب (وكذلك) أي وكما جزينا من اعرض عن القرآن كذلك (نجزي من اسرف)

يقول تعالى وهكذا نجازي المفسدين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة (لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق) ولهذا قال (ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) أي أشد ألمًا من عذاب الدنيا وأدوم عليهم فهم يخلدون فيه ولهذا قال رسول الله ﷺ «لعملا عني» أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة»

أفلم يهد لهم كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مسكنهم أن في ذلك لآية لآولي النهي (١٢٨) ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى (١٢٩) فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى (١٣٠)

يقول تعالى أفلم يهد هؤلاء المكذبين بما جنتهم به يا محمد كم أهلكنا من الامم المكذبين بالرسول قبلهم فبادوا فليس لهم باقية ولا عين ولا أثر كما يشاهدون ذلك من ديارهم الخالية التي خلفهم فيها يمشون فيها (ان في ذلك لآيات لآولي النهي) أي العقول الصحيحة والالباب المستقيمة كما قال تعالى (أفلم يسيرا في الارض فنكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعي الابصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور) وقال في سورة ألم السعدية (أو لم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) الآية ثم قال تعالى (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) أي لولا الكلمة السابقة من الله وهو انه لا يعذب أحدا الا بعد قيام الحجة عليه والاجل اشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) مما نعذبهم به في الدنيا والقبر (واقى) وادوم (أفلم يهد لهم) يبين لهم القرآن يعني كفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم) ديارهم ومنازلهم اذا سافروا. والخطاب لقريش كانوا يسافرون الى الشام فيرون ديار المهلكين من اصحاب الحجر وعمود وقريات قوم لوط (ان في ذلك لآيات لآولي النهي) لذوي العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) فيه تقديم وتأخير تقديره ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم أي ولولا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاما أي لكان لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فاصبر على ما يقولون) نسختها آية القتال (وسبح بحمد ربك) أي صل بامر ربك وقيل صل لله بالحمد والثناء عليه (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آناء الليل) ساعاته واحدها إني (فسبح) يعني صلاة المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر وسمي وقت الظهر أطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول انتهاء وطرف النصف الآخر ابتداء وقيل المراد من آناء الليل صلاة العشاء ومن

المسمى الذي ضرب به الله تعالى لهؤلاء المكذبين الى مدة معينة لجاءهم العذاب بغتة ولهذا قال لنبيه
 مسلياً له (فاصبر على ما يقولون) أي من تكذيبهم لك (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس) يعني صلاة
 الفجر (وقبل غروبها) يعني صلاة العصر كما جاء في الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله
 عنه قال كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال «إنكم سترون
 ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس
 وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ هذه الآية وقال الامام أحمد حدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير
 عن عمارة بن ربيعة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن يلعج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس
 وقبل غروبها» رواه مسلم من حديث عبد الملك بن عمير به وفي المسند والسنن عن ابن عمر قال قال
 رسول الله ﷺ «أن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر في ملكه مسيرة ألفي سنة ينظر الى أقصاه كما
 ينظر الى أدناه وأن أعلاهم منزلة لمن ينظر الى الله تعالى في اليوم مرتين» وقوله (ومن آناه الليل فسبح)
 أي من ساعاته فتجد به وحمله بعضهم على المغرب والعشاء (وأطراف النهار) في مقابلة آناه الليل
 (لعلك ترضي) كما قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) وفي الصحيح «يقول الله تعالى بأهل
 الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ربنا وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم
 تعط أحداً من خلقك فيقول أنا أعطيتكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من ذلك فيقول
 أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» وفي الحديث الآخر «يا أهل الجنة إن لكم عند الله
 موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويحزننا عن النار
 ويدخلنا الجنة فيكشف الحجاب فينظرون الى فوائده ما أعطاهم خيراً من النظر اليه وهي الزيادة

أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب لأن الظهر في آخر الطرف الاول من النهار وفي أول الطرف
 الآخر من النهار فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وعند ذلك يصلي المغرب (لعلك
 ترضي) أي ترضى ثوابه في المعاد وقرأ الكسائي وأبو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه
 وقيل ترضى أي يرضاك الله تعالى كما قال (وكان عند ربه مرضياً) وقيل معنى الآية لعلك ترضى
 بالشفاعة كما قال (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب
 الحدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني أملاء أنا
 إبراهيم بن عبد الله السعدي أنا يزيد بن هارون أنا اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن
 جرير بن عبد الله قال كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر الى القمر ليلة البدر فقال «إنكم سترون
 ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس
 وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها)

ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى (١٣١) وأمر اهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعسكرة للتقوي (١٣٢)

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ لا تنظر الى ما هؤلاء المترفون وأشباهم ونظراؤهم فيه من النعيم فانما هو زهرة زائلة ونعمة حائلة لتختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد أزواجهم يعني الاغنياء فقد آتاك خيرا مما آتاهم كما قال في الآية الأخرى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك) الآية وكذلك ما ادخره الله تعالى لرسوله ﷺ في الآخرة أمر عظيم لا يحسد ولا يوصف كما قال تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) ولهذا قال (ورزق ربك خير وأبقى) وفي الصحيح ان عمر بن الخطاب لما دخل على رسول الله ﷺ في تلك المشربة التي كان قد اعتزل فيها نساءه حين آلى منهن فرآه متوسدا مضطجعا على رمال حصير وليس في البيت إلا صبرة من قرظ واهبة معلقة فابتدرت عينا عمر بالبكاء فقال له رسول الله ﷺ «ما يبكيك يا عمر؟» فقال يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت صفوة الله من خلقه فقال «أو في شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا» فكان ﷺ أزهد الناس في الدنيا مع القدرة عليها اذا حصلت له ينفقها هكذا وهكذا في عباد الله ولم يدخر لنفسه شيئا لقد قال ابن أبي حاتم أنبأنا يونس أخبرني ابن وهب أخبرني مالك عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال «ان أخوف ما أخاف عليكم ما يفتنح الله لكم من زهرة الدنيا» قالوا وما زهرة الدنيا يا رسول الله قال «بركات الارض» وقال قتادة والسدي زهرة الحياة الدنيا يعني زينة الحياة الدنيا وقال قتادة لنفتنهم فيه لتبليهم وقوله (وامر اهلك بالصلاة واصطبر عليها) أي استنقذهم من عذاب الله باقام الصلاة واصبر أنت على فعلها كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني هشام بن سعد عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه ان عمر ابن الخطاب كان يبيت عنده أنا وبرقا وكان له ساعة من الليل يصلي فيها فربما لم يقم فنقول لا يقوم

قوله تعالى ﴿ولا تمدن عينيك﴾ قال أبو رافع نزل برسول الله ﷺ ضيف فبعثني الى يهودي فقال لي قل له ان رسول الله يقول لك يعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فأتيته فقلت له ذلك فقال والله لا أبعه ولا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله ﷺ فاخبرته فقال «والله اني باعني واسلفني لقضيته واني لأمين في السما. وأمين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه» فترلت هذه الآية (ولا تمدن عينيك) لا تنظر (إلى مامتعنا به) اعطينا (أزواجا) اصنافا (منهم زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها وبهجتها وقرأ يعقوب زهرة بفتح الهاء وقرأ العامة بمجرمها (لنفتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن أزيد لهم النعمة فيزيدوا كفرا وطغيانا (ورزق ربك) في المعاد يعني

لليلة كما كان يقوم وكان إذا استيقظ أقام يعني أهله وقال وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها وقوله (لا نسألك رزقا نحن نرزقك) يعني إذا أفتت الصلاة أنك الرزق من حيث لا تحتسب كما قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) ويرزقه من حيث لا يحتسب وقال تعالى (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) الى قوله [ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين] ولهذا قال لا نسألك رزقا نحن نرزقك وقال الثوري لا نسألك رزقا أي لا نكلفك الطلب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا حفص ابن غياث عن هشام عن أبيه انه كان اذا دخل على أهل الدنيا فرأى من دنياهم طرفا فاذا رجع إلى أهله فدخل الدار قرأ [ولا تمدن عينيك - الى قوله - نحن نرزقك] ثم يقول الصلاة الصلاة رحيم الله وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطراني حدثنا سيار حدثنا جعفر عن ثابت قال كان النبي ﷺ إذا أصابه خصاصة نادى أهله يا أهله صلوا صلوا قال ثابت وكانت الانبياء اذا نزل بهم امر فزعوا إلى الصلاة وقد روى الترمذي وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبي خالد الوابي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غني واسد فقرك وان لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم اسد فقرك وروى ابن ماجه من حديث الضمعاك عن الاسود عن ابن مسعود سمعت نبيكم ﷺ يقول «من جعل الموم هما واحدا هم المعاد كفاه الله هم دنياه ومن تشعبت به الموم في احوال الدنيا لم يبال الله في اي اوديته هلك وروى ايضا من حديث شعبة عن عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن ابان عن أبيه عن زيد بن ثابت ثابت سمعت رسول الله ﷺ يقول «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه امره وجعل فقره بين عينيه ولم يات من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت الآخرة نيته جمع له امره وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقوله [والعاقبة للمتقوى] أي وحسن العاقبة في الدنيا والآخرة وهي الجنة لمن اتقى الله وفي الصحيح ان رسول الله ﷺ قال «رأيت الليلة كأننا في دار عقبة بن رافع وانا أتينا برطب من رطب ابن طاب فأولت ذلك ان العاقبة لنا في الدنيا والرفعة وان ديننا قد طاب

الجنة (خير وأبقى) قال أبي بن كعب : من لم يستعز بعز الله تقطعت نفسه حسرات ومن يتبع بصره فيما في ايدي الناس بطل حزنه ، ومن ظن أن نعمة الله في مطعمه ومشر به وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه (وأمر أهلك بالصلاة) أي قومك وقيل من كان على دينك كقوله تعالى (وكان يأمر أهله بالصلاة) (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشاء والمنكر (لا نسألك رزقا) لا نكلفك أن ترزق أحدا من خلقنا ، ولا أنت ترزق نفسك وإنما نكلفك عملا (نحن نرزقك والعاقبة) الخاتمة الجميلة المحمودة (للمتقوى) أي لاهل التقوى قال ابن عباس يعني الذين صدقوك واتبعوك واتفقوني وفي بعض المسانيد أن النبي ﷺ كان اذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية

وقالوا لولا يأتينا بآية من ربنا أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى (١٣٣) ولو أنا
أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولاً فنفتح آياتك من قبل أن
نزل ونخزي (١٣٤) قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوي
ومن اهتدى (١٣٥)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار في قولهم (لولا) أي هلا يأتينا محمد بآية من ربه أي بعلامة دالة
على صدقه في أنه رسول الله قال الله تعالى (أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) يعني القرآن الذي
أنزله عليه وهو أسمى لأحسن الكتابة ولم يدارس أهل الكتاب وقد جاء فيه أخبار الأولين بما كان
منهم في سالف الدهور بما يوافقه عليه الكتب المتقدمة الصحيحة منها فإن القرآن مهيمن عليها يعقد
الصحيح ويبين خطأ المكذوب فيها وعليها وهذه الآية كقوله تعالى في سورة العنكبوت (وقالوا لولا
أنزل عليه آية من ربنا قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين) أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك
الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون (وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ
أنه قال «ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً
أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» وإنما ذكر ههنا أعظم الآيات التي أعطاها
عليه السلام وهو القرآن وإلا فله من المعجزات ما لا يحصى كما هو مودع في كتبه ومقرر في
مواضعه ثم قال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا رسولاً) أي
لو أننا أهلكنا هؤلاء المكذبين قبل أن نرسل إليهم هذا الرسول الكريم ونزل عليهم هذا الكتاب
العظيم لكانوا قالوا (ربنا لولا أرسلنا رسولاً) قبل أن تهلكنا حتى نؤمن به ونتبعه كما قال
[فتفتح آياتك من قبل أن نزل ونخزي] يبين تعالى أن هؤلاء المكذبين متعتون معاندون لا يؤمنون

قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (لولا يأتينا بآية من ربنا) أي الآية المقترحة فانه كان
قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتهم بينة) قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم تأتتهم لتأنيث
البينة وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل ولأن البينة هي البيان فرد إلى المعنى بينة (ما في الصحف
الأولى) يعني بيان ما فيها وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية وقيل أولم تأتهم بيان ما في الصحف
الأولى التوراة والإنجيل وغيرها من أنباء الأمم أنهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها كيف
عجلنا لهم العذاب والهلاك فما يؤمنهم أن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك (ولو أنا أهلكناهم
بعذاب من قبله) يعني من قبل إرسال الرسول وأنزال القرآن (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلنا
رسولاً) يدعوننا أي لقالوا يوم القيامة (فتفتح آياتك من قبل أن نزل ونخزي) بالعذاب والذل

[ولو جاءتهم كل آية حتى بروا العذاب الاليم] كما قال تعالى [وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون] الى قوله بما كانوا يصدفون [وقال] وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم [الآية] . وقال [وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها] الآيتين . ثم قال تعالى [قل] أي يا محمد لمن كذبتك وخالفك واستمر على كفره وعناده [كل متربص] أي منا ومنكم [فتربصوا] أي فانتظروا [فستعلمون] من أصحاب الصراط السوي [أي الطريق المستقيم] ومن اهتدى [الى الحق وسبيل الرشاد]

وهذا كقوله تعالى [وسوف يعلمون حين يرون

العذاب من أضل سبيلا] وقال

[سيعلمون غداً من

الكذاب الاشر]

آخر تفسير سورة طه والله الحمد والمنة

﴿ ويتلوه ان شاء الله تفسير سورة الانبياء والله الحمد ﴾

والهوان والحزي والافتضاح ﴿ قل كل متربص ﴾ منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا
تربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات تخلصنا قال الله تعالى ﴿ فتربصوا ﴾ فانتظروا ﴿ فستعلمون ﴾
اذا جاء امر الله وقامت القيامة ﴿ من أصحاب الصراط السوي ﴾

المستقيم ﴿ ومن اهتدى ﴾ من

الضلالة نحن أم اثم



﴿ تفسير سورة الانبياء عليهم السلام وهي مكية ﴾

قال البخاري حدثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله قال : بنو اسرائيل والكهف ومريم وطه والانبياء هن من العتاق الاول وهن من تلادي (بسم الله الرحمن الرحيم)

اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون (١) ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون (٢) لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا ، هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون (٣) قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم (٤) بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الاولون (٥) ما آمنت قلوبهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون (٦)

هذا تنبيه من الله عز وجل على اقتراب الساعة ودنوها وإن الناس في غفلة عنها أي لا يعملون لها ولا يستعدون من أجلها ، وقال النسائي حدثنا أحمد بن نصر حدثنا هشام بن عبد الملك أبو الوليد الطيالسي حدثنا أبو معاوية حدثنا الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد عن النبي ﷺ [في غفلة معرضون] قال [في الدنيا] وقال تعالى [أتى أمر الله فلا تستعجلوه] وقال [اقتربت الساعة وانشق القمر ، وإن يروا آية يعرضوا] الآية . وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الحسن بن هاني ، أبي نواس الشاعر انه قال : أشعر الناس الشيخ الطاهر أبو العتاهية حيث يقول

﴿ سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ﴾

﴿ مكية وهي مائة واثنان عشرة آية ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقرب للناس ﴾ قبل اللام بمعنى من يعني اقرب من الناس ﴿ حسابهم ﴾ يعني وقت محاسبة الله إياهم على اعمالهم يعني يوم القيامة نزلت في منكري البعث ﴿ وهم في غفلة معرضون ﴾ عن التأهب له ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث ﴾ يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به قال مقاتل يحدث الله الامر بعد الامر وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي ﷺ وبينه من السنن (تفسير ابن كثير والبغوي) (٦٠) (الجزء الخامس)

الناس في غفلتهم * ورحا المنية تطعن

ف قيل له من أين أخذ هذا ؟ قال من قول الله تعالى [اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] وروي ^(١) في ترجمة عامر بن ربيعة من طريق موسى بن عبيد الآمدي عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عامر بن ربيعة أنه نزل به رجل من العرب فأكرم عامر مشواه وكلم فيه رسول الله ﷺ فجاءه الرجل فقال اني استقطعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم واديا في العرب وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك . فقال عامر لا حاجة لي في قطيعتك نزلت اليوم سورة أذهلتنا عن الدنيا [اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون] ثم أخبر تعالى انهم لا يصغون الى الوحي الذي أنزل الله على رسوله والخطاب مع قريش ومن شابههم من الكفار فقال [ما يأتيتهم من ذكر من ربهم محدث] أي جديد انزاله [إلا استمعوه وهم يلعبون] كما قال ابن عباس : ما لكم تسألون اهل الكتاب عما بأيديهم وقد حرفوه وبدلوه وزادوا فيه وتقصوا منه وكتابكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يشب . رواه البخاري بنحوه ، وقوله [وأمسروا النجوى الذين ظلموا] أي قائلين فيما بينهم خفية [هل هذا إلا بشر مثلكم] يعنون رسول الله ﷺ يستبعدون كونه نبياً لانه بشر مثلهم فكيف اختص بالوحي دونهم ولهذا قال (أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون) أي أفنتبعونه فتكونون كن يأتي السحر وهو يعلم أنه سحر فقال تعالى محبباً لهم عما افتروه واختلقوه من الكذب (قال ربي يعلم القول في السماء والارض) أي الذي يعلم ذلك لا يخفى عليه خافية وهو الذي أنزل هذا القرآن المشتمل على خبر الاولين والآخرين الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله إلا الذي يعلم السر في السموات والارض وقوله (وهو السميع العليم) أي السميع لا قوالكم العليم بأحوالكم وفي هذا تهديد لهم ووعد ، وقوله (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه) هذا إخبار عن تعنت الكفار وإلحادهم واختلافهم فيما يصغون به القرآن وحيرتهم فيه وضلالهم عنه فتارة يجعلونه سحراً وتارة يجعلونه شعراً وتارة يجعلونه أضغاث

(١) هذا الخبر

غير موجود في
النسخة المكية

والمواظ على القرآن وأضافه الى الرب عز وجل لانه بأمر الرب ﴿ إلا استمعوه وهم يلعبون ﴾ يعني استمعوه لا عيين لا يعتبرون ولا يتعظون ﴿ لاهية ﴾ ساهية غافلة ﴿ قلوبهم ﴾ معرضة عن ذكر الله وقوله (لاهية) نعت تقدم الاسم ومن حق النعت أن يتبع الاسم في الاعراب واذا تقدم النعت الاسم فله حالتان فصل ووصل فحالته في الفصل النصب كقوله تعالى (خشعا ابصارهم - ودانية عليهم ظلالها - ولاهية قلوبهم ، وفي الوصل حالة ما قبله من الاعراب كقوله (ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) ﴿ وأمسروا النجوى الذين ظلموا ﴾ يعني امسروا قوله (وأمسروا) فعل تقدم الجمع وكان حقه وأمر قال الكسائي فيه تقديم وتأخير أراد الذين ظلموا أمسروا النجوى وقيل محل الذين رفع على الابتداء . معناه وأمسروا النجوى ثم قال وهم الذين ظلموا وقيل رفع على البدل من الضمير في أمسروا قال المبرد هذا كقولك ان الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله على اليد مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي

أحلام وتارة يجعلونه مقترى كما قال [انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا] وقوله [فليأتنا بآية كما ارسل الاولون] يعنون كناية صالح وآيات موسى وعيسى وقد قال الله [وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون] الآية. ولهذا قال تعالى [ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون] أي ما آتينا قرية من القرى الذين بعث فيهم الرسل آية على يدي نبيها فآمنوا بها بل كذبوا فأهلكناهم بذلك أفهؤلاء يؤمنون بالآيات لو رأوها دون أولئك كلا بل (ان الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الاليم) هذا كله وقد شاهدوا من الآيات الباهرات والحجج القاطعات والدلائل البينات على يدى رسول الله ﷺ ما هو أظهر وأجلى وأبهر وأقطع وأقهر مما شوهد مع غيره من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

قال ابن أبي حاتم رحمه الله ذكر عن زيد بن الحبيب حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد الحضرمي عن علي بن رباح اللخمي حدثني من شهد عبادة بن الصامت يقول : كنا في المسجد ومعنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقرأ بعض القرآن فجاء عبد الله بن أبي بن سلول ومعه نمرقة ودرية فوضع وانكأ وكان صبيحا فصيحيا جدلا فقال يا أبا بكر قل لمحمد يأتينا بآية كما جاء الاولون ؟ جاء موسى بالالواح وجاء داود بالزبور وجاء صالح بالناقة وجاء عيسى بالانجيل وبالمائدة فبكى أبو بكر رضي الله عنه فخرج رسول الله ﷺ فقال أبو بكر قوموا بنا الى رسول الله ﷺ نستغيث به من هذا المنافق . فقال رسول الله ﷺ « انه لا يقام لي انما يقام لله عز وجل » فقلنا يا رسول الله إنا لقينا من هذا المنافق ، فقال « ان جبريل قال لي اخرج فأخبر بنعم الله التي أنعم بها عليك وفضيلته التي فضلت بها فبشرني اني بعثت الى الاحمر والاسود وأمرني أن أنذر الجن وأتاني كتابه وأنا أمي وغفر ذنبي ما تقدم وما تأخر وذكر اسمي في الاذان وأمدني بالملائكة وأتاني النصر وجعل الرعب امامي وأتاني الكوثر وجعل حوضي من أكثر الحياض يوم القيامة ووعدني المقام المحمود والناس مهبطون مقنعون رؤسهم وجعلني في أول زمرة تخرج من الناس وأدخل في شفاعتي سبعين ألفا من أمتي الجنة بغير حساب

تناجوا به فقال « هل هذا إلا بشر مثلكم » انكروا ارسال البشر وطلبوا ارسال الملائكة « أفأتأتون السحر » يعني تحضرون السحر وتقبلونه « وانتم تبصرون » تعلمون أنه سحر « قل » لهم يا محمد « ربي يعلم القول في السماء والارض » قرأ حمزة والكسائي وحفص قل ربي على الخبر عن محمد ﷺ (يعلم القول في السماء والارض) أي لا يخفى عليه شيء « وهو السميع » لا قوا لهم « العليم » بافعالهم « بل قالوا اضغات أحلام » أباطيلها وأقاويلها وأها ويلها رأها في النوم « بل اقترأه » اختلقه « بل هو شاعر » يعني ان المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله بعضهم اضغات أحلام وقال بعضهم بل هو غرقة وقال بعضهم بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر « فليأتنا » محمد « بآية » ان كان صادقا « كما ارسل الاولون » من الرسل بالآيات قال الله تعالى نجيبا لهم « ما آمنت قبلهم » أي قبل مشركي

وأتاني السلطان والملك وجعلني في أعلى غرفة في الجنة في جنات النعيم فليس فوق أحد إلا الملائكة الذين يحملون العرش وأحل لي ولأمتي الغنائم ولم تحل لأحد كان قبلنا « وهذا الحديث غريب جدا

وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧)

وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (٨) ثم صدقناهم الوعد فأنجينهم

ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩)

يقول تعالى راداً علي من أنكر بعثة الرسل من البشر [وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم] أي جميع الرسل الذين تقدموا كانوا رجالا من البشر لم يكن فيهم أحد من الملائكة كما قال في الآية الأخرى (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى) وقال تعالى (قل ما كنت بدعا من الرسل) وقال تعالى حكاية عن تقدم من الأنهم أنكروا ذلك فقالوا (أبشر يهودنا) ولهذا قال تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) أي اسألوا أهل العلم من الأمم كاليهود والنصارى وسائر الطوائف هل كان الرسل الذين أنعم بشراً أو ملائكة وإنما كانوا بشراً وذلك من تمام نعمة الله على خلقه إذ بعث فيهم رسلا منهم يتمكنون من تناول البلاغ منهم والأخذ عنهم . وقوله (وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) أي بل قد كانوا أجساداً يأكلون الطعام كما قال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) أي قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس ويدخلون الأسواق للتكسب والتجارة وليس ذلك بضار لهم ولا ناقص منهم شيئاً كما توهمه المشركون في قولهم (ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً) أو يلقي إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها) الآية . وقوله (وما كانوا خالدين)

مكة (من قرية) أي من أهل قرية أمتهم الآيات (أهلكناها) أهلكناهم بالكذب (أفهم يؤمنون) ان جاءتهم آية معناه أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما أمتهم أفهم يؤمن هؤلاء . (وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي اليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم يعني إننا لم نرسل الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجالا نوحي اليهم (فاسألوا أهل الذكر) يعني أهل التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشراً وان أنكروا نبوة محمد ﷺ وأمر المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبى ﷺ اقرب منهم إلى تصديق من آمن به، وقال ابن زيد أراد بالذكر القرآن أراد فاسألوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (ان كنتم لا تعلمون) وما جعلناهم (أي الرسل) جسداً ولم يقل أجساداً لأنه اسم الجنس (لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم (ما لهذا الرسول) يأكل الطعام يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين)

أي في الدنيا بل كانوا يعيشون ثم يموتون (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وخاصتهم أنهم يوحى اليهم من الله عز وجل تنزل عليهم الملائكة عن الله بما يحكمه في خلقه مما يأمر به وينهى عنه . وقوله (ثم صدقناهم الوعد) أي الذي وعدهم ربهم ليهلكن الظالمين صدقهم الله وعده وفعل ذلك ولهذا قال (فأنجيناهم ومن نشأ) أي أتباعهم من المؤمنين (وأهلكنا المسرفين) أي المكذبين بما جاءت به الرسل

لقد أنزلنا اليكم كتباً فيه ذكركم أفلا تعقلون (١٠) وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة

وأنشأنا بعدها قوماً آخرين (١١) فلما أحسوا بأسنا إذا هم منها يركضون (١٢) لا تركضوا

وارجعوا إلى ما أنزقم فيه ومساءكنكم لعلكم تستلثون (١٣) قالوا يا سويلنا إنا كنا ظالمين (١٤)

فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين (١٥)

يقول تعالى منها على شرف القرآن ومحرضاتهم على معرفة قدره [لقد أنزلنا اليكم كتاباً فيه ذكركم] قال ابن عباس شرفكم وقال مجاهد حديثكم وقال الحسن دينكم [أفلا تعقلون] أي هذه النعمة وتلقونها بالقبول كما قال تعالى [وانه لذكر لك ولقومك وسوف تستلثون] وقوله [وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة هذه صيغة تكثير كما قال [وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح] وقال تعالى [وكان من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها] الآية . وقوله [وأنشأنا بعدها قوماً آخرين] أي أمة أخرى [فلما أحسوا بأسنا] أي تيقنوا ان العذاب واقع بهم لا محالة كما وعدهم نبيهم [إذا هم منها يركضون] أي يفرون هاربين [لا تركضوا وارجعوا إلى ما أنزقم فيه ومساءكنكم] هذا نهكم بهم

في الدنيا ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ الذي وعدناهم باهلاك اعدائهم ﴿فأنجيناهم ومن نشأ﴾ يعني أنجيناهم المؤمنين الذين صدقوهم ﴿وأهلكنا المسرفين﴾ يعني المشركين المكذبين وكل مشرك مسرف على نفسه ﴿لقد أنزلنا اليكم كتاباً﴾ يامعشر قريش ﴿فيه ذكركم﴾ يعني شرفكم كما قال (وانه لذكر لك ولقومك) وهو شرف لمن آمن به وقال مجاهد فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم أي ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم ﴿أفلا تعقلون﴾ وكم قصصنا ﴿أهلكنا والقسم الكسر﴾ من قرية كانت ظالمة ﴿أي كافرة﴾ يعني أهلها ﴿وأنشأنا بعدها﴾ يعني أحدثنا بعدها هلاك أهلها ﴿قوماً آخرين﴾ فلما أحسوا بأسنا يعني رأوا عذابنا بحاسة البصر ﴿إذا هم منها يركضون﴾ يعني يسرعون هاربين ﴿لا تركضوا﴾ يعني قيل لهم لا تركضوا لأنهم يركضون لا تذهبوا ﴿وارجعوا إلى ما أنزقم فيه﴾ يعني انعمم به ﴿ومساءكنم لعلكم تستلثون﴾ قال ابن عباس عن قتل نبيكم وقيل من دنياكم شيئاً نزلت هذه الآية في أهل حضر موت وهي قرية باليمن وكان أهلها من العرب فبعث الله اليهم نبياً يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم مختصر حتى قتلهم وسبهم فلما استمر فيهم القتل ندموا وهربوا وانهمزوا فقالت الملائكة لهم استهزاء (لا تركضوا)

قدرا أي قيل لهم قدرا لا تركضوا هاربين من نزول العذاب وارجعوا الى ما كنتم فيه من النعمة والسرور والمعيشة والمساكن الطيبة ، قال قتادة استهزاء بهم [لعلكم تستلون] أي عما كنتم فيه من اداء شكر النعم [قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين] اعترفوا بذنوبهم حين لا ينفعم ذلك [فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين] أي مازالت تلك المقالة وهي الاعتراف بالظلم هجيراً لهم حتى حصدها حصداً وخذت حر كلهم وأصواتهم خوداً

وما خلقنا السماء والارض وما بينهما ليعين (١٦) لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه

من لدنا إن كنا فاعلين (١٧) بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم

الويل مما تصفون (١٨) وله من في السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته

ولا يستحسرون (١٩) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٢٠)

يخبر تعالى انه خلق السموات والارض بالحق أي بالعدل والقسط ليعزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى وانه لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً كما قال [وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار] وقوله تعالى [لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين] قال ابن أبي نجيح عن مجاهد [لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً لاتخذناه من لدنا] يعني من عندنا ، يقول وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتاً ولا عبثاً ولا حساباً ، وقال الحسن وقاتلة وغيرها [لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً] الله المرأة بلسان أهل اليمن ، وقال ابراهيم النخعي [لاتخذناه] من الخور العين ، وقال عكرمة والسدي المراد بالله ههنا الولد وهذا والذي قبله متلازمان وهو كقوله

وارجعوا إلى ما أنفقتم فيه ومساكنكم وأموالكم لعلكم تستلون قال قتادة لعلكم تستلون شيئاً من دنياكم فتعطون من شئكم وتمنعون من شئكم فانكم أهل ثروة ونعمة ويقولون ذلك استهزاء بهم فاتبعهم مختصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد في جو السماء يا نارات الانبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالذنوب حين لم ينفعهم [قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين] فما زالت تلك دعواهم أي تلك السكامة وهي قولهم يا ويلنا دعاؤهم يدعون بها ويرددونها [حتى جعلناهم حصيداً] بالسيوف كما يحصد الزرع [خامدين] ميتين [وما خلقنا السماء والارض وما بينهما ليعين] أي عبثاً وباطلاً [لو أردنا أن نتخذ لهم آياتاً] اختفوا في الله قال ابن عباس في رواية عطاء الله ههنا المرأة وهو قول الحسن وقاتلة وقال في رواية الكشي الله الولد وهو قول السدي وهو في المرأة أظهر لان الوطء يسمى طوءاً في اللغة والمرأة محل الوطء [لاتخذناه من لدنا] يعني من عندنا من الخور العين لان عندكم من أهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزاً في صفته لم يتخذ به حيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وتأويل الآية ان

تعالى [لو أراد الله أن يتخذ ولداً لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار] فتره نفسه عن اتخاذ الولد مطلقاً ولا سيما عما يقولون من الافك والباطل من اتخاذ عيسى أو العزير أو الملائكة [سبحانه الله عما يقولون علواً كبيراً]

وقوله [إن كنا فاعلين] قال قتادة والسدي وإبراهيم النخعي ومغيرة بن مقسم أي ما كنا فاعلين وقال مجاهد كل شيء في القرآن إن فهو إنكار ، وقوله [بل نقذف بالحق على الباطل] أي نبين الحق فيدحض الباطل ولم هذا قال [فيدمغه فاذا هو زاهق] أي ذاهب مضمحل [ولكم الويل] أي أيها القائلون لله ولد [مما تصفون] أي تقولون وتفترون ، ثم أخبر تعالى عن عبودية الملائكة له ودأبهم في طاعته ليلاً ونهاراً فقال [وله من في السموات والارض ومن عنده] يعني الملائكة [لا يستكبرون عن عبادته] أي لا يستكفون عنها كما قال [لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ، ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً] وقوله (ولا يستحسرون) أي لا يتعبون ولا يملون [يسبحون الليل والنهار لا يفترون] فهم دائرون في العمل ليلاً ونهاراً مطيعون قصداً وعمل قادرون عليه كما قال تعالى [لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤسرون] وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن أبي دلامة البغدادي أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء حدثنا سعيد عن قتادة عن صفوان ابن محرز عن حكيم بن حزام قال: بينا رسول الله ﷺ بين أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع » قالوا ما نسمع من شيء . فقال رسول الله ﷺ « أني لأسمع أطيظ السماء وما تلام أن تنط وما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك ساجد أو قائم » غريب ولم يخرجوه ثم رواه أعني ابن أبي حاتم من طريق يزيد بن أبي زريع عن سعيد عن قتادة مرسلاً ، وقال محمد بن إسحاق عن حسان بن محراق عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل قال جلست الى كعب الاحبار وأنا غلام فقلت له أرايت قول الله تعالى للملائكة

النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بهذا وقال لا اتخذناه من لدنا لانكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ﴿ ان كنا فاعلين ﴾ قال قتادة ومقاتل وابن جريج ان للنفي معناه ما كنا فاعلين ، وقيل ان كنا فاعلين للشرط أي ان كنا ممن يفعل ذلك لا اتخذناه من لدنا ولكننا لم نفعله لانه لا يليق بالربوبية ﴿ بل ﴾ يعني دع ذلك الذي قالوا فانه كذب وباطل ﴿ نقذف ﴾ نرمي ونسلط ﴿ بالحق ﴾ بالايان ﴿ على الباطل ﴾ على الكفر ، وقيل الحق قول الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولداً ﴿ فيدمغه ﴾ يعني يهلكه وأصل الدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ ﴿ فاذا هو زاهق ﴾ ذاهب والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يضمحل ويذهب ثم أوعدهم على كذبهم فقال ﴿ ولكم الويل ﴾ يامعشر الكفار ﴿ مما تصفون ﴾ الله بما لا يليق به من الصاحب والولد ، وقال مجاهد مما تكذبون ﴿ وله من في السموات والارض ﴾ عبيداً وملكاً ﴿ ومن عنده ﴾ يعني الملائكة ﴿ لا يستكبرون عن عبادته ﴾ ولا يأنفون عن عبادته ولا يتعظمون عنها ﴿ ولا يستحسرون ﴾

٤٨٠ امتناع وجود آلهة في السموات والارض غير الله الأحد (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

(يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أما يشغلهم عن التسبيح الكلام والرسالة والعمل . فقال من هذا الفلام ؟ فقالوا من بني عبدالمطلب ، قال فقبل رأسي ثم قال : يا بني انه جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس أليس تكلم وأنت تتنفس وتمشي وأنت تتنفس

أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون (٢١) لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا

فسبحن الله رب العرش عما يصفون (٢٢) لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون (٢٣)

ينكر تعالى على من اتخذ من دونه آلهة فقال (أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون) أي أم يحبون الموتى وينشرونهم من الارض أي لا يقدر على شيء . من ذلك فكيف جعلوا لله ندا وعبدوها معه ، ثم أخبر تعالى انه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السموات والارض فقال (لو كان فيهما آلهة أي في السموات والارض) لفسدتا كقوله تعالى (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) وقال ههنا (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) أي عما يقولون ان له ولداً أو شريكاً سبحانه وتعالى وتقدس وتنزه عن الذي يفترون ويأفكون علواً كبيراً . وقوله (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون) أي هو الحاكم الذي لا معقب لحكمه ولا يعترض عليه أحد لعظمته وجلاله وكبريائه وعلمه وحكمته وعدله ولطفه (وهم يسئلون) أي وهو سائل خلقه عما يعملون كقوله (فادعهم ليؤمنوا به) فادعهم ليؤمنوا به (وهذا كقوله تعالى) وهو يجير ولا يجار عليه)

أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل

لا يعيرون يقال حسر واستحسر اذا تعب وأعبأ ، وقال السدي لا ينقطعون عن العبادة (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) لا يضعفون . قال كعب الاحبار التسبيح لهم كالنفس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة) استفهام بمعنى الجحد أي لم يتخذوا (من الارض) يعني الاصنام من الخشب والحجارة وهما من الارض (هم ينشرون) يحبون الاموات ولا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والابجاد من العدم والانعام بأبلغ وجوه النعم (لو كان فيهما) يعني في السماء والارض (آلهة إلا الله) يعني غير الله (لفسدتا) لخربتا وذلك من فيهما بوجود الثمان بين الآلهة لان كل أمر صدر عن اثنين فأكثر لم يجر على النظام ثم نزه نفسه فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) يعني عما يصفونه به المشركون من الشريك والولد (لا يسئل عما يفعل) ويحكم على خلقه لانه الرب (وهم يسئلون) يعني الخلق يسئلون عن أفعالهم وأعمالهم لانهم عبيد (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفهام انكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) يعني حجبتكم على ذلك ثم قال مستأنفا (هذا) يعني القرآن (ذكر

أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون (٢٤) وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون (٢٥)

يقول تعالى (أم اتخذوا من دون الله آلهة قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) أي دليلكم على ما تقولون (هذا ذكر من معي) يعني القرآن (وذكر من قبلي) يعني الكتب المتقدمة على خلاف ما تقولونه وتزعمون فكل كتاب أنزل على كل نبي أرسل ناطق بأنه لا إله إلا الله ولكن أنتم أيها المشركون لا تعلمون الحق فأنتم معرضون عنه ولهذا قال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) كما قال (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) وقال (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والقطرة شاهدة بذلك أيضا والمشركون لا يبرهان لهم وحببتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون (٢٦) لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون (٢٧) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا إن ارتضى وهم من خشيته مشفقون (٢٨) ومن يقل منهم أي إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين (٢٩)

يقول تعالى رادا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولداً من الملائكة كن قال ذلك من العرب إن الملائكة بنات الله فقال (سبحانه بل عباد مكرمون) أي الملائكة عباد الله مكرمون عنده في منازل عالية ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة قولاً وفعلاً (لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) من معي (فيه خير من معي على ديني ومن تبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية) (وذكر) خبر (من قبلي) من الأمم السالفة نافصل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وعن ابن عباس في رواية عطاء ذكر من معي القرآن وذكر من قبلي التوراة والإنجيل ومعناه راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذا ولداً (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحى إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله (وما أرسلناك) وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهور (أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وحدون (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أي هم عباد يعني الملائكة (مكرمون لا يسبقونه بالقول) لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون

(تفسير ابن كثير والبغوي)

أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل يبادرون إلى فعله وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) وقوله (ولا يشفعون إلا لمن أَرْضَى) كقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه) وقوله (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) في آيات كثيرة في معنى ذلك (وهم من خشيته) أي من خوفه ورهبته (مشفقون * ومن يقل منهم إني إله من دونه) أي من ادعى منهم أنه إله من دون الله أي مع الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أي كل من قال ذلك وهذا شرط والشرط لا يلزم وقوعه كقوله (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وقوله (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)

أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون (٣٠) وجعلنا في الأرض رءوسا أن تعبدوهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلمهم يهتدون (٣١) وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون (٣٢) وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون (٣٣)

يقول تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم في خلقه الاشياء وقهره لجميع المخلوقات فقال (أو لم ير الذين كفروا) أي الجاحدون لآلهيته العابدون معه غيره ألم يعلموا أن الله هو المستقل بالخلق المستبد بالتدبير فكيف يليق أن يعبد معه غيره أو يشرك به ماسواه ألم يروا أن السموات والارض كانتا رتقا أي كان الجميع متصلا ببعضه ببعض متلاصق مترامك بعضه فوق بعض في ابتداء الأمر ففتق هذه من هذه فجعل السموات سبعا والارض سبعا وفصل بين السماء الدنيا والارض بالهواء فامطرت السماء وأنبتت الارض ولهذا قال (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) أي وهم

إلا بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) معناه أنهم لا يخالفونه قولا ولا عملا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون إلا لمن أَرْضَى) قال ابن عباس أي إلا لمن قال لا إله إلا الله. وقال مجاهد أي لمن رضي عنه (وهم من خشيته مشفقون) خائفون لا يأمنون منكروه (ومن يقل منهم إني إله من دونه) قال مقاتل عني به ابليس حين دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه فان أحدا من الملائكة لم يقل إني إله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعها (أو لم ير الذين كفروا) قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير لم بر بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم معناه ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والارض كانتا رتقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما والضعفك وعطاء وقنادة كانتا شيئا واحدا ملتزمتين (ففتقناهما) فصلنا بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد والفتق

يشاهدون المخلوقات تحدث شيئا فشيئا عيانا وذلك كله دليل على وجود الصانع الفاعل المختار القادر على ما يشاء.
ففي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

قال سفيان الثوري عن أبيه عن عكرمة قال سئل ابن عباس الليل كان قبل أو النهار؟ فقال
أرايتم السموات والارض حين كانتا رتقا هل كان بينهما الاظلمة ذلك لتعلموا أن الليل قبل النهار
وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابراهيم بن أبي حمزة حدثنا حاتم عن حمزة بن أبي محمد
عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر أن رجلا أتاه بسأله عن (السموات والارض كانتا رتقا ففتقناها)
قال اذهب إلى ذلك الشيخ فاسأله ثم تعال فاخبرني بما قال لك قال فذهب إلى ابن عباس فسأله
فقال ابن عباس نعم كانت السموات رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت فلما خلق للارض أهلا
فتق هذه بالمطر وفتق هذه بالنبات فرجع الرجل إلى ابن عمر فاخبره فقال ابن عمر الآن قد علمت
أن ابن عباس قد أوتي في القرآن علما صدق هكذا كانت قال ابن عمر قد كنت أقول ما يعجبني جرادة
ابن عباس على تفسير القرآن فالآن علمت أنه قد أوتي في القرآن علما وقال عطية العوفي كانت هذه
رتقا لا تمطر فاسطرت وكانت هذه رتقا لا تنبت فانبتت ، وقال اسماعيل بن أبي خالدة سألت أبا صالح
الحنفي عن قوله (أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناها) قال كانت السماء واحدة ففتق منها سبع
سموات وكانت الارض واحدة ففتق منها سبع أرضين ، وهكذا قال مجاهد وزاد ولم تكن السماء
والارض مناسيتين ، وقال سعيد بن جبير بل كانت السماء والارض ملزمتين فلما رفع السماء وأبرز
منها الارض كان ذلك فتقهما الذي ذكر الله في كتابه ، وقال الحسن وقتادة كانتا جميعا ففصل بينهما
بهذا الهواء وقوله (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي أصل كل الاحياء

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجاهر حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن أبي ميمون
عن أبي هريرة أنه قال يأنبي الله إذا رأيتك قرت عيني وطابت نفسي فاخبرنا عن كل شيء قال
«كل شيء خلق من ماء»

الشق قال كعب خلق الله السموات والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا فوسطها ففتحها بها قال
مجاهد والسدي كانت السموات مرتقة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الارض
كانت مرتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين قال عكرمة وعطية كانت السماء رتقا لا تمطر والارض
رتقا لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات وإنما قال رتقا على التوحيد وهو من نعت السموات
والارض لانه مصدر وضع موضع الاسم مثل الزور والصوم ونحوهما (وجعلنا) وخلقنا (من الماء
كل شيء حي) أي أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه
النبات والشجر يعني أنه سبب الحياة كل شيء والمفسرون يقولون يعني أن كل شيء حي فهو مخلوق
من الماء لقوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) قال أبو العالية يعني النطفة فإن قيل قد خلق الله

وقال الامام احمد حدثنا يزيد حدثنا همام عن قتادة عن ابي ميمونة عن ابي هريرة قال قلت لرسول الله إني إذا رأيتك طلبت نفسي وقرت عيني فأنبئني عن كل شيء قال «كل شيء خلق من ماء» قال قالت أنبئني عن أمر إذا عملت به دخلت الجنة قال «أفش السلام واطعم الطعام وصل الأرحام وقم بالليل والناس نيام ثم ادخل الجنة بسلام» ورواه أيضا عبد الصمد وعفان وبهز عن همام تفرده أحمد وهذا إسناد على شرط الصحيحين إلا أن أبا ميمونة من رجال السنن واسمه سليم والترمذي يصحح له وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة مرسلًا والله أعلم

وقوله (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالا أرسى الأرض بها وقررها وثقلها لئلا تميد بالناس أي تضطرب وتحرك فلا يحصل لهم قرار عليها لأنها غامرة في الماء إلا مقدار الربع فإنه باد للهواء والشمس ليشاهد أهلها السماء وما فيها من الآيات الباهرة والحكم والدلالات، ولهذا قال (أن تميد بهم) أي لئلا تميد بهم، وقوله [وجعلنا فيها فجاجا سبلا] أي ثغرا في الجبال يسلكون فيها طرقا من قطر إلى قطر وإقليم إلى إقليم كما هو المشاهد في الأرض يكون الجبل حائلا بين هذه البلاد وهذه البلاد فيجعل الله فيه فجوة ثغرة يسلك الناس فيها من ههنا إلى ههنا ولهذا قال (لعلهم يهتدون) وقوله [وجعلنا السماء سقفا محفوظا] أي على الأرض وهي كالقبة عليها كما قال [والسما بنيناها بإيد وانا لموسعون] وقال [والسما وما بناها] أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والبناء هو نصب القبة كما قال رسول الله ﷺ «بني الإسلام على خمس» أي خمسة دعائم وهذا لا يكون إلا في الخيام كما تعهد العرب [محفوظا] أي عاليا محروسا أن ينال وقال مجاهد مرفوعا

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدستقي حدثني أبي عن أبيه عن أشعث يعني ابن إسحاق القمي عن جعفر بن أبي الغيرة عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال قال رسول الله ما هذه السماء قال «موج مكفوف عنكم» أسنده غريب وقوله [وهم عن آياتها]

بعض ما هو حي من غير الماء قيل هذا على وجه التكثير يعني أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاءه بالماء «أفلا يؤمنون وجعلنا في الأرض رواسي» أي جبالا ثوابت «أن تميد بهم» لئلا تميد بهم «وجعلنا فيها» في الرواسي «فجاجا» طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين أي جعلنا بين الجبال طرقا كي يهتدوا إلى مقاصدهم «سبلا» تفسير لفجاج «لعلهم يهتدون وجعلنا السماء سقفا محفوظا» من أن تسقط دليله قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه) وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب دليله قوله تعالى (وحفظناها من كل شيطان رجيم) «وهم» يعني الكفار «عن آياتها» أي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها «معرضون» لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها «وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون» يسبحون ويسبرون بسرمة كالساج في الماء وإنما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل

معرضون [كقوله] وكأين من آية في السموات والارض يبرون عليها وهم عنها معرضون [أى لا
يتفكرون فيما خلق الله فيها من الاتساع العظيم والارتفاع الباهر وما زينت به من الكواكب الثوابت
والسيارات في ليالها ونهارها من هذه الشمس التي تقطع الفلك بكماله في يوم وليلة فتسير غاية لا يعلم
قدرها إلا الله الذي قدرها وسخرها وسيرها ، وقد ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله في كتابه التفكير
والاعتبار ان بعض عباد بني امرائيل تعبد ثلاثين سنة وكان الرجل منهم إذا تعبد ثلاثين سنة
أظلمت غمامة فلم ير ذلك الرجل شيئاً مما كان يحصل لغيره فشكى ذلك الى امه فقالت له يا بني فلعلك
أذنبت في مدة عبادتك هذه فقال لا والله ما أعلمه قالت فلعلك هممت قال لا ولا هممت قالت
فلعلك رفعت بصرك إلى السماء ثم رددته بغير فكر فقال نعم كثيراً قالت فمن ههنا أتيت ثم قال منيها
على بعض آياته [وهو الذى خلق الليل والنهار] أى هذا في ظلامه وسكونه وهذا بضياؤه وأنسه
يطول هذا تارة ثم يقصر أخرى وعكسه الآخر [والشمس والقمر] هذه لما نور يخصها وفلك بذاته
وزمان على حدة وحركة وسير خاص وهذا بنور آخر وفلك آخر وسير آخر وتقدير آخر [وكل
في فلك يسبحون] أى يدورون قال ابن عباس يدورون كما يدور المغزل في الفلكة قال مجاهد فلا يدور
المغزل إلا بالفلكة ولا الفلكة إلا بالمغزل كذلك النجوم والشمس والقمر لا يدورون إلا به ولا يدور
الإلهن كما قال تعالى [فالتقى الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً ذلك تقدير العزيز العليم]
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفانئ مت فهم الخالدون (٣٤) كل نفس ذائقة الموت

ونبلوكم بالشئ والخير فتنة وإلينا ترجعون (٣٥)

يقول تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك) أي يا محمد الخلد أي في الدنيا بل كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقد استدلل بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء الى أن الخضر
عليه السلام مات وليس بحي الى الآن لانه بشر سواء كان ولياً أو نبياً أو رسولا وقد قال تعالى

لانه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح فذكر على ما يعقل ، والفلك مدار النجوم الذي يضمها
والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك ومنه فلكة المغزل ، وقال الحسن الفلك طاحونة
كهيئة فلكة المغزل يريد أن الذي يجري فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة قال الضحاك فلكها
مجرها وسرعة سيرها قال مجاهد كهيئة حديد الرحى وقال بعضهم الفلك السماء الذي فيه ذلك
الكوكب فكل كوكب يجري في السماء الذي قدر فيه وهو معنى قول قتادة ، وقال السكبي الفلك
استدارة السماء ، وقال آخرون الفلك موج مكفوف دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم
قوله عز وجل ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد ﴾ دوام البقاء في الدنيا ﴿ أفانئ مت فهم الخالدون ﴾
أى أنهم الخالدون ان مت قيل نزلت هذه الآية حين قالوا نرى بص محمد ريب المنون ﴿ كل نفس

(وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) وقوله (أفانثمت) أي يا محمد فهم الخالدون أي يؤملون أن يعيشوا بعدك لا يكون هذا بل كل الى العناء ولهذا قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت) وقد روي عن الشافعي رحمه الله أنه أنشد واستشهد بهذين البيتين

تمني رجال ان أموت وان أمت فلك سبيل لست فيها باوحد
فقل للذي يبقي خلاف الذي مضى تنبأ لاخرى مثلها فكان قد

وقوله (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) أي نختبركم بالمصائب تارة وبالنعيم أخرى فننظر من يشكر ومن يكفر ومن يصبر ومن يقنط كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ونبلوكم يقول نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال وقوله (والينا ترجعون) أي فنجازيكم بأعمالكم

وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر

الرحمن هم كفرون (٣٦) خلق الانسان من صجل ساريم آتبي فلا تستعجلون (٣٧)

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه وإذا رآك الذين كفروا يعني كفار قريش كأبي جهل وأشباهه ان يتخذونك إلا هزوا أي يستهزئون بك وينقصونك يقولون أهذا الذي يذكر آلهتكم يعنون أهذا الذي بسب آلهتكم ويسفه أحلامكم قال تعالى (وهم بذكر الرحمن هم كفرون) أي وهم كفرون بالله ومع هذا يستهزئون برسول الله كما قال في الآية الأخرى (وإذا رآوك ان يتخذونك إلا هزوا أهذا الذي بعث الله رسولا ان كان ليضلنا عن آلهتنا لولا ان صبرنا عليها وسوف يعلمون حين

ذائقة الموت ونبلوكم) نختبركم بالشر والخير بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما يحبون وما تكرهون (فتنة) ابتلاء لننظر كيف شكركم فيما يحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا ترجعون) وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك ما يتخذونك (الهزوا) سخريا قال السدي نزلت في أبي جهل مر به النبي ﷺ فضحك وقال هذا نبي بني عبد مناف (أهذا الذي) أي يقول بعضهم لبعض أهذا الذي (بذكر آلهتكم) أي يعيها يقال فلان يذكر فلانا أي يعيها وفلان يذكر الله أي يعظمه ويبجله (وهم بذكر الرحمن هم كفرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسيلة وهم الثانية صلة (خلق الانسان من عجل) اختلفوا فيه فقال قوم معناه أن بنيته وخلقه من العجلة وعليها طبع كما قال الله تعالى (وكان الانسان عجولا) قال سعيد بن جبير والسدي لما دخلت الروح في رأس آدم وعينه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت في جوفه اشتهى الطعام فوثب قائما قبل أن تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فوقع فقيل (خلق الانسان من عجل) والمراد بالانسان آدم أورث أولاده العجلة والعرب تقول للذي يكثر منه الشيء خلقت منه كما تقول خلقت

يروون العذاب من أضل سبيلا) وقوله (خلق الانسان من عجل) كما قال في الآية الاخرى (وكان الانسان عجولا) أى في الامور قال مجاهد خلق الله ادم بعد كل شيء من آخر النهار من يوم خلق الخلائق فلما أحيا الروح عينية ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله قال يارب استعجل بمخلقي قبل غروب الشمس وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا محمد بن علقمة بن وقاص الليثي عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي - وقبض أصابعه يقلها - فقال الله خيرا إلا أعطاه إياه» قال أبو سلمة فقال عبد الله بن سلام قد عرفت تلك الساعة هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة وهي التي خلق الله فيها ادم قال الله تعالى (خلق الانسان من عجل سأريكم آياتي فلا تستعجلون) والحكمة في ذكر عجلة الانسان ههنا انه لما ذكر المستهزئين بالرسول صلوات الله وسلامه عليه وقم في النفوس سرعة الانتقام منهم واستعجلت ذلك فقال الله تعالى (خلق الانسان من عجل لانه تعالى يملئ للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته يؤجل ثم يعجل وينظر ثم لا يؤخر ولم هذا قال [سأريكم آياتي] أى تقمي وحكمي واقتداري على من عصاني فلا تستعجلون

ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين (٣٨) لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون

عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم لا ينصرون (٣٩) بل تأتيهم بغتة فتبهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون (٤٠)

يخبر تعالى عن المشركين أنهم يستعجلون أيضا بوقوع العذاب بهم تكديبا وجحودا وكفرا وعنادا واستبعادا فقال [ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين] قال الله تعالى لو يعلم الذين كفروا من تعب وخلق من غضب تريد المبالغة في وصفه بذلك يدل على هذا قوله تعالى (وكان الانسان عجولا) وقال قوم معناه خلق الانسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله إياه لان خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس ، وقال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بمخلقي قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر الادميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها وقال قوم من عجل أي من طين وقال الشاعر

والنعم في صخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

قوله تعالى ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾ هذا خطاب للمشركين نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء وقيل نزات في النضر بن الحارث فقال تعالى (سأريكم آياتي) أي مواعدي (فلا تستعجلون) أي فلا تطالبوا العذاب من قبل وقته فأراهم يوم بدر ، وقيل كانوا يستعجلون القيامة ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ﴿

حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم [أي لو تيقنوا أنها واقعة بهم لاستعجلوا
و لو يعلمون حين يفشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم
ظلل لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم] غواش وقال في هذه الآية (حين لا يكفون عن وجوههم النار
ولا عن ظهورهم) وقال [سراييلهم من قطران وتفتي وجوههم النار] فالعذاب محيط بهم من جميع
جهاثهم [ولاهم ينصرون] أي لاناصر لهم كما قال [وما لهم من الله من واق] وقوله [بل تأتيهم بغتة]
أي [تأتيهم النار بغتة] أي فجأة فتبتهتهم أي نذعهم فيستسلمون لها حائرين لا يدرون ما يصنعون فلا
يستطيعون ردها أي ليس لهم حيلة في ذلك ولا هم ينظرون أي ولا يؤخر عنهم ذلك ساعة واحدة

ولقد استهزى برسول من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون (٤١)

قل من يكاؤكم بالليل والنهار من الرحمن بل هم عن ذكر ربهم معرضون (٤٢) أم لهم آلهة
تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون (٤٣)

يقول تعالى مسلينا لرسوله عما اذا به المشركون من الاستهزاء والتكذيب [ولقد استهزى برسول
من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزون] يعني من العذاب الذي كانوا يستبعدون
وقوعه كما قال تعالى [ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأذوا حتى اتاهم نصرنا
ولا مبدل لكلمات الله] ولقد جاءك من نبي المرسلين ثم ذكر تعالى نعمته على عبده في حفظه لهم
بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لانام فقال (قل من يكاؤكم بالليل والنهار من الرحمن)
أي بدل الرحمن يعني غيره كما قال الشاعر

جارية لم تلبس المرقسا * ولم تذق من البقول الفستقا

فقال تعالى (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون) لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن
ظهورهم) قيل ولا عن ظهورهم السياط (ولا هم ينصرون) بمنعون من العذاب وجواب لوفى قوله
لو يعلم الذين محذوف معناه لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد (بل
تأتيهم) يعني الساعة (بغتة) فجأة (فتبتهتهم) أي نحيرهم يقال فلان مبهوت أي متحير (فلا
يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) يمهلون (ولقد استهزى برسول من قبلك فحاق) نزل (بالذين
سخروا منهم ما كانوا به يستهزون) أي جزاء استهزائهم (قل من يكاؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار
من الرحمن) ان أنزل بكم عذابه وقال ابن عباس من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر
ربهم) عن القرآن ومواظ الله (معرضون أم لهم) أم صلة فيه وفي أمثاله (آلهة تمنعهم من دوننا)
فيه تقديم وتأخير تقديره أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم ثم صف الآلهة بالضعف

أي لم تدق بدل القول الفستق وقوله تعالى [بل هم عن ذكر ربهم معرضون] أي لا يعترفون بنعمة الله عليهم واحسانه اليهم بل يعرضون عن اياته والا انه ثم قال (أم لهم الهة تمنعهم من دوننا) استفهام انكار وتقرير وتوبيخ أي ألم آلهة تمنعهم وتكثوهم غيرنا ليس الامر كما نوهموا الا ولا تجزعوا ولهذا قال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي هذه الالهة التي استندوا اليها غير الله لا يستطيعون نصر أنفسهم وقوله [ولا هم منا يصحبون] قال العوفي عن ابن عباس ولا هم منا يصحبون أي يجازون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير وقال غيره ولا هم منا يصحبون بمنعون

بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر أفلا يرون أنا تأتي الارض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون (٤٤) قل إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما يندرون (٤٥) ولئن مستهم نفقة من عذاب ربك ليقولون يا ويلنا ان كنا ظالمين (٤٦) ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حسيبين (٤٧)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين انما غرهم وحملهم على ما هم فيه من الضلال انهم متعوا في الحياة الدنيا ونعموا وطال عليهم العمر فيما هم فيه فاعتقدوا انهم على شيء ثم قال واعظا لهم [أفلا يرون أنا تأتي الارض ننقصها من أطرافها] اختلف المفسرون في معناه وقد أسلفناه في سورة الرعد وأحسن ما فسر بقوله تعالى (ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) وقال الحسن البصري يعني بذلك ظهور الاسلام على الكفر والمعني أفلا يعتبرون بنصر الله لأوليائه على أعدائه واهلاكه الامم المكذبة والقرى الظالمة وانجائه لعباده المؤمنين ولهذا قال أفهم الغالبون يعني بل هم المغلوبون الاسفلون الاخسرون الارذلون وقوله (قل إنما أنذركم بالوحي) أي إنما أنا مبلغ عن الله

قال تعالى ﴿ لا يستطيعون نصر أنفسهم ﴾ منع أنفسهم فكيف ينصرون عابديهم ﴿ ولا هم منا يصحبون ﴾ قال ابن عباس يمنعون ، وقال عطية عنه يجارون تقول العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أي مجير منه وقال مجاهد ينصرون ويحفظون وقال قتادة لا يصحبون من الله بخير ﴿ بل متعنا هؤلاء ﴾ الكفار ﴿ وآباءهم ﴾ في الدنيا أي أمهاتهم وقيل أعطيتهم النعمة ﴿ حتى طال عليهم العمر ﴾ أي امتد بهم الزمان فاعتروا ﴿ أفلا يرون أنا تأتي الارض ننقصها من أطرافها ﴾ أي ما ننقص من أطراف المشركين ونزيد في أطراف المؤمنين يريد ظهور النبي ﷺ وفتح ديار الشرك أرضاً فأرضاً ﴿ أفهم الغالبون ﴾ أم نحن ﴿ قل إنما أنذركم بالوحي ﴾ أي أخوفكم بالقرآن ﴿ ولا يسمع الصم ﴾ (تفسير ابن كثير والبقوي) (٦٢) (الجزء الخامس)

ما أنذرتكم به من العذاب والنكال ليس ذلك إلا عما أوحاه الله إلي ولكن لا يجدي هذا عن أمي
الله بصيرته وختم على سمعه وقلبه ولهذا قال (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون) وقوله (ولئن
مستهم نفعه من عذاب ربك ليقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين) أي ولئن مس هؤلاء المكذبين أدنى
شيء من عذاب الله ليعترفون بذنوبهم وانهم كانوا ظالمين أنفسهم في الدنيا وقوله (ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً) أي ونضع الموازين العدل ليوم القيامة الاكثر على أنه إنما
هو ميزان واحد وإنما جمع باعتبار تعدد الاعمال الموزونة فيه وقوله (فلا تظلم نفس شيئاً وان كان مثقال
حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) كما قال تعالى (ولا يظلم ربك أحداً) وقال (ان الله لا يظلم
مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً) وقال لقمان (يا بني انما ان تك مثقال حبة
من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله ان الله لطيف خبير) وفي الصحيحين
عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى
الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » وقال الامام احمد حدثنا ابراهيم بن اسحاق
الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن ايوب بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال
سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله ﷺ « ان الله عز وجل يستخلص رجلاً من
أمته على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقول
أتذكر من هذا شيئاً أظلمتك كتابتي الحافظون قال لا يارب قال أفلك عذر أو حسنة قال فبهت
الرجل فيقول لا يارب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة واحدة لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها
أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فيقول أحضروه فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه
السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات
وتفلت البطاقة قال ولا يتقل شيء مع بسم الله الرحمن الرحيم » ورواه الترمذي وابن ماجه من حديث
الايوب بن سعد وقال الترمذي حسن غريب

وقال الامام احمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن يحيى عن أبي عبد الرحمن الحبلي
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ « توضع الموازين يوم القيامة فيؤتى بالرجل

الدعاء قرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالثناء وضمها وكسر الميم الصم نصيباً جعل الخطاب للنبي ﷺ
وقرأ الاخرون بالياء وفتحها الميم الصم رفع » اذا ما ينذرون » يخوفون » ولئن مستهم أصابهم
« نفعه » قال ابن عباس رضي الله عنهما طرف وقيل قليل وقال ابن جرير نصيب من قولهم نفع فلان
لفلان من ماله أي أعطاه حظاً ونصيباً منه وقيل ضربة من قولهم نفعت الدابة برجلها اذا ضربت
بها » من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين » أي يا هلا كنا انا كنا مشركين دعوا على أنفسهم
بالويل بعد ما أقروا بالشرك » ونضع الموازين القسط » أي ذوات القسط والقسط العدل » ليوم القيامة

فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمابل به الميزان قال فيبعث به الى النار قال فاذا أدبر به إذا صاح من عند الرحمن عز وجل يقول لا تعجلوا فانه قد بقي له فيؤتي ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كفة حتى يبل به الميزان، وقال الامام أحمد أيضاً حدثنا أبو نوح مراراً أنبأنا ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتهم فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ «بحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لالك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك» فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف فقال رسول الله ﷺ «ماله لا يقرأ كتاب الله» (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتيناها وكفى بنا حاسبين) فقال الرجل يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيده - أفي أشهدك أنهم أحرار كلهم

ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكر للمتقين (٤٨) الذين يخشون ربهم

بالغيب وهم من الساعة مشفقون (٤٩) وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون (٥٠) قد تقدم التنبيه على أن الله تعالى كثيراً ما يقرن بين ذكر موسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما وبين كتابيهما ولهذا قال (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) قال مجاهد يعني الكتاب وقال أبو صالح التوراة وقال قتادة التوراة حلالها وحرامها ومافرق الله بين الحق والباطل، وقال ابن زيد يعني النصر وجاءه القول في ذلك ان الكتب السماوية مشتملة على التفرقة بين الحق والباطل والهدى والضلال

فلا تظلم نفس شيئاً) أي لا تنقص من ثواب حسناتها ولا يزداد على سيئاتها وفي الاخبار ان الميزان له لسان وكفتان روي أن داود عليه السلام سأل ربه أن يربه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فغشي عليه ثم أفاق فقال: يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت عن عبيدي ملأتها بتمرة (وان كان) الشيء (مثقال حبة) أي زنة مثقال حبة (من خردل) قرأ أهل المدينة مثقال برفع اللام ههنا، وفي سورة لقمان يعني وان وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الاخرون على معنى وان كان ذلك الشيء مثقال حبة يعني زنة مثقال حبة من خردل (أتيناها) أحضرناها ليجازى بها (وكفى بنا حاسبين) قال السدي محصين والحسب معناه العد

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عالمين حافظين لان من حسب شيئاً علمه وحفظه (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة، وقال ابن زيد الفرقان النصر على الاعداء كما قال الله تعالى (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) يعني يوم بدر لانه قال

والغي والرشاد والحلال والحرام وعلى ما يحصل نوراً في القلوب وهداية وخوفاً واناة وخشية ولهذا قال (الفرقان وضياء وذكرى للمتقين) أي تذكيراً لهم ومظة، ثم وصفهم فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) كقوله (من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) وقوله (ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (وم من الساعة مشفقون) أي خائفون وجلون، ثم قال تعالى (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) يعني القرآن العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد (أفأنتم له منكرون) أي أنتم كنون له وهو في غاية الجلاء والظهور

ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكتابه علمين (٥١) اذ قال لآبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عكفون؟ (٥٢) قالوا وجدنا آبائنا لها عبدين (٥٣) قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين (٥٤) قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللعين؟ (٥٥) قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشهود (٥٦)

يخبر تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام انه آتاه رشده من قبل أي من صفه ألهمه الحق والحجة على قومه كما قل تعالى (ولك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) وما يذكر من الاخبار عنه في إدخال آبيه له في السرب وهو رضيعاً وأنه خرج بعد أيام فظفر إلى الكوكب والمخلوقات فتبصر فيها وما قصه كثير من المفسرين وغيرهم فعلمنا أنها أحاديث بني اسرائيل فما وافق منها الحق مما بأيدينا عن المعصوم قبلناه لموافقة الصحيح وما خالف شيئاً من ذلك ردناه وما ليس فيه موافقة ولا مخالفة لا نصدقه ولا نكذبه بل نجعله وفقاً وما كان من هذا الضرب منها فقد رخص كثير من السلف في روايته وكثير من ذلك مما لا فائدة فيه ولا حاصل له مما ينتفع به في الدين، ولو كانت فائدة تعود على المكلفين في دينهم لبينته هذه الشريعة الكاملة الشاملة، والذي نسلكه في هذا التفسير الاعراض

﴿وضياء﴾ أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة ومن قال المراد بالفرقان التوراة قال الواو في قوله وضياء زائدة مقحمة معناه آتينا التوراة ضياء وقيل هو صفة أخرى للتوراة ﴿وذكر﴾ تذكيراً ﴿المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ أي يخافونه ولم يروه ﴿وم من الساعة مشفقون﴾ خائفون ﴿وهذا ذكر مبارك﴾ يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكر به مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير ﴿أنزلناه أفأنتم﴾ يأهل مكة ﴿له منكرون﴾ جاحدون وهذا استفهام توبيخ وتعيير قوله عز وجل ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده﴾ قال القرطبي أي صلاحه ﴿من قبل﴾ يعني من قبل موسى وهارون، وقال المفسرون رشده من قبل أي هداية من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير يريد هديناه صغيراً كما قال تعالى ليحيي عليه السلام (واتيناها الحكم صبياً) (وكنا

عن كثير من الاحاديث الاسرائيلية لما فيها من تضيق الزمان ولما اشتمل عليه كثير منها من الكذب المروج عليهم فاتهم لا تفرقة عندهم بين صحيحها وسقيمها كما حرره الأئمة الحفاظ المتقنون من هذه الامة والمقصود ههنا أن الله تعالى أخبر أنه قد آتى ابراهيم رشده من قبل أي من قبل ذلك (وقوله (وكنّا به عالمين) أي وكان أهلاً لذلك، ثم قال (اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) هذا هو الرشاد الذي أوتيه من صفوه الانكار على قومه في عبادة الاصنام من دون الله عز وجل فقال (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) أي معتكفون على عبادتها، قال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد الصباح حدثنا أبو معاوية الضمير حدثنا سعيد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة قال: مر علي رضي الله عنه على قوم يلعبون بالشرطنج فقال ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون لأن عيس أحدكم جهرأ حتى يطقأ خير له من أن يعسها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) لم يكن لهم حجة سوى صنيع آبائهم الضلال ولهذا قال (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي الكلام مع آبائكم الذين احتججتم بصنيعهم كالكلام معكم فأنتم وهم في ضلال على غير الطريق المستقيم، فلما سفه أحلامهم وضلل آباءهم واحتقر آهنتهم (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من الاعميين) يقولون هذا الكلام الصادر عنك تقوله لاعباً أو محققاً فيه فإنا لم نسمع به قبلك (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) أي ربكم الذي لا إله غيره وهو الذي خلق السموات والارض وما حوت من المخلوقات الذي ابتداء خلقهن وهو الخالق لجميع الاشياء (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أي وأنا أشهد أنه لا اله غيره ولا رب سواه

وتالله لا يكيدن أصنمكم بعد أن تولوا مدبرين (٥٧) فجعلهم جذذاً الا كبيراً لهم لعلمهم اليه يرجعون (٥٨) قالوا من فعل هذا بثألهتنا؟ انه من الظالمين (٥٩) قالوا سمعنا قتي يذكرهم يقال له ابراهيم (٦٠) قالوا فاتوا به على اعين الناس لعلمهم يشهدون (٦١) قالوا أنت فعلت هذا بثألهتنا يا ابراهيم (٦٢) قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون (٦٣) ثم أقسم الخليل قسماً اسمعه بعض قومه ليكيدن أصنامهم أي ليحرصن على أذاقهم وتكسيرهم

به عالمين) انه أهل للهداية والنبوة (اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) أي الصور يعني الاصنام (التي أنتم لها عاكفون) يعني على عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقفدنا بهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) خطأ بين بعبادتكم إياها (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من الاعميين) يعنون أجاد أنت فيما تقول أم لاعب (قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن) خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعني على انه الاله الذي لا يستحق العبادة غيره وقيل من الشاهدين على انه خالق السموات والارض (وتالله لا يكيدن أصنامكم)

بعد أن يولوا مدبرين أى إلى عيدهم وكان لهم عيد يخرجون اليه ، قال السدي : لما اقترب وقت ذلك العيد قال أبوه يابني لو خرجت معنا إلى عيدنا لأعجبك ديننا فخرج معهم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال اني سقيم فجعلوا يرون عليه وهو صريع فيقولون مه فيقول اني سقيم فلما جاز عامتهم وبقي ضعفاؤهم قال (تالله لا يكيدن أصنامكم) فسمعه أولئك

وقال ابن اسحاق عن أبي الاحوص عن عبد الله قال : لما خرج قوم ابراهيم الى عيدهم صرخوا عليه فقالوا يا ابراهيم ألا تخرج معنا ؟ قال اني سقيم وقد كان بالامس قال (لا يكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعه ناس منهم ، وقوله (فجعلهم جزاذاً) أى حطاما كسرها كما الا كبير ابراهيم يعني الا الصنم الكبير عندهم كما قال (فراغ عليهم ضرباً باليمين) وقوله (لعلمهم اليه يرجعون) ذكروا انه وضع القدم في يد كبيرهم لعلمهم يعتقدون انه هو الذي غار لنفسه وأنف أن تعبد معه هذه الاصنام الصغار فكسرها (قالوا من فعل هذا بالهتنا انه من الظالمين) أي حين رجعوا وشاهدوا ما فعله الخليل بأصنامهم من الاهانة والاذلال الدال على عدم الهيبتها وعلى سخافة عقول عابديها (قالوا من فعل هذا بالهتنا انه من الظالمين أى في صنيعه هذا) قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) أى قال من سمعه يخلف انه ليكيدنهم سمعنا فتى أي شاباً يذكرهم يقال له ابراهيم ، قال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن منصور حدثنا جرير بن عبد الحميد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس قال : ما بعث الله نبياً إلا شاباً ولا أوتي العلم عالم إلا وهو شاب وتلا هذه الآية (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم)

لا مكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم قال مجاهد وقتادة أما قال ابراهيم ، هذا سر آ من قومه ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأفشاء عليه ، وقال أنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم قال السدي كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كانت ذلك العيد قال أبو ابراهيم له يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال اني سقيم . يقول أشتكي رجلي فلما مضوا نادى ابراهيم في آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس تالله لا يكيدن أصنامكم فسمعوا منه ثم رجع ابراهيم إلى بيت الالهة وهن في بهو عظيم مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والاصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعوه بين يدي الالهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الالهة في طعامنا أكلنا فلما نظر اليهم ابراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم يجبه قال مالكم لا تنطقون فراغ عليهم ضرباً باليمين وجعل يكسرها فقام في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الا كبير علق الفأس في عنقه ثم خرج

فذلك قوله عز وجل (فجعلهم جزاذاً) قرأ الكسائي جزاذا بكسر الجيم أي كسروا و قطعوا جرم جديداً

وقوله (قالوا فاثبتوا به على أعين الناس) أي على رؤوس الاشهاد في الملأ الاكبر بحضرة الناس كلهم وكان هذا هو المقصود الاكبر لابراهيم عليه السلام أن يبين في هذا المحفل العظيم كثرة جهلهم وقلة عقلمهم في عبادة هذه الاصنام التي لا تدفع عن نفسها ضرا ولا نفع لها نصرا فكيف يطلب منها شيء من ذلك ؟ (قالوا أنت فعلت هذا يا ابراهيم ؟ قال بل فعله كبيرهم هذا) يعني الذي تركه لم يكسره فاسألوهم ان كانوا ينطقون وانما أراد بهذا أن يبادروا من تلقاء أنفسهم فيعترفوا أنهم لا ينطقون وأن هذا لا يصدر عن هذا الصنم لانه جهاد

وفي الصحيحين من حديث هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « ان ابراهيم عليه السلام لم يكذب غير ثلاث ثنتين في ذات الله قوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله (اني سقيم) قال وبيننا هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة إذ نزل منزلا فأتى الجبار رجلا فقال انه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس ، فأرسل اليه فجاء فقال ما هذه المرأة منك ؟ قال أختي . قال فاذهب فأرسل بها إلي ، فانطلق الى سارة فقال ان هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته انك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله وانه ليس في الارض مسلم

وهو المشيم مثل خفيف وخفاف وقرأ الآخرون بضمها مثل الحظام والرفات (إلا كبيراً لهم) فانه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه وقيل ربطه بيده وكأنت اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وشبه وخشب وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينييه ياقوتتان تتقدان

قوله تعالى (لعلمهم اليه يرجعون) قبل معناه لعلمهم يرجعون الى دينه والى ما يدعوم اليه اذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقبل لعلمهم اليه يرجعون فيسألونه فلما رجع القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوا اصنامهم جذاذا (قالوا من فعل هذا يا لهتنا إنه من الظالمين) يعني من المجرمين (قالوا) يعني الذين سمعوا قول ابراهيم (وتالله لا يكذب اصنامكم) (سمعنا فنى بذكركم) بعيبهم ويسبهم (يقال له ابراهيم) هو الذي نطق أنه صنع هذا فبلغ ذلك ثمود الجبار واشراف قومه (قالوا فاثبتوا به على أعين الناس) قاله ثمود يقول جيشوا به ظاهرا بمرأى من الناس (لعلمهم يشهدون) عليه انه الذي فعله كرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله الحسن وقتادة والسدي ، وقال محمد بن اسحاق [لعلمهم يشهدون] أي يحضرون عقابه وما يصنع به فلما أتوا به (قالوا) له (أنت فعلت هذا يا ابراهيم) قال ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) غضب من ان يعبد معه الصغار وهو اكبر منها فكسره ثم وأراد بذلك ابراهيم اقامة الحججة عليهم فذلك قوله (فاسألوهم ان كانوا ينطقون) حتى يخبروا من فعل ذلك بهم قال القتيبي معناه بل فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون على سبيل الشرط فجعل النطق شرطا للفعل أي قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي ضميره أنا فعلت وروى عن الكسائي

غيري وغيرك ، فانطلق بها إبراهيم ثم قام يصلي . فلما أن دخلت عليه فرأها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذاً شديداً فقال ادعي الله لي ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها فتناولها فأخذ بمثلها أو أشد ففعل ذلك الثالثة فأخذ فذكر مثل المرتين الأولى فقال ادعي الله فلا أضرك فدعت له فأرسل ثم دعا أدنى حجاب فقال انك لم تأتني بإنسان ولكنك أتيتني بشيطان أخرجه وأعطها هاجر ، فأخرجت وأعطيت هاجر فأقبلت ، فلما أحس إبراهيم بمجيئها انقل من صلاته وقال ميم ؟ قالت كفى الله كيد الكافر الفاجر وأخذ مني هاجر قال محمد بن سيرين فكان أبو هريرة إذا حدث بهذا الحديث قال : تلك أمكم يا بني ما الهما .

فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون (٦٤) ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت

ما هؤلاء ينطقون (٦٥) قال أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئاً ولا يضركم (٦٦)

أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون (٦٧)

يقول تعالى مخبراً عن قوم إبراهيم حين قال لهم ما قال (فرجعوا إلى أنفسهم) أي بالملامة في عدم احترازهم وحرصاتهم لآلهتهم فقالوا (انكم أنتم الظالمون) أي في ترككم لها مهمة لا حافظ عندها (ثم نكسوا على رؤوسهم) أي ثم أطرقوا في الأرض فقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) قال قتادة أدركت القوم حيرة سوء فقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) وقال السدي [ثم نكسوا على رؤوسهم] أي في الفتنة ، وقال ابن زيد أي في الرأي وقول قتادة أظهر في المعنى لأنهم إنما فعلوا ذلك حيرة وعجزاً ولهذا قالوا له [لقد علمت ما هؤلاء ينطقون] فكيف تقول لنا سلامهم إن كانوا ينطقون وأنت تعلم أنها

أنه كان يقف عند قوله بل فعله ويقول معناه فعله من فعله . والاول أصبح لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات : ثنتان منهن في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله اسارة هذه اختي » وقيل في قوله [إني سقيم] أي ساقم وقيل سقيم القلب أي مقم بضلاتكم وقوله اسارة هذه اختي أي في الدين وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم والاول هو الاول للحديث فيه ويجوز أن يكون الله عز وجل أذن في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج عليهم كما أذن ليوسف حين أمر منادياً فقال لاخوته [أينما العير إنكم لسارقون] ولم يكونوا سارقوا (فرجعوا إلى أنفسهم) أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم (فقالوا) ما نراه إلا كما قال (إنكم أنتم الظالمون) يعني بعبادتكم من لا يتكلم وقيل أنتم الظالمون هذا الرجل في سؤالكم إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤوسهم) قال أهل التفسير أجرى الله الحق على لسانهم في القول الاول ثم ادركتهم الشقاوة فهو معنى قوله (ثم نكسوا على رؤوسهم) أي ردوا إلى الكفر بعد أن أقروا على أنفسهم بالظلم . يقال نكس المريض إذا رجع إلى حاله الاول وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم فلما انجبت الحجة لإبراهيم عليه السلام (قال) لهم (أفتعبدون

لا تنطق فعندها قال لهم ابراهيم لما اعترفوا بذلك [أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم] أي اذا كانت لا تنطق وهي لا تنفع ولا تضر فلم تعبدونها من دون الله [أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون] أي أفلا تتدبرون ما أنتم فيه من الضلال والكفر القليظ الذي لا يروج إلا على جاهل ظالم فاجر فأقام عليهم الحجة وألزمهم بها ولهذا قال تعالى [وذلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه] الآية قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين (٦٨) قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على

ابراهيم (٦٩) وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين (٧٠)

لما دحضت حجتهم وبان عجزهم وظهر الحق واندفع الباطل عدلوا الى استعمال جاه ملهم فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين فجمعوا حطباً كثيراً جداً . قال السدي حتى ان كانت المرأة تمرض فتتذر ان عوفيت أن تحمل حطباً لحريق ابراهيم ثم جعلوه في حومة من الارض وأضرموها نارا فكان لما شمر عظيم ولهب مرتفع لم توقد نار قط مثلها وجعلوا ابراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق بإشارة رجل من أعراب فارس من الأكراد قال شعيب الجبائي اسمه هيزن خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة فلما أقوه قال حسبي الله ونعم الوكيل كما رواء البخاري عن ابن عباس أنه قال حسبي الله ونعم الوكيل قلها ابراهيم حين القي في النار وقلها محمد عليها السلام حين

من دون الله ما ينفعكم شيئا ان عبدتموه ولا يضركم ان تركتم عبادته أف لكم يعني تبا وقذرا لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون يعني أليس لكم عقل تعرفون به هذا فلما لزمهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين يعني ان كنتم ناصرين لها وقال ابن عمر رضي الله عنهما إن الذي قال هذا رجل من الأكراد وقيل ان اسمه هيزن خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة وقيل قاله نمرود فلما اجتمع نمرود وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا كالحظيرة وقيل بنوا أتونا بقرية يقال لها كوثي ثم جمعوا له صلاب الحطب من أصناف الحشب مدة حتى كاث الرجل يمرض فيقول لئن عاقاني الله لأجمعن حطباً لابراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلب لئن أصابته لنتحطب في نار ابراهيم وكان الرجل يوصي بشراء الحطب والقائه فيها وكانت المرأة تغزل وتشتري الحطب بفرضها فتلقيه فيه احتسابا ، قال ابن اسحاق كانوا يجمعون الحطب شهرا فلما جمعوا ما أرادوا اشعلوا في كل ناحية من الحطب النار فاشتعلت النار واشتدت حتى ان كان الطير ليربها فيحترق من شدة وهجها فاوقدوا عليها سبعة أيام ، روى انهم لم يعلموا كيف يلغونه فيها فجاء ابليس فعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا الى ابراهيم فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلولا ، فصاحت السماء والارض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة واحدة أي ربنا ابراهيم خليلك يلقي في النار وليس

(تفسير ابن كثير والبغوي) (٦٣) (الجزء الخامس)

قالوا إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، وروى الحافظ أبو يعلى حدثنا أبو هشام حدثنا أبو اسحاق بن سليمان عن أبي جعفر عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لما أتني ابراهيم عليه السلام في النار قال اللهم انك في السماء واحد وانا في الارض واحد أعبدك » وروى أنه لما جمعوا يؤثفونه قال : لا إله الا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك . وقال شعيب الجبائي كان عمره إذ ذاك ست عشرة سنة قاله أعلم وذكر بعض السلف أنه عرض له جبريل وهو في الهواء فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وأما من الله الله فبلى ، وقال سعيد بن جبير ، وروى عن ابن عباس أيضاً قال لما أتني ابراهيم جعل خازن المطر يقول متى أومر بالمطر فإرساله قال فكان أمر الله أمرع من أمره قال الله (يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) قال لم يبق نار في الارض إلا طفتت وقال كعب الاحبار لم ينتفع أحد يومئذ بنار ولم تحرق النار من ابراهيم سوى وثاقه وقال الثوري عن الاعمش عن شيخ عن علي بن أبي طالب (قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم) قال لا تضربه ، وقال ابن عباس وأبو العالقة لولا أن الله عز وجل قال وسلاماً لا ذى ابراهيم بردها ، وقال جوير عن الضحاك كوني برداً وسلاماً على ابراهيم قالوا صنعوا له حظيرة من حطب جزل وأشعلوا فيه النار من كل جانب فأصبح ولم يصبه منها شيء حتى أخذها الله قال ويدكرون أن جبريل كان معه بمسح وجهه من العرق فلم يصبه منها شيء غير ذلك وقال السدي كان معه فيها ملك الظل

في ارضك أحد يعبدك غيره فأنذ لنا في نصرته فقال الله عز وجل إنه خلي لي غيره خليل وأنا إلهه وليس له إله غيري فان استغاث بشي منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فأنا أعلم به وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه فقال ان أردت اخذت النار وأتاه خازن الرياح فقال ان شئت طبرت النار في الهواء فقال ابراهيم لاحاجة لي اليكم حسبي الله ونعم الوكيل . وروى عن أبي بن كعب ان ابراهيم حين أوثفوه ليلقوه في النار قال لا إله الا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي . قال كعب الاحبار جعل كل شيء يطفى عنه النار الا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار اخبرنا عبد الواحد المليحي أنا احمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن احماد بن عبد الله بن موسى أو ابن سلام عنه أنا ابن جريج عن عبد الحميد بن جبير عن سعيد بن المسيب عن أم شريك أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ وقال « كان ينفخ النار على ابراهيم » قال الله تعالى ﴿ قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم ﴾ قال ابن عباس لو لم يقل سلاماً لمات ابراهيم من بردها . ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الارض إلا طفتت فلم ينتفع في

وقال علي بن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا يوسف بن موسى حدثنا مهران حدثنا اسماعيل بن أبي خالد عن المنهال بن عمر قال أخبرني ان ابراهيم التقي في النار قال فكان فيها اما خمسين واما اربعين قال ما كنت أياماً وليالي قط أطيب عيشاً إذ كنت فيها وددت أن عيشي وحياتي كلها مثل عيشي إذ كنت فيها ، وقال أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال إن أحسن شيء قال أبو ابراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار وجده يوشح جبينه قال عند ذلك نعم الرب ربك يا ابراهيم وقال قتاده لم يأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار إلا الوزغ ، وقال الزهري أمر النبي ﷺ بقتله ومياه فويسقوا .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا عبيد الله بن أخي ابن وهب حدثني عمي حدثنا جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال حدثني مولاة الناكبة بن المغيرة المخزومي قالت دخلت على عائشة فرأيت في بيتها رجلاً قتلت يأم المؤمنين ما تصنعين بهذا الرمح ؟ فقالت تقتل به هذه الوزاغ إن رسول الله ﷺ قال « إن ابراهيم حين التقي في النار لم يكن في الارض دابة الا انطىء النار غير الوزغ فانه كان ينفخ على ابراهيم فامرنا رسول الله ﷺ بقتله »

هذا اليوم بنار في العالم ولولم يقل على ابراهيم بقيت ذات برد أبدا . قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما حترقت النار من ابراهيم إلا وثاقه . قالوا وكان ابراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت قط أياماً انعم مني من الايام التي كنت فيها في النار . قال ابن يسار وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعده فيها الى جنب ابراهيم يؤنسها قالوا وبعث الله جبريل اليه بقميص من حرير الجنة وطفنفة قال به القميص واقعه على الطنفسة وقعد معه بحديثه وقال جبريل يا ابراهيم إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبائي . ثم نظر عمرو واشرف على ابراهيم من صرح له فراه جالسا في روضة والملك قاعد الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير إلهك الذي بلغت قدرته ان حال بينك وبين ما أرى يا ابراهيم هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال نعم قال هل نخشى ان أقت فيها أن تضرك قال لا قال قم فخرج منها فقام ابراهيم بمشي فيها حتى خرج منها فلم يخرج اليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيته معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك ؟ قال ذاك ملك الظل ارسله إلي ربي ليؤنسني فيها . فقال عمرو يا ابراهيم إني مقرب الى إلهك قريانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حيث أبيت إلا عبادته وتوحيده إني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم إذا لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال لا أستطيع ترك ملتي وملكي ولكن سوف اذبحها فذبحها له عمرو ثم كف عن ابراهيم ومنعه الله منه قال شعيب الجبائي ألقى ابراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة

وقوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين) أي المفلولين الاسفلين لانهم ارادوا بنبي الله كيدا فكادهم الله ونجاه من النار فقلبوا هنالك ، وقال عطية العوفي لما التقى ابراهيم في النار جاء ملكهم لينظر اليه فطارت شرارة فوقعت على ايهامه فأحرقت مثل الصوفة

ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين (٧١) ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين (٧٢) وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلوة وابتاء الزكوة وكانوا لنا عبيدين (٧٣) ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبيثات انهم كانوا قوم سوء فاستقينا (٧٤) وأدخلناه في رحمتنا انه من الصالحين (٧٥)

يقول تعالى مخبراً عن ابراهيم أنه سلمه الله من نار قومه وأخرجه من بين أظهرهم مهاجراً إلى بلاد الشام إلى الارض المقدسة منها قال الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) قال الشام وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة وكذا قال أبو العالية

قوله تعالى (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين) قيل معناه أنهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل معناه أن الله عز وجل أرسل على نمrod وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته

قوله تعالى (ونجيناه ولوطا) من نمrod وقومه من أرض العراق (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الشام بآرك الله فيها بالخصب وكثرة الاشجار والثمار والانهار ومنها بحث أكثر الانبياء وقال أبي بن كعب سماها مباركة لأنه ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي في بيت المقدس أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا اسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة أن عمر بن الخطاب قال لكعب ألا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله ﷺ وقبره فقال كعب أني وجدت في كتاب الله المنزل يأمر المؤمنين أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنزه من عبادته أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق الديري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « أنها ستكون هجرة بعد هجرة لخيار الناس الى مهاجر ابراهيم » وقال محمد ابن إسحاق استجاب لأبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به من جعل النار عليه برداً وسلاماً

أيضاً وقال قتادة كان بأرض العراق فأنجاه الله إلى الشام وكان يقال للشام أعقار دار الهجرة وماقص من الأرض زيد في الشام وماقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال هي أرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك المسيح الدجال، وقال كعب الأحبار في قوله (إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) إلى حران وقال السدي انطلق ابراهيم ولوط قبل الشام فلقني ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وقد طعنت على قومها في دينهم فزوجها على أن يفر بها، رواه ابن جرير وهو غريب، والمشهور أنها ابنة عمه وأنه خرج بها مهاجراً من بلاده، وقال العوفي عن ابن عباس إلى مكة ألا تسمع إلى قوله (أن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمناً)، وقوله (ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة) قال عطاء ومجاهد عطية، وقال ابن عباس وقتادة والحكم بن عتيبة النافلة ولد الولد يعني أن يعقوب ولد اسحاق كما قال (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم سألت واحداً فقال (رب هب لي من الصالحين) فاعطاه الله اسحاق وزاده يعقوب نافلة (وكلاً جعلنا صالحين) أي الجميع أهل خير وصلاح (وجعلناهم أئمة) أي يقتدى بهم (يهدون بأمرنا) أي يدعون إلى الله باذنه ولهذا قال (وأوحينا اليهم فعل الخيرات وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة) من باب عطف الخاص على العام (وكانوا لنا عابدين) أي فاعلين لما أمرهم الله الناس به، ثم عطف بذكر لوط وهو لوط بن هاران بن آذر كان قد آمن بابراهيم عليه السلام وهاجر معه كما قال تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) فاتاه الله حكماً وعلماً وأوحى إليه وجعله نبياً

على خوف من غمرد وملائته وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناخور بن تارخ وآمنت به أيضاً سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عم ابراهيم فخرج من كوثي من أرض العراق مهاجراً إلى ربه ومعه لوط وسارة كما قال الله تعالى (فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي) فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة ربه حتى نزل حران فمكث بها ماشاء الله ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برة الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة وأقرب قبضته الله نبياً فذلك قوله تعالى (ونجيناه ووطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) (ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة) قال مجاهد وعطاء معنى النافلة العطية وهما جميعاً من عطاء الله نافلة يعني عطاء قال الحسن والضحاك فضلاً وعن ابن عباس وأبي بن كعب وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم النافلة هو يعقوب لأن الله عز وجل أعطاه اسحاق بدعائه حيث قال هب لي من الصالحين وزاده يعقوب وهو ولد الولد والنافلة الزيادة (وكلاً جعلنا صالحين) يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا) يقتدى بهم في الخيرات يهدون بأمرنا يدعون الناس إلى ديننا (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) يعني العمل بالشرائع (وأقام الصلاة) يعني المحافظة عليها

وبعثه إلى سدوم وأعمالها فخالقوه وكذبوه فأهلكهم الله ودمر عليهم كما قص خبرهم في غير موضع من كتابه العزيز ، ولهذا قال (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث أنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا أنه من الصالحين)

ونوحا إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) ونصرناه

من القوم الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (٧٧)

يخبر تعالى عن استجابته لعبده ورسوله نوح عليه السلام حين دعا على قومه لما كذبوه (فدعاه به أني مغلوب فانتصر) وقال نوح (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً أنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) ولهذا قال ههنا (إذ نادى من قبل فاستجبنا له ونجيناه وأهله) أي الذين آمنوا به كما قال (وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) وقوله (من الكرب العظيم) أي من الشدة والتكذيب والاذى فانه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله عز وجل فلا يؤمن به منهم إلا القليل وكانوا يقصدون لاذاه ويتواصون قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل على خلافه وقوله (ونصرناه من القوم) أي ونجيناه وخلصناه منتصرين من القوم (الذين كذبوا بآياتنا أنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) أي أهلكهم الله بهامة ولم يبق على وجه الأرض منهم أحد كما دعا عليهم نبيهم

وداود وسليمن إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غم القوم وكنا لحكمهم شهودين (٧٨)

فقهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين (٧٩)

(وإيتاء الزكاة) إعطاءها (وكانوا لنا عابدين) موحدون (ولوطاً آتيناه) يعني وآتيناه لوطاً وقيل واذكر لوطاً آتيناه (حكماً) يعني الفصل بين الخصوم بالحق (وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني سدوما وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أنديتهم مع أشياء آخر كانوا يعملونها من المنكرات (أنهم كانوا قوم سوء فاسقين) وأدخلناه في رحمتنا أنه من الصالحين ونوحا إذ نادى (دعا) من قبل (يعني من قبل إبراهيم ولوط) فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم (قال ابن عباس من الفرق وتكذيب قومه ، وقيل لانه كان أطول الانبياء عمراً وأشدهم بلاً والكرب أشد الغم) ونصرناه (معناه) من القوم الذين كذبوا بآياتنا (أن يصلوا إليه بسوء وقال أبو عبيدة يعني على القوم) أنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (

قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث) يختلفوا في الحرث قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وأكثر المفسرين كان الحرث كرماً قد تدلت عنا قيده ، وقال قتادة كان زرعاً

وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون (٨٠) وسليمان الريح عاصفة تجري بأمره الى الارض التي بررنا فيها وكننا بكل شيء علمين (٨١) ومن الشياطين من يفتنون له ويعملون عملا دون ذلك وكناهم حافضين (٨٢)

قال ابن اسحاق عن مرة عن ابن مسعود كان ذلك الحرث كرما قد تدلت عناقيده ، وكذا قال شريح وقال ابن عباس النفث الرعي ، وقال شريح والزهرى وقتادة النفث لا يكون الا بالليل زاد قتادة والهمل بالنهار

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب وهارون بن ادريس الاصبم قال حدثنا المحاربى عن أشعث عن أبي اسحاق عن مرة عن ابن مسعود في قوله (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) قال كرم قد انبتت عناقيده فأفسدته قال فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا بني الله قال وما ذاك قال تدفع الكرم الى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وتدفع الغنم الى صاحب الكرم فيصيب منها حتى اذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم الى صاحبه ودفعت الغنم الى صاحبها فذلك قوله (ففهمناها سليمان) وكذا روى العوفي عن ابن عباس . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد

(إذ نفشت فيه غنم القوم) يعني رعيته ليلا فأفسدته والنفث الرعي بالليل والهمل بالنهار وهما الرعي بلا راع (وكننا لحكمهم شاهدين) يعني كان ذلك بعلمنا وبمراى منا لا يخفى علينا علمه قال الفراء جمع اثنين فقال لحكمهم وهو يريد داود وسليمان لان الاثنين جمع وهو مثل قوله (فان كان له اخوة فلا ممة السدس) وهو يريد أخوين قال ابن عباس وقتادة والزهرى وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع والاخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا فمرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمرهما لقضيت بغير هذا وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف قضى ويروى أنه قال بحق النبوة والابوة إلا أخبرني بالذي هو أرفق بالفريقين . قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث ينتفع بديرها ونسلها وصوفها ومنافعها ويذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فاذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه . فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك ، وقيل ان سليمان يوم حكم بذلك كان ابن احدى عشرة سنة ، وأما حكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما أفسدت الماشية المرسلة بالنهار من مال الغير فلا ضمان على ربهها وما أفسدته بالليل ضمنه بها لان في عرف الناس ان أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح . أخبرنا ابو الحسن السرخسي أنا زاهر بن احمد أنا

حدثنا خليفة عن ابن عباس قال قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث فخرج الرعاء معهم الكلاب فقال لهم سليمان كيف قضى بينكم فأخبروه فقال لو وليت أمركم لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي بينهم؟ قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث فيكون له أولادها والبائها وسلاؤها ومنافعها ويئذ أصحاب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا بلغ الحرث الذي كان عليه أخذه أصحاب الحرث وردوا الغنم إلى أصحابها

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا خديج عن أبي اسحاق عن مرة عن مسروق قال الحرث الذي نفشت فيه الغنم إنما كان كرمًا فلم تدع فيه ورقة ولا عقودًا من عنب إلا أكلته فأتوا داود فأعطاهم رقابها فقال سليمان لا بل تؤخذ الغنم فيعطاهم أهل الكرم فيكون لهم لبنها ونفعها ويعطى أهل الغنم الكرم فيعمروه ويصلحوه حتى يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم ثم يعطى أهل الغنم غنمهم وأهل الكرم كرمهم. وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد وقال ابن جرير حدثنا ابن أبي زياد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا اسمعيل عن غامر قال جاء رجلان إلى شريح فقال أحدهما إن شياه هذا قطعت غزالا فقال شريح نهارة أم ليلا فان كان نهارة برى صاحب الشياه وإن كان ليلا فقد ضمن ثم قرأ (وداود وسليمان اذ يحكان في الحرث) الآية وهذا الذي قاله شريح شبيه بما رواه الامام أحمد وابو داود وابن ماجه من حديث الليث عن الزهري

ابو اسحاق الهاشمي أنا ابو مصعب عن مالك عن ابن شهاب عن حرام بن سعد بن محبصة ان ناقة لبراء بن عازب دخلت حائطًا فأفسدته فقضى رسول الله ﷺ ان على أهل الحوائط حفظها بالنهار وان ما أفسدت المواشي بالليل ضمان على أهلها، وذهب أصحاب الرأي إلى أن المالك اذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلا كان أو نهارة

قوله تعالى ﴿فهمناها سليمان﴾ أي علمنا القضية وأهملناها سليمان ﴿وكلا﴾ يعني داود وسليمان ﴿آتيناهما حكما وعلما﴾ قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكم قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده. واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم فعلا بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للأنبياء. ليدركوا ثواب المجتهدين إلا أن داود أخطأ وأصاب سليمان. وقالوا يجوز الخطأ على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه فاما العلماء فلم يوجبوا الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سنة فاذا أخطأوا فلا أثم عليهم فانه موضوع عنهم لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن احمد الخلال أنا ابو العباس الاصم أنا الربيع بن سليمان أنا الشافعي أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن بسر بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول «اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر» وقال

أجر فهذا الحديث برد نصا ما توهمه إياس من أن القاضي إذا اجتهد فإخطأ فهو في النار والله أعلم وفي السنن : القضية ثلاثة قاض في الجنة وقاضيان في النار رجل علم الحق وقضى به فهو في الجنة ورجل حكم بين الناس على جهل فهو في النار ورجل علم الحق وقضى بخلافه فهو في النار. وقريب من هذه القصة المذكورة في القرآن ما رواه الامام أحمد في مسنده حيث قال حدثنا علي بن حفص أخبرنا ورقاء عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « بينا امرأتان معهما ابنان لهما إذ جاء الذئب فاخذ أحداً لابنين فتعاكنا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا فدعاها سليمان فقال هاتوا السكين أشقه بينكما فقالت الصغرى يرحمك الله هو ابنها لأتشفقه فقضى به للصغرى » وأخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما وبوت عليه النسائي في كتاب القضاء (باب الحاكم يوهم خلاف الحكم ليستعلم الحق) وهكذا القصة التي أوردها الحافظ أبو القاسم بن عساكر في ترجمة سليمان عليه السلام من تاريخه عن طريق الحسن بن سفيان عنه أنا صالح عن الوليد بن مسلم عن سعيد بن بشير عن قتادة عن مجاهد عن ابن عباس فذكر قصة مطولة ملخصها ان امرأة حسناء في زمان بني اسرائيل راودها عن نفسها أربعة من رؤسائهم فامتنعت على كل منهم فانفقوا فيما بينهم عليها فشهدوا عليها عند داود عليه السلام انها مكنت من نفسها كلبا لها قد عودته ذلك منها فامر برجمها فلما كان عشية ذلك اليوم جلس سليمان واجتمع معه ولدان مثله فانتصب حاكما وتزاي أربعة منهم بزي أو ثلث وآخر بزي المرأة

وكذلك الطير ، وقال قتادة يسبحن معه إذا صلى وقيل كان داود إذا قرأ يسمعه الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشتاق اليه (وكنا فاعلين) ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير (وعلناه صنعة لبوس لكم) المراد باللبوس هنا الدروع لانها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الاسلحة كلها وهو بمعنى الملبوس كالجلوس والركوب قال قتادة أول من صنع الدروع وسردها وحلقها داود وكانت من قبل صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة (لتحصنكم) لتحزركم وتمنعكم (من بأسكم) أي من حرب عدوكم قال السدي من وقع السلاح فيكم قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب لتحصنكم بالثاء يعني الصنعة وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله وعلناه وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل لللبوس وقيل ليحصنكم الله (فهل أنتم شاكرون) يقول لداود وأهل بيته وقيل يقول لاهل مكة (فهل أنتم شاكرون) نعمي بطاعة الرسول (وسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا سليمان الريح وهي هواء متحرك وهو جسم لطيف بمنع بلطفه من القبض عليه وبظهور الحسن بحركته والريح يذكر ويؤنث عاصفة شديدة الهبوب ، فإن قيل قد قال في موضع آخر تجري بأمره رخاء والرخاء الذين ؟ قيل كانت الريح تحت أمره ان أراد أن تشتد اشتدت ، وان أراد أن تلين لانت (تجري بأمره الى الارض التي باركنا فيها) يعني الشام وذلك انها كانت تجري لسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام (وكنا بكل شيء) علناه (عالمين) بصحة التدبير فيسه أي علناه أن

وشهدوا عليها بانها مكنت من نفسها كلبا فقال سليمان فرقوا بينهم فسالواهم ما كان لون الكلب فقال
أسود فعزله واستدعى الآخر فساله عن لونه فقال أحمر وقال الآخر أغبش وقال الآخر أبيض فأمر
عند ذلك بقتلهم فحكى ذلك لداود عليه السلام فاستدعى من فوره بأولئك الاربعة فسالهم متفرقين
عن لون ذلك الكلب فاختلفوا عليه فأمر بقتلهم وقوله (وسمخرنا مع داود الجبال بسبحن والطير) الاية
وذلك لطيب صوته بطلاوة كتابه الزبور وكان اذا ترنم به تقف الطير في الهواء فتجاوبه وترد عليه
الجبال تأويبا ولهذا لما مر النبي ﷺ على أبي موسى الأشعري وهو يتلو القرآن من الليل وكان له
صوت طيب جداً فوقف واستمع لقراءته وقال «لقد أوتي هذا من مزامير آل داود» قال يا رسول
الله لو علمت أنك تستمع لحبرته لك نجيرا . وقال أبو عثمان النهدي مسمعت صوت صنعج ولا يربط
ولا مزامير مثل صوت أبي موسى رضي الله عنه . ومع هذا قال عليه الصلاة والسلام «لقد أوتي مزاميرا
من مزامير آل داود» وقوله (وعلمناه صنعة لبوسكم لتحصنكم من بأسكم) يعني صنعة الدروع قال قتادة
انما كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها حلقا كما قال تعالى (وألنا له الحديد أن يعمل
سباغات وقدر في السرد) أي لا توسع الحلقة فتتعلق المسار ولا تفاظ المسار فتتد الحلقة ولهذا قال

ما يعطى سليمان من تسخير الريح وغيره يدعو به الى الخضوع لربه عز وجل . قال وهب بن منبه كان سليمان
اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان امرأ غزاة
قل ما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك إلا أنه حتى يذله فكان فيما يزعمون انه
اذا أراد الغزو أمر بعسكره فحضر بخراب ثم نصب له على الخشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة
الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا
استقلت به أمر الرخاء فمرت به شهراً في روعة وشهراً في غدوة الى حيث أراد وكانت تمر بعسكره
الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحر كما ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائراً قال وهب ذكر لي أن منزلا بناحية
دجلة مكتوب فيه كتبه بعض محابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلناه وما بنينا ومبينا
وجدناه وغدونا من اصطخر قلبناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فباتون بالشام قال مقاتل نسجت
الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهباً في ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب في وسط
البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة ويقعد الانبياء على كراسي الذهب
والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى
لا تنم عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومن الرواح الى الصباح
وعن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستائة ألف كرسي فيجلس الانس فيما يليه ثم يليهم الجن
ثم تظلم الطير ثم تحملهم الريح وقال الحسن لما شغلت الخيل نبي الله سليمان عليه السلام حتى فاتته
صلاة العصر غضب الله عز وجل ففقر الخيل فأبدله الله مكانها خيرا منها وأمرع الريح تجري بأمره

(لنحصدكم من بأسكم) يعني في القتال (فهل أنتم شاكرون) أي نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود فعله ذلك من أجلكم وقوله (ولسليمان الريح عاصفة) أي وسخرنا لسليمان الريح العاصفة (تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني أرض الشام (وكما بكل شيء عالمين) وذلك أنه كان له بساط من خشب يوضع عليه كل ما يحتاج إليه من أمور المملكة والحيل والجمال والحياض والجند ثم يأمر الريح أن تحمله فتدخل تحته ثم تحمله قترفعه وتسير به وتقله الطير تقيه الحر إلى حيث يشاء من الأرض فينزل وتوضع آلائه وحشمه قال الله تعالى (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) وقال تعالى (غدوها شهر ورواحها شهر) قال ابن أبي حاتم ذكر عن سفیان بن عيينة عن أبي سنان عن سعيد بن جبیر قال كان يوضع لسليمان ستمائة ألف كرسي فيجلس مما يليه مؤمنو الانس ثم يجلس من ورائهم مؤمنو الجن ثم يأمر الطير فتظلمهم ثم يأمر الريح فتحملهم ^{عليهم السلام} وقال عبد الله بن عبيد بن عمير كان سليمان يأمر الريح فتجتمع كالطود العظيم كالجبيل ثم يأمر بفراشه فيوضع على أعلى مكان منها ثم يدعو بفرس من ذوات الاجنحة فيرتفع حتى يصعد على فراشه ثم يأمر الريح قترفع به كل شرف دون السماء وهو مطايطه رأسه ما يلتفت يمينا ولا شمالا تعظيما لله عز وجل وشكرا لما يعلم من صغر ما هو فيه في ملك الله عز وجل حتى تضعه الريح حيث شاء ان تضعه وقوله (ومن الشياطين من يغوصون له) أي في الماء يستخرجون الآلي والجواهر وغير ذلك (وبهمولون

كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحا بكابل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فاذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وبهم يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش وروى أن سليمان سار من أرض العراق غازيا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ بحمله وجنوده الريح وتظلمهم الطير ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاء إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى على أرض القندهار وخرج منها إلى أرض مكران وكرمان ثم جاوزها حوالى أرض فارس فترأى أياما وغدا منها إلى الشام فقال بكسركم راح وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فينوها له بالصنّاح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفي ذلك يقول النابغة

إلا سليمان اذ قال للمليك له قم في البرية فاحدها عن الغند

وجيش الجن إني قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصنّاح والعمد

قوله تعالى (ومن الشياطين) يعني وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (وبهمولون عملا دون ذلك) يعني دون الغوص وهو

عملا دون ذلك أي غير ذلك كما قال تعالى (والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الاصفاد) وقوله (وكنالهم حافظين) أي يحرسه الله ان يناله أحد من الشياطين بسوء بل كل في قبضته وتحت قبره لا يتجاسر أحد منهم على الدنو اليه والقرب منه بل هو يحكم فيهم ان شاء أطلق وان شاء حبس منهم من يشاء ولهذا قال (آخرين مقرنين في الاصفاد)

وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣) فاستجبنا له فكشفنا

ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكري للعابدين (٨٤) يذكر تعالى عن أيوب عليه السلام ما كان أصابه من البلاء في ماله وولده وجسده وذلك أنه كان

ما ذكر الله عز وجل (بمملون له ما يشاء من محارب ومنتسل) الآية (وكنالهم حافظين) حتى لا يخرجوا من أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ماعلوا وفي القصة أن سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ماعمل وكان من عادة الشياطين انهم اذا فرغوا من العمل ولم يشغلوا بعمل آخر خربوا ماعلوا وافسدوا قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه) يعني دعا ربه قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن ابراهيم وكانت امه من اولاد لوط ابن هاران وكان الله قد اصطفاه وبناه وبسط عليه الدنيا وكانت له الثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من البقر والابل والغنم والخيول والحمر مالا يكون لرجل أفضل منه من العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان اثنان لكل اثنان من الولد اثنان وثلاثة واربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برأ تقيا راجيا بالمساكين يطعم المساكين ، ويكفل الارامل واليتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لا نعم الله ، مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الفنى من الغرة والغفلة والنشغل عن امر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل النين يقال له اليقن ورجلان من أهل بلده يقال لاحدهما يلدز والاخر ظافر وكانوا كهولا وكان ابليس لا يحب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع سموات فلما بعث محمد ﷺ حجب من الثلاث الباقية فسمع ابليس نجواب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادركه البغي والحسد فعهده سريرا حتى وقف من السماء موقفا كان يقفه فقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيتك فحمدك ولو ابتليته بنزع ما عطيتك لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ماله

له من الدواب والالعام والحرث شيء كثير وأولاد كثيرة ومنازل مرضية فابتلى في ذلك كله وذهب
عن آخره ثم ابتلى في جسده يقال بالجذام في سائر بدنه ولم يبق منه سليم سوى قلبه ولسانه يذكركهما
الله عز وجل حتى عافه الجليس وأفرد في ناحية من البلد ولم يبق أحد من الناس يحنو عليه سوى زوجته
كانت تقوم بأمه ويقال أنها احتاجت فصارت تخدم الناس من أجله. وقد قال النبي ﷺ «أشد الناس
بلاء الانبياء ثم الصالحون ثم الامثل فالامثل» وفي الحديث الآخر «يبتلى الرجل على قدر دينه فان كان
في دينه صلابة زيد في بلائه» وقد كان نبي الله أيوب عليه السلام غاية في الصبر وبه يضرب المثل في
ذلك وقال يزيد بن ميسرة لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب اهل المال والولد ولم يبق شيء
أحسن الذكر ثم قال: أحمدك رب الارباب الذي أحسنت الي أعطيتني المال والولد فلم يبق من قلبي

فانقض عدو الله ابليس حتى وقع الى الارض ثم جمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا
عندكم من القوة فاني قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال
فقال عفریت من الشياطين أعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصاراً من نار واحترقت كل
شيء. أتى عليه فقال له ابليس فائت الابل ورعاتها فأتى الابل حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها
فلم يشعر الناس حتى نار من تحت الارض اعصار من نار لا يدنو منها أحد إلا احترق فاحرقها
ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس في صورة قبيحة على قعود الى أيوب فوجده قائماً
يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت اهلك فاحرقها ومن فيها غيري فقال أيوب الحمد لله الذي
هو أعطاها وهو أخذها وقديما ما وطنت نفسي ومالي على الفناء فقال ابليس فان ربك أرسل عليها
ناراً من السماء فاحترقت فتركت الناس مبهورين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد
شيئاً وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه ومنهم
من يقول بل هو الذي فعل ذلك ليشمت به عدوه ويفجع به صديقه فقال أيوب: الحمد لله حين اعطاني
وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر الى الله ليس لك
أن تفرح حين أعارك، ولا أن تجزع حين قبض عاريته منك الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله
فيك أيها العبد خيرا النقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيداً ولكنه علم منك شراً فأخرك
فرجع ابليس الى أصحابه خائباً خاسراً ذليلاً فقال لهم ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلبه قال
عفریت عندي من القوة ما إذا شئت صبحت صبيحة لا سمعها ذرورح إلا خرجت مهجة نفسه فقال
ابليس فائت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صبيحة فتجشمت امواتاً عن آخرها ومات رعاؤها
ثم جاء ابليس متمثلاً بقهرمان الرعاة الى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الاول فرد عليه مثل
الرد الاول ثم رجع ابليس الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفریت
عندي من القوة ما اذا شئت تحولت ريحاً عاصفاً تنسف كل شيء. أتى عليه قال فائت الغنم والحرث

شعبة الا قد دخله ذلك فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي فليس يحول بيني وبينك شيء لو يعلم عدوي ابليس بالذي صنعت حسدني . قال فلقي ابليس من ذلك منكرا قال وقال أيوب عليه السلام يارب انك أعطيتني المال والولد فلم يقم على بابي أحد يشكوني لظلم ظالمته وأنت تعلم ذلك وانه كان يوطأ لي الفراش فأتركها وأقول لنفسي يانفس انك لم تخلفي لوطه الفراش ما تركت ذلك إلا ابتغاء وجهك . رواه ابن أبي حاتم وقد روي عن وهب بن منبه في خبره قصة طويلة ساقها ابن جرير وابن أبي حاتم بالسند عنه وذكرها غير واحد من متأخري المفسرين وفيها غرابة تركناها لحال الطول ، وقد روى أنه مكث في البلاء مدة طويلة ثم اختلفوا في السبب المبهج له على هذا الدعاء فقال الحسن وقادة ابني أيوب عليه السلام سبع سنين وأشهر ما لم يلق على كناسة بني إسرائيل تختلف الدواب في

فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ، ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمان الحرث الى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الاول فرد عليه أيوب مثل رده الاول كلما انتهى اليه هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثناء عليه رضي منه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء ، حتى لم يبق له مال فلما رأى ابليس أنه قد افنى ماله صعد الى السماء فقال إلهي إن أيوب يرى منك أنك مامنته بولده فانت تعطيه المال فهل انت مسلطي على ولده فانها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله ابليس حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزل بهم حتى تداعى من قواعده ثم جعل ينطح جدره بعضها ببعض وبرمبهم بالخشب والجندل حتى اذا مثل بهم كل مثله رفع النصر فقلبه فصاروا منكسين ثم انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وقال لو رأيت بنيتك كيف عذبوا وقلبووا كانوا منكسين على رؤسهم تسيل دماؤهم ودماغهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فيكي وقبض قبضة من التراب فوضعا على رأسه وقال ياليت أمتي لم تلدني فاعتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جذع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن فاء وابصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو أعلم فوقف ابليس ذليلا فقال يا إلهي إنما هون على أيوب المال والولد أنه يرى منك مامنته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطي على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه وكان الله عز وجل أعلم به لم يسلطه عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكري للعابدين في كل بلاء يزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فمجل قبل أن يرفع رأسه فأنام من قبل وجهه فتفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسيم جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثأليل مثل أليات القم ووقعت فيها حكة فحكها باظفارها حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الحشنة حتى قطعها ثم حكها بالمخار

جسده ففرج الله عنه وأعظم له الاجر وأحسن عليه الثناء، وقال وهب بن منبه مكث في البلاء ثلاث سنين لا يزيد ولا ينقص وقال السدي تساقط لحم أيوب حتى لم يبق إلا العصب والعظام فكانت امرأته تقوم عليه وتأتيه بالزاد يكون فيه فقالت له امرأته لما طال وجعه يا أيوب لودعوت ربك فرج عنك فقال قد عشت سبعين سنة صحيحا فهو قليل لله ان أصبر له سبعين سنة فجذعت من ذلك فخرجت فكانت تعمل للناس بالاجر وتأتيه بما نصيب فتطعمه وان ابليس انطلق الى رجلين من أهل فلسطين كانا صديقين له وأخوين فأتاهما فقال أخوك أيوب أصابه من البلاء كذا وكذا فأتياه وزوراه واحملا معكما من خمر أرضكما فانه ان شرب منه برى فأتياه فلما نظرا اليه بكيا فقال من أنتما فقالا نحن فلان وفلان فرحب بهما وقال مرحبا بمن لا يحفوني عند البلاء. فقالا يا أيوب لعلك كنت تسر شيئا ونظرا

والحجارة الخشنة فلم يزل يحكما حتى نفل لحمه وتقطع وتغير وأثنى واخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عربشا فرفضه خلع الله كلهم غير امرأته رحمة وهي بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما رأى الثلاثة من اصحابه وهم يقن ويلدد وظافروا ما ابتلاه الله به أنهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذي عوقبت به وكان ممن حضره معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم : إنكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم احق بالكلام مني لاسنانكم ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الامر أجمل من الذي أنتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم، وحرمة من انتهكتهم، ومن الرجل الذي عبتهم وأنهمتم، ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الارض في يومكم هذا ثم لم تعملوا ولم يطلعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئا من أمره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي اكرمه بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول ما صحبتهموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أذرى به عندكم ورضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله يبتلي المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاؤلائك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنه كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ احببتموه على وجه الصعوبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذب أخاه عند البلاء. ولا أن يعيره بالمصيبة ولا أن يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مرشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا. فآله الله أيها الكهول وقد كانت في عظمة الله عز جلاله وذكر الموت ما يقطع السننكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عابدا اسكتهم خشيته من غير عي ولا بكم وأنهم لم الفصحاء، البلغاء، النبلاء، الالباء، العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السننهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت

غيره فلذلك ابتلاك فرفع رأسه الى السماء فقال : هو يعلم ما أسررت شيتنا أظهرت غيره ولكن ربي ابتلاني لينظر أصبر أم أجزع فقال له يا أيوب اشرب من خمرنا فانك ان شربت منه برأت قال فغضب وقال جاء كما الخبيث فامر كما بهذا كلامكما وطعامكما وشرابكما علي حرام فقاما من عنده وخرجت امرأته تعمل للناس فخبزت لاهل بيت لم صبي فجعلت لهم قرصا وكان ابنهم نائما فكرهوا ان يوقظوه فوهبوه لها فأتت به الى أيوب فأكره وقال ما كنت تأتيني بهذا فما بالك اليوم فاخبرته الخبر قال فلعل الصبي قد استيقظ فطالب القرص فلم يجده فهو يبكي على أهله فانطلقني به اليه فأقبلت حتى بلغت درجة القوم فنطحها شاة لهم فتالت تمس أيوب الخطا فلما صعدت وجدت الصبي قد استيقظ وهو يطلب القرص ويبكي على أهله لا يقبل منهم شيئا غيره فتالت رحمه الله يعني أيوب فدفعت اليه

عقولهم اعظاما واجلالا لا الله عز وجل فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله عز وجل بالاعمال الزكية يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين وانهم لا يبرار نزها براء ومن المقصرين والمفرطين وانهم لا كياس اقويا . فقال أيوب ان الله عز وجل يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فتى نبت في القلب يظهرها على اللسان، وليست تكون الحكمة من قبل السن والشية ولا طول التجربة، واذا جعل الله العبد حكما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء، وهم يرون من الله عليه نور الكرامة، ثم عرض عنهم أيوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال : رب لا شيء خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني ياليتني قد عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت نصرفت به وجهك الكريم عني لو كنت امتني فالحقني بأبائي الكرام فالموت كان اجهل بي، ألم أكن لغريب دارا، وللمسكين قرارا وللينيم ولينا، وللارملة قيا، إلهي أنا عبدك ان احسنت فالن لك، وان أسأت فبيدك عقوبي وجعلتني للبلاء غرضا، وللفتنة نصبا وقد وقع علي بلا، لو سيطرته على جبل لضعف عن حمله فكيف بحمله ضعفي وان قضاءك هو الذي أذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني وانحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى أتكلم بمل في بما كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه رجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا اسمعه فلا نظر إلي فيرحمني ولا دنا مني ولا ادناني فأدلي بعذري، وأنكم يبرائي، واخاصم عن نفسي، فلما قال ذلك أيوب واصحابه عنده أظله غمام حتى ظن اصحابه أنه عذاب أليم ثم نودي يا أيوب ان الله عز وجل يقول ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببرائك وخاصم عن نفسك واشدد أزارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي أن يخاصمني الا جبار مثلي ولا شبه لي لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما تبلغه بمثل قوتك أين أنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل كنت معي عند باطرافها؟ وهل علمت بأي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكنافها أبطاعتك حمل اناء الارض أم بحكمتك كانت الارض للماء غطاء، أين كنت مني يوم رفعت السماء

القرص ورجعت ثم ان ابليس أتاها في صورة طيب فقال لها ان زوجك قد طال سقمه فان أراد ان يبرأ فليأخذ ذبابا فليذبحه باسم صنم بني فلان فانه يبرأ ويتوب بعد ذلك فقالت ذلك لأيوب فقال قد أتاك الحيث لله على ان برأت ان أجلك مائة جلدة فخرجت تسعى عليه فخطر عنها الرزق فجعلت لا تأتي أهل بيت فيريدونها فلما اشتد عليها ذلك وخافت على أيوب الجوع حلقت من شعرها قرنا فباعته من صبية من بنات الاشراف فاعطوها طعاما طيبا كثيرا فأتت به أيوب فلما رآه أنكروه وقال من أين لك هذا قالت عملت لاناس فاعطوني فاكل منه فلما كان الغد خرجت فطلبت ان تعمل فلم تجد خلقت أيضا قرنا فباعته من تلك الجارية فاعطوها أيضا من ذلك الطعام فأتت به أيوب فقال والله لأطعمه حتى أعلم من أين هو فوضعت خمارها فلما رأى رأسها معلوقا جزع جزعا شديدا فعند ذلك

سقطا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ، ولا تقبلها دعم من تحتها ، هل تبلغ من حكمتك أن يجري نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلا ونهارها ، أين أنت مني يوم تبعث الأنهار وسكرت البحار أيسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها ، أم يقدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدنها ، أين أنت مني يوم صببت السماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال ، هل تدري على أي شيء أرسيتها أو بأي مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها ، وهل تدري من أين الماء الذي أزلت من السماء أم هل تدري من أي شيء أنشئ السحاب أم هل تدري أين خزائن الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل وأين خزائن الريح وبأي لغة تتكلم الاشجار ، ومن جعل العقول في أجواف الرجال ؟ ومن شق الاسماع والابصار ؟ ومن ذلت الملائكة للسكر وقهر الجبارين بحجروته وقسم الارزاق بحكمته . في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب ، فقال أيوب صغر شائي وكل لساني وعقلي ورأيت وضعفت قوتي عن هذا الامر الذي تعرض علي يا الهي قد علمت أن كل الذي ذكرت صنيع يديك وتدير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت لا بعجزك شيء . ولا يخفى عليك خافية اذ كنتني البلاء يا الهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني ، فليت الارض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء . بسخط ربي ولتني مت بغمي في أشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت لتعذرنني وسكت حين سكت لترحمي كلمة زلت مني فلن أعود وقد وضعت يدي على فمي وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعوذ بك اليوم منك وأستجيرك من جهد البلاء فأجرني وأستغيث بك من عقابك فاغثني وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل عليك فاكفني وأعتصم بك فاعصمني وأستغفرك فاغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني . قال الله تعالى : يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلاك ومالك ومثلم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء . وعزاء قصارين فاركض برجلك هذا مفتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك قربانا فاستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك فركض برجله

دعا الله عز وجل فقال رب (اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا حماد حدثنا أبو عمران الجوني عن نوف البكالي ان الشيطان الذي عرج في أيوب كان يقال له مبسوط قال وكانت امرأة أيوب تقول ادع الله فيشفيك فجعل لا يدعو حتى مر به نفر من بني إسرائيل فقال بعضهم لبعض ما أصابه ما أصابه إلا بذنب عظيم أصابه فعند ذلك قال (رب اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) وحدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا جرير بن حازم عن عبد الله بن عبيد ابن عمير قال كان لا يوب عليه السلام أخوان فجاء أبو ما فلم يستطيعا ان يدنوا منه من ريحه فقاما من بعيد فقال احدهما للآخر لو كان الله علم من أيوب خيرا ما ابتلاه بهذا فجزع أيوب من قولهما جزعا لم

فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فاذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلمسه في مضجعه فلم تجده فقامت كالوالهة مترددة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبلى الذي كان ههنا ؟ فقال لها هل تعرفينه اذا رأيته ؟ قالت نعم ومالي لا أعرفه ثم تبسم وقال أنا هو فعرفته بضحك فاعتنقته . قال ابن عباس فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقه من عنقه حتى مر بهما كل مال لها وولد فذلك قوله تعالى (وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وفي مدة بلائه فروى ابن شهاب عن أنس يرفعه أن أيوب لبث في بلائه ثمانى عشرة سنة ، وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما ، وقال كعب كان أيوب في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرًا مختلف فيه الدواب لا يقربه أحد غير امرأته رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمدوا أيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله والصبر على ما ابتلاه به فصرخ إبليس صرخة جهم بها جنوده من أقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا له ما حزنك ؟ قال أعياني هذا العبد أيوب الذي لم ادع له مالا ولا ولدا فلم يزد إلا صبرا ثم سلطت على جسده قرحه قرحه ملقاة على كناسة لا يقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له أين مكرك الذي أهلكت به من مضى ؟ قال بطل ذلك كله في أيوب فاشيروا علي قالوا نشير عليك من أين أتيت آدم حين أخرجه من الجنة ؟ قال من قبل امرأته قالوا فشأنك في أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصيا وليس أحدي يقربه غيرها . قال أصبتم فانطلق حق أنى امرأته وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع مقاتلها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا . قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم ان قد جزعت فأتاها بسخلة وقال ليذبح هذه لي أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الصحيح اذبح هذه

يجزع من شيء قط فقال: اللهم ان كنت تعلم اني لم أبت ليلة قط شعبان وأنا أعلم مكان جائع فصدقني فصدق من السما. وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم يكن لي قيصان قط وأنا أعلم مكان عار فصدقني فصدق من السما. وهما يسمعان ثم قال: اللهم بعزتك ثم خر ساجدا فقال اللهم بعزتك لا أرفع رأسي أبدا حتى تكشف عني فمارفم رأسه حتى كشف عنه ، وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر مرفوعا بنحو هذا فقال أخبرنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد عن عقال عن الزهري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثمانين سنة فرفضه القريب والبعد إلا رجلين من أخوانه كانا من أخص أخوانه له كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله

السخلة واسترح قال أيوب أنك عدو الله فنفخ فيك ويحك أرايت ماتبكين عليه من المال والولد والصحة من أعطانيه ؟ قالت الله قال فكيف متعنا به قالت ثمانين سنة قال فذكرم ابتلائنا قالت منذ سبع سنين وأشهر قال ويحك ما أنصفت ألا صبرت في البلا. ثمانين سنة كما كنا في الرخاء ثمانين سنة والله أثن شفائي الله لا جلد لك مائة جلدة أمرتني أن أذبح أغير الله طعامك وشرابك الذي أتيتني به على حرام وحرام على أن أذوق شيئا مما أتيتني به بعد إذ قلت لي هذا فاعزبي عني فلا أراك فطردوها فذهبت فلما نظر أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاعتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء . ظاهر الاسقط ، وعاد اليه شبابه وجماله أحسن ما كان ، ثم ركض برجله ركضة أخرى فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء . الإخراج قيام صحيحاً وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال الا وقد ضاعفه الله حتى ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على صدره جرأداً من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله اليه يا أيوب ألم أغئك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم إن امرأته قالت أرايتك ان كان أيوب طردني الى من أكله أدعه يموت جوعاً وبضيم فتأكله السباع لأرجعن اليه فرجعت فلا كنانة ترى ولا تلك الحالة التي كانت وإذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عنه فدعاها أيوب فقال ما تريد يا أمة الله فبكيت وقالت أردت ذلك الميت الذي كان منبوا على الكناسة ولا أدري أضع أم ما فعل فقال أيوب ما كان منك فبكيت وقالت بعلي قال فهل تعرفينه إذا رأيتك فقالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه ، ثم قالت أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً قال فاني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لابليس واني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد علي ما ترين وقال وهب لبث أيوب في البلا. ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مراكب ليس من مراكب الناس

لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وما ذاك؟ قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب عليه السلام ما أدري ما تقول غير ان الله عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين بتنازعان فيذكر ان الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنها كراهية أن يذكر الله إلا في حق، قال وكان يخرج في حاجته فاذا قضاهَا أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأت عليه فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مفقسل بارد وشراب، رفع هذا الحديث غريب جداً

له عظم وبها. وكل فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبلى؟ قالت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا إله الارض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد الله إله السماء وتركني فاغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لك من مال وولد فانه عندي ثم أراها إياهم يطن الوادي الذي لقيها فيه. قال وهب وقد سمعت أنه إنما قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما ولم بسم الله عليه لعوفي مما به من البلاء والله أعلم، وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والاولاد وأعافي زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أتاك عدو الله إبليس ليفتنك عن دينك ثم أقسم لو أن الله عافاه ليضربها مائة جلدة وقال عند ذلك مسني الضر من طمع إبليس في سجد امرأتي له ودعائه إياها وإيائي إلى الكفر، ثم ان الله عز وجل رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد ان يبر بين أيوب فأمره أن يأخذ ضغنا يشتمل على مائة عود صغار فيضربها به ضربة واحدة ثم قال الله تعالى (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تخش) وروى أن إبليس اتخذ تابوتا وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يدأوي الناس فرت به امرأة أيوب فقالت يا شيخ إن لي مريضا أفتداويه؟ قال نعم والله لا أريد شيئا الا أن يقول إذا شفيتها أنت شفيتني. فذكرت ذلك لايوب فقال هو إبليس قد خدعك ثم حلف ان شفاه الله أن يضربها مائة جلدة، وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وستمها الناس ولم يستعملها أحد التمس له يوما من الايام ما تطعمه فوافقت شيئا فجرت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأنته به فقال لها أين قرنك؟ فأخبرته فحينئذ قال مسني الضر وقال قوم إنما قال ذلك حين قصدت الدودة الى قلبه واسانه فخشى أن يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء (أحدها) قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجأا اليه ولم يبق له الا عيناه فرأيا أمراً عظيماً فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا (والثاني) ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها وحملت اليه طعاما (والثالث) قول إبليس اني أدأويه على ان يقول انت شفيتني. وقيل ان إبليس وسوس اليه ان امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل صبره فدعا وحلف ليضربها مائة جلدة. وقيل معناه مسني الضر

وروي ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن أمية بن حماد أخبرنا علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال وأبسه الله حلة من الجنة فتحنى أيوب فجلس في ناحية وجاءت امرأته فلم تعرفه فقالت يا عبد الله أين ذهب هذا المبلى الذي كان ههنا لعل الكلاب ذهبت به أو الذئب فجعلت تكلمه ساعة . فقال ويحك أنا أيوب قالت أنت سخر مني يا عبد الله ؟ فقال ويحك أنا أيوب قد رد الله علي جسدي ، وبه قال ابن عباس ورد عليه ماله وولده عيانا ومثلهم معهم ، وقال وهب بن منبه أوحى الله إلى أيوب قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم فاغتسل بهذا الماء فإن فيه شفاك وقرب عن صحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك . رواه ابن أبي حاتم

وقال أيضاً حدثنا أبو زرعة حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا همام عن قتادة عن النضر بن أنس عن بشير بن نهبك عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يأخذ منه بيده ويجمعه في ثوبه قال قيل له يا أيوب أما تشبع ؟ قال يارب ومن يشبع من رحمتك ؟ » أصله في الصحيحين وسياقي في موضع آخر

من شئمة الأعداء حتى روي أنه قيل له بعد ما عوفي ما كان أشد عليك في بلائك قال شئمة الأعداء وقبل قال ذلك حين وقعت دودة من فخذها إلى موضعها وقال كلي فقد جعلني الله طعامك فعضته عضه زاد ألمها على جميع ما قاساه من عض الديدان . فان قيل إن الله ساء صابراً وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله أني مسني الضر وأنني منسني الشيطان بنصب ؟ قيل ليس هذا شكاية إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى (فاستجبنا له) على أن الجزع إنما هو في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعاً ولا ترك صبر كما قال يعقوب (إنما أشكو بي وحزني إلى الله) قال سفيان بن عيينة وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعاً كما روي أن جبريل دخل على النبي ﷺ في مرضه فقال كيف تجدك ؟ قال « أجدني مغموماً وأجدني مكروباً » وقال لعائشة حين قالت واراأساه قال « بل أنا واراأساه »

قوله (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) وذلك أنه قال له اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يركض برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره فشرب منها ففعل فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجلهم (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) واختلّفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعينهم أحياهم الله له وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن . قال الحسن آتاه الله المثل من نسل ماله الذي رد الله إليه وأهله بدل عليه ما روي عن الضحاك عن ابن عباس أن الله عز وجل رد إلى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكراً قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين ، وقال ابن

وقوله (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قد تقدم عن ابن عباس انه قال ردوا عليه بأعيانهم وكذا رواه العوفي عن ابن عباس أيضاً وروى مثله عن ابن مسعود ومجاهد وبه قال الحسن وقتادة ، وقد زعم بعضهم أن اسم زوجته رحمة فان كان أخذ ذلك من سياق الآية فقد أبعد النجعة وإن كان أخذه من نقل أهل الكتاب وصح ذلك عنهم فهو مما لا يصدق ولا يكذب ، وقد سماها ابن عساکر في تاريخه رحمة الله تعالى قال ويقال اسمها ليا بنت ميثا بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، قال ويقال ليا بنت يعقوب عليه السلام زوجة أيوب كانت معه بأرض الثنية ، وقال مجاهد قيل له يا أيوب ان أهلك لك في الجنة فان شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك في الجنة وعوضناك مثلهم قال لا بل انركم في الجنة فتركوا له في الجنة وعوض مثلهم في الدنيا ، وقال حماد بن زيد عن أبي عمران الجوني عن نوف البكالي قال أوتي أجرمهم في الآخرة وأعطيت مثلهم في الدنيا ، قال فحدثت به مطرفا فقال ما عرفت وجهها قبل اليوم وهكذا روي عن قتادة والسدي وغير واحد من السلف والله أعلم

وقوله (رحمة من عندنا) أي فعلنا به ذلك رحمة من الله به (وذكرى للعابدين) أي وجعلناه في ذلك قدوة لئلا يظن أهل البلاء انما فعلنا بهم ذلك لهُوانهم علينا ، وليتأسوا به في الصبر على مقذورات الله وابتلائه لعباده بما يشاء ، وله الحكمة البالغة في ذلك

يسار كان له سبع بنين وسبع بنات. وروي عن أنس برفعه أنه كان له أندران أندر القمح وأندر الشعير فبعث الله عز وجل صحابيتين فأفرغت أحدهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض، وروي أن الله تعالى بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج على اندرك فخرج اليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبها وردها الى اندره فقال له الملك اما يكفئك ما في اندرك ؟ فقال هذه بركة من بركات ربي ولا أشبع من بركته . أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي أنا محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمي أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال أنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ بينا أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحني في ثوبه فتداه به يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال بلى وعزتك ولكن لا غنى لي عن بركتك ، وقال قوم آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا اما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه في الدنيا . قال عكرمة قيل لأيوب ان أهلك لك في الآخرة فان شئت عجّلناهم لك في الدنيا وان شئت كانوا لك في الآخرة وأتيناك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لي في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا وأراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) أي نعمة من

واسماعيل وإدريس وذا الكفل ، كل من الصابرين (٨٥) وأدخلهم في رحمتنا

انهم من الصالحين (٨٦)

أما اسماعيل فالمراد به ابن ابراهيم الخليل عليها السلام وقد تقدم ذكره في سورة مريم وكذا إدريس عليه السلام . وأما ذو الكفل فالظاهر من السياق انه ماقرن مع الانبياء إلا وهوني ، وقال آخرون انما كان رجلا صالحا وكان ملكا عادلا وحكما مقسطا ، وتوقف ابن جرير في ذلك فالله أعلم قال ابن جرير عن مجاهد في قوله (وذا الكفل) قال رجل صالح غيرني تكفل لبي قومه أن يكفيه أمر قومه وقيمهم له ويقضي بينهم بالعدل ففعل ذلك فسمي ذا الكفل وكذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أيضا ، وروى ابن جرير حدثنا محمد بن المثنى حدثنا عثمان بن وهيب حدثنا داود عن مجاهد قال لما كبر اليعسم قال لو أني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى أنظر كيف يفعل ، فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث : أستخلفه فيصوم النهار ويقوم الليل ولا يفضب قال فقام رجل يزدريه الاعين فقال أنا ، فقال أنت تصوم النهار وتقوم الليل ولا يفضب ؟ قال نعم ، قال فردده ذلك اليوم وقال مثله في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه قال فجعل إبليس يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم ذلك فقال دعوني وإياه فأنا في صورة شيخ كبير فقير فأنا حين أخذ مضجعه للقائلة — وكان لا ينام الليل والنهار الا تلك النومة — فدق الباب فقال من هذا ؟ قال شيخ كبير مضطرب ، قال فقام ففتح الباب فجعل يقص عليه فقال انت بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا بي وفعلوا ، وجعل يطول عليه حتى حضر الروح وذهبت القائلة فقال اذا رحمت فانتني آخذ لك بحقك ، فانطلق وراح فسكران في مجلسه فجعل

عندنا (وذكرى للعابدين) اي عظة وعبرة لهم قوله (واسماعيل) يعني ابن ابراهيم (وإدريس) وهو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) على امر الله واختلفوا في ذا الكفل فقال عطاء ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اوحى الله اليه اني اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل لك انه يصلي بالليل ولا يفتر وبصوم بالنهار ولا يفطر ويقضي بين الناس ولا يفضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا انكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمي ذا الكفل قال مجاهد لما كبر اليعسم قال لو اني استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتي حتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضي بين الناس ولا يفضب ؟ فقام رجل يزدريه العين فقال انا فردده ذلك اليوم وقال مثله في اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فأنا إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا ؟ فقال شيخ

ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه ، فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدى الباب فقال من هذا؟ قال الشيخ الكبير المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فائتني قال انهم أخبرت قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قت جعدوني قال فانطلق فاذا رحت فائتني قال ففاته القائلة فراح فجعل ينتظره ولا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدع أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فاني قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فقال له الرجل وراك وراءك قال اني قد أتيتك أمس وذكرت له أمري فقال لا والله لقد أمرنا أن لا ندع أحداً يقربه فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت واذا هو يدق الباب من داخل قال واستيقظ الرجل فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي والله فلم تؤت فانظر من أين أتيت قال فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الرجل معه في البيت فعرفه فقال أعدو الله؟ قال نعم أعبيتني في كل شيء ففعلت ما ترى لا غضبك فسماه الله ذا الكفل لانه تكفل بامر فوقي به. وهكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث زهير بن اسحاق عن داود عن مجاهد بن ثعلبة، وقال ابن أبي حاتم حدثنا ابي حدثنا احمد بن يونس حدثنا ابو بكر بن عياش عن الاعمش عن مسلم قال : قال ابن عباس كان قاض في بني اسرائيل فحضره الموت فقال من يقوم مقامي على أن لا يغضب قال فقال رجل أنا فسعي ذا الكفل قال فكان ليله جميعاً يصلي ثم يصبح صائماً فيقضي بين الناس قال وله ساعة يقبليها قال فكان كذلك فأتاه الشيطان عند نومه فقال له أصحابه مالك؟ قال انسان مسكين له على رجل حق وقد غلبني عليه قالوا كما أنت حتى يستيقظ قال وهو فوق قائم قال فجعل يصيح عداً حتى يوقظه قال فسمع فقال مالك قال انسان مسكين له على رجل حق قال فاذهب فقل له يعطيك قال قد أبي قال اذهب أنت اليه قال فذهب ثم جاء من الغد فقال مالك قال ذهبت اليه فلم يرفع بكلامك

كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى حضر الروح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فائتني حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يتبعه فلما كان من الغد جلس يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع الى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدى الباب فقال من هذا؟ فقال الشيخ المظلوم ففتح له فقال ألم أقل لك اذا قعدت فائتني فقال انهم أخبرت قوم إذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قت جعدوني قال فانطلق فاذا رحت فائتني ففاته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدع أحداً يقرب هذا الباب حتى أنام فانه قد شق علي النوم فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أسرك فقال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فاذا هو مغلق كما هو أغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال أنام والخصوم يبالبك فعرفه

رأساً قال اذهب اليه فقل له يعطيك حنك فذهب ثم جاء من الغد حين قال . قال فقال له أصحابه اخرج
فهل الله بك تجي . كل يوم حين ينام لا تدعه ينام قال فجعل يصيح من أجل اني مسكين لو كنت غنياً ،
قال فسمع أيضا فقال مالك قال ذهبت اليه فضر بني ، قال امش حتى أجي . معك قال فهو ممسك بيده
فلما رآه ذهب معه نثر يده منه ففر . وهكذا روي عن عبدالله بن الحارث ومحمد بن قيس وأبي حنيفة
الاكبر وغيرهم من السلف نحو هذه القصة والله أعلم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الجماهر أخبرنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة عن كنانة بن
الاحنس قال سمعت الاشعري وهو يقول على هذا المنبر : ما كان ذو الكفل نبيا ولكن كان — يعني في
بني اسرائيل — رجل صالح يصلي كل يوم مائة صلاة فتكفل له ذو الكفل من بعده فكان يصلي كل يوم
مائة صلاة فسمي ذا الكفل ، وقد رواه ابن جرير من حديث عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال :
قال أبو موسى الاشعري فذكره منقطعاً والله أعلم ، وقد روى الامام أحمد حديثا غريبا فقال حدثنا
أسباط بن محمد حدثنا الاحمش عن عبدالله بن عبدالله عن سعيد مولى طلحة عن ابن عمر قال : سمعت
من رسول الله ﷺ حديثا لو لم أسمعه الا مرة أو مرتين حتى عد سبع مرات ولكن سمعته أكثر من
ذلك قال : كان الكفل من بني اسرائيل لا يتورع من ذنب عمله فأثته امرأة فأعطاه ستين دينارا على
أن يظأها فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته أرعدت وبكت فقال ما يبكيك أكرهتك ؟ قالت لا
ولكن هذا عمل لم أعمله قط وإنما حملني عليه الحاجة ، قال ففعلين هذا ولم تفعلينه قط ثم نزل فقال اذهبي
بالدينير لك ثم قال والله لا يعصي الله الكفل أبداً فمات من ليلته فأصبح مكتوبا على بابه قد غفر الله
للكفل ، هكذا وقع في هذه الرواية الكفل من غير إضافة والله أعلم ، وهذا الحديث لم يخرج أحد من
أصحاب الكتب الستة واسناده غريب ، وعلى كل تقدير فلفظ الحديث ان كان الكفل ولم يقل
ذو الكفل فلعله رجل آخر والله أعلم

وذا النون إذ ذهب مغضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت

فقال أعدو الله قال نعم أعيتني ففعلت ما ترى لا غضبك فعصمك الله مني فسمي ذا الكفل لانه تكفل
أمرأ فوفى به ، وقيل ان ابليس جاءه وقال ان لي غريما يعطاني فأحب أن تقوم معي وتستوفي حقي منه
فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاء وذهب ، وروي انه اعتذر اليه وقال ان صاحبي هرب وقيل
ان ذا الكفل رجل كفل أن يصلي كل ليلة مائة ركعة الى أن يقبضه الله فوفى به ، واختلفوا في انه
هل كان نبيا فقال بعضهم كان نبيا وقيل هو الياس وقيل زكريا وقال ابو موسى لم يكن نبيا ولكن
كان عبداً صالحا ﴿ وأدخلناهم في رحمتنا ﴾ يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوة وصيرهم اليه في
الجنة من الثواب ﴿ أنهم من الصالحين ﴾ وذا النون أي اذ كر صاحب الحوت وهو يونس بن متى

سبحنك اني كنت من الظالمين (٨٧) فاستجبنا له ونجينه من الغم، وكذلك ننجي المؤمنين (٨٨) هذه القصة المذكورة ههنا وفي سورة الصافات وفي سورة ن، وذلك ان يونس بن متى عليه السلام بعثه الله الى اهل قرية نينوى وهي قرية من ارض الموصل فدعاهم الى الله تعالى فأبوا عليه وعادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مغاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا الى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم وفرقوا بين الامهات وأولادهن ثم نضرعوا الى الله عز وجل وجأروا اليه ورجعت الابل وفصلانها، وخارت البقر وأولادها، وثقت الغنم وسخاها، فرفم الله عنهم العذاب قال الله تعالى (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين)

وأما يونس عليه السلام فانه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلجبت بهم وخافوا أن يفرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخففون منه فوقعت القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا قال الله تعالى (فسام فکان من المدحضين) أي وقعت عليه القرعة فقام يونس عليه السلام ونجود من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه من البحر الاخضر — فيما قاله ابن مسعود — حوتا بشق البعير حتى جاء فالتقم يونس حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله الى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما ولا تهشم له عظما فان يونس ليس لك رزقا وإنما بطئك تكون له سجناء، وقوله (وذا النون) يعني الحوت صحت الاضافة اليه بهذه النسبة وقوله (اذ ذهب مغاضبا) قال الضحاك لقومه (فظن أن لن نقدر عليه) أي تضيق عليه في

(اذ ذهب مغاضبا) اختلفوا في معناه فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين ففزام ملك فسي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فأوحى الله الى شعيب النبي أن سر الى حزقيال الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فاني ألقى معه هبة في قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس انه قوي أمين فدعا الملك يونس فأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراحي قال لا قال فهل مجاني لك قال لا قال فهنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي وللملك واقومه فأتى بحر الروم فركبه . وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبير وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله تعالى وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة ههنا من المفاعلة التي تكون من واحد كالسافرة والمعاقبة فمعنى قوله مغاضبا أي غضبان،

بطن الحوت بروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى (ومن قدر عليه رزقه فايقن مما آتاه الله لا يكاف الله نفسا الا ما آتاه ، سبحانه) الله بعد عسر يسراً) وقال عطية العوفي أي فظن أن لن تقدر عليه أي تقضي عليه كأنه جهل ذلك بمعنى التقدير فان العرب تقول قدر وقدر بمعنى واحد ، وقال الشاعر

فلا عائد ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يكن ذلك الامر

ومنه قوله تعالى (فالتقى الماء على أمر قد قدر) أي قدر وقوله (فنأدى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانه) إني كنت من الظالمين) قال ابن مسعود ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وكذا روي عن ابن عباس وعمرو بن ميمون وشعيب بن جبيرة ومحمد بن كعب والضحاك والحسن وقتادة ، وقال سالم بن أبي جعد ظلمة حوت في بطن حوت آخر في ظلمة البحر قال ابن مسعود وابن عباس وغيرهما وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها حتى انتهى به الى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحمى في قراره فعند ذلك وهناك قال (لا إله إلا أنت سبحانه) إني كنت من الظالمين) وقال عوف الاعرابي لما صار يونس في بطن الحوت ظن أنه قد مات ثم حرك رجله فلما تحرك سجد مكانه ثم نادى يارب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس ، وقال سعيد بن أبي الحسن البصري مكث في بطن الحوت أربعين يوماً رواها ابن جرير وقال محمد بن اسحاق بن يسار عن حديثه عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحماً ولا تكسر

وقال الحسن انما غاضب ربه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قوم لينذرهم بأسه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخص الذي هم قميّل له ان الامر أمرع من ذلك حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وكان في خلقه ضيق فذهب مفاضياً . وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق الى أهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب فانطلق الى السفينة ، وقال وهب بن منبه ان يونس بن متى كان عبداً صالحاً وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقفزها بين يديه وخرج هارباً منها فلذلك أخرجه الله من أولي العزم من الرسل ، وقال انبيه محمد ﷺ (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل * ولا تكن كصاحب الحوت)

قوله (فظن أن لن تقدر عليه) أي لن تقضي عليه بالعقوبة قال مجاهد وقتادة والضحاك والكلبي وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال قدر الله الشيء تقديرأ وقدره يقدر قدرأ بمعنى واحد ومنه قوله (نحن قدرنا بينكم الموت) في قراءة من حفظها دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهري فظن أن لن تقدر عليه بالتشديد ، وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نقضي عليه الحبس

له عظام فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر قال وسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ياربنا انا نسبح صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبيد يونس عصاني فخبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم واية عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله تعالى (وهو سقيم) رواه ابن جرير ورواه العزاز في مسنده من طريق محمد بن اسحاق عن عبد الله بن رافع عن ابي هريرة فذكره بنحوه ثم قال لا تعلمه يروي عن النبي ﷺ «الا من هذا الوجه» بهذا الاسناد. وروى ابن أبي حاتم حدثنا ابو عبد الله احمد بن عبد الرحمن بن اخي ابن وهب ثناني حدثني ابو صخر أن يزيد الرقاشي قال سمعت أنس بن مالك ولا أعلم الا أن أنسا يرفع الحديث الى رسول الله ﷺ أن يونس النبي عليه السلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو في بطن الحوت قال : اللهم لا إله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين . فاقبلت هذه الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يارب صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال أما تعرفون ذاك ؟ قالوا لا يارب ومن هو ؟ قال عبيد يونس قالوا عبدك يونس الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مجابة قالوا يارب أولا نرحم ما كان يصنع في الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه في العراء ، وقوله (فاستجبنا له ونجينا من القم) أي اخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات وكذلك تنجي المؤمنين أي إذا كانوا في الشدائد ودعونا منيبين اليها ولا سيما اذا دعوا بهذا الدعاء في حال البلاء . فقد جاء الترغيب في الدعاء به عن سيد الانبياء

قال الامام احمد حدثنا اسماعيل بن عمير حدثنا يونس بن أبي اسحاق الهمداني حدثنا ابراهيم

كقوله تعالى (الله ييسر الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يضيق وقال ابن زيد هو استغفار معناه فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجحول خفيف ، وعن الحسن قال بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستأذنه الشيطان حتى ظن أن لن تقدر عليه ، وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فبكث فيه أربعين من بين يوم وليلة ، وقال عطاء سبعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل ان الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف وقيل بلغ به تخوم الارض السابعة فتأبى الى ربه تعالى في بطن الحوت وراجع نفسه فقال : لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين حين عصيتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجه الله من بطن الحوت برحمته والتاويلات المتقدمة أولى بحال الانبياء انه ذهب مغاضبا لومه او للملك (فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وروي عن ابي هريرة مرفوعا أوحى الله الى الحوت أن خذه ولا تخدش له لحا ولا تنكسر له عظام فأخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال

ابن محمد بن سعد حدثني والدي محمد عن أبيه سعد هو ابن أبي وقاص رضي الله عنه قال مررت بعثمان ابن عفان رضي الله عنه في المسجد فسلمت عليه فلأ عينيه مني ثم لم يرد علي السلام فأتيت عمر بن الخطاب فقلت بأمر المؤمنين هل حدث في الاسلام شيء. مرتين قال لا وما ذاك قلت لا الا اني مررت بعثمان آنفا في المسجد فسلمت عليه فلأ عينيه مني فلم يرد علي السلام قال فارسل عمر الى عثمان فدعاه فقال مامنك أن لا تكون رددت علي أخيك السلام قال ما فعلت قال سعد قالت بلى حتى حلف وحلفت قال ثم ان عثمان ذكر فقال لي واستغفر الله واتوب اليه انك مررت بي آنفا وأنا أحدث نفسي بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ لا والله ما ذكرت قط إلا تقضى بصري وقلبي غشاوة قال سعد فأنا أنبتك بها ان رسول الله ﷺ ذكر لنا أول دعوة ثم جاء اعرابي فشغله حتى قام رسول الله ﷺ فاتبعته فلما أشققت أن يسبقني الى منزله ضربت بقدمي الارض فالتفت الى رسول الله ﷺ «من هذا أبو اسحاق» قال قلت نعم يا رسول الله قال «فه» قلت لا والله الا انك ذكرت لنا أول دعوة ثم جاء هذا الاعرابي فشغلك قال «نعم دعوة ذي النون اذ هو في بطن الحوت (لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) فانه لم يدع بها مسلم وبه في شيء قط الا استجاب له» ورواه الترمذي والنسائي في اليوم والليلة من حديث ابراهيم بن محمد بن سعد عن أبيه سعد به

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا أبو خالد الاحمر عن كثير بن زيد عن المطلب ابن حنطب قال أبو خالد أحسبه عن مصعب يعني ابن سعد عن سعد قال : قال رسول الله ﷺ «من دعاب دعاء يونس استجيب له» قال أبو سعيد يزيد به (وكذلك تنجي المؤمنين) وقال ابن جرير حدثني عمران

في نفسه ما هذا ؟ فأوحى الله اليه ان هذا نسيح دواب البحر قال فسيح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة نسيحه فقالوا ياربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصافى فخبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشنعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه الى الساحل كما قال الله تعالى (فذقاه بالعراء وهو سقيم)

فذلك قوله عز وجل (فاستجبنا له) أي أجبناه (ونجينا من الغم) من تلك الظلمات (وكذلك تنجي المؤمنين) من كل كرب اذا دعونا واستغاثوا بنا قرأ ابن عامر وعاصم برواية ابي بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين الياء لانها مكتوبة في المصحف بنون واحدة واختلف النحاة في هذه القراءة فذهب أكثرهم الى انها لحن لانه لو كان على ما لم يسم فاعله لم تسكن الياء ورفع المؤمنين ومنهم من صوبها وذكر الفراء ان لها وجه آخر وهو اضماع المصدر أي نجى النجاة المؤمنين كقولك ضرب الضرب زيداً ثم تقول ضرب زيداً بالنصب على اضماع المصدر وسكن الياء في نجي كما يسكنون في بقي ونحوها ، وقال القتيبي من قرأ بنون واحدة والتشديد فلما أراد تنجي من التنجية الا انه أدمغ

ابن بكار الكلاعي حدثنا يحيى بن صالح حدثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن حدثني بشر بن منصور عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال سمعت سعد بن أبي وقاص يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى» قال قلت يا رسول الله هي ليونس خاصة أم لجماعة المسلمين قال «هي ليونس بن متى خاصة ولجماعة المؤمنين عامة إذا دعوا بها ألم نسمع قول الله عز وجل (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجينا من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) فهو شرط من الله لمن دعاه به» وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا داود بن المحبر بن معاذ بن محمد بن أبي حاتم عن كثير بن معبد قال سألت الحسن قتلت يا أبا سعيد اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى؟ قال ابن أخي أما تقرأ القرآن قول الله تعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضيا - إلى قوله - وكذلك ننجي المؤمنين) ابن أخي هذا اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى

وزكريا إذ نادى ربه رب لا تدركني فرداً وأنت خير الوارثين (٨٩) فاستجبنا له

ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه أنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا

وكانوا لنا خاشعين (٩٠)

يخبر تعالى عن عبده زكريا حين طلب أن يهبه الله ولداً يكون من بعده نبيا وقد تقدمت القصة مبسوطه في أول سورة مريم وفي سورة آل عمران أيضاً ووهبنا أخصر منهما (إذ نادى ربه) أي خفية عن قومه (رب لا تدركني فرداً) أي لا ولدي ولا وارث يقوم بعدي في الناس (وأنت خير الوارثين) دعاء وثناء مناسب للمسئلة قال الله تعالى (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أي امرأته قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير كانت عاقراً لا تلد فولدت وقال عبد الرحمن بن مهدي عن وحذف نونا طلباً للخفة ولم يرضه النحويون لبعده مخرج النون من الجيم والادغام يكون عند قرب المخرج وقرأ العامة تنجي بنونين من الانجاء وإنما كتبت بنون واحدة لأن النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في أن لا تحذفوا النون من أن تحذفها واختلفوا في أن رسالة يونس بن متى متى كانت فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل أن الله عز وجل ذكره في سورة الصافات (فنبذناه بالبراء) ثم ذكر بعده (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) وقال الآخرون أنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون)

قوله عز وجل ﴿وزكريا إذ نادى ربه﴾ أي دعاه ربه ﴿رب لا تدركني فرداً﴾ وحيدا لا ولدي وارزقني وارثا ﴿وأنت خير الوارثين﴾ أي علي الله بأنه الباقي بعد فناء الخلق وأنه الفضل من بقي

طلحة بن عمرو عن عطاء كان في أسنانها طول فاصلها الله وفي رواية كان في خلقها شيء فاصلها الله وهكذا قال محمد بن كعب والسدي، والأظهر من السياق الأول، وقوله إنهم كانوا يسارعون في الخيرات أي في عمل القربات والطاعات (ويدعوننا رغبا ورهبا) قال الثوري رغبا فيما عندنا ورهبا مما عندنا (وكانوا لنا خاشعين) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي مصدقين بما أنزل الله وقال مجاهد مؤمنين حقا وقال أبو العالية خائفين وقال أبو سنان الخشوع هو الخوف اللازم للقلب لا يفارقه أبدا وعن مجاهد أيضا خاشعين أي متواضعين وقال الحسن وقتادة والضحاك خاشعين أي متذللين لله عز وجل وكل هذه الأقوال متقاربة، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن عبد الله القرشي عن عبد الله بن حكيم قال خطبنا أبو بكر رضي الله عنه ثم قال أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وتذونا عليه بما هو له أهل ونخلطوا الرغبة بالرهبة ونجمعوا الإلحاف بالمسئلة فان الله عز وجل أثني على زكريا وأهل بيته فقال (انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين)

والتي أحصنت فرجها فنفعنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين (٩١) هكذا يذكر تعالى قصة مريم وابنها عيسى عليهما السلام مقرونة بقصة زكريا وابنه يحيى عليه السلام فيذكر أولا قصة زكريا ثم يتبعها بقصة مريم لان تلك مربوطه بهذه فانها إيجاد ولد من شيخ كبير قد طعن في السن ومن امرأة عجوز عاقر لم تكن تلد في حال شبابها ثم يذكر قصة مريم وهي أعجب فانها إيجاد ولد من أنثى بلا ذكر هكذا وقع في سورة آل عمران وفي سورة مريم وهما ذكر قصة زكريا ثم أتبعها بقصة مريم بقوله (والتي أحصنت فرجها) يعني مريم عليها السلام كما قال في سورة التحريم (ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفعنا فيه من روحنا) وقوله وجعلناها وابنها آية للعالمين أي دلالة على أن الله على كل شيء قدير وأنه يخلق ما يشاء وإنما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وهذا كقوله (ولنجعله آية للناس) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عمر بن علي حدثنا أبو عاصم

حيا (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (واصلحنا له زوجه) أي جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما قاله أكثر المفسرين وقال بعضهم كانت سيئة الخلق فاصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق (إنهم) يعني الانبياء الذين سماهم في هذه السورة (كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا وطمعا ورهبا) خوفا رغبا في رحمة الله ورهبا من عذاب الله (وكانوا لنا خاشعين) أي متواضعين قال قتادة ذللا لا مر الله قال مجاهد الخشوع هو الخوف اللازم في القلب (والتي أحصنت فرجها) حفظت من الحرام وأراد مريم بنت عمران (فنفعنا فيها من روحنا) أي أمرنا جبرائيل حتى نفخ في جيب درعها واحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وأضاف الروح اليه تشريفا لعيسى عليه السلام (وجعلناها وابنها آية للعالمين) أي دلالة على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب ولم يقل آيتين وهما آيتان لان

الضحاك بن مجاز عن شعيب يعني ابن بشير عن عكرمة عن ابن عباس في قوله للعالمين قال العالمين الجن والانس

ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٩٢) وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون (٩٣) فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون (٩٤)
قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقنادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله ان هذه أمتكم أمة واحدة يقول دينكم دين واحد وقال الحسن البصري في هذه الآية يبين لهم ما يتقون وما يأتون ثم قال ان هذه أمتكم أمة واحدة أي سنتكم سنة واحدة فقوله ان هذه ان واسمها وأمتكم خبر ان أي هذه شريعتكم التي بينت لكم ووضعت لكم وقوله أمة واحدة نصب على الحال ولهذا قال (وأنا ربكم فاعبدون) كما قال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا - إلى قوله - وأنا ربكم فاتقون) وقال رسول الله ﷺ نحن معاشر الانبياء أولاد علات ديننا واحد يعني ان المقصود هو عبادة الله وحده لا شريك له بشرائعه متنوعة لرسله كما قال تعالى (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) وقوله (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي اختلفت الامم على رسلها فمن بين مصدق لهم ومكذب ولهذا قال كل الينا راجعون أي يوم القيامة فيجازي كل بحسب عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر ولهذا قال (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) كقوله (انا لانضيم أجرا من أحسن عملا) أي لا يكفر سعيه وهو عمله بل يشكر فلا يظلم مثقال ذرة ولهذا قال وانا له كاتبون أي يكتب جميع عمله فلا يضيع عليه منه شيء.

وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون (٩٥) حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج

معنى الكلام وجعلنا شأنهما وأمرهما آية ولان الآية كانت فيهما واحدة وهي أنها أنت به من غير نخل قوله تعالى (ان هذه أمتكم) أي ملتكم ودينكم (أمة واحدة) أي ديننا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان وأصل الامة الجماعة التي هي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماع أهلها على مقصد واحد ونصب أمة على القطع (وأنا ربكم فاعبدون) وتقطعوا أمرهم بينهم أي اختلفوا في الدين فصاروا فرقا واحزابا قال السكبي فرقوا دينهم بينهم يلعب بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض والقطع هنا بمعنى التقطيع (كل الينا راجعون) فنجزهم بأعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) لا يجحد ولا يبطل عمله سعيه بل يشكر ويشاب عليه (وإنا له كاتبون) لعمله حافظون وقيل معنى الشكر من الله المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة (وحرام على قرية) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر وحرم بكسر الحاء بلا ألف وقرأ الباقون بالالف (تفسيرا ابن كثير والبغوي) (٦٧) (الجزء الخامس)

وهم من كل حذب ينسلون (٩٦) واقترب الوعد الحق فاذا هي شئخصه أبصار الذين كفروا
يؤيّلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين (٩٧)

يقول تعالى (وحرام على قرية) قال ابن عباس وجب يعني قد قدر ان أهل كل قرية أهلوا أنهم
لا يرجعون الى الدنيا قيل يوم القيامة ، هكذا صرح ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقادة وغير واحد ،
وفي رواية عن ابن عباس أنهم لا يرجعون أي لا يتوبون والقول الاول أظهر والله أعلم ، وقوله (حتى
إذا فتحت يأجوج ومأجوج) قد قدمنا أنهم من سلالة آدم عليه السلام بل هم من نسل نوح أيضا من
أولاد يافث أي أبي الترك والترك شرذمة منهم تركوا من وراء السد الذي بناه ذو القرنين وقال
(هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا * وتركنا بعضهم يومئذ يموج
في بعض) الآية وقال في هذه الآية الكريمة (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب
ينسلون) أي يسرعون في المشي الى الفساد ، والحذب هو المرتفع من الارض قاله ابن عباس وعكرمة
وأبو صالح والثوري وغيرهم ، وهذه صفتهم في حال خروجهم كأن السامع مشاهد لذلك (ولا يبينك
مثل خبير) هذا اخبار عالم ما كان وما يكون الذي يعلم غيب السموات والارض لا اله الا هو

وقال ابن جرير حدثنا محمد بن مثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عبد الله بن أبي يزيد قال :
رأى ابن عباس صبيانا يزو بعضهم على بعض يلعبون فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج
وقد ورد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية

(فالحديث الاول) قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبي عن ابن اسحاق عن عاصم بن عمرو عن قتادة
عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « فتفتح يأجوج ومأجوج
فيخرجون على الناس كما قال الله عز وجل (وهم من كل حذب ينسلون) فيفشون الناس وينهزها المسلمون
عنهم الى مدائنهم وحصونهم ويضمون اليهم مواشيهم ويشربون مياه الارض حتى ان بعضهم يمر بالنهر
فيشربون ما فيه حتى يتركوه يابسا حتى ان من يقدم ليمر بذلك النهر فيقول قد كان ههنا ماء مرة حتى

حرام وهما لفتان مثل حل وحلال قال ابن عباس معنى الآية (وحرام على قرية) أي أهل قرية
(اهلكناها) أن يرجعوا بعد الهلاك فعلى هذا تكون لا صلة وقال آخرون الحرام بمعنى الواجب فعلى
هذا تكون لا ثابتة معناه واجب على أهل قرية اهلكناها (أنهم لا يرجعون) الى الدنيا وقال الزجاج
معناه وحرام على أهل قرية اهلكناها أي حكما بهلاكهم أن يتقبل اعمالهم لأنهم لا يرجعون أي
لا يتوبون والدليل على هذا المعنى أنه قال في الآية التي قبلها (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا كفران لسميه) أي يتقبل عمله ثم ذكر هذه الآية عقيبها وبين أن الكافر لا يتقبل عمله
قوله تعالى (حتى إذا فتحت) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب فتحت بالتشديد على التكثير

إذا لم يبق من الناس أحد إلا أحد في حصن أو مدينة قال قائلهم هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء ، قال ثم يهز أحدكم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجم اليه مخضبة دما للبلاء والغتنة فينبأهم على ذلك بعث الله عز وجل دوداً في أعناقهم كنف الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصبعون موتى لا يسمع لهم حس فيقول المسلمون ألا رجل يشري لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو ، قال فينحدر رجل منهم محتسباً نفسه قد أوطأها على أنه مقتول فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض فينادي يا معشر المسلمين ألا أبشروا أن الله عز وجل قد كفاكم عدوكم فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرحون مواشيهم فما يكون لهم رعي إلا لحومهم فتشكر عنهم كأحسن ما شكرت عن شيء من النبات أصابته قط ، ورواه ابن ماجه من حديث يونس بن بكير عن ابن إسحاق به

(الحديث الثاني) قال الامام أحمد أيضاً حدثنا الوليد بن مسلم أبو العباس الدمشقي حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني يحيى بن جابر الطائي قاضي حمص حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي عن أبيه أنه سمع النواس بن سميان الكلابي قال ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فقال « غير الدجال أخوفني عليكم فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه شاب جمع ققط عينه طافية وإنه يخرج خيله بين الشام والعراق فعاتب يميناً وشمالاً يا عباد الله اثبتوا - قلنا يا رسول الله ما لبث في الأرض؟ قال أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي هو كسنة أيكفيناً فيه صلاة يوم وليلة قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله فما إمرأه في الأرض قال كالغيث اشتد به الريح قال فيمر بالحي فيدعوم فيستحيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذرى وأمدد خواصر وأسبغ ضروعاً ويعمر بالحي فيدعوم فيردون عليه قوله فتبعه أموالهم فيصبعون محملين ليس لهم من أموالهم شيء ، ويعمر بالخرقة فيقول لها أخرجي كنوزك فتبعه كنوزها كيما سبب النخل - قال - ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزأين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل اليه فينبأهم على ذلك إذ

وقرأ الآخرون بالتخفيف (يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد عن يأجوج ومأجوج (وهم من كل حذب) أي نشز وتل والحذب المكان المرتفع (ينسلون) يسرعون النزول من الآكام والتلاع كنسلان الذئب وهو سرعة مشيه واختلفوا في هذه الكناية فقال قوم غني بها يأجوج ومأجوج بدليل ما روينا عن النواس بن سميان عن رسول الله ﷺ أنه قال « يبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون » وقال قوم أراد جميع الخلق يعني أنهم يخرجون من قبورهم وبدل عليه قراءة مجاهد وهم من كل جدث بالجيم والثاء كما قال (فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون) اخبرنا اسماعيل بن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا ابراهيم بن محمد بن

بعث الله عز وجل المسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودين واضعا يديه على أجنحة ملكين فينبه فيدركه فيقتله عند باب لد الشرقي - قال - فينبأهم كذلك اذ أوحى الله عز وجل الى عيسى بن مريم عليه السلام اني قد أخرجت عباداً من عبادي لا يدان لك بقتالهم فخرز عبادي الى الطور فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج كما قال تعالى (وهم من كل خدب ينسلون) فيرغب عيسى وأصحابه الى الله عز وجل فيرسل عليهم نفعا في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الارض بيتا الا قد ملأه زهمهم وتنتهم فيرغب عيسى وأصحابه الى الله عز وجل فيرسل الله عليهم طيرا كاعتناق البخت فتحملمهم فتطرحهم حيث شاء الله » قال ابن جابر فحدثني عطاء بن يزيد السكسكي عن كعب أو غيره قال فطرحهم بالميل . قال ابن جابر فقلت يا أبا يزيد وابن الميل قال مطلع الشمس قال « ويرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوما فيغسل الارض حتى يتركها كالزقة ويقال للارض انبتي ثمرك ودري بركتك قال فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقعة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقعة من البقر تكفي الفخذ ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت ، قال فينبأهم على ذلك اذ بعث الله عز وجل رجلا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم - أو قال مؤمن - ويقتل شرار الناس يتهاجرون بهارج الحمر وعليهم تقوم الساعة » انفرد باخراجه مسلم دون البخاري ورواه مع بقية أهل السنن من طرق عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر به وقال الترمذي حسن صحيح

(الحديث الثالث) قال الامام أحمد حدثنا محمد بن بشر حدثنا محمد بن عمرو عن ابن حرملة عن خالته قالت : خطب رسول الله ﷺ وهو عاصب أصبغه من لدغة عقرب فقال « انكم تقولون لا عدو لكم وإنكم لا تزالون تقاتلون عدوا حتى يأتي يأجوج ومأجوج عراض الوجوه صفار العيون جهب السعاف من كل خدب ينسلون كأن وجوههم المجان المطرقة » وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث محمد بن عمرو عن خالد بن عبد الله بن حرملة المدلجي عن خالته له عن النبي ﷺ فذكره مثله سواء

(الحديث الرابع) قد تقدم في آخر تفسير سورة الاعراف من رواية الامام أحمد عن هشيم عن العوام عن جبلة بن سحيم عن مرثد بن عمار عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال

سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو خيثمة زهير بن حرب أنا سفيان بن عيينة عن فرات القزاز عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر الساعة فقال « ماتذكرون ؟ » قالوا نذكر الساعة قال « إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من آلين نظر الناس الى المحشر قوله تعالى (واقرب الوعد الحق) يعني القيامة قال الفراء وجاعة الواو في قوله واقرب مقحمة

« اقيمت ليلة أمري بي ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام - قال - فتذاكروا أمر الساعة فردوا أمرهم الى ابراهيم فقال لا علم لي بها ، فردوا أمرهم الى موسى فقال لا علم لي بها فردوا أمرهم الى عيسى فقال أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلا الله وفيما عهد إلي ربي أن الدجال خارج ومعي قضيبان فاذا رأيته ذاب كما يذوب الرصاص قال فيهلكه الله اذا رأيته حتى أن الحجر والشجر يقول يا مسلي لم أن تحتني كافراً فتعال فاقتله قال فيهلكهم الله ثم يرجع الناس الى بلادهم وأوطانهم ، قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون فيطؤون بلادهم ولا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يبرون على ماء إلا شربوه قال ثم يرجع الناس الى أوطانهم يشكونهم فأدعوا الله عليهم فيهلكهم ويميتهم حتى تجوى الارض من نتن ريحهم وينزل الله المطر فيجترف اجسادهم حتى يقذفهم في البحر ، وفيما عهد إلي ربي أن ذلك اذا كان كذلك أن الساعة كالخامل المم لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولائها ليلاً أو نهاراً » ورواه ابن ماجه عن محمد بن بشار عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب به نحوه وزاد قال العوام ووجد تصديق ذلك في كتاب الله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حذب ينسلون) ورواه ابن جرير ههنا من حديث جيلة به والاحاديث في هذا كثيرة جداً والآثار عن السلف كذلك ، وقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث معمر عن غير واحد عن حميد بن هلال عن أبي الصيف قال : قال كعب إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع قوسهم فاذا كان الليل القى الله على لسان رجل منهم يقول نبجي ، غدا فنخرج فيعيده الله كما كان فيجيثون من الغد فيجدونه قد أعاده الله كما كان فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع قوسهم فاذا كان الليل القى الله على لسان رجل منهم يقول نبجي ، غدا فنخرج إن شاء الله فيجيثون من الغد فيجدونه كما تركوه فيحفرون حتى يخرجوا فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ما هائم ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون قد كان ههنا مرة ماء فيفر الناس منهم فلا يقوم لهم شيء ثم يرمون بسهامهم الى السماء فترجع اليهم مخضبة بالدماء فيقولون غلبنا أهل الارض وأهل السماء فيدعوا عليهم عيسى بن مريم عليه السلام فيقول اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دوداً يقال له النخف فيفرس رقابهم ويبعث الله عليهم طيراً آتأخذهم بمناقيرها فتلقهم في البحر ويبعث الله عنا يقال لها الحياة يطهر الله الارض وينبتلها حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن قيل وما

فعناه حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج اقرب الوعد الحق كما قال الله تعالى (فلما اسلموا وثله للجبين وناديناه) أي نادينا والدليل عليه ما روي عن حذيفة قال لو أن رجلاً اقنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة . وقال قوم لا يجوز طرح الوار وجعلوا جواب حتى اذا فتحت في قوله ياويلنا فيكون مجاز الآية حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج واقرب الوعد الحق قالوا ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا . قوله (فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) وفي قوله هي ثلاثة اوجه أحدها أنها كناية

السكن يا كعب؟ قال أهل البيت قال فيما الناس كذلك إذ أتاهم الصرخ أن ذا السوبقتين يريده قال فيبعث عيسى بن مريم عليه سبعة سبعاة أو بين السبعاة والثمانمائة حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله رجلا يمانية طيبة فيقبض فيها روح كل مؤمن ثم يبقى عجاج الناس فيتسافدون كما تتسافد البهائم فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه متى نضم قال كعب فمن قال بعد قولي هذا شيئا أو بعد علمي هذا شيئا فهو المتكاف وهذا من أحسن سياقات كعب الاخبار لما شهد له من صحيح الاخبار ، وقد ثبت في الحديث أن عيسى بن مريم يحج البيت العتيق

وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ « ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج بأجوج ومأجوج » انفرد باخراجه البخاري. وقوله (واقرب الوعد الحق) يعني يوم القيامة إذا حصلت هذه الاحوال والزلازل والبلابل أزفت الساعة واقربت فاذا كانت ووقعت قال الكافرون هذا يوم عسر ، ولهذا قال تعالى (فاذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا) أي من شدة ما يشاهدونه من الامور العظام (ياويلنا) أي يقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) أي في الدنيا (بل كنا ظالمين) يعترفون بظلمهم لانفسهم حيث لا ينفعهم ذلك

إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون (٩٨) لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون (٩٩) لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون (١٠٠) ان الذين سبقتم لهم منا الحسنی أولئك عنها مبعدون (١٠١) لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت انفسهم خالدون (١٠٢) لا يحزنهم الفزع الاكبر وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون (١٠٣)

يقول تعالى مخاطبا لاهل مكة من مشركي قريش ومن دان بدينهم من عبدة الاصنام والوثان

عن الابصار ثم أظهر الابصار بيانا معناه فاذا الابصار شاخصة أبصار الذين كفروا والثاني ان هي تكون عماداً كقوله (فانها لاتعنى الابصار) والثالث أن يكون تمام الكلام عند قوله هي على معنى فاذا هي بارزة يعني من قربها كأنها حاضرة ثم ابتداء شاخصة أبصار الذين كفروا على تقديم الخبر على الابتداء مجازها أبصار الذين كفروا شاخصة قال الكلبي شخصت أبصار الكفار فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله يقولون (ياويلنا قد كنا في غفلة من هذا) اليوم (بل كنا ظالمين) بوضعنا العبادة في غير موضعها (انكم) أيها المشركون (وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب

(إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم) قال ابن عباس أي وقودها يعني كقولها (وقودها الناس والحجارة) وقال ابن عباس أيضاً (حصب جهنم) يعني شجر جهنم ، وفي رواية قال (حصب جهنم) يعني حطب جهنم بالزنجية وقال مجاهد وعكرمة وقتادة حطبها وهي كذلك في قراءة علي وعائشة رضي الله عنهما وقال الضحاك (حصب جهنم) أي ما يرمى به فيها وكذا قال غيره والجميع قريب وقوله [أنتم لها واردون] أي داخلون [لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها] يعني لو كانت هذه الاصنام والانداد التي اتخذتموها من دون الله آلهة صحيحة لما وردوا النار ومادخلوها [وكل فيها خالدون] أي العابدون ومعبوداتهم كلهم فيها خالدون لهم فيها زفير كما قال تعالى [لهم فيها زفير] وشبهق والزفير خروج أنفاسهم والشبهق ولوج أنفاسهم [وهم فيها لا يسمعون]

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا ابن فضيل حدثنا عبد الرحمن يعني المسعودي عن أبيه قال : قال ابن مسعود إذا بقي من يخلد في النار جعلوا في توايت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره ثم تلا عبد الله [لهم فيها زفير] وهم فيها لا يسمعون] ورواه ابن جرير من حديث حماد بن محمد عن المسعودي عن يونس بن حبان عن ابن مسعود فذكره ، وقوله [إن الذين سبقت لهم منا الحسنى] قال عكرمة الرحمة وقال غيره السعادة [أولئك عنها مبعدون] لما ذكر تعالى أهل النار وعذابهم بسبب شركهم بالله عطف بذكر السعداء من المؤمنين بالله ورسوله وهم الذين سبقت لهم من الله السعادة واسلفوا الأعمال الصالحة في الدنيا كما قال تعالى (ل الذين أحسنوا الحسنى وزيادة) وقال (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) فكما أحسنوا العمل في الدنيا أحسن الله ما بهم وثوابهم ونجاهم من العذاب وحصل لهم جزيل الثواب فقال [أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها] أي حريقها في الاجساد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن عمار حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن أبيه عن أبي عثمان الحريري عن أبي عثمان [لا يسمعون حسيها] قال حيات على الصراط تلسعهم فاذا لسعتهن قال حس حس وقوله [وهم فيما اشتت أنفسم خالدون] فسلمهم من المحذور والمهروب وحصل لهم المطلوب والمحبوب

جهنم يعني وقودها، وقال مجاهد وقتادة حطبها والحصب في لغة أهل اليمن الحطب وقال عكرمة هذا الحطب بلغة الحبشة قال الضحاك يعني يرمون بهم في النار كما يرمى بالحصب وأصل الحصب الرمي قال الله عز وجل (أرسلنا عليهم حاصبا) أي ريحا ترميهم بخجارة وقرأ علي بن أبي طالب حطب جهنم (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الاصنام (آلهة) على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل عابدها النار (وكل فيها خالدون) يعني العابدون والمعبودين (لهم فيها زفير) وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توايت من نار

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي شريح حدثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد الحمداي عن ليث بن أبي سليم عن ابن عم النعمان بن بشير عن النعمان بن بشير قال وسمر مع علي ذات ليلة فقرأ [إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى أولئك عنها مبعدون] قال أنا منهم وعمر منهم وعثمان منهم والزبير منهم وطلحة منهم وعبد الرحمن منهم أو قال سعد منهم قال وأقيمت الصلاة فقام وأظنه يجر ثوبه وهو يقول [لا يسمعون حسيسها] وقال شعبة عن أبي بشر عن يوسف المكي عن محمد بن حاطب قال سمعت عليا يقول في قوله [إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى] قال عثمان وأصحابه ، ورواه ابن أبي حاتم أيضا ورواه ابن جرير من حديث يوسف بن سعد وليس بابن مالهك عن محمد بن حاطب عن علي فذكره ولفظه عثمان منهم ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله [إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى أولئك عنها مبعدون] فأولئك أولياء الله يهتدون على الصراط مرأ هو أمرع من البرق ويبقى الكفار فيها جثيا فهذا مطابق لما ذكرناه ، وقال آخرون بل نزلت استثناء من المعبودين وخرج منهم عزير والمسيح كما قال حماد بن محمد الأعور عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس [إنكم وما تعبديون من دون الله حصص جهنم اتم لها واردون] ثم استثنى فقال [إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى] فيقال هم الملائكة وعيسى ونحو ذلك مما يعبد من دون الله عز وجل وكذا قال عكرمة والحسن وابن جريج وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله [إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى] قال نزلت في عيسى ابن مريم وعزير عليهما السلام

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا الحسين بن عيسى بن ميسرة حدثنا أبو زهير حدثنا سعد ابن طريف عن الأصبع عن علي في قوله (إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى) قال كل شيء يعبد من دون الله في النار إلا الشمس والقمر وعيسى بن مريم اسناده ضعيف وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد (أولئك عنها مبعدون) قال عيسى وعزير والملائكة وقال الضحاك عيسى ومريم والملائكة والشمس والقمر وكذا روي عن سعيد بن جبير وأبي صالح وغير واحد ، وقد روى ابن أبي حاتم في ذلك حديثا غريبا جداً فقال حدثنا الفضل بن يعقوب المرقاني حدثنا سعيد بن مسleme بن عبد الملك حدثنا الليث بن أبي سليم عن مغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله (إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى)

ثم جعلت تلك التواييت في تواييت أخرى ثم تلك التواييت في تواييت أخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم أن في النار أحداً يعذب غيره ثم استثنى فقال (إن الذين سبقت لهم من الله الحسنى) قال بعض أهل العلم إن ههنا بمعنى إلا معناه إلا الذين سبقت لهم من الله الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو الله طائع ولعابدة من يعبد كاره وذلك أن رسول الله ﷺ دخل المسجد وصناديد قريش في الخطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون

أولئك عنها مبعدون) قال عيسى وعزير والملائكة وذكر بعضهم قصة ابن الزبيري ومناظرة المشركين قال أبو بكر بن مردويه حدثنا محمد بن علي بن سهل حدثنا محمد بن حسن الأماطي حدثنا إبراهيم ابن محمد بن عرزة حدثنا يزيد بن أبي حكيم حدثنا الحكم يعني ابن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال جاء عبد الله بن الزبيري إلى النبي ﷺ فقال تزعم أن الله أنزل عليك هذه الآية (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) فقال ابن الزبيري قد عبدت الشمس والقمر والملائكة وعزير وعيسى بن مريم كل هؤلاء في النار مع آلهتنا؟ فنزلت (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون وقالوا آلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) ثم نزلت (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنا مبعدون) رواه الحافظ أبو عبد الله في كتابه الأحاديث المختارة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا قبيصة بن عقبة حدثنا سفيان يعني الثوري عن الأعمش عن أصحابه عن ابن عباس قال لما نزلت (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) قال المشركون فالملائكة وعزير وعيسى يعبدون من دون الله فنزلت (لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها) الآلهة التي يعبدون (وكل فيها خالدون) وروى عن ابن كدينة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل ذلك وقال فنزلت (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) وقال محمد بن اسحاق بن يسار رحمه الله في كتاب السيرة وجلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يومئذ الوليد بن المغيرة في المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المسجد غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أخمته وتلا عليه وعليهم (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) — إلى قوله — وهم فيها لا يسمعون) ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي حتى جلس معهم فقال الوليد ابن المغيرة لعبد الله بن الزبيري والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب أنفاً ولا قعد وقد زعم محمد أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم. فقال عبد الله بن الزبيري أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمداً كل ما يعبد من دون الله في جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود نعبد عزيراً والنصارى نعبد المسيح عيسى بن مريم فعجب الوليد ومن كان معه في المجلس من قول عبد الله بن صفا فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله ﷺ حتى أخمته ثم تلا عليه (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها) الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبيري السهمي فآخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن الزبيري أما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله ﷺ فقال له ابن الزبيري أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم؟ قال «نعم» قال أليست اليهود نعبد عزيراً والنصارى نعبد المسيح وبنو ملبح نعبد الملائكة فقال النبي ﷺ «بل هم يعبدون الشياطين» فانزل الله عز وجل (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى) يعني عزيراً

الزبيري ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال « كل من أحب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده أنهم إنما يعبدون الشيطان ومن أمرهم بعبادته » وأنزل الله (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيبها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) أي عيسى وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة فاتخذهم من يعبدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وأنهم بنات الله (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون — ألى قوله — ومن يقل منهم آني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) ونزل فيما ذكر من أمر عيسى وأنه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضره من حجة وخصومته (ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون * وقالوا آآ لمتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون * ان هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لابي اسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون * وانه لعلم للساعة فلا تترن بها) أي ما وضعت على يديه من الآيات من احياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به ذليلاً على علم الساعة يقول (فلا تترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم) وهذا الذي قاله ابن الزبيري خطأ كبير لان الآية إنما نزلت خطاباً لأهل مكة في عبادتهم الاصنام التي هي جهاد لا تعقل ليكون ذلك تقريباً ونويحاً لها بديها ولهذا قال (انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) فكيف يورد على هذا المسيح والعزير ونحوهما ممن له عمل صالح ولم يرض بعبادة من عبده ، وعول ابن جرير في تفسيره في الجواب على ان الملائكة يعقل عند العرب وقد أسلم عبدالله بن الزبيري بعد ذلك وكان من الشعراء المشهورين ، وقد كان يهاجي المسلمين أولاً ثم قال معتذراً

يا رسول المليك ان لساني راتق ما فتقت اذ أنا بور

اذ أجاري الشيطان في سنن النبي ومن مال ميسله مشبور

وقوله (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قيل المراد بذلك الموت رواه عبد الرزاق عن يحيى بن ربيعة عن عطاء وقيل المراد بالفزع الاكبر النفخة في الصور قاله العوفي عن ابن عباس وابو سنان سعيد بن

والمسيح والملائكة (أولئك عنها مبعدون) وأنزل في ابن الزبيري (ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون) وزعم جماعة أن المراد من الآية الاصنام لأن الله تعالى قال (وما تعبدون من دون الله) ولو أراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله (لا يسمعون حسيبها) يعني صونها وحركة تلبسها اذا نزلوا منازلهم في الجنة والحس والحسيس الصوت الخفي (وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون) مقيمون كما قال (وفيها ما تشبهه الانفس وتلد الاعين) (لا يحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس الفزع الاكبر النفخة الاخيرة بدليل قوله عز وجل (ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض) قال الحسن حين يؤمر بالعبد الى النار قال ابن جرير حين يذبح الموت وينادي يا أهل الجنة خلود

سنان الشيباني واختاره ابن جرير في تفسيره وقيل حين يؤمر بالعبد إلى النار قاله الحسن البصري وقيل حين تطبق النار على أهلها قاله سعيد بن جبير وابن جرير وقيل حين يذبح الموت بين الجنة والنار قاله أبو بكر الهذلي فيما رواه ابن أبي حاتم عنه . وقوله (وتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون) يعني تقول لهم الملائكة تبشركم يوم معادهم اذا خرجوا من قبورهم (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي فاملوا مايسركم

يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا إنا

كنا فاعلين (١٠٤)

يقول تعالى هذا كائن يوم القيامة (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب) كما قال تعالى (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) وقد قال البخاري حدثنا مقدم بن محمد حدثني عبيد الله بن القاسم بن يحيى عن عبيد الله بن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال « ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون السماء بيمينه » انفرد به من هذا الوجه البخاري رحمه الله

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن احمد بن الحجاج الرقي حدثنا محمد بن سلمة عن أبي الواصل عن أبي المليح الأزدي عن أبي الجوزاء الأزدي عن ابن عباس قال : يطوي الله السموات السبع بما فيها من الخليفة والارضين السبع بما فيها من الخليفة يطوي ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة . وقوله (كطي السجل للكتب) قيل المراد بالسجل الكتاب ، وقيل المراد بالسجل هبنا ملك من الملائكة . قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء حدثنا يحيى ابن يمان حدثنا أبو الوفاء الاشجعي عن أبيه عن ابن عمر في قوله تعالى (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب) . قال السجل ملك فاذا صعد بالاستغفار قال اكتبها نوراً وهكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به . قال ابن أبي حاتم وروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ان السجل ملك ، وقال السدي في هذه الآية السجل ملك موكل بالصحف فاذا مات الانسان

فلا موت وبأهل النار خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجها (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) يوم نطوي السماء (قرأ أبو جعفر نطوى السماء بالناء وضمها وفتح الواو والياء رفع على المجهول وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو والياء نصب) كطي السجل للكتب (قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم للكتب على الجهم وقرأ الآخرون للكتاب على الواحد واختلفوا في السجل فقال السدي السجل ملك يكتب اعمال العباد وقال آخرون

دفع كتابه إلى السجل فطواه ورفعه إلى يوم القيامة ، وقيل المراد به اسم رجل صحابي كان يكتب للنبي ﷺ الوحي ، قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا نصر بن علي الجهضمي حدثنا نوح بن قيس عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس (يوم تطوي السماء كطي السجل للكتاب) قال السجل هو الرجل ، قال نوح وأخبرني يزيد بن كعب هو العودي عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ ، وهكذا رواه أبو داود والنسائي كلاهما عن قتيبة بن سعيد عن نوح بن قيس عن يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : السجل كاتب للنبي ﷺ ورواه ابن جرير عن نصر بن علي الجهضمي كما تقدم ورواه ابن عدي من رواية يحيى ابن عمرو بن مالك البكري عن أبيه عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله ﷺ كاتب يسمى السجل وهو قوله (يوم تطوي السماء كطي السجل للكتاب) قال كما بطوي السجل الكتاب كذلك تطوى السماء ثم قال وهو غير محفوظ

وقال الخطيب البغدادي في تاريخه أنبأنا أبو بكر البرقاني أنبأنا محمد بن محمد بن يعقوب الحجاجي أنبأنا أحمد بن الحسين الكرخي أن حمدان بن سعيد حدثهم عن عبد الله بن غير عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر قال السجل كاتب للنبي ﷺ وهذا منكر جداً من حديث نافع عن ابن عمر لا يصح أصلاً وكذلك ما تقدم عن ابن عباس من رواية أبي داود وغيره لا يصح أيضاً ، وقد صرح جماعة من الحفاظ بوضعه وإن كان في سنن أبي داود منهم شيخنا الحافظ الكبير أبو الحجاج المزني فصح الله في عمره ، ونسأ في أجله ، وختم له بصلاح عمله ، وقد أفردت لهذا الحديث جزءاً على حديثه والله الحمد وقد تصدى الامام أبو جعفر ابن جرير للانكار على هذا الحديث ورده أتم رد وقال : لا يعرف في الصحابة أحد اسمه السجل وكتاب النبي ﷺ معروفون وليس فيهم أحد اسمه السجل ، وصدق رحمه الله في ذلك وهو من أقوى الأدلة على نكارة هذا الحديث ، وأما من ذكره في أسماء الصحابة فأنما اعتمد على هذا الحديث لا على غيره والله أعلم

والصحيح عن ابن عباس أن السجل هي الصحيفة قاله علي بن أبي طلحة والعوفي عنه ونص على ذلك مجاهد وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير لأن المعروف في اللغة فعلى هذا يكون معنى الكلام

هو الصحيفة التي يكتب فيها وقال ابن جرير نختار هذا القول لأن ذلك هو المعروف ولا نعرف للنبي صلى الله عليه وسلم كاتباً اسمه السجل ولا في الملائكة ملك كذلك اسمه السجل واللام زائدة أي كطي السجل للكتاب كقولهم ردف لكم اللام فيه زائدة وقال ابن عباس ومجاهد والاكثرون السجل الصحيفة للكتاب أي لاجل ما كتب معناه كطي الصحيفة على مكتوبها والسجل اسم مشتق من المساجلة وهي المكتوبة والطي الدرج الذي هو ضد النشر (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم حفاة غرلاً كذلك نعيدهم يوم القيامة نظيره قوله تعالى (ولقد جئتمونا

(يوم نظوي السماء كطي السجل للكتاب) أي على السكتاب بمعنى المكتوب كقوله (فلما أسلموا وتله الجبين) أي على الجبين ، وله نظائر في اللغة والله أعلم

وقوله (كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع لانه من جهة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على ذلك ولهذا قال (انا كنا فاعلين) وقال الامام أحمد حدثنا وكيم وابو جعفر وعبيدة العمري قالوا حدثنا شعبة عن المنيرة بن النعمان عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال : قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة فقال « انكم محشورون إلى الله عز وجل حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين » وذكر تمام الحديث أخرجه في الصحيحين من حديث شعبة ذكره البخاري عند هذه الآية في كتابه ، وقد روى إيث بن أبي سليم عن مجاهد عن عائشة عن رسول الله ﷺ نحو ذلك ، وقال العوفي عن ابن عباس في قوله (كما بدأنا أول خلق نعيده) قال : يهلك كل شيء كما كان أول مرة

ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادي الصالحون (١٠٥) ان

في هذا لبلسا لقوم عبيدين (١٠٦) وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (١٠٧)

يقول تعالى مخبراً عما حتمه وقضاه لعباده الصالحين من السعادة في الدنيا والآخرة ووراثه الارض في الدنيا والآخرة كقوله تعالى (إن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) وقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) وقال (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ولم يكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وأخبر تعالى ان هذا مسطور في السكتب الشرعية والقدرية وهو كائن لا محالة ولهذا قال تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال الاعشى : سألت سعيد بن جبيرة عن قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) فقال الزبور التوراة والانجيل والقرآن ، وقال مجاهد الزبور الكتاب ، وقال ابن عباس والشعبي والحسن وقتادة وغير واحد : الزبور الذي أنزل على داود والذكر التوراة ، وعن ابن عباس الذكر القرآن ، وقال سعيد بن جبيرة الذكر الذي في السماء ، وقال مجاهد الزبور الكتب بعد الذكر والذكر أم الكتاب عند الله واختار ذلك ابن جرير رحمه الله وكذا قال زيد ابن أسلم هو الكتاب الاول ، وقال النوري هو اللوح المحفوظ ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : الزبور

فرادى كما خلقناكم أول مرة (وروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً » ثم قرأ (كما بدأنا أول خلق نعيده) « وعداً علينا إنا كنا فاعلين » يعني الاعادة والبعث قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبيرة ومجاهد الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر أم الكتاب الذي عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ وقال

الكتب التي أنزلت على الأنبياء والذكر أم الكتاب الذي يكتب فيه الأشياء قبل ذلك ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : أخبر الله سبحانه وتعالى في التوراة والزبور وسابق علمه قبل أن تكون السموات والأرض أن يورث أمة محمد ﷺ الأرض ويدخلهم الجنة وهم الصالحون

وقال مجاهد عن ابن عباس (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قال أرض الجنة وكذا قال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير والشعبي وقتادة والسدي وأبو صالح والربيع بن أنس والثوري ، وقال أبو الدرداء نحن الصالحون وقال السدي هم المؤمنون . وقوله (أن في هذا لبلاغا لقوم عابدين) أي أن في هذا القرآن الذي أنزلناه على عبدنا محمد ﷺ لبلاغا لمنفعة وكفاية لقوم عابدين وهم الذين عبدوا الله بما شرعه وأحببه ورضيه وآثروا طاعة الله على طاعة الشيطان وشهوات أنفسهم

وقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) يخبر تعالى أن الله جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين أي أرسله رحمة لهم فلم يكلهم فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ومن ردها وجعلها خسر الدنيا والآخرة كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها فبئس القرار) وقال تعالى في صفة القرآن (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عني أولئك ينادون من مكان بعيد)

وقال مسلم في صحيحه حدثنا ابن أبي عمر حدثنا مروان الغزاري عن يزيد بن كيسان عن ابن أبي حازم عن أبي هريرة قال قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال « إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة » انفرد بإخراجه مسلم وفي الحديث الآخر « إنما أنا رحمة مهداة » رواه عبد الله بن أبي عوانة وغيره عن وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً قال إبراهيم الحربي وقد رواه غيره عن وكيع فلم يذكر أبا هريرة . وكذا قال البخاري وقد سئل عن هذا الحديث فقال كان عند حفص بن غياث مرسل . قال الحافظ بن عساكر وقد رواه مالك بن سعيد بن الحنف عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقرئ وأبي أحمد الحاكم كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفي حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي أسامة عن اسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنما أنا رحمة مهداة » ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود عن سفيان بن عيينة عن مسعر عن سعيد بن خالد عن رجل عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله بعثني رحمة مهداة بعثت برفع قوم وخفض آخرين »

ابن عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور زبور داود والذكر القرآن وبعد بمعنى قبل كقوله تعالى (وكان ورثهم ملك) أي أممهم (والأرض بعد ذلك دحاها) قبله (أن الأرض) يعني أرض الجنة (يرثها عبادي الصالحون) قال مجاهد يعني أمة محمد ﷺ دليله قوله تعالى (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا

قال ابو القاسم الطبراني حدثنا احمد بن محمد بن نافع الطحان حدثنا احمد بن صالح قال وجدت كتابا بالمدينة عن عبد العزيز الدراوردي وابراهيم بن محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عمرو بن عوف عن محمد بن صالح التمار عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال قال ابو جهل حين قدم مكة منصرفه عن خمرة يامعشر قريش ان محمدا نزل يثرب وأرسل طلأته وأما يريد أن يصيب منكم شيئا فاحذروا أن تمروا طريقه أو تقاربوه فإنه كالأسد الضاري أنه حنق عليكم لأنكم نفيتموه في القردان عن المناسم والله ان له لسعرة مارأيته قط ولا أحدا من أصحابه الا رأيت معهم الشباطين وانكم قد عرفتم عداوة ابني قيلة يعني الاوس والخزرج فهو عدو استعان بهدو فقال له مطعم بن عدي يا أبا الحسكم والله ما رأيت أحدا أصدق لسانا ولا أصدق موعدا من أخيكم الذي طردتم واذا فعلتم الذي فعلتم فكونوا أ كف الناس عنه قال ابو سفيان بن الحارث كونا أشد ما كنتم عليه إن ابني قيلة ان ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم الا ولادمة وان أطعنوني الجأتموهم حبر كنانة أو تخرجوا محمداً من بين ظهرانيهم فيكون وحيداً مطروداً ، وأما ابنا قيلة فوالله ما هما وأهل دهلك في المذلة الاسواء وسأ كفيكم حدم وقال

سأمنح جانباً مني غليظاً على ما كان من قرب وبعد

رجال الخزرجية أهل ذل اذا ما كان هزل بعد جد

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال « والذي نفسي بيده لا قتلنهم ولا صلبنهم ولا هدينهم وهم كارهون اني رحمة بعثني الله ولا يتوفاني حتى يظهر الله دينه لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب » وقال احمد بن صالح أرجو أن يكون الحديث صحيحاً

وقال الامام احمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا زائدة حدثني عمرو بن قيس عن عمرو بن أبي قرة الكندي قال كان حذيفة بالمدائن فكان يذكر أشياء قالها رسول الله ﷺ فخاف حذيفة إلى سلمان فقال سلمان باحذيفة ان رسول الله ﷺ خطب فقال « أيما رجل سببته في غضبي أو لعنته لعنة قائما أنا رجل من ولد آدم أغضب كما تغضبون وأما بعثني الله رحمة للعالمين فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة » ورواه ابو داود عن احمد بن يونس عن زائدة فان قيل فاي رحمة حصلت لمن كفر به؟ فالجواب ما رواه ابو جعفر بن جرير حدثنا إسحاق بن شاهين حدثنا إسحاق الأزرق عن السعدي عن رجل يقال له سعيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال من آمن بالله (الأرض) وقال ابن عباس أراد أن أراضى الكفار يقتحبها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل أراد بالأرض الأرض المقدسة (ان في هذا) أي في هذا القرآن (لبلاغاً) وصولاً إلى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب وقيل بلاغاً أي كفاية يقال في هذا الشيء بلاغ وبلغته أي كفاية والقرآن زاد الجنة كبلاغ المسافر (لقوم عابدين) أي

واليوم الآخر كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن حديث المسعودي عن أبي سعد وهو سعيد بن المرزبان البقال عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس فذكره بنحوه والله أعلم ، وقد رواه أبو القاسم الطبراني عن عبدان بن أحمد عن عيسى بن يونس الرمي عن أيوب بن سويد عن المسعودي عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ومن لم يتبعه عوفي مما كان ينتلي به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف

قل إنما يوحى إلي أنما ألهمكم الله واحد فهل أنتم مسلمون (١٠٨) فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء وإن أدري أقرب أم بعيد ما تنوعدون (١٠٩) أنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون (١١٠) وإن أدري لعله فتنة لكم ومتسع إلى حين (١١١) قل رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون (١١٢)

يقول تعالى أمرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن يقول المشركين (إنما يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) أي متبعون على ذلك مستسلمون متقادون له (فإن تولوا) أي تركوا ما دعوتهم إليه فقل آذنتكم على سواء (أي أعلمتكم أنني حرب لكم كما أنكم حرب لي بري منكم كما أنتم برآء مني كقوله) فإن كذبوك فقل لي علي ولستم عليكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون (وقال) وأما تخافن من قوم خيانة فأنبذ إليهم على سواء (أي ليكن علمك وعلمهم بنبذ اليهود على السواء وهكذا ههنا) فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء (أي أعلمتكم ببراءتي منكم وبراءتكم مني لعلمي بذلك . وقوله) وإن أدري أقرب أم بعيد ما تنوعدون (أي هو واقع لا محالة ولكن

المؤمنين الذين يعبدون الله وقال ابن عباس عالمين وقال كعب الأحبار هم أمة محمد ﷺ أهل الصلوات الخمس وحوم شهر رمضان (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال ابن زيد يعني رحمة للمؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا بتأخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف والاستئصال عنهم وقد قال النبي ﷺ « إنما أنا رحمة مهداة » (قل إنما يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فهل أنتم مسلمون) أي اسلموا (فإن تولوا فقل آذنتكم) أي أعلمتكم بالحرب وأن لا يصلح بيننا (على سواء) يعني انذرا بيننا نستوي في علمه لا أستبد أنا به دونكم لتأهبوا لما يراد بكم يعني آذنتكم على وجه نستوي نحن وأنتم في العلم به وقيل لتستووا في الإيمان به (وإن أدري) يعني وما أعلم (أقرب أم

لاعلم لي بقربه ولا يبعده (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي ان الله يعلم الغيب جميعه ويعلم ما يظهره العباد وما يسرون يعلم الظواهر والضمائر ويعلم السر وأخفى ويعلم ما العباد عاملون في اجهارهم وأسرارهم وسيجزيهم على ذلك القليل والجليل

وقوله (وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين) أي وما أدري لعل هذا فتنة لكم

ومتاع الى حين قال ابن جرير لعل تأخير ذلك عنكم فتنة لكم ومتاع الى أجل مسمى

وحكاه عون عن ابن عباس قاله أعلم (قال رب احكم بالحق) أي افصل بيننا

وبين قومنا المكذبين بالحق . قال قتادة كانت الانبياء عليهم السلام يقولون

(ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) وأمر

رسول الله ﷺ أن يقول ذلك ، وعن مالك عن زيد بن أسلم

كان رسول الله ﷺ اذا شهد غزاة قال « رب احكم

بالحق » وقوله (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون)

أي على ما يقولون ويفترون من الكذب

وينتفعون في مقامات التكذيب والافك

والله المستعان عليكم في ذلك .

آخر تفسير سورة الانبياء عليهم السلام

والله الحمد والمنة

بعيد ما توقعون) يعني القيامة (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون * وان أدري لعله) يعني

لعل تأخير العذاب عنكم كناية عن غير مذكور (فتنة) اختبار (لكم) ليرى كيف صنيعكم وهو أعلم

(ومتاع الى حين يعني تمتعون الى انقضاء آجالكم) قال رب احكم بالحق قرأ حفص عن عاصم قال رب

احكم وقرأ الآخرون قل رب احكم يعني افصل بيني وبين من كذبني بالحق ، فان قيل كيف قال احكم بالحق

والله لا يحكم إلا بالحق ؟ قيل الحق ههنا بمعنى العذاب لأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر نظيره قوله

تعالى (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) قال أهل المعاني معناه رب احكم بحكمك الحق فحذف

الحكم واقسم الحق مقامه والله تعالى يحكم بالحق طلب منه أو لم يطلب ومعنى الطلب

ظهور الرغبة من الطالب في حكمة الحق (وربنا الرحمن المستعان على

ما تصفون) من الكذب والباطل

تفسير سورة الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم (١) يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكرى ومام بسكرى
ولكن عذاب الله شديد (٢)

يقول تعالى أصرا عباده بقوا وظهور آلامهم بما يستقبلون من أهوال يوم القيامة وزلازلها وأحوالها وقد اختلف المفسرون في زلزلة الساعة هل هي بعد قيام الناس من قبورهم يوم نشورهم الى عرصات القيامة او ذلك عبارة عن زلزلة الارض قبل قيام الناس من أجسادهم كما قال تعالى (اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها) وقال تعالى (وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة) الآية وقال تعالى (إذا رجعت الارض رجاء وبست الجبال بسا) الآية فقال قائلون هذه الزلزلة كائنة في آخر عمر الدنيا وأول أهوال الساعة ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة في قوله (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) قال قبل الساعة . ورواه ابن أبي حاتم عن حديث الثوري عن منصور والأعمش عن إبراهيم عن علقمة فذكره ، قال وروي عن الشعبي وإبراهيم وعبيد بن عمير نحو ذلك وقال أبو كدينة عن عطاء عن عامر الشعبي (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) قال هذا في الدنيا قبل يوم القيامة ، وقد روى الامام أبو جعفر بن جرير مستند من قال ذلك في حديث الصور من رواية أمياعيل بن رافع قاضي أهل المدينة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله لما فرغ من

(تفسير سورة الحج)

مكية إلا (ومن الناس من يعبد الله) الآيتين أو إلا (هذان خصمان) الست آيات فمدينت وهي أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

(يا أيها الناس اتقوا ربكم) أي احذروا عقابه بطاعته (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) والزلزلة والزلال شدة الحركة على الحالة الهائلة واختلفوا في هذه الزلزلة فقال علقمة والشعبي هي من اشراط الساعة وقيل قيام الساعة وقال الحسن والسدي هذه الزلزلة تكون يوم القيامة وقال ابن عباس زلزلة

خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاء اسرافيل فهو واضع على فيه شاخص يصره الى العرش
 ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يارسول الله وما الصور؟ قال قرن قال فكيف هو؟ قال قرن عظيم ينفخ
 فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر
 الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء
 الله ويأمره فيمدها وبطولها ولا يقتر وهي التي يقول الله تعالى وما ينظر هؤلاء إلا صبيحة واحدة
 ما لها من فوقا فتسير الجبال فتكون ترابا وترج الارض بأهلها رجاء وهي التي يقول الله تعالى (يوم
 ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة) فتكون الارض كالسفينة المربوطة في البحر تضربها
 الامواج تكفؤها بأهلها وكالقدليل المعلق بالعرش ترجعه الارواح فيمتد الناس على ظهورها فتذهل
 المراضع وتضع الحوامل وبشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الاقطار فتلقاها الملائكة
 فتضرب وجوهها قترجم ويولى الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهي التي يقول الله تعالى (يوم
 التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فإله من هاد) فينهم على ذلك إذ
 انصدعت الارض من قطر إلى قطر ورأوا أسراً عظيماً فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ثم نظروا
 إلى السماء فإذا هي كاللؤلؤ ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها ثم كسشت عنهم قال رسول الله
 ﷺ والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك قال أبو هريرة ذفن استثنى الله حين يقول (ففزع من في السموات
 والارض إلا من شاء الله) قال أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع الى الاحياء أولئك احياء عند ربهم
 يرزقون ووقام الله شر ذلك اليوم وآمنهم وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه وهو الذي يقول
 الله (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت
 وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) وهذا
 الحديث قد رواه الطبراني وابن جرير وابن أبي حاتم وغير واحد مطولاً جداً والغرض منه أنه دل
 على أن هذه الزلزلة كائنة قبل يوم الساعة أضيفت إلى الساعة لقربها منها كما يقال اشراط الساعة ونحو

الساعة قيامها فتكون معها (يوم ترونها) يعني الساعة وقبل الزلزلة (تذهل) قال ابن عباس تشغل
 وقيل تنسى يقال ذهلت عن كذا اذا تركته واشتغلت بغيره عنه (كل مرضعة عما أرضعت) أي كل
 امرأة معها ولد ترضعه يقال امرأة مرضع بلاها اذا اريد به الصفة مثل حائض وحامل فاذا أرادوا
 الفعل ادخلوا الماء (وتضع كل ذات حمل حملها) أي تسقط ولها من هول ذلك اليوم قال الحسن
 تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام وهذا يدل على أن هذه الزلزلة
 تكون في الدنيا لان بعد البعث لا يكون حمل ومن قال تكون في القيامة قال هذا على وجه تعظيم الامر
 لا على حقيقته كقولهم أصابنا امر بشيب منه الوليد يريد به شدته (وترى الناس سكارى وما هم
 بسكارى) قرأ حمزة والكسائي سكرى وما هم بسكرى بلا ألف وهما لغتان في جمع السكران مثل

ذلك والله أعلم ، وقال آخرون بل ذلك هول وفزع وزلزال ولبلال كائن يوم القيامة في العرصات بعد القيام من القبور واختار ذلك ابن جرير واحتجوا بأحاديث

(الاول) قال الامام أحمد حدثنا يحيى عن هشام حدثنا قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال وهو في بعض أسفاره وقد تقارب من أصحاب السير رفع بهاتين الآيتين صوته (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فلما سمع أصحابه بذلك حثوا المطي وعرفوا أنه عند قول يقوله فلما دنوا حوله قال «أتدرون أي يوم ذلك ذلك يوم ينادي آدم عليه السلام فينادي به عز وجل فيقول يا آدم ابعث بعثك الى النار فيقول يارب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون في النار وواحد في الجنة» قال فابلس أصحابه حتى ما أوضحوا أيضا حكمه فلما رأى ذلك قال «ابشروا واعملوا فوالذي نفس محمد بيده انكم لمع خليفتين ما كانتا مع شيء قط الا كثرناه بأجوج ومأجوج ومن هلك من بني آدم وبني ابليس» قال فمصري عنهم ثم قال «اعملوا وابشروا فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو الرقة في ذراع الدابة» وهكذا رواه الترمذي والنسائي في كتاب التفسير من سننهما عن محمد بن بشار عن يحيى وهو القطان عن هشام وهو الدستوائي عن قتادة به بنحوه وقال الترمذي حسن صحيح

(طريق آخر) لهذا الحديث قال الترمذي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا ابن جعدان عن الحسن عن عمران بن حصين أن النبي ﷺ قال لما نزلت (يا أيها الناس اتقوا ربكم الى قوله - ولكن عذاب الله شديد) قال نزلت عليه هذه الآية وهو في سفر فقال «أتدرون أي يوم ذلك؟ - قالوا الله ورسوله أعلم قال - ذلك يوم يقول الله لا آدم ابعث بعث النار قال يارب وما بعث النار قال قال تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة» فأنشأ المسلمون يقولون فقال رسول الله ﷺ «قاربوا وسددوا فانها لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية قال فيؤخذ العدد من الجاهلية

كسلى وكسالى قال الحسن معناه وترى الناس سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب وقيل معناه وترى الناس كأنهم سكارى (ولكن عذاب الله شديد) أخبرنا الامام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزبادي أنا أبو بكر محمد بن عمر بن حفص التاجر أنا ابراهيم ابن عبد الله بن عمر بن بكير الكوفي أنا وكيم عن الاعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول ليبيك وسعديك ، والخير كله في يديك يارب وما بعث النار قال فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فحينئذ يشيب المولود وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» قال فيقولون وأينا ذلك الواحد؟ فقال رسول الله ﷺ «تسعمائة وتسعة

فان تمت والا كملت من المنافقين ، وما مثلكم ومثل الامم الا كمثل الرقعة في ذراع الدابة أو كالشامة في جنب البعير - ثم قال - اني لارجو أن تكونوا رابع أهل الجنة - فكبروا ثم قال - اني لارجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - فكبروا ثم قال - اني لارجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا ثم قال ولا أدري أقال الثلاثين أم لا وكذا رواه الامام أحمد عن سفيان بن عيينة به ثم قال الترمذي أيضا هذا حديث صحيح وقد روي عن عروة عن الحسن عن عمران بن الحصين وقد رواه ابن أبي حاتم من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن والعلاء بن زياد العدوي عن عمران بن الحصين فذكره وهكذا روى ابن جرير عن بندار عن غندر عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله ﷺ لما قتل من غزوة العسرة ومعه أصحابه بعد ما شارف المدينة قرأ (يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم) وذكر الحديث فذكر نحو سياق ابن جدعان والله أعلم

(الحديث الثاني) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن الطباع حدثنا أبو سفيان يعني العمري عن معمر عن قتادة عن أنس قال نزلت (أن زلزلة الساعة شيء عظيم) وذكر يعني نحو سابق الحسن عن عمران غير أنه قال ومن هلك من كثرة الجن والانس ، ورواه ابن جرير بطوله من حديث معمر

(الحديث الثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد يعني ابن العوام حدثنا هلال بن حباب عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا رسول الله ﷺ هذه الآية فذكر نحوه ، وقال فيه « اني لأرجو أن تكونوا ربيع أهل الجنة » ثم قال - اني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة - ثم قال - اني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة » ففرحوا وزاد أيضا « وإنما أنتم جزء من ألف جزء »

(الحديث الرابع) قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد قال : قال النبي ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة يا آدم » فيقول لبيك ربنا وسعديك فينادي بصوت ان الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بهذا الى النار قال يارب وما بعث النار قال من كل ألف - تسعمائة وتسعة وتسعون فينثذ تضع الحامل حملها ويشيب

وتسعون من بأجوج وأجوج ومنكم واحد » فقال الناس الله اكبر فقال رسول الله ﷺ « والله
إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ، والله إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » قال فكبر الناس فقال رسول الله ﷺ « ما أنتم يومئذ في
الناس إلا كالشعرة البيضاء في الثور الأسود أو كالشعرة السوداء في الثور الأبيض » وروي عن عمران
ابن حصين وأبي سعيد الخدري وغيرهما أن هاتين الآيتين نزلتا في غزوة بني المصطلق ليلا فنادى
منادي رسول الله ﷺ فخشوا المظلي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم يرا أكثر باكيا
من تلك الليلة . فلما أصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضر بوا الخيام ولم يطبخوا فندوروا الناس
ما بين باك أو جالس حزبن متفكر فقال رسول الله ﷺ « أندرون أي يوم ذلك ؟ » قالوا الله ورسوله

الوليد (وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قال النبي ﷺ « من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد أنتم في الناس كالشجرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في جنب الثور الأسوداني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - ثلث أهل الجنة - فكبرنا ثم قال - شطر أهل الجنة » فكبرنا وقد رواه البخاري أيضا في غير هذا الموضع ومسلم والنسائي في تفسيره من طرق عن الأعمش به

(الحديث الخامس) قال الامام أحمد حدثنا عمارة بن محمد بن أحمد بن سفيان الثوري وعبيدة العمي كلاهما عن ابراهيم بن مسلم عن أبي الاحوص عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله يبعث يوم القيامة مناديا يا آدم ان الله يأمرك أن تبعث بعضا من ذريتك الى النار فيقول آدم يارب من هم فيقال له من كل مائة تسعة وتسعون » فقال رجل من القوم من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله؟ قال « هل تدرون ما أنتم في الناس إلا كالشامة في صدر البعير » انفرد بهذا السند وهذا السياق الامام أحمد .

(الحديث السادس) قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن حاتم بن أبي صغيرة حدثنا ابن أبي مليكة أن القاسم بن محمد أخبره عن عائشة عن النبي ﷺ قال « انكم تحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا » قالت عائشة يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم الى بعض قال يا عائشة ان الأمر أشد من أن يهيم ذاك » أخرجاه في الصحيحين

(الحديث السابع) قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن أبي طيبة عن خالد بن أبي عمران عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال « يا عائشة أما عند ثلاث فلا أما عند الميزان حتى يثقل أو يخف فلا ، وأما عند تطاير الكتب إما يعطى يمينه وإما يعطى شماله فلا ، وحين يخرج عنق من النار فيطوى عليهم ويتغيط عليهم ويقول ذلك العنق : وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة وكلت بثلاثة ، وكلت بمن ادعى مع الله إلها آخر ، ووكلت بمن لا يؤمن

أعلم قال « ذاك يوم يقول الله لا آدم قم فابعث بعث النار من ولدك قال فيقول آدم من كل كم فيقول الله عز وجل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة » قال فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو اذاً يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ « ابشروا وسددوا وقاربوا فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرناه بأجوج ومأجوج - ثم قال - إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة » فكبروا وحمدوا الله ثم قال « إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة » فكبروا وحمدوا الله ثم قال « إني لأرجو أن تكونوا ثلثي أهل الجنة وان أهل الجنة مائة وعشرون صفحا ثمانون منها امتي وما المسلمون في الكفار إلا كالشامة في جنب البعير أو كالرقعة في ذراع الدابة بل كالشجرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشجرة البيضاء في الثور الأسود - ثم قال - ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة

بيوم الحساب ، ووكلت بكل جبار عنيد — قال — فينطوي عليهم ويرميهم في غمرات جهنم ولجنهم جسر أرق من الشعر وأحد من السيف عليه كلاليب وحسك يأخذان من شاء الله ، والناس عليه كالبرق وكالطرف والريح وكأجاويد الخيل والركاب والملائكة يقولون : يا رب سلم سلم ، فجاج مسلم ومخدوش مسلم ، ومكور في النار على وجهه ، والاحاديث في أهوال يوم القيامة والآثار كثيرة جداً لها موضع آخر ولهذا قال تعالى (ان زلزلة الساعة شيء عظيم) أي أمر عظيم ، وخطب جليل ، وطارق مفظع ، وحادث هائل ، وكائن عجيب ، والزلازل هو ما يحصل للنفوس من الرعب والفزع كما قال تعالى (هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً)

ثم قال تعالى (يوم رونها) هذا من باب ضمير الشأن ولهذا قال مفسر آله (تذهل كل مرضعة عما أرضعت) أي فتشتغل لهول ما ترى عن أحب الناس إليها والتي هي أشفق الناس عليه تدعش عنه في حال إرضاعها له ولهذا قال (كل مرضعة) ولم يقل مرضع وقال (عما أرضعت) أي عن رضيعها قبل فطامها ، وقوله (وتضم كل ذات حمل حملها) أي قبل غامه لشدة الهول (وترى الناس سكارى) وقرئ (سكرى) أي من شدة الامر الذي قد صاروا فيه قد دهشت عقولهم ، وغابت أذهانهم فن رأهم حسب أنهم سكارى (وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد (٣) كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ويهديه الى عذاب السعير (٤)

يقول تعالى ذاماً لمن كذب بالبعث وانكر قدرة الله على إحياء الموتى معرضاً عما أنزل الله على أنبيائه متبعاً في قوله وإنكاره وكفره كل شيطان مريد من الانس والجن وهذا حال أهل البدع والضلال المعرضين عن الحق المتبهمين للباطل يتركون ما أنزله الله على رسوله من الحق المبين ، ويتبعون أقوال رؤوس الضلالة الدعاة إلى البدع بالاهواء والآراء ولهذا قال في شأنهم وأشباههم (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) أي علم صحيح (ويتبع كل شيطان مريد) كتب عليه (قال مجاهد يعني الشيطان يعني كتب عليه كتاباً قدرية (انه من تولاه) أي اتبعه وقلده (فانه يضله ويهديه إلى عذاب

بغير حساب » فقال عمر سبعون ألفاً قال « نعم ومع كل واحد سبعون ألفاً » فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله لي أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ « انت منهم - أو قال - اللهم اجعله منهم » فقام رجل منهم فقال ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ « سبقك بها عكاشة » قوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحارث وكان كثير الجدل وكان يقول للملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين وكان ينكر البعث وإحياء من صارت راباً قوله تعالى (ويتبع) أي يتبع في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مريد) والمريد المتمرد

(السعير) أي يضل في الدنيا ويقوده في الآخرة إلى عذاب السعير وهو الحار المولم المقلق المزعج، وقد قال السدي عن أبي مالك نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث وكذا قال ابن جريج وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمرو بن معلم البصري حدثنا عمرو بن البختري أبو قتادة حدثنا المعتمر حدثنا أبو كعب المكي قال: قال خبيث من خبيثا قريش أخبرنا عن ربكم من ذهب هو أو من فضة هو أو من نحاس هو؟ فتعقعت السماء قطعة — والتعقعة في كلام العرب الرعد — فإذا حنف رأسه ساقط بين يديه، وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: جاء يهودي فقال يا محمد أخبرني عن ربك من أي شيء هو من در أم من ياقوت؟ قال فجاءت صاعقة فأخذته

يأيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم، ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا، وترى الأرض هامة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج (٥) ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير (٦) وإن الساعة آتية لا ريب فيها وإن الله يبعث من في القبور (٧)

لما ذكر تعالى المخائف للبعث المنكر للمعاد ذكر تعالى الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه للخلق فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) أي في شك (من البعث) وهو المعاد، وقيام الأرواح والأجساد، يوم القيامة (فانا خلقناكم من تراب) أي أصل برئه لكم من تراب وهو الذي خلق منه آدم عليه السلام (ثم من نطفة) أي ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (ثم من علقه) ثم من مضغة (وذلك أنه إذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت أربعين يوما كذلك يضاف اليها ما يجتمع اليها ثم تنقلب علقه حمراء باذن الله فتمكث كذلك أربعين يوما ثم تستحيل فتصير مضغة قطعة من لحم لا شكل فيها ولا تخطيط ثم تشرع في التخطيط فيصور منها رأس ويدان وصدر وبطن وخدان ورجلان

الغالي العاتي المستمر في الشر ﴿كتب عليه﴾ قضى على الشيطان ﴿أنه من تولاه﴾ اتبعه ﴿فانه﴾ يعني الشيطان ﴿يضل﴾ أي يضل من تولاه ﴿ويهديه إلى عذاب السعير﴾ ثم أزم الحجة منكري البعث فقال ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب﴾ يعني في شك ﴿من البعث فانا خلقناكم﴾ يعني أبائكم آدم الذي هو أصل النسل ﴿من تراب ثم من نطفة﴾ يعني ذريته والنطفة هي المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطاف ﴿ثم من علقه﴾ وهي الدم الغليظ المتجمد الطرى وجمعها علق وذلك أن النطفة تصير

وسائر الاعضاء ، فتارة تسقطها المرأة قبل التشكيل والنخيط وتارة تلقىها وقد صارت ذات شكل ونخيط ولهذا قال تعالى (ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) أي كما تشاهدونها (لتبين لكم وتقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى) أي وتارة تستقر في الرحم لتلقىها المرأة ولا تسقطها كما قال مجاهد في قوله تعالى (مخلقة وغير مخلقة) قال هو السقط مخلوق وغير مخلوق فإذا مضى عليها اربعون يوما وهي مضغة أرسل الله تعالى إليها ملكا فنفخ فيها الروح وسواها كما يشاء الله عز وجل من حسن وقبح وذكر وأنثى وكتب رزقها وأجلها وشقي أو سعيد كما ثبت في الصحيحين من حديث الأعمش عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق « أن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه اربعين ليلة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح »

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير من حديث داود بن أبي هند عن الشعبي عن علقمة عن عبد الله قال : النطفة إذا استقرت في الرحم جاءها ملك بكفه فقال يارب مخلقة أو غير مخلقة فإن قيل غير مخلقة لم تكن نسمة وقد فتها الارحام وما وإن قيل مخلقة قال أي رب ذكر أو أنثى شقي أو سعيد ما الاجل وما الاثر وبأي أرض يموت . قال فيقال للنطفة من ربك ؟ فنقول الله فيقال من رازقك ؟ فنقول الله فيقال له اذهب إلى الكتاب فانك ستجد فيه قصة هذه النطفة قال فتخلق فتعيش في أرحمها وتأكل رزقها وتطأ أثرها حتى إذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك ثم تلا عامر الشعبي (يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة) فإذا بلغت مضغة نكست في الخلق الرابع فكانت نسمة وإن كانت غير مخلقة قذفها الارحام وما وإن كانت مخلقة نكست نسمة

وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد يبلغ به النبي ﷺ قال « يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين يوما أو خمس وأربعين فيقول أي رب أشقي أم سعيد فيقول الله ويكتبان فيقول أذكر أم أنثى فيقول الله ويكتبان ويكتب عمله وأثره ورزقه وأجله ثم تطوى الصحف فلا يزاد على ما فيها ولا ينقص . ورواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة ومن طريق آخر عن أبي الطفيل بنحو معناه ، وقوله

دما غليظا ثم نصير لحما (ثم من مضغة) وهي لحمه قليلة قدر ما يضرغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس وقتادة (مخلقة) أي تامة (وغير مخلقة) غير تامة أي ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة يعني السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأني به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط روي عن علقمة عن عبد الله ابن مسعود قال ان النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم وما ولم تكن نسمة وإن قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقي

(ثم نخرجكم طفلاً) أي ضعيفاً في بدنه وسمعه وبصره وحواسه وبطشه وعقله ثم يعطيه الله القوة شيئاً فشيئاً ويلطف به ويحنن عليه والديه في آناء الليل وأطراف النهار ولهذا قال (ثم لتبلغوا أشدكم) أي بتكامل القوى ويتزايد ويصل إلى عنفوان الشباب وحسن المنظر (ومنكم من يتوفى) أي في حال شبابه وقواه (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) وهو الشيخوخة والمهرم وضعف القوة والعقل والفهم وتناقص الأحوال من الحزن وضعف الفكر ولهذا قال (لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً) كما قال تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء وهو العليم القدير) وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده حدثنا منصور بن أبي عاصم حدثنا خالد الزيات حدثني داود أبو سليمان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم الانصاري عن أنس بن مالك رفع الحديث قال «المولود حتى يبلغ الحنث ماعمل من حسنة كتبت لوالده أو لوالديه وما عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فإذا بلغ الحنث أجرى الله عليه القلم أمر الملكان اللذان كانا معه أن يحفظا وأن يشددا فإذا بلغ أربعين سنة في الاسلام آمنه الله من البلى الثلاث . الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ الخمسين خفف الله حسابه فإذا بلغ ستين رزقه الله الأمانة إليه بما يحب فإذا بلغ السبعين أحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في أهل بيته وكان أسير الله في أرضه فإذا بلغ أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً كتب الله له مثل ما كان يعمل في صحته من الخير فإذا عمل سيئة لم تكتب عليه» هذا حديث غريب جداً وفيه نكارة شديدة ومع هذا قد رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده موقوفاً ومرفوعاً فقال : حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج حدثنا محمد بن عامر عن محمد بن عبد الله العاملي عن عمرو بن جعفر عن أنس قال «إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة آمنه الله من أنواع البلى من الجنون والبرص والجذام ، فإذا بلغ الخمسين لين الله حسابه ، وإذا بلغ الستين رزقه الله أمانة يحبه عليها ، وإذا بلغ السبعين أحبه الله وأحبه أهل السماء ، وإذا بلغ الثمانين تقبل الله حسناته ومحا عنه سيئاته وإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسعي أسير الله في أرضه وشفع في أهله» ثم قال حدثنا هشام حدثنا الفرج حدثني محمد بن عبد الله العامري عن محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ مثله ، ورواه الإمام أحمد

أم سعيد ما الأجل ما العمل ما الرزق وبأي أرض يموت؟ فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فيسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته (لنبين لكم) كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على إعادة وقيل لنبين لكم ما تأتون وما تذكرون وما تحتاجون إليه في العبادة (وتقر في الأرحام ما نشاء) فلا تمجحه ولا تسقطه (إلى أجل مسمى) إلى وقت خروجهما من الرحم تامة الخلق والمدة (ثم نخرجكم)

أيضا حدثنا أنس بن عياض حدثني يوسف بن أبي بردة الانصاري عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال « مامن معمر يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه ثلاثة أنواع من البلاء . الجنون والبرص والجذام » وذكر تمام الحديث كما تقدم سواء ورواه الحافظ أبو بكر البزار عن عبد الله بن شبيب عن أبي شيبة عبد الله بن عبد الملك عن أبي قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن عمه عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « مامن عبد يعمر في الاسلام أربعين سنة إلا صرف الله عنه أنواعا من البلاء ، الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين سنة لين الله له الحساب فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الأمانة اليه بما يحب فإذا بلغ سبعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله وأحبه أهل السماء فإذا بلغ الثمانين قبل الله منه حسناته ونجاوز عن سيئاته فإذا بلغ التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وسمي أسير الله في أرضه وشفع في أهل بيته »

وقوله (وترى الارض هامدة) هذا دليل آخر على قدرته تعالى على إحياء الموتى كما يحيي الارض الميتة الهامدة وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء . وقال قتادة غبرا . متهممة . وقال السدي ميتة (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) أي فإذا أنزل الله عليها المطر اهتزت أي تحركت بالنبات وحييت بعد موتها وربت أي ارتفعت لما سكن فيها النوى ثم أنبتت ما فيها من الألوان والغنون من ثمار وزروع واشتات النباتات في اختلاف ألوانها وطعومها وروائحها وأشكالها ومنافعها ولهذا قال تعالى (وأنبتت من كل زوج بهيج) أي حسن المنظر طيب الريح

وقوله (ذلك بأن الله هو الحق) أي الخالق المدبر الفعال لما يشاء . (وأنه يحيي الموتى) أي كما أحيا الارض الميتة وأنبت منها هذه الأنواع (ان الذي أحياها لمحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير » فانما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » وان الساعة آتية لا ريب فيها) أي كائنة لا شك فيها ولا مرية (وان الله يبعث من في القبور) أي يعيدهم بعد ما صاروا في قبورهم ربما ويوجد لهم بعد العدم كما قال تعالى (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ؟ قل يحييها الذي أنشأها أول

من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صفارا ولم يقل أطفالا لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد وقيل تشبيها بالمصدر مثل عدل وزور (ثم لتبلغوا أشدكم) يعني الكمال والقوة (ومنكم من يتوفى) من قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد الى أرذل العمر) أو الهرم والحرف (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يغير عقله فلا يعقل شيئا ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الارض هامدة) أي يابسة لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات وذلك أن الارض ترتفع بالنبات فذلك تحركها (وربت) أي ارتفعت وزادت وقرأ أبو جعفر وربأت بالهمزة وكذلك في حم السجدة أي ارتفعت وعلت قال المبرد أراد اهتز وربأتها فحذف المضاف

مرة وهو بكل شيء عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون) والآيات في هذا كثيرة . وقال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا حماد بن سلمة قال أنبأنا يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدي عن عمه أبي رزين العقيلي واسمه لقيط بن عامر أنه قال يارسول الله أكلتنا برى ربه عز وجل يوم القيامة وما آية ذلك في خلقه ؟ فقال رسول الله ﷺ « أليس كلكم ينظر إلى القمر مغلّيا به ؟ » قلنا بلى ، قال « فالله أعظم » قال قلت يارسول الله كيف يحياي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه ؟ قال « أما مررت بوادي أهلك ممحلا ؟ » قال بلى قال « ثم مررت بهتهز خضرا » قال بلى قال « فكذلك يحيي الله الموتى وذلك آية في خلقه » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث حماد بن سلمة به ثم رواه الامام أحمد أيضا حدثنا علي بن إسحاق أنبأنا ابن المبارك أنبأنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن سليمان بن موسى عن أبي رزين العقيلي قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله كيف يحيي الله الموتى ؟ قال « امررت بأرض من أرض قومك مجذبة ثم مررت بها مخضبة » قال نعم قال « كذلك النشور » والله أعلم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عيسى بن مرحوم حدثنا بكير بن السميط عن قتادة عن أبي الحجاج عن معاذ بن جبل قال : من علم أن الله هو الحق المبين ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور دخل الجنة

ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير (٨) ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله ، له في الدنيا خزي ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق (٩) ذلك بما قدمت يدك وأن الله ليس بظالم للعبيد (١٠)

لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين في قوله (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد) ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رءوس الكفر والبدع فقال (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) أي بلا عقل صحيح ، ولا نقل صحيح ، بل بمجرد

والاهتزاز في النبات اظهر يقال اهتز النبات أي طال وانما أنت لذكر الارض وقيل فيه تقديم وتأخير معناه ربت واهتزت (وانبت من كل زوج بهيج) أي صنف حسن بهيج به من رآه أي يسر فهذا دليل آخر على البعث (ذلك بأن الله هو الحق) أي تعلموا أن الله هو الحق (وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير * وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور * ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحارث (ولا هدى) بيان (ولا كتاب منير * ثاني عطفه) متبعرا لتكبره وقال مجاهد وقتادة لاوى عنقه قال عطية وابن زيد معرضا عما يدعى اليه تكبرا قال ابن جريج يعرض عن الحق تكبرا والعطف الجانب وعطفا الرجل جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع

الرأي والهوى ، وقوله (ثاني عطفه) قال ابن عباس وغيره مستكبر عن الحق إذا دعي إليه ، وقال مجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم (ثاني عطفه) أي لاوي عطنه وهي رقبته يعني بعرض عما يدعي إليه من الحق ويثني رقبته استكباراً كقوله تعالى (وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلاطين مبين فتولى بركنه) الآية وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوواروسهم ورأيهم يصدون وهم مستكبرون) وقال لقمان لابنه (ولا تصغر خدك للناس) أي تميله عنهم استكباراً عليهم ، وقال تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً) الآية

وقوله (ليضل عن سبيل الله) قال بعضهم هذه لام العاقبة لانه قد لا يقصد ذلك ، ويحتمل أن تكون لام التعليل . ثم إما أن يكون المراد بها المعاندون أو يكون المراد بها أن هذا الفاعل لهذا إنما جبلناه على هذا الخلق الذي لنجعلهم ممن يضل عن سبيل الله . ثم قال تعالى (له في الدنيا خزي) وهو الاهانة والذل كما أنه استكبر عن آيات الله لقاء الله المذلة في الدنيا وعاقبه فيها قبل الآخرة لأنها أكبر همه ومبلغ علمه (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) ذلك بما قدمت يداك أي يقال له هذا تقرعها وتوبيخها (وان الله ليس بظلام للعبيد) كقوله تعالى (خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم) ثم صوبوا فوق رأسه من عذاب الجحيم * ذق أنك أنت العزيز الكريم * إن هذا ما كنتم به تمترون (وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أحمد بن الصباح حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا هشام عن الحسن قال بلغني أن أحدهم يحرق في اليوم سبعين الف مرة

ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب

على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين (١١) يدعو من دون الله

الذي يعظفه الانسان أي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء نظيره قوله تعالى (وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً) وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوواروسهم) (ليضل عن سبيل الله) عن دين الله (له في الدنيا خزي) عذاب وهوان وهو القتل بيدد فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبراً (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) ويقال له (ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم

قوله تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من بلادهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصاح بها جسمه وتجت فرسه مهراً حسناً وولدت امرأته ذكراً وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيراً واطمأن إليه وان

مالا يضره ومالا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد (١٢) يدعو لمن ضره أقرب من نفعه

لبئس المولى ولبئس العشير (١٣)

قال مجاهد وقتادة وغيرهما (على حرف) على شك وقال غيرهم على طرف ومنه حرف الجبل أي طرفه أي دخل في الدين على طرف فان وجد ما يحبه استقر وإلا انشمر . وقال البخاري حدثنا ابراهيم بن الحارث حدثنا يحيى بن أبي بكير حدثنا اسرائيل عن أبي الحصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (ومن الناس من يعبد الله على حرف) قال كان الرجل يقدم المدينة فان ولدت امرأته غلاما وتنجت خيله قال هذا دين صالح . وان لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال هذا دين سوء .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني أبي عن أبيه عن أشعث بن إسحاق القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان ناس من الاعراب يأتون النبي ﷺ فيسلمون فاذا رجعوا إلى بلادهم فان وجدوا عام غيث وعام خصب وعام ولاد حسن قالوا ان ديننا هذا لصالح فتمسكوا به وان وجدوا عام جدوبة وعام ولا دسوء وعام قحط قالوا ما في ديننا هذا خير فأنزل الله على نبيه (ومن الناس من يعبد الله حرف فان أصابه خير اطمأن به) الآية . وقال العوفي عن ابن عباس : كان أحدهم إذا قدم المدينة وهم أرض دونه فان صح بها جسمه وتنجت فرسه مهر أحسنها وولدت امرأته غلاما رضي به واطمأن اليه وقال ما أصبت منذ كنت

أصابه مرض وولدت امرأته جارية واجهضت رماكه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شراً فينقلب عن دينه وذلك الفتنة فانزل الله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أكثر المفسرين قالوا على شك واصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي القائم عليه غير مستقر فليل للشاك في الدين إنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف لضعف قيامه ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف قال الحسن هو المنافق يعبد بلسانه دون قلبه (فان أصابه خير) صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضي به وسكن اليه (وان أصابته فتنة) بلا في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) ارند ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا) يعني هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يؤمله (والآخرة) بذهاب الدين والخلود في النار قرأ يعقوب خامر بالألف والآخرة جر (ذلك هو الخسران المبين) الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) ان عصاه ولم يعبد (ومالا ينفعه) ان أطاعه وعبد (ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله في

على ديني هذا الاخير ا (وإن أصابته فتنة) والفتنة البلاء أي وإن أصابه وجمع المدينة وولدت امرأته جارية وتأخرت عنه الصدقة أتاه الشيطان فقال والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً وذلك الفتنة، وهكذا ذكر قتادة والضحاك وابن جريج وغير واحد من السلف في تفسير هذه الآية وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو المنافق ان صلحت له دنياه أقام على العبادة وان فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب فلا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه فان أصابته فتنة أو شدة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر، وقال مجاهد في قوله (انقلب على وجهه) أي ارتد كافرأ وقوله (خسر الدنيا والآخرة) أي فلا هو حصل من الدنيا على شيء. وأما الآخرة فقد كفر بالله العظيم فهو فيها في غاية الشقاء والاهانة، ولهذا قال تعالى (ذلك هو الخسران المبين) أي هذه هي الخسارة العظيمة والصفقة الخاسرة وقوله (يدعون من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه أي من الاصنام والانداد يستغيث بها ويستنصرها ويستترزقها وهي لا تنفعه ولا تضره (ذلك هو الضلال البعيد)

وقوله (يدعون لمن ضره أقرب من نفعه) أي ضرره في الدنيا قبل الآخرة أقرب من نفعه فيها وأما في الآخرة فضرره محقق متيقن وقوله (لبئس المولى ولبئس العشير) قال مجاهد يعني الوثن يعني بئس هذا الذي دعاه من دون الله مولى يعني وليا وناصرأ (وبئس العشير) وهو المخالط والمعاشر واختار ابن جرير أن المراد لبئس ابن العم والصاحب من يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمان به (وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه) وقول مجاهد ان المراد به الوثن أولى وأقرب إلى سياق الكلام والله أعلم

الآية السابقة (يدعون من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) وقال ههنا لمن ضره أقرب من نفعه فكيف التوفيق بينهما؟ قيل قوله في الآية الاولى (يدعون من دون الله مالا يضره) أي لا يضره ترك عبادته وقوله (لمن ضره أقرب من نفعه) أي ضر عبادته فان قيل قد قال (لمن ضره أقرب من نفعه) ولا نفع في عبادة الصنم أصلا قيل هذا على عادة العرب فانهم يقولون لما لا يكون أصلا بعيد كقوله (ذلك رجع بعيد) أي لا رجع أصلا فلما كان نفع الصنم بعيدا على معنى أنه لا نفع فيه أصلا قيل ضره أقرب من نفعه لأنه كائن السؤال الثالث قوله (لمن ضره أقرب من نفعه) ماوجه هذه اللام اختلفوا فيه فقال بعضهم هي صلة مجازها يدعون من ضره أقرب وكذلك قرأها ابن مسعود وقيل يدعون بمعنى يقول والخبر محذوف أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو إله وقيل معناه يدعون لمن ضره أقرب من نفعه يدعون فحذف يدعو الأخيرة اجزاء بالاولى ولو قلت بصرت لمن خيره أكثر من شره بصرت ثم تحذف الاخير جاز وقيل على التوكيد معناه يدعون والله لمن ضره أقرب من نفعه وقيل يدعون من صلة قوله (ذلك هو الضلال البعيد) يقول ذلك هو الضلال البعيد يدعون ثم استأنف فقال (لمن ضره أقرب من نفعه) فيكون من في محل الرفع بالابتداء وخبره (لبئس المولى) أي الناصر وقيل المعبود (ولبئس العشير) أي الصاحب والمخالط يعني الوثن والعرب تسمى الزوج العشير لاجل المخالطة

أن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل

ما يريد (١٤)

لما ذكر أهل الضلالة الأشقياء عطف بذكر الأبرار السعداء من الذين آمنوا بقلوبهم وصدقوا بإيمانهم بأفعالهم فعملوا الصالحات من جميع أنواع القربات وتركوا المنكرات فأورثهم ذلك سكنى الدرجات العاليات في روضات الجنات ، ولما ذكر تعالى أنه أضل أولئك وهدى هؤلاء قال (أن الله يفعل ما يريد)

من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم

ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ (١٥) وكذلك أنزلناه آيات بينات وإن الله يهدي

من يريد (١٦)

قال ابن عباس من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً ﷺ في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب أي بجبل (إلى السماء) أي ماء بيته (ثم ليقطع) يقول ثم ليختنق به وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء وأبو الجوزاء وقتادة وغيرهم ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (فليمدد بسبب إلى السماء) أي ليتوصل

(إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله) يعني نبيه محمداً ﷺ (في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) أي بجبل (إلى السماء) أراد بالسماء سقف البيت على قول الأكثرين أي ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) الحبل بعد الاختناق وقيل ثم ليقطع أي ليمد الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقا (فلينظر هل يذهبن كيده) صنعه وحيلته (ما يغيظ) ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده وحيلته فيظه معناه فليختنق غيظا حتى يموت وليس هذا على سبيل الختم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطم والنظر بعد الاختناق والموت ولكنه كما يقال للعاصد أن لم يرض هذا فاختنق ومث غيظا ، وقال ابن زيد المراد من السماء السماء المعروفة ، ومعنى الآية من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فإن أصله من السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي ﷺ الوحي الذي يأتيه من السماء فلينظر هل يقدر على اذهاب غيظه بهذا الفعل . وروى أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف وقالوا لا يمكننا أن نسلم لأننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يمرونا ولا يؤوونا فنزلت هذه الآية ، وقال مجاهد النصر بمعنى الرزق والهاء راجعة إلى من

إلى بلوغ السماء فان النصر انما يأتي محمداً من السماء (ثم ليقطع) ذلك عنه ان قدر على ذلك وقول ابن عباس وأصحابه أولى وأظهر في المعنى وأبلغ في التكم فان المعنى من كان يظن أن الله ليس بناصر محمداً وكتابه ودينه فليذهب فليقتل نفسه ان كان ذلك غائظه فان الله ناصره لا محالة قال الله تعالى (إنا لننصر رسلاً والذين آمنوا في الحياة الدنيا يوم يقوم الاشهاد) الآية ولهذا قال (فلينظر هل يذهب كيد ما يعيظ) قال السدي يعني من شأن محمد ﷺ وقال عطاء الخراساني فلينظر هل يشفي ذلك ما يجد في صدره من الغيظ وقوله (وكذلك أنزلناه) أي القرآن (آيات بينات) أي واضحات في لفظها ومعناها حجة من الله على الناس (وان الله يهدي من يريد) أي يضل من يشاء ويهدي من يشاء وله الحكمة التامة والحجة القاطعة في ذلك لا يستل عما يفعل وهم يستلون أما هو فلحكته ورحمته وعدله وتلوه وقهره وعظمته لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب

ان الذين آمنوا والذين هادوا والصبيئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا لان

الله يفصل بينهم يوم القيمة ان الله على كل شيء شهيد (١٧)

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم من اليهود والصائبين وقد قدمنا في سورة البقرة التعريف بهم واختلاف الناس فيهم والنصارى والمجوس والذين أشركوا فعبدوا مع الله غيره فانه تعالى (يفصل بينهم يوم القيامة) ويحكم بينهم بالعدل فيدخل من آمن به الجنة ومن كفر به النار فانه تعالى شهيد على أفعالهم حفيظ لأقوالهم عليهم بسرايهم وما تكن ضمائرهم

ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم

ومعناه من كان يظن أن ان يرزقه الله في الدنيا والآخرة نزلت فيمن أساء الظن بالله وخاف أن لا يرزقه (فليمدد بسبب الى السماء) أي الى مما البيت فلينظر هل يذهب فعله ذلك ما يعيظ وهو خيفة أن لا يرزق وقد يأتي النصر بمعنى الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يفتني أعطاه الله قال أبو عبيدة تقول العرب أرض منصورة أي ممطورة قرأ أبو عمرو وناقم وابن عامر ويعقوب ثم ليقطع اللام فيهما ومن كسر في ثم ليقطع وفي ثم ليقضوا فرق بأن ثم مفصول من الكلام والواو كأنها من نفس الكلمة كالفا في قوله فلينظر (وكذلك) أي مثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن (أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات) وأن الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا يعني عبدة الاوثان (ان الله يفصل بينهم) يحكم بينهم (يوم القيامة) إن الله على كل شيء شهيد ألم تر (ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك) أن الله يسجد له من في السموات (تفسير ابن كثير والبغوي)

والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس، وكثير حق عليه العذاب، ومن بين الله فماله من

مكرم ان الله يفعل ما يشاء (١٨)

يخبر تعالى أنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعاً وكرهاً وسجود كل شيء بما يختص به كما قال تعالى (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داحرون) وقال ههنا (لم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض) أي من الملائكة في أقطار السموات والحيوانات في جميع الجهات من الناس والجن والدواب والطيور وان من شيء إلا يسبح بحمده وقوله (والشمس والقمر والنجوم) إنما ذكر هذه على التنصيص لأنها قد عبدت من دون الله فيبين أنها تسجد لحالها وإنها مربوبة مسخرة (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن) الآية وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال لي رسول الله ﷺ «أتدري أين تذهب هذه الشمس؟» قلت الله ورسوله أعلم قال «فإنها تذهب فتسجد تحت العرش ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها ارجعي من حيث جئت» وفي المسند وسنن أبي داود والنسائي وابن ماجه في حديث الكسوف «إن الشمس والقمر خلقان من خلق الله وإنهما لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته ولكن الله عز وجل إذا تجلى لشيء من خلقه خشم له» وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع لله ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته. وأما الجبال والشجر فسجودها بني، ظلالمها عن اليمين والشمائل وعن ابن عباس قال جاء رجل فقال يا رسول الله اني رأيتني الليلة وأنا نائم كأنني أصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً وضع عني بها وزراً واجعلها لي عندك ذخراً وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس فقرأ رسول الله ﷺ سجدة ثم سجد فسمعته وهو يقول مثل ما أخبره الرجل عن قول الشجرة. رواه الترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقوله (والدواب) أي الحيوانات كلها وقد جاء في الحديث عن الامام أحمد أن

ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قال مجاهد سجودها تحول ظلالمها، وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته. وقيل سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما من جواد إلا وهو مطيع لله خاشع لله مسبح له كما أخبر الله تعالى عن السموات والأرض (قالتا أنتينا طائعتين) وقال في وصف الحجارة (وان منها لما يهبط من خشية الله) وقال تعالى (وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا مذهب حسن موافق لاهل السنة

قوله (وكثير من الناس) أي ان هذه الاشياء كلها تسبح لله عز وجل (وكثير من الناس)

رسول الله ﷺ نهى عن اتخاذ ظهور الدواب منابر فرب مركوبة خير أو أكثر ذكر الله تعالى من ركبها وقوله (وكثير من الناس) أي يسجد لله طوعاً مختاراً متعبداً بذلك (وكثير حق عليه العذاب) أي ممن امتنع وأبى واستكبر (ومن بين الله فماله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء).

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن شيبان الرمي حدثنا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن علي قال قيل لعلي إن ههنا رجلاً يتكلم في المشيئة فقال له علي يا عبد الله خلقك الله كما يشاء أو كما شئت قال بل كما شاء قال فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت قال بل إذا شاء قال فيدخلك حيث شئت أو حيث شاء قال بل حيث يشاء قال والله لو قلت غير ذلك لضربت الذي فيه عينك بالسيف وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قرأ ابن آدم السجدة اعتزل الشيطان يبكي يقول ياويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار » رواه مسلم

وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم وأبو عبد الرحمن المقرئ قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا مشرح بن هاعان أبو مصعب المعافري قال سمعت عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين قال « نعم فمن لم يسجد بهما فلا يقرأهما » ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن لهيعة به وقال الترمذي ليس يقوى وفي هذا نظر فإن ابن لهيعة قد صرح فيه بالسماع وأكثر ما تقوموا عليه تدليسه وقد قال أبو داود في المراسيل حدثنا أحمد بن عمرو ابن السرح أنبأنا ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن عامر بن حبيب عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال « أفضلت سورة الحج على سائر القرآن بسجدين » ثم قال أبو داود وقد أسند هذا يعني من غير هذا الوجه ولا يصح. وقال الحافظ أبو بكر الاسماعيلي حدثني ابن أبي داود حدثنا يزيد بن عبد الله حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو حدثنا حفص بن غياث حدثني ناظم قال : حدثني أبو الجهم أن عمر سجد سجدين في الحج وهو بالجابية وقال إن هذه فضلت بسجدين

وروى أبو داود وابن ماجه من حديث الحارث بن سعيد العتيقي عن عبد الله بن ميمن عن عمرو ابن العاص أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن منها ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدة ، فهذه شواهد يشد بعضها بعضاً

يعني المسلمين (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلالم لله عز وجل والواو في قوله (وكثير حق عليه العذاب) واو الاستئناف (ومن بين الله) أي يهينه الله (فماله من مكرم) أي من يذله الله فلا يكرمه أحد (إن الله يفعل ما يشاء) أي يكرم ويهين فالسعادة والشقاوة بإرادته ومشيئته

هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من

فوق رؤوسهم الجسيم (١٩) يصهر به مافي بطونهم والجلود (٢٠) ولهم مقامع من حديد (٢١)

كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق (٢٢)

ثبت في الصحيح من حديث أبي مجلز عن قيس بن عباد عن أبي ذر أنه كان يقسم قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في بدر لفظ البخاري عند تفسيره ثم قال البخاري حدثنا حجاج بن المنهال حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبي حدثنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب أنه قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة . قال قيس : وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة . انفرد به البخاري

وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال اختصم المسلمون وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فثمن أولى بالله منكم . وقال المسلمون كتابنا يقضي على الكتب كلها ونبينا خاتم الأنبياء فثمن أولى بالله منكم فأفليح الله الاسلام

قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره والخصم اسم شبيه بالمصدر فلذلك قال اختصموا بلفظ الجمع كقوله (وهل أتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب) واختلفوا في هذين الخصمين أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا يعقوب بن ابراهيم أنا هشيم أنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية (هذان خصمان اختصموا في ربهم) نزلت في الذين بارزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة . أخبرنا عبد الواحد أنا أحمد أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسماعيل أنا حجاج بن منهال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال أنا أبو مجلز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي طالب قال : أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن إسحاق خرج يعني يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة فقالوا من أنتم ؟ فقالوا رهط من الانصار فقالوا حين اتسبوا أكفاء كرام ثم نادى مناد بهم يا محمد أخرج الينا أكفأنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ « قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي

على من ناواه وأنزل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) وكذا روى العوفي عن ابن عباس . وقال شعبة عن قتادة في قوله (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال مصدق ومكذب ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في هذه الآية مثل الكافر والمؤمن اختصما في البعث ، وقال في رواية هو وعطاء في هذه الآية هم المؤمنون والكافرون ، وقال عكرمة (هذان خصمان اختصموا في ربهم) قال هي الجنة والنار قالت النار جعلني للعقوبة وقالت الجنة جعلني للرحمة ، وقول مجاهد وعطاء ان المراد بهذه الكافرون والمؤمنون يشمل الاقوال كلها وينتظم فيه قصة يوم بدر وغيرها فان المؤمنين يريدون نصرة دين الله عز وجل والكافرون يريدون إطفاء نور الايمان وخذلان الحق وظهور الباطل وهذا اختيار ابن جرير وهو حسن ولهذا قال (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) أي فصلت لهم مقطعات من النار ، قال سعيد بن جبير من نحاس وهو أشد الاشياء حرارة إذا حمي (يصب من فوقه وسهم الحميم * يصهر به مافي بطونهم والجلود) أي إذا صب على رءوسهم الحميم وهو الماء الحار في غاية الحرارة ، وقال سعيد ابن جبير هو النحاس المذاب أذاب مافي بطونهم من الشحم والامعاء قاله ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم وكذلك تذوب جلودهم وقال ابن عباس وسعيد تساقط

وقال ابن جرير حدثني محمد بن المثنى حدثني ابراهيم أبو اسحاق الطالقاني حدثنا ابن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السمح عن ابن حجية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « إن الحميم ليصب

طالب » فلما دنوا قالوا من أنتم فذكروا فقالوا نعم أ كفاء كرام فبارز عبدة وكان أسن القوم عتبة ، وبارز حمزة شيبه وبارز علي الوليد بن عتبة فأما حمزة فلم يعمل أن قتل شيبه وعلي الوليد بن عتبة واختلف عبدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما أثبت صاحبه ففكر حمزة وعلي بأسيافهما على عتبة فذفعا عليه واحتملا عبدة الى أصحابه وقد قطعت رجله ومخها بسيل فلما أتوا بعبدة الى رسول الله ﷺ قال أأنت شهيداً يا رسول الله ؟ قال « بلى » فقال عبدة لو كان أبو طالب حياً لعلم أي أحق بما قال منه حيث يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم كتاباً ونبينا قبل نبيكم ، وقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بنبينا محمد ﷺ ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسداً فهذه خصومتهم في ربهم وقال مجاهد وعطاء بن ابي رباح والكلبي هم المؤمنون والكافرون كلهم من أي ملة كانوا وقال بعضهم جعل الاديان ستة في قوله تعالى (ان الذين آمنوا والذين هادوا) الآية فجعل خمسة للنار وواحداً للجنة فقوله تعالى (هذا خصمان اختصموا في ربهم) ينصرف اليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم ، وقال عكرمة هما الجنة والنار اختصمتا كما أخبرنا حسان بن سعيد المنبي أنا ابو طاهر الزياتي

على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت مافي جوفه حتى يبلنم قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان « ورواه الترمذي من حديث ابن المبارك وقال حسن صحيح وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن أبي نعيم عن ابن المبارك به ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت عبدالله بن السري قال : يأتيه الملك يحمل الاناء بكفتين من حرارته فاذا أدناه من وجهه تكرهه قال فيرفم مقمعة معه فيضرب بها رأسه فيفرغ دماغه ثم يفرغ الاناء من دماغه فيصل إلى جوفه من دماغه فذلك قوله (بصهر به مافي بطونهم والجلود)

وقوله (ولهم مقامع من حديد) قال الامام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال « لو أن مقمعا من حديد وضع في الارض فاجتمع له الثقلان ما أقلوه من الارض » وقال الامام أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « لو ضرب الجبل بمقمع من حديد لتفتت ثم عاد كما كان ، ولو أن دلوأ من غساق يهراق في الدنيا لأتت أهل الدنيا » وقال ابن عباس في قوله [ولهم مقامع من حديد] قال يضربون بها فيقع كل عضو على حباله فيدعون بالبور ، وقوله [كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها] قال الاعمش عن أبي ظبيان عن

أنا ابو بكر القطان أنا احمد بن يوسف السلمي أنا عبدالرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا ابو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة قتالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغزاتهم قال الله عز وجل للجنة انما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي ، وقال للنار انما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما مئوفا فأما النار فلا تمتلي حتى يضم الله فيها رجلا فتقول قط قط فهناك تمتلي ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا ، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشي لها خلقا ثم بين الله عز وجل ما لخصمين فقال « فالذين كفروا قطعتم لهم ثياب من نار » قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس مذاب وليس من الآنية شيء اذا حمي أشد حرأ منه وسمي باسم الثياب لانها تحيط بهم كحاطة الثياب ، وقال بعضهم يلبس أهل النار مقطعات من النار « يصب من فوق رؤوسهم الحميم » الحميم هو الماء الحار الذي انتهت حرارته « بصهر به » أي يذاب بالحميم « مافي بطونهم » يقال صهرت الآلية والشحم بالنار اذا أذبتهما أصهرهما صهرا معناه يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم حتى يسقط مافي بطونهم من الشحوم والاحشاء « والجلود » أي بشوي حرها جلودهم فتساقط. أخبرنا ابو بكر بن محمد بن عبدالله الخلال أنا عبدالله بن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي السمح عن أبي حنيفة واسمه عبدالرحمن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت مافي جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان »

سلمان قال : النار سودا مظلمة لا يضيء لها بها ولا جهرها ثم قرأ [كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها] وقال زيد بن أسلم في هذه الآية [كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها] قال بلغني أن أهل النار في النار لا يتنفسون ، وقال الفضيل بن عياض : والله ما طمعو في الخروج أن لا رجل لمقيدة وإن الأيدي لمؤتة ولكن يرفعهم إليها وتردهم مقامها ، وقوله [وذوقوا عذاب الحريق] كقوله [وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون] ومعنى الكلام أنهم بها نون بالعذاب قولاً وفعلًا

إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيهاحرير (٢٣) وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد (٢٤)

لما أخبر تعالى عن حال أهل النار عباداً بالله من حالهم ومقام فيه من العذاب والشكل والحريق والاعلال وما أعد لهم من الثياب من النار ذكر حال أهل الجنة نسال الله من فضله وكرمه فقال [إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار] أي تنخرق في أكنافها وأرجائها وجوانبها وتحت أشجارها وقصورها بصرفونها حيث شاؤا وأين أرادوا (يحلون فيها) من الحلية (من أساور من ذهب ولؤلؤاً) أي في أيديهم كما قال النبي ﷺ في الحديث المتفق عليه « تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الضوء » وقال كعب الأحبار : إن في الجنة مائة كلالو شئت أن أسميه

قوله تعالى « ولهم مقام من حديد » سباط من حديد واحدتها مقمعة قال القيث المقمعة شبه الجوز من الحديد من قولهم قمعت رأسه إذا ضربته ضرباً عنيفاً ، وفي الخبر لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض « كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم » يعني كلما حاولوا الخروج من النار لما يملحهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم « أعيدوا فيها » يعني ردوا إليها بالمقام وفي التفسير إن جهنم لتعجيشهم قتلهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقام الحديد فيهبون فيها سبعين خريفاً « وذوقوا عذاب الحريق » أي تقول لهم الملائكة (ذوقوا عذاب الحريق) أي المحرق مثل الألم والوجع قال الزجاج هؤلاء أحد الخصمين ، وقال في الآخر وهم المؤمنون « إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب » جمع سوار « ولؤلؤاً » قرأ أهل المدينة وعاصم ولؤلؤاً ههنا وفي سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب ههنا على معنى يحلون لؤلؤاً ولأنها مكتوبة في المصاحف بالالف وقرأ الآخرون بالخفض عطفاً على قوله (من ذهب) وترك الهمزة الأولى في كل القرآن أبو جعفر وأبو بكر، واختلفوا في وجه اثبات الالف فيه فقال أبو عمرو أثبتوها فيها كما أثبتوا في قالوا وكانوا ،

لسميته بصوغ لاهل الجنة الحلي منذ خلقه الله إلى يوم القيامة لو أبرز قلب منها - أي سوار منها -
 لرد شعاع الشمس كما ترد الشمس نور القمر
 وقوله (ولباسهم فيها حرير) في مقابلة ثياب أهل النار التي فصلت لهم لباس هؤلاء من الحرير
 استبرقه وسندسه كما قال (عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم
 شرابا طهوراً) إن هذا كان لكم جراً. وكان سعيكم مشكورا) وفي الصحيح «لا تلبسوا الحرير ولا
 الديباج في الدنيا فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» قال عبد الله بن الزبير من لم يلبس الحرير
 في الآخرة لم يدخل الجنة قال الله تعالى (ولباسهم فيها حرير) وقوله (وهذا إلى الطيب من القول)
 كقوله تعالى وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها باذن
 ربهم يحيىهم فيها سلام) وقوله (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى
 الدار) وقوله (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً الا قيلاً سلاماً) فهدوا إلى المكان الذي يسمعون
 فيه الكلام الطيب وقوله (ويلقون فيها تحية وسلاماً) لا كما يهان أهل النار بالكلام الذي يؤمخون به
 ويقرعون به يقال لهم (ذوقوا عذاب الحريق) وقوله (وهذا إلى صراط الحميد) أي إلى المكان الذي
 يحمدون فيه ربهم على ما أحسن إليهم وأنعم به وأساده إليهم كما جاء في الحديث الصحيح «إنهم يلهمون
 التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» وقد قال بعض المفسرين في قوله (وهذا إلى الطيب من القول)
 أي القرآن وقيل لإله إلا الله وقيل الأذكار المشروعة (وهذا إلى صراط الحميد) أي الطريق المستقيم
 في الدنيا وكل هذا لا ينافي ما ذكرناه والله أعلم

ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء

الماكف فيه والباد ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم (٢٥)

وقال الكسائي أثبتوها للهمزة لان الهمزة حرف من الحروف (ولباسهم فيها حرير) أي أنهم يلبسون
 في الجنة ثياب الأبريسم وهو الذي حرم لبسه في الدنيا على الرجال. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا
 عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن قتادة عن داود السراج
 عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه الله إياه في الآخرة
 فان دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو»

قوله تعالى (وهذا إلى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله إلا الله، وقال
 ابن زيد لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله، وقال السدي أي القرآن وقيل هو قول
 أهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده (وهذا إلى صراط الحميد) إلى دين الله وهو الإسلام
 والحمد لله هو الله المحمود في أفعاله

قوله تعالى (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) عطف المستقبل على الماضي لان المراد

يقول تعالى منكرًا على الكفار في صدم المؤمنين عن اتیان المسجد الحرام وقضاء مناسكهم فيه ودعواهم انهم أولياؤه (وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون) الآية وفي هذه الآية دليل على أنها مدنية كما قال في سورة البقرة (ويسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) وقال ههنا (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام) أي ومن صفتهم أنهم مع كفرهم يصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام أي ويصدون عن المسجد الحرام من أراده من المؤمنين الذين هم أحق الناس به في نفس الامر وهذا الترتيب في هذه الآية كقوله تعالى (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) أي ومن صفتهم أنهم تطمئن قلوبهم بذكر الله وقوله (الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد) أي يمنعون الناس عن الوصول الى المسجد الحرام وقد جعله الله شرعًا سواء لافرق فيه بين المقيم فيه والثاني عنه البعيد الدار منه (سواء العاكف فيه والباد) ومن ذلك استواء الناس في رباة مكة وسكنائها كما قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (سواء العاكف فيه والباد) قال ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام وقال مجاهد (سواء العاكف فيه والباد) أهل مكة وغيرهم فيه سواء في المنازل وكذا قال أبو صالح وعبد الرحمن بن سابط وعبد الرحمن بن زيد ابن أسلم، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة سواء فيه أهله وغير أهله وهذه المسئلة هي التي اختلف فيها الشافعي وإسحاق بن راهويه بمسجد الخيف وأحمد بن حنبل حاضر أيضا فذهب الشافعي رحمه الله الى أن رباة مكة تملك وتورث واحتج بحديث الزهري عن علي بن الحسن عن عمرو بن عثمان عن أسامة بن زيد قال قلت يا رسول الله انزل غدا في دارك بمكة فقال «وهل ترك لنا عقيل من رباة» ثم قال «لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر» وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وبما ثبت ان عمر ابن الخطاب اشترى من صفوان بن أمية داراً بمكة فجعلها سجنًا بأربعة آلاف درهم وبه قال طاووس وعمر بن دينار وذهب إسحاق بن راهويه الى أنها لا تورث ولا تؤجر وهو مذهب طائفة من السلف ونص عليه مجاهد وعطاء واحتج إسحاق بن راهويه بما رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن من لفظ المستقبل الماضي كما قال تعالى في موضع آخر (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) وقيل معناه ان الذين كفروا فيما تقدم ويصدون عن سبيل الله في الحال أي وهم يصدون (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) قلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا كما قال وضع للناس (سواء) قرأ حفص عن عاصم ويعقوب سواء نصبا بإيقاع الجعل عليه يتعدى إلى مفعولين وقيل معناه مستويا فيه (العاكف فيه والباد) وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر وتم الكلام عند قوله للناس وأراد بالعاكف المقيم فيه وبالبادي الطاريء المنتاب اليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقال قوم سواء العاكف فيه والباد يعني في تعظيم حرمة وقضاء النسك فيه واليه ذهب (تفسير ابن كثير والبغوي) (٧٢) (الجزء الخامس)

عيسى بن يونس عن عمر بن سعيد بن أبي حيوة عن عثمان بن أبي سليمان عن علقمة بن نضلة قال :
توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وما تدعى رباغ مكة إلا السواحب من احتاج سكن ومن استغنى
أسكن ، وقال عبد الرزاق عن ابن مجاهد عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أنه قال لا يحل بيع دور مكة ولا
كراؤها ، وقال أيضا عن ابن جريج كان عطاء ينهى عن الكراء في الحرم وأخبرني أن عمر بن الخطاب
كان ينهى عن تبويب دور مكة لأن ينزل الحاج في عرصاتها فكان أول من بوب داره سهيل بن عمرو
فأرسل إليه عمر بن الخطاب في ذلك فقال أنظرنى يا أمير المؤمنين أنى كنت امرأ تاجرا فأردت أن
أخذ بابين بحبسان لي ظهري قال فلك ذلك إذا .

وقال عبد الرزاق عن معمر عن منصور عن مجاهد أن عمر بن الخطاب قال بأهل مكة لا تتخذوا
لدوركم أبوابا لينزل البادي حيث يشاء قال وأخبرنا معمر عن سمع عطاء يقول (سواء العاكف فيه
والباد) قال ينزلون حيث شاءوا ، وروى الدارقطني من حديث ابن أبي نجيح عن عبد الله بن عمرو
مرفوعا « من أكل كراء بيوت مكة أكل نارا » وتوسط الامام أحمد فقال تملك وتورث ولا تؤجر جمعاً بين
الأدلة والله أعلم ، وقوله (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم) قال بعض المفسرين من أهل
العربية الباء ههنا زائدة ، كقوله (تنبت بالدهن) أي تنبت الدهن وكذا قوله [ومن يرد فيه بالحاد]
تقديره الحاداً وكما قال الأعشي :

ضمنت برزق عبالنا أرماحنا بين المراحل والصريح الاجرد

وقال الآخر :

بواديمان ينبت العشب صدره وأسفله بالمرخ والشبهان

والاجود أنه ضمن الفعل ههنا معنى يهم ولهذا عداه بالباء فقال [ومن يرد فيه بالحاد] أي يهم
فيه بامر فظيع من المعاصي الكبار وقوله [بظلم] أي عامداً قاصداً أنه ظلم ليس بمأول كما قال ابن جريج
عن ابن عباس هو التعمد
وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بظلم بشرك ، وقال مجاهد ان يعبد فيه غير الله ، وكذا

مجاهد والحسن وجماعة وقالوا المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم
الكعبة وفي فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت ، وقال الآخرون المراد منه جميع الحرم
ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر
غير أنه لا يزعم فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة
وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل ، وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحاج إذا قدموا مكة
لم يكن أحد من أهل مكة أحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى الناس أن يفلقوا أبوابهم في
الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإيجارها وعلى القول الاول وهو الاقرب إلى الصواب

قال قتادة وغير واحد، وقال العوفي عن ابن عباس: بظلم هو أن تستحل من الحرم ما حرم الله عليك من أساة أو قتل فتظلم من لا يظلمك وتقتل من لا يقتلك فإذا فعل ذلك فقد وجب له العذاب الأليم وقال مجاهد بظلم يعمل فيه عملاً سيئاً وهذا من خصوصية الحرم أنه يعاقب البادي والشر إذا كان عازماً عليه وإن لم يوقعه كما قال ابن أبي حاتم في تفسيره حدثنا أحمد بن سنان حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن السدي أنه سمع مرة يحدث عن عبد الله يعني ابن مسعود في قوله [ومن يرد فيه بالإلحاد] بظلم قال لو أن رجلاً أراد فيه بالإلحاد بظلم وهو بعدن أبيه لآذاه الله من العذاب الأليم قال شعبة هو رفعه لنا وأنا لأرفعه لكم، قال يزيد هو قد رفعه، ورواه أحمد عن يزيد بن هارون به، قلت هذا الإسناد صحيح على شرط البخاري ووقفه أشبه من رفعه، ولهذا صم شعبة على وقفه من كلام ابن مسعود، وكذلك رواه أسباط وسفيان الثوري عن السدي عن مرة عن ابن مسعود موقوفاً والله أعلم، وقال الثوري عن السدي عن مرة عن عبد الله قال ما من رجل بهم بسيرة فتكتب عليه ولو أن رجلاً بعدن أبيه أن يقتل رجلاً بهذا البيت لآذاه الله من العذاب الأليم، وكذا قال الضحاك ابن مزاحم، وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد الإلحاد فيه لا والله وبلى والله، وروى عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو مثله، وقال سعيد بن جبير شتم الخادم ظلم فما فوقه، وقال سفيان الثوري عن عبد الله بن عطاء عن ميمون بن مهران عن ابن عباس في قوله [ومن يرد فيه بالإلحاد بظلم] قال تجارة الأمير فيه وعن ابن عمر بيع الطعام بمكة الحاد، وقال حبيب بن أبي ثابت [ومن يرد فيه بالإلحاد بظلم] قال المحتكر بمكة وكذا قال غير واحد

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن إسحاق الجوهري أنبأنا أبو عاصم عن جعفر ابن يحيى عن عمه عمارة بن ثوبان حدثني موسى بن باذان عن يعلى بن أمية أن رسول الله ﷺ قال «احتكار الطعام بمكة الحاد»

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنا ابن لهيعة حدثنا عطاء بن دينار

يجوز لأن الله تعالى قال (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) وقال النبي ﷺ يوم فتح مكة «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» فتسبب الدار إليه نسب ملك واشترى عمر داراً للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم فدل على جواز بيعها وهذا قول طاووس وعمر بن دينار وبه قول الشافعي

قوله عز وجل (ومن يرد فيه بالإلحاد بظلم) أي في المسجد الحرام وهو الميل إلى الظلم والبإ في قوله بالإلحاد زائدة كقوله تنبت بالدهن ومعناه من يرد فيه بالإلحاد بظلم قال الأعشى «ضمنت برزق عيالنا أرمحننا» أي رزق عيالنا وأنكر المبرد أن تكون البإ زائدة وقال معنى الآية من تكن إرادته فيه بأن يلحد بظلم. واختلفوا في هذا الإلحاد فقال مجاهد وقاتدة هو الشرك وعبادة غير الله وقال قوم هو كل شيء كان منهياً عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقال عطاء هو دخول الحرم غير محرم أو ارتكاب

حدثني سعيد بن جبيرة قال قال ابن عباس في قول الله [ومن يرد فيه بالحاد بظلم] قال نزلت في عبد الله بن أنيس أن رسول الله ﷺ به مع رجلين أحدهما مهاجر والآخر من الانصار فافتخروا في الانساب فغضب عبد الله بن أنيس فقتل الانصاري ثم ارتد عن الاسلام ثم هرب الى مكة فنزلت فيه (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) يعني من لجأ الى الحرم بالحاد يعني بميل عن الاسلام وهذه الآثار وان دلت على أن هذه الاشياء من الاحاد ولكن هو أعم من ذلك بل فيها تنبيه على ما هو أغلظ منها ولهذا لما هم أصحاب الفيصل بتخريب البيت أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف ما كؤل أي دمرهم وجعلهم عبرة ونكالا لكل من أراد به سوء ولذلك ثبت في الحديث أن رسول الله ﷺ قال لا يفزو هذا البيت جيش حتى اذا كانوا ببهاء من الارض خسف بأولهم وآخرهم الحديث

وقال الامام احمد حدثنا محمد بن كنانة حدثنا اسحاق بن سعيد عن أبيه قال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير فقال يا ابن الزبير إياك والاحاد في حرم الله فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنه سيلحد فيه رجل من قريش لو توزن ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت» فانظر لانك هو وقال أيضا في مسند عبد الله بن عمرو بن العاص حدثنا هاشم حدثنا اسحاق بن سعيد حدثنا سعيد بن عمرو قال أتى عبد الله بن عمر عبد الله بن الزبير وهو جالس في الحجر فقال يا ابن الزبير إياك والاحاد في الحرم فاني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول «يحلها ويحل به رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها» قال فانظر لانك هو لم يخرج أحد من اصحاب الكتب من هذين الوجهين

واذ بوأنا لبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين

شيء من محظورات الحرم من قتل صيد او قطع شجر وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك وهذا معنى قول الضحاك وعن مجاهد أنه قال: تضاعف السيئات بمكة كأنضاعف الحسنات، وقال حبيب بن أبي ثابت هو احتكار الطعام بمكة وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) «نذقه من عذاب أليم» قال لو أن رجلا لم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو أن رجلا لم يقتل بمكة وهو بعدن أيم أو يبلد آخر أذاقه الله من عذاب أليم. قال السدي إلا أن يتوب وروى عن عبد الله بن عمر أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر فستل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الاحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله

قوله تعالى «واذ بوأنا لبراهيم مكان البيت» أي وطأنا قال ابن عباس جعلنا وقيل بينا قال الزجاج جعلنا مكان البيت ميوأ لبراهيم، وقال مقاتل بن حيان هيأنا وانما ذكر مكان البيت لان الكعبة رفعت إلى السماء زمان الطوفان ثم لما أمر الله تعالى إبراهيم ببناء البيت لم يدر أين ينبغي فبعث

والركم السجود (٢٦) وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق (٢٧)

هذا فيه تقريب وتوبيخ لمن عبد غير الله واشرك به من قريش في البقعة التي أسست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له فذكر تعالى أنه بوأ ابراهيم مكان البيت أي أرشده اليه وسلمه له وأذن له في بنائه واستدل به كثير من قال إن ابراهيم عليه السلام هو أول من بني البيت العتيق وأنه لم يبن قبله كما ثبت في الصحيحين عن أبي ذر قلت يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال «المسجد الحرام» قلت ثم أي؟ قال «بيت المقدس» قلت كم بينهما؟ قال «اربعون سنة» وقد قال الله تعالى (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا) الآيتين وقال تعالى (وعهدنا إلى ابراهيم وامماعيل أن طمرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) وقد قدمنا ذكر ما ورد في بناء البيت من الصحاح والآثار بما أغنى عن اعادته ههنا وقال تعالى ههنا (أن لا تشرك بي شيئا) أي ابنه على اسمي وحدي (وطهر بيتي) قال قتادة ومجاهد من الشرك (للتائمين والقائمين والركع السجود) أي اجعله خالصا هؤلاء الذين يعبدون الله وحده لا شريك له فالطائف به معروف وهو أخص العبادات عند البيت فإنه لا يفضل ببقعة من الأرض سواها (والقائمين) أي في الصلاة ولهذا قال (والركع السجود) فقرن الطواف بالصلاة لأنهما لا يشترعان إلا مختصين بالبيت فالطواف عنده والصلاة اليه في غالب الاحوال إلا ما استثنى من الصلاة عند اشتباه القبلة وفي الحرب وفي النافلة في السفر والله أعلم وقوله (وأذن في الناس بالحج) أي ناد في الناس داعيا لهم إلى الحج إلى هذا البيت الذي أمرناك ببنائه فذكر أنه قال يارب كيف ابليغ الناس وصوتي لا ينفذهم فقال ناد وعلينا البلاغ فقام على مقامه وقيل على الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس وقال يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فخرجوه فيقال إن الجبال تواضعت حتى بلغ الصوت أرجاء الأرض وأسمع من في الأرحام والأصلاب وأجابه كل شيء سمعه من حجر ومدر وشجر ومن كتب الله أنه يحج إلى يوم القيامة لييك الله لك هذا

الله ريحا فخرجوا فكانت له ماحول البيت على الأساس وقال الكلبي بعث الله سحابة بقدر البيت فقامت بحمال البيت وفيها رأس يتكلم يا ابراهيم ابن علي قدرى فبنى عليه

قوله تعالى (أن لا تشرك بي شيئا) أي عهدنا إلى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا (وطهر بيتي للطائفين) أي الذين يطوفون بالبيت (والقائمين) أي المقيمين (والركع السجود) أي المصلين (وأذن في الناس) أي أعلم وناد في الناس (بالحج) فقال ابراهيم وما يبلغ صوتي فقال عليك الأذان وعلينا البلاغ فقام ابراهيم على المقام فارتفع المقام حتى صار كاطول الجبال فادخل اصبعيه في اذنيه واقل بروجه يمينا وشمالا وشرقا وغربا وقال يا أيها الناس ألا إن ربكم قد بنى لكم بيتا وكتب عليكم

مضمون ماورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف والله أعلم وأوردها ابن جرير وابن أبي حاتم مطولة

وقوله (يأتوك رجالا وعلى كل ضامر) الآية قد يستدل بهذه الآية من ذهب من العلماء الى أن الحج ماشيا لمن قدر عليه أفضل من الحج راكبا لانه قدمهم في الذكر فدل على الاهتمام بهم وقوة مهمهم وشدة عزهم وقال وكيع عن أبي العباس عن أبي جلبة عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال ما أساء علي شيء إلا أتني وددت اني كنت حججت ماشيا لأن الله يقول (يأتوك رجالا) والذي عليه الاكثرون أن الحج راكبا أفضل اقتداء برسول الله ﷺ فإنه حج راكبا مع كمال قوته عليه السلام وقوله (يأتين من كل فج) يعني طريق كما قال (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) وقوله (عميق) أي بعيد قاله مجاهد وعطاء والسدي وقتادة ومقاتل بن حيان والثوري وغير واحد وهذه الآية كقوله تعالى اخياراً عن ابراهيم حيث قال في دعائه (فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم) فليس أحد من أهل الاسلام إلا وهو يحسن الى رؤية الكعبة والطواف والناس يقصدونها من سائر الجهات والاقطار ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومة على ما رزقهم من بهيمة

الانعم فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير (٢٨) ثم ليقضوا تقصم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق (٢٩)

قال ابن عباس (ليشهدوا منافع لهم) قال منافع الدنيا والآخرة : أما منافع الآخرة فريضان الله تعالى ، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن والذبايح والتجارات ، وكذا قال مجاهد وغير واحد انها منافع الدنيا والآخرة كقوله [ليس عليكم جناح أن تنفقوا فضلا من ربكم] وقوله [ويذكروا]

الحج الى البيت فأجيبوا ربكم. فأجابه كل من كان يحج من اصحاب الآباء وارحام الامهات لييك ألقم لييك قال ابن عباس فأول من أجابه أهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وروي ان ابراهيم صعد أباقيس ونادى وقال ابن عباس عنى بالناس في هذه الآية أهل القبلة وزعم الحسن أن قوله (وأذن في الناس بالحج) كلام مستأنف وان المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع وروى أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا »

قوله تعالى (يأتوك رجالا) أي مشاة على أرجلهم جمع راجل مثل قائم وقيام وصائم (وعلى كل ضامر) أي ركبانا على كل ضامر والضمير البعير المزدول (يأتين من كل فج عميق) أي من كل طريق بعيد وانما جمع يأتين لمكان كل وأراد النوق (ليشهدوا) ليحضروا (منافع لهم) قال سعيد ابن المسيب ومحمد بن علي الباقر العفو والمغفرة وقال سعيد بن جبير التجارة وهي رواية ابن زيد عن ابن عباس قال الاسواق. وقال مجاهد التجارة وما يرضى الله به من أمر الدنيا والآخرة (ويذكروا)

اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام [قال شعبة وهشيم عن أبي بشر عن سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما: الايام المعلومات ايام العشر وعلقه البخاري عنه بصيغة الجزم به وروى مثله عن أبي موسى الأشعري ومجاهد وقتادة وعطاء وسعيد بن جبير والحسن والضحاك وعطاء الخراساني وابراهيم النخعي وهو مذهب الشافعي والمشهور عن أحمد بن حنبل

وقال البخاري حدثنا محمد بن عرعة حدثنا شعبة عن سليمان عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال « ما العمل في ايام أفضل منها في هذه » قالوا ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال « ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل يخرج بخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء » ورواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بنحوه وقال الترمذي حديث حسن غريب صحيح ، وفي الباب عن ابن عمر وأبي هريرة وعبد الله بن عمرو وجابر ، قلت وقد تضمنت هذه الطرق وأفردت لها جزءا على حدة فمن ذلك ما قال الامام أحمد حدثنا عثمان أنبأنا أبو عوانة عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « ما من ايام أعظم عند الله ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد » وروى من وجه آخر عن مجاهد عن ابن عمر بنحوه ، وقال البخاري وكان ابن عمر وأبو هريرة يخرجان الى السوق في ايام العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما وقد روى أحمد عن جابر مرفوعا ان هذا هو العشر الذي أقسم الله به في قوله (والفجر وليال عشر) وقال بعض السلف إنه المراد بقوله (وأتمناها بعشر) وفي سنن أبي داود أن رسول الله ﷺ كان يصوم هذا العشر ، وهذا العشر مشتمل على يوم عرفة الذي ثبت في صحيح مسلم عن أبي قتادة قال سئل رسول الله ﷺ عن صيام يوم عرفة فقال احتسب على الله

اسم الله في ايام معلومات) يعني عشر ذي الحجة في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على عملها بحسابها من أجل وقت الحج في آخرها ويروى عن علي رضي الله عنه انها يوم النحر وثلاثة ايام بعده ، وفي رواية عطاء عن ابن عباس انها يوم عرفة والنحر وأيام التشريق وقال مقاتل المعلومات ايام التشريق « على ما رزقهم من بهيمة الانعام » يعني الهدايا والضحايا تكون من النعم وهي الابل والبقر والغنم واختار الزجاج أن الايام المعلومات يوم النحر وأيام التشريق لان الذكر على بهيمة الانعام يدل على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام « فاسكلوا منها » أمر بإباحة وليس بواجب وإنما قال ذلك لان أهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا ، وانفق العلماء على أن الهدى اذا كان تطوعا يجوز للهدى أن يأكل منه ، وكذلك اضحية التطوع لما أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن الفضل الحرقلي أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي الكشميني أنا علي بن حجر أنا اماعيل بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال في قصة حجة الوداع: وقدم علي بيدن من اليمن وساق رسول الله ﷺ مائة بدنة فنحر منها رسول الله ﷺ

أن يكفر السنة الماضية والآنية ويشتمل على يوم النحر الذي هو يوم الحج الأكبر ، وقد ورد في حديث أنه أفضل الايام عند الله وبالجملة فهذا العشر قد قيل إنه أفضل أيام السنة كما نطق به الحديث وفضله كثير على عشر رمضان الاخير لان هذا يشرع فيه ما يشرع في ذلك من صلاة وصيام وصدقة وغيره ، ويمتاز هذا باختصاصه باداء فرض الحج فيه وقيل ذلك أفضل لاشتماله على ليلة القدر التي هي خير من الف شهر وتوسط آخرون فقالوا أيام هذا أفضل وليالي ذاك أفضل وبهذا يجتمع شمل الأدلة والله أعلم (قول ثان) في الايام المعلومات قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس الايام المعلومات يوم النحر وثلاثة أيام بعده ، وروى هذا عن ابن عمر و ابراهيم النخعي واليه ذهب أحمد بن حنبل في رواية عنه (قول ثالث) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن المديني حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا ابن عجلان حدثني نافع ان ابن عمر كان يقول : الايام المعلومات المعدودات من جميع اربعة أيام فالايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده والايام المعدودات ثلاثة أيام بعد يوم النحر هذا اسناد صحيح اليه ، وقاله السدي وهو مذهب الامام مالك بن أنس وبعض هذا القول والذي قبله قوله تعالى (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني به ذكر الله عند ذبحها .

(قول رابع) إنها يوم عرفة ويوم النحر ويومان بعده وهو مذهب أبي حنيفة ، وقال ابن وهب حدثني ابن زيد بن أسلم عن أبيه أنه قال المعلومات يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق وقوله (على ما رزقهم من بهيمة الانعام) يعني الابل والبقر والغنم كما فصلها تعالى في سورة الانعام (ثمانية أزواج) الآية وقوله (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) استدلل بهذه الآية من ذهب الى وجوب الاكل من الاضاحي وهو قول غريب والذي عليه الاكثر أن من باب الرخصة أو الاستحباب كما ثبت أن رسول الله ﷺ لما نحر هديه أمر من كل بدنة ببضعة فتطبخ فأكل من لحها وحسا من مرقها قال

ثلاثا وستين بدنة بيده ونحر علي ما بقي ثم أمر رسول الله ﷺ أن تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل في قدر فأكل من لحها وحسبها من مرقها ، واختلفوا في الهدي الواجب بالشرع هل يجوز للهدي أن يأكل منه شيئا مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد ، فذهب قوم الى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا وبه قال الشافعي ، وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال أحمد واسحاق وقال مالك يأكل من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الامن فدية الأذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب الرأي يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما

قوله عز وجل (واطعموا البائس الفقير) يعني الزمن الفقير الذي لا شيء له والبائس الذي اشتد بؤسه والبؤس شدة الفقر (ثم ليقتضوا تقننهم) التفث الوسخ والقذارة من طول الشعر والاضطراب والشعث تقول العرب لمن تستقدره ما انفثك أي ما أوسخك والحاج أشعث أغبر أي لم يخلق شعره

عبد الله بن وهب قال لي مالك أحب أن يأكل من أضحيته لأن الله يقول (فكلوا منها) قال ابن وهب وسأت الليث فقال لي مثل ذلك وقال سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم (فكلوا منها) قال كان المشركون لا يأكلون من ذبائحهم فرخص للمسلمين فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل، وروى عن مجاهد وعطاء نحو ذلك. قال هشيم عن حصين عن مجاهد في قوله (فكلوا منها) قال هي كقوله (فاذا حلتم فاصطادوا) فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض) وهذا اختيار ابن جرير في تفسيره، واستدل من نصر القول بأن الاضحية يتصدق منها بالنصف بقوله في هذه الآية (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) فجزأها نصفين نصف للهضحي ونصف للفقراء، والقول الآخر أنها تجزأ ثلاثة أجزاء ثلث له وثلث يهديه وثلث يتصدق به لقوله تعالى في الآية (فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر) وسيأتي الكلام عليها عندها إن شاء الله وبه الثقة وقوله (البائس الفقير) قال عكرمة هو المضطر الذي عليه البؤس الفقير المتعفف، وقال مجاهد هو الذي لا يبسط يده، وقال قتادة هو الزمن، وقال مقاتل بن حيان هو الضرب وقوله (ثم ليقتضوا نفثهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو وضع الاحرام من حلق الرأس ولبس الثياب وقص الاظفار ونحو ذلك وهكذا روي عطاء ومجاهد عنه وكذا قال عكرمة ومحمد بن كعب القرظي وقال عكرمة عن ابن عباس (ثم ليقتضوا نفثهم) قال النفث المناسك وقوله (وليوفوا نذرهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يعني ما نحر ما نذر من أمر البدن، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (وليوفوا نذرهم) نذر الحج والهدي وما نذر الانسان من شيء. يكون في الحج، وقال إبراهيم بن ميسرة عن مجاهد (وليوفوا نذرهم) قال الذبائح. وقال ليث بن أبي سليم عن مجاهد (وليوفوا نذرهم) كل نذر الى اجل. وقال عكرمة (وليوفوا نذرهم) قال حجه، وكذا روى الامام أحمد ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر حدثنا سفيان في قوله (وليوفوا نذرهم) قال نذور الحج فكل من دخل الحج فعليه من العمل فيه الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة وعرفة ومزدلفة ورمي الجمار على ما أمروا به، وروى عن مالك نحو هذا وقوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال مجاهد يعني الطواف الواجب يوم النحر

ولم يقل ظفركه فقضاء النفث ازالة هذه الاشياء (ليقتضوا نفثهم) أي ليزيلوا أدرانهم، والمراد منه الخروج عن الاحرام بالحلوق وقص الشارب وتنف الابط والاستحداد وقلم الاظفار ولبس الثياب قال ابن عمر وابن عباس قضاء النفث مناسك الحج كلها وقال مجاهد هو مناسك الحج وأخذ الشارب وتنف الابط وحلق العانة وقلم الاظفار، وقيل النفث ههنا رمي الجمار، قال الزجاج لا يعرف النفث ومعناه إلا من القرآن قوله تعالى ﴿وليوفوا نذرهم﴾ قال مجاهد أراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء. يكون في الحج أي ليشتموها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره، وقيل أراد به الخروج مما وجب عليه نذر أو لم ينذر والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفي بنذره وقرأ عاصم

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن أبي حمزة قال : قال لي ابن عباس أنقرأ سورة الحج يقول الله تعالى (وليطوفوا بالبيت العتيق) فإن آخر المناسك الطواف بالبيت العتيق. قلت وهكذا صنع رسول الله ﷺ فإنه لما رجع إلى منى يوم النحر بدأ برمي الجرة فرماها بسبع حصيات ثم نحر هديه وحلق رأسه ثم أفاض فطاف بالبيت ، وفي الصحيحين عن ابن عباس أنه قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت الطواف إلا أنه خفف عن المرأة الحائض ، وقوله (بالبيت العتيق) فيه مستدل لمن ذهب إلى أنه يجب الطواف من وراء الحجر لأنه من أصل البيت الذي بناه إبراهيم وإن كانت قريش قد أخرجه من البيت حين قصرت بهم النفقة ، ولهذا طاف رسول الله ﷺ من وراء الحجر وأخبر أن الحجر من البيت ولم يستلم الركنين الشاميين لأنهما لم يتما على قواعد إبراهيم العتيقة ، ولهذا قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمر العدني حدثنا سفيان عن هشام بن حمر عن رجل عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية (وليطوفوا بالبيت العتيق) طاف رسول الله ﷺ من ورائه. وقال قتادة عن الحسن البصري في قوله (وليطوفوا بالبيت العتيق) قال لأنه أول بيت وضع للناس وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وعن عكرمة أنه قال إنما سمي البيت العتيق لأنه أعتق يوم الفرق زمان نوح ، وقال خصيف إنما سمي البيت العتيق لأنه

برواية أبي بكر وليوفوا بنصب الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الأفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق. والطواف ثلاثة (طواف القدوم) وهو أن من قدم مكة بطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعا وهذا الطواف سنة لا شيء على من تركه. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أحمد هو أبو عيسى أنا ابن وهب أنا عمرو بن الحارث عن محمد بن عبد الرحمن ابن نوفل القرشي أنه سأل عروة بن الزبير فقال قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة أن أول شيء بدأ به حين قدم أنه نوضا ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم حج أبو بكر فكان أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن عمرة ثم عمر مثل ذلك ثم حج عثمان فرأيت أول شيء بدأ به الطواف بالبيت. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا أنس بن عياض عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعا (والطواف الثاني) هو طواف الأفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص ثنا أبي أنا الأعمش أنا إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة النفر فقالت ما أراني إلا حابستم قال النبي ﷺ «عقرى حلتى أطافت يوم النحر»

لم يظهر عليه جبار قط ، وقال ابن أبي نجيح وليث عن مجاهد أعتق من الجبارة أن يسلطوا عليه وكذا قال قتادة وقال حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن بن مسلم عن مجاهد لأنه لم يرد أحد بسوء إلا هلك ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن ابن الزبير قال إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه من الجبارة ، وقال الترمذي حدثنا محمد بن اسماعيل وغير واحد حدثنا عبد الله بن صالح أخبرني أليث عن عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن محمد بن عمر عن عبد الله بن الزبير قال : قال رسول الله ﷺ « إنما سمي البيت العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار » وكذا رواه ابن جبر عن محمد بن سهل المحاذي عن عبد الله بن صالح به وقال إن كان صحيحاً ، وقال الترمذي هذا حديث حسن غريب ثم رواه من وجه آخر عن الزهري مرسل

ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلّت لكم الأنعم إلا ما يتلى

عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور (٣٠) حنفاء لله غير مشركين

به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق (٣١)

يقول تعالى هذا الذي أمرنا به من الطاعات في أداء المناسك وما ألقا عليها من الثواب الجزيل (ومن يعظم حرمات الله) أي ومن يجتنب معاصيه ومحارمه ويكون ارتكابها عتياً في نفسه (فهو خير له عند ربه) أي فله على ذلك خير كثير وثواب جزيل فكما على فعل الطاعات ثواب كثير وأجر جزيل كذلك على ترك المحرمات واجتناب المحظورات

قيل نعم قال « قانفري » ثبت بهذا أن من لم يطف يوم النحر طواف الأفاضة لا يجوز له أن ينفر (والطواف الثالث) هو طواف الوداع لأرخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعاً فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها ترك طواف الوداع. أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الحلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سفيان عن سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس قال : أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض. والرمل مختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الأفاضة والوداع قوله (بالبيت العتيق) اختلفوا في معنى العتيق فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من أيدي الجبارة أن يهملوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقال سفيان بن عيينة سمي عتيقاً لأنه لم يملك قط وقال الحسن وابن زيد سمي به لأنه قدّم وهو أول بيت وضع للناس يقال دينار عتيق أي قدّم. وقيل سمي عتيقاً لأن الله أعتقه من الفرق فانه رفع أيام الطوفان (ذلك) أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أي معاصي الله وما نهى

قال ابن جريج قال مجاهد في قوله (ذلك ومن يعظم حرمات الله) قال الحرمة مكة والحج والعمرة وما نهى الله عنه من معاصيه كلها وكذا قال ابن زيد وقوله (وأحلت لكم الانعام إلا ما يتلى عليكم) أي أحللتا لكم جميع الانعام وما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام، وقوله (إلا ما يتلى عليكم) أي من تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة الآية قال ذلك ابن جرير وحكاة عن قتادة، وقوله [فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور] من ههنا لبيان الجنس أي اجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان وقرن الشرك بالله بقول الزور كقوله [قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشرکوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون] ومنه شهادة الزور وفي الصحيحين عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» قلنا بلى يا رسول الله قال «الاشراك بالله وعقوق الوالدين - وكان متكئا فجلس فقال - ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور» فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت

وقال الامام أحمد حدثنا مروان بن معاوية الفزاري أنبأنا سفيان بن زياد عن فائز بن فضالة عن أيمن بن خريم قال: قام رسول الله ﷺ خطيبا فقال «يا أيها الناس عدلت شهادة الزور إشرارا كما بالله» ثلاثا ثم قرأ [فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور] وهكذا رواه الترمذي عن أحمد ابن منيع عن مروان بن معاوية به ثم قال غريب إنما نعرفه من حديث سفيان بن زياد وقد اختلف عنه في رواية هذا الحديث ولا نعرف لأبي بن خريم سماعا من النبي ﷺ

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد حدثنا سفيان بن عبيد العصفري عن أبيه عن حبيب بن النعمان الاسدي عن خريم بن فائز الاسدي قال: صلى رسول الله ﷺ الصبح فلما انصرف قام قائما فقال «عدلت شهادة الزور الاشرار بالله عز وجل» ثم تلا هذه الآية [فاجتنبوا الرجس من الاوثان

عنه وتعظيمها ترك ملاستها، قال البيهقي حرمت الله مالا يحل انتهاكها وقال الزجاج الحرمة ماوجب القيام به وحرمة التفريط فيه، وذهب قوم الى أن معنى الحرمات ههنا المناسك بدليل مايتصل بها من الآيات، وقال ابن زيد الحرمات ههنا البيت المعرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والاحرام (فهو خير له عند ربه) أي تعظيم الحرمات خير له عند الله في الآخرة (وأحلت لكم الانعام) أن تأكلوها اذا ذبحتها وهي الابل والبقر والغنم (إلا مايتلى عليكم) تحريمه وهو قوله في سورة المائدة (حرمت عليكم الميتة والدم) الآية (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) أي عبادتها يقول كونوا على جانب منها فانها رجس أي سبب الرجس وهو العذاب والرجس بمعنى الرجز وقال الزجاج من ههنا لتجنيس أي اجتنبوا الاوثان التي هي رجس (واجتنبوا قول الزور) يعني الكذب والبهتان وقال ابن مسعود شهادة الزور وروي أن النبي ﷺ قام خطيبا فقال «يا أيها الناس عدلت

واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به [وقال سفيان الثوري عن عاصم بن أبي النجود عن وائل بن ربيعة عن ابن مسعود أنه قال : تعدل شهادة الزور الاشرار بالله ثم قرأ هذه الآية وقوله [حنفاء لله] أي مخلصين له الدين منصرفين عن الباطل قصداً إلى الحق ولهذا قال [غير مشركين به] ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال [ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء] أي سقط منها [فتخطفه الطير] أي تقطعه الطيور في الهواء [أو تهوى به الريح في مكان سحيق] أي بعيد مهلك لمن هوى فيه ولهذا جاء في حديث البراء أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرْحاً من هناك ثم قرأ هذه الآية وقد تقدم الحديث في سورة ابراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه. وقد ضرب تعالى للمشركين مثلاً آخر في سورة الانعام وهو قوله [قل أئندعوا من دون ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدينا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل ان هدى الله فبهدى الله فأنها من تقوى القلوب (٣٢) لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق (٣٣)

يقول تعالى هذا ومن يعظم شعائر الله أي أوامره [فأنها من تقوى القلوب] ومن ذلك تعظيم الهدايا والبدن كما قال الحكم عن مقسم عن ابن عباس تعظيمها استسماها واستحسانها. وقال

شهادة الزور الاشرار بالله » ثم قرأ هذه الآية وقيل هو قول المشركين في تلييتهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك ﴿ حنفاء لله ﴾ مخلصين له ﴿ غير مشركين به ﴾ قال قتادة كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والامهات والاخوات وكانوا يسمون حنفاء فنزلت ﴿ حنفاء لله غير مشركين به ﴾ أي حجاجاً لله مسلمين موحدين يعني من اشرك لا يكون حنيفاً ﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء ﴾ أي سقط ﴿ من السماء ﴾ إلى الأرض ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أي تستلبه الطير وتذهب به والخطف والاختطاف تناول الشيء بسرعة وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء أي تتخطفه ﴿ أو تهوى به الريح ﴾ أي تميل وتذهب به ﴿ في مكان سحيق ﴾ أي بعيد معناه أن بعد من اشرك بالحق كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليها بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة أما باستلاب الطير لجه وأما بسقوطه إلى المكان السحيق ، وقال الحسن شبه أعمال الكفار بهذه الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يقدرون على شيء منها ﴿ ذلك ﴾ يعني الذي ذكرت من اجتناب الرجس وقول الزور ﴿ ومن يعظم شعائر الله فأنها من تقوى القلوب ﴾ قال ابن

ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الاشج حدثنا حفص بن غياث عن ابن أبي ليلى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ذلك ومن يعظم شعائر الله) قال : الاستسمان والاستحسان والاستعظام ، وقال أبو امامة عن سهل : كنا نسمي الاضحية بالمدينة وكان المسمون يسمنون . رواه البخاري . وعن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ قال « دم عفراء أحب إلى الله من دم سوداوين » رواه أحمد وابن ماجه قالوا والعفراء هي البيضاء ، بياضا ليس بناصع فالبيضاء أفضل من غيرها وغيرها يحزى . أيضا لما ثبت في صحيح البخاري عن أنس أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين أملحين أقرنين

وعن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ ضحى بكبش أقرن كحيل يأكل في سواد وينظر في سواد ويمشي في سواد ، رواه أهل السنن وصححه الترمذي . أي فيه نكتة سوداء في هذه الأماكن ، وفي سنن ابن ماجه عن أبي رافع أن رسول الله ﷺ ضحى بكبشين عظيمين سمينين أقرنين أملحين موجودين ، وكذا روى أبو داود وابن ماجه عن جابر ضحى رسول الله ﷺ بكبشين أقرنين أملحين موجودين . قيل هما الحصيان وقيل اللذان رض خصياهما ولم يقطعهما والله أعلم

وعن علي رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشرف العين والاذن وأن لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء . رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي ، ولهم عنه قال نهى رسول الله ﷺ أن نضحي بأعضب القرن والاذن . قال سعيد بن المسيب : العضب النصف فأكثر . وقال بعض أهل اللغة : إن كسر قرنهما الأعلى فهي قصاء فأما العضب فهو كسر الاسفل وعضب الاذن قطع بعضها . وعند الشافعي ان الاضحية بذلك مجزئة لكن نكرو ، وقال أحمد لا تحزى . الاضحية بأعضب القرن والاذن لهذا الحديث ، وقال مالك : ان كان الدم يسيل من القرن لم يحزى . وإلا أجزأ والله أعلم . وأما المقابلة فهي التي قطع مقدم أذنها والمدابرة من مؤخر أذنها ، والشرقاء

عباس شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الاشعار وهو اعلامها ليعلم انها هدي وتعظيمها استسماها واستحسانها ، وقيل شعائر الله اعلام دينه (فانها من تقوى القلوب) أي فان تعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أي في البدن قبل تسميتها للهدي (منافع) في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها (إلى أجل مسمى) وهو أن يسميها ويوجهها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها هذا قول مجاهد وقول قتادة والضعاف ورواه مسلم عن ابن عباس ، وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشرى ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبي رباح ، واختلف أهل العلم في ركوب الهدى فقال قوم يجوز له ركوبها والحمل عليها غير مضر بها ، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وإسحاق لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ان رسول الله ﷺ رأى رجلا يسوق بدنة فقال « اركبها » فقال أنها بدنة قال « اركبها »

هي التي قطعت أذننها طولا . قاله الشافعي والاصمعي وأما الخرقاء فهي التي خرقت السمة أذننها خرقا مدورا والله أعلم . وعن البراء قال قال رسول الله ﷺ « أربع لا تجوز في الاضحية العوراء البين عورها والمریضة البين مرضها ، والعرجاء البين ضلعها والكسيرة التي لا تنقي » رواه أحمد وأهل السنن وصححه الترمذي وهذه العيوب تنقص اللحم اضعفها وعجزها عن استكمال الرعي لان الشاة بسببها إلى المرعى فلهذا لا يجزي . التضحية بها عند الشافعي وغيره من الأئمة كما هو ظاهر الحديث ، واختلف قول الشافعي في المریضة مرضا يسيرا على قولين وروى أبو داود عن عتبة بن عبد السلمي أن رسول الله ﷺ نهى عن المصفرة والمستأصلة والبخقاء والمشيمة والكسيرة فالمصفرة قيل الهزيلة وقيل المستأصلة الاذن والمستأصلة مكسورة القرن والبخقاء هي العوراء والمشيمة هي التي لا تزال تشيم خلف الفم ولا تتبع اضعفها والكسيرة العرجاء . فهذه العيوب كلها مانعة من الاجزاء ، فلما ان طرأ العيب بعد تعيين الاضحية فإنه لا يضرب عند الشافعي خلافا لابن حنيفة ، وقد روى الامام أحمد عن أبي سعيد قال : اشترت كبشا أضحي به فعدا الذئب فأخذ الالية فسأت النبي ﷺ فقال « ضح به » ولهذا جاء في الحديث أمرنا رسول الله ﷺ أن نستشف العين والاذن أي ان تكون الهدية والاضحية سمينة حسنة كما رواه الامام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمر قال أهدى عمر نجيبا فأعطى بها ثلثمائة دينار فأني النبي ﷺ فقال يا رسول الله اني أهديت نجيبا فأعطيت بها ثلثمائة دينار فأبيها وأشترى بشمنها بدنا قال لا « انحرها ايها » وقال الضحاك عن ابن عباس البدن من شعائر الله وقال محمد بن أبي موسى الوقوف ومزدلفة والجمار والرمي والحلق والبدن من شعائر الله ، وقال ابن عمر أعظم الشعائر البيت . وقوله (لكم فيها منافع) أي لكم في البدن منافع من لبنها وصفوها وأوبارها وأشعارها وركوبها إلى أجل مسمى . قال مقسم عن ابن عباس في قوله (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) قال ما لم تسم بدنا ، وقال مجاهد في قوله (لكم فيها منافع إلى أجل مسمى) قال الركوب واللبن والولد فاذا سميت بدنة او هديا ذهب ذلك كله وكذا قال عطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني وغيرهم ، وقال آخرون بل له أن ينتفع بها وان كانت هديا اذا احتاج الى ذلك كما ثبت في الصحيحين عن أنس أن

قال انها بدنة قال « اركبها وبلك » في الثانية او الثالث ، وكذلك قال له « اشرب لبنها بعد ما فضل عن ري ولدها » وقال أصحاب الرأي لا يركبها ، وقال قوم لا يركبها إلا أن يضطر اليه وقال بعضهم أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة (لكم فيها منافع) بالتجارة والاسواق إلى أجل مسمى وهو الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع بالاجر والثواب في قضاء المناسك (إلى أجل مسمى) أي إلى انقضاء أيام الحج (ثم محلها) أي منحرها (إلى البيت العتيق) أي منحرها عند البيت العتيق يريد أرض الحرم كلها كما قال (فلا تقربرا المسجد الحرام) أي الحرم كله وروى عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله ﷺ قال « نحر ههنا ومنى كلها منحرفا نحرها في رحالك » ومن قال الشعائر المناسك

رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة قال « اركبها » قال انها بدنة قال « اركبها ورحك » في الثانية او الثالثة وفي رواية لمسلم عن جابر عن رسول الله ﷺ انه قال « اركبها بالمعروف اذا ألجئت اليها » وقال شعبة عن زهير عن أبي ثابت الاعشى عن المغيرة بن أبي الحر عن علي أنه رأى رجلاً يسوق بدنة ومعه ولدها فقال لا تشرب من لبنها الا ما فضل عن ولدها فاذا كان يوم النحر فاذبحها وولدها وقوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي محل الهدي وانهاؤه إلى البيت العتيق وهو الكعبة كما قال تعالى (هدبا بالغ الكعبة) وقال (والهدي معكوفاً أن يبلغ محله) وقد تقدم الكلام على معنى البيت العتيق قريباً والله الحمد . وقال ابن جريج عن عطاء قال : كان ابن عباس يقول كل من طاف بالبيت فقد حل قال الله تعالى (ثم محلها إلى البيت العتيق)

ولكل أمة جعلنا منسكاً ليزكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام فلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين (٣٤) الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصائرين على ما أصابهم والمقيمي الصلوة ومما رزقناهم ينفقون (٣٥)

يخبر تعالى انه لم يزل ذبح المناسك وإراقة الدماء على اسم الله مشروعاً في جميع الملل . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ولكل أمة جعلنا منسكاً) قال عيداً وقال عكرمة ذبحاً . وقال زيد بن أسلم في قوله (لكل أمة جعلنا منسكاً) انها مكة لم يجعل الله لامة قط منسكاً غيرها ، وقوله [ليزكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام] كما ثبت في الصحيحين عن أنس قال أتى رسول الله ﷺ بكبشين أمامين أقرنين قسمي وكبر ووضع رجله على صفاحها وقال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا سلام بن مسكين عن عائذ الله المجاشعي عن أبي داود — وهو نعيم بن الحارث — عن زيد بن أرقم قال قلت أو قالوا يا رسول الله ما هذه الاضاحي ؟ قال « سنة أبيكم ابراهيم » قالوا مالنا منها ؟ قال « بكل شعرة حسنة » قال فالصوف ؟

قال معنى قوله (ثم محلها إلى البيت العتيق) أي محل الناس من احرامهم إلى البيت العتيق أي أن يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر

قال الله تعالى (ولكل أمة) يعني جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكاً) قرأ حمزة والكسائي بكسر السين ههنا وفي آخر السورة على معنى الاسم مثل المسجد والمظلم يعني مذبحاً وهو موضع قربان وقرأ الآخرون بفتح السين على المصدر مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين (ليزكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) عند نحرها وذبحها وسماها بهيمة لانها لا تتكلم ، وقال بهيمة الانعام وقيدتها بالنعم لان من البهايم ما ليس من الانعام كالخيل والبغال والحمير

قال « بكل شجرة من الصوف حسنة » وأخرجه الامام أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه من حديث سلام بن مسكين به

وقوله (فاهلكم إله واحد فله أسلموا) أي معبودكم واحد وإن تنوعت شرائع الانبياء ونسخ بعضها بعضاً فالجميع يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (فله أسلموا) أي أخلصوا واستسلموا لحكمته وطاعته [وبشر المحبتين] قال مجاهد المطمئنين وقال الضحاك وقتادة المتواضعين . وقال السدي الوجلين وقال عمرو بن ادريس : المحبتين الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا . وقال الثوري (وبشر المحبتين) قال المطمئنين الراضين بقضاء الله المستسلمين له ، وأحسن ما يفسر بما بعده وهو قوله (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) أي خافت منه قلوبهم (والصابرين على ما أصابهم) أي من المصائب ، قال الحسن البصري والله لتصبرن أو لنهلكن (والمقيمي الصلاة) قرأ الجمهور بالإضافة السبعة وبقية العشرة أيضاً ، وقرأ ابن المسيقم (والمقيمين الصلاة) بالنصب وعن الحسن البصري والمقيمي الصلاة وإنما حذفت النون ههنا تخفيفاً ولو حذفت للإضافة لوجب خفض الصلاة ولكن على سبيل التخفيف فنصبت أي المؤدين حق الله فيما أوجب عليهم من أداء فرائضه (ومما رزقناهم ينفقون) أي وينفقون ما آتاهم الله من طيب الرزق على أهلهم وأقاربهم وفقرائهم ومحاربهم ويحسنون إلى الخلق مع محافظتهم على حدود الله ، وهذه بخلاف صفات المنافقين فأنهم بالعكس من هذا كله كما تقدم تفسيره في سورة براءة

والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها

صواف ، فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر ، كذلك سخرناها

لكم لعلكم تشكرون (٣٦)

يقول تعالى ممثنا على عبده فيما خلق لهم من البدن وجعلها من شعائره وهو أنه جعلها تهدي إلى

لا يجوز ذبحها في القرابين (فاهلكم إله واحد) أي سموا على الذبائح اسم الله وحده فإن الهلكم إله واحد (فله أسلموا) انقادوا وأطيعوا (وبشر المحبتين) قال ابن عباس وقتادة المتواضعين ، وقال مجاهد المطمئنين إلى الله عز وجل والمحبت المكان المطمئن من الأرض ، وقال الاخفش الخاشعين وقال النخعي المخلصين ، وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم ، وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من البلاء والمصائب (والمقيمي الصلاة) أي المقيمين للصلاة في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظمها وضخامتها يريد الابل العظام الصالح الاجسام يقال بدن

(الجزء الخامس)

(٧٤)

(تفسير ابن كثير والبغوي)

بيته الحرام بل هي أفضل ما يهدي اليه كما قال تعالى (لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) الآية ، قال ابن جريج قال عطاء في قوله (والبدن جعلناها لكم من شعائر الله) قال البقرة والبعير وكذا روي عن ابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن البصري ، وقال مجاهد إنما البدن من الابل (قلت) أما إطلاق البدنة على البعير فمتفق عليه واختلفوا في صحة إطلاق البدنة على البقرة على قولين أصحهما أنه بطاق عليها ذلك شرعا كما صح الحديث ، ثم جمهور العلماء على أنه تجزي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة كما ثبت به الحديث عند مسلم من رواية جابر بن عبد الله قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نشترك في الاضاحي البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة ، وقال اسحاق بن راهويه وغيره بل تجزي البقرة والبعير عن عشرة وقد ورد به حديث في مسند الامام أحمد وسنن النسائي وغيرهما فالله أعلم

وقوله (لكم فيها خير) أي ثواب في الدار الآخرة ، وعن سليمان بن يزيد الكعبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « ما عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب الى الله من اهرق دم وانما لتأتي يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الارض فطيبوا بها نفسا » رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه . وقال سفيان الثوري كان أبو حازم يستدين ويسوق البدن فليل له تستدين وتسوق البدن ؟ فقال اني سمعت الله يقول (لكم فيها خير) وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ « ما أنفقت الورق في شيء أفضل من نحره في يوم عيد » رواه الدارقطني في سننه ، وقال مجاهد (لكم فيها خير) قال أجر ومنافع ، وقال ابراهيم النخعي يركبها ويحملها اذا احتاج اليها

وقوله (فاذكروا اسم الله عليها صواف) وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن جابر بن عبد الله قال صليت مع رسول الله ﷺ عيد الاضحية فلما انصرف أتني بكبش فذبحه فقال « بسم الله والله أكبر اللهم هذا غني وعن لم يضح من أمي » رواه أحمد وأبو داود والترمذي

الرجل بدنا وبدانة اذا ضخم فأما اذا أسن واسترخى يقال بدن بدينا ، قال عطاء والسدي البدن الابل والبقر أما الغنم فلا تسمى بدنة (جعلناها لكم من شعائر الله) من أعلام دينه سميت شعائر لانها تشعر وهو أن تطعن بحديد في سنامها فيعلم انها هدى (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والاجر في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها واحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك أخبرنا عبد الواحد المليحي انا أحمد النعيمي انا محمد بن يوسف انا محمد بن اسماعيل انا عبد الله بن مسلمة انا يزيد بن زريع عن يونس عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة ينحرها قال ابشها قياما مقيدة سنة محمد ﷺ وقال مجاهد الصواف اذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم ، وقرأ ابن مسعود

وقال محمد بن اسحاق عن يزيد بن أبي حبيب عن ابن عباس عن جابر قال ضحى رسول الله ﷺ بكبشين في يوم عيد فقال حين وجهها وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين فان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم منك ولك عن محمد وأمه ثم سئى الله وكبر وذبح وعن علي بن الحسين عن أبي رافع أن رسول الله كان إذا ضحى اشترى كبشين سميين أقرنين أملحين فإذا صلى وخطب الناس أتى بأحدهما وهو قائم في مصلاه فذبحه بنفسه بالمدينة ثم يقول اللهم هذا عن أمتي جميعها من شهد لك بالتوحيد وشهد لي بالبلاغ ثم يؤتى بالآخر فيذبحه بنفسه ثم يقول هذا عن محمد وآل محمد فيطعمهما جميعاً للمساكين ويأكل هو وأهله منها رواه أحمد وابن ماجه . وقال الاعمش عن أبي ظبيان عن ابن عباس في قوله (فادكروا اسم الله عليها صواف) قال قياماً على ثلاث قوائم معقولة يدها اليسرى يقول بسم الله والله أكبر لا إله إلا الله اللهم منك ولك . وكذلك روي عن مجاهد وعلي بن أبي طلحة والعوفي عن ابن عباس نحو هذا وقال ليث عن مجاهد إذا عقلت رجلها اليسرى قامت على ثلاث ، وروى ابن أبي نجيح عنه نحوه ، وقال الضحاك يعقل رجلاً فتكون على ثلاث، وفي الصحيحين عن ابن عمر أنه أتى على رجل قد أناخ بدنة وهو ينحرها فقال ابعتها قياماً مقيدة سنة أبي القاسم ﷺ وعن جابر أن رسول الله ﷺ وأصحابه كانوا ينحرون البدن معقولة اليسرى قائمة على ما بقي من قوائمها رواه أبو داود وقال ابن لميعة حدثني عطاء بن دينار أن سالم بن عبد الله قال لسلیمان ابن عبد الملك قف من شقها الايمن وانحر من شقها الايسر ، وفي صحيح مسلم عن جابر في صفة حجة الوداع قال فيه فنحر رسول الله ﷺ بيده ثلاثاً وستين بدنة جعل يطعنها بحربة في يده

وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال في حرف ابن مسعود (صوافن) أي معقولة قياماً . وقال سفيان الثوري عن منصور عن مجاهد من قرأها صوافن قال معقولة ومن قرأها صواف قال تصف بين يديها وقال طاوس والحسن وغيرهما (فادكروا اسم الله عليها صوافي) يعني خالصة لله عز وجل وكذا رواه مالك عن الزهري ، وقال عبد الرحمن بن زيد صوافي ليس فيها شرك كشرك الجاهلية لاصنامهم وقوله (فاذا وجبت جنوبها) قال ابن أبي نجيح عن مجاهد يعني سقطت الى الارض وهو رواية عن ابن عباس وكذا قال مقاتل بن حيان ، وقال العوفي عن ابن عباس فاذا وجبت جنوبها يعني نحر ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فاذا وجبت جنوبها يعني مانت وهذا القول هو

صوافن وهي أن تعقل منها يد وتنحر على ثلاث وهو مثل صواف ، وقرأ أبي والحسن ومجاهد صوافي بالياء أي صافية خالصة لله لا شريك له فيها (فاذا وجبت جنوبها) يعني سقطت بعد النحر فوقعت جنوبها على الارض وأصل الوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس اذا سقطت للغيب (فكلوا منها) أمر اباحة (وأطعموا القانم والمتر) اختلفوا في معناها فقال عكرمة وابراهيم وقاتم القانم الجالس

مراد ابن عباس ومجاهد فانه لا يجوز الاكل من البدنة اذا نحرحت حتى تموت وتبرد حركتها ، وقد جاء في حديث صر فوع «لا تعجلوا النفوس أن ترهق» وقد رواه الثوري في جامعه عن أيوب عن يحيى ابن أبي كثير عن قرافصة الحنفي عن عمر بن الخطاب أنه قال ذلك ويؤيده حديث شداد بن أوس في صحيح مسلم «ان الله كتب الاحسان على كل شيء إذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة وليجد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته» وعن أبي واقد الليثي قال : قال رسول الله ﷺ «ما قطع من البيعة وهي حية فهو ميتة» رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه ، وقوله (فكلوا منها واطعموا القانم والمعتز) قال بعض السلف قوله (فكلوا منها) أمر إباحة ، وقال مالك يستحب ذلك وقال غيره يجب وهو وجه لبعض الشافعية ، واختلفوا في المراد بالقانم والمعتز فقال العوفي عن ابن عباس القانم المستغنى بما أعطيته وهو في بيته والمعتز الذي يتعرض لك ويلم بك أن تعطيه من اللحم ولا يسأل وكذا قال مجاهد ومحمد بن كعب القرظي ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس القانم المتعفف والمعتز السائل وهذا قول قتادة وإبراهيم النخعي ومجاهد في رواية عنه ، وقال ابن عباس وعكرمة وزيد بن أسلم والكلبي والحسن البصري ومقاتل بن حيان ومالك بن أنس القانم هو الذي يقنع اليك ويسألك والمعتز الذي يعتريك بتضرع ولا يسألك وهذا لفظ الحسن وقال سعيد بن جبير القانم هو السائل قال أما سمعت قول الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أغف من القنوع

قال يبغي من السؤال وبه قال ابن زيد وقال زيد بن أسلم القانم المسكين الذي يطوف والمعتز الصديق والضعيف الذي يزور وهو رواية عن ابنه عبد الرحمن بن زيد أيضا ، وعن مجاهد أيضا القانم جارك الغني الذي يبصر ما يدخل بيتك والمعتز الذي يعتزل من الناس ، وعنه أن القانم هو الطامع والمعتز هو الذي يعتز بالبدن من غنى أو فقر وعن عكرمة نحوه وعنه القانم أهل مكة ، واختار ابن جرير أن القانم هو السائل لانه من أقنع بيده إذا رفعها للسؤال والمعتز من الاعتراء وهو الذي يتعرض لاكل اللحم ، وقد احتج بهذه الآية الكريمة من ذهب من العلماء الى أن الاضحية تجزأ ثلاثة أجزاء ثلث لصاحبها يأكله وثلث يهديه لاصحابه وثلث يتصدق به على الفقراء لانه تعالى قال (فكلوا منها واطعموا القانم والمعتز) وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال للناس « إني كنت نهيتكم عن ادخار لحوم الاضاحي فوق ثلاث فكلوا وادخروا ما بدا لكم » وفي رواية « فكلوا وادخروا وتصدقوا » وفي رواية « فكلوا واطعموا وتصدقوا »

في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتز الذي يسأل ، وروى العوفي عن ابن عباس القانم الذي لا يتعرض ولا يسأل والمعتز الذي يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل فعلى هذين التأويلين يكون القانم من القناعة يقال قنم قناعة اذا رضي بما قسم له

والقول الثاني : أن المضحى يأكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله في الآية المتقدمة (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) وقوله في الحديث « فكلوا وادخروا ونصدقوا » فإن أكل الكل قليل لا يضمن شيئاً وبه قال ابن سريج من الشافعية وقال بعضهم يضمنها كلها بمثلها أو قيمتها وقيل يضمن نصفها وقيل ثلثها وقيل أدنى جزء منها وهو المشهور من مذهب الشافعي ، وأما الجلود ففي مسند أحمد بن قنادة بن النعمان في حديث الاضاحي « فكلوا ونصدقوا واستمتعوا بجلودها ولا تبيعوها » ومن العلماء من رخص في بيعها ومنهم من قال يقاسم الفقراء فيها والله أعلم

(مسئلة) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ « أن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فنمل فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل الصلاة فإنما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شيء » أخرجاه فهذا قال الشافعي وجماعة من العلماء إن أول وقت ذبح الاضاحي اذا طلعت الشمس يوم النحر ومضى قدر صلاة العيد والخطبتين زاد أحمد وأن يذبح الامام بعد ذلك لما جاء في صحيح مسلم وإن لا تذبحوا حتى يذبح الامام ، وقال أبو حنيفة أما أهل السواد من القرى ونحوها فلم يذبحوا بعد طلوع الفجر إذ لا صلاة عيد تشرع عنده لهم ، وأما أهل الامصار فلا يذبحوا حتى يصلي الامام والله أعلم ، ثم قيل لا يشرع الذبح الا يوم النحر وحده وقيل يوم النحر لاهل الامصار ليس الاضاحي عندهم وأما أهل القرى فيوم النحر وأيام التشريق بعده وبه قال سعيد بن جبير وقيل يوم النحر ويوم بعده للجميع وقيل ويومان بعده وبه قال الامام أحمد ، وقيل يوم النحر وثلاثة أيام التشريق بعده وبه قال الشافعي لحديث جابر بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال « أيام التشريق كلها ذبح » رواه أحمد وابن حبان وقيل إن وقت الذبح يمتد إلى آخر ذي الحجة ، وبه قال ابراهيم النخعي وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وهو قول غريب وقوله (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون) يقول تعالى من أجل هذا (سخرناها لكم) أي ذللناها لكم وجعلناها منقاداً لكم خاضعة ان شئتم ركبتم وان شئتم حلبتم وان شئتم ذبحتم كما قال تعالى (أو لم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون - الى قوله - أفلا يشكرون) وقال في هذه الآية الكريمة (كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون)

وقال سعيد بن جبير والحسن والكلبي القانع الذي يسأل والمعتز الذي يتعرض ولا يسأل فيكون القانع من قنع يقنع قنوعاً اذا سأل ، وقرأ الحسن والمعتز وهو مثل المعتز يقال عره واعتراه وعراه واعتراه اذا أتى يطلب معروفه اما سؤالاً واما تعرضاً ، وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتز الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجي الى القوم فيتعرض لهم لاجل لحهم (كذلك) يعني مثل ما وصفنا من نحرها قباناً (سخرناها لكم) نعمة منا لتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكي

لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا

الله على ما هداكم وبشر المحسنين (٣٧)

يقول تعالى انما شرع لكم نحر هذه الهدايا والاضحايا لتذكروه عند ذبحها فانه الخالق الرازق لا يناله شيء من لحومها ولا دماؤها فانه تعالى هو الغني عما سواه وقد كانوا في جاهليتهم اذا ذبحوها لا ملتهم وضعوا عليها من لحوم قرايئهم ونضحوا عليها من دماؤها فقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا محمد بن أبي حماد حدثنا ابراهيم بن المختار عن ابن جريج قال كان أهل الجاهلية ينضحون البيت بلحوم الابل ودماؤها فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح فانزل الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أي يتقبل ذلك ويجزي عليه كما جاء في الصحيح ان الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أوانيكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم وجاء في الحديث «ان الصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد السائل وان الدم ليقع من الله بما كان قبل أن يقع إلى الارض» كما تقدم في الحديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه عن عائشة مرفوعا فعنه أنه سيق لتحقيق القبول من الله لمن أخلص في عمله وليس له معنى يتبادر عند العلماء المحققين سوى هذا والله أعلم ، وقال وكيم عن يحيى بن مسلم بن الضحاك سألت عامرا الشعبي عن جلود الاضاحي فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) ان شئت فبع وان شئت فامسك وان شئت فتصدق وقوله (كذلك سخرها لكم) أي من أجل ذلك سخر لكم البدن (لتكبروا الله على ما هداكم) أي لتعظموه كما هداكم لدينه وشرعه وما يحبه ويرضاه وسهاكم عن فعل ما يكرهه ويأباه وقوله (وبشر المحسنين) أي وبشر يا محمد المحسنين أي في عملهم القائمين بحدود الله المتبعين ما شرع لهم المصدقين الرسول فيما أبلغهم وجاءهم به من عند ربه عز وجل

(مسئلة) وقد ذهب أبو حنيفة ومالك والثوري إلى القول بوجوب الاضحية على من ملك نصابا وزاد أبو حنيفة اشتراط الاقامة أيضا واحتج لهم بما رواه أحمد وابن ماجه باسناد رجاله كلهم ثقات عن أبي هريرة مرفوعا «من وجد سعة فلم يضح فلا يقرب مصلانا» على أن فيه غرابة واستنكره أحمد ابن حنبل ، وقال ابن عمر : أقام رسول الله ﷺ عشر سنين بضحى . رواه الترمذي وقال الشافعي وأحمد لانجب الاضحية بل هي مستحبة لما جاء في الحديث «ليس في المال حق سوى الزكاة» وقد

تشكروا انما هي عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدماؤها قربة الى الله فانزل الله هذه الآية (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) قرأ يعقوب تنال وتناله ياتنا فيهما وقرأ العامة يابا قال مقاتل لن يرفع الى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يرفع اليه منكم الاعمال الصالحة والتقوى والاخلاص ما يريد به وجه الله

تقدم أنه عليه الصلاة والسلام ضحى عن أمته فأسقط ذلك وجوبها عنهم ، وقال أبو سريحة كنت جارا
لأبي بكر وعمر فكانا لا بضحيان خشية أن يقتدي الناس بهما ، وقال بعض الناس الاضحية بمسنة
كفاية اذا قام بها واحد من أهل دار أو محلة أو بيت سقطت عن الباقيين لان المقصود اظهار الشعار .
وقد روى الامام أحمد وأهل السنن وحسنه الترمذي عن مخنف بن سليم أنه سمع رسول الله
ﷺ يقول بعرفات « على كل أهل بيت في كل عام اضحاة وعتيرة هل تدرؤن ما العتيرة ؟ هي التي
تدعونها الرجبية » وقد تكلم في إسناده ، وقال أبو أيوب . كان الرجل في عهد رسول الله ﷺ
يضحي بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته فيأكلون ويطعمون حتى تباهى الناس فصار كما ترى . رواه
الترمذي وصححه وابن ماجه ، وكان عبد الله بن هشام يضحي بالشاة الواحدة عن جميع أهله . رواه
البخاري ، وأما مقدار سن الاضحية فقد روى مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « لا تذبحوا
إلا مسنة إلا ان تعسر عليكم فتذبحوا جذعة من الضأن » ومن ههنا ذهب الزهري إلا أن الجذع
لا يجزي . وقابله الاوزاعي فذهب إلى أن الجذع يجزي . من كل جنس وهما غريبان ، والذي عليه الجمهور
أنما يجزي . الشئ من الابل والبقر والمعز أو الجذع من الضأن ، فأما الشئ من الابل فهو الذي له خمس
سنين ودخل في السادسة ، ومن البقر ماله سنتان ودخل في الثالثة ، وقيل ماله ثلاث ودخل في الرابعة
ومن المعز ماله سنتان ، وأما الجذع من الضأن فقبل ماله سنة وقيل عشرة اشهر ، وقيل ثمانية ، وقيل
سنة أشهر وهو أقل ما قبل في سنة وما دونه فهو حل والفرق بينهما أن الحمل شعر ظهره قائم ، والجذع
شعر ظهره نائم قد انفرك صدعين والله أعلم

ان الله يدافع عن الذين آمنوا ، ان الله لا يحب كل خوان كفور (٣٨)

يخبر تعالى أنه يدفع عن عباده الذين توكأوا عليه وأنابوا اليه شر الاشرار وكيد الفجار وبخفظم
ويكاؤهم وينصرهم كما قال تعالى (أليس الله بكاف عبده) وقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن
الله بالغ أمره ، قد جعل الله لكل شيء قدرا) وقوله (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي لا يحب
من عباده من اتصف بهذا وهو الخيانة في العهود والمواثيق لا يفي بما قال ، والكفر الجحد للنعم
فلا يعترف بها

(كذلك سخرها لكم) يعني البدن (لتكبروا الله على ما هداكم) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حبه وهو أن
يقول الله اكبر على ما هداكنا ، والحمد لله على ما أبلانا وأولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين
قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأهل البصرة يدفع وقرأ الآخرون
يدافع بالالف يريد يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين (إن الله لا يحب كل خوان
كفور) يعني خوان في أمانة الله كفور لنعمته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا

أذن للذين يُقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير (٣٩) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوي عزيز (٤٠)

قال العوفي عن ابن عباس نزلت في محمد وأصحابه حين أخرجوا من مكة، وقال مجاهد والضحاك وغير واحد من السلف كابن عباس ومجاهد وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان وقتادة وغيرهم هذه أول آية نزلت في الجهاد واستدل بهذه الآية بعضهم على أن السورة مدنية، وقال ابن جرير حدثني يحيى بن داود الواسطي حدثنا اسحاق بن يوسف عن سفيان عن الاعمش عن مسلم هو البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم إنا لله وإنا إليه راجعون ليهلكن، قال ابن عباس فأُنزل الله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير) قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه فعرفت أنه سيكون قتال. ورواه الامام أحمد عن اسحاق بن يوسف الأزرق به، وزاد قال ابن عباس وهي أول آية نزلت في القتال، ورواه الترمذي والنسائي في التفسير من سننهما وابن أبي حاتم من حديث اسحاق بن يوسف زاد الترمذي ووكيم كلاهما عن سفيان الثوري به وقال الترمذي حديث حسن وقد رواه غير واحد عن الثوري وليس فيه ابن عباس

وقوله (وإن الله على نصرهم لقدير) أي هو قادر على نصر عباده المؤمنين من غير قتال ولكن هو يريد من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته كما قال (فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشذوا الوثاق فاما من بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض، والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيديهم ويصلح بهم

نعمه قال الزجاج من تقرب إلى الأصنام بذيبحته وذكر عليها اسم غير الله فهو خوان كفور (أذن) قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الالف والباقون يفتحها أي أذن الله (الذين يقاتلون) قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التاء. يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون وقرأ الآخرون بكسر التاء. يعني الذين أذن لهم بالجهاد يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج وبشكون ذلك إلى رسول الله ﷺ فيقول لهم اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال حتى هاجر رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل هذه الآية وهي أول آية نزلت فيها بالقتال فنزلت هذه الآية بالمدينة وقال مقاتل نزلت

ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزمو وينصركم عليهم وبشف صدور قوم مؤمنين ، ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم) وقال (أم حسبكم أن تتركوا وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون) وقال (أم حسبكم أن تدخلوا الجنة وما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) وقال (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم) والآيات في هذا كثيرة ، ولهذا قال ابن عباس في قوله (وإن الله على نصرهم لقدير) وقد فعل ، وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الالئق به لأنهم لما كانوا بمكة كان المشركون أكثر عدداً فلو أصر المسلمون وهم أقل من العشر بقتال الباقيين لشق عليهم ، ولهذا لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ وكانوا نيفاً ومائتين قالوا يارسول الله ألا نبيل على أهل الوادي يهتدون أهل منى ليألي مني فنقتلهم ؟ فقال رسول الله ﷺ « إني لم أومر بهذا » فلما بقي المشركون وأخرجوا النبي ﷺ من بين أظهرهم وهموا بقتله وشردوا أصحابه شذراً فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة ، فلما استقروا بالمدينة ووافاهم رسول الله ﷺ واجتمعوا عليه وقاموا بنصره وصارت لهم دار اسلام ومعتقلاً يلجئون إليه شرع الله جهاد الأعداء فكانت هذه الآية أول منازل في ذلك فقال تعالى (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) قال العوفي عن ابن عباس أخرجوا من مكة إلى المدينة بغير حق يعني محمداً وأصحابه (إلا أن يقولوا ربنا الله) أي ما كان لهم إلى قومهم إساءة ولا كان لهم ذنب إلا أنهم وحدوا الله وعبدوه لاشريك له وهذا استثناء منقطع بالنسبة إلى ما في نفس الامر ، وأما عند المشركين فإنه أكبر الذنوب كما قال تعالى (يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم) وقال تعالى في قصة أصحاب الأخيود (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) ولهذا لما كان المسلمون يرتجزون في بناء الخندق ويقولون

لاهم لولا أنت ما اعتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينه علينا وثبت الاقدام إن لاقينا

إن الالى قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أينا

هذه الآية في قوم باعياهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فكانوا يمنعون فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة (بأنهم ظلموا) يعني بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء (وإن الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق) بدل من الذين الأولى (إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بالجهاد وإقامة الحدود (لهدمت) قرأ أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على

فيوافقهم رسول الله ﷺ ويقول معهم آخر كل قافية فاذا قالوا اذا ارادوا فتنه أيدينا يقول أيدينا
يمد بها . وانه ثم قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي لولا أنه يدفع بقوم عن قوم
ويكف شرور أناس عن غيرهم بما خلقه ويقدره من الأسباب لفست الأرض ولاهلك القوي
الضعيف (لهدمت صوامع) وهي المعابد الصغار للربان قاله ابن عباس ومجاهد وأبو العالية وعكرمة
والضحاك وغيرهم وقال قتادة هي معابد الصابئين وفي رواية عنه صوامع المجوس وقال مقاتل بن حيان
هي البيوت التي على الطرق (ويعم) وهي أوسع منها وأكثر عابدين فيها وهي للنصارى أيضاً قاله أبو
العالية وقاتدة والضحاك وابن صخر ومقاتل بن حيان وخصيف وغيرهم ، وحكى ابن جبير عن مجاهد
وغيره أنها كنائس اليهود ، وحكى السدي عن حدثه عن ابن عباس أنها كنائس اليهود ومجاهد أنها
قال هي الكنائس والله أعلم ، وقوله (وصلوات) قال العوفي عن ابن عباس الصلوات الكنائس وكذا قال
عكرمة والضحاك وقاتدة أنها كنائس اليهود وهم يسمونها صلوات ، وحكى السدي عن حدثه عن ابن
عباس أنها كنائس النصارى وقال أبو العالية وغيره الصلوات معابد الصابئين وقال ابن أبي نجيح عن
مجاهد الصلوات مساجد لاهل الكتاب ولاهل الاسلام بالطرق وأما المساجد فهي للمسلمين ، وقوله
(يذكر فيها اسم الله كثيراً) فقد قيل الضمير في قوله يذكر فيها عائد إلى المساجد لأنها أقرب المذكورات
وقال الضحاك الجهم يذكر فيها اسم الله كثيراً ، وقال ابن جرير الصواب لهدمت صوامع الرهبان ويعم
النصارى وصلوات اليهود وهي كنائسهم ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيراً لان هذا هو
المستعمل المعروف في كلام العرب . وقال بعض العلماء هذا ترق من الاقل الى الاكثر الى أن انتهى
الى المساجد وهي أكثر عماراً وأكثر عبادة وهم ذوو القصد الصحيح ، وقوله (ولينصرن الله من ينصره)
كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم
وأضل أعمالهم) وقوله (ان الله لقوي عزيز) وصف نفسه بالقوة والعزة فبقوته خلق كل شيء . فقدرة
تقديره وبعزته لا يقهره قاهر ولا يعليه غالب بل كل شيء ذليل لديه فقير اليه ومن كان القوي العزيز
ناصره فهو المنصور وعدوه هو المقهور قال الله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم
المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله لقوي عزيز

التكثير فالتخفيف يكون للتقليل والتكثير والتشديد يختص بالتكثير (صوامع) قال مجاهد والضحاك
يعني صوامع الرهبان وقال قتادة صوامع الصابئين (ويعم) يعني بيع النصارى جمع بيعة وهي كنيسة
النصارى (وصلوات) يعني كنائس اليهود ويسمونهم بالعبودية صلوات (ومساجد) يذكر فيها اسم الله
كثيراً (يعني مساجد المسلمين من امة محمد ﷺ ومعنى الآية (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض)
لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم لهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع وصوامع
وفي زمن محمد ﷺ المساجد ، وقال ابن زيد أراد بالصلوات صلوات أهل الاسلام فانها لا تنقطع اذا

الذين ان مكنتهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الامور (٤١)

قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع الزهراني حدثنا حماد بن زيد عن أبيوب وهشام عن محمد قال قال عثمان بن عفان فينا نزلت (الذين ان مكنتهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) فآخرونا من ديارنا بغير حق الا ان قلنا ربنا الله ثم مكنا في الارض فأقمنا الصلاة وآتيناهم الزكاة وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر والله عاقبة الامور فهي لي ولا صاحبني وقال أبو العالية هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال الصباح بن سودة الكندي سمعت عمر ابن عبدالعزيز يخطب وهو يقول (الذين ان مكنتهم في الارض) الآية ثم قال ألا انها ليست على الوالي وحده ولكنها على الوالي والمولى عليه، ألا أنبئكم بما لكم على الوالي من ذلكم وبما للمولى عليكم منه ان لكم على الوالي من ذلكم أن يأخذكم بحقوق الله عليكم وان يأخذ ببعضكم من بعض وان يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع وان عليكم من ذلك الطاعة غير المبزوزة ولا المستكراه بها ولا المخالف سرها علانياتها وقال عطية العوفي هذه الآية كقوله (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) وقوله (والله عاقبة الامور) كقوله تعالى والعاقبة للمتقين وقال زيد بن أسلم والله عاقبة الامور وعند الله ثواب ما صنعوا

وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم ابراهيم وقوم

لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير

(٤٤) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر

مشيد (٤٥) أفلم يسيرا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها

فانها لا تسمى إلا بصراً ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (٤٦)

دخل العدو عليهم (ولينصرن الله من ينصره) يعني ينصر دينه ونبيه (إن الله لقوي عزيز) الذين ان مكنتهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر قال الزجاج هذا من صفة ناصريه ومعنى مكنتهم نصرناهم على عدوهم حتى يتمكنوا في البلاد قالهم أصحاب محمد ﷺ قال الحسن هذه الامة (والله عاقبة الامور) يعني آخر امور الخلق ومصيرهم اليه يعني يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا منازع ولا مدع

قوله تعالى (وان يكذبوك) يعزى نبيه ﷺ (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم

يقول تعالى مـ ليليا لنبية محمد ﷺ في تكذيب من خالفه من قومه (وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح - الى ان قال - وكذب موسى) أي مع ما جاء به من الآيات البينات والدلائل الواضحات فأملت للكافرين أي أذرهم وأخرتهم (ثم أخذتهم فكيف كان نكير) أي فكيف كان انكاري عليهم ومعاقبي لهم. وذكر بعض السلف انه كان بين قول فرعون لقومه أنا ربكم الاعلى وبين اهلاك الله له أربعين سنة وفي الصحيحين عن أبي موسى عن النبي ﷺ انه قال «ان الله لمبلي للظالم حتى اذا أخذه لم يقبلته» ثم (قرأ وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه ألم شديد) ثم قال تعالى (فكأن من قرية أهلكناها) أي كم من قرية أهلكتها (وهي ظالمة) أي مكذبة لرسالتها (فهي خاوية على عروشها) قال الضحاك سقوفها أي قد خربت منازلها وتعطلت حواضرها (وبئر معطلة) أي لا يستقى منها ولا يردها أحد بعد كثرة وادديها والازدحام عليها (وقصر مشيد) قال عكرمة يعني المبيض بالجهنم وروي عن علي بن أبي طالب ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وأبي المليح والضحاك نحو ذلك، وقال آخرون هو المنيف المرتفع وقال آخرون المشيد المنيع الحصين وكل هذه الاقوال متقاربة ولا منافاة بينها فانه لم يحجم أهله شدة بنائه ولا ارتفاعه ولا احكامه ولا حصانته عن حلول بأس الله بهم كما قال تعالى (أينا تكونوا بذكركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) وقوله (أفلم يسيرا في الارض) أي بأبدانهم وبفكرهم أيضا وذلك كاف كما قال ابن أبي الدنيا في كتاب التفكر والاعتبار حدثنا هرون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال أوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه السلام ان: يا موسى اتخذ نعلين من حديد وعصا ثم سح في الارض ثم اطلب الآثار والعبر حتى

ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فأملت للكافرين (يعني اهلكتهم وأخبرت عقوبتهم ثم أخذتهم) عاقبتهم (فكيف كان نكير) يعني انكاري أي كيف انكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخاف النبي ﷺ ويكذبه (فكأن) فكم (من قرية أهلكتها) بالتاء هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب وقرأ الآخرون أهلكناها بالنون والالف على التعظيم (وهي ظالمة) يعني وأهلها ظالمون (فهي خاوية) ساقطة (على عروشها) على سقوفها (وبئر معطلة) يعني وكمن بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل من قوهم شاد بناءه اذا رفعه وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء معجص من الشيد وهو الجص وقيل ان البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين. وروي أبو روق عن الضحاك أن هذه البئر كانت بحضر موت في بلدة يقال لها حاصورا. وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح نجوا من العذاب أتوا حضر موت ومعهم صالح فلما حضره مات صالح فسمي حضر موت لأن صالحا لما حضره مات فبنوا حاصورا. وقعدوا على هذه البئر وأمرؤا عليهم رجلا فاقاموا دهرآ

يتخرق النعلان وتنكسر العصا. وقال ابن أبي الدنيا قال بعض الحكماء: إحي قلبك بالمواعظ ونوره بالتفكير وموته بالزهد وقوه باليقين وذله بالموت وقدره بالفناء وبصره فجائع الدنيا وحذره صولة الدهر ونخش تقلب الايام وأعرض عليه أخبار الماضين وذكره ما أصاب من كان قبله وسيره في ديارهم وآثارهم وانظر ما فعلوا وأين حلوا وعم اقلبوا. أي فانظروا ما حل بالامم المكذبة من النقم والنيكال (فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) أي فيعتبرون بها (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) أي ليس العمى عمى البصر وإنما العمى عمى البصيرة وان كانت القوة الباصرة سليمة فانها لا تنفذ الى العبر ولا تدري ما الخير وما أحسن ما قاله بعض الشعراء في هذا المعنى وهو أبو محمد عبد الله بن محمد بن حبان الاندلسي الشنتريني وقد كانت وفاته سنة سبع عشرة وخمسمائة

يا من يصيخ الى داعي الشقاء وقد نادى به الناعيان الشيب الكبر
إن كنت لا تسمع الذكري فقيم نرى في رأسك الواعيان السمع والبصر
ليس الاسم ولا الاعى سوى رجل لم يهده الهاديان العين والاثر
لا الدهر يقي ولا الدنيا ولا الفلك الاعلى ولا النيران الشمس والقمر
ليرحلن عن الدنيا وان كرها فراقها الثاويان البدو والحضر

ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وان يوما عند ربك كألف سنة مما

تعدون (٤٧) وكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة ثم أخذناها وإليّ المصير (٤٨)

يقول تعالى لنبيه صلوات الله وسلامه عليه (ويستعجلونك بالعذاب) أي هؤلاء الكفار الملاحدون المكذبون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر كما قال تعالى (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم - وقالوا ربنا عجّل لنا عقابنا قبل يوم الحساب)

وتناسلوا حتى كثروا ثم إنهم عبدوا الاصنام وكفروا فارسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم ﴿ أفلم يسيرا في الارض ﴾ يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية ﴿ فتكون لهم قلوب يعقلون بها ﴾ يعني يعلمون بها ﴿ أو آذان يسمعون بها ﴾ يعني ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون بها ﴿ فانها ﴾ الهاء عماد ﴿ لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ ذكر التي في الصدور تأكيذا كقوله (يطير بجناحيه) مضاء أن العمى الضار هو عمى القلب ، فأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين ، قال قتادة : البصر الظاهر بلغة وملكة وبصر القلب هو البصر النافع ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ﴾ نزلت في النضر بن الحارث حيث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء ﴿ ولن يخلف الله وعده ﴾ فانجز ذلك يوم بدر ﴿ وان يوما عند ربك

وقوله (وان يخلف الله وعده) أي الذي قد وعد من إقامة الساعة والانتقام من أعدائه، والاكرام لا وإيائه، قال الاصمعي كنت عند أبي عمرو بن العلاء فجاءه عمرو بن عبيد فقال يا أبا عمرو هل يخلف الله الميعاد؟ فقال لا، فذكر آية وعيد فقال له أمن المعجم أنت؟ إن العرب تعد الرجوع عن الوعد لوما وعن الایعاد كرها أما سمعت قول الشاعر

ليهرب ابن العم والجار سطوني ولا أنثني عن سطوة المهدي
فاني وان أوعدته أو وعدته لمخلف إبعادي ومنجز مواعيدي

وقوله (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) أي هو تعالى لا يعجل فان مقدار ألف سنة عند خلقه كيوم واحد عنده بالنسبة الى حكمه لعلمه بأنه على الانتقام قادر وانه لا يفوته شيء. وان أجل وأنظر وأمل ولهذا قال بعد هذا (وكأين من قرية أهلكنا وهي ظالمة ثم أخذناها والي المصير) قال ابن أبي حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثني عبدة بن سليمان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم خمسمائة عام» ورواه الترمذي والنسائي من حديث الثوري عن محمد بن عمرو به وقال الترمذي حسن صحيح، وقد رواه ابن جرير عن أبي هريرة موقوفا فقال: حدثني يعقوب ثنا ابن علي ثنا سعيد الجري عن أبي نضرة عن سمير بن نهار قال: قال أبو هريرة: يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بمقدار نصف يوم، قلت وما مقدار نصف يوم؟ قال أو ما تقرأ القرآن، قالت بلى! قال (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون)

وقال أبو داود في آخر كتاب الملاحم من سننه حدثنا عمر بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال «اني لارجو أن لا نعجز أمي عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم» قيل لسعد وما نصف يوم؟ قال خمسمائة سنة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن ممالك

كألف سنة مما تعدون» قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالياء ههنا لقوله (يستعجلونك) وقرأ الباقون بالتاء لأنه أهم لانه خطاب للمستعجلين والمؤمنين وانفقوا في تنزيل السجدة أنه بالتاء قال ابن عباس يعني يوما من الايام السنة التي خلق الله فيها السموات والارض وقال مجاهد وعكرمة يوما من أيام الآخرة والدليل عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ «ابشروا يامعاشر صماليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار خمسمائة سنة» قال ابن زيد (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) هذه أيام الآخرة، وقوله (مقداره خمسين ألف سنة) يوم القيامة والمعنى على هذا أنهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة وقيل معناه وان يوما من أيام العذاب الذي استعجلوه

عن عكرمة عن ابن عباس (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) قال من الايام التي خلق الله فيها السموات والارض . ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن ابن مهدي ، وبه قال مجاهد وعكرمة ونص عليه أحمد بن حنبل في كتاب الجهمية ، وقال مجاهد هذه الآية كقوله (يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون)

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عارم بن محمد بن الفضل حدثنا حماد بن زيد عن يحيى بن عتيق عن محمد بن سيرين عن رجل من أهل الكتاب أسلم قال ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) وجعل أجل الدنيا ستة أيام وجعل الساعة في اليوم السابع (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) فقد مضت الستة الايام وأنتم في اليوم السابع فمثل ذلك كمثل الحامل اذا دخلت شهرها في أية ولدت كان تمامها

قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين (٤٩) فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم

مغفرة ورزق كريم (٥٠) والذين سمعوا في آياتنا مغلجزين أولئك أصحاب الجحيم (٥١) يقول تعالى لنبيه ﷺ حين طلب منه الكفار وقوع العذاب واستعجلوه به (قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين) أى انما أرسلني الله اليكم نذيراً لكم بين يدي عذاب شديد وليس الي من حسابكم من شيء أمركم الى الله ان شاء عجل لكم العذاب وإن شاء أخره عنكم ، وإن شاء تاب على من يتوب اليه ، وإن شاء أضل من كتب عليه الشقاوة وهو الفعال لما يشاء ويريد ويختار لا معقب لحكمه وهو مريع الحساب) (وانما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى آمنت قلوبهم وصدقوا بإيمانهم بأعمالهم (لهم مغفرة ورزق كريم) أى مغفرة لما سلف من سيئاتهم ومجازاة حسنة على القليل من حسناتهم ، قال محمد بن كعب القرظي اذا سمعت الله تعالى يقول (ورزق كريم) فهو الجنة

وقوله (والذين سمعوا في آياتنا معاجزين) قال مجاهد يثبطون الناس عن متابعة النبي ﷺ وكذا قال عبد الله بن الزبير مثبطين ، وقال ابن عباس معاجزين مراغمين (أولئك أصحاب الجحيم)

في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون فكيف تستعجلونه؟ هذا كما يقال أيام الهموم طوال وأيام السرور قصار وقيل معناه ان يوما عنده وألف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون به من العذاب وتأخره وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء (وكأين من قرية امليت لها) يعني امليتها (وهي ظالمة ثم أخذتها) وإلى المصير * قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبداً وقيل هو الجنة) والذين سمعوا في آياتنا (يعني عملوا في

٦٠٠ إلقاء الشيطان في أمانة الرسول فتنة للذين في قلوبهم مرض (تفسير ابن كثير والبقوي)

وهي النار الحارة الموجعة الشديد عذابها ونكاتها أجارنا الله منها ، قال الله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون)

وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله

ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آيسته ، والله عليم حكيم (٥٢) ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين

في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد (٥٣) وليعلم الذين أوتوا

العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى

صراط مستقيم (٥٤)

قد ذكر كثير من المفسرين ههنا قصة الفرائق وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا ولكنها من طروق كلها مرسله ولم أرها مسنده من وجه صحيح والله أعلم

قال ابن أبي حاتم حدثنا بونس بن حبيب حدثنا أبو داود حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير قال : قرأ رسول الله ﷺ بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع (أفريتم النلات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) قال فألقى الشيطان على لسانه : تلك الفرائق العلى وإن شفاعتهن ترنجي ، قالوا ماذا أكلتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) ورواه ابن جرير عن بشار عن غندر عن شعبة به بنحوه وهو مرسل

ابطال آياتنا (معاجزين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد ههنا وفي سورة سبأ يعني مشطين الناس عن الايمان وقرأ الاخرون معاجزين بالالف يعني معاندين مشاقين وقال قتادة ممناه ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ومعنى يعجزوننا أي يفوتونا فلا قدر عليهم وهذا كقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) (أولئك أصحاب الجحيم) وقيل معاجزين مغالين يريد كل واحد أن يظهر عجز صاحبه

قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) الآية قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله ﷺ تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله من يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى سورة والنجم فقرأها

وقد رواه البزار في مسنده عن يوسف بن حماد عن أمية بن خالد عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب الشك في الحديث أن النبي ﷺ قرأ بمكة سورة النجم حتى انتهى إلى (أفرأيتم اللات والعزى) وذكر بقيته ، ثم قال البزار لا نعلمه يروى متصلا إلا بهذا الاسناد تفرد بوصله أمية بن خالد وهو ثقة مشهور ، وإنما يروى هذا من طريق الكلابي عن أبي صالح عن ابن عباس ، ثم رواه ابن أبي حاتم عن أبي العالقة وعن السدي مرسل ، وكذا رواه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس مرسل أيضا ، وقال قتادة كان النبي ﷺ يصلي عند المقام إذ نفس فألقى الشيطان على لسانه وإن شفاعتها لترجي ، وإنما لم الفرائق العلى فخطها المشركون وأجرى الشيطان أن النبي ﷺ قد قرأها فذلت بها ألسنتهم فأنزله الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية ففسر الله الشيطان

ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن أبي موسى الكوفي حدثنا محمد بن اسحاق الشيباني حدثنا محمد بن فليح عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب قال : أنزلت سورة النجم وكان المشركون يقولون لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير أقرنناه وأصحابه ، ولكنه لا يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذي يذكر آلهتنا من الشتم والشر وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ماناه وأصحابه من أذام وتكذيبهم وأحزنه ضلالهم فكان يتمنى هدام فلما أنزل الله سورة النجم قال (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى * ألكم الذكر وله الأنثى) ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت

رسول الله ﷺ حتى بلغ قوله (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتمناه تلك الفرائق العلى وإن شفاعتهن لترجي فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله ﷺ في قراءته يقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فانهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعها إلى جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سمعوا من ذلك آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر ، وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فإن جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت ؟ لقد تلو على الناس ما لم آتاك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله ﷺ حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فأنزله الله هذه الآية يعزبه وكان به رحما وسمع بذلك من كان بارض الحبشة من أصحاب النبي ﷺ وبلغهم سجد قريش وقيل أسلمت قريش وأهل مكة فرجم أكثرهم إلى عشايرهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يحدثونه من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه

فقال وإنهن لمن الغرانيق العلى ، وإن شفاعتهن لمي التي ترجي ، وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كل مشرك بمكة وذلت بها أسننتهم وتباشروا بها وقالوا ان محمداً قد رجع إلى دينه الاول ودين قومه ، فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك غير أن الوليد بن المغيرة كان رجلاً كبيراً فرفع مله كفه تراباً فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله ﷺ فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان في مسامع المشركين فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان في أمنية رسول الله ﷺ وحدثهم به الشيطان أن رسول الله ﷺ قد قرأها في السورة فسجدوا لتعظيم آلهتهم ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت أرض الحبشة ومن بها من المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا مع رسول الله ﷺ وبلغهم سجود الوليد بن المغيرة على التراب على كفه وحدثوا أن المسلمين قد آمنوا بمكة فأقبلوا مراعاة وقد نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته وحفظه من الفرية ، وقال الله (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد) فلما بين الله قضاءه وبرأه مع سجع الشيطان انقلب المشركون بضاللتهم وعداوتهم المسلمين واشتدوا عليهم وهذا أيضاً مرسل

الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم قال الله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول) وهو الذي يأتيه جبريل بالوحي عياناً (ولا نبي) وهو الذي تكون نبوته إلهاماً أو مناماً وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً (إلا إذا تمنى) قال بعضهم أي أحب شيئاً واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به (ألقى الشيطان في أمنيته) يعني مراده وعن ابن عباس قال إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلاً وما من نبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا ألقى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وأكثر المفسرين قالوا معني قوله تمنى يعني تلاو قرأ كتاب الله تعالى (ألقى الشيطان في أمنيته) يعني في تلاوته قال الشاعر في عمان حين قتل

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

واختلفوا في أنه هل كان يقرأ في الصلاة أو في غير الصلاة فقال قوم كان يقرأ في الصلاة وقال قوم كان يقرأ في غير الصلاة فإن قيل كيف يجوز الغلط في التلاوة على النبي ﷺ وكان معصوماً من الغلط في أصل الدين وقال جل ذكره في القرآن (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) يعني إبليس

وفي تفسير ابن جرير عن الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام نحوه وقد رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه دلائل النبوة فلم يجزه موسى بن عقبة ساقه من مغايزه بنحوه قال وقد روينا عن أبي اسحاق هذه القصة (قلت) وقد ذكرها محمد بن اسحاق في السيرة بنحوه من هذا وكلها مرسلات ومنقطعات والله أعلم

وقد ساقها البغوي في تفسيره مجموعة من كلام ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما بنحو من ذلك ، ثم سأل ههنا سؤالاً كيف وقع مثل هذا مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله صلاة الله وسلامه عليه ، ثم حكى أجوبة عن الناس من ألقاها أن الشيطان أوقع في مسامع المشركين ذلك فتوهوا أنه صدر عن رسول الله ﷺ وليس كذلك في نفس الامر بل إنما كان من صنيع الشيطان لأن رسول الرحمن ﷺ والله أعلم

وهكذا تنوعت أجوبة المتكلمين عن هذا بتقدير صحته ، وقد تعرض القاضي عياض رحمه الله في كتاب الشفاء لهذا وأجاب بما حاصله أنها كذلك لثبوتها وقوله (إلا إذا نعى ألقى الشيطان في أمنيته) هذا فيه تسلية من الله لرسوله صلاة الله وسلامه عليه أي لا يهدئك فقد أصاب مثل هذا من قبلك من المرسلين والأنبياء ، قال البخاري قال ابن عباس (في أمنيته) إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان (ثم يحكم الله آياته) قال علي بن أبي طلحة (إذا نعى ألقى الشيطان في أمنيته) يقول إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، وقال مجاهد (إذا نعى) يعني إذا قال ويقال أمنيته قراءته [إلا أمانى] يقرءون ولا يكتبون قال البغوي وأكثر المفسرين قالوا معنى قوله (نعى) أي تلا وقرأ كتاب الله (ألقى الشيطان في أمنيته) أي في تلاوته قال الشاعر في عثمان حين قتل نعى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاقى حمام المقادر

وقال الضحاك (إذا نعى) إذا تلا قال ابن جرير هذا القول أشبه بتأويل الكلام ، وقوله (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) حقيقة النسخ لغة الإزالة والرفع ، قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أي فيبطل الله سبحانه وتعالى ما ألقى الشيطان ، وقال الضحاك نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان وأحكم الله آياته ، وقوله (والله عليم) أي بما يكون من الأمور والحوادث لا تخفى عليه خافية (حكيم) أي في

قبل قد اختلف الناس في الجواب عنه فقال بعضهم إن الرسول ﷺ لم يقرأ ولكن الشيطان ذكر ذلك بين قراءته فظان المشركون أن الرسول ﷺ قرأه ، وقال قتادة أغنى النبي ﷺ أغفاه فجرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان ولم يكن له خبر ولا كثرون قالوا جرى ذلك على لسانه بإلقاء الشيطان على سبيل السهو والنسيان ولم يلبث أن نبه الله عليه ، وقبل أن شيطاناً يقال له أبيض عمل هذا العمل وكان ذلك فتنة ومحنة من الله تعالى والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) أي يبطله ويذهب (ثم يحكم الله آياته) فيثبتها (والله عليم حكيم) ليجهل ما يلقي الشيطان فتنة أي

تقديره وخلقه وأمره له الحكمة التامة والحجة البالغة ولهذا قال (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض) أي شك وشرك وكفر ونفاق كالشركين حين فرحوا بذلك واعتقدوا أنه صحيح من عند الله وإنما كان من الشيطان

قال ابن جريج (الذين في قلوبهم مرض) هم المنافقون (والقاسية قلوبهم) هم المشركون وقال مقاتل بن حيان هم اليهود (وإن الظالمين) أي شقاق بعيد (أي في ضلال ومخالفة وعناد بعيد أي من الحق والصواب) وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به (أي وليعلم الذين أوتوا العلم النافع الذين يفرقون به بين الحق والباطل) والمؤمنون بالله ورسوله أن ما أوحينا إليك هو الحق من ربك الذي أنزله بعلمه وحفظه وحرسه أن يختلط به غيره بل هو كتاب عزيز (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقوله (فيؤمنوا به) أي يصدقوه وينقادوا له (فتخبت له قلوبهم) أي تخضع وتذل له قلوبهم (وإن الله لمهدي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أي في الدنيا والآخرة ، أما في الدنيا فيرشدكم إلى الحق واتباعه ويوقظهم لمخالفة الباطل واجتنابه وفي الآخرة يهديهم الصراط المستقيم الموصل إلى درجات الجنات ويخرجهم عن العذاب الاليم والدركات

ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيتهم الساعة بغتة أو يأتيتهم عذاب يوم

حقيم (٥٥) الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم (٥٦)

والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين (٥٧)

يقول تعالى مخبراً عن الكفار أنهم لا يزالون في مرية أي في شك وريب من هذا القرآن قاله ابن جريج واختاره ابن جرير ، وقال سعيد بن جبير وابن زيد منه أي مما ألقى الشيطان [حتى تأتيتهم

محنة وبلية (للذين في قلوبهم مرض) شك ونفاق (والقاسية) يعني الجافية (قلوبهم) عن قبول الحق وهم المشركون وذلك أنهم افتتنوا لما سمعوا ذلك ثم نسخ ورفع فازدادوا عتوا وظنوا أن محمداً يقوله من تلقاء نفسه ثم بدم فيبطل (وإن الظالمين) المشركين (أي شقاق) ضلال (بعيد) أي في خلاف شديد (وليعلم الذين أوتوا العلم) التوحيد والقرآن وقال السدي التصديق بنسخ الله تعالى (أنه) يعني أن الذي أحكم الله من آيات القرآن هو (الحق من ربك فيؤمنوا به) أي يعتقدوا أنه من الله (فتخبت له قلوبهم) يعني فتسكن إليه قلوبهم (وإن الله لمهدي الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) أي طريق قويم وهو الاسلام (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) يعني في شك مما ألقى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون ما باله ذكرها بخير ثم ارتد عنها ، وقال ابن جريج منه أي من القرآن وقبل من الدين وهو الصراط المستقيم (حتى

الساعة بغتة) قال مجاهد فجأة ، وقال قتادة بغتة بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وعرثهم ونعمتهم فلا تغفروا بالله انه لا يغفر بالله إلا القوم الفاسقون وقوله [أو يأتيهم عذاب يوم عقيم] قال مجاهد قال أبي بن كعب هر يوم بدر ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد واختاره ابن جرير ، قال عكرمة ومجاهد في رواية عنها هو يوم القيامة لاليل له وكذا قال الضحاك والحسن البصري وهذا القول هو الصحيح ، وإن كان يوم بدر من جهة ما وعدوا به لكن هذا هو المراد ولهذا قال [الملك يومئذ لله يحكم بينهم] كقوله [مالك يوم الدين] وقوله [الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا * فالذين آمنوا وعملوا الصالحات] أي آمنت قلوبهم [وصدقوا بالله ورسوله] وعملوا بمقتضى ما عملوا وتوافق قلوبهم وأقوالهم وأعمالهم [في جنات النعيم] أي لهم النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول ولا يبيد [والذين كفروا وكذبوا بآياتنا] أي كفرت قلوبهم بالحق وجحدته وكذبوا به وخالفوا الرسل واستكبروا عن اتباعهم [فأولئك لهم عذاب مهين] أي مقابلة استكبارهم واثبتهم عن الحق كقوله تعالى [إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين] أي صاغرين

والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا وإن الله لهو

خير الرازقين (٥٨) ليدخلنهم مدخلا يرضونه وإن الله لعليم حلیم (٥٩) ذلك ومن عاقب

بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله إن الله لعفو غفور (٦٠)

يخبر تعالى عن خرج مهاجراً في سبيل الله ابتغاء مرضاه وطلباً لما عنده وترك الاوطان والأهلين والخلان وفارق بلاده في الله ورسوله ونصرة لدين الله ثم قتلوا أي في الجهاد أو ماتوا أي حتف أنفهم من غير قتال على فرشهم فقد حصلوا على الأجر الجزيل والثناء الجليل كما قال تعالى (ومن يخرج من

تأتيهم الساعة بغتة) يعني القيامة وقيل الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال الضحاك وعكرمة عذاب يوم لا ليله له وهو يوم القيامة والا كثرون على أن اليوم العقيم يوم بدر لانه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة وسمي يوم بدر عقيماً لانه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم التي لا تأتي بخير سحاب ولا مطر والعقم في اللغة المنع يقال رجل عقيم اذا منع من الولد وقيل لانه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ، وقال ابن جريج لانهم لم ينظروا فيه الى اقل حتى قتلوا قبل المساء (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (الله) من غير منازع (يحكم بينهم) ثم بين الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين * والذين هاجروا في سبيل الله فارقوا اوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه

بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (وقوله (ليرزقهم الله رزقا حسنا) أي يجزيهم عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم (وإن الله هو خير الرازقين) ليدخلهم مدخلا برضونه) أي الجنة كما قال تعالى (فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فأخبر أنه يحصل له الراحة والرزق وجنة النعيم كما قال ههنا (ليرزقهم الله رزقا حسنا) ثم قال (ليدخلهم مدخلا برضونه وإن الله لعليم) أي بن مهاجر وبجاهد في سبيله ومن يستحق ذلك (حليم) أي يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه وتوكلهم عليه ، فأما من قتل في سبيل الله من مهاجراً أو غير مهاجر فإنه حي عند ربه يرزق كما قال تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون) والاحاديث في هذا كثيرة كما تقدم ، وأما من توفي في سبيل الله من مهاجراً أو غير مهاجر فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الاحاديث الصحيحة إجزاء الرزق عليه وعظيم إحسان الله إليه قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا المسيب بن واضح حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن شريح عن ابن الحارث — يعني عبد الكريم — عن ابن عقبة يعني أبا عبيدة بن عقبة قال قال شرحبيل ابن السمط طال رباطنا واقامتنا على حصن بأرض الروم فر بي سلمان يعني الفارسي رضي الله عنه فقال اني سمعت رسول الله ﷺ يقول « من مات مرابطاً أجرى الله عليه مثل ذلك الاجر وأجرى عليه الرزق وأمن من الفتنين واقرأوا ان شئتم (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا وإن الله هو خير الرازقين ليدخلهم مدخلا برضونه وإن الله لعليم حليم) »

وقال أيضا حدثنا أبو زرعة حدثنا زيد بن بشر أخبرني ضمام انه سمع أبا قبيل وربيعة بن سيف المعافري يقولان كنا برودس ومعنا فضالة بن عبيد الانصاري صاحب رسول الله ﷺ فر بمجنزتين إحداهما قتيل والاخرى متوفى فمال الناس على القتيلى فقال فضالة مالي أرى الناس مالوا مع هذا وتركوا هذا ؟ فقالوا هذا القتيلى في سبيل الله فقال والله ما أبالي من أي حفرتيها بعثت اسمعوا كتاب الله (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا) حتى بلغ آخر الآية

وقال أيضا حدثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة حدثنا سلامان ابن عامر الشيباني ان عبد الرحمن بن جحدم الخولاني حدثه أنه حضر فضالة بن عبيد في البحر مع

(ثم قتلوا أو ماتوا) وهم كذلك قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد (ليرزقهم الله رزقا حسنا) والرزق الحسن الذي لا ينقطع أبداً وهو رزق الجنة (وإن الله هو خير الرازقين) وقيل هو قوله (بل أحياء عند ربهم يرزقون) (ليدخلهم مدخلا برضونه) لأن لهم فيه ما تشبهه الانفس وتلد الاعين (وإن الله لعليم) بنبياتهم (حليم) عنهم (ذلك) يعني الامر ذلك الذي قصصنا عليكم (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) جازى الظالم بمثل ظلمه . قال الحسن يعني قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغى عليه) يعني ظلم باخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجهم الى مفارقة

جنازتين أحدهما أصيب بمنجنيق والآخر توفي فجلس فضالة بن عبيد عند قبر المتوفى فقبل له تركت الشهيد فلم يجلس عنده فقال ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت ان الله يقول (والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) الآيتين فما تبتغي أيها العبد إذا أدخلت مدخلا مرضاه ورزقت رزقا حسنا والله ما أبالي من أي حفرتيهما بعثت . ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الاعلى عن ابن وهب أخي عبد الرحمن بن شريح وسلامان بن عامر قال كان فضالة برودس أميراً على الارباع فخرج بجنازتي رجلين أحدهما قتل والآخر متوفى فذكر نحو ما تقدم

وقوله (ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به) الآية ذكر مقاتل بن حيان وابن جرير أنها نزلت في سرية من الصحابة تقوا جميعا من المشركين في شهر محرم فناشدهم المسلمون لئلا يقاتلوه في الشهر الحرام فأبى المشركون إلا قتالهم وبغوا عليهم فقاتلهم المسلمون فنصرهم الله عليهم (إن الله لعفو غفور)

ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وأن الله سميع بصير (٦١) ذلك

بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو البطل وأن الله هو العلي الكبير (٦٢)

يقول تعالى منها على أنه الخالق المنصرف في خلقه بما يشاء كما قال (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولى الليل في النهار وتولى النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وتورق من تشاء بغير حساب) ومعنى إبلاجه الليل في النهار والنهار في الليل إدخاله من هذا في هذا ومن هذا في هذا فتارة يطول الليل ويقصر النهار كما في الشتاء وتارة يطول النهار ويقصر الليل كما في الصيف

وقوله (وأن الله صميع بصير) أي سميع بأفوال عباده بصير بهم لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم . ولما تبين أنه المتصرف في الوجود الحاكم الذي لا يعقب حكمه قال (ذلك بأن الله هو الحق) أي الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له لأنه ذو السلطان العظيم الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وكل شيء فقير إليه ، ذليل لديه (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) أي من الأصنام والانداد والوثان وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل لأنه لا يملك ضرأ ولا نفعا

أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين ليلتين بقيتا من المحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغية عليهم وثبت المسلمون لهم فنصروا عليهم

قال الله تعالى ﴿لِيَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ والعقاب الاول بمعنى الجزاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُو غَفُورٌ﴾ عما عن مساوي المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم ﴿ذَلِكَ﴾ يعني ذلك النصر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ القادر على ما يشاء فمن قدرته أنه ﴿يُوجِلُّ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِلُّ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بِصِيرِ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا

وقوله (وإن الله هو العلي الكبير) كآقال (وهو العلي العظيم) وقال (وهو الكبير المتعال) فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته لا اله الا هو ولا رب سواه لانه العظيم الذي لا أعظم منه العلي الذي لا أعلى منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتنزه عز وجل عما يقول الظالمون المعتدون علواً كبيراً

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ، إن الله لطيف خبير (٦٣) له ما في السموات وما في الأرض ، وإن الله لهو الغني الحميد (٦٤) ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك تجري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الارض إلا بأذنه ، إن الله بالناس لرءوف رحيم (٦٥) وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ، إن الانسن لكفور (٦٦)

وهذا أيضا من الدلالة على قدرته وعظيم سلطانه وأنه يرسل الرياح فتثير سحابا فتُمطر على الارض الجرز التي لا نبات فيها وهي هامة باسنة سوداء ممحلة (فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت) وقوله (فتصبح الارض مخضرة) الفاء هنا للتعقيب وتعقيب كل شيء بحسبه كما قال تعالى (فخلقنا النطفة علقه فخلقنا الملقحة مضمة) الآية وقد ثبت في الصحيحين أن بين كل شيئين أربعين يوما ومع هذا هو معقب بالفاء ، وهكذا هنا قال (فتصبح الارض مخضرة) أي خضراء بعد يباسها ومحوها ، وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز أنها تصبح عقب المطر خضراء فآله أعلم

وقوله (إن الله لطيف خبير) أي عليم بما في أرجاء الارض وأقطارها وأجزائها من الحب وان صغر لا يخفى عليه خافية فيوصل الى كل منه قسطه من الماء فينبته به كما قال لقمان [يا بني انك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الارض يأت بها الله إن الله لطيف خبير] وقال [ألا يسجدوا لله الذي يخرج الحب في السموات والارض] وقال تعالى [وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين] وقال [وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين] ولهذا قال أمية بن أبي الصلت أو زبد بن عمرو بن نفيل في قصيدته

وقولا له من ينبت الحب في الثرى فيصبح منه البقل يهتز رأيا

ويخرج منه حبه في رومسه في ذك آيات لمن كان واعيا

يدعون ﴿ قرأ أهل البصرة وحمزة والسكسائي وحفص بالياء وقرأ الآخرون بالياء يعني المشركين ﴾ من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي ﴿ العلي على كل شيء ﴾ الكبير ﴿ العظيم الذي كل شيء دونه ﴾ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ﴿ بالنبات ﴾ إن الله لطيف ﴿ بأرزاق عباده ﴾

وقوله (له ما في السموات وما في الارض) اي ملكه جميع الاشياء وهو غني عما سواه وكل شيء فقير اليه عبد لديه. وقوله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض) أي من حيوان وجماد وزروع وثمار كما قال [وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه] أي من احسانه وفضله وامتنانه [والفلك تجري في البحر بأمره] أي بتسخيره وتسييره أي في البحر العجاج وتلاطم الامواج تجري الفلك بأهلها يريح طيبة ورفق وتؤدة فيحملون فيها ماشاؤا من نجاثر وبضائم ومنافع من بلد الى بلد وقطر الى قطر ويأتون بما عند أولئك الى هؤلاء كما ذهبوا بما عند هؤلاء الى أولئك مما يحتاجون اليه ويطلبونه ويريدونه [وبمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه] أي لو شاء لاذن للسماء فسقطت على الارض فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته بمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه ولهذا قال [ان الله بالناس لرؤوف رحيم] اي مع ظلمهم كما قال في الآية الاخرى [وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب]

وقوله [وهو الذي احياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ان الانسان لكفور] كقوله [كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون] وقوله [قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه] ر قوله [قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين] ومعنى الكلام كيف تجعلون الله أندادا وتعبدون معه غيره وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف [وهو الذي احياكم] اي خلقكم بعد ان لم تكونوا شيئا يذكر فاوجدكم [ثم يميتكم ثم يحييكم] اي يوم القيامة [ان الانسان لكفور] اي جحود لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينزعنك في الامر ، وادع الى ربك انك لعلي

هدي مستقيم (٦٧) وان جدلوك فقل الله أعلم بما تعملون (٦٨) الله يحكم بينكم يوم القيامة

فما كنتم فيه تختلفون (٦٩)

يخبر تعالى انه جعل لكل قوم منسكا قال ابن جرير يعني كل أمة نبي منسكا قال نوصل المنسك

واستخراج النبات من الارض (خبير) بما في قلوب العباد اذا تأخر المطر عنهم (له ما في السموات وما في الارض) عبيدا وملكا (وان الله هو الغني) عن عباده (الحميد) في أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الارض والفلك) يعني وسخر لكم الفلك (تجري في البحر بأمره) وقيل ما في الارض الدواب التي تركب في البر والفلك التي تركب في البحر (وبمسك السماء أن تقع على الارض) لكيلا تسقط على الارض (الا باذنه) ان الله بالناس لرؤوف رحيم وهو الذي احياكم (يعني أنشأكم ولم تكونوا شيئا) (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يوم البعث والثواب والعقاب (ان الانسان لكفور) لنعم الله (لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه) قال ابن عباس يعني شريعة هم عاملون بها

(الجزء الخامس)

(٧٧)

(تفسير ابن كثير والبغوي)

في كلام العرب هو الموضع الذي يعتاده الانسان ويتردد اليه إما خيراً أو شراً ولهذا سميت مناسك الحج بذلك لترداد الناس اليها وعكوفهم عليها ، فان كان كما قال من أن المراد لكل أمة فهي جعلنا منسكا فيكون المراد بقوله (فلا ينازعنك في الأمر) أي هؤلاء المشركون ، وان كان المراد لكل أمة جعلنا منسكا جعلنا قدرها كما قال [ولكل وجهة هو موليها] ولهذا قال ههنا [هم ناسكوه] أي فاعلوه فالضمير ههنا عائذ على هؤلاء الذين لهم مناسك وطرائق أي هؤلاء ، إنما يفعلون هذا عن قدر الله وإرادته فلا تتأثر بمنازعتهم لك ولا يصرفك ذلك عما أنت عليه من الحق ولهذا قال (وادع إلى ربك انك لعلي هدى مستقيم) أي طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود وهذه كقوله (ولا يصدك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك)

وقوله (وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون) كقوله (وان كذبوك فقل لي علي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون) وقوله (الله أعلم بما تعملون) تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله [هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيداً بيني وبينكم] ولهذا قال [الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون] وهذه كقوله تعالى [فذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب] الآية

ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض ؟ أن ذلك في كتب ، أن ذلك على الله يسير (٧٠) يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ « أن الله قدر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه

وروي عنه أنه قال عيدا قال قتادة ومجاهد موضع قربان يذبحون فيه ، وقيل موضع عبادة ، وقيل مألفاً يألفونه والمنسك في كلام العرب الموضع المعتاد لعمل خير أو شر ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى أما كن أعمال الحج (فلا ينازعنك في الأمر) يعني في أمر الذبائح. نزلت في بليل بن ورقاء وبشر ابن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبي ﷺ ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله قال الزجاج معنى قوله (لا ينازعنك) أي لا تنازعهم أنت كما يقال لا يخاصمك فلان أي لا يخاصمه وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين ولا يجوز لا يضربك فلان وأنت تريد لا تضربه وذلك أن المنازعة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين فإذا ترك أحدهما فلا مخاصمة هناك (وادع إلى ربك) إلى الإيمان بربك (إنك لعلي هدى مستقيم) وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون * الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون (فتعرفون حينئذ الحق من الباطل . والاختلاف ذهب كل واحد من الخصمين إلى خلاف مذهب إليه الآخر) ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك

على الماء « وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسول الله ﷺ قال « أول ما خلق الله القلم قال له اكتب وما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن فخرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة » وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا ابن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء بن دينار حدثني سميد بن جبير قال قال ابن عباس خلق الله اللوح المحفوظ كسيرة مائة عام ، وقال لقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى اكتب فقبل القلم وما أكتب قال علي في خلفي إلى يوم تقوم الساعة فخرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة فذلك قوله للنبي ﷺ (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والارض) وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الاشياء قبل كونها وقدرها وكتبها أيضا فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك على الوجه الذي يفعلونه فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره وهذا يعصي باختياره وكتب ذلك عنده وأحاط بكل شيء علما وهو سهل عليه يسير لديه ولهذا قال تعالى (إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)

ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به دلم وما للظالمين من نصير

(٧١) وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يستطون

بالذين يتلون عليهم آيتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم ؟ النار وعدها الله الذين كفروا وبئس

المصير (٧٢)

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فيما جهلوا وكفروا وعبدوا من دون الله (ما لم ينزل به سلطانا) يعني حجة وبرهانا كقوله (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) ولهذا قال ههنا (ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم) أي ولا علم لهم فيما اختلقوه وانتفكوه وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا حجة وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم ولهذا نوعهم تعالى بقوله (وما للظالمين من نصير) أي من ناصر ينصرهم من الله فيما يحل بهم من العذاب والكل ثم قال (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله وأنه لا إله إلا هو وأن رسوله الكرام حق وصدق

كله (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (إن ذلك) يعني علمه لجميع ذلك (على الله يسير) ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم (وما للظالمين) المشركين (من نصير) مانع يمنعهم من عذاب الله (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) يعني الانكار يقين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس (يكادون يستطون) يعني يقعون ويستطون اليهم أي يديهم بالسوء

٦١٢ ضرب المثل على حقارة الاصنام وسخافة عقول عابديها (تفسيرا ابن كثير والبغوي)

(يكادون بسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي يكادون يبادرون الذين يمتنعون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ويسطون اليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء قل أي يا محمد لهؤلاء (أفأنبشكم بشر من ذلك النار وعدها الله الذين كفروا) أي النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وألم وأعظم مما تخوفون به أوليا. الله المؤمنين في الدنيا وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تتلون منهم أن نلتهم بزعيمكم وإرادتكم. وقوله (وبئس المصير) أي وبئس النار مقبلا ومنزلا ومرجعا وموتلا ومقاما (إنها صامت مستقرآ ومقاما)

يأبها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب (٧٣) ما قدروا الله حق قدره أن الله لقوي عزيز (٧٤)

يقول تعالى منها على حقارة الاصنام وسخافة عقول عابديها (يأبها الناس ضرب مثل) أي لما يعبد الجاهلون بالله المشركون به (فاستمعوا له) أي انصتوا وتفهموا (أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) أي لو اجتمع جميع ما يعبدون من الاصنام والانداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك كما قال الامام أحمد حدثنا أسود بن عامر حدثنا شريك عن عمار بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة مرفوعا قال «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا مثل خلقي ذرة أو ذبابة أو حبة» وأخرجه صاحب الصحيح من طريق عمار عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : قال الله عز وجل «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة فليخلقوا شعيرة» ثم قال تعالى أيضا (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) أي هم عاجزون عن خلق ذباب واحد

وقيل يبطشون بالذين يتلون عليهم آياتنا يعني بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعنف وأصل السطو القهر قل يا محمد لهم (أفأنبشكم بشر من ذلك) يعني بشر لكم وأكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون النار يعني هي النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير يا أيها الناس ضرب مثل معنى ضرب جعل كقولهم ضرب السلطان البعث على الناس وضرب الجزية على أهل الدمة أي جعل ذلك عليهم ومعنى الآية جعل لي شبه وشبه بي الاوثان أي جعل المشركون الاصنام شركائي فعبدها ومعنى (فاستمعوا له) يعني فاستمعوا حالها وصفها ثم بين ذلك فقال (إن الذين تدعون من دون الله) يعني الاصنام قرأ يعقوب بإياءه والباقرن بإتاءه (لن يخلقوا ذبابا) واحدا في صفه وقلته لأنها لا تقدر عليه والذباب واحد وجمعه القليل أذبة والكثير ذبان مثل غراب وأغربة وغربان (ولو اجتمعوا له) يعني لحاقه (وإن يسلبهم الذباب شيئا

بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه لو سلبها شيئا من الذي عليها من الطيب ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الضم والمطلوب الذباب واختاره ابن جرير وهو ظاهر السياق وقال السدي وغيره (الطالب) العابد (والمطلوب) الضم ثم قال ما قدروا الله حق قدره (أي ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره من هذه التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها (إن الله لقوي عزيز) أي هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه (إن بطش ربك لشديد انه هو يبيد) وبعبده ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) وقوله (عزيز) أي قد عز كل شيء فقهره وغلبه فلا يمانع ولا يغالب لعظمته وسلطانه وهو الواحد القهار .

الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير (٧٥) يعلم ما بين أيديهم

وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور (٧٦)

يخبر تعالى أنه يختار من الملائكة رسلا فيما يشاء من شريعته وقدره ومن الناس لا يبلغ رسالته (إن الله سميع بصير) أي سميع لأقوال عباده بصير بهم عليهم بما يستحق ذلك منهم كما قال الله أعلم حيث يجعل رسالته وقوله (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى الله ترجع الأمور) أي يعلم ما يفعل برسله فيما أرساهم به فلا يخفى عليه شيء من أمورهم كما قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا - إلى

لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الأصنام بالزعران فإذا جف جاء الذباب فاستلب منه وقال السدي كانوا يضعون الطعام بين يدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكلن منه وقال ابن زيد كانوا يحلون الأصنام باليوافيت والآلي وأنواع الجواهر ويطيبونها بألوان الطيب فرما يسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استردادها فذلك قوله (وإن يسلبهم الذباب شيئا) أي وإن يسلب الذباب الأصنام شيئا مما عليها لا يقدر أن يستنقذوه منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الضم والمطلوب الضم يطلب الذباب منه السلب وقيل على العكس الطالب الضم والمطلوب الذباب وقال الضحاك الطالب العابد والمطلوب المعبود (ما قدروا الله حق قدره) ما عظموه حق عظمته وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته أن أشركوا به مالا يتمتع من الذباب ولا ينتصف منه (إن الله لقوي عزيز) الله يصطفى (يعني يختار) من الملائكة رسلا (ومن جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم) ومن الناس (يعني يختار من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام نزلت حين قال المشركون (أنزل عليه الذكر من بيننا) فأنزل الله الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه (إن الله سميع بصير) يعني سميع لقولهم بصير بمن يختاره رسلا (يعلم ما بين أيديهم

قوله - وأحصى كل شيء عددا) فهو سبحانه رقيب عليهم شهيد على ما يقال لهم حافظ لهم ناصر لجنابهم (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فإبغضت رسالته والله يعصمك من الناس) الآية

يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧)

وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتنبكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم

إبراهيم هو سبطكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء

على الناس فأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولكم فنعم المولى

ونعم النصير (٧٨)

اختلف الأئمة رحمهم الله في هذه السجدة الثانية من سورة الحج هل هي مشروع السجود فيها أم لا على قولين وقد قدمنا عند الأولى حديث عقبة بن عامر عن النبي ﷺ « فضلت سورة الحج

قال ابن عباس ما قدموا ﴿ وما خلفهم ﴾ ما خلفوا وقال الحسن ما بين أيديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد وقيل (ما بين أيديهم) ملائكتهم وكتبه ورسله قبل أن خلقهم (وما خلفهم) أي ويعلم ما هو كائن بعد فنائبهم ﴿ وإلى الله ترجع الأمور ﴾ يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ﴿ يعني صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ﴾ واعبدوا ربكم ﴿ أي وحدوه ﴾ وافعلوا الخير ﴿ قال ابن عباس صلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴾ اعلكم تفلحون ﴿ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة واختلف أهل العلم في سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق واحتجوا بما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن اسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا قتيبة أنا ابن لمبة عن مشرح بن هارون عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين قال « نعم ومن لم يسجد بها فلا يقرأها » وذهب قوم إلى أنه لا يسجد ههنا وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي وعدة سجود القرآن أربع عشر عند أكثر أهل العلم منها ثلاث في المفصل وذهب قوم إلى أنه ليس في المفصل سجود روي ذلك عن أبي بن كعب وابن عباس وبه قال مالك وقد صح عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في اقرأ وإذا السماء انشقت وأبو هريرة من متأخري الأسلام . واختلفوا في سجود (ص) . ذهب الشافعي إلى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود ويروي ذلك عن ابن عباس وذهب قوم إلى أنه يسجد فيها روي ذلك عن عمر وبه قال سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي وأحمد وإسحاق

بسجدتين فمن لم يسجد هما فلا يقرأهما ، وقوله (وجاهدوا في الله حق جهاده) أي بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم كما قال تعالى (اتقوا الله حق تقاته) وقوله (هو اجتباكم) أي باعذه الامة الله اصطفاكم واختاركم على سائر الامم وفضلكم وشرفكم وخصمكم باكرم رسول وأكمل شرع (وما جعل عليكم في الدين من حرج) أي ما كلفكم ما لا تطيقون وما ألزمكم بشي . يشق عليكم الاجعل الله لكم فرجا ومخرجا فالصلاة التي هي أكبر أركان الاسلام بعد الشهادتين نجب في الحضر أربعا وفي السفر تقصر الى اثنتين وفي الخوف بصليها بعض الائمة ركعة كما ورد به الحديث وتصلى رجلا وركبانا مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وكذا في النافلة في السفر الى القبلة وغيرها والقيام فيها يسقط لعذر المرض فيصلبها المريض جالسا فان لم يستطع فعلى جنبه الى غير ذلك من الرخص والتخفيفات في سائر الفرائض والواجبات ولهذا قال عليه السلام « بعثت بالحنيفية السمحة » وقال لمعاذ وأبي موسى حين بعثهما أميرين الى اليمن « بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا » والاحاديث في هذا كثيرة ولهذا قال ابن عباس في قوله (وما جعل عليكم في الدين من حرج) يعني من ضيق وقوله (ملأ أعيكم ابراهيم) قال ابن جرير نصب على تقدير (ما جعل عليكم في الدين من حرج) أي من ضيق بل وسعه عليكم كلمة ابراهيم . قال ويحتمل أنه منصوب على تقدير الزموا ملأ أعيكم ابراهيم قلت وهذا المعنى في هذه الآية كقوله (قل انني هادي ربي الى صراط مستقيم دينا قبا ملأ ابراهيم حنيفا) الآية وقوله (هو سماكم المسلمين

فبعد ابن المبارك واسحاق واحمد وجماعة سجود القرآن خمس عشرة سجدة فعادوا بسجدة الحج وسجدة صر وروى عن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن قوله تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده) قبل جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو است فراغ الطاقة فيه قاله ابن عباس وعنه أيضا أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما قال تعالى (يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) ثم قال الضحاك ومقاتل : عملوا لله حق عمله ، وعبدوه حق عبادته وقال مقاتل بن سليمان نسخها قوله [فاتقوا الله ما استطعتم] وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن تكون نيته خالصة صادقة لله عز وجل ، وقال السدي هو أن يطاع فلا يعصى وقال عبد الله بن المبارك هو مجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر وهو حق الجهاد وقد روي أن رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك قال « رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر » وأراد بالجهاد الاصغر الجهاد مع الكفار وبالجهاد الاكبر الجهاد مع النفس (هو اجتباكم) يعني اختاركم لدينه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) ضيق معناه أن المؤمن لا يتلى بشي من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع الكفارات فليس في دين الاسلام مالا يجبد العبد سبيلا الى الخلاص من العقاب فيه وقيل من ضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج اذا التبس ذلك عليكم وسمع الله عليكم حتى تبتقنوا وقال

من قبل وفي هذا قال الامام عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس في قوله (هو سماكم المسلمين من قبل) قال الله عز وجل وكذا قال مجاهد وعطاء والضحاك والسدي ومقاتل ابن حيان وقتادة وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (هو سماكم المسلمين من قبل) يعني ابراهيم وذلك لقوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) قال ابن جرير وهذا لا وجه له لانه من المعلوم أن ابراهيم لم يسم هذه الامة في القرآن مسلمين وقد قال الله تعالى (هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا) قال مجاهد الله سماكم المسلمين من قبل في الكتب المتقدمة وفي الذكر (وفي هذا) يعني القرآن وكذا قال غيره قلت وهذا هو الصواب لانه تعالى قال (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج) ثم حثهم وأغراهم على ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأنه ملة أبيهم الخليل ثم ذكر منتهى تعالى على هذه الامة بما فوه به من ذكرها والثناء عليها في سالف الدهر وقديم الزمان في كتب الانبياء يتلى على الاحبار والرهبان فقال (هو سماكم المسلمين من قبل) أي من قبل هذا القرآن (وفي هذا) روى النسائي عند تفسيره هذه الآية أنبأنا هشام بن عمار حدثنا محمد بن شعيب أنبأنا معاوية بن سلام أن أخاه زيد بن سلام أخبره عن أبي سلام أنه أخبره قال أخبرني الحارث الأشعري عن رسول الله ﷺ قال «من دعا بدعوى الجاهلية فانه من جني جهنم» قال رجل يا رسول الله وإن صام وصلى قال «نعم وإن صام وصلى» فادعوا بدعوة الله التي سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله وقد قدمنا هذا الحديث بطوله عند تفسير قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) من سورة البقرة ولهذا قال (ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس) أي إنما جعلناكم هكذا أمة وسطاً عدلاً ولا خياراً مشهوداً بعد التكم عند جميع الأمم لتكونوا يوم القيامة (شهداء على الناس) لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها وفضلها على كل

مقاتل يعني الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتميم عند فقد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والافطار بالسفر والمرض والصلاة قاعداً عند العجز عن القيام وهو قول الكلبي وروى عن ابن عباس أنه قال الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاعمال التي كانت عليهم وضعها الله عن هذه الامة (ملة أبيكم ابراهيم) يعني كلمة أبيكم نصب بنزع حرف الصفة وقبل نصب على الاغراء يعني اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم وإنما أمرنا باتباع ملة ابراهيم لأنها داخلية في ملة محمد ﷺ فان قيل فما وجه قوله ملة أبيكم وليس كل المسلمين يرجع نسبهم الى ابراهيم؟ قيل خاطب به العرب وهم كانوا من نسل ابراهيم وقبل خاطب به جميع المسلمين وابراهيم أب لهم على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب وهو كقوله تعالى [وازرأهه اباهم] وقال النبي ﷺ «إنما أنا لكم مثل والد الولد» (هو سماكم) يعني أن الله تعالى سماكم (المسلمين من قبل) يعني من قبل نزول القرآن في الكتب المتقدمة (وفي هذا) يعني وفي هذا الكتاب هذا قول أكثر المفسرين وقال ابن زيد هو يرجع الى

أمة سواها فلماذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة في أن الرسل باقتهم رسالة ربهم والرسول يشهد على هذه الامة أنه بلغها ذلك وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا تكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) وذكرنا حديث نوح وأمه بما أغنى عن إعادته. وقوله (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أي قالوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها فأدوا حق الله عليكم في أداء ما أنرض وطاعة ما أوجب وترك ما حرم ومن أهم ذلك أقام الصلاة وآتوا الزكاة وهو الاحسان الى خلق الله بما أوجب للغير على الذي من أخراج جزء من ماله في السنة للضعفاء والمحتاجين كما تقدم بيانه وتفصيله في آية الزكاة من سورة التوبة وقوله (واعتصموا بالله) أي اعتضدوا بالله

واستعينوا به وتوكلوا عليه وتأيدوا به (هو مولاكم) أي حافظكم وناصركم

ومظفركم على أعدائكم (فنعم المولى ونعم النصير) يعني نعم الولي

ونعم الناصر من الأعداء قال وهيب بن الورد يقول الله تعالى

«ابن آدم اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا تحملك

فيمن أحق. واذا ظلمت فاصبر وارض بنصرني

فان نصرتني لك خير من نصرتك

لنفسك» رواه ابن أبي حاتم

والله أعلم

(آخر تفسير سورة الحج والله الحمد والمنة)

تم الجزء الخامس من تفسير الحافظ ابن كثير

أبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من قبل هذا الوقت وفي هذا الوقت وهو قوله [ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرئتنا أمة مسلمة لك] (ايكون الرسول شهيدا عليكم) يوم القيامة أن قد بلغكم (وتكونوا) أنتم (شهداء على الناس) أن رسلكم قد بلغكم (فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) ثبوا بالله وتوكلوا عليه قال الحسن بن علي بن وهيب عن ابن عباس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ما يكره وقبل معناه ادعوه اليه في دينه وقبل الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) وابكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) الناصر لكم

تم الجزء السادس من تفسير البغوي المسمى بمعالم التنزيل

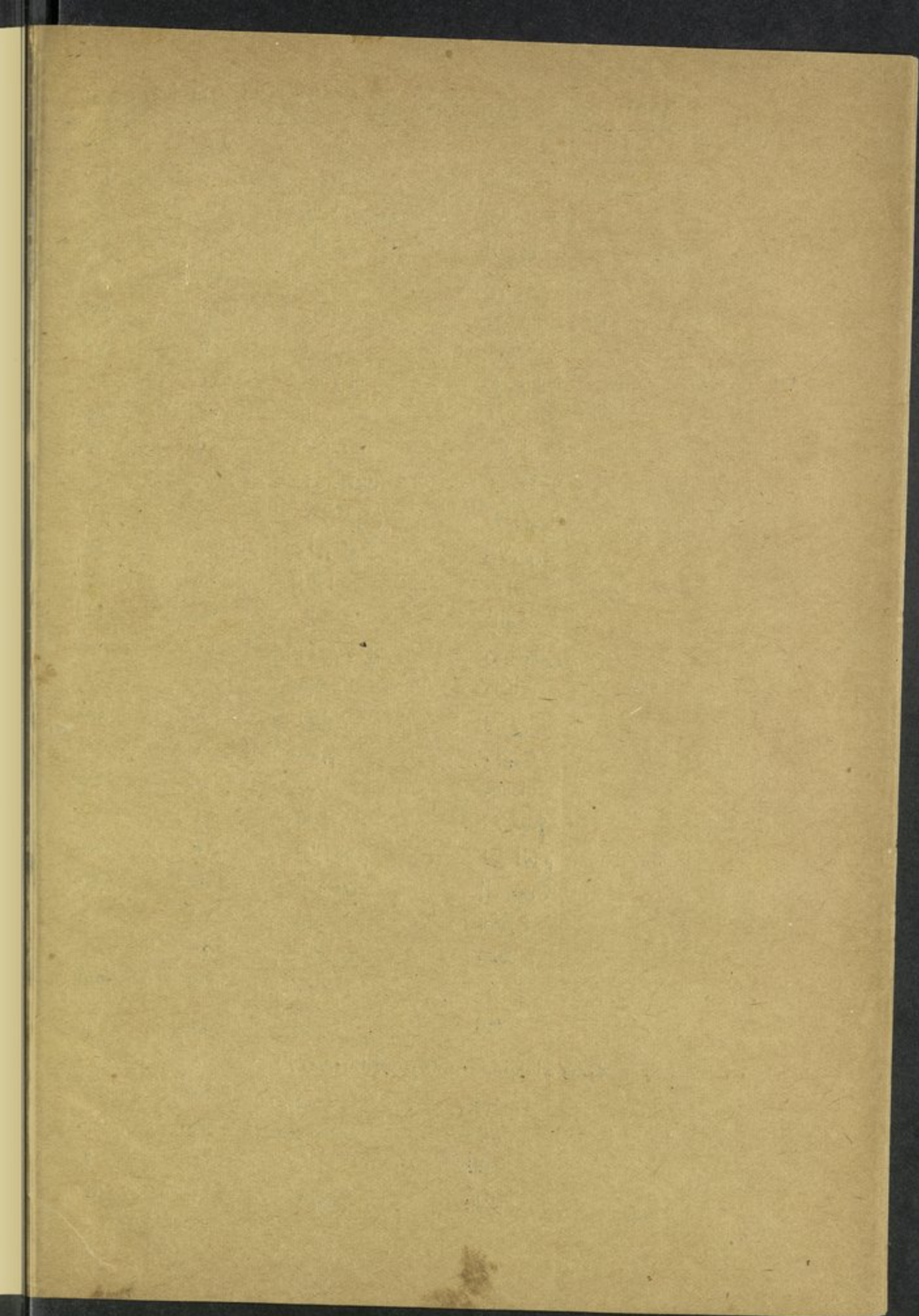
ويأتيها الجزء السادس إن شاء الله تعالى

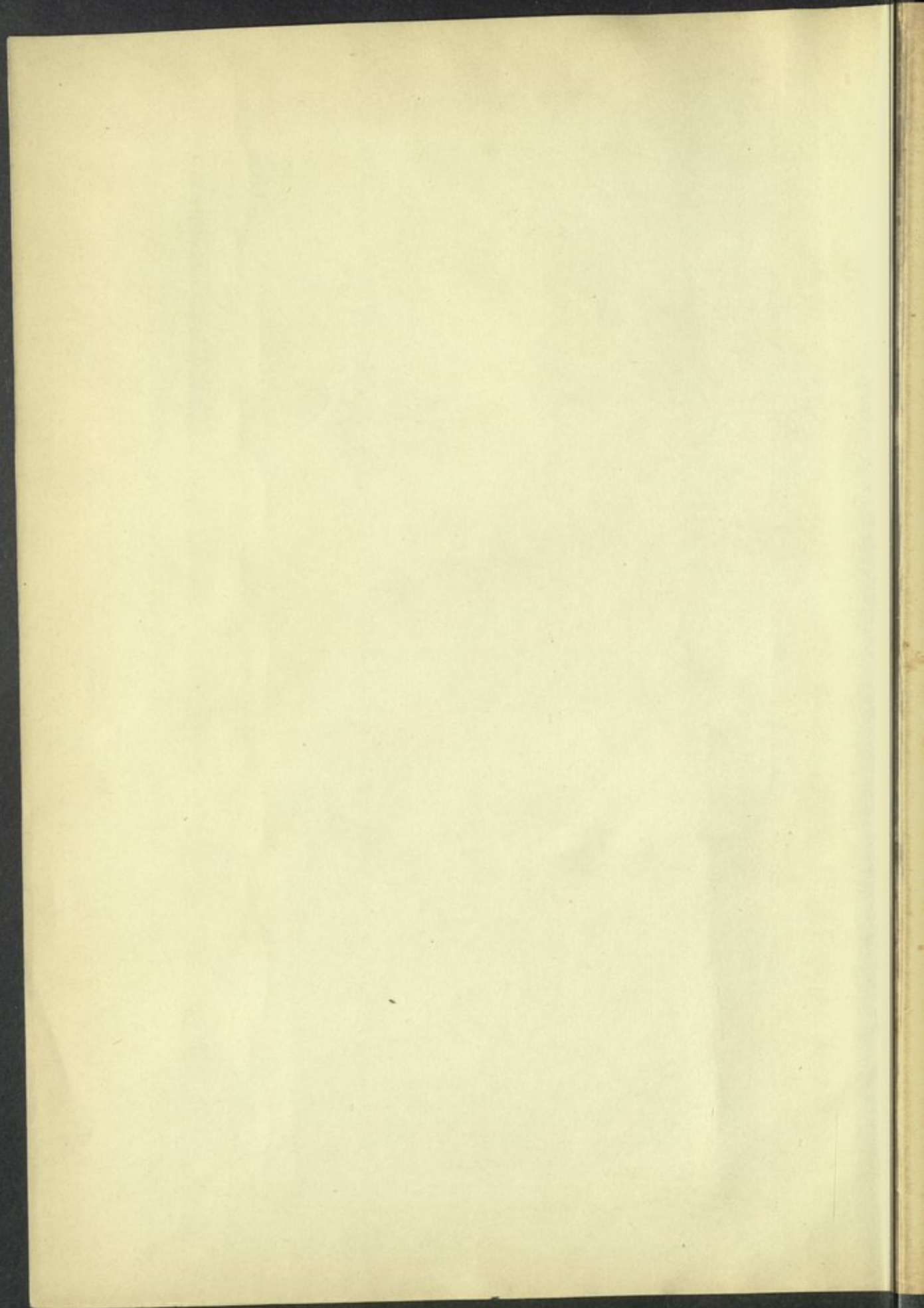
وأوله سورة المؤمنون

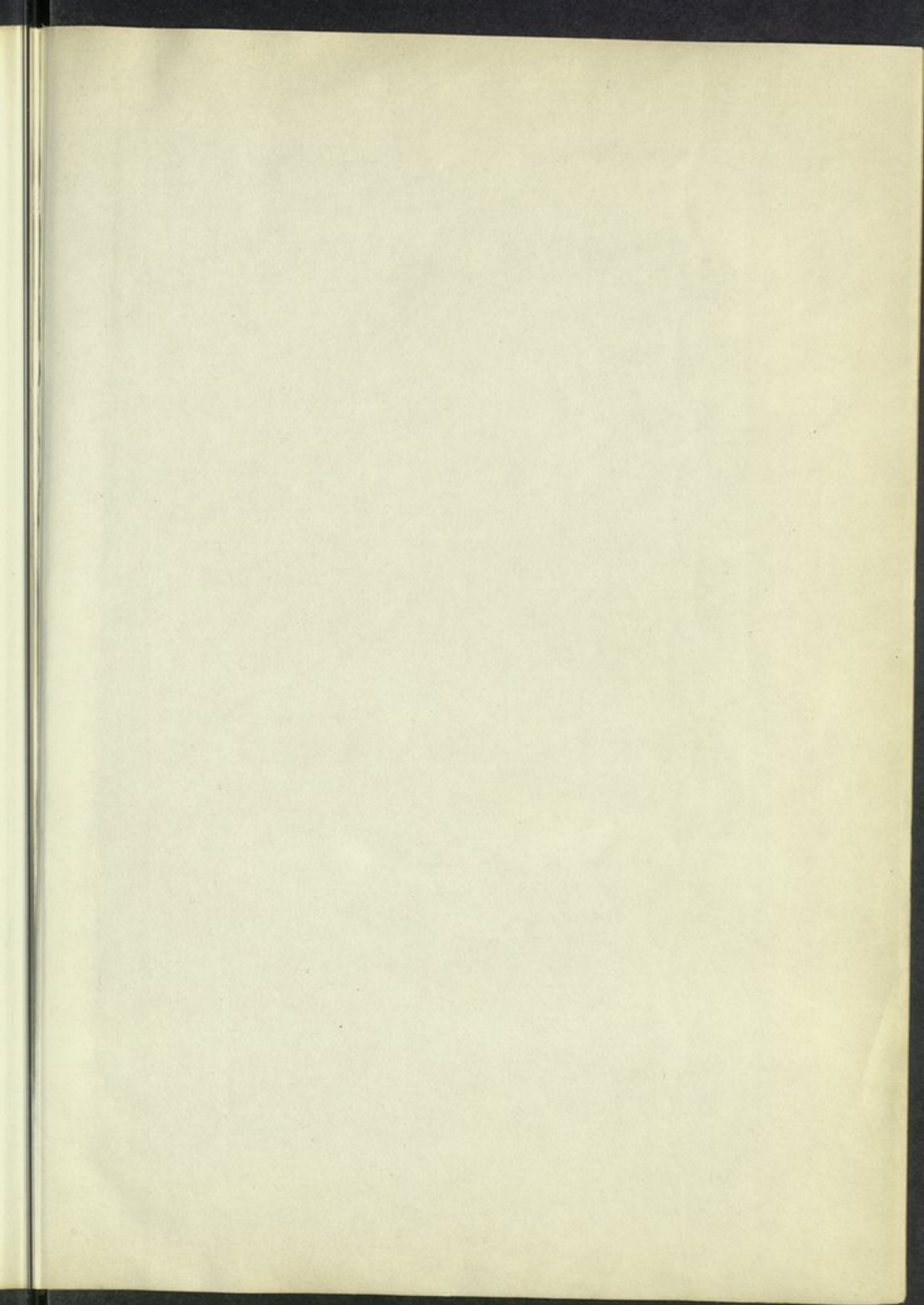
(تصحيح أم الخطأ المطبعي الواقع في الجزء الخامس من تفسير ابن كثير والبغوي)

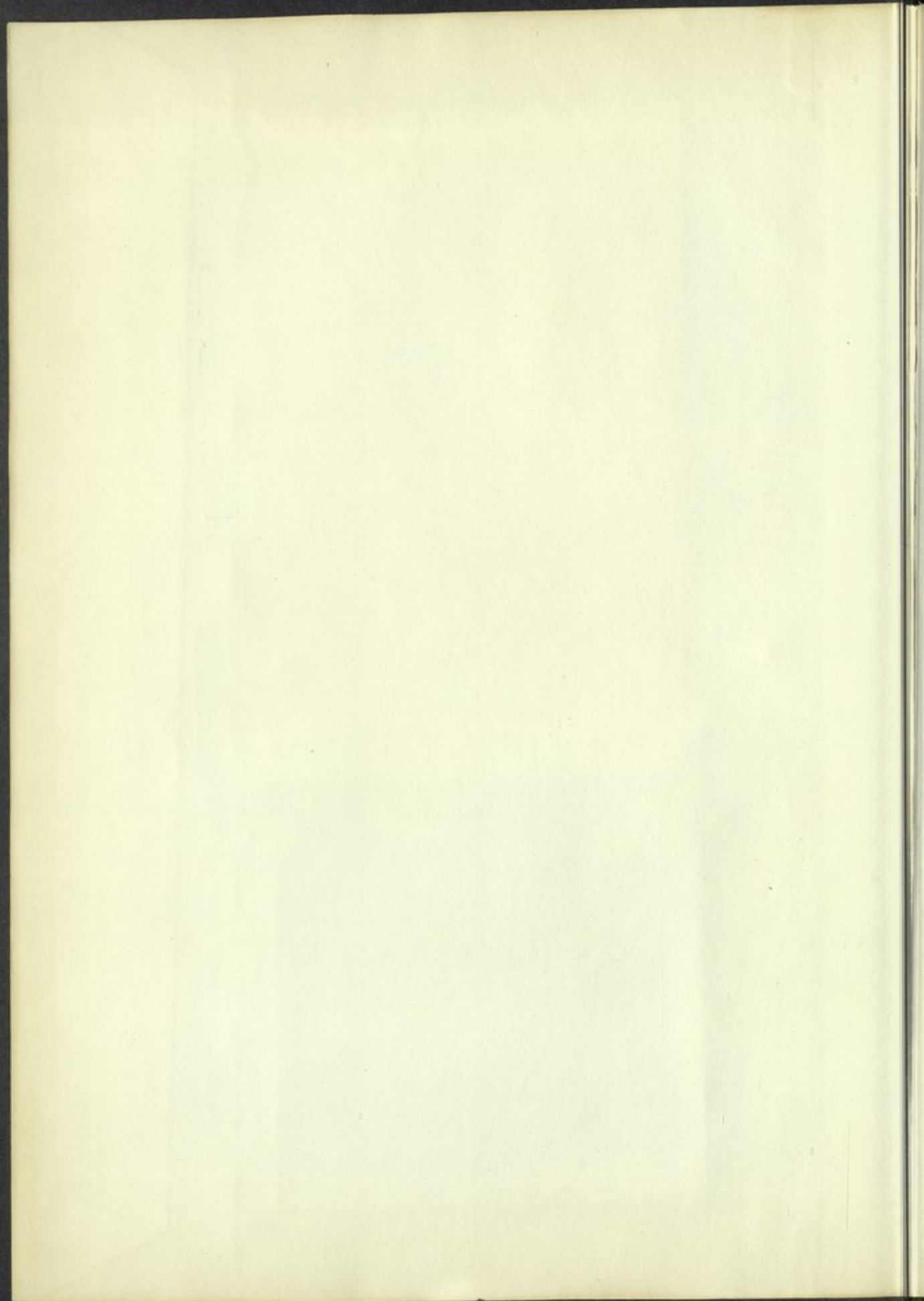
صواب	خطأ	شطر	صحيفة
استكبروا	ستكبروا	١	٦
مسنون (٢٦)	مسنون	١٥	١٣
أني	إني	١٨	٢١
آياتنا	آيتنا	١٧	٢٧
لمركبوها	لمركبوها	٢٨	٤١
السيات	السيات	٢٠	٥٩
يخسف	يخسف	٢١	٥٩
الحيوان	الحيوان	٥	٦٧
﴿ إلا الله ﴾	إلا الله	٢٦	٧٧
نبيث	نبيث	١	٨٠
يقرون	يقرون	٢٣	٨١
يتوكلون	يركلون	١٨	٩٠
﴿ والله ﴾	والله	٢٢	٩٠
﴿ ليثبت ﴾	ليثبت	٢٦	٩٠
الزنادقة	الزنادقة	١٥	١٤٣
فطرحوا	فطوحوا	٢١	١٥٢
ولا تبسطها كل البسط	ولا تبسطها	٢٧	١٧٦
مهلكوها	مهلكوها	٨	١٩٦
﴿ إلا ﴾	إلا	٢٢	٢٠٠
ييمينه	يمينه	١٩	٢٠٨
شفاء	شفاء للناس	١٩	٢٢٥
(٤٥) المال والبنون زينة الحياة الدنيا	(٤٥) المال والبنون زينة الحياة الدنيا	٨	٢٨٨
((٤	٢٩٨
شيئاً نكرأ قال ألم	شيئاً نكرأ (قال ألم	١٤	٣٠٥
شيئاً امرأ	امرأ	١	٣٠٩
إذا أتيا	إذا أتيا	٨	»
فأقامه (قال	فأقامه قال)	٩	»
لو	(لو	»	»
(قال) موسى (لفتاه	(قال موسى لفتاه	١٨	٣١٠

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣١١	٥	تعلمني	تعلمن
»	٦	قال (ستجدني)	(قال ستجدني
٣٤٦	٥	أما ترى	إما تري
»	٢٧	سن	من
٣٧٣	١١	ووهبنا له	ووهبنا له من رحمتنا
٤١٩	٢٣	أمر بك	لنريك
٤٤٧	٢٤	من (اليم	(من اليم
٤٥٧	٢١	لبئس	لبئس
٤٧١	١٧	وتبعه	وتبعه
»	٢٦	فتنبع آياتك	فتنبع آياتك
٤٧٧	٢٦	لا تركضوا	لا تركضوا
٤٧٨	٨	والأرض	والأرض
»	٢٠	فقالوا	قالوا
٤٨١	٢٥	بالقول	بالقول
٤٨٧	١٤	ولا هم لا ينصرون	ولا هم ينصرون
٤٨٨	٢٢	ولقد	ولقد
٤٨٩	٩	ليقولون	ليقولون
٤٩٠	٢٤	مستمهم	مستمهم
٤٩٣	١٦	جذاذا	جذاذا
٤٩٧	١٤	ما ينفعكم	ما لا ينفعكم
٥٢٤	٢٣	أولوا العزم	أولوا العزم
٥٤٥	١٩	إلى حين	إلى حين
»	١٩	بالحق	بالحق
٥٦١	١٠	والنصي	والنصي
٥٦٩	٢٥	سواء	سواء
٦٠٠	٤	آيته	آيته
٦٠٥	٨	(وصدقوا بالله ورسوله	وصدقوا بالله ورسوله
»	١٩	يو عقيم	يوم عقيم
٦٠٨	١	وهو الكبير	الكبير
»	٢٢	ذك	ذاك
٦١٠	٢٠	بدليل	بدليل









DATE DUE

J. Lib.

1 JUN 1979

JAFET LIB.

21 MAY 1988

J. Lib.

10 JUN 1983

JAFET LIB.

- 1 FEB 1993

J. Lib.

20 JAN 1987



ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر
... تفسير الحافظ ابن كثير... ويليها معا

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000246

297.207
J13A

V. 5

Handwritten text, possibly a signature or title, in gold or light-colored ink.

AUB Libraries